

الأساليب النبوية في التعليم

جمع وإعداد

الباحث في القرآن والسنة

علي بن نايف الشحود

الطبعة الأولى

١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م

بهانج دار العمور

((حقوق الطبع لكل مسلم))

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد :

لقد أكد القرآن الكريم أن رسول الله ﷺ معلمٌ للناس والبشرية جميعاً، على أميته وصحراوية بيئته.

قال الله تعالى: {هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ} (٢) سورة الجمعة وقال تعالى: { وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا } (٧٩) سورة النساء.

وكذلك أثبتت السنة المطهرة أيضاً أن رسول الله ﷺ معلمٌ هادٍ بصير. فقد روى ابن ماجه في سننه عن عبد الله بن عمرو، قال: خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ مِنْ بَعْضِ حُجْرِهِ، فَدَخَلَ الْمَسْجِدَ، فَإِذَا هُوَ بِحَلَقَتَيْنِ، إِحْدَاهُمَا يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ، وَيَدْعُونَ اللَّهَ، وَالْأُخْرَى يَتَعَلَّمُونَ وَيُعَلِّمُونَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: كُلُّ عَلَى خَيْرٍ، هَؤُلَاءِ يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ، وَيَدْعُونَ اللَّهَ، فَإِنْ شَاءَ أَعْطَاهُمْ، وَإِنْ شَاءَ مَنَعَهُمْ، وَهَؤُلَاءِ يَتَعَلَّمُونَ وَيُعَلِّمُونَ، وَإِنَّمَا بُعِثْتُ مُعَلِّمًا ، فَجَلَسَ مَعَهُمْ.^١

إلى جانب ذلك أثبت التاريخ أن رسول الله ﷺ كان معلماً وأيُّ معلم؟ فنظرة يسيرة إلى ما كانت عليه البشرية قبل رسول الله ﷺ ، وإلى ما آلت إليه البشرية بعد رسالته، تعطينا أوضح شاهد ودليل على ثبوت ذلك. فأَيُّ معلم من المرين تخرَّج على يديه عددٌ أوفر وأهدى من هذا الرسول الكريم، الذي تخرج من تحته هؤلاء الأصحاب والأتباع؟ فكيف كانوا قبله؟ وكيف صاروا بعده؟^٢

^١ - سنن ابن ماجه- طبع مؤسسة الرسالة - (١ / ١٥٥) (٢٢٩) حسن لغيره

^٢ - انظر معالم في الطريق بتحقيقي - (١ / ١٦) جيل قرآني فريد

إن كل واحد من هؤلاء الأصحاب دليل ناطق على عظم هذا المعلم المربي الفريد الأوحى، وهذا يذكرنا بكلمة طيبة لبعض الجهابذة الأصوليين، يقول فيها: "لو لم يكن لرسول الله ﷺ معجزة إلا أصحابه، لكفوه لإثبات نبوته".

هذا المعلم للخير ﷺ رغم أنه أمي لا يقرأ ولا يكتب، قد منحه الله تعالى العلم الذي لا يدانيه أحد من البشر، وأتم عليه النعمة بما آتاه من شخصية فذة جامعة فريدة، وامتن عليه بقوله سبحانه: { وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا } (١١٣) سورة النساء .

فنهض ﷺ ينشر العلم في الناس ويذيعه بينهم، وكان بحق المعلم الأول للخير في هذه الدنيا، في جمال بيانه، وفصاحة لسانه، ونصاعة منطقته، وحلاوة أسلوبه، ولطف إشارته، وإشراق روحه، ورحابة صدره، ورقة قلبه، ووفرة حنانه وحكيم شدته، وعظيم انتباهه، وسمو ذكائه، وبالغ عنايته، وكثير رفقته بالناس، حتى قال ﷺ: "إِنَّمَا بُعِثْتُ مُعَلِّمًا". ولقد حذر هذا المعلم الكريم من العلم الذي لا ينفع، حتى جعل ذلك دعاءً له يدعو به في أكثر أحيانه ﷺ .

وقد تمثلت شخصية الرسول ﷺ المعلم في الرأفة والرحمة، وترك العنت وحب اليسر، والرفق بالمتعلم، والحرص عليه، وبذل العلم والخير له في كل وقت ومناسبة، بالمكان الأسمى والخلق الأعلى، قال الله تعالى: { لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ } (١٢٨) سورة التوبة. وكان رسول الله ﷺ يتخير في تعليمه من الأساليب أحسنها وأفضلها، وأوقعها في نفس المخاطب وأقرها إلى فهمه وعقله، وأشدها تثبيتاً للعلم في ذهنه وأكثرها مساعدة على إيضاحه له.

فالرسول ﷺ كان يُلوّن الحديث لأصحابه ألواناً كثيرة، فتارة يكون سائلاً، وتارة يكون مجيباً وتارة يجيب السائل بقدر سؤاله، وتارة يزيد على ما سأل، وتارة يضرب المثل لما يريد تعليمه، وتارة يصحب كلامه القسم بالله تعالى، وتارة يلفت السائل عن سؤاله

لحكمة بالغة منه ﷺ ، وتارة يُعلم بطريقة الكتابة، وتارة بطريق الرسم، وتارة بطريق التشبيه أو التصريح، وتارة بطريق الإبهام أو التلويح.^٣

هذا وقد انتبه المسلمون أحياناً إلى خطورة استيراد مناهج للتعليم سواء من الشرق أو الغرب ، حيث إنها تمثل ثقافةً وفكراً مختلفاً تمام الاختلاف عن منابع ثقافتنا ومثلنا العليا، وألفت العديد من الكتب في هذا المجال ، ومن أهمها كتابان :

الأول - الرسول المعلم ﷺ وأساليبه في التعليم للشيخ عبد الفتاح أبو غدة رحمه الله ، وهو كتاب قيّم ومليء بالفوائد ، وهو مطبوع ومتداول وعدد صفحاته (٢٣٨) صفحة من القطع المتوسط.

وقد ذكر فيه أربعين نوعاً من أنواع الأساليب النبوية ، ولكننا يمكن أن ندمج بعضها مع بعض فتصبح دون ذلك ، والأمثلة فيه كلها مخرجة من مصادرها ، ولكنها ليست بالكثيرة ، فهو يأتي لكل قاعدة ببعض الأمثلة وأحياناً بمثال واحد .

وهذا مكانه على النت :

<http://majles.alukah.net/showthread.php?p=243379>

٢٤٣٣٧٩

والثاني - كتاب ((المعلم الأول ﷺ)) تأليف الشيخ الفاضل فؤاد بن عبد العزيز الشلهوب.

وهو موجود بمكتبة صيد الفوائد :

<http://saaid.net/book/open.php?cat=282&book=5>

وغيرها على النت .

والكتاب حوالي ٨٠ صفحة من القطع المتوسط ، وقد قسمه لدخل و ثلاثة أقسام وخاتمة:

القسم الأول-صفات ينبغي توفرها في المعلم ، وفيه أحد عشر موضوعاً

القسم الثاني-(مهمات وواجبات المعلم) وفيه ستة موضوعات

^٣ - انظر كتاب : الرسول المعلم ﷺ وأساليبه في التعليم لأبي غدة - (١ / ١٢)

القسم الثالث - (طرق وأساليب التعليم) والثالث فيه عشرون موضوعاً
وفي الغالب يمهّد لكل موضوع ثم يأتي بالأحاديث المناسبة ، ويعلق عليها في الغالب
تعليقات نافعة ومفيدة ، وهذا التقسيم دقيق وجيد . ويختتم كل بحث بملخص .
ومما يؤخذ عليه - بالرغم من أهميته - هو أن الأحاديث لم يشكّل حديثاً واحداً منها
والآيات كذلك - على قلتها- ، فقد وقعت أخطاء مطبعية لهذا السبب ، وهو يخرجها
ولكن لم يسرّ على وتيرة واحدة في ذلك ، وكثيراً ما يترك التحريج فلا يذكر الجزء
والصفحة أو رقم الحديث .

والأحاديث التي ليست في الصحيحين يعتمد في الغالب كلام الشيخ ناصر الدين الألباني
رحمه الله عليها .
ولكنه - مع ذلك - يبقى من الكتب النافعة في هذا المجال ، ولكنه يحتاج لتحقيق علمي
لاستدراك هذه الملاحظات .

وقد رأيت أن أقوم بجمع ما تناثر في هذا الموضوع الجليل ، والكتابان اللذان أشرت إليهما
استفدت منهما كثيراً ، ولكنني لم أقف عندهما فقط ، بل تجاوزتهما كثيراً .
فأما هذا الكتاب فقد قسمته إلى مدخل وأربعة أبواب :

الباب الأول=صفات ينبغي توفرها في المعلم

الباب الثاني= مهمات وواجبات المعلم

الباب الثالث= صفات الرسول المعلم

الباب الرابع= أساليب الرسول صلى الله عليه وسلم التعليمية

ثم خاتمة .

وهذه هي مفصلة :

الباب الأول=صفات ينبغي توفرها في المعلم وفيه أحد عشر مبحثاً

[١] إخلاص العلم لله

[٢] صدق المعلم

[٣] مطابقة القول للعمل

[٤] العدل والمساواة

[٥] التحلي بالأخلاق الفاضلة والحميدة

[٦] تواضع المعلم

[٧] شجاعة المعلم

[٨] مزاح المعلم مع تلاميذه

[٩] الصبر واحتمال الغضب

[١٠] تجنب الكلام الفاحش البذيء

[١١] استشارة المعلم لغيره

الباب الثاني = مهمات وواجبات المعلم وهي سبعة :

[١] غرس العقيدة الصحيحة وتقوية الإيمان خلال التعليم

[٢] إسداء النصيحة للمتعلم

[٣] الرفق بالمتعلم وتعليمه بالأسلوب الحسن

[٤] عدم التصريح بالأسماء أثناء التوبيخ

[٥] إلقاء السلام على المتعلم قبل الدرس وبعده

[٦] استخدام العقوبات أثناء التعليم

[٧] تقديم المكافآت للمتعلم

الباب الثالث = صفات الرسول المعلم وفيه مبحثان

المبحث الأول - كلمة موجزة عن شخصية الرسول المعلم

المبحث الثاني - بيان خصائص الرسول المعلم وفضائله

الباب الرابع = أساليب الرسول ﷺ التعليمية

[١] همية المتعلم لاستقبال العلم

[٢] الاتصال السمعي والبصري بين المعلم والمتعلم

[٣] الأسلوب العملي في التعليم

[٤] عرض المادة العلمية بأسلوب يناسب عقل الطالب وفهمه

[٥] أسلوب المحاورة والإقناع العقلي

[٦] التعليم عن طريق القصص

[٧] ضرب الأمثال أثناء التعليم

[٨] أسلوب التشويق في التعليم

[٨] استخدام الإيماءات (حركات اليدين والرأس) في التعليم

- [١٠] استخدام الرسومات للتوضيح والبيان
- [١١] توضيح المسائل المهمة عن طريق التعليل
- [١٢] ترك استخراج الجواب للمتعلم
- [١٣] استخدام التكرار في التعليم
- [١٤] استخدام أسلوب التقسيم في التعليم
- [١٥] استخدام أسلوب الاستفهام أثناء التعليم
- [١٦] طرح بعض المسائل العلمية المهمة لاختبار مقدرة الطالب العقلية
- [١٧] حث المعلم طلابه على طرح الأسئلة
- [١٨] تقديم السائل من خلال سؤاله، وإجابته بما يناسب حاله
- [١٩] التعليق على إجابة المتعلم
- [٢٠] تأخير جواب السائل لمصلحة معينة
- [٢١] عدم السخرية من سؤال الجاهل
- [٢٢] إعادة السؤال على السائل لتنبهه إلى السؤال الأهم
- [٢٣] تأخير جواب السائل إذا كان مرتبطاً بشيء عملي
- [٢٤] السكوت عن جواب السائل ساعة أو نحوها حسب مقتضى الحال
- [٢٥] السؤال واحد والجواب مختلف حسب طبيعة السائل
- [٢٦] استخدام القياس أثناء التعليم أو الإجابة على الأسئلة
- [٢٧] الحوار المشوق مع المتعلم
- [٢٨] هل يخص بعض طلابه ببعض العلم دون غيرهم؟
- [٣٠] الإيجاز في الموعظة
- [٣١] انتهازه ﷺ المناسبات العارضة في التعليم
- [٣٢] القراءة على العالم
- [٣٣] الجدال والتنازع يؤدي إلى نسيان المعلم بعض أفكاره
- [٣٤] النهي عن كثرة الأسئلة على المعلم
- [٣٥] حصّته ﷺ على محو العامية وتحذيره من الفتور في التعليم والتعلم
- [٣٦] تعليمه ﷺ بالسيرة الحسنة والخلق العظيم
- [٣٧] تعليمه ﷺ الشرائع بالتدرّج
- [٣٨] رعايته ﷺ في التعليم الاعتدال والبعد عن الإملال

- [٣٩] رعايته ﷺ الفروق الفردية في المتعلمين
- [٤٠] ابتداؤه ﷺ أصحابه بالإفادة دون سؤال منهم
- [٤١] إجابته ﷺ للسائل عما سأل عنه
- [٤٢] جوابه ﷺ للسائل بأكثر مما سأل عنه
- [٤٣] لفته ﷺ للسائل إلى غير ما سأل عنه
- [٤٤] استعدائه ﷺ السؤال من السائل لإيفاء بيان الحكم
- [٤٦] تعليمه ﷺ بالسكوت والإقرار على ما حدث أمامه
- [٤٧] تعليمه ﷺ بالممازحة والمداعبة
- [٤٨] تأكيده ﷺ للتعليم بالقسم
- [٤٩] إمساكه ﷺ بيد المخاطب أو منكيه لإثارة انتباهه
- [٥٠] إيمانه ﷺ الشيء لحمل السامع على الاستكشاف عنه للترغيب فيه أو الرجز عنه
- [٥١] إجماله ﷺ الأمر، ثم تفصيله ليكون أوضح وأمكن في الحفظ والفهم
- [٥٢] تعليمه ﷺ بالترغيب والترهيب
- [٥٣] اكتفاؤه ﷺ بالتعريض والإشارة في تعليم ما يُستحيا منه
- [٥٤] اهتمامه ﷺ بتعليم النساء ووعظهن
- [٥٥] اتخاذه ﷺ الكتابة وسيلة في التعليم والتبليغ ونحوهما
- [٥٦] أمره ﷺ الصحابة بتعلم اللغة السريانية
- [٥٧] قول المعلم لا أدري لما لا يدري جزء من العلم
- وفي نهاية كل بحث خلاصة له مختصرة .

وأما طريقي فهي ذكر نصوص القرآن والسنة من مصادرها مباشرة ، مشكّلة ، ومخرّجة، وإذا لم تكن في الصحيحين حكمت عليها بما يناسبها وفق المنهج الوسط في الجرح والتعديل .

وقد قمت بشرح معظم الآيات بشكل مختصر .

وكذلك قمت بشرح غريب الأحاديث ، وذكر ما يستنبط منها تعليميا ، وقد زدت أحاديث كثيرة لكل قاعدة تركتها دون تعليق اكتفاء بالأمثلة المعلق عليها لشرح القاعدة .

وقد تكررت بعض الأحاديث بسبب دخولها تحت مباحث متعددة ، وغالب الأحاديث تدور بين الصحة والحسن .

والباب مفتوح أمام طلاب العلم لكي يستنبطوا قواعد وأساليب تعليمية جديدة.

فكلام الرسول ﷺ غزير المعاني ومتنوعها .

نسأل الله تعالى أن ينفع به كاتبه وقارئه وناشره والذال عليه في الدارين .

قال تعالى : { ... وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا } (١١٣) سورة النساء.

الباحث في القرآن والسنة

علي بن نايف الشحود

في ٢٦ جمادى الآخرة ١٤٣٠ هـ الموافق ل ٢١/٦/٢٠٠٩ م



مدخل عام

مهنة التعليم لا تساويها مهنة في الفضل والرفعة، ووظيفة المعلم من أشرف الوظائف وأعلاها . وكلما كانت المادة العلمية أشرف وأنفع، ارتفع صاحبها شرفاً ورفعةً، وأشرف العلوم على الإطلاق العلوم الشرعية، ثم العلوم الأخرى كل بحسبه . والمعلم إذا أخلص عمله لله، ونوى بتعليمه نفع الناس، وتعليمهم الخير كان له أجر عظيم عند الله، فعن عَلْقَمَةَ بْنِ وَقَّاصِ اللَّيْثِيِّ قَالَ: سَمِعْتُ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَلَى الْمَنْبَرِ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - يَقُولُ: « إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا أَوْ إِلَى امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ » .^٤

وعَنْ أَبِي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ قَالَ ذُكِرَ لِرَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - رَجُلَانِ أَحَدُهُمَا عَابِدٌ وَالْآخَرُ عَالِمٌ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - « فَضَّلَ الْعَالِمَ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضَلِي عَلَى أَدْنَاكُمْ ». ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - « إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ وَأَهْلَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ حَتَّى الثَّمَلَةَ فِي جُحْرِهَا وَحَتَّى الْحُوتَ لِيُصَلُّونَ عَلَى مُعَلِّمِ النَّاسِ الْخَيْرِ ». " .^٥

ومهمة المعلم لا تقتصر على طرح المادة العلمية على طلابه فقط، بل هي مهمة عسيرة وشاقة - وهي يسيرة على من يسرها الله عليه - فهي تتطلب من المعلم صبراً، وأمانة، ونصحاً، ورعاية لمن تحته، ولو عددنا ما الذي ينبغي توفره في المعلم لطال بنا المقام^٦ . وقبل أن ندخل في فصول هذا الكتاب أحب أن أنوه إلى مسألة توضح مقصود هذا الكتاب، وهو أنني جعلت من أفعال النبي ﷺ وأقواله، مستنداً لي في استنباط صفات المعلم، وطرق التدريس المختلفة، وذلك لأن لنا في رسول الله ﷺ أسوة حسنة لقوله تعالى: {لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا} (٢١) سورة الأحزاب.

^٤ - صحيح البخارى - المكثر - (١)

^٥ - سنن الترمذى - المكثر - (٢٩٠١) قَالَ أَبُو عِيْسَى هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ.

^٦ - سيأتي تفصيل ذلك ، ولذلك أعرضت عن ذكره ههنا .

وقال تعالى : {هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ} (٢) سورة الجمعة

فَاللَّهُ تَعَالَى هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولًا فِي الْعَرَبِ الْأُمِّيِّينَ هُوَ مُحَمَّدٌ ﷺ ، وَهُوَ أُمِّيٌّ مِنْهُمْ . لَا يَفْرَأُ وَلَا يَكْتُبُ ، وَقَدْ بَعَثَهُ اللَّهُ إِلَيْهِمْ لِيَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِ الْقُرْآنِ الَّتِي أَنْزَلَهَا اللَّهُ تَعَالَى ، لِيُطَهِّرَهُمْ مِنْ خَبَائِثِ الْعَقَائِدِ وَلِيُعَلِّمَهُمُ الشَّرَائِعَ وَالْأَحْكَامَ ، وَحِكْمَتَهَا وَأَسْرَارَهَا ، وَقَدْ كَانَ هَؤُلَاءِ الْأُمِّيُّونَ ، قَبْلَ إِرْسَالِ النَّبِيِّ إِلَيْهِمْ ، فِي ضَلَالٍ بَيْنَ عَن جَادَّةِ الْهُدَى ، إِذْ إِنَّ الْعَرَبَ كَانُوا قَبْلًا عَلَى دِينِ إِبْرَاهِيمَ ، ثُمَّ ابْتَعَدُوا عَنِ التَّوْحِيدِ ، وَتَسَرَّبَتِ الضَّلَالَاتُ إِلَى عَقِيدَتِهِمْ ، فَأَصْبَحُوا مُشْرِكِينَ .^٧

ولأنه - ﷺ - المعلم الأول الذي علم ورثى صحابته فكانوا خير طلاب لخير معلم، وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مَرَّ بِمَجْلِسَيْنِ فِي مَسْجِدِهِ ، وَأَحَدُ الْمَجْلِسَيْنِ يَدْعُونَ اللَّهَ وَيَرْغَبُونَ إِلَيْهِ وَالْآخَرُ يَتَعَلَّمُونَ الْفِقْهَ وَيُعَلِّمُونَهُ ، فَقَالَ : كَلَا

^٧ - أيسر التفاسير لأسعد حومد - (١ / ٥٠٥٧)

^٥ قال الإمام النووي رحمه الله تعالى ، في مقدمة ((شرح على صحيح مسلم)) ١ : ٣٩ : ((فصل : يُسْتَحَبُّ لِكَاتِبِ الْحَدِيثِ إِذَا مَرَّ بِذِكْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يَكْتُبَ (عَزَّ وَجَلَّ) أَوْ (تَعَالَى) أَوْ (سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى) أَوْ (تَبَارَكَ وَتَعَالَى) أَوْ (حَلَّ ذِكْرُهُ) أَوْ (تَبَارَكَ اسْمُهُ) أَوْ (حَلَّتْ عَظَمَتُهُ) أَوْ مَا أَشْبَهَ ذَلِكَ .

وكذلك يكتب عند ذكر النبي ﷺ : (ﷺ) بكاملها ، لا رامراً إليهما أي الصلاة والتسليم ولا مقتصراً على أحدهما . وكذلك يقول في الصحابي : (رضي الله عنه) ، فإن كان صحابياً ابن صحابي قال : (رضي الله عنهما) . وكذلك يترضى ويترحم على سائر العلماء والأخبار أي يستحب ذلك أيضاً ، ويكتب كل هذا وإن لم يكن مكتوباً في الأصل الذي ينقل منه ، فإن هذا ليس رواية وإنما هو دعاء .

وينبغي أن يقرأ كل ما ذكرناه وإن لم يكن مذكوراً في الأصل الذي يقرأ منه ، ولا يسأم من تكرار ذلك ، ومن أغفل هذا حرم خيراً عظيماً ، وفوت فضلاً جسيماً) .

وقال أيضاً رحمه الله تعالى في كتابه ((الأذكار)) ص ١٠٠ ، في آخر (باب الصلاة على الأنبياء وآلهم تبعاً لهم) : ((يُسْتَحَبُّ التَّرَضِّيُّ عَلَى الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ فَمَنْ بَعَدَهُمْ ، مِنَ الْعُلَمَاءِ وَالْعِبَادِ وَسَائِرِ الْأَخْيَارِ ، فَيَقَالُ : رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، أَوْ رَحِمَهُ اللَّهُ ، وَنَحْوَ ذَلِكَ .

ويقال في غيرهم : (رحمه الله) ، فقط : فليس كما قال ، ولا يوافق عليه ، بل الصحيح الذي عليه الجمهور استحبابه ، ودلائله أكثر من أن تحصر .

فإن كان المذكور صحابياً ابن صحابي ، قال : (قال ابن عمر رضي الله عنهما) ، وكذا ابن عباس ، وابن الزبير ، وابن جعفر ، وأسامة بن زيد ، ونحوهم ، لتشملة وأباه جميعاً .

الْمَجْلِسَيْنِ عَلَى خَيْرٍ وَأَحَدُهُمَا أَفْضَلُ مِنْ صَاحِبِهِ، أَمَّا هَؤُلَاءِ فَيَدْعُونَ اللَّهَ وَيَرْعَبُونَ، إِلَيْهِ فَإِنْ شَاءَ أَعْطَاهُمْ وَإِنْ شَاءَ مَنَعَهُمْ، وَأَمَّا هَؤُلَاءِ فَيَعْلَمُونَ الْعِلْمَ وَيُعَلِّمُونَ الْجَاهِلَ، فَهُمْ أَفْضَلُ وَإِنَّمَا بُعِثْتُ مُعَلِّمًا ثُمَّ جَلَسَ مَعَهُمْ.^٨

نعم : إنما بعثه الله معلماً ﷺ . وهذا المعلم المرابي الكبير ولا أكبر منه معلماً في البشر ، والهادي الأمي البصير ، والرسول المبلغ المنير : هو الذي تدين لتعليمه وتربيته أمم كثيرة ، وتبجله شعوب وأقوام مختلفة في شتى أنحاء المعمورة ، تُعد بمئات الملايين ، تخضع لقوله ، وتسترشد بهديه ، وتلتبس رضوان الله تعالى في أتباعه والافتداء به

ومن تأمل حسن رعايته للعرب مع قسوة طباعهم ، وشدة خشونتهم ، وتنافر أمرجتهم ، وكيف ساسهم واحتمل جفأهم ، وصبر على أذاهم ، إلى أن انقادوا إليه ، والتفوا حوله ، وقاتلوا أمامه ودونه أعز الناس عندهم : آباءهم وأقاربهم ، وآثروه على أنفسهم ، وهجروا في طاعته ورضاه أحبائهم وأوطانهم ، وعشيرتهم وإخوانهم ، وكان كل ذلك وأعظم منه منهم له ﷺ ، وهو لم يمارس الكتابة والقراءة ، ولا طالع كتب الماضي ، ولا أخبار المرابين السالفين ...

ومن تأمل هذا تحقّق له بنظر العقل أنه ﷺ هو المعلم الأول ، والنبي المرسل ، وأنه سيّد العالمين . صلوات الله وسلامه عليه .

يقول كارليل في حال العرب : ((هم قوم يضربون في الصحراء ، لا يؤبه لهم عدّة قرون ، فلما جاءهم النبي العربي ، أصبحوا قبلة الأنظار في العلوم والعرفان ، وكثروا بعد القلّة ، وعزّوا بعد الذلّة ، ولم يمض قرن حتى استضاءت أطراف الأرض بعقولهم وعلومهم))^٩ . قال تعالى : { كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ } (١٥١) سورة البقرة

^٨ - المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية - (١٢ / ٧١٨) (٣٠٩٠) وسنن ابن ماجه - المكثر - (٢٣٤) وسنن

الدارمي - المكثر - (٣٥٧) ومسند البزار (المطبوع باسم البحر الزخار - (٦ / ٤٢٨) (٢٤٥٨) حسن

^٩ - الرسول المعلم ص ٤

كَانَ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَدْ دَعَا رَبَّهُ، وَهُوَ يَرْفَعُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ، أَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ فِي أَهْلِ الْبَيْتِ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِ اللَّهِ، وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ، وَيُزَكِّيهِمْ . فَاسْتَجَابَ اللَّهُ تَعَالَى لِدُعَائِهِ وَأَرْسَلَ مُحَمَّدًا ﷺ رَسُولًا مِنْ نَسْلِ وَلَدِهِ إِسْمَاعِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنَ لِيَتْلُوهُ عَلَى النَّاسِ، وَجَعَلَ رَسُولَهُ عَلَى خَلْقٍ عَظِيمٍ، وَمَنْهَجٍ قَوِيمٍ، لِيَقْتَدِيَ بِهِ الْمُؤْمِنُونَ فِي أَعْمَالِهِمْ، يُعَلِّمُهُمْ أَحْكَامَ دِينِهِمْ، وَيُزَكِّي نُفُوسَهُمْ وَيُطَهِّرُهَا مِنْ رَذَائِلِ الْأَخْلَاقِ وَانْحِرَافَاتِ الْجَاهِلِيَّةِ، وَيُخْرِجُهُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ الْجَهْلِ وَفَسَادِ الْأَخْلَاقِ إِلَى نُورِ الْإِيمَانِ وَالْعِلْمِ وَسُمُو الْأَخْلَاقِ، وَهُوَ مَا صَارُوا إِلَيْهِ فِي الْإِسْلَامِ .

وَقَدْ كَانَتْ سُنَّةَ الرَّسُولِ ﷺ الْعَمَلِيَّةِ، وَسِيرَتُهُ فِي أَهْلِ بَيْتِهِ وَمَعَ أَصْحَابِهِ مُفَصَّلَةً لِمُجْمَلِ الْقُرْآنِ، مُبَيِّنَةً لِمُبْهَمِهِ، كَاشِفَةً عَنِ الْمَنَافِعِ وَالْأَسْرَارِ الَّتِي تَنْطَوِي عَلَيْهَا الْأَحْكَامُ، وَيُعَلِّمُهُمْ مَا كَانُوا يَجْهَلُونَ مِنْ قَبْلُ، مِمَّا جَاءَ بِهِ الْوَحْيُ .^{١٠}

وَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ : دَخَلَ أَبُو بَكْرٍ يَسْتَأْذِنُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَوَجَدَ النَّاسَ جُلُوسًا بِبَابِهِ، لَمْ يُؤْذَنَ لِأَحَدٍ مِنْهُمْ، قَالَ : فَأَذِنَ لِأَبِي بَكْرٍ، فَدَخَلَ، ثُمَّ أَقْبَلَ عُمَرَ، فَاسْتَأْذَنَ فَأُذِنَ لَهُ، فَوَجَدَ النَّبِيَّ ﷺ جَالِسًا حَوْلَهُ نِسَاؤُهُ، وَاحِمًا سَاكِنًا، قَالَ : فَقَالَ : لَأَقُولَنَّ شَيْئًا أَضْحِكُ النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَوْ رَأَيْتَ بِنْتَ خَارِجَةَ، سَأَلْتَنِي النَّفَقَةَ، فَقَمْتُ إِلَيْهَا، فَوَجَّحْتُ عَنْقَهَا، فَضَحِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَقَالَ : " هُنَّ حَوْلِي كَمَا تَرَى، يَسْأَلْنِي النَّفَقَةَ "، فَقَامَ أَبُو بَكْرٍ إِلَى عَائِشَةَ يَجَأُ عَنْقَهَا، فَقَامَ عُمَرُ إِلَى حَفْصَةَ يَجَأُ عَنْقَهَا، كِلَاهُمَا يَقُولُ : تَسْأَلَنَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مَا لَيْسَ عِنْدَهُ، فَقُلْنَ : وَاللَّهِ لَا نَسْأَلُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ شَيْئًا أَبَدًا لَيْسَ عِنْدَهُ، ثُمَّ اعْتَزَلْنَهُنَّ شَهْرًا - أَوْ تِسْعًا وَعِشْرِينَ - ثُمَّ نَزَلَتْ عَلَيْهِ هَذِهِ الْآيَةُ : يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَزْوَاجِكُمْ حَتَّىٰ بَلَغَ لَكُمْ الْحَسَنَاتِ مِنْكُمْ أَجْرًا عَظِيمًا، قَالَ : فَبَدَأَ بِعَائِشَةَ، فَقَالَ : " يَا عَائِشَةُ، إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَعْرِضَ عَلَيْكَ أَمْرًا أَحَبُّ أَنْ لَا تَعْجَلِي فِيهِ حَتَّىٰ تَسْتَشِيرِي أَبَوَيْكَ "، قَالَتْ : وَمَا هُوَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ فَتَلَا عَلَيْهَا الْآيَةَ، قَالَتْ : أَفِيكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَسْتَشِيرُ أَبَوَيْ ؟ بَلْ أَخْتَارُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَالِدَارَ الْآخِرَةَ، وَأَسْأَلُكَ أَنْ لَا تُخْبِرَ امْرَأَةً مِنْ نِسَائِكَ بِالَّذِي

^{١٠} - أيسر التفاسير لأسعد حومد - (١ / ١٥٨)

قُلْتُ، قَالَ : " لَأَسْأَلَنِي امْرَأَةٌ مِنْهُنَّ إِلَّا أَخْبَرْتُهَا، إِنْ اللَّهُ لَمْ يَبْعَثْنِي مُعْتَتًا، وَلَا مُتَعْتَتًا، وَلَكِنْ بَعَثَنِي مُعَلِّمًا مُيسِّرًا " ١١

وعن معاوية بن الحكم السلمي، قال : قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّا كُنَّا حَدِيثَ عَهْدٍ بِجَاهِلِيَّةٍ فَجَاءَ اللَّهُ بِالْإِسْلَامِ، وَإِنَّ رِجَالًا مِنْنَا يَنْطَبِرُونَ، قَالَ : ذَلِكَ شَيْءٌ يَجِدُونَهُ فِي صُدُورِهِمْ، وَلَا يَضُرُّهُمْ.

قُلْتُ : وَرِجَالًا مِنْنَا يَأْتُونَ الْكَهَنَةَ ؟ قَالَ : فَلَا تَأْتُوهُمْ.

قُلْتُ : وَرِجَالًا مِنْنَا يَخْطُونَ ؟ قَالَ : قَدْ كَانَ نَبِيٌّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ يَخْطُ، فَمَنْ وَافَقَ خَطَّهُ فَذَلِكَ. قَالَ : ثُمَّ بَيْنَا أَنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي الصَّلَاةِ، إِذْ عَطَسَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ، فَقُلْتُ : يَرْحَمُكَ اللَّهُ، فَحَدَقَنِي الْقَوْمُ بِأَبْصَارِهِمْ، فَقُلْتُ : وَأَتَكَلَّ أُمَاهُ، مَا لَكُمْ تَنْظُرُونَ إِلَيَّ ؟ قَالَ : فَضْرَبَ الْقَوْمُ بِأَيْدِيهِمْ عَلَيَّ أَفْخَاذَهُمْ، قَالَ : فَلَمَّا رَأَيْتُهُمْ يُسَكِّنُونِي سَكَتُ، فَلَمَّا انصَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ صَلَاتِهِ دَعَانِي، فَبَابِي هُوَ وَأُمِّي ° مَا رَأَيْتُ مُعَلِّمًا قَبْلَهُ، وَلَا بَعْدَهُ أَحْسَنَ تَعْلِيمًا

١١ - صحيح مسلم - المكثر - (٣٧٦٣)

المعنت : الذي يُوقَعُ غَيْرُهُ فِي الْعَنْتِ ، والعنتُ له معان كثيرة ، والمناسب منها هنا : المشقة ، والأذى . والمتعنت : هو الذي يطلب زلة الآخر وأذاه . قال الإمام الغزالي رحمه الله تعالى : وفي إمامه ﷺ وعدم مصارحته ومواجهته لعائشة بالزجر ، إشعاراً بأن من دقائق صناعة التعليم أن يزجر المعلمُ : المتعلمَ عن سوء الأخلاق ، باللطف والتعريض ما أمكن ، من غير تصريح ، وبطريق الرحمة من غير توبيخ ، فإن التصريح يهتك حجاب الهيبة ، ويورث الجراءة على المحجوم بالخلاف ، ويُهيجُ الحرصَ على الإصرار . أفاده المناوي في ((فيض القدير)) ٢ : ٥٧٣ .

٤ - وا : حَرَفٌ لِلنَّدْبَةِ وَالْحَسْرَةِ . وَالثُّكُلُ : فَقْدَانُ الْمَرْأَةِ وَلَدَهَا . وَأُمِّيَاهُ بضم الهمزة وكسر الميم المشددة ، بعدها ياء ثم ألف ثم هاء ساكنة للسكت . وهي : نَدْبُ أُمِّي ، بياء المتكلم ، فثَقَلَبُ الْيَاءِ أَلْفًا لَمَدِّ الصَّوْتِ وَتَلْحَقُهَا هَاءُ السَّكْتِ ، فيقال : يَا أُمَاهُ . وَقَدْ يُجْمَعُ بَيْنَ الْأَلْفِ وَالْيَاءِ فيقال : يَا أُمِّيَاهُ ، كما هنا . لِلْمِبَالِغَةِ فِي النَّدْبِ وَالتَّحَسُّرِ . والمعنى : وَاقْدُ أُمِّي إِيَّايَ فَإِنِّي هَلَكْتُ! أَي مَا أَعْظَمَ مُصَابَ أُمِّي بِي فَقَدْ هَلَكْتُ وَقَدَّتْنِي!
° - أَي أَفْدِيهِ بِأَيِّ وَأُمِّي .

منه، واللّه ما ضربنني، ولا كهرني^٦، ولا سبني^٧، ولكن قال ﷺ: إن صلاتنا هذه لا يصلح فيها شيء من كلام الناس، إنما هو التسبيح والتكبير وتلاوة القرآن.^{١٢}

وكذلك أثبت التاريخ أن رسول الله ﷺ كان معلماً وأي معلم؟ فنظرة يسيرة إلى ما كانت عليه البشرية قبل رسول الله ﷺ، وإلى ما آلت إليه البشرية بعد رسالته، تُعطينا أوضح شاهدٍ ودليلٍ على ثبوت ذلك .

وإذا لاحظنا النماذج المعلّمة الهادية من النوع الإنساني، التي شاهدتها البشرية بعد الرسول المعلّم ﷺ رأيناها تدلُّ أقوى الدلالة على عظم هذا المعلّم المرّبي الكبير، الذي تتقاصر أمامه أسماء كل الكبار الذين عُرفوا وذكروا في عالم التعليم والتربية وتاريخيهما .

فأيُّ معلّم من المرّبين تخرّج على يديه عددٌ أوفّر وأهدى من هذا الرسول الكريم، الذي تخرّج به هؤلاء الأصحابُ والأتباع؟ فكيف كانوا قبله؟ وكيف صاروا بعده؟! إن كل واحد من هؤلاء الأصحاب دليلٌ ناطق على عظم هذا المعلّم المرّبي الفريد الأوحّد . وهذا يُذكرنا بكلمة طيبة جدّاً لبعض الجهابذة الأصوليين، يقول فيها : لو لم يكن لرسول الله ﷺ معجزةٌ إلا أصحابه، لكفّوه لإثبات نبوته .

وقبل الدخول في بيان أساليبه في التعليم، أرى من المناسب أن أذكر كلمةً وجيزةً في حذر هذا المعلّم الكريم وتحذيره من العلم الذي لا ينفع، حتى جعل ذلك دُعاءً له يدعو به في أكثر أحيانه ﷺ .

^٦ - أي ما نهرني .

^٧ - أي ما سبني ولا عابني .

^{١٢} - صحيح ابن حبان - (٦ / ٢٢) (٢٢٤٧) وصحيح مسلم - المكثر - (١٢٢٧)

يعني أن الذي يقال في الصلاة هو هذا : التكبير ، وحمدُ الله والثناء عليه ، وقراءة القرآن ، والتسبيح ، والتشهد ، والدعاء ، كما وردت فيها الأحاديث أيضاً . وأما ما سوى ذلك من كلام الناس فيمنع منه في الصلاة ، فلا يجوز فيها تسميتُ لعاطس ، ولا ردُّ سلام لمسلم ، ولا جوابُ سؤال لسائل ، إذ كلُّ ذلك من الكلام المبطل للصلاة . قال الإمام النووي رحمه الله تعالى في ((شرح صحيح مسلم)) ٥ : ٢٠ تعليقاً على هذا الحديث الشريف : ((وفيه بيان ما كان عليه رسول الله ﷺ، من عظيم الخلق الذي شهد الله تعالى له به ، ومن رفقه بالجاهل ، ورأفته بأمته وشفقته عليهم . وفيه التحلُّقُ بخلقهِ ﷺ في الرفق بالجاهل ، وحُسنِ تعليمه ، واللفظ به ، وتقريب الصواب إليه)) .

فَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَقُولُ : اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ، وَعَمَلٍ لَا يُرْفَعُ، وَقَلْبٍ لَا يَخْشَعُ، وَقَوْلٍ لَا يُسْمَعُ.^{١٣}

وَعَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمٍ قَالَ لَا أَقُولُ لَكُمْ إِلَّا كَمَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - يَقُولُ كَانَ يَقُولُ « اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَجْزِ وَالْكَسَلِ وَالْجُبْنِ وَالْبُخْلِ وَالْهَرَمِ وَعَذَابِ الْقَبْرِ اللَّهُمَّ آتِ نَفْسِي تَقْوَاهَا وَزَكَّاهَا أَنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا أَنْتَ وَلِيِّهَا وَمَوْلَاهَا اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ وَمِنْ قَلْبٍ لَا يَخْشَعُ وَمِنْ نَفْسٍ لَا تَشْبَعُ وَمِنْ دَعْوَةٍ لَا يُسْتَجَابُ لَهَا ». ^{١٤}

(العلم الذي لا ينفع) هو العلم الذي يؤدي إلى ضرر لصاحبه أو لغيره من الناس، فهو مذموم من حيث ما يؤدي إليه، إذ الوسيلة إلى الشرِّ شرُّ بلا ريب. فالعلمُ بالخيال والإفساد والطُّرق التي يتمكن بها عالمها من إضاعة الحقوق : مذموم يُتعوذ بالله منه، وكذلك العلم الذي يتمكن به صاحبه من سرقة أموال الناس والسطو عليها وطمس آثار الجريمة فيها : علمٌ لا ينفع، وهو شرٌّ لا ريب فيه .

فمثلُ هذا العلم أو ذاك، الجهلُّ به أحسنُ على الإنسان مآلاً من العلم به، ولا يُنكرُ كونُ بعض العلم ضاراً لبعض الناس، كما يضرُّ لحمُ الطير وأنواعُ الحلوى اللطيفة بالصبي الرضيع، بل رُبَّ شخص ينفعه الجهل ببعض الأمور .

وكم من إنسان خاضَ فضولاً منه في علم لا حاجة له به، فاستصّرَّ به في دينه أو دنياه، وأضاع فيه جزءاً كبيراً من عمره الذي هو أنفُسُ ما يملكه، وذلك غايةُ الخسران . وما كان أغناه عن مثل هذا العلم الفضولي، الذي لو لم يخض فيه لكان خيراً له، فاللهُمَّ علِّمنا ما ينفعنا، وانفَعنا بما علِّمتنا، وجنِّبنا ما يضرُّنا في ديننا أو دُنْيَانَا، يا أرحمَ الرَّاحِمِينَ .

وقد كان رسول الله ﷺ معلماً بحاله ومقاله جميعاً، فهذا الدعاء منه تعليمٌ للعالم والمتعلم جميعاً أن لا يتعلموا أو يُعلِّموا إلا ما فيه نفعٌ. يميزان الشرع الحنيف الأغرَّ .

^{١٣} - صحيح ابن حبان - (١ / ٢٨٣) (٨٣) صحيح

^{١٤} - صحيح مسلم - المكثر - (٧٠٨١)

ولعلك بعد تطالع كتابنا هذا يتبين لك أن ما ادعاه منظروا التربية والتعليم من إحداث طرق وأساليب متنوعة، في التربية والتعليم ليس بمستقيم لهم ولا مسلّم به على كل حال، بل إن معلم البشرية ﷺ سبقهم بذلك بأربعة عشر قرناً . والله الموفق .

وشتان ما بين تعاليم الرسول ﷺ وتعاليم البشر !!!



الباب الأول

صفات ينبغي توفرها في المعلم

وفيه المباحث التالية :

- [١] إخلاصُ العلم لله
- [٢] صدق المعلم
- [٣] مطابقة القول العمل
- [٤] العدل والمساواة
- [٥] التحلي بالأخلاق الفاضلة والحميدة
- [٦] تواضع المعلم
- [٧] شجاعة المعلم
- [٨] مزاح المعلم مع تلاميذه
- [٩] الصبر واحتمال الغضب
- [١٠] تجنب الكلام الفاحش البذيء
- [١١] استشارة المعلم لغيره

أمرٌ عظيمٌ غفل عنه كثيرٌ من المعلمين والمربين، ألا وهو تأسيس وغرس مبدأ إخلاص العلم والعمل لله . وهو أمر لا يُفطن له لبعده فتمام^{١٥} من الناس عن المنهج الرباني . ولعمر الله كم من علوم مفيدة وأعمال جليلة للأمة ، لم يستفد أصحابها منها شيئاً وذهبت أدراج الرياح وكانت هباءً منثوراً . وذلك لأن أصحابها لم يخلصوا في علومهم وأعمالهم، ولم يجعلوها في سبيل الله، ولم يكن همهم نفع إخوانهم المسلمين بهذه العلوم والمعارف والأعمال، إنما كانت أغراضهم نيل منصب أو جاه ونحو ذلك، ولذلك استحقت أن تكون هباءً منثوراً، أي نعم قد ينتفع أولئك بعلومهم ومعارفهم في الدنيا، من مدح وثناء ونحو ذلك ولكن ذلك عاقبته إلى زوال، فعن أبي هريرة، فقال: له نائلُ أخو الشام: يا أبا هريرة، حدّثنا حديثاً سمعته من رسول الله ﷺ ، قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: " إنَّ أوَّلَ النَّاسِ يُقْضَى فِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثَلَاثَةٌ: رَجُلٌ اسْتَشْهَدَ فَأَتَى بِهِ فَعَرَفَهُ نِعْمَتَهُ فَعَرَفَهَا، فَقَالَ: مَا عَمِلْتَ فِيهَا ؟ فَقَالَ: قَاتَلْتُ فِي سَبِيلِكَ حَتَّى اسْتَشْهَدْتُ، قَالَ: كَذَبْتَ إِنَّمَا أَرَدْتَ أَنْ يُقَالَ: فُلَانٌ جَرِيءٌ فَقَدْ قِيلَ فَأَمَرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَيَّ وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ وَقَرَأَ الْقُرْآنَ فَأَتَى بِهِ فَعَرَفَهُ نِعْمَتَهُ فَعَرَفَهَا، فَقَالَ: مَا عَمِلْتَ فِيهَا ؟ قَالَ: تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ وَقَرَأْتُ الْقُرْآنَ وَعَلَّمْتُهُ، قَالَ: كَذَبْتَ وَإِنَّمَا أَرَدْتَ أَنْ يُقَالَ: فُلَانٌ عَالِمٌ فُلَانٌ قَارِئٌ فَقَدْ قِيلَ فَسُحِبَ عَلَيَّ وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مِنْ أَنْوَاعِ الْمَالِ فَأَتَى بِهِ فَعَرَفَهُ نِعْمَتَهُ فَعَرَفَهَا، فَقَالَ: مَا عَمِلْتَ فِيهَا ؟ فَقَالَ: مَا تَرَكْتُ مِنْ شَيْءٍ تُحِبُّ أَنْ أُنْفِقَ إِلَّا أَنْفَقْتُ فِيهِ لَكَ، قَالَ: كَذَبْتَ إِنَّمَا أَرَدْتَ أَنْ يُقَالَ: فُلَانٌ جَوَادٌ فَقَدْ قِيلَ فَأَمَرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَيَّ وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ " ١٦

وعن عقبية بن مسلم، أن شقيقاً الأصبحيَّ حدّثه، أنه دخلَ مسجدَ المدينة، فإذا هو برجلٍ قد اجتمعَ عليه الناسُ، فقال: مَنْ هذا؟ قالوا: أبو هريرة، قال: فدَنَوْتُ مِنْهُ حَتَّى فَعَدْتُ بَيْنَ

^{١٥} - جماعة

^{١٦} - شعب الإيمان - (٤ / ١٩١) (٢٣٧٨) صحيح وأصله في مسلم

يَدِيهِ، وَهُوَ يُحَدِّثُ النَّاسَ، فَلَمَّا سَكَتَ وَخَلَا، قُلْتُ لَهُ : أُنْشِدُكَ بِحَقِّي لَمَّا حَدَّثْتَنِي حَدِيثًا سَمِعْتَهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَقَلْتُهُ وَعَلِمْتُهُ. فَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ أَفْعَلُ، لِأَحَدَتِكَ حَدِيثًا حَدَّثْتَنِيهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَقَلْتُهُ وَعَلِمْتُهُ، ثُمَّ نَشِغَ أَبُو هُرَيْرَةَ نَشْعَةً فَمَكَثَ قَلِيلًا، ثُمَّ أَفَاقَ، فَقَالَ : لِأَحَدَتِكَ حَدِيثًا حَدَّثْتَنِيهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَأَنَا وَهُوَ فِي هَذَا الْبَيْتِ مَا مَعَنَا أَحَدٌ غَيْرِي وَغَيْرُهُ، ثُمَّ نَشِغَ أَبُو هُرَيْرَةَ نَشْعَةً أُخْرَى، فَمَكَثَ كَذَلِكَ، ثُمَّ أَفَاقَ، فَمَسَحَ عَنْ وَجْهِهِ، فَقَالَ : أَفْعَلُ، لِأَحَدَتِكَ حَدِيثًا حَدَّثْتَنِيهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَأَنَا وَهُوَ فِي هَذَا الْبَيْتِ مَا مَعَهُ أَحَدٌ غَيْرِي وَغَيْرُهُ، ثُمَّ نَشِغَ نَشْعَةً شَدِيدَةً، ثُمَّ مَالَ حَارًّا عَلَى وَجْهِهِ، وَاشْتَدَّ بِهِ طَوِيلًا، ثُمَّ أَفَاقَ، فَقَالَ : حَدَّثْتَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : أَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، إِذَا كَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يَنْزِلُ إِلَى الْعِبَادِ لِيَقْضِيَ بَيْنَهُمْ، وَكُلُّ أُمَّةٍ جَائِيَةٌ. فَأَوَّلُ مَنْ يَدْعُو بِهِ رَجُلٌ جَمَعَ الْقُرْآنَ، وَرَجُلٌ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَرَجُلٌ كَثِيرُ الْمَالِ، فَيَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لِلْقَارِي : أَلَمْ أَعْلَمَكَ مَا أَنْزَلْتُ عَلَى رَسُولِي ﷺ ؟ قَالَ : بَلَى يَا رَبِّ، قَالَ : فَمَاذَا عَمَلْتَ فِيمَا عَلِمْتَ ؟ قَالَ : كُنْتُ أَقُومُ بِهِ آتَاءَ اللَّيْلِ وَآتَاءَ النَّهَارِ، فَيَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَهُ : كَذَبْتَ وَتَقُولُ لَهُ الْمَلَائِكَةُ : كَذَبْتَ، وَيَقُولُ اللَّهُ : بَلْ أَرَدْتَ أَنْ يُقَالَ : فَلَانَ قَارِيٌّ، فَقَدْ قِيلَ ذَلِكَ، وَيُؤْتَى بِصَاحِبِ الْمَالِ فَيَقُولُ اللَّهُ لَهُ : أَلَمْ أُوسِّعْ عَلَيْكَ حَتَّى لَمْ أَدْعَكَ تَحْتَاجُ إِلَى أَحَدٍ ؟ قَالَ : بَلَى يَا رَبِّ، قَالَ : فَمَاذَا عَمَلْتَ فِيمَا آتَيْتُكَ ؟ قَالَ : كُنْتُ أَصِلُ الرَّحِمَ وَأَتَصَدَّقُ ؟ فَيَقُولُ اللَّهُ لَهُ : كَذَبْتَ، وَتَقُولُ الْمَلَائِكَةُ لَهُ : كَذَبْتَ، وَيَقُولُ اللَّهُ : بَلْ إِنَّمَا أَرَدْتَ أَنْ يُقَالَ : فَلَانُ جَوَادٌ، فَقَدْ قِيلَ ذَلِكَ. وَيُؤْتَى بِالَّذِي قُتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقَالُ لَهُ : فِي مَاذَا قُتِلْتَ ؟ فَيَقُولُ : أَمَرْتُ بِالْجِهَادِ فِي سَبِيلِكَ، فَقَاتَلْتُ حَتَّى قُتِلْتُ، فَيَقُولُ اللَّهُ لَهُ : كَذَبْتَ، وَتَقُولُ لَهُ الْمَلَائِكَةُ : كَذَبْتَ وَيَقُولُ اللَّهُ : بَلْ أَرَدْتَ أَنْ يُقَالَ : فَلَانُ جَرِيٌّ، فَقَدْ قِيلَ ذَلِكَ ثُمَّ ضَرَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رُكْبَتِي، فَقَالَ : يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَوْلَيْتُكَ الثَّلَاثَةَ أَوَّلَ خَلْقِ اللَّهِ تُسَعَّرُ بِهِمُ النَّارُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

قَالَ الْوَلِيدُ بْنُ أَبِي الْوَلِيدِ : فَأَخْبَرَنِي عُقْبَةُ أَنَّ شُفِيًّا هُوَ الَّذِي دَخَلَ عَلَى مُعَاوِيَةَ فَأَخْبَرَهُ بِهَذَا الْخَبَرِ.

قَالَ أَبُو عُمَانَ الْوَلِيدُ وَحَدَّثَنِي الْعَلَاءُ بْنُ أَبِي حَكِيمٍ، أَنَّهُ كَانَ سَيِّفًا لِمُعَاوِيَةَ، قَالَ : فَدَخَلَ عَلَيْهِ رَجُلٌ، فَحَدَّثَهُ بِهَذَا عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، فَقَالَ مُعَاوِيَةُ : قَدْ فَعَلَ بِهَؤُلَاءِ مِثْلُ هَذَا، فَكَيْفَ بَمَنْ

بَقِيَ مِنَ النَّاسِ ؟ ثُمَّ بَكَى مُعَاوِيَةَ بُكَاءً شَدِيدًا حَتَّى ظَنَّنَا أَنَّهُ هَالِكٌ، وَقُلْنَا : قَدْ جَاءَنَا هَذَا الرَّجُلُ بِشَرٍّ، ثُمَّ أَفَاقَ مُعَاوِيَةَ، وَمَسَحَ عَن وَجْهِهِ، فَقَالَ : صَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ { مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا، نُوفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا، وَهُمْ فِيهَا لَا يُنْخَسُونَ } أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ، وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا، وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ } [هود : ١٧].

ولذا كان حريًّا بالمربين والمعلمين أن يغرسوا في نفوس ناشئتهم إخلاص العلم والعمل لله، وابتغاء الأجر والثواب من الله، ثم إن حصل بعد ذلك مدحٌ وثناءٌ من الناس فذلك فضل من الله ونعمة والحمد لله . قال ابن رجب^{١٨} : فأما إذا عمِلَ العملَ لله خالصًا، ثم ألقى الله له الثناء الحسنَ في قلوبِ المؤمنين بذلك، ففرح بفضل الله ورحمته، واستبشَرَ بذلك، لم يضره ذلك، وفي هذا المعنى جاء حديثُ أبي ذرٍّ قالَ قِيلَ لِرَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - أَرَأَيْتَ الرَّجُلَ يَعْمَلُ الْعَمَلَ مِنَ الْخَيْرِ وَيَحْمَدُهُ النَّاسُ عَلَيْهِ قَالَ « تِلْكَ عَاجِلُ بُشْرَى الْمُؤْمِنِ ». أخرجه مسلم^{١٩}.

ومدار ذلك كله على النية، والنية محلُّها الصدور والله سبحانه وتعالى لا تخفى عليه خافية { قُلْ إِنْ تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمُهُ اللَّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ } (٢٩) سورة آل عمران . فمن كانت نيته لله خالصة فليبشر بقبول عمله، وأجر من الله ومثوبة .

الخلاصة :

(١) علي المعلم أن يغرس في نفوس طلابه حقيقة الإخلاص .

^{١٧} - صحيح ابن حبان - (٢ / ١٣٥) (٤٠٨) صحيح

قال أبو حاتم رضي الله عنه : أَلْفَاظُ الْوَعْدِ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَنِ كُلُّهَا مَقْرُونَةٌ بِشَرْطٍ ، وَهُوَ : إِلَّا أَنْ يُتَفَضَّلَ اللَّهُ جَلًّا وَعَلَا عَلَى مُرْتَكِبِ تِلْكَ الْخِصَالِ بِالْعَفْوِ وَغُفْرَانِ تِلْكَ الْخِصَالِ ، دُونَ الْعُقُوبَةِ عَلَيْهَا وَكُلُّ مَا فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَنِ مِنْ أَلْفَاظِ الْوَعْدِ مَقْرُونَةٌ بِشَرْطٍ ، وَهُوَ : إِلَّا أَنْ يَرْتَكِبَ عَامِلُهَا مَا يَسْتَوْجِبُ بِهِ الْعُقُوبَةَ عَلَى ذَلِكَ الْفِعْلِ ، حَتَّى يُعَاقَبَ ، إِنْ لَمْ يُتَفَضَّلَ عَلَيْهِ بِالْعَفْوِ ، ثُمَّ يُعْطَى ذَلِكَ الثَّوَابَ الَّذِي وَعِدَ بِهِ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ الْفِعْلِ .

^{١٨} - جامع العلوم والحكم محقق - (٣ / ٣٦)

^{١٩} - صحيح مسلم - المكثر - (٦٨٩١)

(٢) وعلى المعلم استصحاب تلك الحقيقة في بدايات الأعمال، والتذكير بها دائماً .

(٣) من حرم الإخلاص حرم الخير كله .

[٢] صدق المعلم :

إن الصدق تاج على رأس المعلم، إذا فقدته فقد ثقة الناس بعلمه، وبما يمليه عليهم من معلومات، لأن الطالب في الغالب يتقبل من معلمه كل ما يقوله، فإذا بان للطلاب كذب معلمهم في بعض الأمور، فإن ذلك ينعكس عليه مباشرة، ويؤدي إلى سقوطه من أعين طلابه .

والصدق منجاة للعبد في الدنيا والآخرة، وقد أثنى الله على الصادقين، ورغب المؤمنين أن يكونوا من أهله بقوله : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ } (١١٩) سورة التوبة، وأرشد المعلم الأول إلى أن الصدق يهدي إلى الجنة، فعن عبد الله، قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " إِنْ الصَّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَصْدُقُ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ صَدِيقًا، وَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَكْذِبُ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَابًا " ٢٠

وعن عبد الله، رفع الحديث إلى النبي ﷺ قال: " إِنْ الْكَذِبَ لَا يَصْلُحُ مِنْهُ جَدٌّ وَلَا هَزْلٌ، وَلَا أَنْ يَعِدَ الرَّجُلُ ابْنَهُ، ثُمَّ لَا يُنْجِزْ لَهُ، إِنْ الصَّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، إِنَّهُ يُقَالُ لِلصَّادِقِ صَدَقَ وَبِرٌّ، وَيُقَالُ لِلْكَاذِبِ كَذَبَ وَفَجَرَ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَصْدُقُ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ صَدِيقًا، وَيَكْذِبُ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَابًا " ٢١

٢٠ - شعب الإيمان - (٦ / ٤٣٨) (٤٤٥٠) وصحيح البخارى - المكثر - (٦٠٩٤) وصحيح مسلم - المكثر -

(٦٨٠٣)

٢١ - شعب الإيمان - (٦ / ٤٤١) (٤٤٥٣) صحيح

وعند تأمل السيرة النبوية، نجد أن نبينا ﷺ كان يسمّى بالصادق الأمين، ولم يعهد منه كفار مكة كذبة واحدة . ولما بعث وظهر أمره، عاداه سادات قريش وأعيانهم، لا لكذبه عليهم، ولكن استكباراً وتجبراً، وخوفاً من سقوط هيبتهم وجاههم ومقامهم بين القبائل، فعن ابن عباس - رضى الله عنهما - قال لَمَّا نَزَلَتْ (وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ) صَعَدَ النَّبِيُّ - ﷺ - عَلَى الصَّفَا فَجَعَلَ يُنَادِي « يَا بَنِي فِهْرٍ، يَا بَنِي عَدِيٍّ ». لِبُطُونِ قُرَيْشٍ حَتَّى اجْتَمَعُوا، فَجَعَلَ الرَّجُلُ إِذَا لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَخْرُجَ أَرْسَلَ رَسُولًا لِيَنْظُرَ مَا هُوَ، فَجَاءَ أَبُو لَهَبٍ وَقُرَيْشٌ فَقَالَ « أَرَأَيْتَكُمْ لَوْ أَخْبَرْتُمْ أَنَّ خَيْلًا بِالْوَادِي تُرِيدُ أَنْ تُغِيرَ عَلَيْكُمْ، أَكُنْتُمْ مُصَدِّقِيَّ ». قَالُوا نَعَمْ، مَا جَرَّبْنَا عَلَيْكَ إِلَّا صِدْقًا . قَالَ « فَإِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ». فَقَالَ أَبُو لَهَبٍ تَبًّا لَكَ سَائِرَ الْيَوْمِ، أَلِهَذَا جَمَعْتَنَا فَنَزَلَتْ (تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ * مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ) ٢٢

وقد صرح بحقيقة ذلك بعض أعيانهم فعن أبي إسحاق قال : مرَّ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى أَبِي جَهْلٍ، وَأَبِي سُفْيَانَ، وَهُمَا جَالِسَانِ، فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ : هَذَا نَبِيِّكُمْ يَا بَنِي عَبْدِ شَمْسٍ . فَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ : وَتَعْجَبُ أَنْ يَكُونَ مِنَّا نَبِيٌّ وَالنَّبِيُّ يَكُونُ فِيمَنْ هُوَ أَقْلٌ مِنَّا وَأَذَلُّ . فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ : عَجِبْتُ أَنْ يَخْرُجَ غُلَامٌ مِنْ بَيْنِ شُيُوخِ نَبِيًّا، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَسْمَعُ فَأَتَاهُمْ، فَقَالَ " أَمَا أَنْتَ يَا أَبَا سُفْيَانَ، فَمَا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ غَضِبْتَ، وَلَكِنَّكَ حَمِيتَ لِلأَصْلِ، وَأَمَا أَنْتَ يَا أَبَا الْحَكَمِ فَوَاللَّهِ لَتَضْحَكَنَّ قَلِيلًا وَلَتَبْكِينَ كَثِيرًا " . قَالَ : بِسْمَا تَعْدُنِي ابْنَ أَخِي مِنْ نُبُوتِكَ ٢٣

ولقد كان لاتصافه ﷺ بالصدق أثر كبير في دخول كثير من الناس في دين الله، قال عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَامٍ: لَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمَدِينَةَ أَنْجَفَلَ النَّاسُ قَبْلَهُ، فَقَالُوا: قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَجِئْتُ فِي النَّاسِ أَنْظُرُ، فَلَمَّا تَبَيَّنْتُ وَجْهَهُ عَرَفْتُ أَنَّ وَجْهَهُ لَيْسَ بِوَجْهِ كَذَّابٍ،

٢٢ - صحيح البخارى - المكثر - (٤٧٧٠)

٢٣ - دلائل النبوة للبيهقي (٥٩٠) حسن مرسل

فَتَكَلَّمَ فَكَانَ أَوَّلَ شَيْءٍ سَمِعْتُهُ تَكَلَّمَ بِهِ أَنْ قَالَ: " يَا أَيُّهَا النَّاسُ، أَفْشُوا السَّلَامَ، وَصَلُّوا
الْأَرْحَامَ، وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ، وَصَلُّوا بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ، تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِسَلَامٍ " ٢٤

وصدق المعلم يدعو المتعلم إلى الثقة به وبما يقول، ويكسبه احترام المعلمين، ويرفع من شأنه في عمله، ويتمثل صدق المعلم في مستلزمات المسؤولية الملقاة على عاتقه، والتي منها نقل المعرفة. بما فيها من حقائق ومعلومات للأجيال، فإن لم يكن المعلم متحلياً بالصدق فإنه سينقل لهم علماً ناقصاً ومبتوراً، وحقائق ومعلومات مغايرة للصورة التي يجب أن ينقلها، وإذا تعود التلميذ على قبول هذا السلوك السيء من المعلم فإنه ربما يستحسن هذا العمل حتى يصبح ملازماً له، وهو أمر خطير على المجتمع أ ه . ٢٥

وإليك أيها المعلم مثلاً يبين أثر الكذب على الطلاب . يقول الشيخ محمد جميل زينو : حدث أن سألت أحد الطلاب معلمه مستنكراً تدخين أحد المعلمين، فأجاب المعلم مدافعاً عن زميله، بأن سبب تدخينه هو نصيحة الطبيب له، وحين خرج التلميذ من الصف قال : إن المعلم يكذب علينا . (قال محمد جميل) وحبذا لو صدق المعلم في إجابته، وبين خطأ زميله، بأن التدخين حرام، لأنه مضر بالجسم، مؤذ للجوار، متلف للمال، فلو فعل ذلك لكسب ثقة الطلاب وحبهم، ويستطيع أن يقول هذا المعلم إلى طلابه : إن هذا المعلم فرد من الناس تجري عليه الأعراض البشرية، فهو يصيب ويخطئ .. ٢٦ .

الخلاصة :

- (١) الصدق نجاة للمعلم في الدنيا والآخرة .
- (٢) الكذب على الطلاب، عائق عن التلقي، وفارق للثقة .

٢٤ - شعب الإيمان - (١١ / ١٨٣) (٨٣٧٥) صحيح

٢٥ -

&sub_id=١٠٨.asp?lang=ar&parent_id=٢http://www.rasoulallah.net/subject

١١٤٥

.html٢٢٦١/١٢١/١/amm/٣http://islamport.com/d/

٢٦ نداء إلى المربين ص ١٤ .

(٣) الكذب أثره يتعدى إلى المجتمع، ولا يقتصر على منتحله .

[٣] مطابقة القول بالعمل :

قال تعالى : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ (٢) كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ (٣) { الصف : ٢، ٣]

يُنْكِرُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى مَنْ يَعِدُ وَعَدًّا، أَوْ يَقُولُ قَوْلًا لَا يَفِي بِهِ، فَيَقُولُ تَعَالَى : لِأَيِّ شَيْءٍ تَقُولُونَ لَوَدِدْنَا أَنْ نَفْعَلَ كَذَا وَكَذَا مِنْ أَفْعَالِ الْخَيْرِ، حَتَّى إِذَا طُلِبَ مِنْكُمْ فِعْلُ ذَلِكَ كَرِهْتُمْ ذَلِكَ وَلَمْ تَفْعَلُوهُ؟ . .

وَأَكَّدَ اللَّهُ تَعَالَى إِنكَارَهُ هَذَا عَلَى هَؤُلَاءِ الْقَاتِلِينَ مَا لَا يَفْعَلُونَ، فَقَالَ لَهُمْ : إِنَّهُ يَكْرَهُ كُرْهًا شَدِيدًا أَنْ تَقُولُوا شَيْئًا لَا تَفْعَلُونَهُ لِأَنَّ الْوَفَاءَ بِالْعَهْدِ وَالْوَعْدَ يُنْمِي الثِّقَةَ بَيْنَ أَفْرَادِ الْجَمَاعَةِ، كَمَا أَنَّ فُشُوَ الْخُلْفِ بِالْوَعْدِ يُضَعِّفُهَا .^{٢٧}

ولهذا ينبغي للآمر بالخير أن يكون أول الناس مبادرة إليه، والناهي عن الشر، أن يكون أبعد الناس عنه، قال تعالى : { أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ } (٤٤) سورة البقرة .

يَنْعَى اللَّهُ تَعَالَى عَلَى الْيَهُودِ - وَهُمْ أَهْلُ الْكِتَابِ - أَنْ يَأْمُرُوا النَّاسَ بِالْخَيْرِ وَالْبِرِّ وَطَاعَةِ اللَّهِ، فِي حَالِ حَالِ أَنْهُمْ يَنْسَوْنَ وَعَظَ أَنْفُسِهِمْ، وَحَمَلَهَا عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ، فَلَا يَأْمُرُونَ بِمَا يَأْمُرُونَ بِهِ غَيْرُهُمْ مِنَ النَّاسِ، مَعَ أَنَّهُمْ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ الْمُنَزَّلَ إِلَيْهِمْ، وَيَعْلَمُونَ مَا فِيهِ مِنْ عِقَابِ يَحِلُّ بِمَنْ يُقْصِرُ فِي الْقِيَامِ بِمَا أَمَرَ اللَّهُ .

وَلَكِنَّ الْأَحْبَارَ وَالرُّهْبَانَ مِنْهُمْ لَا يَذْكُرُونَ مِنَ الْحَقِّ إِلَّا مَا يُوَافِقُ أَهْوَاءَهُمْ، وَلَا يَعْمَلُونَ بِمَا فِيهِ مِنَ الْأَحْكَامِ إِذَا عَارَضَ شَهْوَاتِهِمْ .^{٢٨}

^{٢٧} - أيسر التفاسير لأسعد حومد - (١ / ٥٠٤٣)

وقال شعيب عليه السلام : { يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُمْ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَرَزَقْنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَمْلِكَ لَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ } (٨٨) سورة هود

ورسولنا ﷺ كان يأمر الناس بالخير وهو أول من يأتيه، وكان ينههم عن الشر وهو أول من يجتنبه ويتعد عنه، وهذا من كمال خلقه عليه الصلاة والسلام، ولا عجب فقد كان خلقه القرآن . فعن سعد بن هشام بن عامر، قال : أتيت عائشة، فقالت : يا أم المؤمنين، أخبريني بخلق رسول الله ﷺ، قالت : كان خلقه القرآن، أما تقرأ القرآن، قول الله عز وجل : { وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ }، قلت : فأني أريد أن أتبتل، قالت : لا تفعل، أما تقرأ : { لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ؟ لَقَدْ تَزَوَّجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَقَدْ وُلِدَ لَهُ. ٢٩

ومطابقة القول العمل، أسرع في الاستجابة من مجرد القول بمفرده، يتبين لنا ذلك من خلال عرض هذا الحدث الذي وقع للنبي ﷺ، والمسلمين معه في قصة الحديبية . فعندما صالح المشركون المسلمين على شروط معينة ومنها أن يرجع المسلمون من عامهم هذا عن مكة ويجحوا في عامهم المقبل .

فعن الزهري، قال أخبرني عروة بن الزبير، عن المسور بن مخرمة، ومروان بن الحكم يصدق كل واحد منهما حديثه حديث صاحبه، قالاً : خرج النبي ﷺ زمن الحديبية في بضعة عشرة مائة من أصحابه، حتى إذا كانوا بذي الحليفة، قلد رسول الله ﷺ وأشعر، ثم أحرم بالعمرة وبعث بين يديه عيناً له رجلاً من خزاعة يجيئه، بخبر قريش، وسار رسول الله ﷺ، حتى إذا كان بغير الأشطاط، قريياً من عسفان، أتاه عينه الخزاعي، فقال : إني تركت كعب بن لؤي، وعمار بن لؤي، قد جمعا لك الأحابيش، وجمعا لك جموعاً كثيرة وهم مقاتلوك وصادوك عن البيت الحرام، فقال النبي ﷺ : أشيروا عليّ أترون أن نميل إلى ذراري هؤلاء الذين أعانوهم فنصبيهم، فإن قعدوا قعدوا موثورين محزونين، وإن نجوا

٢٨ - أيسر التفاسير لأسعد حومد - (١ / ٥١)

٢٩ - مسند أحمد (عالم الكتب) - (٨ / ١٤٤) (٢٤٦٠١) - ٢٥١٠٨ - صحيح

يَكُونُوا عُنُقًا قَطَعَهَا اللَّهُ أَمْ تَرَوْنَ، أَنْ نُوْمَ الْبَيْتِ، فَمَنْ صَدَدْنَا عَنْهُ قَاتِلَنَا؟

فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِ : اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ يَا نَبِيَّ اللَّهِ، إِنَّمَا جِئْنَا مُعْتَمِرِينَ
وَلَمْ نَجِئْ لِقِتَالِ أَحَدٍ وَلَكِنْ مِنْ حَالِ بَيْنِنَا وَبَيْنَ الْبَيْتِ قَاتِلَنَا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : فَرَوْحُوا
إِذَا.

قَالَ الزُّهْرِيُّ فِي حَدِيثِهِ، وَكَانَ أَبُو هُرَيْرَةَ يَقُولُ : مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَكْثَرَ مُشَاوَرَةً لِأَصْحَابِهِ مِنْ
رَسُولِ اللَّهِ ﷺ .

قَالَ الزُّهْرِيُّ فِي حَدِيثِهِ عَنْ عُرْوَةَ عَنِ الْمَسُورِ، وَمَرْوَانَ فِي حَدِيثِهِمَا فَرَّحُوا، حَتَّى إِذَا كَانُوا
بِبَعْضِ الطَّرِيقِ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : إِنَّ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ بِالْعَمِيمِ فِي حَيْلٍ لِقُرَيْشٍ طَلِيعَةً، فَخُذُوا
ذَاتَ الْيَمِينِ، فَوَاللَّهِ مَا شَعَرَ بِهِمْ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ، حَتَّى إِذَا هُوَ بِقَتْرَةِ الْجَيْشِ فَأَقْبَلَ يَرْكُضُ
نَذِيرًا لِقُرَيْشٍ. وَسَارَ النَّبِيُّ ﷺ، حَتَّى إِذَا كَانَ بِالنَّبِيَّةِ، الَّتِي يَهْبِطُ عَلَيْهِمْ مِنْهَا، فَلَمَّا انْتَهَى
إِلَيْهَا، بَرَكْتَ رَا حِلَّتُهُ، فَقَالَ النَّاسُ حَلَّ، حَلَّ فَالْحَتَّ، فَقَالُوا : خَلَّتِ الْقِصْوَاءُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ
: مَا خَلَّتِ الْقِصْوَاءُ، وَمَا ذَلِكَ لَهَا بِخُلُقٍ، وَلَكِنْ حَبَسَهَا حَابِسُ الْفِيلِ، ثُمَّ قَالَ : وَالَّذِي
نَفْسِي بِيَدِهِ، لَا يَسْأَلُونِي خُطَّةً، يُعْظَمُونَ فِيهَا حُرْمَاتِ اللَّهِ، إِلَّا أَعْطَيْتُهُمْ إِيَّاهَا، ثُمَّ
زَجَرَهَا، فَوُتِبَتْ بِهِ، قَالَ : فَعَدَلَ عَنْهُمْ، حَتَّى نَزَلَ بِأَقْصَى الْحُدَيْبِيَّةِ عَلَى ثَمَدٍ قَلِيلِ الْمَاءِ، إِنَّمَا
يَبْرِضُهُ النَّاسُ تَبْرُضًا، فَلَمْ يَلْبِثْ بِالنَّاسِ، أَنْ نَزَحُوهُ، فَشَكِيَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ
الْعَطَشُ، فَأَنْتَرَعَ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِهِ، ثُمَّ أَمَرَهُمْ أَنْ يَجْعَلُوهُ فِيهِ، قَالَ : فَمَا زَالَ يَجِيشُ لَهُمْ
بِالرِّيِّ، حَتَّى صَدَرُوا عَنْهُ.

فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ، إِذْ جَاءَهُ بُدَيْلُ بْنُ وَرْقَاءَ الْخُزَاعِيُّ، فِي نَفَرٍ مِنْ قَوْمِهِ مِنْ خُزَاعَةَ، وَكَانَتْ
عَيْبَةَ نَصَحَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، مِنْ أَهْلِ تَهَامَةَ، فَقَالَ إِنِّي تَرَكْتُ كَعْبَ بْنَ لُؤَيٍّ، وَعَامَرَ بْنَ
لُؤَيٍّ، نَزَلُوا أَعْدَادَ مِيَاهِ الْحُدَيْبِيَّةِ مَعَهُمُ الْعُودُ الْمَطْفِيلُ، وَهُمْ مُقَاتِلُونَ، وَصَادُونَ عَنِ الْبَيْتِ
الْحَرَامِ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : إِنَّا لَمْ نَجِئْ لِقِتَالِ أَحَدٍ، وَلَكِنَّا جِئْنَا مُعْتَمِرِينَ، فَإِنَّ قُرَيْشًا، قَدْ
نَهَكْتَهُمُ الْحَرْبُ، وَأَصْرَتْ بِهِمْ، فَإِنْ شَاؤُوا مَا دَدْتُهُمْ مُدَّةً، وَيَخْلُوا بَيْنِي، وَبَيْنَ النَّاسِ، فَإِنْ
ظَهَرْنَا، وَشَاؤُوا أَنْ يَدْخُلُوا فِيمَا دَخَلَ فِيهِ النَّاسُ، فَعَلُوا وَقَدْ جَمُوا، وَإِنْ هُمْ أَبَوْا، فَوَالَّذِي
نَفْسِي بِيَدِهِ لَأُقَاتِلَنَّهُمْ عَلَى أَمْرِي هَذَا، حَتَّى تَنْفَرِدَ سَالِفَتِي، أَوْ لَيْبَتِي، اللَّهُ أَمْرُهُ.

قَالَ بُدَيْلُ بْنُ وَرْقَاءَ سَأَبْلُغُهُمْ، مَا تَقُولُ، فَاذْطَلَقَ، حَتَّى أَتَى قُرَيْشًا، فَقَالَ : إِنَّا قَدْ جِئْنَاكُمْ مِنْ عِنْدِ هَذَا الرَّجُلِ، وَسَمِعْنَاهُ يَقُولُ قَوْلًا، فَإِنْ شِئْتُمْ أَنْ نَعْرِضَهُ عَلَيْكُمْ، فَعَلْنَا، فَقَالَ : سَفَهَاؤُهُمْ لَا حَاجَةَ لَنَا فِي أَنْ تُخْبِرُونَا عَنْهُ بِشَيْءٍ، وَقَالَ ذُو الرَّأْيِ : هَاتِ مَا سَمِعْتَهُ، يَقُولُ : قَالَ : سَمِعْتَهُ يَقُولُ كَذَا، وَكَذَا، فَأَخْبَرْتُهُمْ بِمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ .

فَقَامَ عِنْدَ ذَلِكَ أَبُو مَسْعُودٍ، عُرْوَةُ بْنُ مَسْعُودٍ الثَّقَفِيُّ، فَقَالَ : يَا قَوْمُ أَلَسْتُمْ بِالْوَالِدِ؟ قَالُوا : بَلَى، قَالَ : أَلَسْتُ بِالْوَالِدِ، قَالُوا : بَلَى قَالَ : فَهَلْ تَتَّهَمُونِي، قَالُوا : لَا، قَالَ : أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنِّي اسْتَنْفَرْتُ أَهْلَ عُكَاظٍ، فَلَمَّا بَلَّحُوا عَلَيَّ جِئْتُمْكُمْ بِأَهْلِي، وَوَلَدِي، وَمَنْ أَطَاعَنِي قَالُوا : بَلَى، قَالَ : فَإِنَّ هَذَا امْرُؤٌ عَرَضَ عَلَيْكُمْ، خُطَّةَ رُشْدٍ، فَاقْبَلُوهَا، وَدَعُونِي آتَهُ، قَالُوا : إِنَّهُ، فَأَتَاهُ قَالَ : فَجَعَلَ يُكَلِّمُ النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : نَحْوًا مِنْ قَوْلِهِ، لِبُدَيْلِ بْنِ وَرْقَاءَ، فَقَالَ عُرْوَةُ بْنُ مَسْعُودٍ : ذَلِكَ يَا مُحَمَّدُ أَرَأَيْتَ إِنْ اسْتَأْصَلْتَ قَوْمَكَ، هَلْ سَمِعْتَ أَحَدًا مِنَ الْعَرَبِ اجْتَنَحَ أَصْلَهُ قَبْلَكَ، وَإِنْ تَكُنِ الْأُخْرَى، فَوَاللَّهِ إِنِّي أَرَى وَجُوهَهَا، وَأَرَى أَشْوَابًا مِنَ النَّاسِ خُلِقَاءَ أَنْ يَفِرُّوا وَيَدْعُوكَ.

فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِ : امْضُصْ بِيْظِرِّ اللَّاتِ أَنْحُنُ نَفْرُ وَنَدْعُهُ، فَقَالَ أَبُو مَسْعُودٍ : مَنْ هَذَا، قَالُوا : أَبُو بَكْرُ بْنُ أَبِي قُحَافَةَ، فَقَالَ : أَمَا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَوْلَا يَدُ كَأَنَّ لَكَ عِنْدِي لَمْ أَجْرِكَ بِهَا لِأَجْبَتِكَ.

وَجَعَلَ يُكَلِّمُ النَّبِيَّ ﷺ، فَكَلَّمَا كَلَّمَهُ أَحَدًا بِلِحْيَتِهِ، وَالْمُغِيرَةَ بْنَ شُعْبَةَ الثَّقَفِيَّ قَائِمًا عَلَى رَأْسِ النَّبِيِّ ﷺ، وَعَلَيْهِ السَّيْفُ، وَالْمَعْفَرُ، فَكَلَّمَا أَهْوَى عُرْوَةُ بِيَدِهِ، إِلَى لِحْيَةِ النَّبِيِّ ﷺ، ضَرَبَ يَدَهُ بِنَعْلِ السَّيْفِ، وَقَالَ : آخِرُ يَدِكَ عَنْ لِحْيَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَرَفَعَ عُرْوَةُ رَأْسَهُ، وَقَالَ مَنْ هَذَا؟ فَقَالُوا : الْمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ الثَّقَفِيُّ، فَقَالَ : أَيُّ عُدْرٍ، أَوَلَسْتُ أَسْعَى فِي غَدْرَتِكَ، وَكَانَ الْمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ صَحْبَ قَوْمًا فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فَقَتَلَهُمْ، وَأَخَذَ أَمْوَالَهُمْ، ثُمَّ جَاءَ، فَأَسْلَمَ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ : أَمَا الْإِسْلَامُ، فَأَقْبَلُ، وَأَمَا الْمَالُ، فَلَسْتُ مِنْهُ فِي شَيْءٍ.

قَالَ : ثُمَّ إِنَّ عُرْوَةَ جَعَلَ يَرْمُقُ صَحَابَةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، بِعَيْنِهِ، فَوَاللَّهِ مَا يَتَنَحَّمُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، نُخَامَةً، إِلَّا وَقَعَتْ فِي كَفِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ، فَذَكَرَ بِهَا وَجْهَهُ، وَجِلْدَهُ، وَإِذَا أَمَرَهُمْ انْقَادُوا لِأَمْرِهِ، وَإِذَا تَوَضَّأَ كَادُوا يَقْتَتِلُونَ عَلَى وَضُوئِهِ، وَإِذَا تَكَلَّمَ خَفَضُوا أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَهُ، وَمَا

يُحِدُونَ إِلَيْهِ النَّظَرَ، تَعْظِيمًا لَهُ.

فَرَجَعَ عُرْوَةَ بْنُ مَسْعُودٍ إِلَى أَصْحَابِهِ، فَقَالَ : أَيُّ قَوْمٍ، وَاللَّهِ لَقَدْ وَفَدْتُ إِلَى الْمُلُوكِ، وَوَفَدْتُ إِلَى كِسْرَى، وَفَيْصَرَ، وَالتَّجَاشِيَّ، وَاللَّهِ مَا رَأَيْتُ مُلَكًا قَطُّ، يُعْظِمُهُ أَصْحَابُهُ، مَا يُعْظِمُ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ مُحَمَّدًا، وَاللَّهِ إِنْ يَتَنَحَّمُ نُخَامَةً إِلَّا وَقَعَتْ فِي كَفِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ، فَذَلِكَ بِهَا وَجْهَهُ، وَجِلْدَهُ، وَإِذَا أَمَرَهُمْ ابْتَدَرُوا أَمْرَهُ، وَإِذَا تَوَضَّأَ افْتَتَلُوا عَلَى وَضُوئِهِ، وَإِذَا تَكَلَّمَ خَفَضُوا أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَهُ، وَمَا يُحِدُونَ إِلَيْهِ النَّظَرَ، تَعْظِيمًا لَهُ، وَإِنَّهُ قَدْ عَرَضَ عَلَيْكُمْ خُطَّةَ رُشْدٍ، فَاقْبَلُوهَا، فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي كِنَانَةَ دَعُونِي آتِهِ، فَلَمَّا أَشْرَفَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : هَذَا فُلَانٌ مِنْ قَوْمٍ يُعْظَمُونَ الْبُذْنَ، فَأَبْعَثُوهَا لَهُ، قَالَ فَبِعَثْتُ، وَاسْتَقْبَلَهُ الْقَوْمُ يُلْبَسُونَ، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ قَالَ : سُبْحَانَ اللَّهِ، لَا يَنْبَغِي لِهَؤُلَاءِ، أَنْ يُصَدُّوا عَنِ الْبَيْتِ، فَلَمَّا رَجَعَ إِلَى أَصْحَابِهِ، قَالَ : رَأَيْتُ الْبُذْنَ، قَدْ قُلِدْتُ، وَأُشْعِرْتُ، فَمَا أَرَى أَنْ يُصَدُّوا عَنِ الْبَيْتِ، فَهَامَ رَجُلٌ مِنْهُمْ، يُقَالُ لَهُ مَكْرَزٌ، فَقَالَ دَعُونِي آتِهِ، فَقَالُوا : آتِهِ، فَلَمَّا أَشْرَفَ عَلَيْهِمْ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : هَذَا مَكْرَزٌ، وَهُوَ رَجُلٌ فَاجِرٌ، فَجَعَلَ يُكَلِّمُ النَّبِيَّ ﷺ، فَبَيْنَمَا هُوَ يُكَلِّمُهُ، إِذْ جَاءَهُ سُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو. قَالَ مَعْمَرٌ، فَأَخْبَرَنِي أَيُّوبُ السَّخْتِيَانِيُّ، عَنْ عِكْرِمَةَ، قَالَ : فَلَمَّا جَاءَ سُهَيْلٌ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : هَذَا سُهَيْلٌ، قَدْ سَهَّلَ اللَّهُ لَكُمْ أَمْرَكُمْ، قَالَ مَعْمَرٌ فِي حَدِيثِهِ عَنِ الزُّهْرِيِّ عَنْ عُرْوَةَ عَنِ الْمَسُورِ، وَمَرْوَانَ فَلَمَّا جَاءَ سُهَيْلٌ، قَالَ هَاتِ أَكْتُبْ بَيْنَنَا، وَبَيْنَكُمْ كِتَابًا، فَدَعَا الْكَاتِبَ، فَقَالَ : أَكْتُبْ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، فَقَالَ سُهَيْلٌ أَمَا الرَّحْمَنُ، فَلَا أَدْرِي وَاللَّهِ مَا هُوَ، وَلَكِنْ أَكْتُبْ بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ، ثُمَّ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : أَكْتُبْ هَذَا، مَا قَاضَى عَلَيْهِ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ، فَقَالَ سُهَيْلٌ بِنُ عَمْرٍو لَوْ كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ، مَا صَدَدْنَاكَ عَنِ الْبَيْتِ، وَلَا قَاتَلْنَاكَ، وَلَكِنْ أَكْتُبْ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : وَاللَّهِ إِنْ لَرَسُولُ اللَّهِ، وَإِنْ كَذَّبْتُمُونِي، أَكْتُبْ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ الزُّهْرِيُّ، وَذَلِكَ لِقَوْلِهِ لَا يَسْأَلُونِي خُطَّةً يُعْظَمُونَ فِيهَا حُرْمَاتِ اللَّهِ، إِلَّا أَعْطَيْتُهُمْ إِيَّاهَا.

وَقَالَ فِي حَدِيثِهِ عَنْ عُرْوَةَ، عَنِ الْمَسُورِ، وَمَرْوَانَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : عَلَى أَنْ تُخْلُوا بَيْنَنَا، وَبَيْنَ الْبَيْتِ، فَتَطُوفُ بِهِ، فَقَالَ سُهَيْلٌ بِنُ عَمْرٍو، إِنَّهُ لَا يَتَحَدَّثُ الْعَرَبُ، أَنَّا أَخَذْنَا ضِعْطَةً، وَلَكِنْ لَكَ مِنَ الْعَامِ الْمُقْبِلِ، فَكَتَبَ فَقَالَ سُهَيْلٌ بِنُ عَمْرٍو : عَلَى أَنَّهُ لَا يَأْتِيكَ مِنَّا رَجُلٌ، وَإِنْ كَانَ عَلَى

دِينِكَ، أَوْ يُرِيدُ دِينَكَ إِلَّا رَدَدْتَهُ إِلَيْنَا، فَقَالَ الْمُسْلِمُونَ : سُبْحَانَ اللَّهِ كَيْفَ يُرَدُّ إِلَى الْمُشْرِكِينَ، وَقَدْ جَاءَ مُسْلِمًا، فَبَيْنَمَا هُمْ عَلَى ذَلِكَ، إِذْ جَاءَ أَبُو جَنْدَلٍ بْنُ سُهَيْلِ بْنِ عَمْرِو يَرْسُفُ، فِي قُبُودِهِ، قَدْ خَرَجَ مِنْ أَسْفَلِ مَكَّةَ، حَتَّى رَمَى بِنَفْسِهِ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ، فَقَالَ سُهَيْلُ بْنُ عَمْرِو يَا مُحَمَّدُ هَذَا أَوَّلُ مَنْ نِقَاضِيكَ عَلَيْهِ، أَنْ تَرُدَّهُ إِلَيَّ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : إِنَّا لَمْ نُمَضِ الْكِتَابَ بَعْدُ، فَقَالَ وَاللَّهِ لَا أَصَالِحُكَ عَلَى شَيْءٍ أَبَدًا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : فَأَجِزْهُ لِي، فَقَالَ مَا أَنَا بِمُجِيزِهِ لَكَ، قَالَ : فَأَفْعَلُ قَالَ : مَا أَنَا بِفَاعِلٍ، قَالَ مِكْرَرٌ : بَلْ قَدْ أَجَزْنَاكَ لَكَ.

فَقَالَ أَبُو جَنْدَلٍ بْنُ سُهَيْلِ بْنِ عَمْرِو : يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ، أُرِدُّ إِلَى الْمُشْرِكِينَ، وَقَدْ جِئْتُ مُسْلِمًا، أَلَا تَرَوْنَ إِلَى مَا قَدْ لَقِيتُ، وَكَانَ قَدْ عَذَّبَ عَذَابًا شَدِيدًا فِي اللَّهِ، فَقَالَ عَمْرُ بْنُ الْخَطَّابِ رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِ، وَاللَّهِ مَا شَكَّكْتُ مِنْذُ أُسَلِّمْتُ، إِلَّا يَوْمَئِذٍ، فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ، فَقُلْتُ. أَلَسْتُ رَسُولَ اللَّهِ حَقًّا، قَالَ : بَلَى، قُلْتُ أَلَسْنَا عَلَى الْحَقِّ، وَعَدُّوْنَا عَلَى الْبَاطِلِ ؟ قَالَ : بَلَى، قُلْتُ : فَلِمَ نُعْطِي الدِّينِيَّةَ فِي دِينِنَا، إِذَا قَالَ : إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ، وَلَسْتُ أُعْصِي رَبِّي، وَهُوَ نَاصِرِي، قُلْتُ : أَوْ لَيْسَ كُنْتُ تُحَدِّثُنَا أَنَّا سَنَاتِي الْبَيْتِ، فَتَطُوفُ بِهِ ؟ قَالَ : بَلَى، فَخَبَّرْتُكَ أَنَّكَ تَأْتِيهِ الْعَامَ، قَالَ : لَا، قَالَ : فَإِنَّكَ تَأْتِيهِ، فَتَطُوفُ بِهِ، قَالَ : فَأَتَيْتُ أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِ، فَقُلْتُ : يَا أَبَا بَكْرٍ أَلَيْسَ هَذَا نَبِيُّ اللَّهِ حَقًّا، قَالَ : بَلَى، قُلْتُ : أَوْ لَسْنَا عَلَى الْحَقِّ، وَعَدُّوْنَا عَلَى الْبَاطِلِ، قَالَ : بَلَى، قُلْتُ : فَلِمَ نُعْطِي الدِّينِيَّةَ فِي دِينِنَا، إِذَا قَالَ : أَيُّهَا الرَّجُلُ إِنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ، وَلَيْسَ يَعْصِي رَبَّهُ، وَهُوَ نَاصِرُهُ، فَاسْتَمْسَكَ بِعَرْزِهِ، حَتَّى تَمُوتَ، فَوَاللَّهِ إِنَّهُ عَلَى الْحَقِّ، قُلْتُ : أَوْ لَيْسَ كَانَ يُحَدِّثُنَا، أَنَّا سَنَاتِي الْبَيْتِ، وَتَطُوفُ بِهِ ؟ قَالَ : بَلَى، قَالَ : فَخَبَّرْتُكَ أَنَّا تَأْتِيهِ الْعَامَ، قُلْتُ : لَا، قَالَ : فَإِنَّكَ آتِيهِ، وَتَطُوفُ بِهِ، قَالَ عَمْرُ بْنُ الْخَطَّابِ رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِ : فَعَمِلْتُ فِي ذَلِكَ أَعْمَالًا، يَعْنِي فِي نَقْضِ الصَّحِيفَةِ. فَلَمَّا فَرَّغَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، مِنْ الْكِتَابِ، أَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَصْحَابَهُ فَقَالَ : انْحَرُوا الْهَدْيَ، وَاحْلِقُوا، قَالَ : فَوَاللَّهِ مَا قَامَ رَجُلٌ مِنْهُمْ رَجَاءً، أَنْ يُحَدِّثَ اللَّهُ أَمْرًا، فَلَمَّا لَمْ يَقُمْ أَحَدٌ مِنْهُمْ، قَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَدَخَلَ عَلَى أُمِّ سَلَمَةَ، فَقَالَ : مَا لَقِيتُ مِنَ النَّاسِ، قَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ أَوْ تُحِبُّ ذَاكَ الْخَرْجَ، وَلَا تُكَلِّمَنَّ أَحَدًا مِنْهُمْ كَلِمَةً، حَتَّى تَنْحَرَ بَدَنَكَ، وَتَدْعُو حَالِقَكَ، فَقَامَ النَّبِيُّ ﷺ، فَخَرَجَ، وَلَمْ يُكَلِّمْ أَحَدًا مِنْهُمْ، حَتَّى نَحَرَ، بَدَنَهُ، ثُمَّ دَعَا حَالِقَهُ، فَحَلَقَهُ، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ النَّاسُ جَعَلَ

بَعْضُهُمْ، يُحَلِّقُ بَعْضًا، حَتَّى كَادَ بَعْضُهُمْ يَقْتُلُ بَعْضًا.

قَالَ : ثُمَّ جَاءَ نِسْوَةٌ مُؤْمِنَاتٌ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمْ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٌ } [المتحنة] إِلَى آخِرِ الْآيَةِ، قَالَ : فَطَلَّقَ عُمَرُ رِضْوَانَ اللَّهِ عَلَيْهِ امْرَأَتَيْنِ كَانَتَا لَهُ فِي الشَّرْكِ، فَتَزَوَّجَ إِحْدَاهُمَا مُعَاوِيَةَ بْنَ أَبِي سُفْيَانَ، وَالْأُخْرَى صَفْوَانَ بْنَ أُمِيَّةَ. قَالَ : ثُمَّ رَجَعَ ﷺ، إِلَى الْمَدِينَةِ....^{٣٠}

قال العلامة ابن القيم رحمه الله معلقاً على موضوع الحلق والتقصير :

" ومنها: أن الأمر المطلق على الفور وإلا لم يَعُضَبْ لتأخيرهم الامتثال عن وقت الأمر، وقد اعتذر عن تأخيرهم الامتثال بأنهم كانوا يَرْجُونَ النسخ، فَأَخَّرُوا متأولين لذلك، وهذا الاعتذار أولى أن يُعتذر عنه، وهو باطل، فإنه ﷺ لو فَهِمَ منهم ذلك، لم يَشْتَدَّ غَضَبُهُ لتأخير أمره، ويقول: "مالي لا أَعْضَبُ، وأنا أمرٌ بالأمر فلا أُتَّبِعُ"، وإنما كان تأخيرهم من السعي المغفور لا المشكور، وقد رضى الله عنهم، وغفر لهم، وأوجب لهم الجنة.

ومنها: أن الأصل مشاركة أمته له في الأحكام، إلا ما خصه الدليل، ولذلك قالت أم سلمة: "اخرُجْ ولا تُكَلِّمَ أحداً حتى تَحْلِقَ رأسك وتنحر هديك"، وعلمت أن الناس سيتابعونه.

فإن قيل: فكيف فعلوا ذلك اقتداءً بفعله، ولم يَمْتَثِلُوهُ حين أمرهم به؟ قيل: هذا هو السبب الذي لأجله ظنَّ مَنْ ظَنَّ أَنَّهُمْ أَخَّرُوا الامتثال طمعاً في النسخ، فلما فعلَ النبي ﷺ ذلك، عَلِمُوا حينئذٍ أنه حكم مُسْتَقَرٌّ غيرُ منسوخ، وقد تقدم فسادُ هذا الظن، ولكن لما تَغَيَّبَ عليهم، وخرج ولم يُكَلِّمهم، وأراههم أنه بادر إلى امتثال ما أمر به، وأنه لم يُؤَخَّرْ كتأخيرهم، وأن اتباعهم له وطاعتهم تُوجِبُ اقتداءهم به، بادروا حينئذٍ إلى الاقتداء به وامتثال أمره.^{٣١}

وفيه أهمية القدوة العملية، فقد دعا رسول الله ﷺ إلى أمر وكرره ثلاث مرات، وفيهم

^{٣٠} - صحيح ابن حبان - (١١ / ٢١٦) (٤٨٧٢) وصحيح البخارى - المكثر - (٢٧٣١ و ٢٧٣٢)

^{٣١} - زاد المعاد في هدي خير العباد - (٣ / ٣٠٧)

كبار الصحابة وشيوخهم، ومع ذلك لم يستجب أحد لدعوته، فلما قدم رسول الله ﷺ على الخطوة العملية التي أشارت بها أم سلمة تحقق المراد، فالتقوية العملية في مثل هذه المواقف أجدى وأنفع العملية، فقد دعا رسول الله ﷺ إلى أمر وكرره ثلاث مرات، وفيهم كبار الصحابة وشيوخهم، ومع ذلك لم يستجب أحد لدعوته، فلما قدم رسول الله ﷺ على الخطوة العملية التي أشارت بها أم سلمة تحقق المراد، فالتقوية العملية في مثل هذه المواقف أجدى وأنفع" ٣٢

والمعلم هو أحوج الناس إلى التزام ذلك المنهج في واقع حياته، لأنه قدوة يحتذى، وطلابه يأخذون عنه الأخلاق، والأدب، والعلم ولعمر الله أي فائدة ترجى من معلم ينقض قوله عمله ! .

ثم إن التناقض الذي يشاهده الطالب من قبل معلمه يوقعه في حيرة عظيمة، وكأني بذلك الطالب المختار وهو يسأل نفسه : لقد احترت في أمري، ماذا أفعل، هل أصدق قوله، أم فعله الذي يناقض قوله ؟، فهو يقول لنا : الكذب عادة سيئة مذمومة وعاقبتها إلى الخسران، ثم نسمعه بعد ذلك مراراً يكذب علينا ! .

من أجل ذلك كان النهي الشديد في قوله تعالى : { كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ } (٣) سورة الصف.

فلواجب على المربين والمعلمين أن يتقوا الله في فلذات الأكباد، فهم أمانة في أعناقهم، فليحرصوا على تعليمهم ما ينفعهم، ومطابقة أقوالهم لأعمالهم، لأن في ذلك ترسيخاً للعلم الذي تعلموه من معلمهم ومربيهم .

قال الإمام الغزالي^{٣٣} : "الوظيفة الثامنة : أن يكون المعلم عاملاً بعلمه فلا يكذب قوله فعلة؛ لأن العلم يدرك بالبصائر والعمل يدرك بالأبصار وأرباب الأبصار أكثر . فإذا خالف العمل العلم منع الرشد وكلُّ مَنْ تناول شيئاً وقال للناس : لا تتناولوه فإنه سمٌّ مهلكٌ

^{٣٢} - السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث - (٣ / ٤٥٧) وانظر: تأملات في السيرة النبوية لحمد السيد الوكيل، ص ٢١١.

^{٣٣} إحياء علوم الدين . (٩٧/١) ط . دار الحديث .

سخر الناسُ به واهمّوه وزاد حرصهم على ما هُوا عنه، فيقولون: لولا أنه أطيب الأشياء وألذها لما كان يستأثر به . ومثل المعلمُ المرشد من المسترشدين مثلُ النقش من الطين والظل من العود فكيف ينتقش الطين بما لا نقش فيه ومتى استوى الظلُّ والعود أعوج ؟

قال الشاعر :

يَا أَيُّهَا الرَّجُلُ الْمُعَلِّمُ غَيْرُهُ ... هَلَّا لِنَفْسِكَ كَانَ ذَا التَّعْلِيمِ
تَصِفُ الدَّوَاءَ مِنَ السَّقَامِ لِذِي الضَّنَى . كَيْمَا يَصِحُّ بِهِ وَأَنْتَ سَقِيمٌ
وَأَرَاكَ تُلْقِحُ بِالرِّشَادِ عُقُولَنَا ... نُصْحًا وَأَنْتَ مِنَ الرِّشَادِ عَدِيمٌ
فابدأ بنفسك فانهما عن غيها ... فإذا انتهت عنه فأنت حكيم
فهناك يقبل ما تقول ويهتدى ... بالقول منك وينفع التعليم
لا تنه عن خلق وتأتي مثله ... عار عليك إذا فعلت عظيم

الخلاصة :

١. الحالة الذميمة التي يتحلى بها من خالف قوله عمله، وكفى بقوله تعالى : (كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون) فإنه فيه عظة وعبرة لمن عقل .
٢. إن مخالفة القول للعمل توقع الطالب في حيرة، وتجعله لا يستقر على حال .
٣. عظم المهمة الملقاة على المعلمين والمربين .

[٤] العدل والمساواة :

قال تعالى : { إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ } (٩٠) سورة النحل

إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَأْمُرُ فِي كِتَابِهِ الَّذِي أَنْزَلَهُ عَلَى رَسُولِهِ ﷺ بِالْعَدْلِ وَالْإِنْصَافِ، وَيَنْدُبُ إِلَى الْإِحْسَانِ وَالْفَضْلِ، وَيَأْمُرُ بِصِلَةِ الرَّحْمِ وَإِعْطَاءِ ذَوِي الْقُرْبَى مَا هُمْ بِحَاجَةٍ إِلَيْهِ، وَيَنْهَى عَنِ ارْتِكَابِ الْمُحَرَّمَاتِ وَالْمُنْكَرَاتِ وَالْفَوَاحِشِ، مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ، مِمَّا يَأْتِيهِ الْعَبْدُ سِرًّا وَخَفِيَةً

وَاللَّهُ تَعَالَى إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالْخَيْرِ، وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالشَّرِّ، لَعَلَّكُمْ تَتَذَكَّرُونَ مَا أَوْدَعَهُ اللَّهُ فِي
الْفِطْرَةِ مِنْ وَحْيٍ قَوِيمٍ أَصِيلٍ، فَتَعْمَلُوا بِمُقْتَضَاهُ. ^{٣٤}

وقال السعدي: " فالعدل الذي أمر الله به يشمل العدل في حقه وفي حق عباده، فالعدل في ذلك أداء الحقوق كاملة موفرة بأن يؤدي العبد ما أوجب الله عليه من الحقوق المالية والبدنية والمركبة منهما في حقه وحق عباده، ويعامل الخلق بالعدل التام، فيؤدي كل وال ما عليه تحت ولايته سواء في ذلك ولاية الإمامة الكبرى، وولاية القضاء ونواب الخليفة، ونواب القاضي.

والعدل هو ما فرضه الله عليهم في كتابه، وعلى لسان رسوله، وأمرهم بسلوكه، ومن العدل في المعاملات أن تعاملهم في عقود البيع والشراء وسائر المعاملات، بإيفاء جميع ما عليك فلا تبخس لهم حقا ولا تغشهم ولا تتخذهم وتظلمهم. فالعدل واجب، والإحسان فضيلة مستحب وذلك كمنفع الناس بالمال والبدن والعلم، وغير ذلك من أنواع النفع حتى إنه يدخل فيه الإحسان إلى الحيوان البهيم المأكول وغيره.

وخص الله إيتاء ذي القربى - وإن كان داخلا في العموم - لتأكيد حقهم وتعين صلتهم وبرهم، والحرص على ذلك.

ويدخل في ذلك جميع الأقارب قريتهم وبعيدهم لكن كل ما كان أقرب كان أحق بالبر. وقوله: { وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ } وهو كل ذنب عظيم استفحشته الشرائع والفطر كالشرك بالله والقتل بغير حق والزنا والسرقه والعجب والكبر واحتقار الخلق وغير ذلك من الفواحش.

ويدخل في المنكر كل ذنب ومعصية متعلق بحق الله تعالى.

وبالبعي كل عدوان على الخلق في الدماء والأموال والأعراض.

^{٣٤} - أيسر التفاسير لأسعد حومد - (١ / ١٩٩١)

فصارت هذه الآية جامعة لجميع المأمورات والمنهيات لم يبق شيء إلا دخل فيها، فهذه قاعدة ترجع إليها سائر الجزئيات، فكل مسألة مشتملة على عدل أو إحسان أو إيتاء ذي القربى فهي مما أمر الله به.

وكل مسألة مشتملة على فحشاء أو منكر أو بغي فهي مما نهى الله عنه. وبها يعلم حسن ما أمر الله به وقبح ما نهى عنه، وبها يعتبر ما عند الناس من الأقوال وترد إليها سائر الأحوال، فتبارك من جعل في كلامه الهدى والشفاء والنور والفرقان بين جميع الأشياء.

ولهذا قال: { يَعْظِكُمْ } به أي: بما بينه لكم في كتابه بأمركم بما فيه غاية صلاحكم ونهيكم عما فيه مضرتكم.

{ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ } ما يعظكم به فتفهمونه وتعقلونه، فإنكم إذا تذكروتموه وعقلتموه عملتم بمقتضاه فسعدتم سعادة لا شقاوة معها. ^{٣٥}

وقس على ذلك الولاية التي تكون للمعلم على تلميذه فإن له ولاية على طلابه بحسبها .

وقال تعالى: { فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَعِمْ كَمَا أَمَرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ } (١٥) سورة الشورى.

فَادْعُ النَّاسَ إِلَى إِقَامَةِ الدِّينِ الْقَوِيمِ، الَّذِي أَوْحَى بِهِ اللَّهُ إِلَيَّ جَمِيعَ الْمُرْسَلِينَ أَصْحَابِ الشَّرَائِعِ، الَّذِينَ جَاءُوا قَبْلَكَ يَا مُحَمَّدُ، وَبِذَلِكَ تَكُونُ قَدْ دَعَوْتَ إِلَى تَحْقِيقِ وَحْدَةِ الدِّينِ كَمَا أَنْزَلَهَا اللَّهُ، وَاتَّبَتْ أَنْتَ وَمَنِ اتَّبَعَكَ عَلَى عِبَادَةِ اللَّهِ، وَعَلَى الدَّعْوَةِ إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ دِينٍ وَشَرَعَ كَمَا أَمَرَكُمْ، وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الْمُشْرِكِينَ، الَّذِينَ شَكُّوا فِي الْحَقِّ بِمَا ابْتَدَعُوهُ وَأَفْتَرَوْهُ مِنْ عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ وَالْأَوْثَانِ، وَقُلْ: إِنِّي صَدَقْتُ بِجَمِيعِ الْكُتُبِ الْمُنزَّلَةِ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ السَّابِقِينَ مِنَ التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَصُحُفِ إِبْرَاهِيمَ، لَا أَكْذِبُ بِشَيْءٍ مِنْهَا، وَإِنَّ رَبِّي قَدْ أَمَرَنِي بِالْعَدْلِ فِي الْحُكْمِ وَالْقَضَاءِ بَيْنَ النَّاسِ، فَلَا أَحِيفُ وَلَا أَجُورُ، وَأَمَرَنِي رَبِّي بِأَنْ أَقُولَ لَهُؤُلَاءِ الْمُكْذِبِينَ: إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَعْبُودُ لَا إِلَهَ غَيْرُهُ، وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ، وَنَحْنُ نُقَرِّبُهُ بِطَوْعٍ وَاخْتِيَارٍ، وَأَنْتُمْ تُنْكِرُونَ

^{٣٥} - تفسير السعدي - (١ / ٤٤٧)

رُبُّوَيْتُهُ، وَلَكِنَّ ذَلِكَ لَا يَضِيرُهُ بِشَيْءٍ فَلَهُ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا أَوْ كَرْهًا، وَنَحْنُ بَرَاءٌ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْمَلُونَ، فَحَنْ نُحْزَى بِأَعْمَالِنَا، وَأَنْتُمْ تُحْزُونَ بِأَعْمَالِكُمْ وَلَا يَحْمِلُ أَحَدٌ وِزْرَ أَحَدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؛ وَلَا حُصُومَةٌ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ وَلَا احْتِجَاجٌ، فَإِنَّ الْحَقَّ قَدْ وَضَحَ وَلَيْسَ لِلْمَحَاجَّةِ مَجَالٌ، وَاللَّهُ تَعَالَى سَيَجْمَعُ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيَقْضِي بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ بِالْحَقِّ فِيمَا كُنَّا نَخْتَلِفُ فِيهِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَإِلَيْهِ الْمَرْجِعُ وَالْمَأْبُ فَيُجَازِي كُلَّ وَاحِدٍ بِعَمَلِهِ إِنْ خَيْرًا فَخَيْرًا، وَإِنْ شَرًّا فَشَرًّا .^{٣٦}

وقال تعالى : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاَنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ } (٨) سورة المائدة .

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَكُنْ هَمُّكُمْ وَدَابُّكُمْ التَّزَامَ الْحَقِّ فِي أَنْفُسِكُمْ (بِدُونِ اعْتِدَاءٍ عَلَىٰ أَحَدٍ)، وَفِي غَيْرِكُمْ (بِالْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ) ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ وَحُدَّةٍ، لَا لِأَجْلِ إِرْضَاءِ النَّاسِ، وَاكْتِسَابِ السُّمْعَةِ الْحَسَنَةِ عِنْدَهُمْ)، وَكُونُوا شُهَدَاءَ بِالْعَدْلِ (الْقِسْطِ)، دُونَ مُحَابَاةٍ لِمَشْهُودٍ لَهُ، وَلَا لِمَشْهُودٍ عَلَيْهِ، فَالْعَدْلُ مِيزَانُ الْحَقُوقِ، وَمَتَى وَقَعَ الْجُورُ فِي أُمَّةٍ، زَالَتِ الثَّقَةُ مِنْ نُفُوسِ النَّاسِ، وَانْتَشَرَتِ الْمَفَاسِدُ، وَتَقَطَّعَتْ رَوَابِطُ الْمُجْتَمَعِ . وَلَا تَحْمِلَنَّكُمْ عِدَاؤُكُمْ الشَّدِيدَةَ لِقَوْمٍ، وَبُغْضَكُمْ لَهُمْ عَلَىٰ عَدَمِ الْعَدْلِ فِي أَمْرِ الشَّهَادَةِ لَهُمْ بِحَقِّهِمْ إِذَا كَانُوا أَصْحَابَ حَقٍّ، أَوْ عَلَىٰ عَدَمِ الْحُكْمِ لَهُمْ بِذَلِكَ، فَالْمُؤْمِنُ يُؤْتِرُ الْعَدْلَ عَلَىٰ الْجُورِ وَالْمُحَابَاةَ . ثُمَّ يُؤَكِّدُ اللَّهُ تَعَالَىٰ أَمْرَهُ السَّابِقَ بِضُرُورَةِ إِقَامَةِ الْعَدْلِ، وَأَدَاءِ الشَّهَادَةِ بِالْقِسْطِ فَيَقُولُ : اعْدِلُوا لِأَنَّ الْعَدْلَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ لِلَّهِ، وَأَبْعَدُ عَنِ سَخَطِهِ، وَاتَّقُوا اللَّهَ سَخَطَ اللَّهِ وَعِقَابَهُ لِأَنَّهُ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ أَعْمَالِكُمْ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا، وَاحْذَرُوا أَنْ يُجَازِيَكُمْ بِالْعَدْلِ عَلَىٰ تَرْكِكُمْ الْقِيَامَ بِالْعَدْلِ .^{٣٧}

وقال تعالى : { وَلَا تَقْرُبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْكِيلِ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا تُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ } (١٥٢) سورة الأنعام

^{٣٦} - أيسر التفاسير لأسعد حومد - (١ / ٤١٦٦)

^{٣٧} - أيسر التفاسير لأسعد حومد - (١ / ٦٧٨)

يَقُولُ تَعَالَى : وَمِمَّا أَوْصَى بِهِ النَّاسَ : أَلَّا يَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ، إِذَا وَلَّوْا أَمْرَهُ، أَوْ تَعَامَلُوا مَعَهُ، إِلَّا بِالطَّرِيقَةِ الْحَسَنَةِ (إِلَّا بِالتِّي هِيَ أَحْسَنُ) الَّتِي تَحْفَظُ مَالَهُ، وَتُثَمِّرُهُ، وَتُرْجِحُ مَصْلَحَتَهُ، وَأَنْ يُنْفِقُوا عَلَيْهِ مِنْ مَالِهِ فِي سَبِيلِ تَرْبِيَّتِهِ وَتَعْلِيمِهِ، وَأَنْ يَسْتَمِرَّ ذَلِكَ حَتَّى يَبْلُغَ الْيَتِيمُ سِنَّ الرُّشْدِ، وَالْقُوَّةِ وَالْقَدْرَةِ عَلَى الْإِدْرَاكِ وَالتَّصَرُّفِ

وَلَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ شَقَّ ذَلِكَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ، فَأَخَذُوا فِي عَزْلِ مَالِ الْيَتِيمِ وَطَعَامِهِ، عَنْ مَالِهِمْ، فَكَانَ طَعَامُ الْيَتِيمِ يَفْسُدُ، لَا يَمَسُّهُ أَحَدٌ مِمَّنْ هُوَ عِنْدَهُمْ . فَشَكَوَا ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ ﷺ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى قَوْلَهُ { وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ . } فَاللَّهُ تَعَالَى يَأْمُرُ النَّاسَ بِمُرَاعَاةِ مَصْلَحَةِ الْيَتِيمِ، وَالْعِنَايَةِ بِمَالِهِ، وَعَدَمِ التَّصَرُّفِ فِيهِ إِلَّا بِالتِّي هِيَ أَحْسَنُ، وَيُحَذِّرُهُمْ تَعَالَى مِنَ التَّجَاوُزِ عَلَى مَالِ الْيَتِيمِ .

وَيَقُولُ تَعَالَى : إِنَّ مِمَّا أَوْصَى بِهِ النَّاسَ أَيْضًا : إِيْفَاءَ الْكَيْلِ وَالْمِيزَانَ عِنْدَ الْبَيْعِ وَالشِّرَاءِ، وَعَدَمَ غَمْطِ النَّاسِ حُقُوقَهُمْ وَاللَّهُ تَعَالَى يَدْعُو الْمُؤْمِنَ أَنْ يَبْلُغَ جُهْدَهُ فِي آدَاءِ ذَلِكَ، فَإِذَا بَلَغَ جُهْدَهُ، وَعَمِلَ مَا فِي وَسْعِهِ، يَكُونُ قَدْ قَامَ بِأَمْرِ اللَّهِ، وَلَا حَرَجَ عَلَيْهِ إِنْ أَخْطَأَ بَعْدَ ذَلِكَ، لِأَنَّ اللَّهَ لَا يُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا، وَقَدَرَ طَاقَتَهَا .

وَيَقُولُ تَعَالَى : إِنَّ مِمَّا وَصَّى بِهِ النَّاسَ أَيْضًا الْعَدْلُ فِي الْقَوْلِ وَالْفِعْلِ لِكُلِّ وَاحِدٍ فِي كُلِّ وَقْتٍ، وَفِي كُلِّ حَالٍ : فِي الشَّهَادَةِ وَفِي الْحُكْمِ وَفِي الْكَيْلِ وَالْمِيزَانِ، وَلَوْ كَانَ الْأَمْرُ يَتَعَلَّقُ بِقَرِيبٍ، فَإِنَّ الْقَرَابَةَ وَالصَّدَاقَةَ يَجِبُ أَلَّا تَصْرِفَا الْإِنْسَانَ عَنْ قَوْلِ الْحَقِّ، وَعَنِ الْعَدْلِ فِيهِ .

كَمَا يَأْمُرُ اللَّهُ تَعَالَى الْمُؤْمِنِينَ بِالْوَفَاءِ بِعَهْدِ اللَّهِ، وَالْقِيَامِ بِطَاعَتِهِ، فِيمَا أَمَرَ وَنَهَى، وَفِيمَا عَاهَدُوا النَّاسَ عَلَيْهِ . وَهَذَا مَا أَوْصَى بِهِ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ، وَأَمَرَهُمْ بِهِ، وَأَكَّدَ عَلَيْهِ .

وَيَقُولُ تَعَالَى : إِذَا اجْتَهَدْتُمْ بِالْوَفَاءِ بِمَا أَمَرَ اللَّهُ، وَتَوَاصَيْتُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنَاهَيْتُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ، فَلَعَلَّكُمْ إِنْ فَعَلْتُمْ ذَلِكَ تَتَّعِظُونَ، وَتَنْتَهُونَ عَمَّا كُنْتُمْ فِيهِ مِنَ الضَّلَالِ .^{٣٨}

فمما سبق يتبين أن القيام بالقسط والعدل بين الناس، شأنه عظيم، ولذلك جاءت الآيات في بيان أمره والتعظيم من شأنه .

^{٣٨} = أيسر التفاسير لأسعد حومد - (١ / ٩٤٢)

ورسولنا ﷺ يضرب أروع الأمثلة في تحقيقه للعدل بين أفراد أمته .

عَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ قُرَيْشًا أَهَمَّهُمْ شَأْنُ الْمَرْأَةِ الْمَخْرُومَةِ الَّتِي سَرَقَتْ، فَقَالَ وَمَنْ يُكَلِّمُ فِيهَا رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - فَقَالُوا وَمَنْ يَجْتَرِئُ عَلَيْهِ إِلَّا أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ، حَبُّ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ -، فَكَلَّمَهُ أُسَامَةُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - « أَتَشْفَعُ فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللَّهِ » . ثُمَّ قَامَ فَاخْتَطَبَ، ثُمَّ قَالَ « إِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ، وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الْحَدَّ، وَإِيمُ اللَّهِ، لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ ابْنَةَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا »^{٣٩} .

وَعَنِ الثُّعْمَانَ بْنِ بَشِيرٍ قَالَ تَصَدَّقَ عَلَيَّ أَبِي بَعْضَ مَالِهِ فَقَالَتْ أُمِّي عَمْرَةَ بِنْتُ رَوَاحَةَ لَا أَرْضَى حَتَّى تُشْهَدَ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - . فَأَنْطَلَقَ أَبِي إِلَى النَّبِيِّ - ﷺ - لِيُشْهَدَهُ عَلَيَّ صَدَقَتِي فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - « أَفَعَلْتَ هَذَا بِوَلَدِكَ كُلِّهِمْ » . قَالَ لَا . قَالَ « أَتَقُوا اللَّهَ وَاعْدِلُوا فِي أَوْلَادِكُمْ » . فَرَجَعَ أَبِي فَرَدَّ تِلْكَ الصَّدَقَةَ^{٤٠} .

وَعَنِ الشَّعْبِيِّ حَدَّثَنِي الثُّعْمَانُ بْنُ بَشِيرٍ أَنَّ أُمَّهُ بِنْتُ رَوَاحَةَ سَأَلَتْ أَبَاهُ بَعْضَ الْمَوْهَبَةِ مِنْ مَالِهِ لِابْنَتِهَا فَالْتَوَى بِهَا سَنَةً ثُمَّ بَدَأَ لَهُ فَقَالَتْ لَا أَرْضَى حَتَّى تُشْهَدَ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - عَلَيَّ مَا وَهَبْتَ لِابْنِي . فَأَخَذَ أَبِي بِيَدِي وَأَنَا يَوْمَئِذٍ غُلَامٌ فَأَتَى رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ أُمَّ هَذَا بِنْتَ رَوَاحَةَ أَعْجَبَهَا أَنْ أُشْهَدَكَ عَلَيَّ الَّذِي وَهَبْتُ لِابْنَتِهَا . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - : « يَا بَشِيرُ أَلَاكَ وَلَدٌ سِوَى هَذَا » . قَالَ نَعَمْ . فَقَالَ : « أَكُلُّهُمْ وَهَبْتَ لَهُ مِثْلَ هَذَا » . قَالَ : لَا . قَالَ : « فَلَا تُشْهَدْنِي إِذَا ، فَإِنِّي لَا أَشْهَدُ عَلَيَّ جَوْرٍ »^{٤١} .

وَعَنْ أَبِي حَرِيرَةَ، أَنَّ عَامِرًا، حَدَّثَهُ أَنَّ الثُّعْمَانَ بْنَ بَشِيرٍ، قَالَ : إِنَّ وَالِدِي بَشِيرَ بْنَ سَعْدٍ، أَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ عَمْرَةَ بِنْتَ رَوَاحَةَ نَفَسَتْ بِعُلَامٍ، وَإِنِّي سَمَّيْتُهُ نُعْمَانَ، وَإِنِّي أَبْتُ أَنْ تُرَبِّيَهُ حَتَّى جَعَلْتُ لَهُ حَدِيقَةً لِي أَفْضَلَ مَالِي هُوَ، وَإِنِّي قَالَتْ : أَشْهَدُ النَّبِيَّ ﷺ عَلَى ذَلِكَ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ : هَلْ لَكَ وَلَدٌ غَيْرُهُ ؟ قَالَ : نَعَمْ، قَالَ : لَا

^{٣٩} - صحيح البخارى - المكثر - (٣٤٧٥) وصحيح مسلم - المكثر - (٤٥٠٥)

^{٤٠} - صحيح مسلم - المكثر - (٤٢٦٧)

^{٤١} - صحيح مسلم - المكثر - (٤٢٦٩)

تُشْهِدُنِي، إِلَّا عَلَى عَدْلٍ، فَإِنِّي لَا أَشْهَدُ عَلَى جَوْرِ.^{٤٢}

والمعلمون، يتعرضون لمواقف كثيرة من قبل طلابهم، سواء في توزيع المهام والواجبات إن كانت هناك أعمال تحتاج إلى مشاركات جماعية أو تفضيل بعضهم دون بعض ونحو ذلك . ويتأكد العدل عند وضع العلامات ورصد الدرجات، فلا مجال لمحاباة أحد، أو تفضيل أحد على أحد سواء لقرابته أو معرفته أو لأي أمر كان، فإن هذا من الظلم الذي لا يرضاه الله وصاحبه متوعد بالعقوبة .

إنَّ اختلال هذا الميزان عند المعلم، أي وجود التمييز بين الطلاب، كفيل بان يخلق التوتر وعدم الانسجام والعداوة والبغضاء بين الطلاب، وكفيل بأن يجعل هناك هوة واسعة بين المعلم وطلابه الآخرين الذين بين طلابه لكي يشيع الإحساء والمحبة بينهم .

أيها المعلم : إن كانت لك علاقة قربي أو صداقة مع أحد طلابك، فلتكن بعيدة عن مسمع ومرأى الطلاب الآخرين .

عَنِ الْحَسَنِ، قَالَ : إِذَا لَمْ يَعْدِلِ الْمُعَلِّمُ بَيْنَ الصَّبِيَّانِ كُتِبَ مِنَ الظُّلْمَةِ^{٤٣}

^{٤٢} - صحيح ابن حبان - (١١ / ٥٠٧) (٥١٠٧) صحيح

قَالَ أَبُو حَاتِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : تَبَايُنُ الْأَلْفَاظِ فِي قِصَّةِ النَّحْلِ الَّذِي ذَكَرْتَاهُ قَدْ يُوهِمُ عَالِمًا مِنَ النَّاسِ أَنَّ الْخَيْرَ فِيهِ تَضَادٌّ وَتَهَاتُرٌ ، وَلَيْسَ كَذَلِكَ ، لِأَنَّ النَّحْلَ مِنْ بَشِيرٍ لِأَنَّهُ كَانَ فِي مَوْضِعَيْنِ مُتَبَايِنَيْنِ ، وَذَلِكَ أَنَّ أَوَّلَ مَا وُلِدَ النَّعْمَانُ أُمْتُ عَمْرَةَ أَنَّ تَرْبِيَةَ حَتَّى يَجْعَلَ لَهُ بَشِيرًا حَدِيقَةً ، فَفَعَلَ ذَلِكَ ، وَأَرَادَ الْإِشْهَادَ عَلَى ذَلِكَ ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : لَا تُشْهِدُنِي إِلَّا عَلَى عَدْلٍ ، فَإِنِّي لَا أَشْهَدُ عَلَى جَوْرِ ، عَلَى مَا فِي خَبَرِ أَبِي حَرِيرٍ ، نُصِّرُ هَذِهِ اللَّفْظَةَ ، أَنَّ الْحَيْفَ فِي النَّحْلِ بَيْنَ الْأَوْلَادِ غَيْرُ جَائِزٍ ، فَلَمَّا أَتَى عَلَى الصَّبِيِّ مُدَّةً ، قَالَتْ عَمْرَةُ لِبَشِيرٍ : انْحَلِّ ابْنِي هَذَا فَالْتَوَى عَلَيْهِ سَنَةً أَوْ سَتَيْنِ عَلَى مَا فِي خَبَرِ أَبِي حَيَّانَ التَّمِيمِيِّ ، وَالْمَعْرِوَةَ ، عَنِ الشَّعْبِيِّ ، فَنَحَلَهُ غُلَامًا ، فَلَمَّا جَاءَ الْمُصْطَفَى ﷺ ، لِيُشْهِدَهُ ، قَالَ : لَا تُشْهِدُنِي عَلَى جَوْرِ ، وَيُشْبِهُهُ أَنْ يَكُونَ النَّعْمَانُ ، قَدْ نَسِيَ الْحُكْمَ الْأَوَّلَ ، أَوْ تَوَهَّمَ أَنَّهُ قَدْ نُسِخَ ، وَقَوْلُهُ ﷺ : لَا تُشْهِدُنِي عَلَى جَوْرِ ، فِي الْكِرَّةِ الثَّانِيَةِ زِيَادَةٌ تَأْكِيدٌ فِي نَفْيِ حَوَازِهِ ، وَالِدَّلِيلُ عَلَى أَنَّ النَّحْلَ فِي الْغُلَامِ لِلنَّعْمَانِ كَانَ ذَلِكَ ، وَالنَّعْمَانُ مُتَرَعَّرِعٌ ، أَنَّ فِي خَبَرِ عَاصِمٍ عَنِ الشَّعْبِيِّ ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لَهُ : مَا هَذَا الْغُلَامُ ؟ قَالَ : غُلَامٌ أَعْطَانِيهِ أَبِي ، فَذَلِكَ هَذِهِ اللَّفْظَةُ ، عَلَى أَنَّ هَذَا النَّحْلَ غَيْرُ النَّحْلِ الَّذِي فِي خَبَرِ أَبِي حَرِيرٍ ، فِي الْحَدِيقَةِ ، لِأَنَّ ذَلِكَ عِنْدَ امْتِنَاعِ عَمْرَةَ ، عَنْ تَرْبِيَةِ النَّعْمَانِ عِنْدَمَا وُلِدَتْهُ ، ضِدَّ قَوْلِ مَنْ زَعَمَ ، أَنَّ أَخْبَارَ الْمُصْطَفَى ﷺ ، تَتَضَادُّ ، وَتَهَاتُرُ ، وَأَبُو حَرِيرٍ ، كَانَ قَاضِيًا سَجِسْتَانَ .

^{٤٣} - التَّفَقُّهُ عَلَى الْعِيَالِ لِابْنِ أَبِي الدُّنْيَا (٣٥١) وَتَفْسِيرُ سُنَنِ سَعِيدِ بْنِ مَنْصُورٍ (١٠٦) حسن

الخلاصة :

- (١) عظم شأن العدل، حيث أمر الله به وأوجهه مع القريب والبعيد، ومع العدو أيضاً
- (٢) أهمية تحقيق العدل والمساواة بين الطلاب، لما فيه من إشاعة المحبة والمودة بينهم .
- (٣) يتأكد العدل ويتعين، عند وضع العلامات ورصد الدرجات
- (٤) الحرص على إبقاء علاقات القرابة أو الصداقة، بعيدة عن مسمع ومرأى الطلاب الآخرين .

[٥] التحلي بالأخلاق الفاضلة والحميدة :

لا شك أن الكلمة الطيبة والعبارة الحسنة تفعل أثرها في النفوس، وتؤلف القلوب، وتذهب الضغائن والأحقاد من الصدور، وكذلك التعبيرات التي تظهر على وجه المعلم تحدث مردوداً إيجابياً أو سلبياً لدى الطالب، وذلك لأن انبساط الوجه وطلاقة مما تأنس به النفس وترتاح إليه . وأما عبوس الوجه وتقطيب الحاجبين فهو مما تنفر منه النفس وتكره .

والرسول ﷺ كان أطيب الناس روحاً ونفساً، وكان أعظمهم خلقاً { وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ } (٤) سورة القلم، ولم يكن فظاً غليظاً حاد الطباع بل كان سهلاً سمحاً ليناً رءوفاً بأمته { لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ } (١٢٨) سورة التوبة.

يَمْتَنُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى الْمُؤْمِنِينَ بِأَنْ أَرْسَلَ إِلَيْهِمْ رَسُولًا مِنْ جَنْسِهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَقَوْمَهُمْ (مِنْ أَنْفُسِهِمْ)، يَعَزُّ عَلَيْهِ وَيَصْعَبُ الشَّيْءُ الَّذِي يَشْقُ عَلَيْهِمْ، وَيَزِيدُهُمْ عَنَتًا، وَشَرِيْعَتُهُ كُلُّهَا يُسْرٌ وَسَمَاحَةٌ وَكَمَالٌ، عَلَى مَنْ أَرَادَهَا يُسْرًا وَسَمَاحَةً، وَهُوَ حَرِيصٌ عَلَى هِدَايَتِهِمْ وَصَلَاحِ حَالِهِمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَهُوَ شَدِيدُ الرَّأْفَةِ وَالرَّحْمَةِ بِالْمُؤْمِنِينَ .^{٤٤}

وقال تعالى : { فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ

^{٤٤} - أيسر التفاسير لأسعد حومد - (١ / ١٣٦٤)

حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ } (سورة آل عمران ١٥٩)

لَقَدْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِكَ مَا يَسْتَحِقُّ الْمَلَأَةَ وَالتَّعْنِيفَ، بِمُقْتَضَى الطَّبِيعَةِ الْبَشَرِيَّةِ، إِذْ تَخَلَّلُوا عَنْكَ حِينَ اشْتَدَّادِ الْحَرْبِ، وَشَمَّرُوا لِلْهَزِيمَةِ وَالْحَرْبِ قَائِمَةً، وَمَعَ ذَلِكَ لَنْتَ لَهُمْ، وَعَامَلْتَهُمْ بِالْحُسْنَى، لِرَحْمَةِ أَوْدَعَهَا اللَّهُ فِي قَلْبِكَ، وَخَصَّكَ بِهَا . وَقَدْ مَدَحَ اللَّهُ تَعَالَى رَسُولَهُ ﷺ بِحُسْنِ الْخُلُقِ فِي أَكْثَرِ مِنْ مَوْضِعٍ مِنْ كِتَابِهِ الْعَزِيزِ . ثُمَّ قَالَ لَوْ كُنْتَ خَشِنًا جَافِيًا فِي مُعَامَلَتِهِمْ لَتَفَرَّقُوا عَنْكَ، وَلَتَفَرُّوا مِنْكَ، وَلَمْ يَسْكُنُوا إِلَيْكَ، وَلَكِنَّ اللَّهَ جَمَعَهُمْ عَلَيْكَ، وَأَلَانَ جَانِبَكَ لَهُمْ تَأَلَّفًا لِقُلُوبِهِمْ . ثُمَّ أَمَرَ اللَّهُ رَسُولَهُ ﷺ بِأَنْ يَتَجَاوَزَ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ وَهَفَوَاتِهِمْ، وَأَنْ يَسْتَغْفِرَ لَهُمْ اللَّهُ، وَأَنْ يُشَاوِرَهُمْ فِي الْأَمْرِ تَطْيِيبًا لِقُلُوبِهِمْ، وَشَحْذًا لِهَمَمِهِمْ ثُمَّ يَقُولُ تَعَالَى لِرَسُولِهِ . فَإِذَا شَاوَرْتَهُمْ فِي الْأَمْرِ، وَعَزَمْتَ عَلَىٰ إِنْفَازِهِ، فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فِيهِ، لِأَنَّ اللَّهَ يُحِبُّ مَنْ يَتَوَكَّلُ عَلَيْهِ، وَيَتَّقُ بِنَصْرِهِ .^{٤٥}

وَعَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ قَالَ لَقِيْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قُلْتُ أَخْبِرْنِي عَنْ صِفَةِ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - فِي التَّوْرَةِ . قَالَ أَجَلٌ، وَاللَّهُ إِنَّهُ لَمَوْصُوفٌ فِي التَّوْرَةِ بِبَعْضِ صِفَتِهِ فِي الْقُرْآنِ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا، وَحَرِزًا لِلأُمِّيِّينَ، أَنْتَ عَبْدِي وَرَسُولِي سَمِيْتُكَ الْمُتَوَكَّلُ، لَيْسَ بِفِظٌ وَلَا غَلِيظٌ وَلَا سَخَّابٌ فِي الْأَسْوَاقِ، وَلَا يَدْفَعُ بِالسَّيِّئَةِ السَّيِّئَةَ وَلَكِنْ يَغْفُو وَيَغْفُرُ، وَلَنْ يَقْبِضَهُ اللَّهُ حَتَّىٰ يُقِيمَ بِهِ الْمِلَّةَ الْعَوَجَاءَ بِأَنْ يَقُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ . وَيَفْتَحُ بِهَا أَعْيُنًا عُمِيًّا، وَأَذَانًا صُمًّا، وَقُلُوبًا غُلْفًا .^{٤٦}

تلکم كانت بعض صفات النبي ﷺ، خلق عظیم، وبالْمؤمنين رءوف رحيم، ليس بفظ ولا غليظ القلب ... إلخ وتلك صفات كانت من لوازم الدعوة إذ أن المدعويين يحتاجون إلى من يرفق بهم ويعلمهم أمور دينهم، ففيهم الجاهل وفيهم الصغير وفيهم الكبير، وكل أولئك يلزمهم رفق، وخلق، وحلم، وأناة، ولطف، وحسن تصرف وإلا انفضوا وغضبوا ولم يتبعوا

^{٤٥} - أيسر التفاسير لأسعد حومد - (١ / ٤٥٢)

^{٤٦} - صحيح البخارى - المكثر - (٢١٢٥) - الحرز : الحصن - سخاب : صيَّاح

الهدى من جاء به . ولقد ضرب رسولنا الكريم - بأبي هو وأمي - ﷺ - أروع الأمثلة في حسن الخلق، كيف لا وربنا عز وجل هو الذي امتدحه بذلك {وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ} (٤) سورة القلم وعن أبي الدرداء، رضي الله عنه، قال: سألت عائشة رضي الله عنها، عن خلق رسول الله ﷺ، فقالت: " كان خلقه القرآن: يرضى لرضاه، ويسخط لسخطه ٤٧" .

وعن أنس بن مالك قال كنت أمشي مع رسول الله - ﷺ - وعليه بردٌ نجراني غليظ الحاشية، فادركه أعرابي فجذبه بردائه جذدة شديدة، حتى نظرت إلى صفحة عاتق رسول الله - ﷺ - قد أثرت بها حاشية البرد من شدة جذته، ثم قال يا محمد مر لي من مال الله الذي عندك . فالتفت إليه رسول الله - ﷺ - ثم ضحك ثم أمر له بعطاء .^{٤٨}

ما أعظم ذلك الخلق الرفيع الذي امتاز به النبي ﷺ، كان في مقدوره أن يؤدب ذلك الأعرابي على صنيعه، ولكن لم تكن تلك من شيم ولا أخلاق المعلم الأول ﷺ، كيف يفعل ذلك وهو الذي قال : « مَنْ كَظَمَ غَيْظًا وَهُوَ يَقْدِرُ عَلَى أَنْ يُنْفِذَهُ دَعَاهُ اللَّهُ عَلَى رُءُوسِ الْخَلَائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُخَيَّرَهُ فِي أَيِّ الْحُورِ شَاءَ »^{٤٩} .

وعن عبد الجليل الفلستيني، عن عمه، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: " مَنْ كَظَمَ غَيْظًا، وَهُوَ يَقْدِرُ عَلَى نَفَاذِهِ، مَلَأَهُ اللَّهُ أَمْنًا وَإِيمَانًا.."^{٥٠}

والمربون والمعلمون حري بهم أن يتربصوا خطى المعلم الأول ﷺ، في التحلي بالأخلاق الفاضلة والأدب الرفيع، وهي من أنجع الوسائل في التعليم والتربية، حيث إن الطالب في الغالب يتأثر ويتخلق بأخلاق معلمه ويتقبل منه أكثر من غيره، فإذا كان المعلم يتحلى بأخلاق حميدة أثر ذلك على طلابه إيجاباً، وعملت في نفوسهم ما لم تعمله عشرات النصائح والدروس، ومن هنا نفهم سر قوله ﷺ « مَا مِنْ شَيْءٍ يُوضَعُ فِي الْمِيزَانِ أَنْقَلُ مِنْ

^{٤٧} - شرح مشكل الآثار - (١١ / ٢٦٥) (٤٤٣٤) صحيح

^{٤٨} - صحيح البخارى - المكثر - (٥٨٠٩) وصحيح مسلم - المكثر - (٢٤٧٦) - جذب

^{٤٩} - المعجم الكبير للطبراني - (١٥ / ١١٧) (١٦٨١٨) وسنن الترمذى - المكثر - (٢٦٨١) حسن

^{٥٠} - معرفة الصحابة لأبي نعيم - (٦ / ٣٠٨٦) (٧١٢٩) حسن

حُسْنِ الْخُلُقِ وَإِنَّ صَاحِبَ حُسْنِ الْخُلُقِ لَيَبْلُغُ بِهِ دَرَجَةَ صَاحِبِ الصَّوْمِ وَالصَّلَاةِ «^{٥١}.
وَعَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " إِنَّ الرَّجُلَ لَيُدْرِكُ بِحُسْنِ خُلُقِهِ دَرَجَاتٍ قَائِمِ
اللَّيْلِ صَائِمِ النَّهَارِ " ^{٥٢}

لأن حسن الخلق سجية تعمل عمل السحر في أسر القلوب، واستمالة النفوس، وإشاعة المحبة
بين أفراد المجتمع . والمعلمون هم أولى الناس بذلك ! .

الخلاصة :

- (١) الأخلاق صفة حميدة ينبغي للمعلم أن يتحلى بها، ويحث طلابه على التحلق بها .
- (٢) الكلمة الطيبة، والبشاشة وطلاقة الوجه، من الأسباب التي تزيل الحاجز النفسي بين
المعلم وتلميذه .
- (٣) الحلم والأناة، وانسراح صدر المربي، في مقابل جهل الطالب .

[٦] تواضع المعلم :

التواضع خلق حميد، يضيف على صاحبة إجلالاً ومهابة، ومن ظن أن التواضع خلق مردول
ينبغي تجنبه وترك التحلق به فقد أخطأ وأبعد النجعة، وحسبك بإمام الأتقياء مثلاً - ﷺ -
والتواضع وإن كان من لوازمه الذل، فهو إن كان في جانب الله فما ألدّه من ذلّ وما
أطيبه، لأن العبودية لا تتحقق ولا تكمل إلا بالذل لله والانكسار بين يديه، وأما الذل الذي
يكون في جانب المخلوقين فهو في حق المؤمنين خاصة، قال تعالى : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا
مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ
عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ
يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ } (٥٤) سورة المائدة

^{٥١} - سنن الترمذى - المكثر - (٢١٣٤) حسن

^{٥٢} - شعب الإيمان - (١٠ / ٣٦٥) (٧٦٣٣) حسن

يُخْبِرُ اللَّهُ تَعَالَى عَنْ عَظِيمِ قُدْرَتِهِ وَيَقُولُ إِنَّ الَّذِينَ يَرْتَدُّونَ عَنْ دِينِهِمْ مِنَ الْإِيمَانِ إِلَى الْكُفْرِ، وَيَتَوَلَّوْنَ عَنْ نُصْرَةِ دِينِهِ، وَإِقَامَةِ شَرِيْعَتِهِ، فَإِنَّ اللَّهَ سَيَسْتَبْدِلُ بِهِمْ مَنْ هُمْ خَيْرٌ مِنْهُمْ، وَأَشَدُّ مَنَعَةً، وَأَقْوَمُ سَبِيلًا، يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ، يَتَّصِفُونَ بِصِفَاتِ الْمُؤْمِنِينَ وَهِيَ: الْعِزَّةُ عَلَى الْكَافِرِينَ، وَالرَّحْمَةُ وَالتَّوَّاضُعُ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ، يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَلَا يَرُدُّهُمْ رَادٌّ عَنْ إِذَاعَةِ أَمْرِ اللَّهِ، وَإِقَامَةِ حُدُودِهِ، وَقِتَالِ أَعْدَائِهِ، يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ، وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ. وَمَنْ اتَّصَفَ بِهَذِهِ الصِّفَاتِ كَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْهِ كَبِيرًا، وَاللَّهُ وَاسِعُ الْفَضْلِ، عَلِيمٌ بِمَنْ يَسْتَحِقُّ ذَلِكَ فَيُعْطِيهِ، مِمَّنْ لَا يَسْتَحِقُّهُ فَيَحْرِمُهُ إِيَّاهُ. ٥٣.

وقال السعدي: " ومن صفاتهم أنهم { أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين } فهم للمؤمنين أذلة من محبتهم لهم، ونصحهم لهم، ولينهم ورفقهم ورأفتهم، ورحمتهم بهم وسهولة جانبهم، وقرب الشيء الذي يطلب منهم وعلى الكافرين بالله، المعاندين لآياته، المكذبين لرسله - أعزة، قد اجتمعت همهم وعزائهم على معاداتهم، وبذلوا جهدهم في كل سبب يحصل به الانتصار عليهم، قال تعالى: { وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ } وقال تعالى: { أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ } فالغلظة والشدة على أعداء الله مما يقرب العبد إلى الله، ويوافق العبد ربه في سخطه عليهم، ولا تمنع الغلظة عليهم والشدة دعوتهم إلى الدين الإسلامي بالتي هي أحسن. فتجتمع الغلظة عليهم، واللين في دعوتهم، وكلا الأمرين من مصلحتهم ونفعه عائد إليهم. ٥٤

ويقال في اللغة: " ذليل لفلان " فلماذا - إذا - يقول الحق هنا: { أذلة على المؤمنين }، و" على " تفيد العلو. والذلة تفيد المكانة المنخفضة، فكيف يأتي هذا التعبير؟ لقد جاء هذا القول على هذا الشكل لحكمة هي: أن المؤمن ما دام يحب الله ويحبه الله. وساعة يكون في ذلة لأخيه المؤمن فهذا يرفع من قدره. وهي ليست ذلة بالمعنى المتعارف عليه، ولكنه لين جانب وعطف ورحمة. إذن فقوله الحق: { أذلة على المؤمنين } يعني أن

٥٣ - أيسر التفاسير لأسعد حومد - (١ / ٧٢٤)

٥٤ - تفسير السعدي - (١ / ٢٣٥)

المؤمنين يعطفون على غيرهم من المؤمنين حتى يبدو هذا العطف وكأنه ذلة. وبعض العلماء يقول: إن المادة " ذال " و " لام " تدل على معنيين متقابلين، مثال ذلك قوله الحق: { وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ } [يس: ٧٢]

أي جعلناها خاضعة لتصرفهم. وهذا التذليل ليس بقهر من الإنسان للأنعام ولكنه بتسخير من الله. وهي ميسرة لخدمة الإنسان. ومثال آخر. قوله الحق: { فَاسْأَلْكَ سُبُلَ رَبِّكَ ذُلًّا } [النحل: ٦٩]

أي متطامنة مهياً. إذن فهذه ذلة اللين. وهناك " ذل " - بضم الذال - وهو ضد العز. وهناك " ذل " - بكسر الذال - وهو اللين. إذن فالذل بكسر الذال هو ضد الصعوبة؛ أي اللين. والذل - بضم الذال - هو ضد العز -، فإذا أردنا ذلة اللين؛ فذل المؤمن للمؤمن من الذل، وإن أردنا الذلة التي هي ضد العز، فهي من الذل. وعندما يكون المؤمن على ذلة للمؤمن. فهي ذلة اللين والعطف. وعندما يريد الحق الشيء ليتداني للمؤمن ولا يتعبه، فهو يقول: { قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ } [الحاقة: ٢٣]

وفي آية أخرى يقول سبحانه: { وَذَلَّلْتَ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا } [الإنسان: ١٤]

أي ذللت عناقيدها. فالفاكهة تنزل إلى المكان الذي يوجد فيه المؤمن. وإن وقف المؤمن لطال بيده أن يقطف الثمار. وإن اضطجع لاستطاع أن ينال أيضاً من الثمار لأنها تتدانى له. وإن نام المؤمن لتدانى قطاف الثمار إلى مكانه وبذلك يستطيع أن يأكل منها في أي وقت وعلى أي وضع.

وهنا يأتي الحق بالقول الحكيم: { أَذَلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ } أي أن ذلة المؤمن لأخيه المؤمن ترفع منزلته. وبها يكون المؤمن أهلاً لأن ترفع منزلته؛ لأنه مصطفى بأن الله يحبه وأنه يحب الله، ولا توجد رفعة أكثر من هذه رفعة. وَعَنْ أَوْسِ بْنِ خَوْلِيٍّ أَنَّهُ دَخَلَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: " يَا أَوْسُ، مَنْ تَوَاضَعَ لِلَّهِ رَفَعَهُ اللَّهُ، وَمَنْ تَكَبَّرَ وَضَعَهُ اللَّهُ " °° أي من تواضع

°° - معرفة الصحابة لأبي نعيم - (١ / ٣٠٢) (٩٧٧) حسن

وفي باله الله فإن الله يرفعه.^{٥٦}

والمعلم في أمس الحاجة إلى التخلق بهذا الخلق العظيم، لما فيه من تحقيق الاقتداء بسيد المرسلين، ولما فيه من نفع عظيم للمتعلمين .

وإذا كان الإنسان المسلم يحتاج إلى التواضع للنجاح في علاقته مع الله ثم مع المجتمع فإن حاجة المعلم إلى التواضع أشد وأقوى، لأن عمله العلمي والتعليمي والتوجيهي يقتضي الاتصال بالمتعلمين والقرب منهم حتى لا يجدوا حرجاً في سؤاله ومناقشته والبوب له بما في نفوسهم، لأن النفوس لا تستريح لمتكبر أو متجبر أو مغتر بعمله.^{٥٧}

وإليك بعض الأمثلة من تواضعه ﷺ :

فَعَنْ عِيَّاضِ بْنِ حِمَارٍ أَخِي بَنِي مُجَاشِعٍ قَالَ قَامَ فِينَا رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - ذَاتَ يَوْمٍ خَطِيبًا فَقَالَ « إِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي ». وَسَاقَ الْحَدِيثَ بِمِثْلِ حَدِيثِ هِشَامٍ عَنْ قَتَادَةَ وَزَادَ فِيهِ « وَإِنَّ اللَّهَ أَوْحَى إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا حَتَّى لَا يَفْخَرَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ وَلَا يَبْغِيَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ ». ^{٥٨}

وعن أنس بن مالك قال : كَانَتْ الْأُمَّةُ مِنْ إِمَاءِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ لَتَأْخُذُ بِيَدِ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - فَتَنْطَلِقُ بِهِ حَيْثُ شَاءَتْ . ^{٥٩}

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَنِ النَّبِيِّ - ﷺ - قَالَ « مَا بَعَثَ اللَّهُ نَبِيًّا إِلَّا رَعَى الْغَنَمَ ». فَقَالَ أَصْحَابُهُ وَأَنْتَ فَقَالَ « نَعَمْ كُنْتُ أُرْعَاهَا عَلَى قَرَارِيطَ لِأَهْلِ مَكَّةَ » . ^{٦٠}

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ : لَوْ دُعِيتُ إِلَى كُرَاعٍ، أَوْ ذِرَاعٍ، لِأَجِبْتُ، وَلَوْ أُهْدِي إِلَيَّ ذِرَاعٌ، لَقَبِلْتُ.

^{٥٦} - تفسير الشعراوي - (/ ٧١٦)

^{٥٧} - إعداد المعلم . د / عبد الله عبد الحميد محمود . ص ١٨١ .

^{٥٨} - صحيح مسلم - المكثر - (٧٣٨٩)

^{٥٩} - صحيح البخاري - المكثر - (٦٠٧٢)

^{٦٠} - صحيح البخاري - المكثر - (٢٢٦٢) - القرائط : جمع قيراط وهو من أجزاء الدينار

قَالَ : وَمَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَابَ طَعَامًا قَطُّ، إِنْ اشْتَهَاهُ أَكَلَهُ، وَإِلَّا تَرَكَهُ. ^{٦١}

وَعَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ : أَتَى النَّبِيَّ ﷺ بِرَجُلٍ تَرَعَدُ فَرَائِصُهُ، قَالَ : فَقَالَ لَهُ : هَوْنٌ عَلَيْكَ، فَإِنَّمَا أَنَا ابْنُ امْرَأَةٍ مِنْ قُرَيْشٍ كَانَتْ تَأْكُلُ الْقَدِيدَ فِي هَذِهِ الْبَطْحَاءِ، قَالَ : ثُمَّ تَلَا جَرِيرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْبَحْلِيُّ : وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ فَذَكَرَ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ ^{٦٢}

وَعَنْ أَبِي مَسْعُودٍ، أَنَّ رَجُلًا كَلَّمَ النَّبِيَّ ﷺ يَوْمَ الْفَتْحِ، فَأَخَذَتْهُ الرَّعْدَةُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : هَوْنٌ عَلَيْكَ فَإِنَّمَا أَنَا ابْنُ امْرَأَةٍ مِنْ قُرَيْشٍ كَانَتْ تَأْكُلُ الْقَدِيدَ ^{٦٣}

ويبلغ التواضع ذروته عند فتح مكة :

عَنْ أَنَسٍ، قَالَ : لَمَّا دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَكَّةَ اسْتَشْرَفَهُ النَّاسُ، فَوَضَعَ رَأْسَهُ عَلَى رَحْلِهِ تَخَشُّعًا ^{٦٤} ، وَقَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : فَحَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَمَّا انْتَهَى إِلَى ذِي طُوًى وَقَفَ عَلَى رَاحِلَتِهِ مُعْتَجِرًا بِشِقَّةٍ يُرَدُّ حَبْرَةَ حَمْرَاءَ، وَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لِيَضَعُ رَأْسَهُ تَوَاضِعًا لِلَّهِ حِينَ رَأَى مَا أَكْرَمَهُ اللَّهُ بِهِ مِنَ الْفَتْحِ حَتَّى إِنَّ عُثْمُونَ لِيَكَادُ يَمَسُّ وَاسِطَةَ الرَّحْلِ. ^{٦٥}

أرأيتم تواضعا أعظم من ذلك ؟ قائد يظفر بخصومه الذين أخرجوه من بلده، وقتلوه، وسبوه... ثم يظفر بهم ويدخل معقلهم دخول الفاتحين، ومع ذلك يطأطئ رأسه عند انتصاره على عدوه تواضعا لله وشكرا فما أعظمه من قائد، وما أجله من مرب!!

والتواضع يضاد التكبر، وهي خصلة ذميمة لا تعود على صاحبها بالنفع .

^{٦١} - مسند أحمد (عالم الكتب) - (٣ / ٦٦١) (١٠٢١٢) (١٠٢١٥ - ١٠٢١٦) - صحيح - الكراع : مستدق الساق

من الغنم والبقر العارى من اللحم

^{٦٢} - المستدرك للحاكم (٣٧٣٣) صحيح

^{٦٣} - المستدرك للحاكم (٤٣٦٦) صحيح

^{٦٤} - مسند أبي يعلى الموصلي (٣٣٩٣) فيه ضعف

^{٦٥} - سيرة ابن هشام - (٢ / ٤٠٥) صحيح مرسل

ومن آثار التكبر الذي يصيب بعض المعلمين في المجتمعات الإسلامية :

أ- جحوده للحق وعدم الخضوع له .

ب- الغرور بما لديه من علم مع أنه قليل .

ج- ترك طلب العلم لظنه أنه قد علم وفهم كل شيء .

ثم إن المعلم المتكبر لا يستطيع أن يصل إلى أهداف التعليم، ولا يمكنه تكبره من أن يعرف ما تحقق منها لأنه بعيد عن مخالطة طلابه، والدنو منهم حتى يستطيع أن يعرف مشكلاتهم وما يعوق بلوغهم الأهداف التربوية المرسومة ، وما يحتاجه من مراجعة للطريقة وترتيب المعلومات وتبسيطها وما إلى ذلك . كما أن الطلاب لا يرتاحون إلى المعلم المتكبر المتغترس فلا يصدقونه مشاعرهم وأحاسيسهم وما يواجهونه من صعوبات، مما يجعل الفائدة التي يحصلون عليها من مثل هذا المعلم قليلة جداً .^{٦٦}

الخلاصة :

- (١) أثر التواضع ليس قصراً على المعلم، بل يتعداه إلى الطلاب، ويؤثر فيهم إيجاباً
- (٢) التواضع سبب في إزالة الحواجز بين المعلم وتلميذه .
- (٣) التكبر سبب لنفور الطلاب من معلمهم، والإعراض عن تلقي العلم منه .
- (٤) بمقدار ما يكون الطالب قريباً من معلمه، يتحصل الطالب على العلم بشكل أفضل، والتواضع يحققه .

[٧] شجاعة المعلم :

٦٦ -

&sub_id=١٠٨.asp?lang=ar&parent_id=٢http://www.rasoulallah.net/subject

١١٦٤

قد يستغرب الكثيرون هذا العنوان، وقد يقول قائل : ما دخل الشجاعة بالتعليم، فضلاً عن المعلم !

نقول : الشجاعة التي نرمي إليها، هي الشجاعة الأدبية كما يحلو للكثيرين أن يسميها بهذا الاسم، ولا مشاحة في الاصطلاح، فأما الشجاعة التي يذهب الذهن إليها عندما نسمع هذه الكلمة لأول وهلة، فلقد كان نبيكم صلوات الله وسلامه عليه، أشجع الناس، فعَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ : كُنَّا إِذَا احْمَرَ الْبَأْسُ، وَلَقِيَ الْقَوْمَ الْقَوْمَ، اتَّقَيْنَا بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَمَا يَكُونُ مِنَّا أَحَدٌ أَدْنَىٰ مِنْ الْقَوْمِ مِنْهُ. ^{٦٧}

وأما الشجاعة المقصودة هنا، فهي شجاعة الكلمة، والاعتراف بالخطأ والقصور البشري، وهذا لا يكاد يسلم منه أحد.

أما التدليس، والجبين، والمراوغة فليست أمراً محموداً، ويحسن بالمعلم أن ينأى عنه . ولعل الصورة تتضح بعد تأمل الأمثلة التالية :

عن رَافِعِ بْنِ خَدِيجٍ قَالَ: قَدِمَ نَبِيُّ اللَّهِ - ﷺ - الْمَدِينَةَ وَهُمْ يَأْبُرُونَ النَّخْلَ يَقُولُونَ يُلْقَحُونَ النَّخْلَ فَقَالَ « مَا تَصْنَعُونَ ». قَالُوا كُنَّا نَصْنَعُهُ قَالَ « لَعَلَّكُمْ لَوْ لَمْ تَفْعَلُوا كَانُوا خَيْرًا ». فَتَرَكَوهُ فَنَفَضَتْ أَوْ فَتَقَصَّتْ - قَالَ - فَذَكَرُوا ذَلِكَ لَهُ فَقَالَ « إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ إِذَا أَمَرْتُكُمْ بِشَيْءٍ مِنْ دِينِكُمْ فَخُذُوا بِهِ وَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِشَيْءٍ مِنْ رَأْيٍ فَإِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ ». ^{٦٨}

من سياق الحديث يتضح لنا بشرية النبي ﷺ، وأنه يخضع للأحوال التي تعترى البشر من النسيان والخطأ وغير ذلك . أما في مقام التشريع فلا يجوز عليه ذلك، نعم قد يحصل منه نسياناً في مقام التشريع لكي يشرع للأمة، كما سلم من ركعتين في صلاة رباعية، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - إِحْدَى صَلَاتِي الْعَشِيِّ - قَالَ ابْنُ سِيرِينَ سَمَّاهَا أَبُو هُرَيْرَةَ وَلَكِنْ نَسِيتُ أَنَا - قَالَ فَصَلَّى بِنَا رَكَعَتَيْنِ ثُمَّ سَلَّمَ، فَقَامَ إِلَى خَشْبَةِ مَعْرُوضَةٍ فِي الْمَسْجِدِ فَاتَّكَأَ عَلَيْهَا، كَأَنَّهُ غَضَبَانُ، وَوَضَعَ يَدَهُ الْيُمْنَى عَلَى

^{٦٧} - مسند أحمد (عالم الكتب) - (١ / ٤٣١) (١٣٤٧) صحيح

^{٦٨} - صحيح مسلم - المكثر - (٦٢٧٦) - يأبر : يلحق - نفضت : أسقطت ثمرها

الْيُسْرَى، وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ، وَوَضَعَ خَدَّهُ الْأَيْمَنَ عَلَى ظَهْرِ كَفِّهِ الْيُسْرَى، وَخَرَجَتْ السَّرْعَانُ مِنْ أَبْوَابِ الْمَسْجِدِ فَقَالُوا قَصُرَتِ الصَّلَاةُ . وَفِي الْقَوْمِ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ، فَهَابَا أَنْ يُكَلِّمَاهُ، وَفِي الْقَوْمِ رَجُلٌ فِي يَدَيْهِ طُولٌ يُقَالُ لَهُ ذُو الْيَدَيْنِ قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، أُنْسِيَتْ أَمْ قَصُرَتِ الصَّلَاةُ قَالَ « لَمْ أُنْسَ، وَلَمْ تُقْصِرْ » . فَقَالَ « أَكَمَا يَقُولُ ذُو الْيَدَيْنِ » . فَقَالُوا نَعَمْ . فَتَقَدَّمَ فَصَلَّى مَا تَرَكَ، ثُمَّ سَلَّمَ، ثُمَّ كَبَّرَ وَسَجَدَ مِثْلَ سُجُودِهِ أَوْ أَطْوَلَ، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ وَكَبَّرَ، ثُمَّ كَبَّرَ وَسَجَدَ مِثْلَ سُجُودِهِ أَوْ أَطْوَلَ، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ وَكَبَّرَ . فَرَبَّمَا سَأَلُوهُ ثُمَّ سَلَّمَ فَيَقُولُ بُنْتُ أَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ قَالَ ثُمَّ سَلَّمَ .^{٦٩}

قال النووي عن حديث تأبير النخل: قَالَ الْعُلَمَاءُ : وَلَمْ يَكُنْ هَذَا الْقَوْلُ خَيْرًا، وَإِنَّمَا كَانَ ظَنًّا كَمَا بَيَّنَّهُ فِي هَذِهِ الرَّوَايَاتِ . قَالُوا : وَرَأْيَهُ ﷺ فِي أُمُورِ الْمَعَايِشِ وَظَنَّهُ كَعَبْرَةٍ، فَلَا يُمْتَنَعُ وَقُوعِ مِثْلِ هَذَا، وَلَا تَقْصُ فِي ذَلِكَ، وَسَبَبُهُ تَعَلُّقُ هِمَمِهِمْ بِالْآخِرَةِ وَمَعَارِفِهَا . وَاللَّهُ أَعْلَمُ ...^{٧٠}

ولو أننا أعدنا النظر إلى سياق الحديث مرة أخرى، فإننا لا نجد فيه أن النبي ﷺ، حاول أن يجد لنفسه العذر عندما رأى هذا الرأي - وحاشاه ذلك - بل اعترف ببشريته، وأن هذه الأحكام تجري على البشر .

وتعالوا بنا لننظر إلى صحابة رسول الله ﷺ لنرى كيف ترسموا خطى نبيهم عليه أفضل الصلاة والتسليم فمن ذلك :

عَنْ مَسْرُوقٍ، قَالَ : رَكِبَ عُمَرُ الْمَنْبِرَ مِنْبِرَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ : لَأَعْرِفَنَّ مَا زَادَ الصِّدَاقُ عَلَى أَرْبَعِمِائَةِ دِرْهَمٍ، ثُمَّ نَزَلَ، فَاعْتَرَضَتْهُ امْرَأَةٌ مِنْ قُرَيْشٍ، فَقَالَتْ : يَا أَمِيرَ

^{٦٩} - صحيح البخارى - المكثر - (٤٨٢)

السرعان : أوائل الناس الذين يتسارعون إلى الشيء ويقبلون عليه بسرعة

^{٧٠} - شرح النووي على مسلم - (٨ / ٨٥)

قلت : ليس هذا الكلام على إطلاقه ، فكل قول قاله ﷺ في جميع شئون الدنيا والدين ، ولم يأت الوحي بخلافه فكله حقٌ ووحي من عند الله تعالى ، لا يجوز رده بحجة أنه من أمور الدنيا كما يفعل أصحاب المدرسة العقلية على حدٍّ زعمهم احتجاجاً بهذا الحديث .

المؤمنين، نهيت الناس أن يزيدوا النساء في صدقاتهن على أربع مائة درهم؟ قال :
نعم، قالت : أما سمعت الله يقول في القرآن : وآتيتم إحداهن قنطاراً الآية؟ فقال : اللهم
غفراً، كل الناس أفقه من عمر، ثم رجح، فركب المنبر، فقال : أيها الناس، إني كنت نهيتكم
أن تزيدوا في صدقاتهن على أربع مائة درهم، فمن شاء أن يعطي من ماله ما أحب، أو فمن
طابت نفسه فليفعل" ٧١

وعن محمد بن كعب، قال : " سأل رجل علياً عن مسألة، فقال فيها، فقال الرجل : ليس
هكذا ولكن كذا وكذا، قال علي : " أصبت وأخطأت وفوق كل ذي علم عليم" ٧٢

الله أكبر انظر إلى تلامذة محمد ﷺ، يضربون أروع الأمثلة في الشجاعة، والإنصاف، ولو
كان على حساب النفس، وهذا والله ليزيد المرء عزاً ورفعة، ولا ينقص من قدره
شيئاً، ومن ظن غير ذلك فقد حاد عن جادة الصواب .

والمعلم بحكم وظيفته وبشريته، معرض لمثل هذه المواقف، فيا ترى ماذا يقول المعلم إذا
أخطأ في مسألة ما وعارضه بها أحد طلابه، ثم بان له الصواب، فهل يبادر إلى شكر
الطالب والاعتراف بالخطأ؟ أم أنه يراوغ، ويقلب الكلام بعضه على بعض، حتى يبرهن
لهم صحة قوله؟ أترك لك الجواب !

قال القرطبي : " ومثله كثير عن الصحابة والتابعين وفقهاء المسلمين. وإنما يحمل على
ترك ذلك الرياسة وعدم الإنصاف في العلم. قال ابن عبد البر : من بركة العلم وآدابه
الإنصاف فيه، ومن لم ينصف لم يفهم ولم يتفهم." ٧٣

الخلاصة :

(١) إتصاف المعلم بالشجاعة، مطلب لكل معلم .

٧١ - المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية - (٨ / ٩٤) (١٥٦٦) حسن ، وضعفها بعض أهل العلم ، والراجح أنها

حسنة ، وقال ابن كثير : "إسناده جيد قوي" تفسير ابن كثير - دار طيبة - (٢ / ٢٤٤)

٧٢ - تفسير الطبري - مؤسسة الرسالة - (١٦ / ١٩٢) (١٩٥٨٨) فيه ضعف

٧٣ - تفسير القرطبي موافق للمطبوع - (١ / ٢٨٦)

(٢) الاعتراف بالخطأ، ليس فيه تنقيص لصاحب الخطأ، بل هو رفعه له، ودليل على شجاعته .

(٣) الاعتراف بالخطأ معناه إصلاح الخطأ، وعكسه الاستمرار عليه والعناد فيه .

[٨] مزاح المعلم مع تلاميذه :

من المعلوم أن المواد العلمية تتميز بالجفاف في مادتها، وهي تستلزم حضوراً عقلياً وقلبياً، فتجد الطالب يشحذ حواسه كلها لاستيعاب المادة العلمية المطروحة. ومهما يتميز به المعلم من حسن في الأداء، وجودة في الطرح، فإن عقل التلميذ له قدرة محدودة في استقبال المعلومات، ولذا كان حرياً بالمعلم أن يدخل الطرفة بين ثنايا الدروس العلمية لكي يطرد السامة والملل الذي قد يخيم على أجواء الفصل من جراء تتابع عرض المواد العلمية

ومن فوائد بث الطرفة بين ثنايا الدرس من حين لآخر : أنها تطرد السامة والملل، ومنها أنها تريح الذهن قليلاً من عناء المتابعة الدقيقة للمعلم، ومنها أنها تفيد المعلم أيضاً في أخذ قسط من الراحة، ومنها أنها تشحذ الذهن وتعطيه جرعة جديدة لمواصلة استقبال المعلومات، ومنها أنها تغير جو الفصل الذي خيم عليه الجفاف .. إلى غير ذلك .

والمزاح : بكسر الميم الانبساط مع الغير من غير تنقيص أو تحقير له^{٧٤} يقول النووي : اعلم أن المزاح المنهي عنه هو الذي فيه إفراط ويداوم عليه فإنه يورث الضحك وقسوة القلب ويشغل عن ذكر الله والفكر في مهمات الدين، ويؤول في كثير من الأوقات إلى الإيذاء، ويورث الأحقاد، ويسقط المهابة والوقار . فأما ما سلم من هذه الأمور فهو المباح الذي كان رسول الله ﷺ يفعل على الندرة، لمصلحة تطيب نفس المخاطب ومؤانسته، وهو

^{٧٤} - قطوف من الشمائل المحمدية . ص ٩٣ (قال محمد جميل زينو : ذكره الزغبي محقق الشمائل المحمدية) .

سنة مستحبة، فاعلم هذا فإنه مما يعظم الاحتياج إليه اه^{٧٥} .

وقال الغزالي في الإحياء: " وَحِينَئِذٍ يَتَّبِعُنِي أَنْ يَكُونَ مِنْ قَبِيلِ مِرَاحِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَلَا يَكُونُ إِلَّا حَقًّا، وَلَا يُؤْذِي قَلْبًا، وَلَا يُفْرِطُ فِيهِ . فَإِنْ كُنْتُ أَهْيَا السَّمْعُ تَقْتَصِرُ عَلَيْهِ أَحْيَانًا وَعَلَى التُّدْوِيرِ فَلَا حَرَجَ عَلَيْكَ . وَلَكِنْ مِنَ الْعَلَطِ الْعَظِيمِ أَنْ يَتَّخِذَ الْإِنْسَانُ الْمِرَاحَ حَرْفَةً ، وَيَوَاطِبَ عَلَيْهِ وَيُفْرِطَ فِيهِ ثُمَّ يَتَمَسَّكَ بِفِعْلِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَهُوَ كَمَنْ يَدُورُ مَعَ الزُّنُوجِ أَبَدًا لِيَنْظُرَ إِلَى رَقِصِهِمْ ، وَيَتَمَسَّكَ بِأَنْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَدْنَى لِعَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فِي النَّظَرِ إِلَيْهِمْ وَهُمْ يَلْعَبُونَ" .^{٧٦}

ولقد وردت أخبار عن النبي ﷺ في مداعبته لأهله، ومزاحه مع أصحابه، وسوف نتخير منها
— إن شاء الله — ما يكفي ويشفي :

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ : إِنِّي لَا أَقُولُ إِلَّا حَقًّا، قَالَ بَعْضُ أَصْحَابِهِ :
فَإِنَّكَ تُدَاعِبُنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَ : إِنِّي لَا أَقُولُ إِلَّا حَقًّا.^{٧٧}

وعَنْ أَنَسٍ، أَنَّ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ كَانَ اسْمُهُ زَاهِرًا، وَكَانَ يُهْدِي إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ
الْهَدْيَةَ مِنَ الْبَادِيَةِ، فَيَجْهَرُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : إِنَّ زَاهِرًا
بَادِيَتَنَا، وَنَحْنُ حَاضِرُوهُ، وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُحِبُّهُ، وَكَانَ رَجُلًا دَمِيمًا، فَأَتَاهُ النَّبِيُّ ﷺ يَوْمًا وَهُوَ
يَبِيعُ مَتَاعَهُ، فَاحْتَضَنَهُ مِنْ خَلْفِهِ وَلَا يُبْصِرُهُ الرَّجُلُ، فَقَالَ : أُرْسِلْنِي مِنْ هَذَا، فَالْتَمَّتْ فَعَرَفَ
النَّبِيُّ ﷺ ، فَجَعَلَ لَا يَأْلُو مَا أَلْصَقَ ظَهْرَهُ بِصَدْرِ النَّبِيِّ ﷺ ، حِينَ عَرَفَهُ، وَجَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ
يَقُولُ : مَنْ يَشْتَرِي الْعَبْدَ ؟ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِذَا وَاللَّهِ تَجَدَّنِي كَاسِدًا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ :
لَكِنْ عِنْدَ اللَّهِ لَسْتَ بِكَاسِدٍ، أَوْ قَالَ : لَكِنْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْتَ غَالٍ.^{٧٨}

^{٧٥} - تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذي . للمباركفوري . باب البر والصلة . رقم ٥٦ وفتاوى الشبكة الإسلامية
معدلة - (٧ / ٣٨٤) رقم الفتوى ٤٧٤٧٤ أسباب قسوة القلب

^{٧٦} - إحياء علوم الدين (٢٠٣/٣) وفتاوى الشبكة الإسلامية معدلة - (٣ / ٨٤٤) رقم الفتوى ١١٦١٤ شروط جواز
المزاح

^{٧٧} - مسند أحمد (عالم الكتب) - (٣ / ٢٩٥) (٨٤٨١) - ٨٤٦٢ - صحيح

^{٧٨} - مسند أحمد (عالم الكتب) - (٤ / ٤١٦) (١٢٦٤٨) - ١٢٦٧٦ - صحيح

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - أَحْسَنَ النَّاسِ خُلُقًا وَكَانَ لِي أَخٌ يُقَالُ لَهُ أَبُو عُمَيْرٍ كَانَ فَطِيمًا - قَالَ - فَكَانَ إِذَا جَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - فَرَأَاهُ قَالَ «أَبَا عُمَيْرٍ مَا فَعَلَ التُّغَيْرُ». قَالَ فَكَانَ يَلْعَبُ بِهِ.^{٧٩}

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدْخُلُ عَلَيْنَا، وَلِي أَخٌ صَغِيرٌ يُكْنَى أَبَا عُمَيْرٍ، فَدَخَلَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ، فَقَالَ: أَبَا عُمَيْرٍ، مَا فَعَلَ التُّغَيْرُ؟^{٨٠}

وَعَنِ النَّضْرِ بْنِ أَنَسٍ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَرْسَلَهُ فِي حَاجَةٍ، فَلَمَّا ذَهَبَ، ثُمَّ رَجَعَ رَأَتْ أُمَّ سُلَيْمٍ الْبِشْرَ فِي وَجْهِهِ، فَقَالَتْ لَهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ادْعُ لَأَنَسٍ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: يَا ذَا الْأُذُنَيْنِ، فَمَا زَالَ يَدْعُو اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لِي فِي أَمْرِ آخِرَتِي حَتَّى رَضِيتُ وَرَضِيتُ أُمَّ سُلَيْمٍ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ أَكْثِرْ مَالَهُ، وَوَلَدَهُ، وَبَارِكْ لَهُ فِيهِ^{٨١}

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، أَنَّ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَاسْتَحْمَلَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: إِنَّا حَامِلُوكَ عَلَى وَلدِ نَاقَةٍ، قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا أَصْنَعُ بِوَلَدِ نَاقَةٍ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: وَهَلْ تَلِدُ الْإِبِلَ إِلَّا التُّوقُ.^{٨٢}

وَعَنْ عَائِشَةَ، أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ أَتَتْهُ عَجُوزٌ مِنَ الْأَنْصَارِ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ادْعُ اللَّهَ أَنْ يُدْخِلَنِي الْجَنَّةَ، فَقَالَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ: إِنَّ الْجَنَّةَ لَا يَدْخُلُهَا عَجُوزٌ، فَذَهَبَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ فَصَلَّى، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى عَائِشَةَ فَقَالَتْ: لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ كَلِمَتِكَ مَشَقَّةً وَشِدَّةً. فَقَالَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ: إِنَّ ذَاكَ كَذَاكَ، إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى إِذَا أَدْخَلَهُنَّ الْجَنَّةَ، حَوَّلَهُنَّ أَبْكَارًا^{٨٣}

وَعَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: دَخَلَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَيَّ عَائِشَةَ، وَعِنْدَهَا عَجُوزٌ فَقَالَ: مَنْ هَذِهِ؟ قَالَتْ: إِحْدَى خَالَاتِي. قَالَ: أَمَا إِنَّهُ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ الْعَجُزُ، فَدَخَلَ الْعَجُوزُ مِنْ ذَلِكَ

^{٧٩} - صحيح البخارى - المكثر - (٦١٢٩) - وصحيح مسلم - المكثر - (٥٧٤٧)

النغير: تصغير نغر وهو طائر يشبه العصفور أحمر المنقار

^{٨٠} - صحيح ابن حبان - (١ / ٣١٣) (١٠٩) صحيح

^{٨١} - الأحاد والمثاني - (٤ / ٧٨) (٢٢٢٧) صحيح

^{٨٢} - مسند أحمد (عالم الكتب) - (٤ / ٦٨٠) (١٣٨١٧) (١٣٨٥٣) - صحيح

^{٨٣} - صفة الجنة لأبي نُعَيْمٍ الْأَصْبَهَانِيِّ (٤١٦) حسن

مَا شَاءَ اللَّهُ . فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : " إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً خَلَقًا آخَرَ يُحْشَرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حُفَاةَ عُرَاةٍ غُرُلًا، وَأَوَّلُ مَنْ يُكْسَى إِبْرَاهِيمُ خَلِيلُ الرَّحْمَنِ " . ثُمَّ قَرَأَ النَّبِيُّ ﷺ : إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً *عَرَبًا أَثْرَابًا { (٣٧-٣٨) سورة الواقعة^{٨٤}

الخلاصة :

(١) الأثر الإيجابي الذي يحدثه المزاح في تلطيف جو الدراسة، وقطع الملل الذي يعتري الطلاب .

(٢) مراعاة عدم الإكثار منه، كي لا يخرج الدرس عن مساره ، وتضييع الفائدة المرجوة منه .

(٣) الإكثار من المزاح، يزيل الهيبة والوقار .

(٤) المزاح لا يكون إلا حقاً أي صدقاً

(٥) عدم إيذاء أو إهانة أحد التلاميذ بالمزاح .

[٩] الصبر واحتمال الغضب :

الصبر لغة بمعنى المنع والحبس^{٨٥}، وهي مترلة رفيعة لا ينالها إلا ذوو الهمم العالية، والنفوس الزكية . والغضب هو ثورة في النفس، يفقد فيها الغاضب اتزانه، وتنقلب الموازين عنده، فلا يكاد يميز بين الحق والباطل .

وهي خصلة غير محمودة، إلا ما كان منها غضباً لله، وهو ما كان يتصف به الرسول ﷺ .

فإنه لم يكن يغضب لنفسه ولم ينتصر لها قط، إنما كان يغضب إذا انتهكت حرمة الله

ووجه تعلق ذلك بالتعليم : أن المعلم يتعامل مع أفراد يختلفون في الطباع، والأفكار، فمنهم الجيد، ومنهم الضعيف، هذا بالإضافة إلى انشغال المعلم بعمليات

^{٨٤} - البعثُ والتُّشورُ للبيهقي (٣٣٢) حسن

^{٨٥} - عدة الصابرين لابن القيم الجوزية ص ٢١ .

التحضير، والتصحيح، والتدريس المتواصل أغلب فترات اليوم الدراسي، مع ما يتبع ذلك من تحمل لمشاكل الطلاب المتكررة، إلى غير ذلك من المهام المنوطة بالمعلم .

فكل الأمور السالفة الذكر وغيرها، تستلزم من المعلم صبراً وتحملاً، وهذا الصبر ليس سهل المنال، بل إنه يحتاج إلى طول ممارسة من المعلم حتى يعتاد ذلك ويألفه . وفقدان الصبر يوقع المعلم في حرج شديد، خصوصاً إذا كان ذلك أثناء ممارسته للتعليم، فإن المعلم يواجهه عقليات متفاوتة في الإدراك والتصور، والاستجابة، إلى غير ذلك . فقد يظل المعلم يلقي درسه لمدة ساعة متواصلة، ثم يفاجأ بقول أحد طلابه بأنه لم يفهم هذا الدرس كله .

أو قد يتعرض المعلم إلى أسئلة تافهة أو في غير محلها، أو قد يفاجأ المعلم أثناء إلقائه بأن أحد طلابه نائم أو يبتسم .. الخ . بل إن من أشدها وقعاً وأثراً على المعلم وهو ما إذا تعرض المعلم لكلمة نابية من أحد طلابه، وليس ذلك بمستغرب لاختلافهم في الطباع، والإدراك ونحو ذلك .

إن احتواء الغضب والسيطرة عليه، علامة قوة للمعلم، وليست علامة ضعف، خصوصاً إذا كان ذلك المعلم قادراً على إنفاذ ما يريد، فعن أبي هريرة، قال: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ ، يَقُولُ: " لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرْعَةِ " ، قَالُوا: فَمَنْ الشَّدِيدُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ: " الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ " ^{٨٦}

ويجسد ذلك فعل النبي ﷺ وقوله فإنه كان أملك الناس لغضبه .

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ كُنْتُ أَمْشِي مَعَ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - وَعَلَيْهِ رِدَاءٌ نَجْرَانِيٌّ غَلِيظٌ الْحَاشِيَّةُ فَأَدْرَكَهُ أَعْرَابِيٌّ فَجَبَدَهُ بِرِدَائِهِ جَبْدَةً شَدِيدَةً نَظَرْتُ إِلَى صَفْحَةِ عُنُقِ رَسُولِ اللَّهِ -

^{٨٦} - شعب الإيمان - (١٠ / ٥١٦) (٧٩١٧) وصحيح البخاري - المكثر - (٦١١٤) وصحيح مسلم - المكثر - (٦٨٠٩)

بالصرعة : رجل صرعة - بضم الصاد وفتح الراء - شديد الصرع للرجال ، والمراد به هاهنا : الحليم عند الغضب ، وهذا من الألفاظ التي نقلها النبي - ﷺ - عن وضعها في اللغة بضرب من التوسع والجاز ، وهو من فصيح الكلام ، كأنه لما كان الغضبان بجالة شديدة من الغيظ ، وقد ثارت عليه شهوة الغضب فقهرها بجلمه وصرعها بثباته ، كان صرعة كما يصرع الصرعة الرجال . جامع الأصول في أحاديث الرسول - (٨ / ٤٣٨)

ﷺ - وَقَدْ أَثَرَتْ بِهَا حَاشِيَةُ الرَّدَاءِ مِنْ شِدَّةِ جَبْدَتِهِ ثُمَّ قَالَ يَا مُحَمَّدُ مُرْ لِي مِنْ مَالِ اللَّهِ
الَّذِي عِنْدَكَ. فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - فَضَحِكَ ثُمَّ أَمَرَ لَهُ بِعَطَاءٍ.^{٨٧}

علق النووي على هذا الحديث بقوله: " فِيهِ اِحْتِمَالُ الْجَاهِلِينَ وَالْإِعْرَاضِ عَنْ مُقَابَلَتِهِمْ .
وَدَفْعِ السَّيِّئَةِ بِالْحَسَنَةِ وَإِعْطَاءِ مَنْ يُتَأَلَّفُ قَلْبُهُ، وَالْعَفْوِ عَنْ مُرْتَكِبِ كَبِيرَةٍ لَا حَدَّ فِيهَا
بِحُجَّتِهِ، وَإِبَاحَةِ الضَّحِكِ عِنْدَ الْأُمُورِ الَّتِي يُتَعَجَّبُ مِنْهَا فِي الْعَادَةِ، وَفِيهِ كَمَالُ خُلُقِ
رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَحِلْمِهِ وَصَفْحِهِ الْجَمِيلِ "^{٨٨}

قلت : ولا شك أنه مهما بلغ من أمر الطالب ما بلغ، فهو دون فعل ذلك الأعرابي بكثير !! .
وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ قَسَمَ النَّبِيُّ ﷺ - قِسْمَةً كَبَعُضَ مَا كَانَ يَقْسِمُ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ
الْأَنْصَارِ وَاللَّهِ إِنَّهَا لَقِسْمَةٌ مَا أُرِيدَ بِهَا وَجْهُ اللَّهِ . قُلْتُ أَمَا أَنَا لِأَقُولَنَّ لِلنَّبِيِّ ﷺ -
فَأَتَيْتُهُ وَهُوَ فِي أَصْحَابِهِ فَسَارَرْتُهُ فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَيَّ النَّبِيُّ ﷺ - وَتَغَيَّرَ وَجْهُهُ
وَعَضِبَ، حَتَّى وَدِدْتُ أَنِّي لَمْ أَكُنْ أَخْبِرْتُهُ ثُمَّ قَالَ « قَدْ أُوذِيَ مُوسَى بِأَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ
فَصَبِرَ »^{٨٩} .

وفي الفتح : " وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ جَوَازُ إِخْبَارِ الْإِمَامِ وَأَهْلِ الْفَضْلِ بِمَا يُقَالُ فِيهِمْ مِمَّا لَا
يَلِيْقُ بِهِمْ لِيَحْذَرُوا الْقَائِلَ وَفِيهِ بَيَانُ مَا يُبَاحُ مِنَ الْغَيْبَةِ وَالنَّمِيمَةِ لِأَنَّ صُورَهُمَا مَوْجُودَةٌ
فِي صَنِيعِ ابْنِ مَسْعُودٍ هَذَا وَلَمْ يُنْكِرْهُ النَّبِيُّ ﷺ ، وَذَلِكَ أَنَّ فَصْدَ ابْنِ مَسْعُودٍ كَانَ نُصْحَ
النَّبِيِّ ﷺ وَإِعْلَامَهُ بِمَنْ يَطْعَنُ فِيهِ مِمَّنْ يُظْهَرُ الْإِسْلَامَ وَيُطِنُّ التَّفَاقُ لِيَحْذَرَ مِنْهُ، وَهَذَا
جَائِزٌ كَمَا يَجُوزُ التَّحَسُّسُ عَلَى الْكُفَّارِ لِيُؤْمِنَ مِنْ كَيْدِهِمْ، وَقَدْ ارْتَكَبَ الرَّجُلُ الْمَذْكُورَ
بِمَا قَالَ إِثْمًا عَظِيمًا فَلَمْ يَكُنْ لَهُ حُرْمَةٌ . وَفِيهِ أَنَّ أَهْلَ الْفَضْلِ قَدْ يُعْضِبُهُمْ مَا يُقَالُ فِيهِمْ
مِمَّا لَيْسَ فِيهِمْ، وَمَعَ ذَلِكَ فَيَتَلَقَّوْنَ ذَلِكَ بِالصَّبْرِ وَالْحِلْمِ كَمَا صَنَعَ النَّبِيُّ ﷺ إِفْتِدَاءً
بِمُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ "^{٩٠}

^{٨٧} - صحيح مسلم - المكثر - (٢٤٧٦) - جلد : جذب

^{٨٨} - شرح النووي على مسلم - (٤ / ١٠)

^{٨٩} - صحيح البخاري - المكثر - (٦١٠٠) وصحيح مسلم - المكثر - (٢٤٩٥)

^{٩٠} - فتح الباري لابن حجر - (١٧ / ٢٧٦)

ولك أن تسأل عن أثر الغضب على المرء في جسمه، ولسانه، وأعضائه، وقلبه.

يقول صاحب الإحياء : " ومن آثار هذا الغضب في الظاهر تغير اللون وشدة الرعدة في الأطراف وخروج الأفعال عن الترتيب والنظام واضطراب الحركة والكلام، حتى يظهر الزبد على الأشداق وتحمر الأهداق وتنقلب المناخر وتستحيل الحلقة، ولو رأى الغضبان في حالة غضبه قبح صورته لسكن غضبه حياء من قبح صورته، واستحالة خلقته .. وأما أثره في اللسان فانطلاقه بالشتيم والفحش من الكلام الذي يستحي منه ذو العقل ويستحي منه قائله عند فتور الغضب، وذلك مع تحبط النظم واضطراب اللفظ . وأما أثره على الأعضاء فالضرب والتهجم والتمزيق والقتل والجرح عند التمكن من غير مبالاة .. وأما أثره في القلب مع المغضوب عليه فالحقد والحسد وإضرار السوء والشماتة بالمساءات والحزن بالسرور .. أه^{٩١} .

وعلاج ذلك يكون بالعلاج الرباني والنبوي :

أما العلاج الرباني فقد أثنى الله سبحانه وتعالى على الذين يكظمون غيظهم وليس ذلك فقط بل مع العفو عن الناس . قال تعالى : { .. وَالْكَاطِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ } (١٣٤) سورة آل عمران.

وأما العلاج النبوي فقد عالج النبي الغضب بعدة طرق :

١- أن يقول الغاضب أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، فعن عدي بن ثابت حدثنا سليمان بن صرد قال استب رجلان عند النبي ﷺ - ونحن عنده جلوس، وأحدهما يسب صاحبه مغضباً قد احمر وجهه فقال النبي ﷺ - « إني لأعلم كلمة لو قالها لذهب عنه ما يجد لو قال أعوذ بالله من الشيطان الرجيم » . فقالوا للرجل ألا تسمع ما يقول النبي ﷺ - قال إني لست بمجنون^{٩٢} .

٢- أن يسكت الغاضب ولا يتكلم، حتى لا يتمادى به الغضب فيقع في المحذور، فعن

^{٩١} - إحياء علوم الدين : لأبي حامد الغزالي (٣/٢٦٢، ٢٦٣) بتصرف يسير .

^{٩٢} - صحيح البخاري - المكثر - (٦١١٥)

ابن عباس، قال: قال رسول الله ﷺ: عَلِّمُوا، وَيَسِّرُوا، وَلَا تُعَسِّرُوا، وَإِذَا غَضِبْتَ فَاسْكُتْ، وَإِذَا غَضِبْتَ فَاسْكُتْ، وَإِذَا غَضِبْتَ فَاسْكُتْ.^{٩٣}

٣- إذا كان الغاضب قائماً فليجس، وإن لم ينطفئ غضبه فليضطجع، فعن أبي ذرٍّ، أن رسول الله ﷺ قال: إِذَا غَضِبَ أَحَدُكُمْ وَهُوَ قَائِمٌ فَلْيَجْلِسْ، فَإِنْ ذَهَبَ عَنْهُ الْعَضْبُ وَإِلَّا فَلْيُضْطَجِعْ.^{٩٤}

٤- أن يتوضأ الغاضب وضوءه للصلاة، فإن الغضب يطفأ بالماء قال أبو وائل المرادي: كُنَّا عِنْدَ عُرْوَةَ بِنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَطِيَّةَ، فَأَغْضَبُوهُ فِي شَيْءٍ فَدَخَلَ، فَتَوَضَّأَ ثُمَّ خَرَجَ، فَقَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي، عَنْ جَدِّي عَطِيَّةَ السَّعْدِيِّ، أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ، يَقُولُ: " الْعَضْبُ مِنْ الشَّيْطَانِ، وَالشَّيْطَانُ خُلِقَ مِنَ النَّارِ، وَالنَّارُ تُطْفَأُ بِالْمَاءِ، فَإِذَا غَضِبَ أَحَدُكُمْ فَلْيَتَوَضَّأْ "^{٩٥} وقال أبو العتاهية^{٩٦}:

ولم أر في الأعداء حين خبرتهم عدواً لعقل المرء أعدى من الغضب

الخلاصة:

- (١) الصبر عامل قوي في نجاح المعلم .
- (٢) الغضب ثورة في النفس، واختلال في الموازين وضعف في التمييز، وعواقبه وخيمة
- (٣) براعة المعلم تكمن في كيفية امتصاص غضبه عند حدوثه والسيطرة على أعصابه .
- (٤) التدرج، وطول المران يكسبان المعلم، قوة ومنعة .
- (٥) المبادرة بعلاج الغضب عند حدوثه، وأفضله على الإطلاق العلاج الرباني النبوي

[١٠] تجنب الكلام الفاحش البذيء :

^{٩٣} - مسند أحمد (عالم الكتب) - (١ / ٧٣١) (٢٥٥٦) صحيح لغيره

^{٩٤} - صحيح ابن حبان - (١٢ / ٥٠١) (٥٦٨٨) صحيح

^{٩٥} - شعب الإيمان - (١٠ / ٥٣٠) (٧٩٣٨) وسنن أبي داود - المكثر - (٤٧٨٦) حسن

^{٩٦} - المصدر السابق .

الفحش في القول، والسباب، والسخرية من الآخرين، خصال ممقوتة، تلفظها النفوس، وتشمئز منها الطباع، وتناهى عنها النفوس الكريمة.

والمعلم يفترض فيه أنه قدوة يقتفى أثره، ويسلك سبيله . فإن اتصف المعلم ببعض هذه الخصال فهي نقيصة وأي نقيصة، وإن اجتمعت في معلم فهي طامة كبرى، لأن الطالب يتأثر بمعلمه سلباً وإيجاباً، فإذا كان هذا حال معلمه، فماذا نرجو من الطالب؟! .

وفائدة القول أن اللعن، والفحش، والسخرية، تستلزم تنقيص الآخرين، وتقتل فيهم روحهم المعنوية، وتفسد عليهم فطرتهم وألستهم، وتوغر صدور بعضهم على بعض . . إلى غير ذلك .

هذا إلى جانب - وهو الأهم - أنها أمور مرفوضة شرعاً وصاحبها متوعد بالعقوبة .

بيان ذلك :

أ- السخرية :

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِاللِّقَابِ بئسَ الاسمُ الفسوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ } (١١) سورة الحجرات
يَنْهَى اللَّهُ تَعَالَى الْمُؤْمِنِينَ عَنِ السُّخْرِيَةِ مِنْ إِخْوَانِهِمُ الْمُؤْمِنِينَ، وَالِاسْتِهْزَاءِ بِهِمْ، وَاسْتِصْغَارِ شَأْنِهِمْ، فَقَدْ يَكُونُ الْمُسْتَهْزَأُ بِهِ أَكْرَمَ عِنْدَ اللَّهِ مِنَ السَّاحِرِ مِنْهُ، وَالْمُحْتَقِرُ لَهُ، فَيُظْلَمُ نَفْسَهُ بِتَحْقِيرِ مَنْ وَقَرَّهُ اللَّهُ .

كَمَا نَهَى تَعَالَى النِّسَاءَ الْمُؤْمِنَاتِ عَنْ أَنْ يَسْخَرْنَ مِنْ أَخَوَاتِهِنَّ الْمُؤْمِنَاتِ، فَقَدْ تَكُونُ الْمُسْتَهْزَأُ بِهَا أَكْرَمَ عِنْدَ اللَّهِ مِنَ السَّاحِرَةِ مِنْهَا . كَمَا أَمَرَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ بِالْأَلَّا يَعْتَابَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، وَبِأَنْ لَا يَعْيبَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، وَبِأَنْ لَا يَطْعَنَ بَعْضُهُمْ فِي بَعْضٍ . وَاعْتَبَرَ تَعَالَى لَمَزَ الْإِنْسَانَ أَخَاهُ كَلِمَتَهُ نَفْسَهُ، وَطَعَنَهُ أَخَاهُ كَطَعَنَهُ فِي نَفْسِهِ، لِأَنَّ الْمُسْلِمِينَ جَسَدٌ وَاحِدٌ إِنْ اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهْرِ وَالْحَمِي . كَمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ .

وَأَمْرُ اللَّهِ تَعَالَى الْمُؤْمِنِينَ بِأَنْ لَا يَدْعُوا بَعْضُهُمْ بَعْضًا بَلَقَبٍ يَسُوؤُهُ أَوْ يَكْرَهُهُ، كَأَنْ يَقُولَ

مُسْلِمٌ لِأَخِيهِ الْمُسْلِمِ : يَا فَاجِرٌ، أَوْ يَا غَادِرٌ أَوْ يَا عَدُوَّ اللَّهِ أَوْ يَا مُنَافِقٌ . . .
 وَبِئْسَتِ الصِّفَةُ، وَبِئْسَ الْأَسْمُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَنْ يُذَكَّرُوا بِالْفُسُوقِ بَعْدَ دُخُولِهِمْ فِي الْإِيمَانِ . وَمَنْ
 لَمْ يَتَّبِعْ مِنْ نَبِيِّهِ أَخَاهُ الْمُؤْمِنَ بِلِقَبِ يَكْرَهُهُ، وَمَنْ لَمْ يَتَّبِعْ مِنْ لَمَزِهِ إِخْوَانَهُ، وَمَنْ سُخِّرِيَتِهِ
 مِنْهُمْ . . فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَأَكْسَبُوا عِقَابَ اللَّهِ بِعِصْيَانِهِمْ إِيَّاهُ
 ٩٧

وقال السعدي^{٩٨} : " وقوله : (لَا يَسْخَرَنَّ قَوْمٌ مِّنْ قَوْمٍ) بكل كلام، وقول، وفعل دال على
 تحقير الأخ المسلم، فإن ذلك حرام، لا يجوز، وهو دال على إعجاب الساحر بنفسه،
 وعسى أن يكون المسخور به خيراً من الساحر، كما هو الغالب والواقع، فإن السخرية، لا
 تقع إلا من قلب ممتلئ من مساوئ الأخلاق، متحل بكل خلق ذميم، ولهذا قال النبي ﷺ
 : « لَا تَحَاسَدُوا وَلَا تَنَاحَشُوا وَلَا تَبَاغَضُوا وَلَا تَدَابَرُوا وَلَا يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ
 وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا. الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يَخْذُلُهُ وَلَا يَحْقِرُهُ. التَّقْوَى هَا
 هُنَا ». وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ « بِحَسَبِ أَمْرٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ
 كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ دَمُهُ وَمَالُهُ وَعَرَضُهُ »^{٩٩} .

ب - اللعن والسباب :

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - « سِبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ، وَقِتَالُهُ كُفْرٌ »^{١٠٠} .
 وفي هذا الحديث تعظيم حق المسلم والحكم على من سبه بغير حق بالفسق...^{١٠١}
 وَعَنْ أَنَسٍ قَالَ لَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - فَاحِشًا وَلَا لَعَانًا وَلَا سَبَابًا، كَانَ يَقُولُ عِنْدَ
 الْمَعْتَبَةِ « مَا لَهُ، تَرَبَّ جَبِينُهُ »^{١٠٢}
 وَعَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمٍ، قَالَ : كَانَ عَبْدُ الْمَلِكِ يُرْسِلُ إِلَى أُمِّ الدَّرْدَاءِ، قَالَ : وَرَبِّمَا بَاتَتْ

^{٩٧} - أيسر التفاسير لأسعد حومد - (١ / ٤٥٠٢)

^{٩٨} - تفسير السعدي - (١ / ٨٠١)

^{٩٩} - صحيح مسلم - المكثر - (٦٧٠٦)

^{١٠٠} - صحيح البخاري - المكثر - (٦٠٤٤) وصحيح مسلم - المكثر - (٢٣٠)

^{١٠١} - فتح الباري / كتاب الإيمان (حديث ٤٨) / ١٣٥/١ .

^{١٠٢} - صحيح البخاري - المكثر - (٦٠٤٦)

عَنْهُ، قَالَ : فَدَعَا عَبْدُ الْمَلِكِ خَادِمًا فَأَبْطَأَ عَلَيْهِ، فَقَالَ : اللَّهُمَّ الْعَنَّهُ، فَقَالَتْ : لَا تَلْعَنَهُ، فَإِنِّي
سَمِعْتُ أَبَا الدَّرْدَاءِ يُحَدِّثُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ : إِنَّ اللَّعَّاتِينَ لَا يَكُونُونَ شُهَدَاءَ، وَلَا
شُفَعَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. " ١٠٣

وحسبك بهذا ففيه غنية عن كثير من الآثار التي وردت في هذا الباب، وفيه كفاية لمن أعطاه
الله فهماً وعقلاً .

ت - الفاحش البذيء :

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " لَيْسَ الْمُؤْمِنُ بِالطَّعَّانِ وَلَا اللَّعَّانِ، وَلَا الْفَاحِشِ
الْبُذِيِّ " ١٠٤

قال ابن عثيمين : " وهذا يدل على أن هذه الأمور نقص في الإيمان وأنها تسلب عن المؤمن
حقيقة الإيمان وكمال الإيمان فلا يكون طعانا يطعن في الناس بأنسابهم أو بأعراضهم أو بشكلهم
وهيئاتهم أو بآمالهم ولا باللعان الذي ليس له هم إلا اللعنة قل كلمة لعنك الله قل كذا لعنك الله
لماذا تقول كذا أو يقول لأولاده: لعنكم الله هاتوا هذا أو ما أشبه ذلك فالمؤمن ليس باللعان ولا
بالفاحش الذي يفحش في كلامه بصراخ أو نحو ذلك ولا بالبذيء الذي يعتدي على غيره
فالمؤمن مؤمن مسالم ليس عنده فحش في قوله ولا في فعله ولا غير ذلك لأنه مؤمن " ١٠٥

الخلاصة :

- (١) هذه الخصال الذميمة، تتعدى آثارها إلى الغير، فتؤثر فيه .
- (٢) السخرية فيها تنقيص للمسخور به وإزدراء له، وهذا جالب للعداوة والبغضاء، فكيف
إن كان هذا دأب المعلم ؟
- (٣) اللعن خلق ذميم وصاحبه متوعد بالعقوبة إن لم يتب .
- (٤) القول الفاحش ينبئ عن سوء الطوية وفساد النية .

[١١] استشارة المعلم لغيره :

- ١٠٣ - صحيح ابن حبان - (١٣ / ٥٦) (٥٧٤٦) وصحيح مسلم - المكثر - (٦٧٧٧)
- ١٠٤ - شعب الإيمان - (٧ / ١٤٠) (٤٧٨٦) وسنن الترمذي - المكثر - (٢١٠٥) صحيح
- ١٠٥ - شرح رياض الصالحين لابن عثيمين - (٥ / ٢١٧)

تواجه المعلم مسائل مشكلة، وقضايا معقدة، يختار معها المعلم، ولا يجد لها حلاً أو مخرجاً . فقد يصعب على المعلم في بعض الأحيان فهم مسألة ما، أو قد يطرح عليه سؤال من أحد طلابه ولا يجد له حلاً أو تفسيراً . ومن جهة أخرى قد يجد المعلم نفسه أمام مشكلة عند أحد طلابه أو بعضهم وتحتاج من المعلم أن يفصل فيها، ويحل إشكالها . وهنا قد يسلك المعلم عدة مسالك فمنها : أن يجتهد في إيجاد حل لها، أو يعتذر عنها وهذا حسن بالنسبة إلى المعلم لأنه لم يخصص فيها بغير علم وإن كان ذلك مشكلاً للطلاب لأن مشكلته لم تحل بعد . ومنها أن يخوض فيها بغير علم فهذا مذموم وهو يفسد أكثر مما يصلح، ومنها أن يبحث عن حلها إما عن طريق المطالعة والبحث، وإما عن طريق طلب الاستشارة وهو مقصودنا .

والاستشارة مأخوذة من قول العرب: شرت الدابة وشورتها إذا علمت خبرها، وقيل من قولهم : شرت العسل إذا أخذته من موضعه^{١٠٦} .

قال تعالى : { فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ } (سورة آل عمران ١٥٩)

لَقَدْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِكَ مَا يَسْتَحِقُّ الْمَلَأَةَ وَالتَّعْنِيفَ، بِمُقْتَضَى الطَّبِيعَةِ الْبَشَرِيَّةِ، إِذْ تَخَلَّوْا عَنْكَ حِينَ اشْتَدَّ الْحَرْبُ، وَشَمَّرُوا لِلْهَزِيمَةِ وَالْحَرْبِ قَائِمَةً، وَمَعَ ذَلِكَ لِنْتَ لَهُمْ، وَعَامَلْتَهُمْ بِالْحُسْنَى، لِرَحْمَةِ أَوْدَعَهَا اللَّهُ فِي قَلْبِكَ، وَخَصَّكَ بِهَا . وَقَدْ مَدَحَ اللَّهُ تَعَالَى رَسُولَهُ ﷺ بِحُسْنِ الْخُلُقِ فِي أَكْثَرِ مِنْ مَوْضِعٍ مِنْ كِتَابِهِ الْعَزِيزِ . ثُمَّ قَالَ لَوْ كُنْتَ خَشِنًا جَافِيًا فِي مُعَامَلَتِهِمْ لَتَفَرَّقُوا عَنْكَ، وَلَتَفَرُّوا مِنْكَ، وَلَمْ يَسْكُنُوا إِلَيْكَ، وَلَكِنَّ اللَّهَ جَمَعَهُمْ عَلَيْكَ، وَأَلَانَ جَانِبَكَ لَهُمْ تَأَلَّفًا لِقُلُوبِهِمْ . ثُمَّ أَمَرَ اللَّهُ رَسُولَهُ ﷺ بِأَنْ يَتَجَاوَزَ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ وَهَفَوَاتِهِمْ، وَأَنْ يَسْتَغْفِرَ لَهُمْ اللَّهُ، وَأَنْ يُشَاوِرَهُمْ فِي الْأَمْرِ تَطْيِيبًا لِقُلُوبِهِمْ، وَشَحْدًا لَهُمِهِمْ ثُمَّ يَقُولُ تَعَالَى لِرَسُولِهِ . فَإِذَا شَاوَرْتَهُمْ فِي الْأَمْرِ، وَعَزَمْتَ عَلَىٰ إِنْفَاذِهِ، فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ

^{١٠٦} = فتح القدير . محمد بن علي الشوكاني . (٤٣٩/١) .

فيه، لأنَّ الله يُحِبُّ مَنْ يَتَوَكَّلُ عَلَيْهِ، وَيَتَّقُ بِنَصْرِهِ. ١٠٧

قال السعدي: " { وشاورهم في الأمر } أي: الأمور التي تحتاج إلى استشارة ونظر وفكر، فإن في الاستشارة من الفوائد والمصالح الدينية والدينية ما لا يمكن حصره:

منها: أن المشاورة من العبادات المتقرب بها إلى الله.

ومنها: أن فيها تسميحا لخواطهم، وإزالة لما يصير في القلوب عند الحوادث، فإن من له الأمر على الناس - إذا جمع أهل الرأي: والفضل وشاورهم في حادثة من الحوادث - اطمأنت نفوسهم وأحبوه، وعلموا أنه ليس بمستبد عليهم، وإنما ينظر إلى المصلحة الكلية العامة للجميع، فبدلوا جهدهم ومقدورهم في طاعته، لعلمهم بسعيه في مصالح العموم، بخلاف من ليس كذلك، فإنهم لا يكادون يحبونه محبة صادقة، ولا يطيعونه وإن أطاعوه فطاعة غير تامة.

ومنها: أن في الاستشارة تنور الأفكار، بسبب إعمالها فيما وضعت له، فصار في ذلك زيادة للعقول.

ومنها: ما تنتجه الاستشارة من الرأي: المصيب، فإن المشاور لا يكاد يخطئ في فعله، وإن أخطأ أو لم يتم له مطلوب، فليس بملموم، فإذا كان الله يقول لرسوله - ﷺ - وهو أكمل الناس عقلاً وأغزرهم علماً، وأفضلهم رأياً: { وشاورهم في الأمر } فكيف بغيره؟! " ١٠٨

وعن ابن عباس، قال: لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ آيَةُ: { وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ } [آل عمران: ١٥٩] آيَةُ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " أَمَا إِنَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ غَنِيَانِ عَنْهُمَا، وَلَكِنْ جَعَلَهَا اللَّهُ رَحْمَةً لَأُمَّتِي، فَمَنْ شَاوَرَ مِنْهُمْ لَمْ يُعْذَمْ رُشْدًا، وَمَنْ تَرَكَ الْمَشُورَةَ مِنْهُمْ لَمْ يُعْذَمْ عَنَاءً " ١٠٩

فأنت ترى في هذا الحديث، كيف كانت المشورة سبباً في القرب من إصابة الحق، ما في تركها من مقارنة الخطأ والوقوع فيه، فحري بكل معلم أن يسأل ويشاور من هو أعلم منه

١٠٧ - أيسر التفاسير لأسعد حومد - (١ / ٤٥٢)

١٠٨ - تفسير السعدي - (١ / ١٥٤)

١٠٩ - شعب الإيمان - (١٠ / ٤١) (٧١٣٦) وفيه ضعف

فيما أشكل عليه، ليحصل له بذلك مقاربة الصواب وإصابة الحق .
وليبتعد عن الترفع، والأنفة، وتعاضم النفس من سؤال غيره وطلب رأيه ومشورته، فإن ذلك
ترفع في غير محله، ولو كان ذلك محموداً لكان النبي ﷺ أولى الناس به ! .
فعليك أيها المعلم أن تسأل عما أشكل عليك فهمه، أو تعسر عليه حله، ولا تقل إن هذا
تكوين من شأني، أو نقص من قدري، لا، بل هو دليل على كمال العقل ورجاحته .

الخلاصة :

- ١- المشورة معين للمعلم فيما يشكل عليه من المسائل والقضايا التي ترد عليه .
- ٢- طلب الاستشارة من الغير ليست دليلاً على نقص في المرتبة أو في العلم، بل هو دليل
على رجاحة العقل ورجزاته .
- ٣- في المشورة القرب من الحق، وفي تركها البعد عنه .



الباب الثاني

مهمات وواجبات المعلم

وفيه المباحث التالية :

- [١] غرس العقيدة الصحيحة وتقوية الإيمان خلال التعليم
- [٢] إسداء النصيحة للمتعلم
- [٣] الرفق بالمتعلم وتعليمه بالأسلوب الحسن
- [٤] عدم التصريح بالأسماء أثناء التوبيخ
- [٥] إلقاء السلام على المتعلم قبل الدرس وبعده
- [٦] استخدام العقوبات أثناء التعليم
- [٧] تقديم المكافآت للمتعلم

[١] غرس العقيدة الصحيحة وتقوية الإيمان خلال التعليم:

قليل من المعلمين الذين يتفطنون إلى هذه الطريقة، وهي تتلخص في ترسيخ العقيدة في نفوس الطلاب، عند تعليمهم مواد العلوم الطبيعية، والمواد (الجغرافية) والفلكية، ونحوها.

وقبل أن نورد خبر المعلم الأول ﷺ تعال لتأمل وتدبر كلام الله عز وجل . قال الله تعالى : { وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْتَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَّتْ إِنَّ الْأَرْضَ الْأَحْيَاءَ لَمُحْيِي الْمَوْتَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ } (٣٩) سورة فصلت

وَمِنَ الدَّلَائِلِ الدَّالَّةِ عَلَى قُدْرَةِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى الْبَعْثِ وَالنُّشُورِ، وَإِخْرَاجِ الْأَمْوَاتِ مِنَ الْقُبُورِ، أَحْيَاءً يَنْظُرُونَ . . . أَنْتَ تَرَى الْأَرْضَ يَابِسَةً غَبْرَاءَ لَا نَبَاتَ فِيهَا، فَإِذَا أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهَا الْمَطْرَ، تَبَدَّلَتِ النَّبَاتَاتُ بِالتَّحَرُّكِ فِي بَاطِنِ الْأَرْضِ وَتَعَلُّو التُّرْبَةَ (تَرَبُّو)، وَتَخْرُجُ سُوقُ النَّبَاتَاتِ، فَتَزِينُ الْأَرْضَ وَتُحْمِلُهَا . وَالَّذِي أَحْيَا هَذِهِ الْأَرْضَ الْيَابِسَةَ، وَأَخْرَجَ النَّبَاتَاتِ مِنْهَا، قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى، وَعَلَى أَنْ يُخْرِجَهُمْ مِنْ قُبُورِهِمْ، وَهُوَ الْقَدِيرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ .^{١١٠}

فيا ليت المعلمين يحسنون الربط بين الظواهر الطبيعية وبين أمور العقيدة^{١١١} كما جاء في الآية السابقة، حيث بين الله سبحانه وتعالى حال الأرض الميتة التي لم تمطر، من الجفاف وموت النبات فيها، وأثر الماء عليها إذا جاءها وغمرها من ظهور الحياة عليها وتحرك النبات فيها، ثم بين الله سبحانه لعباده أن هذا الإحياء الذي يشاهده العباد له نظير يوم القيامة وهو إحياء الموتى، كما جاء في التفسير السابق قوله : فكما لم تعجز قدرته عن إحياء الأرض بعد موتها، لا تعجز عن إحياء الموتى . وفي هذا رد شاف على منكري البعث . ومثله لو أراد المعلم أن يتكلم عن الجبال فيحسن به أن يذكر فائدتها، والحكمة من

^{١١٠} - أيسر التفاسير لأسعد حومد - (١ / ٤١٣٦)

^{١١١} - يجب التنبيه إلى مسألة هامة وهي أنه لا يلزم منا أن نستدل بلك ظاهرة من ظواهر العلم أو جزئية معينة ، بدليل من الكتاب والسنة ، ولا أن نلوي أعناق النصوص أو نتكلف ذلك ، فالقرآن الكريم أنزل ليتلى وتدبر ويعمل به ، والسنة لتطبق ويعمل بها ، ولكن إن جاء أحد منهما مصرحاً بذكر شيء من الظواهر قبلناه وأثبتناه ولا نتكلفه .

إيجادها وهو تثبيت الأرض ومنعها من الاضطراب، ثم يذكر قوله تعالى: { أَلَمْ نَجْعَلِ
 الْأَرْضَ مِهَادًا (٦) وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا (٧) } [النبا: ٦، ٧]
 يَقُولُ تَعَالَى: كَيْفَ يُنْكِرُ هَؤُلَاءِ حُدُوثَ الْبَعْثِ، وَيَشْكُونَ فِيهِ، وَهُمْ يَعَايِنُونَ مَا يَدُلُّ عَلَى
 قُدْرَةِ اللَّهِ تَعَالَى، وَعَلَى إِحَاطَةِ عِلْمِهِ، وَبَاهِرِ حِكْمَتِهِ، فَلْيَنْظُرُوا إِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ جَعَلَهَا اللَّهُ
 مُمَهَّدَةً مُوَطَّأَةً لِلنَّاسِ يُقِيمُونَ عَلَيْهَا، وَيَتَنَفَعُونَ بِخَيْرَاتِهَا؟
 وَكَيْفَ جَعَلَ اللَّهُ الْجِبَالَ كَالْأَوْتَادِ أَرْسَى بِهَا الْأَرْضَ وَتَبَّتْهَا، لِكَيْلَا تَضْطَرِبَ وَتَمِيدَ بِالنَّاسِ
 وَالْخَلَائِقِ عَلَيْهَا؟^{١١٢}

وقوله تعالى: { وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا (٣٠) أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا (٣١)
 وَالْجِبَالَ أُرْسَاهَا (٣٢) مَتَاعًا لَكُمْ وَلِالْأَنْعَامِ كُمْ (٣٣) } [النازعات: ٣٠ - ٣٣]
 وَمَهَّدَ بَعْدَ ذَلِكَ الْأَرْضَ، وَبَسَطَهَا لِسُكْنَى الْمَخْلُوقَاتِ. وَفَجَّرَ الْعُيُونَ وَالْأَنْهَارَ وَالْيَنْابِيعَ فِيهَا
 فَفَاضَتْ بِالْمَاءِ، وَأَنْبَتَتِ النَّبَاتَاتِ لِأَكْلِ مِنْهَا النَّاسِ وَالْأَنْعَامِ. وَتَبَّتِ الْجِبَالَ فِي أَمَاكِنِهَا مِنْ
 الْأَرْضِ، وَجَعَلَهَا كَالْأَوْتَادِ الَّتِي تُشَدُّ بِهَا الْخِيَامُ لِكَيْلَا تَذْهَبَ بِهَا الرِّيَّاحُ وَذَلِكَ لِكَيْلَا تَمِيدَ
 الْأَرْضُ بِمَنْ عَلَيْهَا مِنَ الْخَلَائِقِ، وَتَضْطَرِبَ بِهِمْ .

وَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ تَعَالَى كُلَّ ذَلِكَ لِيَتَمَتَّعَ بِهِ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ، وَيَتَنَفَعُوا بِهِ فِي مَعَاشِهِمْ وَحَيَاتِهِمْ .
 فَاللَّهُ تَعَالَى يُفَرِّقُ هَذِهِ الْحَقَائِقَ فِي أُذْهَانِ النَّاسِ لِيَخْلُصَ مِنْ ذَلِكَ إِلَى لَفْتِ أَنْظَارِهِمْ إِلَى الَّذِي
 خَلَقَ هَذَا الْخَلْقَ الْبَدِيعَ الْعَظِيمَ لَا يَعْجِزُ عَنْ بَعْثِ الْعِبَادِ مِنَ الْقُبُورِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، بَعْدَ أَنْ يَكُونُوا قَدْ
 صَارُوا تُرَابًا وَرَفَاتًا، وَتَفَرَّقَتْ ذَرَّاتُ أَجْسَادِهِمْ فِي الْأَرْضِ .^{١١٣}

وقوله: { أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ (١٧) وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ (١٨)
 وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ (١٩) وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ (٢٠) } [الغاشية: ١٧ -
 [٢٠

^{١١٢} - أيسر التفاسير لأسعد حومد - (١ / ٥٥٥٥)

^{١١٣} - أيسر التفاسير لأسعد حومد - (١ / ٥٦١٩)

أَيُنْكَرُ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ قُدْرَةَ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى بَعْثِ الْخَلْقِ بَعْدَ مَوْتِهِمْ، وَأَمَامَهُمُ الْإِبْلِ -
الْجَمَالُ - وَفِي خَلْقِهَا مَا يَدُلُّ عَلَى عَظَمَةِ خَالِقِهَا وَقُدْرَتِهِ؟ فَإِبْلِ مِنْ أَصْحَمِ
الْحَيَوَانَاتِ، وَأَكْثَرِهَا قُوَّةً، وَأَكْبَرَهَا احْتِمَالًا، تَحْتَمِلُ الْعَطَشَ وَالْجُوعَ، وَتَكْتَفِي بِالْيَسِيرِ مِنَ
الْمَرْعَى وَالْمَاءِ فَمَنْ خَلَقَهَا، وَخَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْجِبَالَ وَالْأَرْضَ . . لِقَادِرٍ عَلَى إِعَادَةِ خَلْقِهِمْ
بَعْدَ مَوْتِهِمْ، وَبَعْنِهِمْ مِنْ قُبُورِهِمْ .

وَيَتَابِعُ اللَّهُ تَعَالَى لَفْتَ أَنْظَارِ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ إِلَى عَظَمَتِهِ، وَعَظَمَةِ مَا خَلَقَ، فَلَفَتْ نَظْرَهُمْ
إِلَى السَّمَاءِ وَارْتَفَاعِهَا وَمَا فِيهَا مِنْ نُجُومٍ وَكَوَاكِبَ .

ثُمَّ لَفَتْ نَظْرَهُمْ إِلَى الْجِبَالِ وَعُلُوِّهَا الْكَبِيرِ، وَأَنْتِصَابِهَا وَرُسُوحِهَا فِي الْأَرْضِ .

ثُمَّ لَفَتْ نَظْرَهُمْ إِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ مُهَّدَتْ وَبُسِطَتْ (سَطِحت)، لِيَتَنَفَّعَ بِهَا الْخَلْقُ
فَالْمُشْرِكُونَ يَرَوْنَ كُلَّ هَذَا الْخَلْقِ الْعَظِيمِ أَمَامَ أَعْيُنِهِمْ، وَيَرَوْنَ بِدِيَعِ صُنْعِهِ وَيُدْرِكُونَ
عَظَمَتَهُ، وَإِبْدَاعَ خَلْقِهِ، فَكَيْفَ لَا يَتَدَبَّرُونَ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي قُدْرَةِ الْخَالِقِ وَعَظَمَتِهِ؟ وَكَيْفَ لَا
يُؤْمِنُونَ بِهِ، وَلَا يَخْشَوْنَ بَطْشَهُ وَعِقَابَهُ؟^{١١٤}

والقرآن الكريم مليء بذكر مثل ذلك وفيما ذكرنا غنية لمن عقل . ولعلنا نخرج على سنة
المصطفى، لنرى كيف كان النبي ﷺ يرسخ العقيدة عند صحبه رضوان الله عليهم .

عَنِ ابْنِ شَهَابٍ قَالَ أَخْبَرَنِي أَبُو سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ وَغَيْرُهُ أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ
عَنْهُ - قَالَ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - قَالَ: « لَا عَدُوِي وَلَا صَفْرَ وَلَا هَامَةَ » . فَقَالَ
أَعْرَابِيٌّ : يَا رَسُولَ اللَّهِ فَمَا بَالُ إِبْلِ تَكُونُ فِي الرَّمْلِ كَأَنَّهَا الطُّبَاءُ فَيَأْتِي الْبَعِيرُ الْأَجْرَبُ
فَيَدْخُلُ بَيْنَهَا فَيَجْرِبُهَا . فَقَالَ : « فَمَنْ أَعْدَى الْأَوَّلِ »^{١١٥} .

قال الحافظ ابن حجر قوله : (فيجر بها) وهو بناء على ما كانوا يعتقدون من
العدوى، أي يكون سبباً لوقوع الحرب بها، وهذا من أوهام الجهال، كانوا يعتقدون أن

^{١١٤} - أيسر التفاسير لأسعد حومد - (١ / ٥٨٦١)

^{١١٥} - صحيح البخاري - المكثر - (٥٧١٧) وصحيح مسلم - المكثر - (٥٩١٩)

الصفير : حية تصيب الإنسان إذا جاع وتؤذيه وهي معدية في زعم العرب

الهامة : اسم طائر كانوا يتشاءمون به وقيل روح من لم يدرك تأره

المريض إذا دخل في الأصحاء أمرضهم فنفي الشارع ذلك وأبطله، فلما أورد الأعرابي الشبهة رد عليه النبي ﷺ بقوله: " فمن أعدى الأول ؟ وهو جواب في غاية البلاغة والرشاقة . وحاصله من أين الجرب للذي أعدى بزعمهم ؟ فإن أجيب من بعير آخر لزم التسلسل أو سبب آخر فليفصح به، فإن أجيب بأن الذي فعله في الأول هو الذي فعله في الثاني ثبت المدعى، وهو أن الذي فعل بالجميع ذلك هو الخالق القادر على كل شيء وهو الله سبحانه وتعالى " ١١٦

وعن زياد بن علاقة قال: سمعت المغيرة بن شعبة يقول: انكسفت الشمس يوم مات إبراهيم، فقال الناس انكسفت لموت إبراهيم . فقال رسول الله - ﷺ - « إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله، لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته، فإذا رأيتوهما فادعوا الله وصلوا حتى ينجلي » ١١٧ .

وفي الفتح: " وفي هذا الحديث إبطال ما كان أهل الجاهلية يعتقدونه من تأثير الكواكب في الأرض، وهو نحو قوله في الحديث الماضي في الاستسقاء " يقولون مطرنا بنوء كذا " قال الخطابي: كانوا في الجاهلية يعتقدون أن الكسوف يوجب حدوث تغير في الأرض من موت أو ضرر، فأعلم النبي ﷺ أنه اعتقاد باطل، وأن الشمس والقمر خلقان مسخران لله ليس لهما سلطان في غيرهما ولا قدرة على الدفع عن أنفسهما . وفيه ما كان النبي ﷺ عليه من الشفقة على أمته وشدة الخوف من ربه " ١١٨

١١٦ - فتح الباري (٢٥٢/١٠)

ينبغي أن نشير هنا إلى أمر هام وهو أن الأسباب لا تؤثر بنفسها فالمؤثر هو الله ، ولكننا نتجنب الأسباب التي تكون سبباً للبلاء .. وفي هذا المعنى يقول الشيخ محمد بن صالح العثيمين في شرحه لكتاب التوحيد (٨٢/٢) قال : وهذا النفي في هذه الأمور الأربعة (وهي قوله ﷺ في الحديث " ولا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر ") ليس نفيًا للوجود ، لأنها موجودة ، ولكنه نفي للتأثير ، فالمؤثر هو الله ، فما كان سبباً معلوماً فهو سبب صحيح ، وما كان منها سبباً موهوماً فهو سبب باطل ، ويكون نفيًا لتأثيره بنفسه ولسببه . فقوله : " لا عدوى " العدوى موجودة ، ويدل لوجودها قوله ﷺ: " لا يورد مرض على مصح " أي : لا يورد صاحب الإبل المريضة على صاحب الإبل الصحيحة ، لئلا تنتقل العدوى . أه .

١١٧ - صحيح البخاري - المكثر - (١٠٦٠) وصحيح مسلم - المكثر - (٢١٥٥)

١١٨ - فتح الباري لابن حجر - (٤٨٦ / ٣)

الخلاصة :

- (١) إن غرس العقيدة عن طريق عرض العلوم غير علوم الشريعة، وسيلة نافعة جداً في ربط المسلم بدينه في كل مجالات الحياة .
- (٢) إن هذه الطريقة، تؤدي إلى تقوية الإيمان لدى الطلاب عموماً، فتنشئ لنا جيلاً قوياً في معتقده، وثيق الصلة بربه .

[٢] إساءة النصيحة للمتعلم :

يخطئ المعلم عندما يظن أن علاقته بالطالب، تقتصر على توصيل المعلومات فقط .
والحقيقة أن هناك أمراً لا يقل أهمية عن التحصيل، ألا وهو النصح والتوجيه للطالب .
فالمعلم موجه، ومربي، وناصح، وأب .
ولو أننا قارنا بين عدد الساعات التي يعيشها الطالب مع معلمه وهي قد تصل إلى خمس أو ست ساعات يومياً، لو وجدنا أنها أكثر من عدد الساعات التي يلتزمها مع والديه، وهو معلوم عند الكل .
وإذا كان الأمر كذلك، فإن المعلم يرى من الأحوال والتصرفات التي تصدر من الطالب قد تخفى — بل إنها تخفى فعلاً — على والديه، ولذا كان حرياً بك أيها المعلم أن تبذل ما في وسعك، لإصلاح المعوج، وتقويم المائل، وتهذيب الأخلاق، وتصحيح الأفكار
وجماع ذلك كله، بذل النصيحة، والنصيحة : هي كلمة يعبر بها عن جملة هي إرادة الخير للمنصوح له^{١١٩} .
وبذل النصيحة مطلب شرعي، قبل أن يكون تعليمياً تربوياً .

^{١١٩} - قاله الخطابي (جامع العلوم والحكم لابن رجب (١/٤٨) .

فَعَنْ تَمِيمِ الدَّارِيِّ، عَنِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، أَنَّهُ قَالَ : الدِّينُ النَّصِيحَةُ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، قَالُوا : لِمَنْ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : لِلَّهِ، وَلِكِتَابِهِ، وَلِرَسُولِهِ، وَلِأَيِّمَّةِ الْمُسْلِمِينَ، أَوْ لِلْمُؤْمِنِينَ، وَعَامَّتِهِمْ. ١٢٠

قال الكلاباذي : " قال أبو الحسن بن أبي ذرٍّ رحمه الله : النَّصْحُ فِي الْجُمْلَةِ عِنْدِي هُوَ : فِعْلُ الشَّيْءِ الَّذِي بِهِ الصَّلَاحُ وَالْمَلَاءَمَةُ، مَاخُودٌ مِنَ النَّصَاحَةِ، وَهِيَ السُّلُوكُ الَّتِي يُخَاطُ بِهَا، وَتَصَغِيرُهَا نُصِيحَةٌ، يَقُولُ الْعَرَبُ : هَذَا قَمِيصٌ مَنْصُوحٌ أَي : مَحِيطٌ، وَنَصَحْتُهُ أَنْصَحُهُ نُصْحًا إِذَا حَطَّتُهُ، وَإِنَّمَا اخْتَلَفَتِ النَّصْحُ فِي الْأَشْيَاءِ لِاخْتِلَافِ أَحْوَالِ الْأَشْيَاءِ : فَالنُّصْحُ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ هُوَ : وَصْفُهُ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ، وَتَنْزِيهِهُ عَمَّا هُوَ لَيْسَ بِأَهْلٍ لَهُ عَقْدًا وَقَوْلًا، وَالْقِيَامُ بِتَعْظِيمِهِ، وَالخُضُوعُ لَهُ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا، وَالرَّغْبَةُ فِي مَحَابِّهِ، وَالْبَعْدُ مِنْ مَسَاحِطِهِ، وَمُؤَالَاةُ مَنْ أَطَاعَهُ، وَمُعَادَاةُ مَنْ عَصَاهُ، وَالْجِهَادُ فِي رَدِّ الْعَاصِينَ إِلَى طَاعَتِهِ قَوْلًا وَفِعْلًا . وَإِرَادَةُ النَّصِيحَةِ لِكِتَابِهِ : إِقَامَتُهُ فِي التَّلَاوَةِ، وَتَحْسِينُهُ عِنْدَ الْقِرَاءَةِ، وَتَفَهُمُهُ مَا فِيهِ وَاسْتِعْمَالُهُ، وَالذَّبُّ عَنْهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْمُحَرِّفِينَ، وَطَعْنِ الطَّاعِنِينَ . وَالنَّصِيحَةُ لِلرَّسُولِ ﷺ : مُؤَازَرَتُهُ وَنُصْرَتُهُ، وَالْحِمَايَةُ مِنْ ذَوِيهِ حَيًّا وَمَيِّتًا، وَإِحْيَاءُ سُنَّتِهِ بِالطَّلَبِ، وَإِحْيَاءُ طَرِيقَتِهِ فِي بَثِّ الدَّعْوَةِ، وَتَأْلِيفِ الْكَلِمَةِ، وَالتَّخَلُّقِ بِأَخْلَاقِهِ الظَّاهِرَةِ . وَالنَّصِيحَةُ لِلْأَيِّمَةِ : مُعَاوَنَتُهُمْ عَلَى مَا تَكَلَّفُوا الْقِيَامَ بِهِ، وَفِي بَعْضِ النُّسخِ " عَلَى مَا تَكَلَّفُوا الْقِيَامَ بِهِ " فِي تَنْبِيهِهِمْ عِنْدَ الْعَفْلَةِ، وَتَقْوِيمِهِمْ عِنْدَ الْهَفْوَةِ، وَسَدِّ خَلَّتِهِمْ عِنْدَ الْحَاجَةِ، وَنُصْرَتِهِمْ فِي جَمِيعِ الْكَلِمَةِ عَلَيْهِمْ، وَرَدِّ الْقُلُوبِ النَّاضِرَةِ إِلَيْهِمْ . وَالنَّصِيحَةُ لِجَمَاعَةِ الْمُسْلِمِينَ : الشَّفَقَةُ عَلَيْهِمْ، وَتَوْقِيرُ كِبِيرِهِمْ، وَرَحْمَةُ صَغِيرِهِمْ، وَتَفْرِيجُ كُرْبِهِمْ، وَالسَّعْيُ فِيَمَا يَعُودُ نَفْعُهُ عَلَيْهِمْ فِي الْأَجَلِ، وَدَعْوَتُهُمْ إِلَى مَا يُسْعِدُهُمْ، وَتَوْقِي مَا يَشْعَلُ خَوَاطِرَهُمْ، وَفَتْحُ بَابِ الْوَسْوَاسِ عَلَيْهِمْ، وَإِنْ كَانَ فِي نَفْسِهِ حَقًّا وَحَسَنًا، وَمِنْ النَّصِيحَةِ لِلْمُسْلِمِينَ رَفْعُ مُؤْنَةٍ بَدَنَهُ وَنَفْسَهُ وَحَوَائِجِهِ عَنْهُمْ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ ١٢١

١٢٠ - صحيح ابن حبان - (١٠ / ٤٣٥) (٤٥٧٤) وصحيح مسلم - المكثر - (٢٠٥)

١٢١ - بحر الفوائد المسمى بمعاني الأخيار للكلاباذي (٦٧)

يقول الحافظ ابن حجر: " وَالنَّصِيحَةَ لِعَامَّةِ الْمُسْلِمِينَ الشَّفَقَةَ عَلَيْهِمْ، وَالسَّعْيَ فِيمَا يَعُودُ نَفْعُهُ عَلَيْهِمْ، وَتَعْلِيمَهُمْ مَا يَنْفَعُهُمْ، وَكَفَّ وُجُوهَ الْأَذَى عَنْهُمْ، وَأَنْ يُحِبَّ لَهُمْ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ، وَيَكْرَهُ لَهُمْ مَا يَكْرَهُ لِنَفْسِهِ " ١٢٢ . ولا شك أن الطلاب من عامة المسلمين .

وَعَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ بَايَعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ - عَلَى إِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالتُّصْحِحِ لِكُلِّ مُسْلِمٍ . ١٢٣

وعن إبراهيم بن جرير البجلي، عن أبيه، قال: غدا أبو عبد الله إلى الكناسه لبيتناع منها دابة، وغدا مولى له فوقف في ناحية السوق، فجعلت الدواب تمُرُ عليه، فمر به فرس فأعجبه، فقال لمولاه: انطلق فاشتر ذلك الفرس، فانطلق مولاه، فأعطى صاحبه به ثلاثمائة درهم، فأبى صاحبه أن يبيعه فما كسه، فأبى صاحبه أن يبيعه، فقال: هل لك أن تنطلق إلي صاحب لنا ناحية السوق؟ قال: لا أبالي، فانطلقا إليه، فقال له مولاه: أني أعطيت هذا بفرسه ثلاثمائة درهم فأبى، وذكر أنه خير من ذلك، قال صاحب الفرس: صدق أصلحك الله فترى ذلك ثمنًا؟ قال: لا، فرسك خير من ذلك تبيعه بخمسمئة حتى بلغ سبعمائة درهم أو ثمانمئة، فلما أن ذهب الرجل أقبل على مولاه، فقال له: ويحك انطلقت لتبتاع لي دابة، فأعجبتني دابة رجل، فأرسلتك تشتريها، فحنت برجل من المسلمين يقوده، وهو يقول: ما ترى، ما ترى؟، وقد " بايعت رسول الله ﷺ على التصحح لكل مسلم " ١٢٤ .

النصح لكل مسلم أن الإنسان ينصح لكل مسلم بحيث يعامله كما يعامل نفسه وكما يجب أن يعامله الناس فلا يشتمه ولا يقذفه ولا يخدعه ولا يغشه ولا يخونه ويكون له ناصحاً من كل وجه وإذا استشاره في شيء وجب عليه أن يشير عليه بما هو الأصلح له في دينه ودينه . ١٢٥

١٢٢ - فتح الباري (١ / ١٦٦ ، ١٦٧) (ح ٥٧) .

١٢٣ - صحيح البخاري - المكثر - (٥٧) وصحيح مسلم - المكثر - (٢٠٨)

١٢٤ - المعجم الكبير للطبراني - (٢ / ٤٨٩) (٢٣٤٣) فيه انقطاع

١٢٥ - شرح رياض الصالحين لابن عثيمين - (٤ / ٣٥٣)

وَعَنْ أَنَسٍ عَنِ النَّبِيِّ - ﷺ - قَالَ « لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ »^{١٢٦}.

معناه : أَنَّهُ لَا يَتِمُّ إِيمَانُ أَحَدٍ الْإِيمَانَ التَّامَّ الْكَامِلَ، حَتَّى يَضُمَّ إِلَى إِسْلَامِهِ سَلَامَةَ النَّاسِ مِنْهُ، وَإِرَادَةَ الْخَيْرِ لَهُمْ، وَالتُّصَحُّ لِحَمِيْعِهِمْ فِيمَا يَجَاوِلُهُ مَعَهُمْ.^{١٢٧}

والتقول في هذا الباب كثيرة وحسبنا بما ذكرنا .

يقول ابن رجب: " ومن أنواع نصحتهم بدفع الأذى والمكروه عنهم : إثارة فقيرهم وتعليم جاهلهم، وردُّ من زاع منهم عن الحق في قول أو عمل بالتلطف في ردِّهم إلى الحق، والرفق بهم في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر محبة لإزالة فسادهم ولو بحصول ضررٍ له في دنياه " ^{١٢٨}

ثم إنه من المتعين على المعلم، أن يبذل نصيحته إلى طلابه سرّاً إن كانت خاصة بفرد معين، لأن ذلك أبلغ في قبول النصيحة، وأسرع للاستجابة، أما إن كانت علانية فهو توبيخ في قالب نصح! يقول ابن رجب: " وكان السلفُ إذا أرادوا نصيحةَ أحدٍ، وعظوه سرّاً حتّى قال بعضهم : مَنْ وَعَظَ أَخَاهُ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ فَهِيَ نَصِيحَةٌ، وَمَنْ وَعَظَهُ عَلَى رُؤُوسِ النَّاسِ فَإِنَّمَا وَجَّهَ " ^{١٢٩}.

وقال المُرْزَنْبِيُّ : سَمِعْتُ الشَّافِعِيَّ، يَقُولُ : " مَنْ وَعَظَ أَخَاهُ سِرًّا فَقَدْ نَصَحَهُ وَزَانَهُ، وَمَنْ وَعَظَهُ عَلَانِيَةً فَقَدْ فَضَحَهُ وَخَانَهُ " ^{١٣٠}

ومن النصح الذي يتعين على معلم بذله تجاه طلابه، هو تصحيح (كراس الواجبات المدرسية) ^{١٣١} بأمانة وإخلاص، ومراعاة الأخطاء النحوية والإملائية ونحوها.

^{١٢٦} - صحيح البخارى - المكثر - (١٣)

^{١٢٧} - المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم - (١ / ١٤٠)

^{١٢٨} - جامع العلوم والحكم محقق - (٩ / ١١)

^{١٢٩} - جامع العلوم والحكم محقق - (٩ / ١٣)

^{١٣٠} - حلية الأولياء (١٣٨٠٥)

^{١٣١} - ذكرت الأديب تنبيها على الأعلى .

وباب النصح واسع ولكن يضبطه قول النبي ﷺ « لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ » ١٣٢ .

أيها المعلم : قدم إليك الأب ثمرة فؤاده، وفلذة كبده، فهي عندك أمانة . فماذا عملت فيها ؟ هل رعيته وأديت حق الأمانة ؟ أم ماذا ؟

الخلاصة :

- (١) النصح والتوجيه، لا يقل أهمية عن التعليم، فلتعط حظها من الاهتمام .
- (٢) النصيحة مطلب شرعي، قبل أن تكون مطلباً تربوياً تعليمياً .
- (٣) توجيه الطالب وجهة سليمة، وأمره بما يصلحه، وتقويمه إذا مال عن الطريق المستقيم .. وغير هذه الأمور، كلها من واجبات المعلم .
- (٤) تقديم النصيحة سراً سبب في القبول، وسرعة الاستجابة .

[٢] الرفق بالمتعلم وتعليمه بالأسلوب الحسن :

لقد كان ﷺ أرفق الناس للناس، وكان ﷺ يراعي نفسياتهم وأحوالهم، كيف لا وهو الذي قال: « إِنْ الرَّفْقَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ وَلَا يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانُهُ » ١٣٣ .

وعَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ : دَخَلَ رَهْطٌ مِنَ الْيَهُودِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالُوا : السَّأْمُ عَلَيْكُمْ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : عَلَيْكُمْ، قَالَتْ عَائِشَةُ : فَفَهَمْتُهَا، فَقُلْتُ : عَلَيْكُمْ السَّأْمُ وَاللَّعْنَةُ . قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : مَهَلًا يَا عَائِشَةُ، إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الرَّفْقَ فِي الْأَمْرِ كُلِّهِ . قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَلَمْ تَسْمَعْ مَا قَالُوا ؟ قَالَ : قَدْ قُلْتُ : عَلَيْكُمْ. ١٣٤

١٣٢ - صحيح البخارى - المكثر - (١٣)

١٣٣ - صحيح مسلم - المكثر - (٦٧٦٧)

١٣٤ - صحيح ابن حبان - (١٤ / ٣٥٢) (٦٤٤١) وصحيح البخارى - المكثر - (٦٠٢٤) وصحيح مسلم - المكثر - (٥٧٨٤)

والرفق هو : لين الجانب بالقول والفعل، والأخذ بالأسهل، وهو ضد العنف^{١٣٥} .

والنفس البشرية تميل إلى الرفق ولين الجانب وطيب الكلام وتأنس به، وتنفر من الجفوة والغلظة . ولذا كان حري بالمعلمين والمربين أن يعوا هذا الجانب ويطبقوه على تلاميذهم وطلابهم .

والشدة على المتعلمين مضره بهم^{١٣٦} وذلك أن إرهاف الحد بالتعليم مضر بالمتعلم سيما في أصاغر الولد لأنه من سوء الملكة ومن كان مرباه بالعسف والقهر من المتعلمين أو المماليك أو الخدم سطا به القهر وضيق عن النفس في انبساطها وذهب بنشاطها ودعاه إلى الكسل وحمل على الكذب والخبث وهو التظاهر بغير ما في ضميره خوفاً من انبساط الأيدي بالقهر عليه وعلمه المكر والخديعة ..^{١٣٧} .

ولد ضرب الرسول ﷺ أروع الأمثلة وأعلاها في حسن تعليمه ورفقه بصحابته رضوان الله عليهم، فمنها :

عن أنس بن مالك قال : بَيْنَمَا نَحْنُ فِي الْمَسْجِدِ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - إِذْ جَاءَ أَعْرَابِيٌّ فَقَامَ يَبُولُ فِي الْمَسْجِدِ فَقَالَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - مَهْ مَهْ . قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - « لَا تُزْرِمُوهُ دَعْوُهُ » . فَتَرَكُوهُ حَتَّى بَالَ . ثُمَّ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - دَعَاهُ فَقَالَ لَهُ « إِنَّ هَذِهِ الْمَسَاجِدَ لَا تَصْلُحُ لِشَيْءٍ مِنْ هَذَا الْبَوْلِ وَلَا الْقَدْرِ إِنَّمَا هِيَ لِذِكْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَالصَّلَاةِ وَقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ » . أَوْ كَمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - .
قَالَ فَأَمَرَ رَجُلًا مِنْ الْقَوْمِ فَجَاءَ بِدَلْوٍ مِنْ مَاءٍ فَشَنَّهُ عَلَيْهِ .^{١٣٨}

^{١٣٥} - فتح الباري (٦٠٢٤/١٠) .

^{١٣٦} - عنوان فصل عقده ابن خلدون في مقدمته . وهو الفصل الثاني والثلاثون من الباب الخامس . من الكتاب الأول .

^{١٣٧} - مقدمة ابن خلدون ص ٥٤٠ .

^{١٣٨} - صحيح مسلم - المكثر - (٦٨٧) - شن : صبه صبا متقطعا

لا تزرموه : بتقدم الزاي المعجمة على الراء ، أي : لا تقطعوا بوله : يقال : زرم الدمع : إذا انقطع .
فسنه عليه : سنتت الماء على الثوب وعلى الأرض ونحو ذلك : إذا صببته عليه ، وقد جاء في كتاب مسلم «فسنه»
بالشين المعجمة ، أي : فرقه عليه من جميع جهاته ، ورشه عليه ، ومنه : شنتت الغارة : إذا فرقتها من جميع الجهات والنواحي .

وَعَنْ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ قَالَ سَمِعْتُ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ قَالَ جَاءَ أَعْرَابِيٌّ فَبَالَ فِي طَائِفَةِ الْمَسْجِدِ، فَزَجَرَهُ النَّاسُ، فَهَاهُمُ النَّبِيُّ ﷺ - ، فَلَمَّا قَضَى بَوْلَهُ أَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ - بِذَنْبٍ مِنْ مَاءٍ، فَأَهْرَيْقَ عَلَيْهِ ١٣٩ .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، دَخَلَ أَعْرَابِيٌّ الْمَسْجِدَ وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ جَالِسٌ، فَقَالَ : اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي وَلِمُحَمَّدٍ وَلَا تَعْفِرْ لِأَحَدٍ مَعَنَا . فَضَحِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، وَقَالَ : لَقَدْ احْتَظَرْتَ وَأَسْعَأَ . ثُمَّ وَلَّى حَتَّى إِذَا كَانَ فِي نَاحِيَةِ الْمَسْجِدِ فَشَجَّ يَبُولُ، فَقَامَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، فَقَالَ : إِنَّمَا بُنِيَ هَذَا الْبَيْتُ لَذِكْرِ اللَّهِ وَالصَّلَاةِ، وَإِنَّهُ لَا يُبَالُ فِيهِ . ثُمَّ دَعَا بِسَجَلٍ مِنْ مَاءٍ، فَأَفْرَغَهُ عَلَيْهِ، قَالَ : يَقُولُ الْأَعْرَابِيُّ بَعْدَ أَنْ فَهَقَ : فَقَامَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَيْ، بِأَبِي هُوَ وَأُمِّي، فَلَمْ يَسِبْ، وَلَمْ يُؤْتَبْ، وَلَمْ يَضْرَبْ. " ١٤٠ .

ففي هذا الحديث بيان لرفق النبي ﷺ بالأعرابي وحسن تعليمه له، وذلك لأن الأعرابي كان يجهل ذلك الحكم بطبيعة الحال ولهذا السبب لم يعنفه النبي ﷺ ولم يوبخه، بل دعاه وعلمه برفق الأمر الذي يجهله .

ولقد صور الأعرابي ذلك الموقف بعد أن فهقه، بقوله : بأبي هو وأمي فلم يسب ولم يؤنب ولم يضرب . وفي هذا القول دليل على تأثر الأعرابي برفق النبي ﷺ به، وحسن تعليمه له .

قال الحافظ ابن حجر بعد حديث أنس : " وَفِيهِ الرَّفْقُ بِالْجَاهِلِ وَتَعْلِيمُهُ مَا يَلْزَمُهُ مِنْ غَيْرِ تَعْنِيفٍ إِذَا لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ مِنْهُ عَنَادًا، وَلَا سِيْمًا إِنْ كَانَ مِمَّنْ يُحْتَاجُ إِلَى اسْتِئْلَافِهِ . وَفِيهِ رَأْفَةُ النَّبِيِّ ﷺ وَحُسْنُ خُلُقِهِ " ١٤١

فأهريق : يقال : هراق الماء يهريقه : إذا صببه ، و أصله : أرافه ، فقلبت الهمزة هاء ، ويقال أيضا : أهرقه يهرقه ، وأهراق ، ويهريق بفتح الهاء .

بذنوب : الذنوب : الدلو العظيمة ، وكذلك السجل ، قال : ولا يسمى بذلك إلا إذا كان فيها ماء . جامع الأصول في أحاديث الرسول - (٧ / ٨٥)

١٣٩ - صحيح البخاري - المكثر - (٢٢١ م)

الذنوب : الدلو العظيمة وقيل لا تسمى كذلك إلا إذا كان فيها ماء

١٤٠ - مسند أحمد (عالم الكتب) - (٣ / ٧٢٢) (١٠٥٣٣) (١٠٥٤٠) - صحيح

١٤١ - فتح الباري ١ / ٣٨٨ .

وَعَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ الْحَكَمِ السُّلَمِيِّ قَالَ بَيْنَا أَنَا أُصَلِّي مَعَ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - إِذْ عَطَسَ رَجُلٌ مِنْ الْقَوْمِ فَقُلْتُ يَرْحَمُكَ اللَّهُ. فَرَمَانِي الْقَوْمُ بِأَبْصَارِهِمْ فَقُلْتُ وَأَتَكَلُّ أُمِّيَاءَ مَا شَأْنُكُمْ تَنْظُرُونَ إِلَيَّ. فَجَعَلُوا يَضْرِبُونَ بِأَيْدِيهِمْ عَلَيَّ أَفْخَاذِهِمْ فَلَمَّا رَأَيْتُهُمْ يُصَمِّتُونَنِي لَكِنِّي سَكَتُ فَلَمَّا صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - فَبَابِي هُوَ وَأُمِّي مَا رَأَيْتُ مُعَلِّمًا قَبْلَهُ وَلَا بَعْدَهُ أَحْسَنَ تَعْلِيمًا مِنْهُ فَوَاللَّهِ مَا كَهَرَنِي وَلَا ضَرَبَنِي وَلَا شَتَمَنِي قَالَ « إِنَّ هَذِهِ الصَّلَاةَ لَا يَصْلُحُ فِيهَا شَيْءٌ مِنْ كَلَامِ النَّاسِ إِنَّمَا هُوَ التَّسْبِيحُ وَالتَّكْبِيرُ وَقِرَاءَةُ الْقُرْآنِ » أَوْ كَمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي حَدِيثٌ عَهْدٌ بِجَاهِلِيَّةٍ وَقَدْ جَاءَ اللَّهُ بِالْإِسْلَامِ وَإِنَّ مِنَّا رِجَالًا يَأْتُونَ الْكُهَانَ. قَالَ « فَلَا تَأْتِهِمْ ». قَالَ وَمِنَّا رِجَالٌ يَتَطَيَّرُونَ.

قَالَ « ذَلِكَ شَيْءٌ يَجِدُونَهُ فِي صُدُورِهِمْ فَلَا يَصُدَّتْهُمْ ». قَالَ ابْنُ الصَّبَّاحِ « فَلَا يَصُدَّتْكُمْ ». قَالَ قُلْتُ وَمِنَّا رِجَالٌ يَخْطُونَ. قَالَ « كَانَ نَبِيٌّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ يَخْطُ فَمَنْ وَافَقَ خَطَّهُ فَذَلِكَ ». قَالَ وَكَانَتْ لِي جَارِيَةٌ تَرَعَى عَنَّمَا لِي قَبْلَ أُحُدٍ وَالْجَوَانِيَّةُ فَاطَلَعَتْ ذَاتَ يَوْمٍ فَإِذَا الذِّبُّ قَدْ ذَهَبَ بِشَاةٍ مِنْ عَنَمِهَا وَأَنَا رَجُلٌ مِنْ بَنِي آدَمَ آسَفُ كَمَا يُأْسَفُونَ لَكِنِّي صَكَكْتُهَا صَكَّةً فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - فَعَظَّمْتُ ذَلِكَ عَلَيَّ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفَلَا أُعْتَقْتُهَا قَالَ « أَتَنِي بِهَا ». فَأَتَيْتُهُ بِهَا فَقَالَ لَهَا « أَيْنَ اللَّهُ ». قَالَتْ فِي السَّمَاءِ. قَالَ « مَنْ أَنَا ». قَالَتْ أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ. قَالَ « أَعْتَقْتُهَا فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ »..^{١٤٢}

^{١٤٢} - صحيح مسلم - المكثر - (١٢٢٧)

كهرني : الكهر: الزبر والنهر، كهره يكهر: إذا زبره ونهره.

الكهان : جمع كاهن، وهو الذي كان في الجاهلية يرجعون إليه ويسألونه عن المغيبات ليخبرهم بها في زعمهم، وحقيقته: أن يكون له رأي من الجن يلقي إليه ما يستمعه، ويسترقه من أخبار السماء، فما يكون قد استمعه، وألقاه على جهته كان صحيحا، وما يكذب فيه مما لا يكون قد سمعه فهو الأكثر، وقد جاء هذا مصرحا به في الحديث الصحيح.

يتطرون : التطير: التشاؤم بالشيء، وأصله: أن العرب كانوا إذا خرجوا في سفر، أو عزموا على عمل: زجروا الطائر تفاقولا به، فما غلب على ظنهم وقوي في أنفسهم فعلوه: من قول أو عمل، أو ترك، أو نهي الشرع عنه، تسليما لقضاء الله وقدره، وجعل لهم بدل ذلك الاستخارة في الأمر، وما أحسن هذا البديل.

يخطون : الخط: الذي يفعله المنجم في الرمل بإصبعه ويحكم عليه، ويستخرج به الضمير، وقد تقدم ذكره فيما مضى من الكتاب.

أسف : أسف الرجل يأسف أسفا: إذا غضب، والأسف: الغضب.

قال النووي في شرحه لهذا الحديث : " فِيهِ : بَيَانٌ مَا كَانَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ عَظِيمِ الْخُلُقِ الَّذِي شَهِدَ اللَّهُ تَعَالَى لَهُ بِهِ، وَرَفَقَهُ بِالْجَاهِلِ، وَرَأْفَتَهُ بِأُمَّتِهِ، وَشَفَقَتَهُ عَلَيْهِمْ . وَفِيهِ التَّخَلُّقُ بِخُلُقِهِ ﷺ فِي الرَّفْقِ بِالْجَاهِلِ، وَحُسْنِ تَعْلِيمِهِ وَاللُّطْفِ بِهِ، وَتَقْرِيْبِ الصَّوَابِ إِلَى فَهْمِهِ . " ١٤٣ .

ثم إنك لك أن تقارن بين الموقفين السابقين الذين وقعا لمعاوية بن الحكم رضي الله عنه، وكيف عامل الرسول ﷺ معاوية في كلا الموقفين .

ففي الحادثة الأولى : لم يعنفه الرسول ﷺ ولم يوبخه . لأنه كان جاهلاً والدليل على ذلك، الحديث الذي روي عن معاوية بن الحكم السلمي قال : لَمَّا قَدِمْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - عُلِّمْتُ أُمُورًا مِنْ أُمُورِ الْإِسْلَامِ، فَكَانَ فِيهَا عَلَّمْتُ أَنْ قِيلَ لِي إِذَا عَطَسْتَ فَاحْمَدِ اللَّهَ، وَإِذَا عَطَسَ الْعَاطِسُ فَحَمِدِ اللَّهَ فَقُلْ يَرْحَمُكَ اللَّهُ - قَالَ - فَبَيْنَا أَنَا قَائِمٌ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - فِي الصَّلَاةِ إِذْ عَطَسَ رَجُلٌ فَحَمِدَ اللَّهَ فَقُلْتُ : يَرْحَمُكَ اللَّهُ رَافِعًا بِهَا صَوْتِي، فَرَمَانِي النَّاسُ بِأَبْصَارِهِمْ حَتَّى احْتَمَلَنِي ذَلِكَ فَقُلْتُ : مَا لَكُمْ تَنْظُرُونَ إِلَيَّ بِأَعْيُنٍ شُرُزْرَ؟ قَالَ فَسَبَّحُوا، فَلَمَّا قَضَى النَّبِيُّ ﷺ - الصَّلَاةَ قَالَ : « مَنِ الْمُتَكَلِّمُ؟ » . قِيلَ : هَذَا الْأَعْرَابِيُّ فَدَعَانِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - فَقَالَ : « إِنَّمَا الصَّلَاةُ لِقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ وَذِكْرِ اللَّهِ، فَإِذَا كُنْتَ فِيهَا فَلْيَكُنْ ذَلِكَ شَأْنَكَ » . فَمَا رَأَيْتُ مُعَلِّمًا قَطُّ أَرْفَقَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - . ١٤٤

وفي الحادثة الثانية : عامله الرسول ﷺ بنقيض ذلك، حيث أنكر ذلك الفعل على معاوية ويؤخذ هذا من قوله : (فَعَظَمَ ذَلِكَ عَلَيَّ) ١٤٥ .

وإنكار الرسول ﷺ هذا الفعل من معاوية وهو ضرب الجارية، يَحْتَمِلُ وَجْهَانِ وَقَدْ يَحْتَمِلُ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ :

صككتها : الصك: الضرب واللطم. جامع الأصول في أحاديث الرسول - (٥ / ٤٨٨)

١٤٣ - شرح النووي على مسلم - (٢ / ٢٩٨)

١٤٤ - السنن الكبرى للبيهقي - المكثر - (٢ / ٢٤٩) (٣٤٧٨) و سنن أبي داود - المكثر - (٩٣٢) حسن - الشزرر :

النظر بمؤخر العين

١٤٥ - صحيح مسلم - المكثر - (١٢٢٧) وصحيح ابن حبان - (١ / ٣٨٣) (١٦٥)

الأول: وهو أن معاوية لم يعد جاهلاً حيث أمضى فترة في الإسلام وعلم شرائعه وآدابه
الثاني: وهو أن هذا الصنيع من معاوية ليس من الأمور التي تجهل عادة، فالرفق والإحسان
إلى الناس من الأمور المركوزة في الفطر وليست من باب العلم المكتسب . والله أعلم .
وعن ابن عمر قال قال النبي ﷺ - لَنَا لَمَّا رَجَعَ مِنَ الْأَحْزَابِ « لَا يُصَلِّينَ أَحَدٌ الْعَصْرَ
إِلَّا فِي بَنِي قُرَيْظَةَ » . فَأَدْرَكَ بَعْضُهُمُ الْعَصْرَ فِي الطَّرِيقِ فَقَالَ بَعْضُهُمْ لَا نُصَلِّي حَتَّى
تَأْتِيَهَا، وَقَالَ بَعْضُهُمْ بَلْ نُصَلِّي لَمْ يَرِدْ مِنَّا ذَلِكَ . فَذَكَرَ لِلنَّبِيِّ ﷺ - فَلَمْ يُعْنَفْ وَاحِدًا
مِنْهُمْ . ١٤٦

" أَمَّا اخْتِلَافُ الصَّحَابَةِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ - فِي الْمُبَادَرَةِ بِالصَّلَاةِ عِنْدَ ضَيْقِ
وَقْتِهَا، وَتَأْخِيرِهَا، فَسَبَبُهُ أَنْ أَدَلَّتْ الشَّرْعُ تَعَارَضَتْ عِنْدَهُمْ بِأَنَّ الصَّلَاةَ مَأْمُورًا بِهَا فِي
الْوَقْتِ، مَعَ أَنَّ الْمَفْهُومَ مِنْ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ : (لَا يُصَلِّينَ أَحَدٌ الظُّهْرَ أَوْ الْعَصْرَ إِلَّا فِي بَنِي
قُرَيْظَةَ) الْمُبَادَرَةُ بِالذَّهَابِ إِلَيْهِمْ، وَأَلَّا يُشْتَعَلَ عَنْهُ بِشَيْءٍ لَّا أَنْ تَأْخِيرَ الصَّلَاةَ مَقْصُودًا فِي
نَفْسِهِ مِنْ حَيْثُ إِنَّهُ تَأْخِيرٌ، فَأَخَذَ بَعْضُ الصَّحَابَةِ بِهَذَا الْمَفْهُومِ نَظْرًا إِلَى الْمَعْنَى لَّا إِلَى
اللَّفْظِ، فَصَلَّوْا حِينَ خَافُوا فَوَتْ الْوَقْتِ، وَأَخَذَ آخَرُونَ بِظَاهِرِ اللَّفْظِ وَحَقِيقَتِهِ فَأَخَّرُوهُمَا، وَلَمْ
يُعْنَفِ النَّبِيُّ ﷺ وَاحِدًا مِنَ الْفَرِيقَيْنِ، لِأَنََّّهُمْ مُجْتَهِدُونَ، فَفِيهِ : دَلَالَةٌ لِمَنْ يَقُولُ بِالْمَفْهُومِ
وَالْقِيَاسِ، وَمُرَاعَاةَ الْمَعْنَى، وَلِمَنْ يَقُولُ بِالظَّاهِرِ أَيْضًا .

وفيه : أنه لا يعنف المجتهد فيما فعله باجتهاده إذا بذل وسعه في الاجتهاد، وقد يستدل به
على أن كل مجتهد مصيب، وللقائل الآخر أن يقول لم يصرح بإصابة الطائفتين، بل ترك
تعنيفهم، ولا خلاف في ترك تعنيف المجتهد وإن أخطأ إذا بذل وسعه في الاجتهاد . والله
أعلم . ١٤٧

وعن عائشة رضي الله عنها : أن النبي ﷺ - دَخَلَ عَلَيْهَا بِأَسِيرٍ وَعِنْدَهَا نِسْوَةٌ فَلَهَيْتَهَا
عَنْهُ فَذَهَبَ الْأَسِيرُ فَجَاءَ النَّبِيُّ ﷺ - فَقَالَ : « يَا عَائِشَةُ أَيْنَ الْأَسِيرُ؟ » . فَقَالَتْ : نِسْوَةٌ

١٤٦ - صحيح البخارى - المكثر - (٩٤٦)

١٤٧ - شرح النووي على مسلم - (٦ / ٢٢٠)

كُنَّ عِنْدِي فَلَهَيْتَنِي عَنْهُ فَذَهَبَ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - : « قَطَعَ اللَّهُ يَدَكَ ». وَخَرَجَ فَأَرْسَلَ فِي إِثْرِهِ فَجِئَ بِهِ فَدَخَلَ النَّبِيُّ - ﷺ - - وَإِذَا عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَدْ أَخْرَجَتْ يَدَيْهَا فَقَالَ: « مَا لَكَ؟ ». قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّكَ دَعَوْتَ عَلِيَّ بِقَطْعِ يَدِي وَإِنِّي مُعَلِّقَةٌ يَدِي أَنْتَظِرُ مَنْ يَقْطَعُهَا. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - : « أَجُنَنْتِ؟ ». ثُمَّ رَفَعَ يَدَيْهِ وَقَالَ: « اللَّهُمَّ مَنْ كُنْتُ دَعَوْتُ عَلَيْهِ فَاجْعَلْ لَهُ كَفَّارَةً وَطَهُورًا ». ١٤٨

وَعَنْ عَائِشَةَ ، قَالَتْ : دَخَلَ عَلِيٌّ النَّبِيُّ ﷺ بِأَسِيرٍ ، فَلَهَوْتُ عَنْهُ ، فَذَهَبَ ، فَجَاءَ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ : مَا فَعَلَ الْأَسِيرُ ؟ قَالَتْ : لَهَوْتُ عَنْهُ مَعَ النِّسْوَةِ فَخَرَجَ ، فَقَالَ : مَا لَكَ قَطَعَ اللَّهُ يَدَكَ ، أَوْ يَدَيْكَ ، فَخَرَجَ ، فَآذَنَ بِهِ النَّاسَ ، فَطَلَبُوهُ ، فَجَاؤُوا بِهِ ، فَدَخَلَ عَلِيٌّ وَأَنَا أَقْلَبُ يَدَيَّ فَقَالَ : مَا لَكَ ، أَجُنَنْتِ ؟ قُلْتُ : دَعَوْتَ عَلِيَّ ، فَأَنَا أَقْلَبُ يَدَيَّ ، أَنْظُرُ أَيُّهُمَا يُقْطَعَانِ ، فَحَمَدَ اللَّهُ ، وَأَنْتَى عَلَيْهِ ، وَرَفَعَ يَدَيْهِ مَدًّا ، وَقَالَ : اللَّهُمَّ إِنِّي بَشَرٌ ، أَعْضَبُ كَمَا يَعْضَبُ الْبَشَرُ ، فَأَيُّمَا مُؤْمِنٍ ، أَوْ مُؤْمِنَةٍ ، دَعَوْتُ عَلَيْهِ ، فَاجْعَلْ لَهُ زَكَاةً وَطَهُورًا. ١٤٩

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، أَنَّ أَعْرَابِيًّا ، جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ يَسْتَعِينُهُ فِي شَيْءٍ ، فَأَعْطَاهُ شَيْئًا ، ثُمَّ قَالَ : أَحْسَنْتُ إِلَيْكَ ؟ فَقَالَ الْأَعْرَابِيُّ : لَا ، وَلَا أَجَمَلْتُ قَالَ : فَعَضِبَ الْمُسْلِمُونَ ، وَقَامُوا إِلَيْهِ ، فَأَشَارَ إِلَيْهِمْ أَنْ كُفُوا . قَالَ عِكْرِمَةُ : قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ : ثُمَّ قَامَ النَّبِيُّ ﷺ فَدَخَلَ مَنْزِلَهُ ، ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَى الْأَعْرَابِيِّ ، فَدَعَاهُ إِلَى الْبَيْتِ ، فَقَالَ : إِنَّكَ جِئْتَنَا فَسَأَلْتَنَا ، فَأَعْطَيْنَاكَ ، فَقُلْتَ : مَا قُلْتُهُ ، فَرَادَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ شَيْئًا ، ثُمَّ قَالَ : أَحْسَنْتُ إِلَيْكَ ؟ قَالَ الْأَعْرَابِيُّ : نَعَمْ ، فَجَزَاكَ اللَّهُ مِنْ أَهْلِ وَعَشِيرَةٍ خَيْرًا ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ : إِنَّكَ كُنْتَ جِئْتَنَا فَسَأَلْتَنَا ، فَأَعْطَيْنَاكَ ، وَقُلْتَ مَا قُلْتَ ، وَفِي أَنْفُسِ أَصْحَابِي شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ ، فَإِنْ أَحْبَبْتَ فَقُلْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ مَا قُلْتَ بَيْنَ يَدَيَّ ، حَتَّى تُذْهَبَ مِنْ صُدُورِهِمْ مَا فِيهَا عَلَيْكَ . قَالَ : نَعَمْ . قَالَ عِكْرِمَةُ : قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ : فَلَمَّا كَانَ الْغَدُ أَوْ الْعَشِيُّ ، جَاءَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : إِنَّ صَاحِبِكُمْ هَذَا كَانَ جَاءَ فَسَأَلْنَا ، فَأَعْطَيْنَاهُ ، وَقَالَ مَا قَالَ ، وَإِنَّا دَعَوْنَاهُ إِلَى الْبَيْتِ فَأَعْطَيْنَاهُ فَرَعَمَ أَنَّهُ قَدْ رَضِيَ ، أَكْذَلِكَ ؟ قَالَ الْأَعْرَابِيُّ : نَعَمْ ، فَجَزَاكَ اللَّهُ مِنْ أَهْلِ

١٤٨ - السنن الكبرى للبيهقي - حيدر آباد - (٩ / ٨٩) (١٨٦١١) صحيح

١٤٩ - مسند أحمد (عالم الكتب) - (٨ / ٦١) (٢٤٢٥٩) (٢٤٧٦٣) - صحيح

وَعَشِيرَةَ خَيْرًا . قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ : فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : أَلَا إِنَّ مَثَلِي وَمَثَلَ هَذَا الْأَعْرَابِيِّ كَمَثَلِ رَجُلٍ كَانَتْ لَهُ نَاقَةٌ فَشَرَدَتْ عَلَيْهِ ، فَاتَّبَعَهَا النَّاسُ ، فَلَمْ يَزِيدُوهَا إِلَّا نُفُورًا ، فَنَادَاهُمْ صَاحِبُ النَّاقَةِ : خَلُّوا بَيْنِي وَبَيْنَ نَاقَتِي ، فَأَنَا أَرْفُقُ بِهَا وَأَعْلَمُ ، فَتَوَجَّهَ لَهَا صَاحِبُ النَّاقَةِ بَيْنَ يَدَيْهَا وَأَخَذَ لَهَا مِنْ قِمَامِ الْأَرْضِ ، فَرَدَّهَا هَوْنًا هَوْنًا هَوْنًا حَتَّى جَاءَتْ وَأَسْتَتَاخَتْ وَشَدَّ عَلَيْهَا ، وَإِنِّي لَوْ تَرَكْتُكُمْ حَيْثُ قَالَ الرَّجُلُ مَا قَالَ ، فَقَتَلْتُمُوهُ ، دَخَلَ النَّارَ ١٥٠

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، قَالَ : كُنَّا نَقْعُدُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي الْمَسْجِدِ ، فَإِذَا قَامَ قُمْنَا ، فَقَامَ يَوْمًا فَقُمْنَا مَعَهُ ، حَتَّى لَمَّا بَلَغَ وَسَطَ الْمَسْجِدِ أَدْرَكَهُ أَعْرَابِيٌّ ، فَجَبَدَ بِرِدَائِهِ مِنْ وَرَائِهِ ، وَكَانَ رِدَاؤُهُ حَشِنًا ، فَحَمَرَ رَقَبَتَهُ ، قَالَ : يَا مُحَمَّدُ ، احْمِلْ لِي عَلَى بَعِيرِي هَذَيْنِ ، فَإِنَّكَ لَا تَحْمِلُ مِنْ مَالِكَ ، وَلَا مِنْ مَالِ أَبِيكَ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " لَا ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ ، لَا أَحْمِلُ لَكَ حَتَّى تُقِيدَنِي مِمَّا جَبَدْتَ بِرَقَبَتِي " فَقَالَ الْأَعْرَابِيُّ : لَا ، وَاللَّهِ لَا أُقِيدُكَ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ذَلِكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ، كُلُّ ذَلِكَ يَقُولُ : لَا ، وَاللَّهِ لَا أُقِيدُكَ ، فَلَمَّا سَمِعْنَا قَوْلَ الْأَعْرَابِيِّ أَقْبَلْنَا إِلَيْهِ سِرَاعًا ، فَالْتَفَتَ إِلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، فَقَالَ : " عَزَمْتُ عَلَى مَنْ سَمِعَ كَلَامِي أَنْ لَا يَبْرَحَ مَقَامَهُ حَتَّى آذَنَ لَهُ " ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِرَجُلٍ مِنَ الْقَوْمِ : " يَا فُلَانُ ، احْمِلْ لَهُ عَلَى بَعِيرٍ شَعِيرًا ، وَعَلَى بَعِيرٍ ثَمْرًا " ، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " أَنْصَرَفُوا ١٥١

الخلاصة :

- (١) الرفق بالطالب يتأكد عندما يكون جاهلاً .
- (٢) تقدير الخطأ الذي يقع من الطالب، وهل هو من الخطأ الذي يعذر بجهله، أم لا . وذلك يرجع إلى تقدير المعلم .
- (٣) معالجة الخطأ الذي يقع من الطالب الجاهل كما حدث ذلك في قصة الأعرابي الذي بال في المسجد ، حيث نهى النبي ﷺ صحابته أن يقطعوا عليه بوله لئلا يتضرر، ثم

١٥٠ - أَخْلَاقُ النَّبِيِّ لِأَبِي الشَّيْخِ الْأَصْبَهَانِيِّ (١٧٠) فِيهِ ضَعْفٌ

١٥١ - السُّنَنُ الْكُبْرَى لِلنَّسَائِيِّ << كِتَابُ الْقَسَامَةِ (٥٨٠٠) صَحِيحٌ

أمر رجلاً من أصحابه أن يزيل أثر النجاسة بالماء، ثم دعا الأعرابي وأخبره بخطئه، ثم دعاه الرسول ﷺ وعلمه ما الذي ينبغي عليه فعله وتركه في الصلاة .

(٤) أما الخطأ الذي لا يعذر بجهله، فعلى المربي أو المعلم أن ينكر ذلك الخطأ أو الفعل الذي بدر من الطالب، كما جاء في قول الصحابي (فعظم ذلك علي)، ثم إن على المربي بعد ذلك أن يسعى في إصلاح ذلك الخطأ ومساعدة الطالب في إصلاح خطئه، وذلك يتجلى في إقرار الرسول ﷺ لمعاوية عندما أراد أن يعتق الجارية، حيث قال له : (أَعْتِقْهَا، فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ) .

[٤] عدم التصريح بالأسماء أثناء التوبيخ :

غالباً ما يكون التوبيخ له أثر في نفس الموبخ، ويعظم هذا الأثر إن كان التوبيخ بحضور جماعة من الناس، فإنه حينئذ يتضاعف.

والنبي ﷺ كانت له طريقة فريدة من نوعها في معالجة الأخطاء الظاهرة التي تحدث من صحابته، إذ إن الغاية من تشهيره ﷺ بالخطأ ليس التشفي من المخطئ، بل هو تحذير من الوقوع في الخطأ، وذم للخطأ نفسه . وقصة الثلاثة الذين تقالوا عبادة الرسول ﷺ مشهورة:

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، أَنَّ نَفَرًا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ سَأَلُوا أَزْوَاجَ النَّبِيِّ ﷺ عَنْ عَمَلِهِ فِي السَّرِّ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ : لَا أَتَزَوَّجُ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ : لَا أَكُلُ اللَّحْمَ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ : لَا أَنَامُ عَلَى فِرَاشٍ، فَحَمِدَ اللَّهُ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ : مَا بَالُ أَقْوَامٍ قَالُوا كَذَا وَكَذَا، لَكِنِّي أَصَلِّي وَأَنَامُ، وَأَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَن سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي. ^{١٥٢}

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ : أَنَّ نَفَرًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ سَأَلُوا أَزْوَاجَ النَّبِيِّ ﷺ عَنْ سَرِيرَتِهِ فِي الْبَيْتِ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ : لَا أَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ : لَا أَكُلُ اللَّحْمَ، وَقَالَ

^{١٥٢} - صحيح ابن حبان - (١ / ١٩١) (١٤) وصحيح مسلم - المكثر - (٣٤٦٩)

بَعْضُهُمْ: لَا أَنْامَ عَلَى فِرَاشِي، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: أَصُومُ وَلَا أَفْطِرُ. فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ ﷺ، فَقَامَ خَطِيبًا وَقَالَ: فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ: أَمَّا بَعْدُ مَا بَالَ أَقْوَامٌ قَالُوا كَذَا وَكَذَا، لَكُنِّي أَصُومُ، وَأَفْطِرُ، وَأَنْامُ، وَأُصَلِّي، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنِّي فَلَيْسَ مِنِّي ۝١٥٣

تأمل قوله ﷺ: ما بال أقوام، فهو لم يصرح بأسمائهم وإن كان بعض الصحابة يعرفونهم ومع ذلك فالنبي ﷺ لم يصرح بأسمائهم لأن الغرض - كما قلنا سابقاً - ليس هو التشهير بالمخطئ أو بصاحب الفعل المذموم، وإنما هو بيان ذلك الفعل المذموم أو القول المذموم والتحذير منه . قال النووي " قوله : (إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ حَمَدَ اللَّهَ تَعَالَى وَأَثْنَى عَلَيْهِ فَقَالَ : مَا بَالَ أَقْوَامٌ قَالُوا كَذَا وَكَذَا) هُوَ مُوَافِقٌ لِلْمَعْرُوفِ مِنْ خُطْبِهِ ﷺ فِي مِثْلِ هَذَا أَنَّهُ إِذَا كَرِهَ شَيْئًا فَخَطَبَ لَهُ ذَكَرَ كَرَاهِيَّتَهُ، وَلَا يُعَيِّنُ فَاعِلَهُ، وَهَذَا مِنْ عَظَمِ خُلُقِهِ ﷺ، فَإِنَّ الْمَقْصُودَ مِنْ ذَلِكَ الشَّخْصِ وَجَمِيعِ الْحَاضِرِينَ وَغَيْرِهِمْ مِمَّنْ يَبْلُغُهُ ذَلِكَ، وَلَا يَحْصُلُ تَوْبِيخُ صَاحِبِهِ فِي الْمَلَأَ . ۝١٥٤

وإليك قصة أخرى، فعن أبي حميد الساعدي: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ - اسْتَعْمَلَ رَجُلًا مِنَ الْأَزْدِ عَلَى الصَّدَقَةِ يُقَالُ لَهُ ابْنُ اللَّثْبِيَّةِ فَلَمَّا جَاءَهُ قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ - : هَذَا لَكُمْ وَهَذَا أُهْدَى لِي فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - عَلَى الْمَنْبَرِ فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَقَالَ « مَا بَالَ الْعَامِلِ نَسْتَعْمَلُهُ عَلَى بَعْضِ الْعَمَلِ مِنْ أَعْمَالِنَا فَيَجِيءُ فَيَقُولُ : هَذَا لَكُمْ وَهَذَا أُهْدَى لِي. أَفَلَا جَلَسَ فِي بَيْتِ أَبِيهِ أَوْ بَيْتِ أُمِّهِ فَيَنْظُرُ هَلْ يُهْدَى لَهُ شَيْءٌ أَمْ لَا، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَا يَأْتِي أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنْهَا بِشَيْءٍ إِلَّا جَاءَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَحْمِلُهُ عَلَى رَقَبَتِهِ إِنْ كَانَ بَعِيرًا لَهُ رُغَاءٌ أَوْ بَقْرَةٌ لَهَا خَوَارٌ أَوْ شَاةٌ تَبْعُرُ ». ثُمَّ رَفَعَ يَدَيْهِ حَتَّى رَأَيْتُ عُفْرَةَ إِبْطِيهِ فَقَالَ : « اللَّهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ اللَّهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ اللَّهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ » ۝١٥٥ .

١٥٣ - مسند أبي عوانة (٣٢٢٣) صحيح

١٥٤ - شرح النووي على مسلم - (٥ / ٧٢)

١٥٥ - السنن الكبرى للبيهقي - المكثر - (٤ / ١٥٨) (٧٩١٤) وصحيح البخاري - المكثر - (٢٥٩٧) وصحيح

مسلم - المكثر - (٤٨٤٣)

الخوار : صوت البقرة - الرغاء : صوت الإبل - العفرة : بياض مشوب بالسمرة - تبعر : تصيح وتصوت صوتا شديدا

وفي هذه الواقعة، قوله ﷺ : ما بال العامل نبعثه، حيث لم يفصح الرسول ﷺ عن اسمه مع أن كثيراً من الصحابة يعلمون هذا الذي عناه الرسول ﷺ بقوله : ما بال العامل نبعثه، ولكن لما كان القصد هو التحذير من الفعل المذموم وبيان ضرره وسوء عاقبته حتى لا يقع في الآخرون، شهر بالفعل دون الفاعل، إذ ليس هناك مصلحة ترجى من ذكر اسم الفاعل.

وحول هذا الحديث وهذا المعنى يشير الحافظ ابن حجر بقوله :

"وَفِيهِ أَنَّ مَنْ رَأَى مُتَأَوِّلاً أَخْطَأَ فِي تَأْوِيلِ يَضُرُّ مَنْ أَخَذَ بِهِ أَنْ يُشْهَرَ الْقَوْلَ لِلنَّاسِ وَيُبَيِّنَ خَطَأَهُ لِيَحْذَرَ مِنَ الْإِغْتِرَارِ بِهِ . وَفِيهِ جَوَازُ تَوْيِيحِ الْمُخْطِئِ، وَاسْتِعْمَالِ الْمَفْضُولِ فِي الْإِمَارَةِ وَالْإِمَامَةِ وَالْأَمَانَةِ مَعَ وُجُودِ مَنْ هُوَ أَفْضَلُ مِنْهُ وَفِيهِ اسْتِشْهَادُ الرَّأْيِ وَالنَّقْلِ بِقَوْلِ مَنْ يُوَافِقُهُ لِيَكُونَ أَوْقَعَ فِي نَفْسِ السَّامِعِ وَأَبْلَغَ فِي طَمَأْنِينَتِهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ ."^{١٥٦}

والمعلمون كذلك يجب أن تكون طريقتهم في علاج الأخطاء التي تقع من الطلاب، عن طريق التشهير بالخطأ وذمه وبيان سوء عاقبته، والتحذير منه، مع عدم التصريح باسم المخطئ خصوصاً إذا كان الخطأ عن غير تعمد من الطالب نفسه، لكي لا يستغلها ضعاف النفوس في تحقيره ورميه بالنقائص، ولكي لا يوجد حالة من الكراهية والبغضاء بين المعلم والطالب.

أما إن كان المخطئ متعمداً عالماً فهذه حالة يقدرها المعلم، هل يشهر به أمام الآخرين لردعه عما هو فيه - مع ملاحظة تجرد النفس من قصد التشفي والانتصار لها - ؟ أم يستعمل أساليب أخرى لعلاج هذه الحالة ؟ وهذه كما قلت سابقاً، راجعة إلى تقدير المعلم . وعموماً فإن طريقة التعريض بالخطأ دون التصريح باسم صاحبه مهمة ليست بيسيرة، إذ فيها تكمن براعة المعلم في علاج الخطأ دون التعرض لكرامة الطالب.

قال الغزالي : " وهي من دقائق صناعة التعليم أن يزجر المتعلم عن سوء الأخلاق بطريق التعريض ما أمكن ولا يصرح . وبطريق الرحمة لا بطريق التوبيخ فإن التصريح يهتك

^{١٥٦} - فتح الباري لابن حجر - (١٣ / ١٦٧)

حجاب الهيئة ويورث الجرأة على الهجوم بالخلاف ويهيج الحرص على الإصرار^{١٥٧} .

قلت : ويجوز التصريح باسمه إذا اقتضى الأمر ذلك، وعن عائشة، فذكر أحاديث بهذا، ثم قال : وبه : أن امرأة عثمان بن مظعون دخلت على رسول الله ﷺ وهي باذة، فقالت : يا رسول الله، زوجي يصوم النهار، ويقوم الليل، فلقي النبي ﷺ زوجها، فقال : يا عثمان، إن لك في أسوة، والله لأخشاكم لله، وأحفظكم لحدوده لأنا^{١٥٨} .

وعن عائشة، زوج النبي ﷺ قالت : دخلت علي خويلة بنت حكيم بن أمية بن حارثة بن الأوقص السلمية وكانت عند عثمان بن مظعون قالت : فرأى رسول الله ﷺ بذاذة هيئتها، فقال لي : يا عائشة، ما أبد هيئة خويلة ؟ قالت : فقلت : يا رسول الله، امرأة لا زوج لها يصوم النهار، ويقوم الليل فهي كمن لا زوج لها، فتركت نفسها وأضاعها، قالت : فبعث رسول الله ﷺ إلى عثمان بن مظعون فجاءه، فقال : يا عثمان، أرعبت عن سنتي ؟ قال : فقال : لا والله يا رسول الله، ولكن سنتك أطلب، قال : فإني أنام وأصلي، وأصوم وأفطر، وأنكح النساء، فأتق الله يا عثمان، فإن لأهلك عليك حقاً، وإن لصيفك عليك حقاً، وإن لنفسك عليك حقاً، فصم وأفطر، وصل وتم^{١٥٩} .

وعن ابن إسحاق، قال : حدثنا عبد الله بن أبي بكر بن حزم، أن أبا خيثمة، أبا بني سالم رجع بعد مسير رسول الله ﷺ أياماً إلى أهله في يوم حار، فوجد امرأتين له في عريشين لهما في حائط قد رشت كل واحدة منهما عريشها، وبردت له فيه ماء، وهيأت له فيه طعاماً، فلما دخل قام على باب العريشين، فنظر إلى امرأته وما صنعتا له، فقال : رسول الله ﷺ في الضح، والريح، والحر، وأبو خيثمة في ظل بارد وماء بارد وطعام مهياً وامرأة حسناء في ماله مقيم ؟ ما هذا بالتصيف، ثم قال : لا والله لا أدخل عريش واحدة منكما حتى ألحق برسول الله ﷺ، فهيتا لي زادا، ففعلتا، ثم قدم ناضحه فارتحلته، ثم خرج في طلب رسول الله ﷺ حتى أدركه بتبوك حين نزلها، وقد كان أدرك أبا خيثمة عمير بن وهب

^{١٥٧} - فيض القدير، شرح الجامع الصغير، الإصدار ٢ - (٦ / ٥٥) وإحياء علوم الدين - (١ / ٦١)

^{١٥٨} - كشف الأستار - (٢ / ١٧٤) (١٤٥٨) صحيح

^{١٥٩} - مسند أحمد (عالم الكتب) - (٨ / ٥٣١) (٢٦٣٠٨) ٢٦٨٣٩ - حسن صحيح

الْجُمَحِيُّ فِي الطَّرِيقِ يَطْلُبُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَتَرَافَقَا حَتَّى إِذَا دَنَوْا مِنْ تَبُوكَ، قَالَ أَبُو خَيْثَمَةَ لِعُمَيْرِ بْنِ وَهَبٍ : إِنَّ لِي ذَنْبًا فَلَا عَلَيَّكَ أَنْ تَخْلَفَ عَنِّي حَتَّى آتِي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، فَفَعَلَ، فَسَارَ حَتَّى إِذَا دَنَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ نَازِلٌ بِتَبُوكَ قَالَ النَّاسُ : هَذَا رَاكِبٌ عَلَى الطَّرِيقِ مُقْبِلٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " كُنْ أَبَا خَيْثَمَةَ " ، فَقَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ هُوَ وَاللَّهِ أَبُو خَيْثَمَةَ، فَلَمَّا آتَاخَ أَقْبَلَ فَسَلَّمَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " أَوْلَى لَكَ أَبُو خَيْثَمَةَ " ثُمَّ أَخْبَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْخَبَرَ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خَيْرًا وَدَعَا لَهُ بِخَيْرٍ " ١٦٠

الخلاصة :

- (١) ليس القصد من إعلان الخطأ التشهير بالمخطيء، بل هو تحذير وبيان لسوء الفعل أو القول، لكي لا يغتر به .
- (٢) عدم التصريح بالاسم أثناء بيان الخطأ، وإن كان المخطيء معلوماً عند البعض .
- (٣) إذا كان المخطيء عامداً عالماً، فللمعلم أن يجتهد في إيجاد السبيل الأقوم في معالجة وتأديب المخطيء .
- (٤) براعة المعلم تكمن في كيفية علاج الخطأ، دون التصريح باسم المخطيء .

[٥] إلقاء السلام على المتعلم قبل الدرس وبعده :

يغفل كثير من المعلمين عن سنة عظيمة من سنن المصطفى ﷺ، وهي سنة السلام، وقد ورد في فضلها آثار كثيرة .

والعجب أن يعدل المعلمون عن السلام المشروع وهو سنة إلى غيرها من التحيات، ولا بأس أن يصبح بالخير، أو يمسي بالخير ولكن يكون ذلك بعد السلام، أما أن تكون هذه التحيات ونحوها هي المعتمد في كل حال فلا . ثم إنه قد يحدث من بعض المعلمين أمراً

١٦٠ - دلائل النبوة للبيهقي (١٩٧٨) صحيح مرسل

مخالفاً للشرع وهو جعل الطلاب يقومون له عند مجيئه لهم، ويجلس هو ويسلمون عليه هم، وهذا مخالف للسنة.

وقد اختلفت الروايات في القيام للقادم، ففي مشكل الآثار :

" بَابُ بَيَانِ مُشْكَلِ مَا رُوِيَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي قِيَامِ الرِّجَالِ بَعْضِهِمْ إِلَى بَعْضٍ قَالَ ابْنُ شِهَابٍ: وَأَخْبَرَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ كَعْبٍ، أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ كَعْبٍ، قَالَ: سَمِعْتُ كَعْبَ بْنَ مَالِكٍ، يُحَدِّثُ بِحَدِيثِ تَوْبَتِهِ، قَالَ: فَأَنْطَلَقْتُ أَتَأَمُّمُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَتَلْقَانِي النَّاسُ فَوْجًا فَوْجًا يُهَيِّئُونَنِي بِالتَّوْبَةِ، وَيَقُولُونَ: لَتَهْنِكَ تَوْبَةُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْكَ، حَتَّى دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ جَالِسٌ فِي الْمَسْجِدِ حَوْلَهُ النَّاسُ فَقَامَ إِلَيَّ طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ يَهْرُولُ حَتَّى صَافَحَنِي وَهَنَانِي، وَاللَّهِ مَا قَامَ رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ غَيْرُهُ، قَالَ: فَكَانَ كَعْبٌ لَا يَنْسَاهَا لَطَلْحَةَ. (صحيح)

وَقَالَ أَبُو سَعِيدِ الْخُدْرِيُّ: لَمَّا طَلَعَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بَعْدَمَا نَزَلَتْ بَنُو قُرَيْظَةَ عَلَى حُكْمِهِ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " قَوْمُوا إِلَى سَيِّدِكُمْ أَوْ إِلَى خَيْرِكُمْ " (صحيح) وَعَنْ عَامِرِ بْنِ سَعْدٍ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّ سَعْدَ بْنَ مُعَاذٍ، دَخَلَ الْمَسْجِدَ بَعْدَ أَنْ حَكَمَ فِي بَنِي قُرَيْظَةَ بِمَا حَكَمَ بِهِ فِيهِمْ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " قَوْمُوا إِلَى سَيِّدِكُمْ " (صحيح) وَعَنْ مُحَمَّدِ بْنِ هِلَالٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: " كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَدْخُلَ بَيْتَهُ فَمَنَا " (حسن)

فَقَالَ قَائِلٌ: كَيْفَ تَقْبَلُونَ هَذِهِ الْأَحَادِيثَ، وَأَنْتُمْ تَرَوُونَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَا يُخَالِفُهَا فَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُرَيْدَةَ، قَالَ: سَمِعْتُ مُعَاوِيَةَ بْنَ أَبِي سُفْيَانَ، يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَسْتَجِمَّ لَهُ الرِّجَالُ قِيَامًا وَجَبَتْ لَهُ النَّارُ " (صحيح)

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: فَكَانَ جَوَابُنَا لَهُ فِي ذَلِكَ بِتَوْفِيقِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَعَوْنِهِ أَنَّ هَذَا الْحَدِيثَ عِنْدَنَا غَيْرُ مُخَالَفٍ لِلْأَحَادِيثِ الْأُولِ الَّتِي رَوَيْنَاهَا فِي هَذَا الْبَابِ؛ لِأَنَّ الْأَحَادِيثَ الْأُولَ الَّتِي رَوَيْنَاهَا فِي هَذَا الْبَابِ فِيهَا إِطْلَاقُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قِيَامِ الرِّجَالِ بَعْضِهِمْ إِلَى بَعْضٍ بِاخْتِيَارِ الْقَائِمِينَ لِذَلِكَ لَا بِذِكْرِ مَحَبَّةِ الَّذِينَ قَامُوا لَهُمْ إِيَّاهُ مِنْهُمْ، وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ الَّذِي ذَكَرْتُهُ

الْمَحَبَّةُ مِنَ الَّذِي يُقَامُ لَهُ لِذَلِكَ مِمَّنْ يَقُومُهُ لَهُ ، فَتَصَحِّحُ هَذَيْنِ الْمَعْنَيْنِ أَنْ تَكُونَ
الْأَحَادِيثُ الْأُولَى عَلَى مَا لَا مَحَبَّةَ فِيهِ لِمَنْ يُقَامُ لَهُ ، وَهَذَا الْحَدِيثُ عَلَى الْمَحَبَّةِ لِمَنْ يُقَامُ
لَهُ بِذَلِكَ الْقِيَامِ ، فَبَانَ بِمَا ذَكَرْنَا أَنَّ كُلَّ جِنْسٍ مِنْ هَذَيْنِ الْجِنْسَيْنِ مُحْتَمَلٌ لِمَا حَمَلْنَاهُ عَلَيْهِ
مِمَّا ذَكَرْنَا ، فَلَمْ يَبَيِّنْ بِحَمْدِ اللَّهِ وَنِعْمَتِهِ تَضَادُّ لِحْنَسٍ مِنْ هَذَيْنِ الْجِنْسَيْنِ لِلْجِنْسِ الْآخَرِ
مِنْهُمَا

وَعَنْ أَنَسٍ ، قَالَ : " لَمْ يَكُنْ شَخْصٌ أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَكَانُوا إِذَا رَأَوْهُ لَمْ
يَقُومُوا لَهُ لِمَا يَعْلَمُوا مِنْ كَرَاهَتِهِ لِذَلِكَ " (صحيح)

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ : فَكَانَ مَا فِي هَذَا الْحَدِيثِ قَدْ دَلَّ أَنَّ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِنَّمَا كَانُوا
يَتْرَكُونَ الْقِيَامَ لَهُ ﷺ لِعِلْمِهِمْ بِكَرَاهَتِهِ لِذَلِكَ مِنْهُمْ وَفِي ذَلِكَ مَا قَدْ دَلَّ عَلَى أَنَّهُمْ لَوْ كَانُوا
كَرَاهَتُهُ لِذَلِكَ مِنْهُمْ لَقَامُوا لَهُ وَقَدْ تَكُونُ كَرَاهَتُهُ لِذَلِكَ مِنْهُمْ عَلَى وَجْهِ التَّوَضُّعِ مِنْهُ ﷺ
لِذَلِكَ ؛ لِأَنَّهُ حَرَامٌ عَلَيْهِمْ أَنْ يَفْعَلُوا ذَلِكَ لَهُ ، وَكَيْفَ يُظُنُّ أَنَّ ذَلِكَ حَرَامٌ عَلَيْهِمْ وَقَدْ
أَمَرَهُمْ بِالْقِيَامِ إِلَى سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ وَقَامَ بِمَحْضَرِهِ طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ إِلَى كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ
عِنْدَ نَزُولِ تَوْبَتِهِ مِنْهُنَّ لَهُ بِذَلِكَ فَلَمْ يَنْهَهُ عَنْهُ .

وَعَنْ أَبِي مَجَلَزٍ ، قَالَ : دَخَلَ مُعَاوِيَةُ بَيْتًا فِيهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَامِرٍ فَقَامَ ابْنُ
عَامِرٍ وَتَبَتَ ابْنُ الزُّبَيْرِ وَكَانَ أَوْزَنْتَهُمَا ، فَقَالَ مُعَاوِيَةُ : اجْلِسْ يَا ابْنَ عَامِرٍ فَإِنِّي سَمِعْتُ
رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : " مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَمْتُلَّ لَهُ الرَّجَالُ قِيَامًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ " (صحيح)

فَدَلَّ ذَلِكَ أَنَّ الْمَكْرُوهَ مِمَّا ذَكَرْنَاهُ هُوَ الْمَحَبَّةُ مِنْ بَعْضِ الرَّجَالِ لِذَلِكَ مِنْ بَعْضٍ ، وَقَدْ
تَكُونُ تِلْكَ الْمَحَبَّةُ مِنَ الْقِيَامِ إِلَيْهِمْ ، وَقَدْ تَكُونُ بِلَا قِيَامٍ إِلَيْهِمْ ، فَدَلَّ ذَلِكَ عَلَى أَنَّ الْكَرَاهَةَ
فِي ذَلِكَ إِنَّمَا هِيَ لِلْمَحَبَّةِ الَّتِي ذَكَرْنَا لِلْقِيَامِ الَّذِي لَا مَحَبَّةَ مَعَهُ ، وَقَدْ كَانَ بَعْضُ مَنْ
يَنْتَحِلُ اللَّعْنَةَ يَزْعُمُ أَنَّ حَدِيثَ مُعَاوِيَةَ الَّذِي رَوَاهُ عَنْهُ ابْنُ بُرَيْدَةَ إِنَّمَا هُوَ : مَنْ أَحَبَّ أَنْ
يَسْتَحِمَّ لَهُ الرَّجَالُ قِيَامًا ، وَإِنْ كَانَ ذَلِكَ عَلَى الْقِيَامِ الَّذِي تَفْعَلُهُ الْأَعَاجِمُ بِعُظْمَائِهِمْ مِنْ
قِيَامِهِمْ عَلَى رُءُوسِهِمْ وَمَنْ إِطَالَتَهُمْ لِذَلِكَ حَتَّى يَسْتَحِمُّوا مَعَهُ : أَيَّ حَتَّى تَتَغَيَّرَ لَهُ رَوَائِحُهُمْ
لِإِطَالَتِهِمْ لِذَلِكَ الْقِيَامِ قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ : وَهَذَا عِنْدَنَا مُسْتَحِيلٌ ؛ لِأَنَّ الْحَدِيثَ الْمَرْوِيَّ فِي

ذَلِكَ إِنْ مَا دَارَ عَلَى مُعَاوِيَةَ لَا مَخْرَجَ لَهُ سِوَاهُ وَقَدْ كَانَ فِيهِ مَا خَاطَبَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَامِرٍ مَا كَانَ بَعِيرٍ إِطَالَةَ مَنْ ابْنِ عَامِرٍ لَهُ فِي ذَلِكَ قِيَامًا، فَذَلِكَ عَلَى انْتِفَاءِ هَذَا التَّأْوِيلِ ، وَفِي انْتِفَائِهِ ثُبُوتُ التَّأْوِيلِ الْأَوَّلِ . " ١٦١

وفي فتاوى الشبكة الإسلامية :

" وقد اختلف أهل العلم في قيام الرجال للرجل عند رؤيته: فجوزوه بعضهم كالنووي وغيره، ومنعه آخرون.

قال النووي في الأذكار: وأما إكرام الداخل بالقيام، فالذي نختاره أنه مستحب لمن كان فيه فضيلة ظاهرة، ويكون هذا القيام للبر والإكرام والاحترام، لا للرياء والإعظام.

ونقل العيني في شرح البخاري عن أبي الوليد ابن رشد أن القيام على أربعة أوجه:

الأول: محذور، وهو أن يقع لمن يريد أن يقام إليه تكبراً وتعظماً على القائمين إليه.

الثاني : مكروه، وهو أن يقع لمن لا يتكبر، ولكن يخشى أن يدخله بسبب ذلك ما يحذر، ولما فيه من التشبه بالجبايرة،

والثالث: جائز، وهو أن يقع على سبيل البر لمن لا يريد ذلك، ويأمن معه التشبه بالجبايرة.

الرابع: مندوب، وهو أن يقوم لمن قدم من سفر فرحاً بقدمه ليسلم عليه، أو إلى من تجددت له نعمة فيهنئه بحصولها، أو مصيبة فيعزيه بسببها.

وقال الغزالي: القيام على سبيل الإعظام مكروه، وعلى سبيل البر والإكرام لا يكره. وقال

الحافظ في الفتوح: هذا تفصيل حسن، ونحن نميل إلى القول بهذا التفصيل الذي ذكره

الغزالي، واستحسنه الحافظ ابن حجر. والله أعلم. " ١٦٢

وبذل السلام أجر وغنيمة يستفيد منه المسلم في تكثير حسناته، ولذا رغب النبي ﷺ

صحابته إلى ذلك وحثهم عليه :

١٦١ - شرح مشكل الآثار - (٣ / ١٥٠) فما بعد

١٦٢ - فتاوى الشبكة الإسلامية معدلة - (٢ / ٤٠٤٢) - رقم الفتوى ٨٤٣٠ شرح حديث " من أحب أن يمثل له الرجال قياماً... " وفتاوى الشبكة الإسلامية معدلة - (٨ / ٢٣٥٧) - رقم الفتوى ٥٢٩٠٨ حكم القيام للمعلم

فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ إِذَا لَقِيَ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ فَلْيَسَلِّمْ عَلَيْهِ فَإِنْ حَالَتْ بَيْنَهُمَا شَجَرَةٌ أَوْ جِدَارٌ
أَوْ حَجَرٌ ثُمَّ لَقِيَهُ فَلْيَسَلِّمْ عَلَيْهِ أَيْضًا. ١٦٣

وإلقاء السلام سبب في إشاعة المحبة بين الأفراد والجماعات، والمعلم يحتاج إلى ذلك من باب
أولى .

فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ حَتَّى
تُؤْمِنُوا، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَمْرٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ ؟ أَفَشُوا السَّلَامَ
بَيْنَكُمْ. ١٦٤

وعن الزبير بن العوام، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : دَبَّ إِلَيْكُمْ دَاءُ الْأُمَمِ قَبْلَكُمْ :
الْحَسَدُ، وَالْبَغْضَاءُ، وَالْبَغْضَاءُ : هِيَ الْحَالِقَةُ، لَا أَقُولُ تَحْلِقُ الشَّعْرَ، وَلَكِنْ تَحْلِقُ الدِّينَ، وَالَّذِي
نَفْسِي بِيَدِهِ، أَوْ وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَا تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى
تَحَابُّوا، أَفَلَا أَنْبَأْتُمْ بِمَا يُثَبِّتُ ذَلِكَ لَكُمْ، أَفَشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ. ١٦٥

والمحبة إذا شاعت بين المعلم وطلابه، كان ذلك علامة على قبول العلم الذي يشه ذلك
المعلم، لأن النفس بطبعها تميل إلى الشيء الذي تحبه وتهواه، وهذا شيء متعارف عليه .

بقي ثمة أمر آخر لا يخطر ببال الكثيرين، وهو أن يسلم المعلم على طلابه، عند إرادة
الانصراف من الدرس، فعن أبي هريرة، عن رسول الله ﷺ، قَالَ : إِذَا انْتَهَى أَحَدُكُمْ إِلَى
مَجْلِسٍ فَلْيَسَلِّمْ، فَإِنْ بَدَأَ لَهُ أَنْ يَجْلِسَ فَلْيَجْلِسْ، فَإِذَا قَامَ فَلْيَسَلِّمْ، فَلْيَسَلِّمْ الْأُولَىٰ بِأَحَقِّ مِنَ
الْآخِرَةِ. ١٦٦

الخلاصة:

(١) البداية بالسلام عند لقاء الطالب .

١٦٣ - سنن أبي داود - المكثر - (٥٢٠٢) صحيح

١٦٤ - صحيح ابن حبان - (١ / ٤٧٢) (٢٣٦) صحيح

١٦٥ - مسند أحمد (عالم الكتب) - (١ / ٤٥٥) (١٤٣٠) وصحيح الجامع (٣٣٦١) حسن لغيره

١٦٦ - صحيح ابن حبان - (٢ / ٢٤٧) (٤٩٤) صحيح

وانظر الموسوعة الفقهية الكويتية - (٢٥ / ١٧٢) وإحياء علوم الدين - (٢ / ٤٩)

- (٢) السلام سبب في جلب المغفرة، وتكثير الحسنات .
(٣) السلام سبب في إشاعة المحبة بين المعلم وطلابه .
(٤) إلقاء السلام عد الدخول على الطلاب، وعند الانصراف .

[٦] استخدام العقوبات أثناء التعليم :

يتفق المعلمون في وجوب معاقبة المخطئ وردعه عند تكرار خطئه، ولكنهم يختلفون في مسألة العقاب البدني للتلميذ، فالمانعون يقولون : إن هذا الأسلوب غير مجد، ويؤدي إلى حدوث أمراض نفسية لدى الطالب، وتجعل الطالب يتخوف من العلم لأدنى سبب، وكذلك هذا الأسلوب يدعو الطالب إلى الكذب للفرار من عقاب المعلم، قالوا : ولذا نرى عدم السماح للمعلم بمعاقبته بدنياً مطلقاً .

والفريق الآخر المؤيدون يقولون : إن إلغاء العقاب البدني بتاتاً له عواقب وخيمة، منها أن الطالب لا يأبه للمعلم، ولا يضع له اعتباراً، وبالتالي لن يلقي اهتماماً للعلم أي (للمادة الدراسية)، وعملية إلغاء العقاب البدني ينشئ لنا جيلاً مستهتراً بالقيم والمثل والعلم .

والتحقيق أن يقال: أنه لا بد من التفصيل في هذه المسألة، وأن تناولها من جوانب عدة:

أولاً : إلغاء الضرب بالكلية مرفوض، وإطلاق العنان للمعلم بالضرب في كل الأحوال مرفوض أيضاً، ومستندنا في جواز الضرب حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال قال رسول الله - ﷺ - « مُرُوا أَوْلَادَكُمْ بِالصَّلَاةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِينَ وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرِ سِنِينَ وَفَرِّقُوا بَيْنَهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ »^{١٦٧} .

قال العلقمي : " إِنَّمَا أَمَرَ بِالضَّرْبِ لِعَشْرِ لَأَنَّهُ حَدٌّ يَتَحَمَّلُ فِيهِ الضَّرْبُ غَالِبًا، وَالْمُرَادُ بِالضَّرْبِ ضَرْبًا غَيْرَ مُبْرَحٍ وَأَنْ يَتَّقِيَ الْوَجْهَ فِي الضَّرْبِ . " ^{١٦٨} .

^{١٦٧} - سنن أبي داود - المكثر - (٤٩٥) - صحيح

^{١٦٨} - عون المعبود - (٢ / ٢٠)

فهذا الحديث صريح في جواز ضرب من بلغ عشر سنين تأديباً له .

ثانياً : الضرب للتأديب فقط : وليس للانتقام والتشفي، ولذلك يخطئ بعض المعلمين عندما يضرب أحد طلابه ضرباً شديداً مبرحاً لخطأ وقع فيه، فيظن المعلم أنه يؤدبه، وفي الحقيقة أنه ينتصر لنفسه !

ثالثاً : اتقاء ضرب الوجه : فعن أبي هريرة، أن النبي ﷺ، قال : إِذَا ضَرَبَ أَحَدُكُمْ فَلْيَجْتَنِبِ الْوَجْهَ، فَإِنَّ اللَّهَ خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ. ١٦٩

وذلك لأن الوجه هو أشرف الأعضاء في جسم الإنسان، وهو مكان التكريم، فالضرب على الوجه يبعث على الكراهية وحب الانتقام .

رابعاً : هناك عقوبات أخرى تسبق الضرب : أورد الشيخ محمد جميل زينو ١٧٠ بعض

العقوبات التربوية المفيدة نأخذ منها على سبيل الاختصار :

• النصح والإرشاد (لأن البعض تؤثر فيه الكلمة والتوجيه)

• التعبيس (أي تعبيس الوجه وتقطيب الحاجبين للتعبير عن الاستياء)

• الزجر

• الإعراض (الإعراض عن طلابه أو عن أحدهم حتى يرجع عن خطئه)

• التوبيخ .

• جلوس القرفصاء (أو إيقاف الطالب مع رفع يديه ونحو ذلك) .

• تكليف الطالب بواجبات منزلية ونحو ذلك)

• تعليق العصي فعن ابن عباس، قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: عَلَّقُوا السَّوْطَ حَيْثُ يَرَاهُ أَهْلُ الْبَيْتِ، فَإِنَّهُ لَهُمْ أَدَبٌ. ١٧١

١٦٩ - صحيح ابن حبان - (١٢ / ٤٢٠) (٥٦٠٥) صحيح

قَالَ أَبُو حَاتِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : يُرِيدُ بِهِ صُورَةَ الْمَضْرُوبِ ، لِأَنَّ الصَّارِبَ إِذَا ضَرَبَ وَجْهَ أَخِيهِ الْمُسْلِمِ ضَرَبَ وَجْهًا خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ.

١٧٠ - نداء إلى المربين والمربيات ص ٩٣ . وما بين المعكوفتين زيادة بيان مني .

١٧١ - المعجم الكبير للطبراني - (٩ / ١٥٣) (١٠٥٢٣) حسن

● (المرحلة الأخيرة) الضرب الخفيف .

قلت :

الذين قالوا بمنع العقوبات البدنية هم الذين تأثروا بالحضارة الغربية، حيث تعطف على الجاني، وتجهز على الضحية، ومن ثم لو نظرنا إلى حياة القوم الاجتماعية لوجدنا الجرائم التي لا تعد ولا تحصى من كل فئات الناس، وأهم سبب لذلك ترك العقوبات البدنية، التي أنزلها الله سبحانه وتعالى من السماء .

فالعقوبات البدنية ومنها الضرب هي تشريع رباني محكم، فكل من يريد منعها إنما يريد التحاكم إلى شرع الجاهلية - مهما نطقها أصحابها- قال تعالى : { أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوفُونَ } (٥٠) سورة المائدة .

فالزوجة أقرب الناس للزوج وموطن أسراره، وسكنه الروحي والنفسي، ومع هذا إذا أخطأت ولم يجد معها الوعظ والإرشاد والهجر في المضجع جاز ضربها ضربا غير مبرح، قال تعالى : { الرَّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا كَبِيرًا } (٣٤) سورة النساء .

فعن عائشة، قالت : أَلَا أُحَدِّثُكُمْ عَنِّي وَعَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قُلْنَا : بَلَى، قَالَتْ : لَمَّا كَانَ لَيْلَتِي انْقَلَبَ ﷺ، فَوَضَعَ نَعْلَيْهِ عَن رِجْلَيْهِ وَوَضَعَ رِدَاءَهُ، وَبَسَطَ طَرْفَ إِزَارِهِ عَلَي فِرَاشِهِ، فَلَمْ يَلْبَثْ إِلَّا رَيْثَمَا ظَنَّ أَنِّي قَدْ رَقَدْتُ، ثُمَّ انْتَعَلَ رُوَيْدًا وَأَخَذَ رِدَاءَهُ رُوَيْدًا، ثُمَّ فَتَحَ الْبَابَ، فَخَرَجَ وَأَحَافَهُ رُوَيْدًا، فَحَعَلْتُ دِرْعِي فِي رَأْسِي، ثُمَّ تَقَنَعْتُ بِإِزَارِي، فَأَنْطَلَقْتُ فِي إِثْرِهِ حَتَّى أَتَى الْبَقِيعَ، فَرَفَعَ يَدَيْهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ فَأَطَالَ الْقِيَامَ، ثُمَّ انْحَرَفَ فَأَنْحَرَفْتُ، فَأَسْرَعَ فَأَسْرَعْتُ، فَهَرَوَلَّ فَهَرَوَلْتُ، فَأَحْضَرَ فَأَحْضَرْتُ، فَسَبَقْتُهُ فَدَخَلْتُ فَلَيْسَ إِلَّا أَنْ اضْطَجَعْتَ دَخَلَ، فَقَالَ : مَا لَكَ يَا عَائِشَةُ ؟ قُلْتُ : لَا شَيْءَ، قَالَ : لَتُخْبِرُنِّي أَوْ لِيُخْبِرُنِّي اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ، قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ، يَا أَبَايَ أَنْتَ وَأُمِّي فَأَخْبِرْتُهُ الْخَبَرَ، قَالَ : أَنْتَ السَّوَادُ الَّذِي رَأَيْتَ أَمَامِي ؟ قُلْتُ : نَعَمْ، قَالَتْ : فَلَهَزَ فِي صَدْرِي لَهْزَةً أَوْجَعْتَنِي، ثُمَّ قَالَ : أَظَنَنْتِ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْكَ

وَرَسُولُهُ، قَالَتْ : فَقُلْتُ : مَهْمَا يَكْتُمُ النَّاسُ فَقَدْ عَلِمَهُ اللَّهُ، قَالَ : فَإِنَّ جَبْرِيلَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلِمَهُ أَتَانِي حِينَ رَأَيْتَ وَلَمْ يَكُنْ يَدْخُلُ عَلَيْكَ وَقَدْ وَضَعْتَ ثِيَابَكَ، فَنَادَانِي فَأَخْفَى مِنْكَ، فَأَجَبْتُهُ فَأَخْفَيْتُهُ مِنْكَ، وَظَنَنْتُ أَنَّكَ قَدْ رَقَدْتَ، وَكَرِهْتُ أَنْ أُوقِظَكَ، وَخَشِيتُ أَنْ تَسْتَوْحِشَنِي، فَأَمَرَنِي أَنْ أَتِيَ أَهْلَ الْبَيْتِ فَأَسْتَعْفِرَ لَهُمْ، قُلْتُ : كَيْفَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : قَوْلِي السَّلَامَ عَلَى أَهْلِ الدِّيَارِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ الْمُسْلِمِينَ وَيَرْحَمِ اللَّهُ الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنَّا وَالْمُسْتَأْخِرِينَ، وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ بِكُمْ لَآحِقُونَ. ١٧٢

وَعَنْ أَبِي النَّضْرِ، أَنَّ أَبَا سَعِيدٍ الْخُدْرِيَّ، كَانَ يَشْتَكِي رِجْلَهُ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ أَخُوهُ وَقَدْ جَعَلَ إِحْدَى رِجْلَيْهِ عَلَى الْأُخْرَى وَهُوَ مُضْطَجِعٌ، فَضْرَبَهُ بِيَدِهِ عَلَى رِجْلِهِ الْوَجْعَةَ فَأَوْجَعَهُ، فَقَالَ : أَوْجَعْتَنِي، أَوَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ رِجْلِي وَجَعَةٌ ؟ قَالَ : بَلَى، قَالَ : فَمَا حَمَلَكَ عَلَى ذَلِكَ ؟ قَالَ : أَوَلَمْ تَسْمَعْ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَدْ نَهَى عَنْ هَذِهِ ؟. ١٧٣

وَعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي لَيْلَى عَنْ أَبِيهِ قَالَ : كَانَ أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ رَجُلًا ضَاحِكًا مَلِيحًا قَالَ فَبَيْنَمَا هُوَ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - يُحَدِّثُ الْقَوْمَ وَيُضْحِكُهُمْ فَطَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - بِإِصْبَعِهِ فِي خَاصِرَتِهِ فَقَالَ : أَوْجَعْتَنِي. قَالَ : « اِقْتَصْ ». قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ عَلَيَّ قَمِيصًا وَلَمْ يَكُنْ عَلَيَّ قَمِيصٌ. قَالَ فَرَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - قَمِيصَهُ فَاحْتَضَنَهُ ثُمَّ جَعَلَ يُقَبِّلُ كَشْحَهُ فَقَالَ : يَا أَبَى أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ أَرَدْتُ هَذَا. ١٧٤

وَعَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ الْبُرَاءِ قَالَ قُلْتُ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ الصَّامِتِ نُصَلِّي يَوْمَ الْجُمُعَةِ خَلْفَ أُمَّرَاءَ فَيُؤَخِّرُونَ الصَّلَاةَ - قَالَ - فَضْرَبَ فِخْدِي ضَرْبَةً أَوْجَعْتَنِي وَقَالَ سَأَلْتُ أَبَا ذَرٍّ عَنْ ذَلِكَ فَضْرَبَ فِخْدِي وَقَالَ سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ - عَنْ ذَلِكَ فَقَالَ « صَلُّوا الصَّلَاةَ لَوْ قَتَلْتُمَا وَاجْعَلُوا صَلَاتِكُمْ مَعَهُمْ نَافِلَةً ». قَالَ وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ ذَكَرَ لِي أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ - ضْرَبَ

١٧٢ - صحيح ابن حبان - (١٦ / ٤٥) (٧١١٠) وصحيح مسلم - المكثر - (٢٣٠١)

الحشيا : وقع عليك الحشا وهو الربو والنهيج - أحضر : عدا عدوا - الرابية : التي أخذها الربو وهو التهيج وتواتر النفس الذي يعرض للمسرع في مشيه - تقنعت : لبست - لهرز : دفع بشدة في الصدر

١٧٣ - مسند أحمد (عالم الكتب) - (٤ / ١٠٨) (١١٣٧٥) ١١٣٩٥ - صحيح

١٧٤ - السنن الكبرى للبيهقي - حيدر آباد - (٨ / ٤٩) (١٦٤٤٣) صحيح

فَخَذَ أَبِي ذَرٍّ ١٧٥

وكان ﷺ يغضبُ الغضبَ الشديد إذا جاوز المتعلمُ ببحثه وسؤاله إلى ما لا ينبغي السؤال عنه والدخول فيه .

عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ جَدِّهِ ، قَالَ : خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى أَصْحَابِهِ ، وَهُمْ يَخْتَصِمُونَ فِي الْقَدْرِ ، فَكَأَنَّمَا يُفْقَأُ فِي وَجْهِهِ حَبُّ الرُّمَّانِ مِنَ الْعَضْبِ ، فَقَالَ : بِهِذَا أُمِرْتُمْ ، أَوْ لِهَذَا خُلِقْتُمْ ١٧٦ ، تَضْرِبُونَ الْقُرْآنَ بَعْضُهُ بِبَعْضٍ ، بِهِذَا هَلَكَتِ الْأُمَّةُ قَبْلَكُمْ ، قَالَ : فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو : مَا غَبَطْتُ نَفْسِي بِمَجْلِسٍ تَخَلَّفْتُ فِيهِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، مَا غَبَطْتُ نَفْسِي بِذَلِكَ الْمَجْلِسِ ١٧٧ وَتَخَلَّفِي عَنْهُ ١٧٨ .

وَعَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ جَدِّهِ : أَنَّ نَفْرًا كَانُوا جُلُوسًا بِيَابِ النَّبِيِّ ﷺ ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ : أَلَمْ يَقُلِ اللَّهُ كَذَا وَكَذَا ؟ وَقَالَ بَعْضُهُمْ : أَلَمْ يَقُلِ اللَّهُ كَذَا وَكَذَا ؟ فَسَمِعَ ذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، فَخَرَجَ كَأَنَّمَا فُقِيَ فِي وَجْهِهِ حَبُّ الرُّمَّانِ ، فَقَالَ : بِهِذَا أُمِرْتُمْ ؟ أَوْ بِهِذَا بُعِثْتُمْ ؟ أَنْ تَضْرِبُوا كِتَابَ اللَّهِ بَعْضُهُ بِبَعْضٍ ؟ إِنَّمَا ضَلَّتِ الْأُمَّةُ قَبْلَكُمْ فِي مِثْلِ هَذَا ، إِنَّكُمْ لَسْتُمْ مِمَّا هَاهُنَا فِي شَيْءٍ ، أَنْظِرُوا الَّذِي أُمِرْتُمْ بِهِ ، فاعْمَلُوا بِهِ ، وَالَّذِي نُهِيتُمْ عَنْهُ ، فَانْتَهُوا ١٧٩ .

(فكأنما يُفْقَأُ في وجهه حَبُّ الرُّمَّانِ من الغضب) أي فَعَضِبَ فاحمرَّ وجهه احمراراً يشبه فقاً حب الرمان في وجهه ، وهذا كناية عن مزيد حُمرة وجهه الشريف المنبئة عن مزيد غضبه ، وإنما لأن القدر سر من أسرار الله تعالى ، وطلبُ سر الله منهِّي عنه ، ولأن من يبحث فيه لا يأمن من أن تزلَّ قدمه كما زلت الجبرية والقدرية .

١٧٥ - صحيح مسلم - المكثر - (١٥٠٣)

١٧٦ أي للخوض في بحث القدر والاختصاص فيه؟! هل هو المقصود من خلقكم! أو هو الذي وقع التكليف به؟ حتى اجترأتم عليه! يريد أنه ليس بشيء من الأمرين ، فأئى حاجة إليه!

١٧٧ أي ما استحسنتُ فعل نفسي وتغيبي مرةً عن مجلس رسول الله ﷺ إلا في هذا المجلس الذي اشتدَّ فيه غضب رسول الله ﷺ ولوج أصحابه فيما لا يعنيههم .

١٧٨ - سنن ابن ماجه - طبع مؤسسة الرسالة - (١ / ٦٣) (٨٥) صحيح

١٧٩ - مسند أحمد (عالم الكتب) - (٢ / ٦٦٦) (٦٨٤٥) صحيح

والعباد مأمورون بقبول ما أمرهم الشرع من غير ان يطلبوا سر ما لا يجوز طلب سره .
وعن أبي هريرة قال خرج علينا رسول الله - ﷺ - ونحن نتنازع في القدر فعضب حتى
احمر وجهه حتى كأنما فقي في وجنتيه الرمان فقال « أبهذا أمرتم أم بهذا أرسلت إليكم
إنما هلك من كان قبلكم حين تنازعوا في هذا الأمر عزمتم عليكم^{١٨٠} ألا تنازعوا فيه
«^{١٨١} .

وتأتي معاقبة الطالب من هذا القبيل، ففي الموسوعة الفقهية :

" وَيُؤَدَّبُ عَلَى تَرْكِ الطَّهَّارَةِ وَالصَّلَاةِ وَكَذَا الصَّوْمِ، وَيُنْهَى عَنِ شُرْبِ الخَمْرِ لِئَلْفَ الخَيْرِ
وَيَتْرَكَ الشَّرَّ، وَيُؤَمَّرُ بِالْعُسْلِ إِذَا جَامَعَ، وَيُؤَمَّرُ بِجَمِيعِ المَأْمُورَاتِ، وَيُنْهَى عَنِ جَمِيعِ
الْمَنْهِيَّاتِ، وَيَكُونُ التَّأْدِيبُ بِالضَّرْبِ وَالْوَعِيدِ، وَالتَّعْنِيفِ بِالقَوْلِ .، وَهَذَا التَّأْدِيبُ وَاجِبٌ عَلَى
الْوَالِيِّ بِاتِّفَاقِ الفُقَهَاءِ لِلْحَدِيثِ الْمُتَقَدِّمِ . وَهُوَ فِي حَقِّ الصَّبِيِّ لِتَمَرِّبِهِ عَلَى الصَّلَاةِ وَنَحْوِهَا
لِئَلْفَهَا وَيَعْتَادَهَا وَلَا يَتْرُكُهَا عِنْدَ البُلُوغِ، وَلَا تَجِبُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ عِنْدَ جُمُهورِ الفُقَهَاءِ لِخَبَرِ
« رُفِعَ القَلَمُ عَنِ ثَلَاثَةٍ عَنِ النَّائِمِ حَتَّى يَسْتَيْقِظَ وَعَنِ الصَّبِيِّ حَتَّى يَحْتَلِمَ وَعَنِ المَحْضُونِ
حَتَّى يَعْقِلَ »^{١٨٢} .

وَيُؤَدَّبُ المَعْلَمُ مَنْ يَتَعَلَّمُ مِنْهُ بِإِذْنِ الوَالِيِّ، وَلَيْسَ لَهُ التَّأْدِيبُ بِغَيْرِ إِذْنِ الوَالِيِّ عِنْدَ جُمُهورِ
الْفُقَهَاءِ^{١٨٣} .، وَنُقِلَ عَنِ بَعْضِ الشَّافِعِيَّةِ قَوْلُهُمْ : الإِجْمَاعُ الفِعْلِيُّ مُطْرَدٌ بِجَوَازِ ذَلِكَ بِدُونِ
إِذْنِ الوَالِيِّ .^{١٨٤}

وجاء فيها أيضاً :

" يُؤَدَّبُ الصَّبِيُّ بِالْأَمْرِ بِإِدَاءِ الفَرَائِضِ وَالنَّهْيِ عَنِ المُنْكَرَاتِ بِالقَوْلِ، ثُمَّ الوَعِيدِ، ثُمَّ
التَّعْنِيفِ، ثُمَّ الضَّرْبِ، إِنْ لَمْ تُجَدِ الطَّرِيقُ المَذْكُورَةَ قَبْلَهُ، وَلَا يُضْرَبُ الصَّبِيُّ لِتَرْكِ الصَّلَاةِ إِلَّا
إِذَا بَلَغَ عَشْرَ سِنِينَ لِحَدِيثِ : مُرُوا أَوْلَادَكُمْ بِالصَّلَاةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِينَ، وَاضْرِبُوهُمْ

^{١٨٠} - أي أفسمت عليكم ، أو أوجبت عليكم .

^{١٨١} - سنن الترمذى - المكثر - (٢٢٨٠) صحيح لغيره

^{١٨٢} - سنن أبي داود - المكثر - (٤٤٠٥) صحيح

^{١٨٣} - حاشية ابن عابدين ٣ / ١٨٩ ، ٥ / ٣٦٣ ، ومغني المحتاج ٤ / ١٩٣

^{١٨٤} - الموسوعة الفقهية الكويتية - (١٠ / ٢٢) وابن عابدين ٥ / ٣٦٣ ، ومغني المحتاج ٤ / ١٩٣ .

عَلَيْهَا وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرِ سِنِينَ، وَفَرَّقُوا بَيْنَهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ^{١٨٥}
 وَلَا يُجَاوِزُ ثَلَاثًا عِنْدَ الْحَنْفِيَّةِ وَالْمَالِكِيَّةِ وَالْحَنَابِلَةِ^{١٨٦} .
 وَهِيَ أَيْضًا عَلَى التَّرْتِيبِ، فَلَا يَرْفَى إِلَى مَرْتَبَةٍ إِذَا كَانَ مَا قَبْلَهَا يَفِي بِالْعَرَضِ وَهُوَ الْإِصْلَاحُ
 ١٨٧ .

وفي فتاوى الشبكة الإسلامية :

" إن أهل العلم يقولون بجواز ضرب الأب أو الأم أولادهما للتأديب، ولهم على ذلك أدلة منها: قوله ﷺ: « مُرُوا أَوْلَادَكُمْ بِالصَّلَاةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِينَ وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرِ سِنِينَ وَفَرَّقُوا بَيْنَهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ ». رواه أبو داود^{١٨٨} .
 فأمر النبي ﷺ بضرهم لترك الصلاة، وفي هذا الضرب تأديب لهم، ولكن أهل العلم يقولون:
 إن ضرب التأديب مقيد بوصف السلامة، ومحلّه في الضرب المعتاد كما وكيفاً ومحلاً .

فينبغي للأب أو الأم عند ضرب الأولاد مراعاة الأمور الآتية:
 أولاً: لا ينبغي الزيادة على عشر ضربات، لقوله ﷺ: « لَا يُجْلَدُ فَوْقَ عَشْرِ جَلَدَاتٍ إِلَّا فِي حَدِّ مَنْ حُدِّدَ اللَّهُ »^{١٨٩} .

ثانياً: لا يضرب الوجه، فعن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قَالَ: إِذَا ضَرَبَ أَحَدُكُمْ أَحَدَكُمْ فَلْيَجْتَنِبِ الْوَجْهَ، وَلَا يَقُلْ: قَبِّحَ اللَّهُ وَجْهَكَ، وَوَجْهَهُ مَنْ أَشْبَهَ وَجْهَكَ، فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ.^{١٩٠}

ثالثاً: لا يضرب في مكان مؤلم أو متلف: المذاكير، أو البطن، أو ما شابه ذلك.
 رابعاً: أن لا يؤدب وهو غضبان، لأن الغضب قد يخرج صاحبه عن السيطرة على نفسه،
 فمن ضرب أولاده لتأديبهم ملتزماً بالضوابط المذكورة، فلا إثم عليه.

^{١٨٥} - مر تخريجه

^{١٨٦} - الرهوني ٨ / ١٦٤ ، ومواهب الجليل ٦ / ٣١٩ ، والمغني لابن قدامة ٨ / ٣٢٧ ، وابن عابدين ١ / ٢٣٥ .

^{١٨٧} - الموسوعة الفقهية الكويتية - (١٠ / ٢٤)

^{١٨٨} - سنن أبي داود - المكثر - (٤٩٥) صحيح

^{١٨٩} - صحيح البخاري - المكثر - (٦٨٤٨)

^{١٩٠} - مسند أحمد (عالم الكتب) - (٣ / ٥٤١) (٩٦٠٤) (٩٦٠٢) - صحيح

وأما تعدي الحدود في ضرب الأولاد، فلا يجوز، وعلى الوالد أن يتجنب أسباب الغضب، وأن يستعيد بالله من الشيطان وقت الغضب، كما أرشد إلى ذلك النبي ﷺ. والله أعلم. "١٩١

وجاء فيها أيضاً: " لا نعلم أحاديث تنهي عن ضرب الطفل؛ بل ورد ما يدل على جواز ضربه إذا كان مستحقاً للضرب، كما روى أبو داود عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جدّه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: مرؤوا أولادكم بالصلاة، وهم أبناء سبع سنين، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر، وفرقوا بينهم في المضاجع. "١٩٢
وعن شُمَيْسَةَ، قَالَتْ: سَمِعْتُ عَائِشَةَ، وَسئلت عَنْ أَدَبِ الْيَتِيمِ فَقَالَتْ: إِنَّي لِأُضْرِبُ أَحَدَهُمْ حَتَّى يَنْبَسِطَ. "١٩٣

وعن الحسن العرنبي، أن رجلاً قال للنبي ﷺ: مِمَّ أُضْرِبُ يَتِيمِي؟ قَالَ: اضْرِبْهُ مِمَّا كُنْتَ ضَارِبًا مِنْهُ وَلَدَكَ. "١٩٤

وسئل الإمام أحمد عما يجوز فيه ضرب الولد؟ قال: يضرب على الأدب. وقال أيضاً: اليتيم يؤدب، والصغير يضرب ضرباً خفيفاً. وسئل عن ضرب المعلم الصبيان؟ فقال: على قدر ذنوبهم، ويتوقى بجهده الضرب، وإن كان صغيراً لا يعقل فلا يضربه.

وذكر ابن الجوزي أن الولد إذا احتيج إلى الضرب ضرب ضرباً غير مبرح. وعن أبي جعفر الخطمي، أن أباه سأل سعيد بن المسيب، أو قال: أرسل مولى له وأنا معه يسأله: مِمَّ يَضْرِبُ الرَّجُلُ يَتِيمَهُ؟ قَالَ: مِمَّ يَضْرِبُ الرَّجُلُ وَلَدَهُ، قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: وَسَأَلَ مُحَمَّدَ بْنَ كَعْبٍ فَقَالَ مِثْلَ ذَلِكَ. "١٩٥

فالمقصود أن ضرب الطفل جائز بشرط استحقاقه الضرب ومنفعته له. والله أعلم. "١٩٦

١٩١ - فتاوى الشبكة الإسلامية معدلة - (٣ / ٢٢٦٤) - رقم الفتوى ١٤١٢٣ ضرب التأديب مقيد بوصف السلامة

١٩٢ - سنن أبي داود - المكثر - (٤٩٥) صحيح

١٩٣ - مصنف ابن أبي شيبة - (١٣ / ٥٧٦) (٢٧٢٢٢) حسن

١٩٤ - مصنف ابن أبي شيبة - (١٣ / ٥٧٦) (٢٧٢٢٣) صحيح مرسل

١٩٥ - مصنف ابن أبي شيبة - (١٣ / ٥٧٧) (٢٧٢٢٤) صحيح مقطوع

١٩٦ - فتاوى الشبكة الإسلامية معدلة - (٤ / ٤٧٧٣) - رقم الفتوى ٢٤٧٧٧ حكم ضرب الأطفال

وبعد فإن على المعلم أن يتدرج في استعمال العقوبات، ولا يلجأ للضرب لأول زلة يقع فيها الطالب، بل عليه أن يستعمل الحكمة في استخدام الأسلوب الأمثل لمعالجة الخطأ كما يبيانه سابقاً. ثم إن لم يجد بدأ من الضرب، فليضرب ولكن بالشروط السالفة الذكر . ولا عبرة بقول، ولا حجة لمن أنكر الضرب مطلقاً .

الخلاصة:

- (١) التدرج في معاقبة المخطئ، وعدم اللجوء إلى الضرب إلا في الحالات القصوى .
- (٢) عدم القسوة في الضرب، واتقاء الوجه .
- (٣) القصد من الضرب هو التأديب، وليس لإطفاء نار الغضب .

[٧] تقديم المكافآت للمتعلم :

المكافآت بأنواعها لها فعل عجيب في أسر القلوب، وتجديد النشاط، وكسر طوق الخمول، وباعث على الاستزادة من العلم، إلى غير ذلك من الآثار التي تحدثها المكافآت وعلى المعلم أن يوجد هذا الأسلوب كلما وجد فتوراً بين طلابه، أو رأى مصلحة في تقديمها. وتختلف المكافآت اختلافاً متبايناً، ولكنها تشترك في الأثر الذي تحدثه مع اختلاف في مقدار هذا الأثر . وإليك بعضاً منها :

(أ) المكافآت المادية : وهي أقوى المكافآت والحوافز تأثيراً على المتعلم وإثارة له، لأن فيها معنى زائداً على حيازة المكافأة المادية، وهو التفوق على الأقران، ورضى المعلم عنه، وحصوله على الثناء الحسن من قبل معلميه . ولقد فعل ذلك رسول الله ﷺ، فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَارِثِ، قَالَ : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَصِفُ عَبْدَ اللَّهِ، وَعَبِيدَ اللَّهِ، وَكَثِيرًا بَنِي الْعَبَّاسِ، ثُمَّ يَقُولُ : مَنْ سَبَقَ إِلَيَّ فَلَهُ كَذَا وَكَذَا قَالَ : فَيَسْتَبِقُونَ إِلَيْهِ فَيَقْعُونَ عَلَى ظَهْرِهِ وَصَدْرِهِ، فَيَقْبَلُهُمْ وَيَلْتَزِمُهُمْ. ١٩٧

١٩٧ - مسند أحمد (عالم الكتب) - (١ / ٥٦٩) (١٨٣٦) حسن

(ب) **المكافأة بالدعاء** : وهو الدعاء للطالب بالبركة والخير والتوفيق ونحوه . وهذا الأسلوب عزيز ونادر وجوده بين المعلمين، ولا أدري أهو رغبة عنه أم جهل به ؟.

فإن كان رغبة عنه فلقد فعله خير البشر ﷺ وإن كان جهلاً به فهناك علمه، فعن ابن عباسٍ أَنَّ النَّبِيَّ - ﷺ - دَخَلَ الْخَلَاءَ، فَوَضَعَتْ لَهُ وَضُوءًا قَالَ « مَنْ وَضَعَ هَذَا » . فَأُخْبِرَ فَقَالَ « اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّينِ » ١٩٨ .

قال الحافظ ابن حجر : " قال التيمي: فيه استحباب المكافأة بالدعاء. وقال ابن المنير: مناسبة الدعاء لابن عباس بالتفقه على وضعه الماء من جهة أنه تردد بين ثلاثة أمور: إما أن يدخل إليه بالماء إلى الخلاء، أو يضعه على الباب ليتناوله من قرب، أو لا يفعل شيئاً، فرأى الثاني أوفق، لأن في الأول تعرضاً للاطلاع، والثالث يستدعي مشقة في طلب الماء، والثاني أسهلها، ففعله يدل على ذكائه، فناسب أن يدعي له بالتفقه في الدين ليحصل به النفع، وكذا كان. " ١٩٩

(ت) **المكافأة بالثناء الحسن (المدح)** : وهو قولك للطالب أحسنت، ممتاز، ونحوه .. وهذا الأسلوب يزرع في المتعلم الثقة بعلمه، ويحث غيره لنيل هذا الاستحسان من المعلم، ويبعث في الطالب الشعور بالارتياح لما يبذله من جهد في التعلم ومثاله، عَنْ أَبِي بِنِ كَعْبٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - « يَا أَبَا الْمُنْدَرِ أَتَدْرِي أَيُّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ مَعَكَ أَعْظَمُ ». قَالَ قُلْتُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ « يَا أَبَا الْمُنْدَرِ أَتَدْرِي أَيُّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ مَعَكَ أَعْظَمُ ». قَالَ قُلْتُ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ. قَالَ فَضَرَبَ فِي صَدْرِي وَقَالَ « وَاللَّهِ لِيَهْنِكَ الْعِلْمُ أَبَا الْمُنْدَرِ » ٢٠٠ .

قال القرطبي : " وقوله لأبي حين أخبره بذلك : ((ليهنك العلم))، وضربه صدره : تنشيط له، وترغيب في أن يزداد علماً وبصيرة، وفرح بما ظهر عليه من آثاره المباركة، وفيه

١٩٨ - صحيح البخارى - المكثر - (١٤٣)

١٩٩ - فتح الباري لابن حجر - (١ / ٢٤٤)

٢٠٠ - صحيح مسلم - المكثر - (١٩٢١)

إلقاء العالم المسائل على المتعلم ؛ ليختبره بذلك .^{٢٠١}

قال النووي : " فِيهِ مَثْبُةٌ عَظِيمَةٌ لِأَبِيٍّ وَدَلِيلٌ عَلَى كَثْرَةِ عِلْمِهِ . وَفِيهِ تَبْجِيلُ الْعَالِمِ فَضْلًا وَأَصْحَابَهُ وَتَكْنِيَتِهِمْ، وَجَوَازُ مَدْحِ الْإِنْسَانِ فِي وَجْهِهِ إِذَا كَانَ فِيهِ مَصْلَحَةٌ، وَلَمْ يُخَفْ عَلَيْهِ إِعْجَابٌ وَنَحْوُهُ ؛ لِكَمَالِ نَفْسِهِ وَرُسُوحِهِ فِي التَّقْوَى ."^{٢٠٢}

قلت ومن المصلحة ما تقدم آنفاً .

وَعَنْ أَبِي مُوسَى - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ قَدِمْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - وَهُوَ بِالْبَطْحَاءِ . فَقَالَ « أَحَجَجْتَ » . قُلْتُ نَعَمْ . قَالَ « بِمَا أَهَلَلْتَ » . قُلْتُ لَبَّيْكَ يَا هَلَالٍ كَيْهَلَالٍ النَّبِيُّ - ﷺ - . قَالَ « أَحْسَنْتَ، انْطَلِقْ فَطُفْ بِالْبَيْتِ وَبِالصَّفَا وَالْمَرْوَةِ » .^{٢٠٣}

يقول محمد بن جميل زينو^{٢٠٤} : "على المعلم الناجح أن يثني على الطالب إذا رأى منه أي بادرة حسنة في سلوكه، أو في اجتهاده، فيقول للطالب الذي أحسن الجواب: أحسنت، بارك الله فيك، أو نعم الطالب فلان، فمثل هذه الكلمات اللطيفة تشجع الطالب وتقوي روحه المعنوية، وتترك في نفسه أحسن الأثر، مما يجعله يحب معلمه ومدرسته ويتفتح ذهنه للتدريس، ويكون في نفس الوقت مشجعاً لرفاقه أن يقتدوا به في أدبه وسلوكه واجتهاده لينالوا الثناء والتشجيع من معلمهم .."^{٢٠٥}

^{٢٠١} - المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم - (٧ / ٦٩)

^{٢٠٢} - شرح النووي على مسلم - (٣ / ١٦٤)

^{٢٠٣} - صحيح البخاري - المكثر - (١٧٢٤)

^{٢٠٤} - نداء إلى المربين والمربيات ص ٨٣.

^{٢٠٥} - هناك مكافآت أخرى لم نذكرها في كلامنا عن المكافآت ، وذلك لأنها خلاف منهجنا الذي سرنا عليه ، وهو الاستدلال بكل خلق أو وسيلة في التعليم بخبر عن رسول الله ومن هذه المكافآت ما ذكرها محمد جميل زينو في كتاب نداء إلى المربين والمربيات (وما بين المكوفتين مني) :

أ - لوحة الشرف : (أي بوضع اسم المتفوق ونحوه في هذه اللوحة) . ب - توصية أهل الطالب : (وذلك بمراسلة أهله وذكر محاسنه وتقدمه في دراسته ونحو ذلك)

(ونزيد : ت - خطابات الشكر : وهو تزويد الطالب بخطابات الشكر ويعلن عنه في مدرسته ويوضع في ملفه ونحو ذلك) . اه فؤاد شلهوب

الخلاصة:

- (١) المكافآت لها أثر فعال في دفع المتعلمين وتحفيزهم على طلب العلم .
- (٢) يجب أن تكون الحوافز والمكافآت وسيلة لا غاية .
- (٣) المكافأة بالدعاء أمر محمود، وكلما كان الدعاء مناسباً للفعل كان أفضل .
- (٤) مكافأة الطالب بالثناء عليه، أسلوب حسن، ودافع جيد للاستزادة من العلم .



الباب الثالث

صفات الرسول المعلم

وفيه مبحثان :

المبحث الأول-كلمة موجزة عن شخصية الرسول المعلم

المبحث الثاني-بيان خصائص الرسول المعلم وفضائله

المبحث الأول

كلمة موجزة عن شخصية الرسول المعلم

لقد كان رسول الله ﷺ من الرأفة والرحمة، وترك العنت وحب اليسر، والرفق بالمتعلم، والحرص عليه، وبذل العلم والخير له في كل وقت ومناسبة: بالمكان الأسمى والخلق الأعلى قال الله تعالى: { لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ } (١٢٨) سورة التوبة .

عن مالك بن الحويرث، قال: أتينا رسول الله ﷺ ونحن شبيبة متقاربون^{٢٠٦}، فأقمنا عنده عشرين ليلة، فظننا أننا قد اشتقنا إلى أهلينا، سألنا عمَّن تركنا في أهلنا، فأخبرنا، وكان رسول الله ﷺ رحيماً رقيقاً، فقال: ارجعوا إلى أهلِكُمْ فعلموهم، ومروهم، وصلوا كما رأيتموني أصلي، فإذا حضرت الصلاة فليؤذن أحدكم، وليؤمكم أكبركم.^{٢٠٧}

في هذا الحديث الشريف من الأمور التعليمية: ارتحال الشباب جماعة إلى العالم، ليتلقوا منه العلم، وليأخذوا عنه الفقه في الدين، وليصطحبوه فترة من الزمن، فيشهدوا منه سلوكه، وهدية وعمله، فتستنير بذلك أفهامهم بقرهم منه وملازمتهم له، ويأخذوا العلم مصحوباً بالعمل به، فيكون أوضح في نفوسهم، وأطيب في سلوكهم، كما كان شأن صحابة النبي ﷺ معه .

وفي هذا الحديث أيضاً النظر إلى ذاته الشريفة ﷺ التي هي مجمع القدوة ونموذج الإنسان الكامل . وفيه أيضاً: تعلم أحكام الشريعة منه ﷺ، وفيه أيضاً: أن الأفضل بالمتعلم أن يقصد من علماء عصره: الأوفى علماً، والأعلى فهماً .. فقد كان آباء هؤلاء الشباب صحابة لرسول الله ﷺ، التَّقَوُّا به وأخذوا عنه، وعلموا منه، فما اكتفى هؤلاء الشباب

^{٢٠٦} - الشبيبة جمع شاب . ومتقاربون أي في السن والعمر .

^{٢٠٧} - صحيح ابن حبان - (٤ / ٥٤١) (١٦٥٨) وصحيح البخاري - المكثر - (٦٠٠٨ و ٧٢٤٦)

بالأخذ منهم، بل قَصَدُوا سَيِّدَ الْعُلَمَاءِ، وَتَاجَ الْأَنْبِيَاءِ، وَأَعْلَمَ الْبَشَرِ ﷺ .

وخصَّ رسول الله ﷺ هنا : الأكبر بالإمامة للصلاة فيهم، نظراً إلى تساويهم في العلم والتعلم منه عليه الصلاة والسلام، فإذا تساووا في ذلك كان وصف الكبر فيهم صفة مميزة للكبير على من دونه في السن، فيُقدَّمُ الكبير .

أما إذا كان بعضهم أعلم من بعض فيقدَّمُ الأعلم على من سواه، لأن صفة العلم أعلم وأشرف من صفة كبر السن .^{٢٠٨}

وَعَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ : مَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَسْرُدُ سَرْدَكُمْ هَذَا، وَلَكِنَّهُ كَانَ يَتَكَلَّمُ بِكَلَامٍ بَيْنَ فَصْلِ يَحْفَظُهُ مَنْ جَلَسَ إِلَيْهِ^{٢٠٩}

(يَسْرُدُ سَرْدَكُمْ هَذَا) أي ما كان يأتي بالكلام متتابعاً يستعجل به، فإنه إذا كان كذلك يورث لبساً على السامعين، ولا يُمكنهم من فهمه وحفظه .

(بِكَلَامٍ بَيْنَ فَصْلٍ) أي ظاهر واضح مفصول متميز بعضه من بعض، بحيث يتبينه من يسمعه، ويُمكنه عدّه لو أراد عدّه مثلاً . وهذا أدعى لحفظه ورُسُوخه في ذهن السامع، إذ يترَوَاهُ تَرْوِيًّا، فَلَا تَبْقَى لَهُ فِيهِ شُبْهَةٌ وَلَا غَمُوضٌ .

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - يُعِيدُ الْكَلِمَةَ ثَلَاثًا لِيُتَعَقَلَ عَنْهُ^{٢١٠}.

أي لتفهم عنه، وتثبت في ذهن السامعين . وذلك لكمال هدايته وشفقته ﷺ بأُمَّتِهِ عَامَّةً، وبالمتعلمين خاصة . ويدلُّ هذا الحديث الشريف على أنه ينبغي للمعلم أن يتمهل في تقريره لما يُعلِّمه، ويبدلُ الجهد في بيانه، ويُعيدَه حتى يُفهم عنه .

وَعَنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ قَالَ : سَأَلْتُ خَالَيَ هِنْدُ بْنَ أَبِي هَالَةَ، وَكَانَ وَصَافًا، فَقُلْتُ : صِفْ لِي مَنْطِقَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ : " كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُتَوَاصِلَ الْأَحْزَانِ دَائِمَ الْفِكْرَةِ لَيْسَتْ لَهُ رَاحَةٌ، طَوِيلُ السَّكْتِ، لَا يَتَكَلَّمُ فِي غَيْرِ حَاجَةٍ، يَفْتَتِحُ الْكَلَامَ وَيَخْتِمُهُ بِاسْمِ اللَّهِ

^{٢٠٨} - وانظر حقوق الكبر وصفة العلم في كُتَيْبٍ : ((من أدب الإسلام))، في الأدب ١٦، ١٧، ١٨ .

^{٢٠٩} - الشمائل المحمدية للترمذي - (٢٢١) صحيح

^{٢١٠} - سنن الترمذي - المكثر - (٤٠٠١) قَالَ أَبُو عَيْسَى هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ

تَعَالَى، وَيَتَكَلَّمُ بِجَوَامِعِ الْكَلِمِ، كَلَامُهُ فَضْلٌ، لَا فَضُولَ وَلَا تَقْصِيرَ، لَيْسَ بِالْجَافِي وَلَا
 الْمُهِينِ، يُعْظَمُ النَّعْمَةُ، وَإِنْ دَقَّتْ لَا يَدُمُ مِنْهَا شَيْئًا غَيْرَ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ يَدُمُ ذَوَاقًا وَلَا يَمْدَحُهُ، وَلَا
 تُغْضِبُهُ الدُّنْيَا، وَلَا مَا كَانَ لَهَا، فَإِذَا تُعَدِّي الْحَقُّ لَمْ يَقُمْ لِعُضْبِهِ شَيْءٌ حَتَّى يَنْتَصِرَ لَهُ، وَلَا
 يَغْضِبُ لِنَفْسِهِ، وَلَا يَنْتَصِرُ لَهَا، إِذَا أَشَارَ أَشَارَ بِكَفِّهِ كُلِّهَا، وَإِذَا تَعَجَّبَ قَلْبُهَا، وَإِذَا تَحَدَّثَ
 اتَّصَلَ بِهَا، وَضَرَبَ بِرَاحَتِهِ الْيُمْنَى بَطْنَ إِبْهَامِهِ الْيُسْرَى، وَإِذَا غَضِبَ أَعْرَضَ وَأَشَاحَ، وَإِذَا فَرِحَ
 غَضَّ طَرْفَهُ، حُلُّ ضَحِكِهِ التَّبَسُّمُ، يَفْتَرُّ عَنْ مِثْلِ حَبِّ الْعَمَامِ^{٢١١}

(مُتَوَاصِلَ الْأَحْزَانِ) قَالَ الْعُلَمَاءُ : لَيْسَ الْمُرَادُ بِهَذَا : التَّأَلَّمَ عَلَى قُوَّةٍ مَطْلُوبٍ أَوْ حَصُولِ
 مَكْرُوهٍ مِنْ أُمُورِ الدُّنْيَا، فَإِنَّ هَذَا لَمْ يَكُنْ مِنْ حَالِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، بَلِ الْمُرَادُ : أَنَّهُ كَانَ دَائِمَ
 الْإِهْتِمَامِ وَالتَّفَكِيرِ فِيمَا يَسْتَقْبَلُهُ مِنَ الْأُمُورِ الْعَظِيمَةِ، وَشُؤُونَ الدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَجَلَبِ
 النَّاسِ إِلَيْهَا وَإِدْخَالِهِمْ فِيهَا، مَعَ مَا هُوَ عَلَيْهِ مِنْ جِهَادِ الْمُشْرِكِينَ، وَتَعْلِيمِ الْجَاهِلِينَ، وَالْقِيَامِ
 بِعِبَادَةِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى أَكْمَلِ وَجْهِهِ . وَيُفَسَّرُ ذَلِكَ قَوْلُ وَاصِفِهِ بَعْدَ هَذِهِ الْجُمْلَةِ : ((دَائِمَ
 الْفِكْرَةِ، لَيْسَتْ لَهُ رَاحَةٌ، طَوِيلَ السُّكُوتِ)) .

(وَيَتَكَلَّمُ بِجَوَامِعِ الْكَلِمِ) أَي يَتَكَلَّمُ ﷺ بِالْكَلِمَاتِ الْقَلِيلَةِ، الْجَامِعَةِ لِلْمَعَانِي الْعَظِيمَةِ
 الْكَثِيرَةِ، مِثْلُ : قَوْلِهِ : ((الدين النصيحة)) . وَقَوْلِهِ : ((احفظ الله يحفظك)) . وَقَوْلِهِ :
 ((اتق الله حيثما كنت)) . وَقَوْلِهِ : ((الحلال بين، والحرام بين)) . وَقَوْلِهِ : ((دَعُ مَا
 يَرِيئُكَ إِلَى مَا لَا يَرِيئُكَ)) . وَقَوْلِهِ : ((إن الله كتب الإحسان على كل شيء)) . وَقَوْلِهِ :
 ((إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً)) .

وَقَوْلِهِ : ((لا ضَرَرَ ولا ضِرَارَ)) . أَي لَا يَجُوزُ لِلْإِنْسَانِ أَنْ يَضُرَّ نَفْسَهُ، وَلَا أَنْ يُلْحَقَ
 الْإِضْرَارَ بِغَيْرِهِ .

وَقَوْلِهِ : ((من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد)) . أَي كُلُّ عَمَلٍ لَا يَكُونُ عَلَى
 وَفْقِ أَمْرِ اللَّهِ وَأَمْرِ رَسُولِهِ، فَهُوَ مُرَدودٌ عَلَى عَامِلِهِ، إِذْ لَا يُقْبَلُ مِنَ الْأَعْمَالِ إِلَّا مَا كَانَ جَارِيًا
 عَلَى هَدْيِ أَحْكَامِ الشَّرِيعَةِ مُوَافِقًا لَهَا .

^{٢١١} - الشَّامِلُ الْمُحْمَدِيَّةُ لِلتَّرْمِذِيِّ - (٢٢٣) وَشَعْبُ الْإِيمَانِ - (٣ / ٢٨) (١٣٦٢) حَسَنٌ لغيره

وأمثال هذه الأحاديث الشريفة، من بدائع جوامعِهِ ﷺ التي اختصه الله تعالى بها : كثيرة، اكتفيت بإيراد هذه النماذج منها، وأغلب ما أوردته هنا منها، ذكره الإمام النووي رحمه الله تعالى في آخر كتابه ((الأذكار))، مع بيان مصدره الذي أُخرج فيه من كتب الحديث الشريف المعتمدة .

(كلامه فصل) أي فاصلٌ مُبينٌ لما قاله فيه أتمّ البيان، تقبله العقول لنصاعته وحقّيته، وتستلذه الأسماع لفصاحته وجزالته .

(لا فضولَ ولا تقصير) أي لا إفراطاً فيه ولا تفريط

(ليس بالجابي ولا المهين) أي ليس بغليظ الطبع ثقیل النفس . وقوله : ولا المهين : أي ليس هو بالمتكبر المتبدل، بل كان مهيباً موقراً، من رآه بديهته هاباً، ومن خالطه معرفةً أحبّه .
(يُعظمُ النعمةَ وإن دقت) أي صغرت وقلت .

(لم يكن يذمُّ ذواقاً ولا يمدحُه) الذواقُ : الشيءُ المذوق، سواءً كان طعاماً أو شراباً . فلم يكن ﷺ يذكرُ في مجلسه الشريف المفاضلة بين الأطعمة أو الاشرية، كشأن بعض أهل الدنيا الذين يهتمُّن بالطعام والشراب والملذات، وتكون حديث مجالسهم! .

(ولا تُغضبُه الدنيا ولا ما كان لها) بل كان ﷺ لا يُغضبُ إلا الله تعالى .

(تُعديّ الحقُّ لم يقم غضبه شيءٌ حتى ينتصر له) أي لم يقم لدفع غضبه حتى ينتصر للحق .

(وإذا غضبَ أعرضَ وأشاح) أي قبض وجهه عن غضب عليه، فلا يُقابله بما يقتضيه الغضب .

(يَفترُّ عن مثل حبِّ الغمام) أي يضحكُ عن أسنانٍ جميلةٍ بيضاء ناصعة، مثل اللؤلؤ المشيِّه بحبِّ الغمام وهو البرد .

(والضحكُ في مواطنه فعلٌ حسنٌ محمود، لما فيه من الخير الملاقي للطباع، والمؤاتي للمقام، فلا غرابة أن يضحك سيّدُ الناس وأعظم البشر ﷺ .

قال أبو عمرو الجاحظ في فاتحة كتابه ((البيخلاء)) ص ٥ : بعد أن تحدّث عن فوائد البكاء

ومنافعه التي تعود على الروح والجسم جميعاً، قال ((فما ظنك بالضحك الذي لا يزال صاحبه في غاية السرور إلى أن ينقطع عنه سببه . ولو كان الضحك قبيحاً من الضاحك أي في مواطن الضحك وقبيحاً من المضحك، لما قيل للزُّهرة، والحبرة، والحلي، والقصر المبني : كأنه يضحك ضحكاً . وقد قال الله جلَّ ذِكْرُه : (وأنه هو أضحك وأبكى وأنه هو أمات وأحيى) . فَوَع الضَّحِكُ بحذاء الحياة، ووضع البكاء بحذاء الموت . وإنه لا يُضيفُ الله إلى نفسه القبيح، ولا يُمنُّ على خَلْقِه بالنقص .

وكيف لا يكون موقعه من سرور النَّفس عظيمًا، ومن مصلحة الطَّبَّاع كبيراً، وهو شيء في أصل الطباع، وفي أساس التركيب، لأن الضحك أول خيرٍ يظهر من الصَّبي، وبه تطيب نفسه، وعليه يَنْبُتُ شَحْمُه، ويكثر دُمُه الذي هو عِلَّةُ سروره، ومادَّةُ قُوَّتِه . ولفضلِ خصالِ الضحك عند العرب، تُسمِّي أولادها : بالضحَّاك، وببِسَّام، وبطَلْق، وبطليق . وقد ضحكُ النبي ﷺ ومزح، وضحك الصالحون ومزحوا . وإذا مدحوا قالوا : هو ضحكوك السن، وبسَّام العَشِيَّات، وهشُّ إلى الضَّيف، وذوا أَرْحِيضَةٍ واهتزاز .

وإذا ذمَّوا قالوا : هو عبوس، وهو كالح، وهو قطوب، وهو شيم المحيَّا، وهو مكْفَهْرٌ أبداً، وهو كرية ومُقَبَّضُ الوجه، وحامِضُ الوجه، وكأتما وجهه بالخلِّ منضوح .

وما أحمل قول الشاعر الوصَّاف المبدع :

ضحوكُ السنِّ إن نطقوا بخيرٍ وعند الشَّرِّ مطراقُ عبوسٍ

ولللضحك موضعٌ وله مقدار، وللمرح موضعٌ وله مقدار، متى جازهُما أحدٌ، أو قصرَ عنهما أحدٌ، صار الفاضلُ خطلاً والتقصيرُ نَقْصاً . فالناسُ لم يعيِّبوا الضحك إلا بقدر، ولم يعيِّبوا المزح إلا بقدر، ومتى أُريدَ بالمزح النفعُ، وبالضحكِ الشيءُ الذي له جُعِلَ الضحك، صار المزحُ جدًّا والضحكُ وقاراً))

وعن الحسن بن عليٍّ قال : قال الحسينُ : سألتُ أبي، عن سيرةِ النَّبيِّ ﷺ في جلسائه، فقال : " كان رسولُ اللهِ ﷺ دائمَ البشرِ، سهلَ الخُلُقِ، لينَ الجانبِ، ليسَ بفظٍّ ولا غليظٍ، ولا صحَّابٍ ولا فحَّاشٍ، ولا عيَّابٍ ولا مُشَّاحٍ، يتعافَلُ عمَّا لا يشتهي، ولا يؤيسُ منه

رَاجِيهِ وَلَا يُحَيِّبُ فِيهِ، قَدْ تَرَكَ نَفْسَهُ مِنْ ثَلَاثٍ : الْمِرَاءِ وَالْإِكْتَارِ وَمَا لَا يَعْنِيهِ، وَتَرَكَ النَّاسَ مِنْ ثَلَاثٍ : كَانَ لَا يَذُمُّ أَحَدًا وَلَا يَعْيِيهِ، وَلَا يَطْلُبُ عَوْرَتَهُ، وَلَا يَتَكَلَّمُ إِلَّا فِيمَا رَجَا ثَوَابَهُ، وَإِذَا تَكَلَّمَ أَطْرَقَ جُلْسَاؤُهُ كَأَنَّمَا عَلَى رُءُوسِهِمُ الطَّيْرُ، فَإِذَا سَكَتَ تَكَلَّمُوا لَا يَتَنَازَعُونَ عِنْدَهُ الْحَدِيثَ، وَمَنْ تَكَلَّمَ عِنْدَهُ أَنْصَتُوا لَهُ حَتَّى يَفْرُغَ، حَدِيثُهُمْ عِنْدَهُ حَدِيثٌ أَوْلَهُمْ، يَضْحَكُ مِمَّا يَضْحَكُونَ مِنْهُ، وَيَتَعَجَّبُ مِمَّا يَتَعَجَّبُونَ مِنْهُ، وَيَصْبِرُ لِلْغَرِيبِ عَلَى الْجَفْوَةِ فِي مَنْطِقِهِ وَمَسْأَلَتِهِ حَتَّى إِنْ كَانَ أَصْحَابُهُ لَيَسْتَجْلِبُونَهُمْ وَيَقُولُ : إِذَا رَأَيْتُمْ طَالِبَ حَاجَةٍ يَطْلُبُهَا فَأَرْفِدُوهُ، وَلَا يَقْبَلِ الشَّنَاءَ إِلَّا مِنْ مُكَافِيٍّ وَلَا يَقْطَعُ عَلَى أَحَدٍ حَدِيثَهُ حَتَّى يَجُوزَ فَيَقْطَعُهُ بِنَهْيٍ أَوْ قِيَامٍ ٢١٢

(دَائِمَ الْبِشْرِ) أَي دَائِمَ طَلَاقَةِ الْوَجْهِ وَالْبِشَاشَةِ مَعَ النَّاسِ .

(لَيْسَ بَفِظٌ) أَي لَيْسَ بِغَلِيظِ الْكَلَامِ وَلَا جَافِي الْقَوْلِ .

(وَلَا غَلِيظٌ) أَي وَلَيْسَ بِغَلِيظِ الطَّبَعِ، بَحِيثٌ يَجْفُوهُ النَّاسُ، بَلْ كَانَ سَهْلَ الْخُلُقِ لَيِّنَ الْجَانِبِ، قَالَ تَعَالَى : {فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ} (سورة آل عمران .

(وَلَا صَخَّابٌ) الصَّخْبُ هُوَ اضْطِرَابُ الْأَصْوَاتِ وَشِدَّتُهَا لِلْخُصُومَةِ . وَصِيغَةُ (صَخَّابٌ) هُنَا صِيغَةُ نَسَبٍ فِي سِيَاقِ النَّفْيِ، فَهِيَ لِنَفْيِ الصَّخْبِ عَنْ حَدِيثِهِ ﷺ إِطْلَاقًا، لَا فِي قَلِيلٍ وَلَا كَثِيرٍ، عَلَى حَدِّ صِيغَةِ (ظَلَامٌ) فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : (وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ) أَي لَا يُنْسَبُ لَهُ سَبْحَانَةُ الظُّلْمِ فِي قَلِيلٍ وَلَا كَثِيرٍ .

(وَلَا فَحَّاشٌ) الْفُحْشُ هُوَ كُلُّ مَا يَشْتَدُّ قُبْحُهُ مِنَ الْأَقْوَالِ أَوْ الْأَفْعَالِ . وَ(فَحَّاشٌ) صِيغَةُ نَسَبٍ أَيْضًا فِي مَسَاقِ النَّفْيِ، فَتُفِيدُ نَفْيَ أَصْلِ الْفُحْشِ عَنْهُ ﷺ قَلِيلِهِ وَكَثِيرِهِ .

(وَلَا عَيَّابٌ) أَي لَا يَعْيِبُ النَّاسَ، أَوْ الْأَشْيَاءَ، عَلَى سَبِيلِ الْإِتْقَانِ لَهُمْ، أَوْ الْإِزْرَاءِ بِهَا، بَلْ كَانَ عَفًّا مُتَعَالِيًّا عَنِ ذَلِكَ كُلِّهِ .

(وَلَا مُشَاحٍ) أَي لَا يُبَالِغُ فِي الْمَدْحِ وَالشَّنَاءِ، وَإِنَّمَا يُتَزَلُّ النَّاسَ مَنَازِلَهُمْ، وَيَقُولُ فِيهِمْ بِالْعَدْلِ

٢١٢ - الشَّامِلُ الْمَحْمُودِيَّةُ لِلتَّرْمِذِيِّ - (٣٤٦) حَسَنٌ لِّغَيْرِهِ

والإنصاف .

(يَتَعَاْفَلُ عَمَّا لَّا يَشْتَهِي) أي يُظْهِرُ الْغَفْلَةَ وَالْإِعْرَاضَ عَمَّا لَا يَسْتَحْسِنُهُ مِنَ الْأَقْوَالِ وَالْأَفْعَالِ، تَلَطُّفًا بِأَصْحَابِهِ، وَرَفَقًا بِهِمْ، وَتَرْفَعًا عَنِ التَّدْخُلِ فِي كُلِّ شَيْءٍ، وَقَدْ قَالَ أَبُو الطَّيِّبِ :

ليس الغيُّ بسيدٍ في قومه لكنَّ سيِّدَ قومه المتغاي

(وَلَا يُؤَيِّسُ مِنْهُ رَاحِيَهُ) أي لَا يَجْعَلُ رَاحِيَهُ آيِسًا مِنْ كَرَمِهِ وَجُودِهِ وَتَلْبِيَةِ مَا أَمَّلَهُ مِنْهُ .

(وَلَا يُخَيِّبُ فِيهِ) أي لَا يُخَيِّبُ الرَّاحِيَّ فِيهِ ﷺ ، بَلْ يُلَبِّي لَهُ رَجَاءَهُ .

(الْمِرَاءِ) أي الْجِدَالِ وَلَوْ بِحَقٍّ .

(وَالْإِكْتِنَارِ) أي مِنَ الْكَلَامِ أَوْ الْمَالِ .

(وَلَا يَطْلُبُ عَوْرَتَهُ) أي لَا يَتَّبِعُ عَوْرَاتِ النَّاسِ وَسَقَطَاتِهِمْ، وَلَا يَتَحَسَّسُ عَلَيْهِمْ وَيَتَفَحَّصُ عَنْ عُيُوبِهِمْ وَزَلَاتِهِمْ .

(وَإِذَا تَكَلَّمَ أَطْرَقَ جُلْسَاؤُهُ) أي نَظَرُوا بِأَبْصَارِهِمْ إِلَى الْأَرْضِ، وَأَصْغَوْا إِلَيْهِ لِاسْتِمَاعِ كَلَامِهِ، مَعَ سُرُورِهِمْ وَارْتِيَا حَمِهِمْ بِحَدِيثِهِ، وَذَلِكَ مِنْ أَعْلَى الْأَدَبِ وَالتَّبَجُّلِ لِلسَّادَةِ وَالْكَبْرَاءِ .

(كَأَنَّمَا عَلَى رُءُوسِهِمُ الطَّيْرُ) أي يَسْكُنُونَ السُّكُونَ التَّامَّ مَعَ السُّكُوتِ عِنْدَ كَلَامِهِ، هَيْبَةً لَهُ وَإِحْلَالًا، وَتَعَلُّمًا وَاسْتِفَادَةً . وَقَوْلُهُ : (كَأَنَّمَا عَلَى رُءُوسِهِمُ الطَّيْرُ) كِنَايَةٌ عَنْ ذَلِكَ السُّكُوتِ وَالسُّكُونَ التَّامَّ . وَأَصْلُهُ أَنَّ الْغُرَابَ يَقَعُ عَلَى رَأْسِ الْبَعِيرِ، فَيَلْقُطُ مِنْهُ الْقُرَادَ، فَلَا يَتَحَرَّكُ الْبَعِيرُ حِينَئِذٍ، لِثَلَا يَنْفِرَ عَنْهُ وَيَقِي الْقُرَادُ فِي رَأْسِ الْبَعِيرِ فَيُؤَلِّمُهُ، فَقِيلَ مِنْهُ : كَأَنَّ عَلَى رُءُوسِهِمُ الطَّيْرَ .

(حَدِيثُهُمْ عِنْدَهُ حَدِيثٌ أَوْلَاهُمْ) أي مِنْ بَدَأُ أَوَّلًا بِالْحَدِيثِ مِنْهُمْ فَهُوَ الْمُتَحَدِّثُ حَتَّى يَفْرَغَ وَلَوْ كَانَ أَدْنَاهُمْ، ثُمَّ يَتَحَدَّثُ غَيْرُهُ بَعْدَهُ .

(فِي مَنَاطِقِهِ وَمَسَائِلَتِهِ) أي يَصْبِرُ عَلَيْهِ فِي حِفَا نُطْقِهِ وَغِلْظَةِ كَلَامِهِ وَخُشُونَةِ سْؤَالِهِ . وَقَدْ كَانَ يَقَعُ هَذَا مِنْ جُفَاةِ الْأَعْرَابِ أَهْلِ الْبَادِيَةِ، الَّذِينَ لَمْ يَخْتَلَطُوا بِالنَّاسِ .

(لَيْسَتْ جَلْبُونُهُمْ) أي يَسْتَجْلِبُونَ أَوْلَئِكَ الْأَعْرَابِ إِلَى مَجْلِسِهِ ﷺ ، لِيَسْتَفِيدُوا مِنْ سْؤَالِهِمْ

له، إذ يسألونه ما يهاب أصحابه السؤال عنه توقيراً له .

فَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ : كُنَّا نُهَيِّنَا فِي الْقُرْآنِ أَنْ نَسْأَلَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنْ شَيْءٍ فَكَانَ يُعْجِبُنَا أَنْ يَجِيءَ الرَّجُلُ الْعَاقِلُ مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ فَيَسْأَلُهُ وَنَحْنُ نَسْمَعُ، وَكَانُوا أَحْرَأَ عَلَيَّ ذَلِكَ مَنَّا، قَالَ : فَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ، فَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ، أَتَانَا رَسُولُكَ فَرَعَمَ لَنَا أَتَّكَ تَزْعُمُ أَنَّ اللَّهَ أَرْسَلَكَ، قَالَ : صَدَقَ، قَالَ : فَمَنْ خَلَقَ السَّمَاءَ ؟ قَالَ : اللَّهُ، قَالَ : فَمَنْ خَلَقَ الْأَرْضَ ؟ قَالَ : اللَّهُ، قَالَ : فَمَنْ نَصَبَ هَذِهِ الْجِبَالَ ؟ قَالَ : اللَّهُ، قَالَ : فَبِالَّذِي خَلَقَ السَّمَاءَ وَخَلَقَ الْأَرْضَ وَنَصَبَ فِيهَا هَذِهِ الْجِبَالَ وَجَعَلَ فِيهَا هَذِهِ الْمَنَافِعَ، اللَّهُ أَرْسَلَكَ ؟ قَالَ : نَعَمْ، قَالَ : قَالَ : وَزَعَمَ رَسُولُكَ أَنَّ عَلَيْنَا حَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي يَوْمِنَا وَلَيْلَتِنَا، قَالَ : صَدَقَ، قَالَ : فَبِالَّذِي أَرْسَلَكَ اللَّهُ أَمْرَكَ بِهَذَا ؟ قَالَ : نَعَمْ، قَالَ : وَزَعَمَ رَسُولُكَ أَنَّ عَلَيْنَا زَكَاةً فِي أَمْوَالِنَا، قَالَ : صَدَقَ، قَالَ : فَبِالَّذِي أَرْسَلَكَ اللَّهُ أَمْرَكَ بِهَذَا ؟ قَالَ : نَعَمْ، قَالَ : وَزَعَمَ رَسُولُكَ أَنَّ عَلَيْنَا صَوْمَ شَهْرٍ فِي سَنَتِنَا، قَالَ : صَدَقَ، قَالَ : فَبِالَّذِي أَرْسَلَكَ اللَّهُ أَمْرَكَ بِهَذَا ؟ قَالَ : نَعَمْ، قَالَ : وَزَعَمَ رَسُولُكَ أَنَّ عَلَيْنَا حَجَّ الْبَيْتِ مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا، قَالَ : صَدَقَ، قَالَ : فَبِالَّذِي أَرْسَلَكَ اللَّهُ أَمْرَكَ بِهَذَا ؟ قَالَ : نَعَمْ، قَالَ : ثُمَّ وَلَّى الرَّجُلُ، ثُمَّ قَالَ : وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَا أَرْدَادُ عَلَيْنَ شَيْئًا وَلَا أَنْتَقِصُ مِنْهُنَّ شَيْئًا، ثُمَّ وَلَّى، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : لَسْنَا صَدَقَ لِيَدْخُلَنَّ الْجَنَّةَ، مَعْنَى حَدِيثِهِمْ وَاحِدٌ، كُلُّهُمْ قَالُوا : فَدُ نُهَيِّنَا فِي الْقُرْآنِ " ٢١٣

والآية التي يُشير أنس رضي الله عنه إلى ورود النهي فيها، هي قوله تعالى : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءٍ إِنْ تُبَدَ لَكُمْ تَسْأَلُكُمْ وَإِنْ تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنزَلُ الْقُرْآنُ تُبَدَ لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ } (١٠١) سورة المائدة، وقد كانوا قبل نزولها يسألون، ويكتثرون السؤال، عما هو ضروري وغير ضروري، فنهوا عن السؤال غير الضروري، وسمح لهم بالسؤال عما يُفيد ويُحتاج إليه .

ولذا قال : (كان يُعجبنا أن يجيء الرجل العاقل) وذلك لكونه أعرف بكيفية السؤال وآدابه والمهم منه، وأدري بحسن المراجعة، وبهذا يعظم الانتفاع بالسؤال ويعمُّ النفع بجوابه

٢١٣ - مسند أبي عوانة (١) وصحيح مسلم - المكثر - (١١١ و ١١٢)

أيضاً .

قال الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى^{٢١٤} : ((وكانوا يوردون على رسول الله ﷺ ما يُشكِلُ من الأسئلة والشبهات، فيجيبهم عنها بما يُثَلِّجُ صدورهم، وقد أورد عليه ﷺ الأسئلة أعداؤه وأصحابه، أعداءه للتعنت والمغالبة، وأصحابه للفهم والبيان، وزيادة الإيمان، وهو يُجيبُ كلاً عن سؤاله، إلا ما لا جواب عنه، كسؤالهم عن وقت الساعة)).

(فَأَرْفُدُوهُ) أي فأعينوه أو أعطوه، يُقال : رَفَدَهُ وَأَرْفَدَهُ إذا أعانه أو أعطاه .

(مِنْ مُكَافِيَةٍ) أي لا يقبل المدح إلا من مكافئ على إنعام حصل من النبي له، فهو لا يُحِبُّ أن يُحمد بما لم يفعل، ﷺ .

(حَتَّى يَجُوزَ) أي حتى يقع في الجور ومجاوزة الحق في كلامه .

وفي هذا الحديث الشريف ما لا يخفى من نهاية كماله ﷺ، ورفقه، ولطفه، وحلمه، وصبره، وصفحه، ورأفته، ورحمته، وعظيم أخلاقه ...

وكل ذلك مطلوب من المعلم منا الاقتداء فيه برسول الله ﷺ المعلم الناصح الأمين .

وكان ﷺ يُعطي كل واحد من جلسائه وأصحابه حقه من الالتفات إليه والعناية به، حتى يظن كل واحد منهم أنه أحبُّ الناس إلى رسول الله .

وعنه قال : فَسَأَلْتُهُ عَنْ مَجْلِسِهِ، فَقَالَ : " كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَا يَقُومُ وَلَا يَجْلِسُ إِلَّا عَلَى ذِكْرٍ، وَإِذَا انْتَهَى إِلَى قَوْمٍ جَلَسَ حَيْثُ يَنْتَهِي بِهِ الْمَجْلِسُ وَيَأْمُرُ بِذَلِكَ، يُعْطِي كُلَّ جُلَسَائِهِ بِنَصِيبِهِ، لَا يَحْسَبُ جَلِيسُهُ أَنَّ أَحَدًا أَكْرَمَ عَلَيْهِ مِنْهُ، مَنْ جَالَسَهُ أَوْ فَاوَضَهُ فِي حَاجَةٍ صَابَرَهُ حَتَّى يَكُونَ هُوَ الْمُنْصَرِفُ عَنْهُ، وَمَنْ سَأَلَهُ حَاجَةً لَمْ يَرُدَّهُ إِلَّا بِهَا أَوْ بِمَيْسُورٍ مِنَ الْقَوْلِ، قَدْ وَسَّعَ النَّاسَ بِسَطْوِهِ وَخُلُقِهِ، فَصَارَ لَهُمْ أَبَا وَصَارُوا عِنْدَهُ فِي الْحَقِّ سَوَاءً، مَجْلِسُهُ مَجْلِسُ عِلْمٍ وَحِلْمٍ وَحَيَاءٍ وَأَمَانَةٍ وَصَبْرٍ، لَا تُرْفَعُ فِيهِ الْأَصْوَاتُ وَلَا تُؤَبَّنُ فِيهِ الْحُرْمُ، وَلَا تُتَنَّى فَلَئِنَّهُ مُتَعَادِلِينَ، بَلْ كَانُوا يَتَفَاضَلُونَ فِيهِ بِالتَّقْوَى، مُتَوَاضِعِينَ يُوقِرُونَ فِيهِ الْكَبِيرَ وَيَرْحَمُونَ فِيهِ

^{٢١٤} - في ((زاد المعاد)) ٣ : ١٢١

الصَّغِيرَ، وَيُؤْتِرُونَ ذَا الْحَاجَةِ وَيَحْفَظُونَ الْغَرِيبَ ٢١٥

وكان ﷺ أتمَّ ما يكون تواضعاً للمتعلم والسائل المستفيد والضعيف الفهم .

فَعَنْ أَبِي رِفَاعَةَ الْعَدَوِيِّ قَالَ : أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَهُوَ يَخْطُبُ، فَقُلْتُ : رَجُلٌ غَرِيبٌ جَاءَ يَسْأَلُ عَنْ دِينِهِ، لَا يَدْرِي مَا دِينُهُ . قَالَ : فَأَقْبَلَ النَّبِيُّ ﷺ، وَتَرَكَ خُطْبَتَهُ، ثُمَّ أَتَى بِكُرْسِيِّ خَلَبَ قَوَائِمُهُ حَدِيدًا، فَجَعَلَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيَّ يُعَلِّمُنِي مِمَّا عَلَّمَهُ اللَّهُ، ثُمَّ أَتَى خُطْبَتَهُ، فَأَتَمَّ آخِرَهَا. ٢١٦

قال الإمام النووي ٢١٧ : ((في هذا الحديث تواضع النبي ﷺ ورفقه بالمسلمين، وشفقته عليهم، وحفض جناحه لهم، وفيه استحباب تلطف السائل في عبارته وسؤاله العالم .

وفيه المبادرة إلى جواب المستفتي، وتقديم أهم الأمور فأهمها، ولعله كان سأل عن الإيمان وقواعده المهمة، وقد اتفق العلماء على أن من جاء يسأل عن الإيمان وكيفية الدخول في الإسلام وجب إجابته وتعليمه على الفور .

وقعوده ﷺ على الكرسي ليسمع الباقر كلامه ويروا شخصه الكريم)) . انتهى كلام النووي .

قلتُ : وفيه أيضاً جواز جلوس المعلم على الكرسي أثناء التعليم، وأنه لا يلزمه أن يعلم واقفاً .

وَعَنْ شَرِيكَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي نَمِرٍ، أَنَّهُ سَمِعَ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ، يَقُولُ : بَيْنَا نَحْنُ جُلُوسٌ فِي الْمَسْجِدِ، دَخَلَ رَجُلٌ عَلَيَّ جَمَلٍ، فَأَتَاخَهُ فِي الْمَسْجِدِ، ثُمَّ عَقَلَهُ، ثُمَّ قَالَ لَهُمْ : أَيُّكُمْ مُحَمَّدٌ ؟ وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُتَكِيٌّ بَيْنَ ظَهْرَانِيهِمْ، قَالَ : فَقُلْنَا لَهُ : هَذَا الْأَبْيَضُ الْمُتَكِيُّ، فَقَالَ لَهُ الرَّجُلُ : يَا ابْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : قَدْ أَجَبْتِكَ، فَقَالَ الرَّجُلُ : يَا مُحَمَّدُ إِنِّي سَأَلْتُكَ فَمُشْتَدُّ عَلَيْكَ فِي الْمَسْأَلَةِ، فَلَا تَجِدَنَّ عَلَيَّ فِي نَفْسِكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : سَلْ

٢١٥ - الشماثل المحمدية للترمذي - (٣٣١) حسن لغيره

٢١٦ - صحيح مسلم - المكثر - (٢٠٦٢) ومسنده أحمد (عالم الكتب) - (٧ / ٨٧٧) (٢٤٠٩ / ٦٢)

٢١٧ - في ((شرح صحيح مسلم)) ٦ : ١٦٥

مَا بَدَأَ لَكَ، فَقَالَ الرَّجُلُ: نَشَدْتُكَ بِرَبِّكَ وَرَبِّ مَنْ قَبْلَكَ، اللَّهُ أَرْسَلَكَ إِلَى النَّاسِ كُلِّهِمْ؟
 فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: اللَّهُمَّ نَعَمْ، قَالَ: فَأَنْشُدُكَ اللَّهَ، اللَّهُ أَمَرَكَ أَنْ تُصَلِّيَ الصَّلَوَاتِ
 الْخَمْسَ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: اللَّهُمَّ نَعَمْ، قَالَ: فَأَنْشُدُكَ اللَّهَ، اللَّهُ أَمَرَكَ
 أَنْ تَصُومَ هَذَا الشَّهْرَ مِنَ السَّنَةِ؟ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: اللَّهُمَّ نَعَمْ، قَالَ: فَأَنْشُدُكَ اللَّهَ، اللَّهُ
 أَمَرَكَ أَنْ تَأْخُذَ هَذِهِ الصَّدَقَةَ مِنْ أَعْيَانِنَا، فَتَقْسِمَهَا عَلَيَّ فَقَرَأْنَا؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:
 اللَّهُمَّ نَعَمْ، فَقَالَ الرَّجُلُ: آمَنْتُ بِمَا جِئْتَ بِهِ، وَأَنَا رَسُولُ مَنْ وَرَائِي مِنْ قَوْمِي، وَأَنَا ضِمَامُ
 بِنِ ثَعْلَبَةَ أَخُو بَنِي سَعْدِ بْنِ بَكْرِ. ٢١٨

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: بَعَثَ بَنُو سَعْدِ بْنِ بَكْرِ ضِمَامَ بْنَ ثَعْلَبَةَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ -
 فَقَدِمَ عَلَيْهِ، فَأَنَاحَ بَعِيرَهُ عَلَى بَابِ الْمَسْجِدِ ثُمَّ عَقَلَهُ، ثُمَّ دَخَلَ الْمَسْجِدَ وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ
 - جَالِسٌ فِي أَصْحَابِهِ - وَكَانَ ضِمَامٌ رَجُلًا جَلْدًا أَشْعَرَ ذَا غَدِيرَتَيْنِ - حَتَّى وَقَفَ عَلَى
 رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - فَقَالَ: أَيُّكُمْ ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ؟ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - : «أَنَا ابْنُ
 عَبْدِ الْمُطَّلِبِ». قَالَ: مُحَمَّدٌ؟ قَالَ: «نَعَمْ». قَالَ: يَا ابْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ إِنِّي سَأَلْتُكَ
 وَمُعَلِّظٌ فِي الْمَسْأَلَةِ، فَلَا تَجِدَنَّ فِي نَفْسِكَ. قَالَ: «لَا أَجِدُ فِي نَفْسِي فَسَلْ عَمَّا بَدَأَ لَكَ
 ». قَالَ: إِنِّي أَنْشُدُكَ بِاللَّهِ إِلَهِكَ وَإِلَهَ مَنْ كَانَ قَبْلَكَ وَإِلَهَ مَنْ هُوَ كَاتِنٌ بَعْدَكَ اللَّهُ بَعَثَكَ
 إِلَيْنَا رَسُولًا؟ قَالَ: «اللَّهُمَّ نَعَمْ». قَالَ: فَأَنْشُدُكَ بِاللَّهِ إِلَهِكَ وَإِلَهَ مَنْ كَانَ قَبْلَكَ وَإِلَهَ مَنْ
 هُوَ كَاتِنٌ بَعْدَكَ اللَّهُ أَمَرَكَ أَنْ تَعْبُدَهُ وَحْدَهُ لَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا وَأَنْ تَخْلَعَ هَذِهِ الْأَنْدَادَ الَّتِي
 كَانَتْ آبَاؤُنَا تَعْبُدُهَا مِنْ دُونِهِ؟ قَالَ: «اللَّهُمَّ نَعَمْ». قَالَ: فَأَنْشُدُكَ بِاللَّهِ إِلَهِكَ وَإِلَهَ مَنْ
 كَانَ قَبْلَكَ وَإِلَهَ مَنْ هُوَ كَاتِنٌ بَعْدَكَ اللَّهُ أَمَرَكَ أَنْ تُصَلِّيَ هَذِهِ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسَ؟ قَالَ: «
 اللَّهُمَّ نَعَمْ». قَالَ: ثُمَّ جَعَلَ يَذْكُرُ فَرَائِضَ الْإِسْلَامِ فَرِيضَةَ فَرِيضَةً: الزَّكَاةَ وَالصِّيَامَ
 وَالْحَجَّ وَشَرَاءِ عِيسَى كَلْبًا، وَيُنَاشِدُهُ عِنْدَ كُلِّ فَرِيضَةٍ كَمَا نَاشِدُهُ فِي الَّتِي قَبْلَهَا حَتَّى إِذَا
 فَرَغَ قَالَ: فَإِنِّي أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَسَأُودِي هَذِهِ
 الْفَرِيضَةَ، وَأَجْتَنِبُ مَا نَهَيْتَنِي عَنْهُ. ثُمَّ قَالَ: لَا أَزِيدُ وَلَا أَنْقُصُ، ثُمَّ انصَرَفَ إِلَى بَعِيرِهِ، فَقَالَ
 رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - : حِينَ وَلِي: «إِنْ يَصُدِّقْ ذُو الْعَقِيصَتَيْنِ يَدْخُلِ الْجَنَّةَ». فَاتَى إِلَى

٢١٨ - صحيح ابن حبان - (١ / ٣٦٧) (١٥٤) وصحيح البخاري - المكثر - (٦٣)

بَعِيرِهِ فَأَطْلَقَ عِقَالَهُ ثُمَّ خَرَجَ حَتَّى قَدِمَ عَلَى قَوْمِهِ فَاجْتَمَعُوا إِلَيْهِ، فَكَانَ أَوَّلَ مَا تَكَلَّمَ أَنْ قَالَ : بِمَسَّتِ اللَّائِثُ وَالْعُرْزَى. قَالُوا : مَهْ يَا ضِمَامُ اتَّقِ الْبَرَصَ وَاتَّقِ الْجُنُونَ وَاتَّقِ الْجُدَامَ. قَالَ : وَيَلِكُمْ، إِنَّهُمَا وَاللَّهِ مَا يَضُرَّانِ وَلَا يَنْفَعَانِ، إِنْ اللَّهُ قَدْ بَعَثَ رَسُولًا وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ كِتَابًا اسْتَنْقَذَكُمْ بِهِ مِمَّا كُنْتُمْ فِيهِ، وَإِنِّي أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَقَدْ جِئْتُكُمْ مِنْ عِنْدِهِ بِمَا أَمَرَكُمْ بِهِ وَنَهَاكُمْ عَنْهُ. قَالَ : فَوَاللَّهِ مَا أَمْسَى مِنْ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَفِي حَاضِرِهِ رَجُلٌ وَلَا امْرَأَةٌ إِلَّا مُسْلِمًا. قَالَ يَقُولُ ابْنُ عَبَّاسٍ : فَمَا سَمِعْنَا بِوَأْفِدِ قَوْمٍ كَانَ أَفْضَلَ مِنْ ضِمَامِ بْنِ ثَعْلَبَةَ. ٢١٩

(فَأَنَاحَهُ فِي الْمَسْجِدِ) أي في ساحة المسجد

(ثُمَّ عَقَلَهُ) أي ربطه بشيء عند باب المسجد لئلا يشرد .

(بَيْنَ ظَهْرَانِيهِمْ) قوله : (بين ظهرانيهم) أي بينهم . وفيه ما كان رسول الله ﷺ من التواضع وترك التكبر، وفيه أيضاً جواز اتكاء الإمام بين أتباعه .

(قَدْ أَحْبَبْتُكَ) أي سَمِعْتُكَ، فقل ما تريد .

(فَلَا تَجِدَنَّ عَلَيَّ فِي نَفْسِكَ) وقوله (لا تجِدَنَّ) أي لا تغضبَنَّ من مُسْأَلَتِي وتشدُّدِي فيها (سَلْ مَا بَدَا لَكَ) وفي الحديث بيان تواضعه ﷺ، ورفقه بالسائل المستفيد على تشديده في السؤال وتغليظه فيه، وفيه أنه ينبغي للمتعلِّم أن يقدم بين يدي سؤاله مقدِّمة يتلطفُ فيها ويعتذر فيها ليحسنَ موقعَ سؤاله عند المعلم، وهو من حُسن التوصل إلى المقصود .

(اللَّهُمَّ نَعَمْ) أصلُ الجواب قوله (نعم)، وذكر لفظ (اللهم) للتبرُّك وليدُلَّ على تيقُّنه في الجواب، فكانه قال : يا الله إني أشهدك أن ما أقولُ حقٌّ .

(فَأَنْشُدُكَ اللَّهَ) أي أسألك بالله .

(نَصُومُ هَذَا الشَّهْرِ مِنَ السَّنَةِ) أي شهر رمضان .

(أَنْ تَأْخُذَ هَذِهِ الصَّدَقَةَ) أي الزكاة .

٢١٩ - سنن الدارمي - المكتز - (٦٧٧) صحيح - العقبية - الضفيرة - الغديرة : الشعر المظفور

ما أغفل هذا الرجل السائل، وما أحسنَ مدخله وتقدم اعتذاره بهذا التمهيد لأسئلته التي سألتها رسول الله ﷺ، واستحلفه على جواب كل سؤال منها، فقد توثق تمام التوثق من صدق الصادق المصدوق ﷺ

فلما استوفى أسئلته وأعطى أجوبتها أعلن إسلامه، وأنه رسول قومه الذين أوفدوه وهم تبع له، ليعلموا صدق الرسول الداعي للإيمان بما جاء به من عند الله، فيسلموا، فهم لم يوفدوه عنهم إلا وهم على تمام الثقة من رجاحة عقله، وثاقب نظره، وصادق تفرسه، فله درهم ودره، ولذا قال سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما: ما سمعنا بوفد قوم قط، كان أفضل من ضمام. وكان سيدنا عمر رضي الله عنه يقول: ما رأيتُ أحداً أحسنَ مسألةً، ولا أوجزَ من ضمام بن ثعلبة. رضي الله عنه وأرضاه.

واسم (ضمام) مأخوذ من ضمام الشيء، وهو ما يشمله وينطوي عليه. يقال: التقوى ضمام الخير كله.

وعن موسى بن طلحة قال حدثني أبو أيوب أن أعرابياً عرض لرسول الله ﷺ - وهو في سفر. فأخذ بخطام ناقته أو بزمامها ثم قال يا رسول الله - أو يا محمد - أخبرني بما يقربني من الجنة وما يباعدني من النار. قال فكف النبي ﷺ - ثم نظر في أصحابه ثم قال «لقد وفق - أو لقد هدى - قال كيف قلت». قال فأعاد. فقال النبي ﷺ - «تعبد الله لا تشرك به شيئاً وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصل الرحم دَع النَّاقَةَ»^{٢٢٠}.

(بخطام ناقته أو بزمامها) قوله (بخطام ناقته) أي ناقه النبي ﷺ. والخطام هو الزمام، وهو كل ما وضع في أنف البعير ليقتاد به.

(فكف النبي ﷺ -) أي سكت عن الجواب هنيهة.

(نظر في أصحابه) تعجباً من حسن سؤاله.

(لقد وفق - أو لقد هدى) أي وفق للسؤال عما يهّمه ويحتاج إليه، أو هدى إلى ذلك بفضل الله تعالى، والشك من الراوي، والمعنى في اللفظين متقارب.

٢٢٠ - صحيح مسلم - المكثر - (١١٣)

إنما قال ذلك لأن الأعرابي كان مُمسكاً بزمام الناقة ليتمكن من سؤاله بلا مشقة، فلما حصل جوابه قال : دعها . وفي الحديث بيان غاية تواضعه ﷺ للسائل وشفقته عليه، ومع جفائه وتعرضه للسؤال في غير وقته .

وعن عبد الله الأيشكري، قال : انطلقت إلى الكوفة لأجلب بعلاً، قال : فأتيْتُ السوقَ ولمْ تُقم، قال : قلتُ لصاحب لي : لو دخلنا المسجدَ وموضعه يومئذٍ في أصحاب التمر، فإذا فيه رجلٌ من قيسٍ يُقالُ له : ابنُ المُنْتَفِقِ وهو يقولُ : وُصِفَ لي رسولُ اللهِ ﷺ وحلي، فطلبتُه بمنى فقبل لي : هو يعرفات، فأنتهيتُ إليه، فراحمتُ عليه، فقبل لي : إليك عن طريق رسولِ اللهِ ﷺ فقال : دعوا الرجلَ أربَ ما له، قال : فراحمتُ عليه حتى خلصتُ إليه، قال : فأخذتُ بخطامِ راحلةِ رسولِ اللهِ ﷺ، أو قال زمامها هكذا حدثتُ محمدًا، حتى اختلفتُ أعناقُ راحلتينَا، قال : فما يزعني رسولُ اللهِ ﷺ، أو قال : ما غيرَ علي، هكذا حدثتُ محمدًا، قال : قلتُ : ننتان أسألكَ عنهما : ما يُنجيني من النارِ ؟ وما يُدخلني الجنةَ ؟ قال : فنظر رسولُ اللهِ ﷺ إلى السماءِ ثم نكسَ رأسه، ثم أقبلَ عليَّ بوجهه قال : لئن كنتُ أوجزتُ في المسألةِ لقد أعظمتُ وأطولتُ، فاعقلْ عني إذا، اعبدِ اللهَ لا تُشركَ به شيئاً، وأقمِ الصلاةَ المكتوبةَ، وأدِّ الزكاةَ المفروضةَ، وصمِ رمضانَ، وما تُحبُّ أن يفعلهُ بك الناسُ فافعلهُ بهم، وما تكرهُ أن يأتيَ إليك الناسُ فذرِ الناسَ منه، ثم قال :
حلَّ سبيلَ الرَّاحِلَةِ. ٢٢١

(إليك عن طريق رسولِ اللهِ ﷺ) أي ابعد عنه . (فقال) أي النبي ﷺ . (دعوا الرجلَ أربَ ما له) قوله (أرب) أي الحاجة، و(ما) زائدة، كأنه قال : له حاجةٌ ما . (فراحمتُ عليه حتى خلصتُ إليه) أي وصلتُ إليه . (فأخذتُ بخطامِ راحلةِ رسولِ اللهِ ﷺ، أو قال زمامها) يعني فما غضب عليَّ النبي ﷺ ولا غيره من أصحابه . وفيه من تواضع النبي ﷺ وحفض جناحه للسائل المستفيد ما لا يخفى . (فاعقلْ عني إذا) أي فافهم ما أقوله جيداً .

٢٢١ - مسند أحمد (عالم الكتب) - (٨ / ٧٧٠) (٢٧١٥٣) ٢٧٦٩٤ - صحيح

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، أَنَّ امْرَأَةً كَانَتْ فِي عَقْلِهَا شَيْءٌ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ لِي إِلَيْكَ حَاجَةً، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: يَا أُمَّ فُلَانٍ، خُذِي أَيَّ الطَّرِيقِ شِئْتَ، فَقَوْمِي فِيهِ حَتَّى أَقُومَ مَعَكَ، فَخَلَا مَعَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُنَاجِيهَا حَتَّى قَضَتْ حَاجَتَهَا مِنَ النَّبِيِّ ﷺ. "٢٢٢".
(انظري أَيَّ السَّكِّكَ أَيَّ الطَّرِيقِ .

قال الإمام النووي^{٢٢٣}: ((في هذا الحديث بيانُ تواضعِهِ ﷺ، بوقوفه مع المرأة الضعيفة، ليقضي حاجتها ويفتيها في الخلوّة، ولم يكن ذلك من الخلوّة بالمرأة الأجنبية، فإن هذا كان في ممرّ الناس ومُشاهدتهم إياه وإياها، ولكن لا يسمعون كلامها، لأن مسألتها مما لا يُظهِرُ، والله أعلم)).

٢٢٢ - صحيح ابن حبان - (١٠ / ٣٨٦) (٤٥٢٧) وصحيح مسلم - المكثر - (٦١٨٩)

٢٢٣ - في ((شرح صحيح مسلم)) ١٥ : ٨٢

المبحث الثاني

بيان خصائص الرسول المعلم وفضائله

ومعرفتها من تمام معرفة شخصيته التعليمية، التي هي جزء منها ولا يستقل عنها، كما يتبدى منها أيضاً مبعث قبول أقواله وأحكامه الصادرة عنه، والتأسي بأفعاله الواردة منه، ومدى وقعها في النفوس، وهي تشمل كل جانب من جوانب الحياة والدين .

وفي هذه الكلمات أيضاً هدي وإرشاد لما ينبغي أن يكون عليه المعلم في سيرته، وفكره، وخلقه، وعمله، ومعاملته، ومنطقه ومظهره، ومخبره ... {لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا} (٢١) سورة الأحزاب

قال الإمام أبو الحسن علي بن محمد الماوردي البصري البغدادي، أفضى قصة عصره، رحمه الله تعالى، في كتابه ((أعلام النبوة)) في (الباب العشرين) وغيره^{٢٢٤}، وهو يتحدث عما خص الله به رسوله محمداً ﷺ من المزايا والخصائص ما ملخصه^{٢٢٥}:

((لما كان أنبياء الله صفوة عباده وخيرة خلقه، لما كلفهم من القيام بحقه، استخلصهم من أكرم العناصر، وأمدهم بأوكد الأواصر، حفظاً لنسبهم من قدح، ولمنصبهم من

^{٢٢٤} - وقد نقل هذه الكلمات بطولها العلامة جمال الدين القاسمي رحمه الله تعالى ، في كتابه ((دلائل التوحيد)) ص ١٨١ ١٩٦ من طبعة دمشق ، وص ١٥٦ ١٦٩ من طبعة جمعية النشر والتأليف الأزهرية بالقاهرة ، حين تحدث عن الرسول الكريم ودلائل نبوته وصفاته الشخصية العظيمة .

^{٢٢٥} - ومن غريب التوافق أن المعاني التي أشار إليها الإمام الماوردي إمام المشرق في عصره ، في كلماته الآتية في بيان مزايا الشخصية النبوية الكريمة ، قد أشار إليها بإجمال عصره إمام المغرب الإمام ابن حزم ، في كتابه ((الفصل في الملل والأهواء والنحل)) ٢ : ٨٨ ٩١ من طبعة صبيح بالقاهرة سنة ١٣٨٤ ، حتى كأن أحدهما قد استقى من الآخر فكره أو حاوره فيه .

ولكن لا غرابة في تقارب النظر ، وتوافق الفكر بين إمامي المشرق والمغرب ، لأهمما ينطلقان من مهيج واحد، هو تشخيص المزايا التي أئصف بها رسول الله ﷺ، وهي بادية للمشرق كما تبدو للمغرب على سواء ، وقد كانت وفاة الماوردي سنة ٤٥٠ ببغداد ، ووفاة ابن حزم سنة ٤٥٦ في بلدة لبلبة من بلاد الأندلس ، رحمهما الله تعالى .

جَرَحَ، لتكون النفوس لهم أوطى، والقلوب لهم أصفى، فيكون الناس إلى إجابتهم أسرع، ولأوامرهم أطوع .

وقد كانت آيات النبوة في رسول الله ﷺ باهرة، وشواهدُهُ قاهرة، تشهدُ مَبَادِيهَا بالعواقب، فلا يَلْتَبِسُ فِيهَا كَذِبٌ بِصَدَقٍ، وَلَا مُتَّحِلٌ بِمُحَقِّقٍ، وقد أرسله الله بعد الاستخلاص، وطهره من الأدناس فانتفت عنه تُهْمُ الظنون، وسَلِمَ من ازدراءِ العيون، لا يَدْفَعُهُ عقل، ولا يَأباه قلب، ولا تَنْفِرُ عنه نفس .

فهو المهيأ لأشرف الأخلاق وأجمل الأفعال، المؤهل لأعلى المنازل وأفضل الأعمال، لأنها أصولٌ تقودُ إلى ما ناسبها ووافقها، وتنفرُ ما باينها وخالفها . ولا منزلة في العالم أعلى من النبوة التي هي سفارةٌ بين الله تعالى وعباده، تبعثُ على مصالح الخلق وطاعة الخالق، فكان أفضل الخلق بما أخصَّ، وأكملهم بشروطها أحقَّ وأمسَّ.

ولم يكن في عصر الرسول ﷺ وما داني طرفيه من قاربه في فضله، ولا دانا في كماله، خلقاً وخُلُقاً، وقولاً وفعلاً، وبذلك وصفه الله تعالى في كتابه بقوله : { وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ } (٤) سورة القلم.

والفضل وإن لم يكن من معجزات النبوة، لانه قد يُشاركُ فيه، فهو من أمارتها . وتكاملُ الفضل مُعَوِّزٌ^{٢٢٦}، فصار كالمُعْجِزِ، وكمالُ الفضل موجبٌ للصدق، والصدق موجبٌ لقبول القول، فجاز أن يكون الفضل من دلائل الرُّسُلِ .

فإذا وضح هذا، فالكمال المعْتَبَرُ في البَشَرِ، يكون من أربعة أوجه :

١ كمالُ الخُلُقِ، ٢ كمالُ الخُلُقِ، ٣ وفضائل الأقوال، ٤ وفضائل الأعمال

١ فأما الوجه الأول في كمال خُلُقِهِ بعد اعتدال صورته، فيكون بأربعة أوصاف :

أحدها : السكينة الباعثة على الهيبة والتعظيم، الداعية إلى التقديم والتسليم، وكان أعظم مهيب في النفوس، حتى ارتاعت رُسُلُ كسرى من هيئته حين أتوه، مع ارتياضهم بصَوْلَةِ

٢٢٦ - أعوز الشيء فهو مُعَوِّزٌ ، إذا عَزَّ فلم يوجد . أي تكاملُ الفضل عزيز

الأكاسرة، ومكاثرة الملوك الجبابرة، فكان ﷺ في نفوسهم أهيب، وفي أعينهم أعظم، وإن لم يتعاضم بأبهة، ولم يتناول بسطوة، بل كان بالتواضع موصوفاً، وبالسهولة معروفاً .

والثاني : الطلاقة الموجبة للإخلاص والمحبة، الباعثة على المصافاة والمودة، وقد كان صلوات الله عليه وسلامه محبوباً، ولقد استحكمت محبة طلاقته في النفوس، حتى لم يقله مُصاحب^{٢٢٧}، ولم يتباعد منه مُقارب، وكان أحب إلى أصحابه من الآباء والأبناء، وشرب البارد على الظَّماء^{٢٢٨}

والثالث : حُسْنُ القبول، الجالبُ لممايلة القلوب حتى تُسرِعَ إلى طاعته، وتُذعنَ بموافقته، وقد كان قبولُ منظره ﷺ مستولياً على القلوب، ولذلك استحكمت مصاحبته في النفوس، حتى لم ينفر منه مُعانِد، ولا استوحشَ منه مُباعد، إلا من ساقه الحسد إلى شقوته، وقاده الحرمان إلى مخالفته .

والرابع: ميلُ النفوس إلى متابعتة، وانقيادها لموافقتة وثباتها على شدائده ومصابرتة، فما شذَّ عنه معها من أخلص، ولا نَدَّ عنه فيها من تخصص^{٢٢٩} .

وهذه الأربعة من دواعي السعادة، وقوانين الرسالة، وقد تكاملت فيه، فكمَل ما يوازيها، واستحق ما يقتضيها .

٢ وأما الوجه الثاني في كمالِ خُلُقهِ، فيكون بستِ خِصال :

الخصلة الأولى : رجاحةُ عقله، وصحةُ وهمه^{٢٣٠}، وصدقُ فراسته، وقد دلَّ على وفور ذلك فيه صحةُ رأيه، وصوابُ تدبيره، وحسنُ تألُّفه، وأنه ما استُعِفَلَ في مكيدة، ولا استُعِجَزَ في

^{٢٢٧} - أي لم يُبغضه أو يكرهه مُصاحب .

^{٢٢٨} - الظَّماء : العطش الشديد .

^{٢٢٩} - أي عاشره طويلاً واختصَّ بصحبته .

^{٢٣٠} - أي صحة ما يقع في ذهنه من الخواطر ، تقول في لغة العرب : وَهَمْتُ أهِمُّ وَهْمًا عَلَى وَزْنِ وَعَدَّ يَعِدُّ وَعَدًّا إِذَا وَقَعَ الشَّيْءُ فِي خَاطِرِكَ وَخَلَّدَكَ .

شديدة، بل كان يلحظُ الأعجاز في المبادي^{٢٣١}، فيكشفُ عيوبها، ويحلُّ خطوبها، وهذا لا ينتظم إلا بأصدق وهم، وأوضح حزم .

والخصلة الثانية : ثباته في الشدائد وهو مطلوب^{٢٣٢}، وصبره على البأساء والضراء وهو مكروبٌ ومحروب^{٢٣٣}، ونفسه في اختلاف الأحوال ساكنة، لا يخور في شديدة^{٢٣٤}، ولا يستكين لعظيمة^{٢٣٥}، وقد لقي بمكة من قريش ما يُشيبُ النواصي، ويهدُّ الصياصي^{٢٣٦}، وهو مع العف يُصابِر صبرَ المستعلي، ويثبتُ ثبات المستولي .

والخصلة الثالثة : زهده في الدنيا وإعراضه عنها، وقناعته بالبلاغ منها^{٢٣٧}، فلم يَمِلْ إلى نضارتها، ولم يَلْهَ بجلاوتها^{٢٣٨}، وقد ملك من أقصى الحجاز إلى عذارِ العراق^{٢٣٩}، ومن أقصى اليمن إلى شحرِ عُمان^{٢٤٠}، وهو أزهَد الناس فيما يُقتنى ويُدَّخر، وأعرضهم عما يُستفاد ويُحتكر .

لم يُخلف عيناً ولا ديناً^{٢٤١}، ولا حفر نهرًا، ولا شيّد قصرًا، ولم يُورث ولده وأهله متاعاً ولا مالا، ليصرفهم عن الرغبة في الدنيا كما صرف نفسه عنها، فيكونوا على مثل حاله في الزهد فيها .

٢٣١ - أي يبصر عواقب الأمور في مبادئها .

٢٣٢ - أي مطلوب من أعدائه .

٢٣٣ - أي مُحارِب .

٢٣٤ - لا يخور : لا يضعف .

٢٣٥ - لا يستكين : لا يذل ولا يخضع .

٢٣٦ - الصياصي : الحصون المنيعَة .

٢٣٧ - البلاغ : السير الذي يُتوصَّل به إلى الغاية .

٢٣٨ - أي لم يأنس بها ويعجب بلذتها .

٢٣٩ - العذار : الجانب .

٢٤٠ - أي ساحل بحر عُمان .

٢٤١ - أي ديناً له على الناس ، بل قد مات ﷺ ودرعُه مرهونة عند يهودي في طعام أهله .

وحقيقٌ بمن كان في الدنيا بهذه الزَّهَّادة، حتى اجتذَب أصحابه إليها، أن لا يُتَّهَم بطلبها، ويكذب على الله في ادِّعاء الآخرة بها، ويقنع في العاجل، وقد سلب الآجل، بالميسور النَّزْر، ورضيَ بالعيش الكدْر .

والخِصْلَةُ الرَّابِعَةُ: تواضُّعه للناس وهم أتباع، وخفضُ جناحه لهم وهو مُطاع، بمشي في الأسواق، ويجلس على الثراب، ويمتزجُ بأصحابه وجلسائه، فلا يتميَّز عنهم إلا بإطراقه وحيائه، فصار بالتواضع متميِّزاً، وبالتذلُّ متعزِّزاً .

عَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ : أُتِيَ النَّبِيُّ ﷺ بِرَجُلٍ تَرَعَدُ فَرَائِصُهُ قَالَ : فَقَالَ لَهُ : " هَوْنٌ عَلَيْكَ ^{٢٤٢} فَإِنَّمَا أَنَا ابْنُ امْرَأَةٍ مِنْ قُرَيْشٍ كَانَتْ تَأْكُلُ الْقَدِيدَ فِي هَذِهِ الْبَطْحَاءِ " قَالَ : ثُمَّ تَلَا جَرِيرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْبَجَلِيُّ : وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ فَذَكَرَ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ ^{٢٤٣}

وهذا من شرف أخلاقه، وكريم شيمه، فهي غريزة فطرية عليها، وجيلة طبع بها ^{٢٤٤}، لم تنذر فتعد ^{٢٤٥}، ولم تُحصِر فتحد .

والخِصْلَةُ الْخَامِسَةُ : حلمه ووقاره عن طيش يهزه، أو خرق يستغفه ^{٢٤٦}، فقد كان أحلم في الثَّغَار من كل حلِيم ^{٢٤٧}، وأسلم في الخِصَام من كل سليم، وقد مُني بجفوة الأعراب ^{٢٤٨}، فلم

^{٢٤٢} - أي سكن قلبك واطمئن ولا تجزع مني .

^{٢٤٣} - الْمُسْتَدْرَكُ عَلَى الصَّحِيحَيْنِ لِلْحَاكِمِ (٣٦٩٢) صحيح

القديد اللحم الجفف بالشمس . وأراد بقوله ﷺ: (إنما أنا ابن امرأة كانت تأكل القديد بمكة) : نفي صفة الملوكة عنه التي يلزمها الجبروتية والتكبر . وفي قوله ﷺ: (أنا ابن امرأة ...) نسب نفسه إلى المرأة ، ولم يقل : (أنا ابن رجل) زيادة في شدة التواضع وتسكين الرُّوع ، لما علِم من ضعف النساء . ثم وصفها بأنها (تأكل القديد) تواضعاً ، لأن (القديد) أكل مفضول ، وهو مأكول المساكين الفقراء ، والمتكبرون الجبابرة لا يأكلون من اللحم إلا ما ذبح حديثاً ، فكأنه قال : إنما أنا ابن امرأة مسكينة ، تأكل مفضول الأكل ، فكيف تخاف مني؟ . أفاده العلامة القسطلاني رحمه الله تعالى في ((المواهب اللدنية)) ٤ : ٣١٩ ٣٢٠ بشرح الزرقاني .

^{٢٤٤} - الجيلة : الخلقة .

^{٢٤٥} - لم تنذر ، أي لم تكن نادرة قليلة فتعد .

^{٢٤٦} الخرق : الجهل ، والحُمق .

^{٢٤٧} الثَّغَار : الجزع والخوف .

^{٢٤٨} - مُني : أُصيب .

يوجد منه نادرة^{٢٤٩}، ولم يُحفظ عليه بادرة^{٢٥٠}. ولا حلِيمَ غيرَه إلا ذو عَثْرَة، ولا وَقُورٍ سِوَاهُ إلا ذو هَفْوَة، فإن الله تعالى عَصَمَهُ، من نَزْغِ الهَوَى، وطَيْشِ القُدْرَة بِهَفْوَة أو عَثْرَة، ليكون بَأَمْتِهِ رُوْوفاً، وعلى الخلق عَطُوفاً .

وقد تناولته قريشٌ بكل كبيرة، وقصدته بكل جريرة^{٢٥١}، وهو صبورٌ عليهم، ومعرض عنهم، وما تفرّدَ بذلك سُفهاؤهم دون حُلُمائهم، ولا أراذلهم دون عُظُمائهم، بل تَمالاً عليه الجِلَّةُ والدُّون^{٢٥٢} .

فكلما كانوا عليه من الأمر ألحَّ، كان عنهم أعرَضَ وأصْفَحَ، حتى قَهَرَ فعفا، وقدَرَ فغفَرَ .

وقال لهم حين ظَفِرَ بهم عامَ الفتح^{٢٥٣}، وقد اجتمعوا إليه : ما ظَنُّكم بي؟ قالوا : ابنُ عمِّ كَرِيمٍ^{٢٥٤}، فإن تَعَفُّ فذاك الظنُّ بك، وإن تَنَتَمَّ فقد أسأنا، فقال : بل أقول كما قال يوسف لإخوته : { لَا تَثْرِبَ عَلَيْنِمْ الْيَوْمَ يَعْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ } (٩٢) سورة يوسف .

وأنته هندُ بنتُ عُتْبَة وقد بَقَرَتْ بطنَ عمِّه حمزة، ولاكتَ كَبِدَهُ^{٢٥٥} فصفح عنها، وبأيعها .

^{٢٤٩} أي كلمة نايبة حارجة عن المعتاد .

^{٢٥٠} - البادرة : حدة الغضب السريعة .

^{٢٥١} الجريرة : الجنابة .

^{٢٥٢} يقال : تمالأ القوم على كذا ، إذا اجتمعوا وتعاونوا عليه . وجلة القوم : عظماؤهم . والدون : الخسيس الحقير

^{٢٥٣} - أي فتح مكة .

^{٢٥٤} - كذا وقع في كلام الماوردي : ابن عمِّ كريم ، والمخفوظ في هذا الخبر : ((قالوا : أخُّ كريم ، وابنُ أخِّ كريم ..)) . كما في ((السيرة)) لابن اسحاق ، ونقله عنه الحافظ ابن حجر في ((فتح الباري)) ٨ : ١٥ ، والزرقياني في ((شرح المواهب اللدنية)) ٢ : ٣٧٧ ، وكما في ((مغازي الواقدي)) ٢ : ٨٣٥ ، و((عيون الأثر)) لابن سيد الناس ٢ : ١٧٨ ، و((زاد المعاد)) لابن القيم ٢ : ٣٩٤ ، و((هجة المحافل)) للبيهي ١ : ٤١٠ . وبقية ألفاظ الخبر في هذه الكتب قريبة المعنى من النص المذكور هنا .

وجاء في رواية ثانية : ((ما تُرُونُني فاعل بكم بكم ..)) . و(تُرُونُ) بضم التاء ، بمعنى تظنون ، كما ضبطها في ((هجة المحافل)) .

^{٢٥٥} - أي مضعت كبد عمِّه حمزة في فمها حين بقرت بطنه ، زيادة في التشفي بقتله رضي الله عنه ، لأنه قتل أباه في بدر وأحاهها...

والخِصْلَةُ السَّادِسَةُ : حَفِظَهُ لِلْعَهْدِ، وَوَفَاؤُهُ بِالْوَعْدِ، فَغَنَهُ مَا تَقَضَّى لِمَحَافِظِ عَهْدِهِ، وَلَا أَحْلَفَ لِمُرَاقِبٍ وَعَدَاءٍ، يَرَى الْعَدْرَ مِنْ كِبَائِرِ الذُّنُوبِ، وَالْإِخْلَافَ مِنْ مَسَاوِيءِ الشِّيمِ، فَيَلْتَزِمُ فِيهِمَا الْأَغْلَظَ، وَيَرْتَكِبُ فِيهِمَا الْأَصْعَبَ، حَفِظًا لِعَهْدِهِ، وَوَفَاءً بِوَعْدِهِ، حَتَّى يَبْتَدِيَ مُعَاهِدُوهَ بِنَقْضِهِ، فَيَجْعَلُ اللَّهُ تَعَالَى لَهُ مَخْرَجًا، كَفَعَلَ الْيَهُودَ مِنْ بَنِي قُرَيْظَةَ وَبَنِي النَّضِيرِ، وَكَفَعَلَ قُرَيْشَ بَصُلْحِ الْحُدَيْبِيَّةِ، فَجَعَلَ اللَّهُ تَعَالَى لَهُ فِي نَكْتِهِمُ الْخَيْرَةَ^{٢٥٦} .

فهذه ستُّ خصالٍ تكاملتْ في خُلُقِهِ، فَضَلَّهُ اللَّهُ تَعَالَى بِهَا عَلَى جَمِيعِ خَلْقِهِ .

٣ وأما الوجه الثالث في فضائل أقواله، فمعتبرٌ بثمان خصال :

الخِصْلَةُ الْأُولَى : مَا أُوِيَّ مِنَ الْحِكْمَةِ الْبَالِغَةِ، وَأُعْطِيَ مِنَ الْعُلُومِ الْجَمَّةِ الْبَاهِرَةِ، وَهُوَ أُمِّيٌّ مِنْ أُمَّةٍ أُمِّيَّةٍ، لَمْ يَقْرَأْ كِتَابًا، وَلَا دَرَسَ عِلْمًا، وَلَا صَحَبَ عَالِمًا وَلَا مُعَلِّمًا، فَآتَى ﷺ بِمَا بَهَرَ الْعُقُولَ، وَأَذْهَلَ الْفِطْنَ، مِنْ إِتْقَانِ مَا أَبَانَ، وَإِحْكَامِ مَا أَظْهَرَ، فَلَمْ يَعْثُرْ فِيهِ بِزَلٍّ، فِي قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ .

وما هذه الفِطْرَةُ فِي الرَّسُولِ ﷺ، إِلَّا مِنْ صَفَاءِ جَوْهَرِهِ، وَخُلُوصِ مَخْبِرِهِ

والخِصْلَةُ الثَّانِيَّةُ : حَفِظَهُ لِمَا أَطْلَعَهُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ، مِنْ قِصَصِ الْأَنْبِيَاءِ مَعَ الْأُمَمِ، وَأَخْبَارِ الْعَالَمِ فِي الزَّمَنِ الْأَقْدَمِ، حَتَّى لَمْ يَعْزُبْ عَنْهُ مِنْهَا صَغِيرٌ وَلَا كَبِيرٌ، وَلَا شَدَّ عَنْهُ مِنْهَا قَلِيلٌ وَلَا كَثِيرٌ، وَهُوَ لَا يَضْبِطُهَا بِكِتَابٍ يَدْرُسُهُ، وَلَا يَحْفَظُهَا بِعَيْنٍ تَحْرُسُهُ، وَمَا ذَاكَ إِلَّا مِنْ ذَهْنٍ صَحِيحٍ، وَصَدْرٍ فَسِيحٍ، وَقَلْبٍ شَرِيحٍ^{٢٥٧}، وَهَذِهِ الثَّلَاثَةُ آلَةٌ مَا اسْتُدْعَى مِنَ الرَّسَالَةِ، وَحُمِّلَ مِنْ أَعْبَاءِ النَّبُوَّةِ، فَجَدِيرٌ أَنْ يَكُونَ بِهَا مَبْعُوثًا، وَعَلَى الْقِيَامِ بِهَا مَحْتَوًّا .

والخِصْلَةُ الثَّلَاثَةُ : إِحْكَامُهُ لِمَا شَرَعَ بِأَظْهَرِ دَلِيلٍ، وَبَيَّأَنَهُ بِأَوْضَحِ تَعْلِيلٍ، حَتَّى لَمْ يَخْرُجْ عَنْهُ مَا يَوْجِبُهُ مَعْقُولٌ، وَلَا دَخَلَ فِيهِ مَا تَدْفَعُهُ الْعُقُولُ، وَلِذَلِكَ قَالَ ﷺ : ((أُوتِيَتْ جَوَامِعَ الْكَلِمِ وَخَوَاتِمَهُ " ، وَاخْتَصِرَ لِي الْكَلَامُ اخْتِصَارًا))^{٢٥٨} . لِأَنَّهُ نَبَّهَ بِالْقَلِيلِ عَلَى الْكَثِيرِ، فَكَفَّ عَنْ

^{٢٥٦} - أي ما هو الأفضل .

^{٢٥٧} - أي قلب واسع .

^{٢٥٨} - الْمَطَالِبُ الْعَالِيَةُ لِلْحَافِظِ ابْنِ حَجَرَ الْعَسْقَلَانِيِّ (٣٩٤٧) صحيح لغيره

الإطالة، وكشف عن الجهالة، وما تيسر له ذلك، إلا وهو عليه مُعان، وإليه مُقاد .

والخصلة الرابعة : ما أمر به من محاسن الأخلاق، ودعا إليه من مُستحسن الآداب، وحث عليه من صلة الأرحام، وندب إليه من التعطف على الضعفاء والأيتام .

ثم ما نهى عنه من التباغض والتحاسد، وكف عنه من التقاطع والتباعد، لتكون الفضائل فيهم أكثر، ومحاسن الأخلاق بينهم أنشر، ومُستحسن الآداب عليهم أظهر، ويكونوا إلى الخير أسرع، ومن الشر أمتنع .

فيتحقق فيهم قول الله تعالى : { كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ } (١١٠) سورة آل عمران . فلزموا أوامره، واتقوا زواجره، فتكامل بهم صلاح دينهم ودنياهم، حتى عز بهم الإسلام بعد ضعفه، وذل بهم الشرك بعد عزه، فصاروا أئمة أبراراً، وقادة أحياناً .

والخصلة الخامسة : وُضوح جوابه إذا سُئل، وظهور حججه إذا جُودل^{٢٥٩}، لا يَحْضُرُهُ عِي^{٢٦٠}، ولا يَقْطَعُهُ عَجْزٌ، ولا يُعَارِضُهُ خَصْمٌ في جدال، إلا كان جوابه أوضح، وحججه أرجح .

والخصلة السادسة : أنه محفوظ اللسان من تحريف في قول، واسترسال في خبر يكون إلى

والمراد بهما هنا : أنه ﷺ أعطى البلاغة والفصاحة ، والتوصل إلى غوامض المعاني وبدائع الحكيم ، ومحاسن العبارات والألفاظ التي أغلقت على غيره وتعذرت ، وواسع المعاني الجليلة الشاملة ، بلفظ موجز لطيف جامع ، لا تعقيد فيه ولا التواء ولا غموض .

(جوامع الكلم) واحدها : كلمة جامعة هي الكلمات التي يُعبرُ بها عن المعاني الكثيرة بألفاظ قليلة .
(خواتم الكلم) واحدها : كلمة خاتمة هي الكلمات الخاتمة الحاوية للمعاني الكثيرة بحيث لا يخرج عنها شيء عن طلبه ، مع عذوبتها وجزالتها وإستيفائها ، وحسن الوقف ورعاية الفواصل .

وقد كان ﷺ أفصح الناس ، يفتح كلامه بأعذب لفظ وأجزله ، وأفصح وأوضحه ، ويختمه بمقطع وجيز بليغ جامع ، يشوق السامع إلى الإقبال على الاستماع له والحرص عليه .

وقوله : (واختصر لي الكلام اختصاراً) يعني أوجز لي الكلام ، حتى صار ما أتكلم به كثير المعاني قليل الألفاظ .

وذلك كله مما اختصه الله به ، وفضله به على الرسل الكرام عليهم الصلاة والسلام

^{٢٥٩} الحجاج : المُجادلة .

^{٢٦٠} أي لا يضايقه ولا يمنعه عن أداء مراده ضعف .

الكذب منسوباً، وللصدقِ مُجانباً، فإنه فإنه لم يزل مشهوراً بالصدق في خبره ناشئاً وكبيراً، حتى صار بالصدقِ مرقوماً^{٢٦١}، وبالأمانة موصوماً^{٢٦٢}.

وكانت قريش بأسرها تتيقنُ صدقه قبل الإسلام، فجهروا بتكذيبه في استدعائهم إليه^{٢٦٣}، فمنهم من كذبه حسداً، ومنهم من كذبه عناداً، ومنهم من كذبه استبعاداً أن يكون نبياً أو رسولاً. ولو حفظوا عليه كذبة نادرة في غير الرسالة، لجعلوها دليلاً على تكذيبه في الرسالة.

ومن لزم الصدق في صغره، كان له في الكبر ألزم، ومن عصم منه في حق نفسه، كان في حقوق الله تعالى أعصم. وحسبك بهذا دفعا لجاحد، ورداً لمعاند.

والخصلة السابعة: تحريرُ كلامه في التوخي به إبان حاجته، والاقترار منه على قدر كفايته، فلا يسترسل فيه هذراً^{٢٦٤}، ولا يُحجم عنه حصراً^{٢٦٥}، وهو فيما عدا حالتي الحاجة والكفاية، أجمال الناس صمتاً، وأحسنهم سمتاً^{٢٦٦}، ولذلك حفظ كلامه حتى لم يخل، وظهر روثقه حتى لم يعتل، واستعذبت الأفواه، حتى بقي محفوظاً في القلوب، وممدوناً في الكتب.

والخصلة الثامنة: أنه أفصح الناس لساناً، وأوضحهم بياناً، وأجزهم كلاماً، وأجزلهم ألفاظاً، وأصحهم معاني، لا يظهر فيه هجنة التكلف^{٢٦٧}، ولا يتخلله فيهقة^{٢٦٨}، وقد دون كثير من جوامع كلمه ومن كلامه الذي لا يُشاكل في فصاحته وبلاغته^{٢٦٩}، ومع ذلك فلا يأتي عليه إحصاء، ولا يبلغه استقصاء

^{٢٦١} أي مزيناً ومعرفاً.

^{٢٦٢} - أي صارت الأمانة له وساماً وعلامة.

^{٢٦٣} - أي حين طلب منهم أن يستجيبوا لما دعاهم إليه من الدين.

^{٢٦٤} يقال: هذر الرجل في منطقه هذراً وهذراً: إذا تكلم بما لا ينبغي. وهذر كلامه هذراً: كثر فيه الخطأ والباطل.

^{٢٦٥} الحصر: العجز عن البيان والقول المفهم.

^{٢٦٦} - السمت هنا: السكينة والوقار.

^{٢٦٧} - هجنة التكلف: قبحه وعيبه.

^{٢٦٨} - فيهقة التعسف: التوسع والتنطع في النطق.

^{٢٦٩} - أي لا يُشابه ولا يُماثل في فصاحته وبلاغته.

ولو مُزجَ كلامُه بغيره لتميَّز بأسلوبه، ولظَهَرَ فيه آثارُ التنافر، فلم يَلتبس حَقُّه من باطله، ولَبانَ صدقُه من كذبه^{٢٧٠}.

هذا، ولم يكن مُتعاطياً للبلاغة، ولا مُخالطاً لأهله من خُطباءٍ أو شعراءٍ أو فصحاء^{٢٧١}، وإنما هو من غرائزِ فِطْرَتِه، وبدايةِ جِيلتِه^{٢٧٢}، وما ذاك إلا لغايةِ تُراد، وحادثةِ تُشاد^{٢٧٣}.

٤ أما الوجه الرابع في فضائل أفعاله، فمختبرٌ بثمانِ خصال :

الخصلة الأولى : حُسْنُ سيرتِه، وصِحَّةُ سياستِه، في دينٍ نقلَ به الأُمَّة عن مألوف، وصَرَفَهم به عن معروفٍ إلى غير معروف^{٢٧٤}، فأذعنتَ به النفوسُ طوعاً، وانقادتْ له خوفاً وطَمَعاً، وليس ذلك بالسَّهل اليسير، إلا لمن كان مع التأييد الإلهي مُعاناً بجزْمِ صائب، وعزمٍ ثاقب .

ولئن كان مأموراً بما شرع، فهي الحُجَّةُ القاهرة، ولئن كان مجتهداً فيه فهي الآيةُ الباهرة، وحسبُك بما استقرَّتْ قواعده على الأبد حتى انتقلَ عن سَلَفٍ إلى خَلَفٍ تزدادُ فيهم حلاوته، وتشتدُّ فيهم جدته، ويرَوُّنه نظاماً لأعصارٍ تتقلبُ صُروفُها، ويختلفُ مألوفُها أن يكون لمن قام به بُرهاناً، ولمن ارتاب به بياناً .

والخصلة الثانية : أنه جَمَعَ بين رغبةٍ من استمال، ورهبةٍ من استطاع، حتى اجتمع الفريقان على نُصرتِه، وقاموا بحقوقِ دَعْوَتِه، رَغَباً في عاجلٍ وآجلٍ، ورَهَباً من زائلٍ ونازلٍ، لاختلافِ الشَّيْمِ والطباعِ في الانقياد الذي لا يَنْتظمُ بأحدهما، ولا يَسْتدِيمُ إلا بهما، فلذلك صار الدينُ بهما مستقراً، والصلاحُ بهما مستمراً .

^{٢٧٠} - يعني : لو كُذِبَ عليه ﷺ، وقيل على لسانه كلامٌ لم يقله ، لَعُرِفَ كلامُه الحَقُّ من الكلامِ الباطلِ المكذوبِ عليه ، بأمانةٍ فصاحتِه ومُتَبَرِّ أسلوبه .

^{٢٧١} - أي لم يكن ﷺ مخالطاً لهُؤلاء على سبيلِ التعلُّمِ والتلقفِ منهم .

^{٢٧٢} أي خَلِقَتِه .

^{٢٧٣} وهي القيامُ بأعباءِ النبوةِ وإبلاغِها للناس .

^{٢٧٤} - أي صَرَفَهم عن شيءٍ معروفٍ عندهم مألوفٍ بينهم ، إلى أمرٍ جديدٍ عليهم ، غيرٍ معروفٍ لديهم ، وفي التمكنِ من ذلك صُعوباتٌ لا تخفى جَسامَتُها .

والخِصْلَةُ الثالثة : أَنَّهُ عَدَلَ فِيمَا شَرَعَهُ مِنَ الدِّينِ عَنِ الْعُلُوِّ وَالتَّقْصِيرِ، إِلَى التَّوَسُّطِ، وَخَيْرُ الْأُمُورِ أَوْسَطُهَا . لِأَنَّهُ الْعَدْلُ بَيْنَ طَرَفَيْ سَرَفٍ وَتَقْصِيرٍ، وَلَيْسَ لِمَا جَاوَزَ الْعَدْلَ حِظٌّ مِنْ رِشَادٍ، وَلَا نَصِيبٌ مِنْ سَدَادٍ .

والخِصْلَةُ الرَّابِعَةُ : أَنَّهُ لَمْ يَمِلْ بِأَصْحَابِهِ إِلَى الدُّنْيَا، وَلَا إِلَى رَفْضِهَا، وَإِنَّمَا أَمَرَهُمْ فِيهَا بِالْإِعْتِدَالِ، وَقَالَ : ((خَيْرُكُمْ مَنْ لَمْ يَتْرُكْ دُنْيَاهُ لِآخِرَتِهِ، وَلَا آخِرَتَهُ لِدُنْيَاهُ، وَلَكِنْ خَيْرُكُمْ مَنْ أَخَذَ مِنْ هَذِهِ وَهَذِهِ))^{٢٧٥} .

وهذا صحيح، لأن الانقطاع إلى أحدهما اختلال، والجمع بينهما اعتدال .

وقال ﷺ : ((نعم المطيئة الدنيا، فارتحلوها تُبَلِّغْكُمْ الْآخِرَةَ))^{٢٧٦} . وَإِنَّمَا كَانَتْ كَذَلِكَ، لِأَنَّ مِنْهَا يَتَرَوَّدُ الْمَرْءُ لِآخِرَتِهِ، وَيَسْتَكْثِرُ فِيهَا مِنْ طَاعَتِهِ، وَلِأَنَّهُ لَا يَخْلُو تَارِكُهَا مَنْ أَنْ يَكُونَ مَحْرُومًا مُضَاعًا، أَوْ مَرْحُومًا مُرَاعَى، وَهُوَ فِي الْأَوَّلِ كَلٌّ، وَفِي الثَّانِي مُسْتَدَلٌّ .

والخِصْلَةُ الْخَامِسَةُ : تَصَدِّيهِ لِمَعَالِمِ الدِّينِ، وَنَوَازِلِ الْأَحْكَامِ، حَتَّى أَوْضَحَ لِلْأُمَّةِ مَا كَلَّفُوهُ مِنَ الْعِبَادَاتِ، وَبَيَّنَ لَهُمْ مَا يَحِلُّ وَيَحْرُمُ مِنْ مُبَاحَاتٍ وَمَحْظُورَاتٍ، وَفَصَّلَ لَهُمْ مَا يَجُوزُ وَيَمْتَنَعُ مِنْ عَقُودٍ وَمُنَاقِحَ وَمُعَامَلَاتٍ، حَتَّى احْتِجَّ أَهْلُ الْكِتَابِ فِي كَثِيرٍ مِنْ مَعَامِلَاتِهِمْ وَمَوَارِيثِهِمْ لِشَرْعِهِ، وَلَمْ يَحْتَجَّ شَرْعُهُ إِلَى شَرْعٍ غَيْرِهِ .

^{٢٧٥} - أخرجه الديلمي (٤٠٩/٣ ، رقم ٥٢٤٩) ، وابن عساکر (١٩٧/٦٥) . عن أنس بن مالك رضي الله عنه ، ولفظه قريب مما ذكر هنا وهو : ((ليس بخيركم من ترك دنياه لآخرته ، ولا آخرته لدنياه ، حتى يُصيبَ منهما جميعاً ، فإن الدنيا بلاغ إلى الآخرة ، ولا تكونوا كلاً على الناس)) . ولا يصحُّ

^{٢٧٦} - لم أحده بهذا اللفظ ، ففي حلية الأولياء << يحيى بن معاذ >> (١٤٩٤٧) قَالَ مُحَمَّدُ الرَّازِيُّ الْمَذْكُورُ : سَمِعْتُ يَحْيَى بْنَ مَعَاذٍ يَقُولُ : " الدُّنْيَا أَمِيرٌ مِنْ طَلَبِهَا وَخَادِمٌ مِنْ تَرْكِهَا ، الدُّنْيَا طَالِبَةٌ وَمَطْلُوبَةٌ ، فَمَنْ طَلَبَهَا رَفَضَتْهُ ، وَمَنْ رَفَضَهَا طَلَبَتْهُ ، الدُّنْيَا قَنْطَرَةُ الْآخِرَةِ ، فَأَعْبُرُوهَا وَلَا تَعْمُرُوهَا ، لَيْسَ مِنَ الْعَقْلِ بُنْيَانُ الْقُصُورِ عَلَى الْجُسُورِ ، الدُّنْيَا عَرُوسٌ وَطَالِبُهَا مَا شِطَّتْهَا ، وَبِالزُّهْدِ يُنْتَفِ شَعْرُهَا ، وَيَسُودُ وَجْهُهَا ، وَيَمْرُقُ ثِيَابُهَا ، وَمَنْ طَلَّقَ الدُّنْيَا فَالْآخِرَةُ زَوْجَتُهُ ، فَالدُّنْيَا مُطَلِّقَةُ الْأَكْيَاسِ لَا تُنْقِضِي عِدَّتَهَا أَبَدًا ، فَخَلَّ الدُّنْيَا وَلَا تَذْكُرْهَا ، وَادْكُرِ الْآخِرَةَ وَلَا تُنْسِهَا ، وَخُذْ مِنَ الدُّنْيَا مَا يُبَلِّغُكَ الْآخِرَةَ ، وَلَا تَأْخُذْ مِنَ الدُّنْيَا مَا يَمْنَعُكَ الْآخِرَةَ " .

وفي المستدرک للحاکم (٧٨٧٠) عن سَعْدِ بْنِ طَارِقٍ ، عَنْ أَبِيهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : نِعِمَّتِ الدَّارُ الدُّنْيَا لِمَنْ تَرَوَّدَ مِنْهَا لِآخِرَتِهِ ، حَتَّى يُرْضِيَ رَبَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ، وَيُنْسِتَ الدَّارَ لِمَنْ صَدَّتْهُ عَنْ آخِرَتِهِ ، وَفُصِّرَتْ بِهِ عَنْ رِضَاءِ رَبِّهِ ، وَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ : قَبَّحَ اللَّهُ الدُّنْيَا ، قَالَتِ الدُّنْيَا : قَبَّحَ اللَّهُ أَعْصَانًا لِرَبِّهِ " وفي سنده جهالة .

ثم مهَّدَ لشرعه أصولاً تُدُلُّ على الحوادث المُعْظَلة، وتُسْتَنْبَطُ لها الاحكام المعللة، فأغنى عن نصٍّ بعد ارتفاعه، وعن التباس بعد انقطاعه^{٢٧٧}، ثم أمرَ الشاهد أن يُبلِّغَ الغائب ليعلضم بإذاره، ويحتجَّ بإظهاره، فقال ﷺ: ((بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً، وَلَا تَكْذِبُوا عَلَيَّ، فَرُبَّ مُبَلِّغٍ أَوْعَى مِنْ سَامِعٍ، وَرُبَّ حَامِلٍ فِقْهٍ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ))^{٢٧٨}.

فأحكَمَ ما شرَعَ من نصٍّ وتنبه^{٢٧٩}، وعمَّ الناس بما أمر من حاضرٍ وبعيدٍ، حتى صار لما تَحَمَّلَهُ من الشرع مُؤَدِّياً، ولما تَقَلَّدَهُ من حقوقِ الأُمَّةِ مُوَفِّياً، لئلا يكون في حقوقِ الله زَلٌّ، ولا في مصالحِ الأُمَّةِ خَلَلٌ، وذلك في بُرْهَةٍ من زمانه، لم يَسْتَوْفِ تَطَاوُلُ الاستيعاب، حتى

^{٢٧٧} - هذا المقطع وقع فيه تحريف لم أهدت إلى تصويبه! وجاء في الأصل: (وعن التباس بعد إغفاله) فأثبتته كما ترى، لعله أقرب للصواب؟.

والإمام الماوردي يعني: أن النبي ﷺ مهَّدَ وأصلَّ لهذا الشرع أصولاً يُرجع إليها لمعرفة الأحكام التي لم يُنصَّ عليها، فأغنى بتلك الأصول المقيس عليها بعد ارتفاع النصِّ أي الوحي وانقطاعه عن التخبُّط والاشتباه في معرفة الأحكام والحوادث والوقائع غير المنصوص عليها. وفي هذا يُسرُّ عظيم للناس.

^{٢٧٨} كان الماوردي رحمه الله تعالى جَمَعَ في هذا السياق بين أحاديثٍ مختلفة، ففي صحيح البخاري - المكثر - (٣٤٦١) (مَعْرِفَةُ السُّنَنِ وَالْأَثَارِ لِلْبَيْهَقِيِّ (٢٠) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً، وَحَدِّثُوا عَنِّي بِبَيِّ إِسْرَائِيلَ وَلَا حَرَجٍ، وَحَدِّثُوا عَنِّي وَلَا تَكْذِبُوا عَلَيَّ، فَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ" وفي صحيح ابن حبان - (١ / ٢٦٨) (٦٦) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: نَضَرَ اللَّهُ أَمْرًا سَمِعَ مِنَّا حَدِيثًا فَلَبَّغَهُ كَمَا سَمِعَهُ، فَرُبَّ مُبَلِّغٍ أَوْعَى مِنْ سَامِعٍ. (صحيح)

وفي صحيح ابن حبان - (١ / ٢٦٩) (٦٧) عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبَانَ هُوَ ابْنُ عُمَانَ بْنِ عَفَّانَ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: خَرَجَ زَيْدٌ بِنُ تَابِتٍ مِنْ عِنْدِ مَرْوَانَ قَرِيبًا مِنْ نِصْفِ النَّهَارِ، فَقُلْتُ: مَا بَعَثَ إِلَيْهِ إِلَّا لِشَيْءٍ سَأَلَهُ، فَقُمْتُ إِلَيْهِ فَسَأَلْتُهُ، فَقَالَ: أَجَلٌ، سَأَلْنَا عَنْ أَشْيَاءَ سَمِعْنَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: رَحِمَ اللَّهُ أَمْرًا سَمِعَ مِنِّي حَدِيثًا فَحَفِظَهُ، حَتَّى يُبَلِّغَهُ غَيْرَهُ، فَرُبَّ حَامِلٍ فِقْهٍ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ، وَرُبَّ حَامِلٍ فِقْهٍ لَيْسَ بِفِقْهِيهِ ..".

^{٢٧٩} - المراد بالنص والتنبه هنا: ما اصطلح عليه علماء أصول الفقه، وهو أن (النص): ما جاء فيه لفظُ التعليل للحكم صراحةً، مثل قوله تعالى: (لكيلا تأسوا على ما فاتكم). وقوله ﷺ: ((إِنَّمَا جُعِلَ الاستئذان من أجل البصر)). و(التنبه): الإيماء والإشارة إلى علة الحكم، مثل قوله تعالى: (السارقُ والسارقة فاقطعوا أيديهما). فأشار بلفظ الفاء الداخلة على الحكم: (فاقطعوا) إلى أن علتها هي السرقة. ومثل قوله ﷺ: ((من بدل دينه فاقتلوه)). أي تحوَّل عن الإسلام لغيره. وقوله: ((القاتل لا يرث)). فأشار إلى أن علة قتله رِدَّتُهُ عن الإسلام، وأن علة حرمانه من الميراث هي أنه قتل مورثه.

وهذان المسلكان لبيان الأحكام إلى مسالكٍ آخر يدلان على اتساع الشريعة وشمولها لبيان أحكام الوقائع والحوادث مهما تجددت، وذلك بقياس ما لم يُنصَّ عليه منها، على ما نُصَّ عليه، استناداً إلى علة الحكم المشتركة بينهما.

أَوْحَزَ وَأُنْجَزَ، وَمَا ذَاكَ إِلَّا بِدِيْعٍ مُّعْجَزٍ .

وَالْحِصْلَةُ السَّادِسَةُ : انْتِصَابُهُ لِحِجَابِ الْأَعْدَاءِ، وَقَدْ أَحَاطُوا بِجِهَاتِهِ، وَأَحْدَقُوا بِجَنَابَاتِهِ، وَهُوَ فِي قُطْرٍ مَهْجُورٍ، وَعَدَدٌ مَحْقُورٌ، فَزَادَ بِهِ مِنْ قَلٍّ، وَعَزَّ بِهِ مِنْ ذَلٍّ، وَصَارَ يَأْتِنُ خَانَهُ فِي الْأَعْدَاءِ مَحْذُورًا^{٢٨٠}، وَبِالرُّعْبِ مِنْهُ مَنْصُورًا، فَجَمَعَ بَيْنَ التَّصَدِّيِّ لِشَرِّ الدِّينِ حَتَّى ظَهَرَ وَانْتَشَرَ، وَبَيَّ انْتِصَابَ لِحِجَابِ الْعَدُوِّ حَتَّى قَهَرَ وَانْتَصَرَ، وَالْجَمْعُ بَيْنَهُمَا مُعْوِزٌ إِلَّا لِمَنْ أَمَدَّهُ اللَّهُ بِمَعُونَتِهِ، وَأَيَّدَهُ بِلُطْفِهِ، وَالْمُعْوِزُ مُعْجَزٌ .

وَالْحِصْلَةُ السَّابِعَةُ : مَا خُصَّ بِهِ مِنَ الشَّجَاعَةِ فِي حُرُوبِهِ، وَالنَّجْدَةِ فِي مُصَابِرَةِ عَدُوِّهِ، فَإِنَّهُ لَمْ يَشْهَدْ حَرْبًا فِيهَا أَفْرَاعٌ^{٢٨١}، إِلَّا صَابِرًا حَتَّى انْجَلَتْ عَنْ ظَفَرٍ أَوْ دِفَاعٍ، وَهُوَ فِي مَوْقِفِهِ لَمْ يَزُلْ عَنْهُ هَرَبًا، وَلَا انْحَازَ مِنْهُ رَغْبًا، بَلْ ثَبَّتَ بِقَلْبٍ آمِنٍ، وَجَأَشٍ سَاكِنٍ .

قَدْ وُلِّيَ عَنْهُ أَصْحَابُهُ يَوْمَ حُنَيْنٍ، حَتَّى بَقِيَ بِإِزَاءِ جَمْعٍ كَثِيرٍ، وَجَمٌّ غَفِيرٍ، فِي تِسْعَةِ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ وَأَصْحَابِهِ، عَلَى بَعْلَةٍ مَسْبُوقَةٍ إِنْ طُلِبَتْ، غَيْرِ مُسْتَعِدَّةٍ لِهَرْبٍ وَلَا طَلَبٍ، وَهُوَ يِنَادِي أَصْحَابَهُ، وَيُظَهِّرُ نَفْسَهُ، وَيَقُولُ : إِلَيَّ عِبَادَ اللَّهِ : ((أَنَا النَّبِيُّ لَا كَذِبٌ، أَنَا ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ))^{٢٨٢} .

فَعَادُوا أَفْذَاذًا وَأَرْسَالًا^٥، وَهُوَ أَرْزُنُ تَرَاهُ وَتُحْجِمُ عَنْهُ، فَمَا هَابَ حَرْبَ مَنْ كَانَتْ رَهْ، وَلَا انْكَفَأَ عَنْ مُصَاوَلَةٍ مِنْ صَابِرِهِ، وَقَدْ عَضَّدَهُ اللَّهُ بِالْجَادِ وَأَجْنَادٍ فَانْحَازُوا وَصَبَرُوا، حَتَّى أَمَدَّهُ اللَّهُ بِنَصْرِ^{٢٨٣}، وَمَا لِهَذِهِ الشَّجَاعَةِ مِنْ عَدِيلٍ .

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ : ذُكِرَ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ : " كَانَ أَحْسَنَ النَّاسِ ، وَكَانَ أَجْوَدَ النَّاسِ ، وَكَانَ أَشْجَعَ النَّاسِ . وَلَقَدْ فَرَعَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ لَيْلَةً ، فَانْطَلَقُوا قَبْلَ الصَّوْتِ ، فَتَلَقَاهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَقَدْ سَبَقَهُمْ إِلَى الصَّوْتِ ، وَهُوَ عَلَى فَرَسٍ لِأَبِي طَلْحَةَ عُرِي^{٢٨٤} ،

٢٨٠ - أُتِخِنَ فِي الْعَدُوِّ إِذَا بَالِغٌ فِي قِتَالِهِ .

٢٨١ - الْأَفْرَاعُ : جَمْعُ فَرَعٍ ، وَهُوَ الْخَوْفُ وَالذُّعْرُ .

٢٨٢ - صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ - الْمَكْتَبَةُ - (٢٨٦٤)

٢٨٣ - الْأَفْذَاذُ جَمْعُ فَذٍّ ، وَهُوَ الْفَرْدُ . وَالْأَرْسَالُ جَمْعُ رَسَلٍ ، وَهُوَ الْجَمَاعَةُ .

٢٨٤ - أَي لَيْسَ عَلَيْهِ سَرَّجٌ وَلَا شَيْءٌ .

مَا عَلَيْهِ سَرَجٌ فِي عُنُقِهِ السَّيْفُ ، وَهُوَ يَقُولُ : " يَا أَيُّهَا النَّاسُ ، لَنْ تُرَاعُوا " ٢٨٥ يَرُدُّهُمْ ،
ثُمَّ قَالَ : لِلْفَرَسِ " وَجَدْنَاكَ بَحْرًا " ٢٨٦ " أَوْ " إِنَّهُ لَبَحْرٌ " و " كَانَ فَرَسًا لِأَبِي طَلْحَةَ يُبْطَأُ فَمَا
سُبِقَ بَعْدَ ذَلِكَ الْيَوْمِ " ٢٨٧

وما ذاك إلا عن ثقة من أن الله تعالى سينصره، وأن دينه سيظهره تحقيقاً لقوله تعالى : {هُوَ
الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ} (٣٣)
سورة التوبة، وتصديقاً لقول رسول الله ﷺ : ((إِنَّ اللَّهَ زَوْيٌ لِي الْأَرْضَ حَتَّى
رَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا ، وَأَعْطَانِي الْكَزْنَينِ الْأَحْمَرَ وَالْأَبْيَضَ ، وَإِنَّ مَلِكًا أُمَّتِي سَيُلْغُ مَا
زَوْيٌ لِي مِنْهَا)) ٢٨٨ . وكفى بهذا قياماً بحقه، وشاهداً على صدقه .

والخِصْلَةُ الثامنة : ما مُنِحَ من السَّخَاءِ والجود، حتى جَادَ بكل موجود، وآثَرَ بكل مطلوب
ومحبوب، وعن عائشة ، قالت : تُوفِّي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَدِرْعُهُ مَرْهُونَةٌ عِنْدَ يَهُودِيٍّ بِثَلَاثِينَ
صَاعًا ٢٨٩ مِنْ شَعِيرٍ ٢٩٠ .

وقد مَلَكَ جزيرة العرب وكان فيها ملوكٌ وأقيال ٢٩١، لهم خزائنٌ وأموال، يقتنونها
ذُخْرًا، ويتباهون بها فخرًا، ويستمعون بها أشرًا وبطراً، وقد حاز مُلْكَ جميعهم، فما اقتنى ديناراً
ولا درهماً .

لا يأكلُ إِلَّا الخَشَبَ ٢٩٢، ولا يلبسُ إِلَّا الخَشِينَ، ويُعطي الجَزَلَ الخَطِيرَ، ويَصِلُ الجَمَّ

٢٨٥ - أي ليس هناك شيء تخافونه)) .

٢٨٦ أي واسع الجري .

٢٨٧ - سُنُّنُ ابْنِ مَاجَةَ << كِتَابُ الْجِهَادِ >> (٢٧٨٥) وصحيح البخارى - المكثر - (٢٩٠٨) واللفظ لابن
ماجة

٢٨٨ - صحيح ابن حبان - (١٥ / ١٠٩) (٦٧١٤) وصحيح مسلم - المكثر - (٧٤٤١)

٢٨٩ - الصاع مكيالٌ تُكَالُ به الحبوبُ ونحوها

٢٩٠ - صحيح البخارى - المكثر - (٢٩١٦) وصحيح ابن حبان - (١٣ / ٢٦٢) (٥٩٣٦)

وفي صحيح ابن حبان - (١٣ / ٢٦٣) (٥٩٣٧) عَنْ أَنَسٍ ، قَالَ : رَهَنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ دِرْعًا لَهُ عِنْدَ يَهُودِيٍّ بِدِينَارٍ ،
فَمَا وَجَدَ مَا يَفْتَكُهَا بِهِ حَتَّى مَاتَ . (صحيح)

٢٩١ الأقيال جمع قَيْل وهو المَلِكُ من ملوك اليمن في الجاهلية ، دون الملك الأعظم .

٢٩٢ الخَشِبُ كالخَشَنِ لفظاً ومعنى . واحشوشب في مطعمه صار صلباً حشناً فيه .

الغفير، وَيَتَجَرَّعُ مَرَارَةَ الْإِقْلَالِ، وَيَصْبِرُ عَلَى سَعْبِ الْاِخْتِلَالِ ٢٩٣ .

وقد حاز غنائمَ هوازن، وهي من السبي : ستة آلاف رأس، ومن الإبل : أربعة وعشرون ألفَ بعير، ومن الغنم : أربعون ألفَ شاة، ومن الفضة : أربعة آلاف أوقية، فجادَ بجميعِ حقِّه وعادَ خلواً .

وروى أبو وائلٍ عن مسروقٍ عن عائشةَ قالتَ ما تركَ رسولُ اللهِ - ﷺ - ديناراً ولا درهماً ولا شاةً ولا بعيراً ولا أوصى بشيءٍ . ٢٩٤ .

وعن زبرٍ ، قال : سألتُ عائشةَ عن ميراثِ رسولِ اللهِ ﷺ ، فقالتُ : تسألونني عن ميراثِ رسولِ اللهِ ﷺ ، ما تركَ رسولُ اللهِ ﷺ ديناراً ، ولا درهماً ، ولا شاةً ، ولا بعيراً ، ولا أوصى بشيءٍ . ٢٩٥ .

وعن أبي ذرٍّ ، عن النبيِّ ﷺ قال : ما يسرُّني أن لي أحداً ذهباً ، أموتُ يومَ أموتُ وعندِي منه دينارٌ ، أو نصفُ دينارٍ ، إلا أن أرصدهُ لغريمٍ . ٢٩٦ .

وعن الربيعِ بنِ مسلمٍ ، يقولُ : سمعتُ مُحَمَّدَ بْنَ زِيَادٍ ، يقولُ : سمعتُ أبا هريرةَ يقولُ : سمعتُ أبا القاسمِ ﷺ يقولُ : " ما يسرُّني أن لي أحداً ذهباً ، يأتي عليّ ثلاثةٌ وعندِي منه دينارٌ إلا ديناراً أرصدهُ لدينٍ عليّ " ٢٩٧ .

وعن ابنِ عباسٍ ، أن النبيَّ ﷺ نظرَ إلى أحدٍ ، فقال : والذي نفسُ مُحَمَّدٍ بيده ، ما يسرُّني أن أحداً لآلِ مُحَمَّدٍ ذهباً أنفقهُ في سبيلِ اللهِ ، أموتُ يومَ أموتُ وعندِي منه دينارانٍ ، إلا أن أعدَّهُما لدينٍ قال : فماتَ وما تركَ ديناراً ولا درهماً ، ولا عبداً ولا

٢٩٣ السَّعْبُ : الجوع .

٢٩٤ - صحيح مسلم - المكثر - (٤٣١٦)

٢٩٥ - صحيح ابن حبان - (١٤ / ٥٧٢) (٦٦٠٦) صحيح - زيادة مني

وكيف يمكن أن يوصي بشيء وهو مدين بالرهن!

٢٩٦ - مسند أحمد (عالم الكتب) - (٧ / ١٥٥) (٢١٣٢٢) (٢١٦٤٨) - صحيح

٢٩٧ - شعب الإيمان - (٧ / ٣٨٨) (٥١٧٤) وصحيح مسلم - المكثر - (٢٣٤٩)

وَلِيدَةً ، وَتَرَكَ دِرْعَهُ رَهْنًا عِنْدَ يَهُودِيٍّ بِثَلَاثِينَ صَاعًا مِنْ شَعِيرٍ .^{٢٩٨}

وكان إذا سُئِلَ العطاءَ وهو مُعَدَمٌ، أَمَرَ السائلَ بالشرَاءِ عليه، ولم يَرُدَّهُ صِفْرًا، عَنِ أَسْلَمَ ،
عَنْ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ ؛ أَنَّ رَجُلًا جَاءَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَسَأَلَهُ أَنْ يُعْطِيَهُ ، فَقَالَ النَّبِيُّ
ﷺ : مَا عِنْدِي شَيْءٌ ، وَلَكِنْ ابْتِعْ عَلَيَّ ، فَإِذَا جَاءَنِي شَيْءٌ قَضَيْتُهُ ، فَقَالَ عُمَرُ : يَا رَسُولَ
اللَّهِ ، قَدْ أَعْطَيْتُهُ ، فَمَا كَلَّفَكَ اللَّهُ مَا لَا تَقْدِرُ عَلَيْهِ ، فَكِرَهُ النَّبِيُّ ﷺ قَوْلَ عُمَرَ ، فَقَالَ
رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَنْفَقَ وَلَا تَخَفُ مِنْ ذِي الْعَرْشِ إِقْلَالًا ، فَتَبَسَّمَ رَسُولُ
اللَّهِ ﷺ ، وَعُرِفَ فِي وَجْهِهِ الْبِشْرُ ، لِقَوْلِ الْأَنْصَارِيِّ ، ثُمَّ قَالَ : بِهَذَا أُمِرْتُ .^{٢٩٩}

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - « أَنَا أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ
مِنْ أَنْفُسِهِمْ ، فَمَنْ مَاتَ وَتَرَكَ مَالًا فَمَالُهُ لِمَوَالِي الْعَصَبَةِ ، وَمَنْ تَرَكَ كَلًّا أَوْ ضِيَاعًا^{٣٠٠} ،
فَأَنَا وَلِيُّهُ فَلَا دُعَى لَهُ »^{٣٠١} .

وَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ، قَالَ : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، إِذَا ذَكَرَ السَّاعَةَ أَحْمَرَّتْ وَجَنَّتَاهُ ،
وَاشْتَدَّ غَضَبُهُ ، وَعَلَا صَوْتُهُ كَأَنَّهُ مُنْدِرٌ جَيْشٍ قَالَ : صَبَّحْتُمْ مُسَيِّمًا قَالَ : وَكَانَ يَقُولُ :
أَنَا أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ ، وَمَنْ تَرَكَ مَالًا ، فَلَأَهْلِهِ ، وَمَنْ تَرَكَ دَيْنًا أَوْ ضِيَاعًا ،
فَعَلَيَّ وَإِلَيَّ ، فَأَنَا أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ .^{٣٠٢}

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، قَالَ : كَانَ الرَّجُلُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِذَا مَاتَ وَعَلَيْهِ دَيْنٌ سَأَلَ :

^{٢٩٨} - مسند أحمد (عالم الكتب) - (١ / ٧٧١) (٢٧٤٣) صحيح

^{٢٩٩} - الشمائل المحمدية للترمذي - (٣٥٠) صحيح

^{٣٠٠} - الضِّيَاعُ بفتح الضاد ، مصدر ضاع يَضِيعُ ضِيَاعًا . سُمِّيَ بِهِ : مَا هُوَ فِي مَعْرِضٍ أَنْ يَضِيعَ إِنْ لَمْ يُتَعَهَّدَ ، كَالذَّرِيَّةِ
الصَّغَارِ ، وَالرُّمْنِيِّ الَّذِينَ لَا يَقُومُونَ بِأَمْرِ أَنْفُسِهِمْ ، وَمَنْ يَدْخُلُ فِي مَعْنَاهُمْ . وَجُوزَ فِيهِ الضِّيَاعُ بِكسر الضاد : جمع ضائع
كجائع وجياع . وهو من حيث المعنى كلفظ الضِّيَاعِ بالفتح .

قال الإمام النووي رحمه الله تعالى في ((شرح صحيح مسلم)) ١١ : ٦٠ ((ومعنى هذا الحديث أن النبي ﷺ قال : أنا قائمٌ
بمصلحتكم في حياة أحدكم وموته ، وأنا وليُّه في الحالين ، فإن كان عليه دينٌ قَضَيْتُهُ من عندي إن لم يُخْلَفْ وفاءً ، وإن
كان له مال فهو لورثته لا آخِذٌ منه شيئاً ، وإن خَلَفَ عيالاً مُتَحَاجِينَ ضائعين فليأتوا إليَّ ، فعلي نفقتهم ومؤونتهم)) .

^{٣٠١} - صحيح البخارى - المكثر - (٦٧٤٥)

^{٣٠٢} - صحيح ابن حبان - (٧ / ٣٣٢) (٣٠٦٢) صحيح

هَلْ لَهُ وَفَاءٌ؟ فَإِذَا قِيلَ: نَعَمْ، صَلَّى عَلَيْهِ، وَإِذَا قِيلَ: كَلَّا قَالَ: صَلُّوا عَلَيَّ صَاحِبِكُمْ فَلَمَّا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيَّ رَسُولَهُ ﷺ الْفُتُوحَ قَالَ: أَنَا أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ، مَنْ تَرَكَ دِينًا فَعَلَيَّ، وَمَنْ تَرَكَ مَالًا فَلِلْوَارِثِ. ٣٠٣

فهل مثل هذا الكرم والجود، كرمٌ وجود؟ أم هل مثل هذا الإعراض والزَّهادة، إعراضٌ وزهدٌ؟

هيهات أن يُدرِكَ شَأُؤُ مِنْ هَذِهِ شُدُورٌ مِنْ فُضَائِلِهِ، وَيَسِيرٌ مِنْ مَحَاسِنِهِ، الَّتِي لَا يُحْصَى لَهَا عَدَدٌ، وَلَا يُدْرِكُ لَهَا أَمَدٌ. لَمْ تَكْمُلْ فِي غَيْرِهِ فَيَسَاوِيهِ، وَلَا كَذَّبَ بِهَا ضِدُّ يُنَاوِيهِ ٣٠٤.

وَلَقَدْ جَهَدَ كُلُّ مُنَافِقٍ وَمُعَانِدٍ، وَكُلُّ زَنْدِيقٍ وَمُلْحِدٍ، أَنْ يُزِرِّيَ عَلَيْهِ فِي قَوْلٍ أَوْ فِعْلٍ أَوْ يَظْفَرَ بِهَفْوَةٍ فِي جِدِّ أَوْ هَزَلٍ، فَلَمْ يَجِدْ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَقَدْ جَهَدَ جُهْدَهُ، وَجَمَعَ كَيْدَهُ!

فَأَيُّ فَضْلٍ أَعْظَمَ مِنْ فَضْلِ شَاهِدَةِ الْحَسَدَةِ وَالْأَعْدَاءِ، فَلَمْ يَجِدُوا فِيهِ مَعْمَزًا لثَالِبٍ أَوْ قَادِحٍ، وَلَا مَطْعَنًا لْجَارِحٍ أَوْ فَاضِحٍ، فَهُوَ كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ:

شَهِدَ الْأَنَامُ بِفَضْلِهِ حَتَّى الْعِدَا وَالْفَضْلُ مَا شَهِدَتْ بِهِ الْأَعْدَاءُ

وَحَقِيقٌ بِمَنْ بَلَغَ مِنَ الْفُضَائِلِ غَايَتِهَا، وَاسْتَكْمَلَ لِعَايَاتِ الْأُمُورِ آلَتَهَا، أَنْ يَكُونَ لِرِزَامَةِ الْعَالَمِ مُؤَهَّلًا، وَلِلْقِيَامِ بِمَصَالِحِ الْخَلْقِ مُوَكَّلًا، وَأَنْ يُعَمَّ بِهِ الصَّلَاحُ، وَيُنْحَسِمَ بِهِ الْفَسَادُ، وَلَا غَايَةَ بَعْدَ النَّبُوَّةِ، فَاقْتَضَى أَنْ يَكُونَ لَهَا أَهْلًا، وَلِلْقِيَامِ بِهَا مُؤَهَّلًا.

وَلِلذَلِكَ اسْتَقَرَّتْ بِهِ حِينَ بُعِثَ رَسُولًا، وَنَهَضَ بِمُحْفَوقِهَا حِينَ قَامَ بِهَا كَفِيلًا، فَنَاسَبَتْهُ، وَلَمْ يَذْهَلْ لَهَا حِينَ أَتَتْهُ، وَكُلُّ مُتَنَاسِبِينَ مُتَشَاكِلَانِ، وَكُلُّ مُتَشَاكِلِينَ مُؤْتَلِفَانِ، وَكُلُّ مُؤْتَلِفِينَ مُتَّفِقَانِ، وَالِاتِّفَاقُ وَفِاقٌ، وَهُوَ أَصْلُ كُلِّ انْتِظَامٍ، وَقَاعِدَةُ كُلِّ التَّامِّ.

فَكَانَ ذَلِكَ مِنْ أَوْضَحِ الشُّوَاهِدِ عَلَى صِحَّةِ نُبُوَّتِهِ، وَأَظْهَرَ الْأَمَارَاتِ فِي صِدْقِ رِسَالَتِهِ، فَمَا يُنْكَرُهَا بَعْدَ الْوُضُوحِ، إِلَّا مَفْضُوحٌ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَفَّقَ لَطَاعَتِهِ، وَهَدَى إِلَى التَّصَدِيقِ بِرِسَالَتِهِ)) ٣٠٥ ..



٣٠٣ - صحيح ابن حبان - (٧ / ٣٣٣) (٣٠٦٣) صحيح

٣٠٤ - أي يُعَادِيهِ . بل أَقْرَبُ بِهَا أَعْدَاؤُهُ وَأَوْلِيَاؤُهُ جَمِيعًا .

٣٠٥ - انتهى كلامُ الإمامِ الماورديِّ ملخصاً مع زيادةٍ وتصرفٍ يسيرٍ

الباب الرابع

أساليب الرسول ﷺ التعليمية

كان رسول الله ﷺ يختار في تعليمه من الأساليب أحسنها وأفضلها، وأوقعها في نفس المخاطب وأقربها إلى فهمه وعقله، وأشدّها تثبيتاً للعلم في ذهن المخاطب، وأكثرها مساعداً على إيضاحه له .

ومن درّس كتب السنّة وقرأها بإمعان رأى أن رسول الله ﷺ كان يُلَوِّن الحديث لأصحابه ألواناً كثيرة، فكان تارة يكون سائلاً، وتارة يكون مُجيباً، وتارة يُجيبُ السائلَ بقدرِ سؤاله، وتارة يزيده على ما سأل، وتارة يضربُ المثلَ لما يريد تعليمه، وتارة يُصحبُ كلامه القسَمَ بالله تعالى، وتارة يلفتُ السائلَ عن سؤاله لحكمة بالغة منه ﷺ، وتارة يُعلِّم بطريق الكتابة، وتارة بطريق الرِّسْم، وتارة بطريق التشبيه أو التصريح، وتارة بطريق الإهمام أو التلويح .

وكان ﷺ تارة يوردُ الشبهة ليذكرَ جوابها، وتارة يسلكُ سبيلَ المداعبة والمُحاجاة فيما يُعلِّمه، وتارة يُمهّدُ لما يشاءُ تعليمه وبيانه تمهيداً لطيفاً، وتارة يسلكُ سبيلَ المُقايسة بين الأشياء، وتارة يُشيرُ إلى عللها لذكرِ جوابها، وتارة يسألُ أصحابه وهو يعلمُ ليمتحنهم بذلك، وتارة يسألهم ليرشدَهم إلى موضع الجواب، وتارة يُلقِي إليهم العلمَ قبل السؤال، وتارة يخصُّ النساءَ ببعض مجالسه ويعلمهنَّ ما يحتجن إليه من العلم، وتارة يُراعي حالَ من بحضرته من الأطفال والصِّغار، فيتترَّلُ إليهم بما يُلاقي طفولتهم ولهوهم البريء، إلى غير ذلك من فنون تعليمه ﷺ التي سنمُرُّ بها .

وأسوق فيما يلي نماذج كثيرة للأساليب والطرائق المذكورة وغيرها، من خلال تعليمات النبي ﷺ المدوَّنة في كتب السنة المطهَّرة، وما توفيقني إلا بالله عليه توكلتُ وإليه أنيب .

وفيه المباحث التالية :

[١] هيئة المتعلِّم لاستقبال العلم

- [٢] الاتصال السمعي والبصري بين المعلم والمتعلم
- [٣] الأسلوب العملي في التعليم
- [٤] عرض المادة العلمية بأسلوب يناسب عقل الطالب وفهمه
- [٥] أسلوب الحوار والإقناع العقلي
- [٦] التعليم عن طريق القصص
- [٧] ضرب الأمثال أثناء التعليم
- [٨] أسلوب التشويق في التعليم
- [٨] استخدام الإيماءات (حركات اليدين والرأس) في التعليم
- [١٠] استخدام الرسومات للتوضيح والبيان
- [١١] توضيح المسائل المهمة عن طريق التعليل
- [١٢] ترك استخراج الجواب للمتعلم
- [١٣] استخدام التكرار في التعليم
- [١٤] استخدام أسلوب التقسيم في التعليم
- [١٥] استخدام أسلوب الاستفهام أثناء التعليم
- [١٦] طرح بعض المسائل العلمية المهمة لاختبار مقدرة الطالب العقلية
- [١٧] حث المعلم طلابه على طرح الأسئلة
- [١٨] تقديم المسائل من خلال سؤاله، وإجابته بما يناسب حاله
- [١٩] التعليق على إجابة المتعلم
- [٢٠] تأخير جواب المسائل لمصلحة معينة
- [٢١] عدم السخرية من سؤال الجاهل
- [٢٢] إعادة السؤال على المسائل لتبنيها إلى السؤال الأهم
- [٢٣] تأخير جواب المسائل إذا كان مرتبطاً بشيء عملي
- [٢٤] السكوت عن جواب المسائل ساعة أو نحوها حسب مقتضى الحال
- [٢٥] السؤال واحد والجواب مختلف حسب طبيعة المسائل

- [٢٦] استخدام القياس أثناء التعليم أو الإجابة على الأسئلة
- [٢٧] الحوار المشوق مع المتعلم
- [٢٨] هل يخص بعض طلابه ببعض العلم دون غيرهم؟
- [٣٠] الإيجاز في الموعدة
- [٣١] انتهاؤه ﷺ المناسبات العارضة في التعليم
- [٣٢] القراءة على العالم
- [٣٣] الجدل والتنازع يؤدي إلى نسيان المعلم بعض أفكاره
- [٣٤] النهي عن كثرة الأسئلة على المعلم
- [٣٥] حصته ﷺ على محور العمومية وتحذيره من الفتور في التعليم والتعلم
- [٣٦] تعليمه ﷺ بالسيرة الحسنة والخلق العظيم
- [٣٧] تعليمه ﷺ الشرائع بالتدرج
- [٣٨] رعايته ﷺ في التعليم الاعتدال والبعد عن الإملال
- [٣٩] رعايته ﷺ الفروق الفردية في المتعلمين
- [٤٠] ابتدأه ﷺ أصحابه بالإفادة دون سؤال منهم
- [٤١] إجابته ﷺ للسائل عما سأل عنه
- [٤٢] جوابه ﷺ للسائل بأكثر مما سأل عنه
- [٤٣] لفته ﷺ للسائل إلى غير ما سأل عنه
- [٤٤] استعادته ﷺ السؤال من السائل لإيفاء بيان الحكم
- [٤٦] تعليمه ﷺ بالسكوت والإقرار على ما حدث أمامه
- [٤٧] تعليمه ﷺ بالممازحة والمداعبة
- [٤٨] تأكيده ﷺ التعليم بالقسم
- [٤٩] إمساكه ﷺ بيد المخاطب أو منكيه لإثارة انتباهه
- [٥٠] إبهامه ﷺ الشيء لحمل السامع على الاستكشاف عنه للترغيب فيه أو الزجر عنه
- [٥١] إجماله ﷺ الأمر، ثم تفصيله ليكون أوضح وأمكن في الحفظ والفهم

- [٥٢] تعليمه ﷺ بالترغيب والترهيب
- [٥٣] اكتفاؤه ﷺ بالتعريض والإشارة في تعليم ما يُستحيا منه
- [٥٤] اهتمامه ﷺ بتعليم النساء ووعظهن
- [٥٥] اتخاذه ﷺ الكتابة وسيلةً في التعليم والتبليغ ونحوهما
- [٥٦] أمره ﷺ الصحابة بتعلم اللغة السريانية
- [٥٧] قول المعلم لا أدري لما لا يدري جزء من العلم

[١] تهيئة المتعلم لاستقبال العلم :

لا يختلف اثنان أن إعراض الطالب وانشغاله عن معلمه لأي سبب كان، صارف له عن تلقي العلم، وسبب يمنعه من فهم كلام معلمه . وإقبال الطالب بكلية على معلمه عامل هام في تحصيل العلم وفهمه على طريق صحيح.

ولذا يستحب للمعلم أن يلفت أنظار طلابه إليه بين الفينة والفينة، وله - أي المعلم - أن يستخدم أساليب عدة وطرائق متنوعة في جذب طلابه إليه، تقتصر على ثلاث منها تاركين لك البحث عن غيرها :

أ- **أسلوب الاستنصات:** وهو طلب السكوت والاستماع من المتعلمين، وهذا أسلوب مباشر يستخدم غالباً قبل البدء في إلقاء الدرس، وعند تعذر الأساليب الأخرى غير المباشرة. فعن جرير بن أبي نعيم - رضي الله عنه - قال له في حجة الوداع « استنصت الناس » فقال « لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض »^{٣٠٦}

يقول الحافظ ابن حجر : " قال ابن بطال: فيه أن الإنصات للعلماء لازم للمتعلمين، لأن العلماء ورثة الأنبياء. كأنه أراد بهذا مناسبة الترجمة للحديث، وذلك أن الخطبة (١)

^{٣٠٦} - صحيح البخاري - المكثر - (١٢١) وصحيح مسلم - المكثر - (٢٣٢)

قوله يضرب برفع الباء وهو الصواب وهو الرواية التي رواها المتقدمون والمتأخرون وفيه وجوه أحدها أن يكون صفة لكفار أي لا ترجعوا بعدي كفاراً متصفين بهذه الصفة القبيحة يعني ضرب بعضكم رقاب آخرين والثاني أن يكون حالاً من ضمير لا ترجعوا أي لا ترجعوا بعدي كفاراً حال ضرب بعضكم رقاب بعض والثالث أن يكون جملة استثنائية كأنه قيل كيف يكون الرجوع كفاراً فقال يضرب بعضكم رقاب بعض فعلى الوجه الأول يجوز أن يكون معناه لا ترجعوا عن الدين بعدي فتصبروا مرتدين مقاتلين يضرب بعضكم رقاب بعض بغير حق على وجه التحقيق وأن يكون لا ترجعوا كالكفار المقاتل بعضكم بعضاً على وجه التشبيه بحذف أدواته هو على الثاني يجوز أن يكون معناه لا تكفروا حال ضرب بعضكم رقاب بعض الأمر يعرض بينكم لاستحلال القتل بغير حق وأن يكون لا ترجعوا حال المقاتلة لذلك كالكفار في الأهمك في تهيب الشر وإثارة الفتن بغير إشفاق منكم بعضكم على بعض في ضرب الرقاب وعلى الثالث يجوز أن يكون معناه لا يضرب بعضكم رقاب بعض بغير حق فإنه فعل الكفار وأن يكون لا يضرب بعضكم رقاب بعض كفعل الكفار على ما تقدم "عمدة القاري شرح صحيح البخاري - (٢ / ٦٦٩)

المذكورة كانت في حجة الوداع والجمع كثير جدا، وكان اجتماعهم لرمي الجمار وغير ذلك من أمور الحج، وقد قال لهم: "خذوا عني مناسككم" كما ثبت في صحيح مسلم، فلما خطبهم ليعلمهم ناسب أن يأمرهم بالإنصات. وقد وقع التفريق بين الإنصات والاستماع في قوله تعالى: {وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا} ومعناها مختلف، فالإنصات هو السكوت وهو يحصل ممن يستمع وممن لا يستمع كأن يكون مفكرا في أمر آخر، وكذلك الاستماع قد يكون مع السكوت وقد يكون مع النطق بكلام آخر لا يشتغل الناطق به عن فهم ما يقول الذي يستمع منه، وقد قال سفيان الثوري وغيره: أول العلم الاستماع، ثم الإنصات، ثم الحفظ، ثم العمل، ثم النشر. ٣٠٧

ولو أعدت النظر في الحديث وفي كلام الحافظ لتبين لك الحاجة التي دعت النبي ﷺ لأن يطلب من الصحابي أن يستنصت الناس، ففي الحج يكثر الناس ويكونون منهمكين في أداء مناسكهم ولذا كان من المتعذر أن يخطب النبي ﷺ ويعلمهم أمور دينهم وهم على هذه الحال، فناسب أن يأمر جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه باستنصات الناس .

ب - أسلوب النداء (طريقة مباشرة) : وهذه الطريقة تستخدم في نداء المتعلمين قبل بدء الدرس، وقد تستخدم في أثنائه، وهذا الأسلوب يكثر استعماله من قبل المعلمين، فعن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال صعد النبي ﷺ - المنبر وكان آخر مجلس جلسه متعظاً ملحفة على منكبيه، قد عصب رأسه بعصابة دسمة، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال « أَيُّهَا النَّاسُ إِلَيَّ ». فتأبوا إليه ثم قال « أَمَا بَعْدُ، فَإِنَّ هَذَا الْحَيَّ مِنَ الْأَنْصَارِ يَقُولُونَ، وَيَكْثُرُ النَّاسُ، فَمَنْ وَلِيَ شَيْئًا مِنْ أُمَّةٍ مُحَمَّدٌ - ﷺ - فَاسْتَطَاعَ أَنْ يَضُرَّ فِيهِ أَحَدًا أَوْ يَنْفَعُ فِيهِ أَحَدًا، فَلْيَقْبَلْ مِنْ مُحْسِنِهِمْ، وَيَتَجَاوَزْ عَنْ مُسِيئِهِمْ » ٣٠٨ .

ونلاحظ في هذا الحديث قوله ﷺ " أيها الناس إلي " وهو نداء منه ﷺ وأمره لهم بالاجتماع والإنصات لما سيلقي عليهم. وقوله : " فتأبوا إليه " أي اجتمعوا . و(ثاب) الناس (أي)

٣٠٧ - فتح الباري لابن حجر - (١ / ٢١٧)

٣٠٨ - صحيح البخاري - المكثر - (٩٢٧)

اجتمعوا وجاءوا^{٣٠٩} .

وَعَنْ أَبِي ذَرٍّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - قَالَ: « يَا أَبَا ذَرٍّ لَا تَحْقِرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا وَلَوْ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ بِوَجْهِ مُنْبَسِطٍ، وَلَوْ أَنْ تُفْرِغَ مِنْ دَلُوكَ فِي إِيْنَاءِ الْمُسْتَسْقَى، وَإِذَا طَبَخْتَ قِدْرًا فَأَكْثِرْ مَرَقَتَهَا وَاعْرِفْ لَجِيرَانَكَ مِنْهَا »^{٣١٠}.

وَعَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ، قَالَ: لَمَّا بَعَثَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى الْيَمَنِ، خَرَجَ مَعَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُوصِيهِ مُعَاذُ رَاكِبٌ، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ تَحْتَ رَاكِبِهِ فَلَمَّا فَرَّغَ، قَالَ: يَا مُعَاذُ، إِنَّكَ عَسَى أَنْ لَا تَلْقَانِي بَعْدَ عَامِي هَذَا، لَعَلَّكَ أَنْ تَمُرَّ بِمَسْجِدِي وَفَيْرِي فَبِكِي مُعَاذُ خَشَعًا لِفِرَاقِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، ثُمَّ التَفَتَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ نَحْوَ الْمَدِينَةِ، فَقَالَ: إِنْ أَهْلَ بَيْتِي هُوَ لَأَيُّ يَرُونَ أَنَّهُمْ أَوْلَى النَّاسِ بِي، وَإِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِي الْمُتَّقُونَ، مَنْ كَانُوا حَيْثُ كَانُوا، اللَّهُمَّ إِنِّي لَا أُحِلُّ لَهُمْ فَسَادَ مَا أَصْلَحْتَ، وَإِيْمُ اللَّهِ لَيَكْفُرُونَ أُمَّتِي عَنْ دِينِهَا كَمَا يُكْفَأُ الْإِيْنَاءُ فِي الْبَطْحَاءِ.^{٣١١}

ت - أسلوب الحث على الاستماع والإنصات (طريقة غير مباشرة) :

وهذا أسلوب جميل في جذب النفوس وحثها على الاستماع لأن النفس البشرية في الغالب تنفر من العبارات التي تكون على هيئة الأمر والإلزام، ولذا كان من المناسب أن يعمد المعلم إلى طرق غير مباشرة في جذب واستدعاء الحواس، لكي يحصل التلقي بنفس طيبة . وقد ضرب لنا المعلم الأول - ﷺ - أروع الأمثلة في بيان هذه الطريقة، فعن عبادة بن الصامت قال : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : خُذُوا عَنِّي، خُذُوا عَنِّي، قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا^{٣١٢}

^{٣٠٩} - مختار الصحاح . مادة (توب) (ص ٦٢) .

^{٣١٠} - السنن الكبرى للبيهقي - حيدر آباد - (٤ / ١٨٨) (٨٠٧٦) وصحيح مسلم - المكثر - (٦٨٥٥) مختصرا -

صحيح

^{٣١١} - صحيح ابن حبان - (٢ / ٤١٤) (٦٤٧) صحيح

^{٣١٢} إشارة إلى قوله تعالى : ﴿ وَاللَّاتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِنْ نَسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِّنْكُمْ فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا ﴾ (١٥) سورة النساء . كانت المرأة إذا زنت تمسك في البيوت وتحبس حتى يتوفاها الموت ، أو يجعل الله لها سبيلاً . ثم أوحى الله إلى نبيه وبين له هذا السبيل الذي جاء في الآية . وهو الحديث الذي بين أيدينا .

الثَّيْبُ بِالثَّيْبِ جَلْدُ مِائَةٍ وَالرَّجْمُ، وَالْبِكْرُ بِالْبِكْرِ جَلْدُ مِائَةٍ وَنَفْيُ سَنَةٍ. ٣١٣

ولك أن تتأمل قوله : " خذوا عني، خذوا عني " وما فيه من عنصر الجذب، وشحن النفس، وترغيبها في الاستماع إلى هذا الشيء المراد بثه وإرساله . وأيضاً فيه ميزة أخرى وهو التكرار - وسوف يأتي بيانه

وعن جابر قال : أفاض رسول الله - ﷺ - وعليه السكينة وأمرهم بالسكينة وأوضع في وادي محسر وأمرهم أن يرموا الجمار مثل حصي الخذف وقال : « خذوا عني مناسككم لعلي لا أراكم بعد عامي هذا » . ٣١٤

وعن الحسن، حدثني قيس بن عاصم المنقري، قال : قدمت على رسول الله ﷺ فلما رأني سمعته يقول : " هذا سيد أهل العرب " قال : فلما نزلنا أتيتُه فجعلت أحدثه، قال : قلت يا رسول الله المال الذي لا يكون علي فيه تبعه من ضيف ضافني وعيال كثروا، قال : " نعم المال الأربعة، والأكثر الستون، وويل لأصحاب المائتين إلا من أعطى في رسلها ونجدتها، وأفقر ظهراً ونحر سميتها فأطعم القانع والمعتر " قال : قلت : يا نبي الله ما أكرم هذه الأخلاق وأحسنها، يا رسول الله لا يحل بالوادي الذي أكون فيه لكثرة إبلي، قال : " فكيف تصنع ؟ " قلت : تعدو الإبل وتعدو الناس، فمن شاء أخذ برأس بعير فذهب به، فقال : " ما تصنع بإفقر الظهر ؟ " قلت : إنني لا أفقر الصغير ولا التاب المدبرة قال : " فمالك أحب إليك أم مال مواليك ؟ " قال : قلت : مالي أحب إلي من مال موالي، قال : " فإن لك من مالك ما أكلت فأفئيت، أو لبست فأبليت، أو أعطيت فأمضيت، وإلا فلموا إليك " فقلت : والله لئن بقيت لأفنين عددها، قال الحسن : ففعل والله، فلما حضرت قيساً الوفاة قال : يا بني خذوا عني، لا أجد أنصح لكم مني : إذا أنا مت فسوّدوا كباركم، ولا تسوّدوا صغاركم فيستسفهم الناس فيهنوا عليكم، وعليكم

٣١٣ - صحيح ابن حبان - (١٠ / ٢٧١) (٤٤٢٥) وصحيح مسلم - المكثر - (٤٥٠٩)

انظر شرح النووي على مسلم - (٦ / ١٠٩) والمفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم - (١٦ / ٥) وعون المعبود

- (٩ / ٤٤٢)

٣١٤ - السنن الكبرى للبيهقي - حيدر آباد - (٥ / ١٢٥) (٩٧٩٦) صحيح

بِاسْتِصْلَاحِ الْمَالِ، فَإِنَّهُ مَنبَهَةٌ الْكَرِيمِ وَيُسْتَعْنَى بِهِ عَنِ اللَّئِيمِ، وَإِيَّاكُمْ وَالْمَسْأَلَةَ فَإِنَّهَا آخِرُ كَسْبِ الْمَرْءِ، إِنْ أَحَدًا لَمْ يَسْأَلْ إِلَّا تَرَكَ كَسْبَهُ، وَإِذَا مِتُّ فَلَا تُتَّوَحَّأُ عَلَيَّ فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ " يَنْهَى عَنِ النَّيَاحَةِ " وَكَفَّنُونِي فِي ثِيَابِي الَّتِي كُنْتُ أُصَلِّي فِيهَا وَأَصُومُ، وَإِذَا دَفَنْتُمُونِي فَلَا تَدْفِنُونِي فِي مَوْضِعٍ يَطَّلِعُ عَلَيَّ أَحَدٌ، فَإِنَّهُ قَدْ كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَ بَكْرِ بْنِ وَائِلٍ خِمَاشَاتٌ فِي الْجَاهِلِيَّةِ فَأَخَافُ أَنْ يَنْبَشُونِي فَيَصْنَعُونَ فِي ذَلِكَ مَا يَذْهَبُ فِيهِ دِينُكُمْ وَدُنْيَاكُمْ " قَالَ الْحَسَنُ رَحِمَهُ اللَّهُ : نَصَحَ لَهُمْ فِي الْحَيَاةِ، وَنَصَحَ لَهُمْ فِي الْمَمَاتِ " ٣١٥

وكان ﷺ تارةً يُمهِّدُ التمهيدَ اللطيفَ الرقيقَ، إذا شاء أن يُعلمَ أصحابه ما قد يُستَحيا من التصريح به : فعن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله ﷺ : إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ مِثْلُ الْوَالِدِ لَوْلَدِهِ ، أَعْلَمُكُمْ ، إِذَا أَتَيْتُمُ الْغَائِطَ ٣١٦ فَلَا تَسْتَقْبِلُوا الْقِبْلَةَ ٣١٧ ، وَلَا تَسْتَدْبِرُوهَا ٣١٨ ، وَأَمْرَ بَثَلَاثَةِ أَحْجَارٍ ٣١٩ ، وَنَهَى عَنِ الرَّوْثِ ٣٢٠ ، وَالرَّمَّةِ ٣٢١ ، وَنَهَى أَنْ يَسْتَطِيبَ الرَّجُلُ بِيَمِينِهِ. ٣٢٢

الاستطابة : الاستنجاء . يقال : استطاب الرجل يستطيب فهو مستطيب إذا استنجى ، ومعنى الطيب هنا الطهارة . وذكر (الرجل) في قول أبي هريرة رضي الله عنه : (ونهى أن يستطيب الرجل بيمينه) لفظ اتفافي ، إذ المرأة مثله . وهذا النهي إنما جاء من رسول الله ﷺ رعايةً منه للنظام العام الذي رَسَمَهُ الإسلامُ في أعمال اليمين : فكلُّ عمل رفيع يكون

٣١٥ - المعجم الكبير للطبراني - (١٣ / ٢٨١) (١٥٢٦٣) فيه ضعف

٣١٦ - الغائط هنا على أصل معناه اللغوي ، وهو المكان المنخفضُ من الفضاء والعراء ، وكانوا يقصدونه لقضاء الحاجة فيه ، بغية السُّرِّ بارتفاع ما حوله ، وذلك قبل أن تُتَّخَذَ المراحيضُ في المنازل والبيوت . ثم أُطْلِقَ لفظ (الغائط) على الخارج نفسه من الإنسان ، تجوزاً ، وهذا غيرُ مراد هنا .

٣١٧ المراد بالقبلة : الكعبة المعظمة . وأراد جهتها ، ولذلك عبّر بلفظ (القبلة) . والنهي يشمل قضاء الحاجة ببول أو غائط .

٣١٨ - أي لا تستدبروا الكعبة المعظمة عند قضاء الحاجة .

٣١٩ - يعني أن النبي ﷺ أمرَ من يستنجي بالحجر ، أن يستنجي بثلاثة أحجار ، لأن التقاء يحصل بها غالباً . والاستنجاء بالماء لمن يجده أفضل

٣٢٠ - الروث هو خُرءُ ذوات الحوافر كالبقرة والفرس والغنمة . والاستنجاء به إنما يتصور عند يُسِّه ، بدلاً من الحجر ، وإنما نُهي عنه لأنه النجاسة بعينها .

٣٢١ - الرَّمَّةُ : العَظْمُ البالي . والمراد هنا مطلق العظم .

٣٢٢ - سنن ابن ماجه - طبع مؤسسة الرسالة - (١ / ٢٠٨) (٣١٣) صحيح

باليد اليمنى ، وكلّ عمل وضع يكون باليد اليسرى .

وفي هذا الحديث الشريف من الأمور التعليمية : تواضعُ المعلمِ الأول ﷺ ، وكمالُ شفقتِه على المتعلمين ، وجميلُ تطفه بهم لتعليمهم ما يُستحيا منه ، وتعليمُه لهم التزامَ النظام في تصرفاتهم وشؤونهم وأمور نظافتهم .

وقال المناوي رحمه الله^{٣٢٣} : ((قوله ﷺ : إنما أنا لكم ، أي لأجلكم ما أنا لكم إلاّ مثلُ الوالد وبمِزلةِ الوالد ، في الشفقة والحنوّ ، لا في الرُتبة والعُلوّ ، وفي تعليم ما لا بُدَّ منه ، فكما يُعلّم الأبُ ولده الأدب ، فأنا أُعلّمكم ما لكم وما عليكم . وأبو الإفادة أقوى من أبي الولادة ، وهو الذي أنقذنا الله به من ظلمة الجهل ، إلى نور الإيمان . وقدّم ﷺ هذه المقدمة أمام المقصود :

إعلاماً بأنه يجب عليه تعليمهم أمراض دينهم ، كما يلزم الوالد تعليمُ ولده ما يحتاج إليها مطلقاً ، ولا يُبالي بما يُستحيا من ذكره ، فهذا تمهيد منه ﷺ لما بيّنه لهم من آداب قضاء الحاجة ، وهي من الأمور التي يُستحى من ذكرها ، ولا سيما في مجالس العظماء

وإيناساً منه ﷺ للمخاطبين ، لئلاّ يحتشموا عن السؤال عما يعرضُ لهم ، مما يُستحى منه وبسَطاً للعدْرِ عن التصريح بقوله : (فإذا أتى أحدكم الغائط) أي محلّ قضاء الحاجة ، (فلا يَسْتَقْبِلُ الْقِبْلَةَ) بفرَجِه والخارج منه ، (ولا يَسْتَدْبِرُهَا) ببول ولا غائط وجوباً في الصحراء وندباً في غيرها ، (ولا يَسْتَطِبُ بيمينه) أي لا يَسْتَنْجِحُ بِهَا بَعْسِلٍ أو مَسْحٍ ، فيُكْرَهُ ذَلِكَ تزيهاً ، وقيل تحريماً . وسُمِّيَ هذا الفعلُ بالاستطابة لطيب الموضع بطهارته من النجاسة ، أو لطيب نفس المستطيب بإزالة النجاسة .

وقد أفاد الحديث الشريف أن النبي ﷺ لجميع الأمة كالأب ، وكذا أزواجه أمّهات المؤمنين ، لأنّ منه ومن أزواجه تعلّم الذكور والإناث معاني الدين كلّها ، ولم يتولّد خيرٌ إلاّ منه ومنهن ، فبرّه وبرهننَّ أو جبُّ من كل واجب ، وعقوفه وعقوفهنَّ أهلك من كل مُهلك .

٣٢٣ - (فيض القدير شرح الجامع الصغير) ٢ : ٥٧٠

قال ابن الحاج في كتابه ((المدخل)): : أمة النبي ﷺ في الحقيقة أولاده ، لأنه السبب للإنعام عليهم بالحياة السرمديّة ، والخلود في دار النعيم فحقّه أعظم من حقوق الوالدين . قال ﷺ لبعض أصحابه : ((ابدأ بنفسك ثم بمن تعول)) ، فأفادته تقدّم نفسه على غيره والله سبحانه قدّم النبي ﷺ في كتابه على نفس كل مؤمن فقال : (النبيُّ أولى بالمؤمنين من أنفسهم) ، ومعناه إذا تعارض للمؤمن حقان حقٌّ لنفسه وحقٌّ لنبيه ، فأكدّهما وأوجبهما حقُّ النبي ﷺ ، ثم يجعل حقَّ نفسه تبعاً للحقِّ الأوّل .

وإذا تأملت الأمر في الشاهد أي الواقع ، وجدت نفع المصطفى ﷺ أعظم من نفع الآباء والأمّهات ، وجميع الخلق ، فإنه أنقذك وأنقذ آباءك من النار ، وغاية أمر أبويك أنهما أوجداك في الحسّ ، فكانا سبباً لإخراجك إلى دار التكليف والبلاء والمحنّ ، وكان رسول الله ﷺ سبباً لنجاتك ودخولك إلى دار التشريف والمنح ، فجزى الله عنا نبينا محمداً ﷺ ما هو أهله)) . انتهى بزيادة يسيرة وتصرف يسير

ومن أجل هذا المعنى العظيم الذي تقدّم في كلام ابن الحاج رحمه الله تعالى ، قال الإمام الغزالي رحمه الله تعالى في ((إحياء علوم الدين)) ١ : ٥٥ ، وهو يتحدث عن عظم مسؤولية المعلم نحو المتعلّمين منه ، ولزوم شفقتهم في الوظيفة الأولى من وظائف المعلم ، في الباب الخامس من آداب المتعلم والمعلم : ((ولذلك صار حقُّ المعلم أعظم من حق الوالدين ، فإن الوالد سببُ الوجود الحاضر والحياة الفانية ، والمعلم سبب الحياة الباقية ، ولولا المعلم لانساق ما حصل من جهة الوالدين إلى الهلاك الدائم ، وإنما المعلم هو المفيد للحياة الأخروية الدائمة ، أعني معلّم علوم الآخرة ، أو علوم الدنيا على قصد الآخرة ، لا على قصد الدنيا . فأما التعليم على قصد الدنيا أي على قصد تحصيل حطام الدنيا ، والتمكّن في زينتها ، والتفاخر بها في الملابس والمآكل والمراكب فهو هلاك وإهلاك ، نعوذ بالله منه)) . انتهى .^{٣٢٤}

الخلاصة:

^{٣٢٤} - ((إحياء علوم الدين)) ١ : ٥٥

- (١) تهيئة الطالب لاستقبال المعلومات، قد تكون بأسلوب مباشر وقد تكون غير مباشرة
- (٢) طريقة طلب السكوت من الطلاب من أقوى الوسائل في جذب الانتباه .
- (٣) للمعلم أن يستخدم أسلوب النداء المباشر، كقولك (يا طلاب انتبهوا) أو (يا طالب انتبه) ونحو ذلك .
- (٤) أسلوب النداء المباشر قد يكون في بداية الدرس، وقد يكون في أثناءه .
- (٥) الطريقة غير المباشرة تحتاج إلى براعة من المعلم، وهي قد تكون في بداية الدرس وفي أثناءه .

[٢] الاتصال السمعي والبصري بين المعلم والمتعلم :

إن أسلوب الإلقاء أثناء التعليم، أو أسلوب عرض المادة العلمية - الشرح - على المتعلمين، هو الوسيلة الأقوى في الاتصال بين المعلم وتلميذه، أي أن صوت المعلم له خاصية الاتصال أكثر من غيرها . وقد يعترض معترض بقوله: ماذا تقولون في الاتصال النظري بين المعلم والتلميذ ؟

الجواب عن ذلك من وجوه :

أولاً : إن كلا الاتصال السمعي والبصري إذا أحسن استخدامهما مجتمعين كان لهما أثر فعال في إيصال المعلومة بشكل أفضل ما لو كانت إحداهما معزولة عن الأخرى .

ثانياً : إن الاتصال البصري قد يتخلف في جميع أوقات التعليم، كأن يكون المتعلم كفيفاً، أو في بعض أوقات التعليم إذا كان الطالب في حالة شرود وذهول أو انشغال بعمل ما عن الدرس، أما الاتصال السمعي فهو يتخلف في حالة واحدة إذا كان المتعلم أبكم. ولذلك قلنا إن الاتصال السمعي هو الوسيلة الأقوى في إيصال المعلومات إلى الطالب. وهذا الاتصال - أي السمعي والبصري - يساعد المدرب على ضبط الفصل وإدارته، وفي المقابل فهو يفيد الطالب في حفظ المعلومات وصيانتها عن النسيان. قال تعالى

: { وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا } (٣٦) سورة الإسراء.

وسوف نستعرض هنا بعض أنواع الاتصال السمعي والبصري التي تساعد المعلم - أثناء الشرح - في أداء مهمته التربوية والتعليمية على الوجه الأكمل، آخذين ذلك من سنة النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً .

أولاً : الاتصال السمعي : منها :

أ- طريقة الكلام (السرد - الشرح)

، فعن ابن شهاب، أخبرني عروة، أن عائشة، قالت : ألا يعجبك أبو هريرة ؟ جاء فجلس إلى باب حجرتي يحدث عن النبي ﷺ يُسمعي ذلك وكنت أسبح، فقام قبل أن أفضي سبحتي، ولو أدركته لرددت عليه إن رسول الله ﷺ لم يكن يسرد الحديث كسرديكم .

قال ابن شهاب : وقال ابن المسيب، إن أبا هريرة قال : يقولون : إن أبا هريرة يكثر، أو قال : أكثر والله الموعد، ويقولون : ما بال المهاجرين والأنصار لا يتحدثون بمثل أحاديثه، وسأخبركم عن ذلك إن إخواني من الأنصار كان يشغلهم عمل أرضهم، وأما إخواني من المهاجرين، فكان يشغلهم الصفق بالأسواق، وكنت أخدم رسول الله ﷺ على ملء بطني، فأشهد ما غابوا، وأحفظ إذا نسوا، ولقد قال رسول الله ﷺ يوماً : أيكم يسط ثوبه، فيأخذ حديثي هذا ثم يجمعه إلى صدره، فإنه لن ينسى شيئاً يسمعه، فسبط بردة علي حتى جمعتها إلى صدري، فما نسيت بعد ذلك اليوم شيئاً حدثني به، ولو آيتان في كتاب الله ما حدثت شيئاً أبداً : { إن الذين يكتُمون ما أنزلنا من البينات والهدى } إلى آخر الآية^{٣٢٥}

وعن عائشة قالت : " كان النبي ﷺ لا يسرد الكلام كسرديكم هذا، كان كلامه فصلاً

^{٣٢٥} - صحيح ابن حبان - (١٦ / ١٠٤) (٧١٥٣) صحيح ، وصحيح البخارى - المكثر - (٣٥٦٨) وصحيح

مسلم - المكثر - (٦٥٥٤) مختصراً

قال أبو حاتم : قول عائشة ولو أدركته لرددت عليه أرادت به سرد الحديث لا الحديث نفسه ، والدليل على هذا تعقيبها أن رسول الله ﷺ لم يكن يسرد الحديث كسرديكم .

يَبِينُهُ، يَحْفَظُهُ كُلُّ مَنْ سَمِعَهُ " . ٣٢٦

وَعَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: "كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَا يَسْرُدُ الْحَدِيثَ سَرْدَكُمْ، كَانَ إِذَا جَلَسَ تَكَلَّمَ بِكَلِمَاتٍ يَبِينُهُ، يَحْفَظُهُ مَنْ سَمِعَهُ" ٣٢٧

قولها : (ما كان رسول الله ﷺ يسرد ..) بضم الراء من السرد وهو الإتيان بالكلام على الولاء والاستعجال فيه .. والمعنى لم يكن رسول الله ﷺ يتابع الحديث استعجالاً بعضه إثر بعض لئلا يلتبس على المستمع. وقوله : (فصل) أي بين ظاهر يكون بين أجزائه فصل ٣٢٨ .

إن عرض المادة العلمية بسرعة يسبب إرباكاً لدى الطالب، ويشتت ذهنه، ويجرمه الانتفاع بكثير من الفوائد والمسائل التي قد تمر سريعاً ولا يتصيداها الذهن، وهذه الطريقة يقع فيها كثير من المعلمين، ولذا وجب التنبيه لها . وعكس ذلك البطء الشديد الممل، الذي يبعث على الاسترخاء والنوم، ويولد الضجر والسامة لدى الطالب .

والطريق الأمثل، هو الفصل بين الكلمات، حيث يفصل بين الكلمة وأختها فلا تتداخل الكلمات والحروف لكي لا تشكل وتصعب على الطالب، وكذلك التوسط في السرد فلا هو بالسريع المفرط ولا البطيء المخل .

ب- عدم التشدد في الكلام وتكلف السجع :

التشدد : " أَي التَّوَسُّعِ فِي الكَلَامِ مِنْ غَيْرِ احتِيَاظٍ وَاحتِرَازٍ . وَقِيلَ الْمُتَشَدِّقُ الْمُتَكَلِّفُ فِي الكَلَامِ فَيَلْوِي بِهِ شِدْقِيهِ، وَالتَّشَدُّقُ جَانِبُ الفَمِ " ٣٢٩ .

وتكلف الكلام، والإتيان بغرائبه، والمبالغة في إخراج حروفه، أمر مذموم شرعاً، ومرفوض عقلاً، لأن من كانت هذه صفته لا بد وأن يرى في نفسه التعاضم على الغير وازدراء الآخرين لكونهم أقل منه بلاغة وفصاحة . فعن أَبِي ثَعْلَبَةَ الخُسَيْنِيِّ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ

٣٢٦ - السُّنَنُ الكُبْرَى لِلنَّسَائِيِّ << كِتَابُ عَمَلِ اليَوْمِ وَاللَّيْلَةِ (٨٩٥٠) صحيح

٣٢٧ - السُّنَنُ الكُبْرَى لِلنَّسَائِيِّ << كِتَابُ عَمَلِ اليَوْمِ وَاللَّيْلَةِ (٨٩٥١) صحيح

٣٢٨ - تحفة الأحوذى / أبواب المناقب / باب ٣٩ . بتصريف يسير .

٣٢٩ - عون المعبود - (١١ / ٤٣)

: إِنْ أَحَبَّكُمْ إِلَى اللَّهِ وَأَقْرَبَكُمْ مِنِّي أَحْسَنُكُمْ أَخْلَاقًا، وَإِنْ أَبْغَضَكُمْ إِلَى اللَّهِ وَأَبْعَدَكُمْ مِنِّي
الثَّرَائِرُونَ الْمُتَفِيهِقُونَ الْمُتَشَدِّقُونَ. " ٣٣٠

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "خِيَارُكُمْ أَحْسَنُكُمْ أَخْلَاقًا، الْمُوْطُونَ أَكْنَافًا، وَإِنْ
شَرَّارَكُمْ الثَّرَائِرُونَ الْمُتَفِيهِقُونَ الْمُتَشَدِّقُونَ " ٣٣١

وَعَنْ جَابِرٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - قَالَ « إِنْ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ
الْقِيَامَةِ أَحْسَنُكُمْ أَخْلَاقًا وَإِنْ أَبْغَضَكُمْ إِلَيَّ وَأَبْعَدَكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ الثَّرَائِرُونَ
وَالْمُتَشَدِّقُونَ وَالْمُتَفِيهِقُونَ ». قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ قَدْ عَلِمْنَا الثَّرَائِرُونَ وَالْمُتَشَدِّقُونَ فَمَا
الْمُتَفِيهِقُونَ قَالَ « الْمُتَكَبِّرُونَ » ٣٣٢ .

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو - قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - « إِنْ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يُبْغِضُ الْبَلِيغَ
مِنَ الرَّجَالِ الَّذِي يَتَخَلَّلُ بِلِسَانِهِ تَخَلَّلَ الْبَاقِرَةَ بِلِسَانِهَا ». ٣٣٣

يقول الغزالي في الإحياء: "التقعر في الكلام بالتشديد وتكلف السجع والفصاحة والتصنع
فيه بالتشبيبات والمقدمات وما جرى به عادة المتفاسحين المدعين للخطابة. وكل ذلك من
التصنع المذموم ومن التكلف الممقوت .. ثم بعد أن ساق أخباراً عن النبي ﷺ قال: بل
ينبغي أن يقتصر في كل شيء على مقصوده: ومقصود الكلام التفهيم للغرض وما وراء
ذلك من تصنع مذموم. ولا يدخل في هذه تحسين ألفاظ الخطابة والتذكير من غير إفراط
وإغراب" ٣٣٤ .

٣٣٠ - صحيح ابن حبان - (٢ / ٢٣١) (٤٨٢) صحيح

٣٣١ - شعب الإيمان - (١٠ / ٣٥٨) (٧٦٢١) صحيح لغيره

٣٣٢ - سنن الترمذي - المكثر - (٢١٥٠) حسن

الثرائرون: الذين يكثر في الكلام تكلفاً وخروجاً عن حد الواجب.

المتفهيقون: الذين يتوسعون في الكلام، ويفتحون به أفواههم مأخوذ من الفهق، وهو الامتلاء.

الْمُتَشَدِّقُونَ: هم الذين يتكلمون بملء أفواههم تفاسحاً وتعظيماً لنطقهم. جامع الأصول في أحاديث الرسول - (٤ /

٧)

٣٣٣ - سنن أبي داود - المكثر - (٥٠٠٧) صحيح

٣٣٤ - دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين - (٥ / ٩٣) وفيض القدير، شرح الجامع الصغير، الإصدار ٢ - (٤ /

٤٢٩) وإحياء علوم الدين - (٢ / ٣٠٩) و(٢ / ٣١٩)

قلت : هذا إذا كان المتكلم ممن يحسن التحدث بالعربية ولكن بلينا بقوم فرطوا في لغتهم، فأدخلوا عليها ما ليس فيها كقول بعضهم (أو كي / ok)، و(يس/ yes) ونحو ذلك، فلا لغتهم نصرُوا، ولا لغة عدتهم دفعوا ! .

ت - رفع الصوت (أو تغيير نبرات الصوت) بالتعليم

فَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ تَخَلَّفَ عَنَّا النَّبِيُّ ﷺ - فِي سَفَرَةٍ سَافَرْنَاهَا، فَأَدْرَكَنَا وَقَدْ أَرْهَقْتَنَا الصَّلَاةَ وَنَحْنُ نَتَوَضَّأُ، فَجَعَلْنَا نَمْسُحُ عَلَى أَرْجُلِنَا، فَنَادَى بِأَعْلَى صَوْتِهِ « وَيْلٌ لِلْأَعْقَابِ مِنَ النَّارِ » . مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا ٣٣٥ .

هذا الحديث بوب عليه البخاري في صحيحة بقوله: باب من رفع صوته بالعلم. قال الحافظ ابن حجر : " واستدل المصنف على جواز رفع الصوت بالعلم بقوله: "فنادى بأعلى صوته" وإنما يتم الاستدلال بذلك حيث تدعو الحاجة إليه لبعده أو كثرة جمع أو غير ذلك، ويلحق بذلك ما إذا كان في موعظة كما ثبت ذلك في حديث عن جابر، قال : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا خَطَبَ أَحْمَرَتْ عَيْنَاهُ، وَعَلَا صَوْتُهُ، وَاشْتَدَّ غَضَبُهُ، حَتَّى كَأَنَّهُ نَذِيرٌ جَيْشٍ، يَقُولُ : صَبِّحَكُمْ وَمَسَّاكُمْ، وَيَقُولُ : بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةَ كَهَاتَيْنِ يُفَرِّقُ بَيْنَ السَّبَابَةِ وَالْوَسْطَى وَيَقُولُ : أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرُ الْهُدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ، وَإِنَّ شَرَّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، ثُمَّ يَقُولُ : أَنَا أَوْلَى بِكُلِّ مُؤْمِنٍ مِنْ نَفْسِهِ، مَنْ تَرَكَ مَالًا فَلَأَهْلُهُ، وَمَنْ تَرَكَ دِينًا أَوْ ضِيعَةً فَلِإِيٍّ وَعَلِيٍّ . " أخرجه مسلم. ٣٣٦ ولأحمد من سماك بن حرب، قال : سَمِعْتُ الثُّعْمَانَ بْنَ بَشِيرٍ يَخْطُبُ، يَقُولُ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، يَخْطُبُ يَقُولُ : أَنْذَرْتُكُمْ النَّارَ، أَنْذَرْتُكُمْ النَّارَ، حَتَّى لَوْ أَنَّ رَجُلًا كَانَ بِالسُّوقِ، لَسَمِعَهُ مِنْ مَقَامِي هَذَا، قَالَ : حَتَّى وَقَعَتْ حَمِيصَةٌ كَانَتْ عَلَى عَاتِقِهِ عِنْدَ رِجْلَيْهِ. ٣٣٧

واستدل به أيضا على مشروعية إعادة الحديث ليفهم ٣٣٨

٣٣٥ - صحيح البخارى - المكثر - (٦٠) - أرهق : آخر

٣٣٦ - صحيح ابن حبان - (١ / ١٨٦) (١٠) وصحيح مسلم - المكثر (٢٠٤٢)

٣٣٧ - مسند أحمد (عالم الكتب) - (٦ / ٢٨٣) (١٨٣٩٨) ١٨٥٨٨ - صحيح

٣٣٨ - فتح الباري لابن حجر - (١ / ١٤٣)

يستفاد مما سبق من رفع الصوت أثناء التعليم، في بيان المسائل المهمة جداً التي تستلزم جذب انتباه السامعين، لكي تطرد الغفلة والشرود عن أذهانهم وتهيتتهم لما سيلقى إليهم، وكذلك يستفاد من رفع الصوت في الإنكار كما جاء في الحديث المتقدم، وقد يستفاد من رفع الصوت قليلاً أثناء الشرح، إذا أراد المعلم أن ينبه فرداً أو أفراداً معينين من الطلاب، ولم يرد أن يقطع حديثه .

ث - استمرار المعلم في الإلقاء وعدم قطعه :

يلجأ بعض الطلاب إلى إيقاف شرح المعلم لتوضيح نقطة غامضة، أو إعادة لشرح مضى، وقد يستجيب المعلم لهذا الطلب وقد لا يستجيب، وفي استجابة المعلم عدة محاذير :
 أولاً : تقديم رغبة طالب واحد أو اثنين على حساب مجموعة كبيرة وهي الأغلبية .
 ثانياً : قطع الحديث بعضه عن بعض وكان حقه أن يكون متصلاً . ثالثاً : التشويش على أذهان الطلاب بهذا القطع الطارئ .

رابعاً : التشويش على المعلم نفسه وقطع تسلسل أفكاره. ومستندنا في ذلك ما روي فعن أبي هريرة، قال : بَيْنَمَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُحَدِّثُ الْقَوْمَ، جَاءَهُ أَعْرَابِيٌّ، فَقَالَ : مَتَى السَّاعَةُ ؟ فَمَضَى ﷺ يُحَدِّثُ، فَقَالَ بَعْضُ الْقَوْمِ : سَمِعَ مَا قَالَ، وَكَرِهَ مَا قَالَ. وَقَالَ بَعْضُهُمْ : بَلْ لَمْ يَسْمَعْ. حَتَّى إِذَا قَضَى حَدِيثَهُ، قَالَ : أَيْنَ السَّائِلُ عَنِ السَّاعَةِ ؟ قَالَ : هَا أَنَا ذَا، قَالَ : إِذَا ضَيَّعَتِ الْأَمَانَةُ، فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ، قَالَ : فَمَا إِضَاعَتُهَا ؟ قَالَ : إِذَا اشْتَدَّ الْأَمْرُ، فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ. ٣٣٩

تأمل هذا الحديث يتضح لك ما قلناه آنفاً، وفيه زيادة أن الرسول ﷺ أحاب على سؤال السائل بعد فراغه من حديثه، ونستنبط من هذا عدم قطع الحديث المتصل، وإجابة السائل بعد الفراغ من الحديث المتصل .

وعن مُجَاهِدٍ قَالَ : بَيْنَمَا ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا جَالِسًا فِي حَوْضِ زَمْرَمَ، وَالنَّاسُ يَسْأَلُونَهُ، إِذْ جَاءَ رَجُلٌ فَسَأَلَهُ عَنْ { وَاللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ } فَسَكَتَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَلَمَّا ثَوَّبَ

٣٣٩ - صحيح ابن حبان - (١ / ٣٠٧) (١٠٤) وصحيح البخارى - المكثر - (٥٩)

المؤذن، أو نادى المُنادي، قال رضي الله عنه أين السائل عن : الليل إذا أدبر قال : قد دبر الليل^{٣٤٠}

وعن علي بن أبي طالب، قال : صلى بنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح، فلما صلى صلاته ناداه رجل : متى الساعة ؟ فزبره رسول الله ﷺ، وانتهره، وقال : اسكت حتى إذا أسفر رفع طرفه إلى السماء، فقال : تبارك رافعها ومديرها، ثم رمى بصره إلى الأرض، فقال : تبارك داحيها وخالقها، ثم قال : أين السائل عن الساعة ؟ فجثا الرجل على ركبتيه، فقال : أنا بأبي وأمي، سألتك، فقال : ذلك عند حيف الأئمة، وتصديق الثجوم، وتكذيب القدر، وحين تتخذ الأمانة مغنماً، والصدقة مغرماً، والفاحشة زيادة، فعند ذلك هلك قومك.^{٣٤١}

ج- السكوت أثناء الإلقاء (الشرح)

للسكوت أثناء شرح المعلم فوائد يحسن بنا الوقوف عندها قليلاً فمنها : أنها تجذب انتباه الطلاب، فكون المعلم يتكلم في موضوع معين ثم يسكت فجأة فإن هذا بلا شك يستلزم انتباهاً من المستمع.

ومنها : أنها تسمح بتراد نفس المعلم وأخذ قسط قليل من الراحة. ومنها : أنها تعطي المعلم فرصة لترتيب أفكاره وهي عملية ذهنية لا تستغرق سوى ثوان معدودة .

ولعل الحديث الآتي يقرب ما قلناه آنفاً، فعن أبي بكر، عن النبي ﷺ قال : إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السماوات والأرض، السنة اثنا عشر شهراً، منها أربعة حرم، ثلاث متواليات : ذو القعدة، وذو الحجة، والمحرّم، ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان ثم قال : أي شهر هذا ؟ قلنا : الله ورسوله أعلم، قال : فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه، قال : أليس ذا الحجة ؟ قلنا : نعم، قال : أي بلد هذا ؟ قلنا : الله ورسوله أعلم، قال : فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه، قال : أليس ذا البلدة ؟ قلنا

٣٤٠ - المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية - (١٥ / ٤١٦) (٣٧٧١) صحيح

٣٤١ - كشف الأستار - (٤ / ١٤٧) (٣٤٠٦) وفيه جهالة

: نَعَمْ، قَالَ : أَيُّ يَوْمٍ هَذَا ؟ قُلْنَا : اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ : أَلَيْسَ يَوْمَ النَّحْرِ ؟ قُلْنَا : بَلَى، قَالَ : فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ، وَأَمْوَالَكُمْ - قَالَ مُحَمَّدٌ : وَأَحْسَبُهُ قَالَ : وَأَعْرَاضَكُمْ -، عَلَيْنَكُمْ حَرَامٌ كَحَرَمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا، وَسَتَلْقَوْنَ رَبَّكُمْ فَيَسْأَلُكُمْ عَنْ أَعْمَالِكُمْ، أَلَا فَالَا تَرْجِعُوا بَعْدِي ضَلَالًا يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ، أَلَا لِيُبَلِّغَ الشَّاهِدُ مِنْكُمْ الْغَائِبَ، فَلَعَلَّ بَعْضَ مَنْ يَبْلُغُهُ يَكُونُ أَوْعَى لَهُ مِنْ بَعْضِ مَنْ سَمِعَهُ، قَالَ : فَكَانَ مُحَمَّدٌ إِذَا ذَكَرَهُ يَقُولُ : صَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، قَدْ كَانَ ذَاكَ، ثُمَّ قَالَ ﷺ : أَلَا هَلْ بَلَّغْتُ ؟ أَلَا هَلْ بَلَّغْتُ ؟^{٣٤٢}

فأنت ترى أثر هذا السكوت على الصحابة، وكيف جذب حواسهم وانتباههم، ولك أيها المعلم أن تستخدم هذه الطريقة أثناء شرحك، بعد كل نقطة رئيسة للفصل بين النقاط، وللتهيؤ لشرح النقطة التي تليها.

ثانياً : الاتصال البصري : منه :

أ - إدامة الاتصال النظري بين المعلم والمتعلم :

إن المحافظة على الاتصال النظري بين المعلم وتلميذه، مفيد جداً للمعلم وللمتعلم. فالمعلم يبقى طلابه تحت سيطرته من خلال متابعتهم بنظره، ومن ثم يلاحظ الغافل فينبهه، والناعس فيوقظه، والمتلاعب فيزجره .. إلخ. ولذا كان حري بالمعلم أن يوزع نظره على عموم طلابه حتى يعتقد كل طالب أنه المعني بالكلام، ولا يغفل عن طلابه أثناء الشرح، فإن بعض المعلمين يصوب بصره على جهة معينة أثناء تدريسه، وهذا خطأ يؤدي إلى فقدان السيطرة على طلابه، ومن ثم يعطي الطالب الفرصة بالتشاغل عن الاستماع والإنصات للدرس . ويستحب أن يكون مكان المعلم مرتفعاً ولو قليلاً عن طلابه لتحصل المتابعة الجيدة من قبله، ولكي يتسنى لكل طالب متابعة معلمه دون عناء أو مضايقة ممن حوله .

وأما المتعلم فمن خلال رؤيته المستمرة وإدامته لنظره لمعلمه، يحصل له فهم أقوى لما يطرح

^{٣٤٢} - صحيح ابن حبان - (١٣ / ٣١٣) (٥٩٧٤) وصحيح البخارى - المكثر - (١٧٤١) وصحيح مسلم - المكثر - (٤٤٧٧)

ويقال في الدرس، لأن اشتراك حاستين وهما السمع والبصر أقوى في التلقي من الاقتصار على واحدة. ولنا أن نلمس السبب من جعل المنبر عالياً. ولقد كان منبره ﷺ يرتفع ثلاث درجات وهي كافية جداً في تبادل النظر بين الخطيب والمصلين .. يوضح ذلك، ما جاء عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ جَاءَ رَجُلٌ وَالنَّبِيُّ ﷺ - يَخْطُبُ النَّاسَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ فَقَالَ « أَصَلَّيْتَ يَا فُلَانُ » . قَالَ لَا . قَالَ « قُمْ فَارْكَعْ » ٣٤٣ .

وَعَنْ هَلَالِ بْنِ أَبِي مَيْمُونَةَ حَدَّثَنَا عَطَاءُ بْنُ يَسَارٍ أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا سَعِيدٍ الْخُدْرِيَّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - يُحَدِّثُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ - جَلَسَ ذَاتَ يَوْمٍ عَلَى الْمِنْبَرِ وَجَلَسْنَا حَوْلَهُ فَقَالَ « إِنِّي مِمَّا أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِي مَا يُفْتَحُ عَلَيْكُمْ مِنْ زَهْرَةِ الدُّنْيَا وَزَيْنَتِهَا » . فَقَالَ رَجُلٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَوْيَأْتِي الْخَيْرُ بِالْشَّرِّ فَسَكَتَ النَّبِيُّ ﷺ - فَقِيلَ لَهُ مَا شَأْنُكَ تُكَلِّمُ النَّبِيَّ ﷺ - وَلَا يُكَلِّمُكَ فَرَأَيْنَا أَنَّهُ يُنَزَّلُ عَلَيْهِ . قَالَ - فَمَسَحَ عَنْهُ الرُّحْضَاءَ فَقَالَ « أَيْنَ السَّائِلُ » وَكَانَ حَمْدُهُ . فَقَالَ « إِنَّهُ لَا يَأْتِي الْخَيْرُ بِالْشَّرِّ، وَإِنْ مِمَّا يُنْبِتُ الرَّبِيعُ يَقْتُلُ أَوْ يَلْمُ إِلَّا آكَلَةَ الْخَضِرَاءِ، أَكَلَتْ حَتَّى إِذَا امْتَدَّتْ خَاصِرَتَاهَا اسْتَقْبَلَتْ عَيْنَ الشَّمْسِ، فَثَلْطَطَتْ وَبَالَتْ وَرَتَعَتْ، وَإِنَّ هَذَا الْمَالَ خَضِرَةٌ حُلْوَةٌ، فَنَعَمَ صَاحِبُ الْمُسْلِمِ مَا أُعْطِيَ مِنْهُ الْمُسْكِنَ وَالْيَتِيمَ وَابْنَ السَّبِيلِ - أَوْ كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ - - وَإِنَّهُ مَنْ يَأْخُذْهُ بِغَيْرِ حَقِّهِ كَالَّذِي يَأْكُلُ وَلَا يَشْبَعُ، وَيَكُونُ شَهِيداً عَلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » . ٣٤٤ .

والجلوس حول الخطيب يقتضي النظر إليه، وكذا الجلوس حول المعلم يقتضي النظر إليه. وهذا الحديث أورده البخاري في صحيحه وعقد عليه باباً بقوله: باب يَسْتَقْبِلُ الْإِمَامُ الْقَوْمَ وَاسْتَقْبَالَ النَّاسِ الْإِمَامَ إِذَا خَطَبَ ٣٤٥ قال الحافظ ابن حجر معلقاً: " ومن حكمة استقبالهم للإمام التهيؤ لسماع كلامه وسلوك الأدب معه في استماع كلامه، فإذا استقبله بوجهه وأقبل عليه بجسده وبقلبه وحضور ذهنه كان أدعى لتفهم موعظته وموافقته فيما

٣٤٣ - صحيح البخاري - المكثر - (٩٣٠) - وصحيح مسلم - المكثر - (٢٠٥٥)

٣٤٤ - صحيح البخاري - المكثر - (١٤٦٥) - ثلث : رجوع رجباً رقيقاً - الرخضاء : العرق

٣٤٥ - صحيح البخاري - المكثر - (٤ / ٤١) - ٢٨ -

شرع له القيام لأجله".^{٣٤٦}

ب - استخدام تعابير الوجه :

يغفل كثير من المعلمين عن توظيف هذه الطريقة في التعليم، بل إنك لا تكاد تجد من يعمل بها، إما لجهله بها أو لغفلته عنها . وهذه الطريقة تعني المعلم عن الإنكار باللسان، أو ترديد عبارات الرضا والارتياح تجاه عمل معين أو قول معين، وهذه الطريقة نافعة جداً مع فئة معينة من الناس، فإن هناك من تؤثر فيه النظرة الحادة، وهي كافية في زجره وردعه، وهناك من تؤثر فيه الابتسامة والبشاشة أكثر مما لو قلت له : أحسنت أو هذا جيد هكذا دون مشاركة تعابير الوجه التي تدل على الارتياح والرضا. وهناك من لا يؤثر فيه ذلك كله، فيعامل كل بحسبه . ونبينا ﷺ كان يعرف الغضب في وجهه، فعن عائشة - رضى الله عنها - قالت دَخَلَ عَلَيَّ النَّبِيُّ - ﷺ - وَفِي الْبَيْتِ قِرَامٌ فِيهِ صُورٌ، فَتَلَوْنَ وَجْهَهُ، ثُمَّ تَنَاوَلَ السِّتْرَ فَهَتَكَهُ، وَقَالَتْ قَالَ النَّبِيُّ - ﷺ - « مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ الَّذِينَ يُصَوِّرُونَ هَذِهِ الصُّورَ »^{٣٤٧} .

وعن أنس أن النَّبِيَّ - ﷺ - رَأَى نُخَامَةً فِي الْقِبْلَةِ، فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَيْهِ حَتَّى رُئِيَ فِي وَجْهِهِ، فَقَامَ فَحَكَهُ بِيَدِهِ فَقَالَ « إِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا قَامَ فِي صَلَاتِهِ، فَإِنَّهُ يُنَاجِي رَبَّهُ - أَوْ إِنْ رَبَّهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْقِبْلَةِ - فَلَا يَبْزُقَنَّ أَحَدَكُمْ قَبْلَ قِبْلَتِهِ، وَلَكِنْ عَنِ يَسَارِهِ، أَوْ تَحْتَ قَدَمَيْهِ » . ثُمَّ أَخَذَ طَرْفَ رِدَائِهِ فَبَصَقَ فِيهِ، ثُمَّ رَدَّ بَعْضَهُ عَلَى بَعْضٍ، فَقَالَ « أَوْ يَفْعَلْ هَكَذَا »^{٣٤٨} .

قال الحافظ ابن حجر : قوله: "حتى رؤي" أي شوهد في وجهه أثر المشقة، وللنسائي عن أنس بن مالك قال رأى رسول الله - ﷺ - نُخَامَةً فِي قِبْلَةِ الْمَسْجِدِ فَعَضِبَ حَتَّى احْمَرَّتْ وَجْهُهُ فَقَامَتْ امْرَأَةٌ مِنَ الْأَنْصَارِ فَحَكَّتْهَا وَجَعَلَتْ مَكَانَهَا خَلُوقًا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - « مَا أَحْسَنَ هَذَا »^{٣٤٩} . وللمصنف^{٣٥٠} في الأدب من حديث عن ابن عمر - رضى الله

^{٣٤٦} - فتح الباري لابن حجر - (٢ / ٤٠٢)

^{٣٤٧} - صحيح البخارى - المكثر - (٦١٠٩)

^{٣٤٨} - صحيح البخارى - المكثر - (٤٠٥)

^{٣٤٩} - سنن النسائي - المكثر - (٧٣٦) صحيح

عنهما - أن النبي ﷺ - رأى نُخَامَةً فِي قِبْلَةِ الْمَسْجِدِ، فَتَعَيَّظَ عَلَى أَهْلِ الْمَسْجِدِ وَقَالَ « إِنَّ اللَّهَ قَبْلَ أَحَدِكُمْ، فَإِذَا كَانَ فِي صَلَاتِهِ، فَلَا يَبْزُقَنَّ - أَوْ قَالَ - لَا يَنْتَحِمَنَّ ». ثُمَّ نَزَلَ فَحَتَّتْهَا بِيَدِهِ ۝ ٣٥١ .

فهذه الألفاظ كلها تدل على أن هذا الغضب أحدث عند الصحابة علماً جازماً بأن هذا الفعل الذي غضب منه الرسول ﷺ منكرًا، ولو سكت النبي ﷺ ولم يزد على ذلك، لكان كافيًا في الإنكار والردع، ولكنه ﷺ بين سبب الغضب لأنه في مقام التبليغ والتعليم .. والله أعلم .

أما التيسم فقد ورد عنه كثيرا:

فَعَنِ الْمُنْدَرِ بْنِ جَرِيرٍ، عَنِ أَبِيهِ قَالَ : كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي صَدْرِ النَّهَارِ، قَالَ : فَجَاءَهُ قَوْمٌ حُفَاةٌ عُرَاةٌ مُجْتَابِي النَّمَارِ، أَوْ الْعَبَاءِ، مُتَقَلِّدِي السُّيُوفِ، عَامَّتُهُمْ مِنْ مُضَرَ، بَلَّ كُلُّهُمْ مِنْ مُضَرَ، فَتَغَيَّرَ وَجْهُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لِمَا رَأَى بِهِمْ مِنَ الْفَاقَةِ، قَالَ : فَدَخَلَ، ثُمَّ خَرَجَ، فَأَمَرَ بِاللَّيْلِ، فَأَذَّنَ، وَأَقَامَ، فَصَلَّى، ثُمَّ خَطَبَ، فَقَالَ : { يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ }، إِلَى آخِرِ الْآيَةِ : { إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا }، وَقَرَأَ الْآيَةَ الَّتِي فِي الْحَشْرِ : { وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ } تَصَدَّقَ رَجُلٌ مِنْ دِينَارِهِ، مِنْ دَرَاهِمِهِ، مِنْ نَوْبِهِ، مِنْ صَاعِ بُرِّهِ، مِنْ صَاعِ تَمْرِهِ حَتَّى قَالَ : وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ قَالَ : فَجَاءَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ بِبَصْرَةٍ كَادَتْ كَفُّهُ تَعْجِزُ عَنْهَا، بَلَّ قَدْ عَجَزَتْ، ثُمَّ تَتَابَعَ النَّاسُ حَتَّى رَأَيْتُ كَوْمِينَ مِنْ طَعَامٍ وَنِيَابٍ حَتَّى رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَتَهَلَّلُ وَجْهَهُ، يَعْنِي كَأَنَّهُ مُذْهَبَةٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً، فَلَهُ أَجْرُهَا، وَأَجْرُ مَنْ عَمَلَ بِهَا بَعْدَهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يُنْتَفَصَ مِنْ أَجُورِهِمْ شَيْءٌ، وَمَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً، كَانَ عَلَيْهِ وَزْرُهَا، وَوَزْرُ مَنْ عَمَلَ بِهَا بَعْدَهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يُنْتَفَصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ. ۝ ٣٥٢

وَعَنِ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْبَجَلِيِّ، أَنَّ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ بِبَصْرَةٍ مِنْ ذَهَبٍ

٣٥٠ - صحيح البخارى - المكثر - (١٢١٣)

٣٥١ - فتح الباري لابن حجر - (١ / ٥٠٨)

٣٥٢ - مسند أحمد (عالم الكتب) - (٦ / ٥٠٣) (١٩١٧٤) ١٩٣٨٨ - صحيح

تَمَلُّا مَا بَيْنَ أَصَابِعِهِ، فَقَالَ : هَذِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، ثُمَّ قَامَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَأَعْطَوْا فَأَعْطَى، ثُمَّ قَامَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَأَعْطَى، ثُمَّ قَامَ الْمُهَاجِرُونَ فَأَعْطَوْا . قَالَ : فَأَشْرَقَ وَجْهُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَتَّى رَأَيْتُ الْإِشْرَاقَ فِي وَجْهِهِ، ثُمَّ قَالَ : مَنْ سَنَّ سُنَّةَ صَالِحَةٍ فِي الْإِسْلَامِ فَعَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ، كَانَ لَهُ مِثْلُ أُجُورِهِمْ مِنْ غَيْرِ أَنْ يُنْتَقَصَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْءٌ، وَمَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً فَعَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ، كَانَ عَلَيْهِ مِثْلُ أُوزَارِهِمْ مِنْ غَيْرِ أَنْ يُنْتَقَصَ مِنْ أُوزَارِهِمْ شَيْءٌ. ٣٥٣

وَعَنْ جَرِيرٍ، قَالَ : مَا حَجَبَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْذُ أُسْلِمْتُ، وَلَا رَأَيْتُ إِلَّا تَبَسَّمَ فِي وَجْهِهِ. ٣٥٤

ولا يخفى أثر ذلك الابتسام على جرير بن عبد الله رضي الله عنه وأرضاه .

وفي الفتح : " قوله : "باب التبسم والضحك" قال أهل اللغة: التبسم مبادئ الضحك، والضحك انبساط الوجه حتى تظهر الأسنان من السرور، فإن كان بصوت وكان بحيث يسمع من بعد فهو القهقهة وإلا فهو الضحك، وإن كان بلا صوت فهو التبسم، وتسمى الأسنان في مقدم الفم الضواحك وهي الثنايا والأنياب وما يليها وتسمى النواجذ.، وقال : ثم ذكر في الباب تسعة أحاديث تقدم أكثرها وفي جميعها ذكر التبسم أو الضحك، وأسبابها مختلفة لكن أكثرها للتعجب، وبعضها للإعجاب، وبعضها للملاطفة ٣٥٥

الخلاصة:

- (١) مراعاة القصد في الكلام - أثناء الشرح - والترسل فيه، والتوسط، لا سريع مفرط، ولا بطيء مخل.
- (٢) الغاية من التوسط في الكلام وعد السرد السريع، هو ضمان وصول المعلومات إلى ذهن الطالب بعيداً عن الإثارة والتشويش .

٣٥٣ - مسند أحمد (عالم الكتب) - (٦ / ٥٠٦) (١٩١٨٣) (١٩٣٩٧) - صحيح

٣٥٤ - صحيح ابن حبان - (١٦ / ١٧٥) (٧٢٠٠) وصحيح البخاري - المكثر - (٣٠٣٥) وصحيح مسلم - المكثر -

(٦٥١٩)

٣٥٥ - فتح الباري لابن حجر - (١٠ / ٥٠٤)

- (٣) تكلف الكلام حصلة ذميمة شرعاً وحساً وعقلاً .
- (٤) تكلف الكلام والإتيان بغرائبه، يوجب النفرة بين المعلم والمتعلم .
- (٥) رفع الصوت أثناء التعليم، وسيلة جيدة في جذب انتباه السامعين وفي الإنكار .
- (٦) قطع الشرح يسبب إرباكاً للطلاب، ويفسد على المعلم تسلسل أفكاره وورط بعضها ببعض .
- (٧) على المعلم أن يطلب من طلابه أن يؤخروا أسئلتهم إلى أن يفرغ من الشرح .
- (٨) السكوت أثناء الشرح له فوائد منها :جذب انتباه الطلاب، وتراد نفس المعلم، وترتيب الأفكار .
- (٩) تبادل النظر بين المعلم والمتعلم، عامل هام في سيطرة المعلم على طلابه، وفي فهم المتعلم لما يلقي إليه من مسائل وعلوم .
- (١٠) توظيف تعابير الوجه في التعليم، يساعد المعلم في تحقيق أغراضه .
- (١١) مراعاة اختلاف الطلاب، ومقدار تأثرهم بهذه الانفعالات، فإن بعضهم لا تجدي معه مثل هذه التعابير الظاهرة .

[٣] الأسلوب العملي في التعليم :

لا شك أن عرض المادة وتقديمها عن طريق الإلقاء، وسيلة جيدة في التحصيل والتعلم، ولكن هذه الوسيلة تبلغ ذروتها إذا انضاف إليها وسيلة أخرى، وهي الأسلوب العملي، فإذا اشترك الأسلوب النظري مع الأسلوب العملي في آن واحد أثناء التعليم، كان ذلك عاملاً قوياً في ترسيخ المعلومات في ذهن الطالب، ومثبت لها من النسيان . والأسلوب العملي قد يكون من جهة المعلم، وقد يكون من جهة المتعلم، أي أن الفعل قد يكون من المعلم، وقد يكون من المتعلم، وإليك بسطاً لكل منهما :

أ - الأسلوب العملي من قبل المعلم :

عن قَيْسِ بْنِ طَلْقٍ، عَنِ أَبِيهِ، أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّصَلِّي

أَحَدُنَا فِي الثُّوبِ الْوَاحِدِ؟ فَسَكَتَ حَتَّى إِذَا حَانَتْ صَلَاةُ الْعَصْرِ، طَاقَ بَيْنَ إِزَارِهِ وَبَيْنَ مِلْحَفَتِهِ، ثُمَّ تَوَشَّحَ بِهِمَا هَكَذَا، ثُمَّ صَلَّى بِهِمَا الْعَصْرَ، فَلَمَّا انْصَرَفَ قَالَ: «أَيْنَ السَّائِلُ عَنِ الصَّلَاةِ فِي الثُّوبِ الْوَاحِدِ؟» قَالَ الرَّجُلُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «أَوْ كُلُّ النَّاسِ يَجِدُ ثَوْبَيْنِ؟» ٣٥٦١ .

وَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ : أَنَّ جَبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَتَى النَّبِيَّ - ﷺ - يُعَلِّمُهُ الصَّلَاةَ، فَجَاءَهُ حِينَ زَالَتِ الشَّمْسُ فَتَقَدَّمَ جَبْرِيلُ وَرَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - خَلْفَهُ، وَالنَّاسُ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - فَصَلَّى الظُّهْرَ، ثُمَّ جَاءَهُ حِينَ صَارَ الظُّلُّ مِثْلَ قَامَةِ شَخْصِ الرَّجُلِ، فَتَقَدَّمَ جَبْرِيلُ وَرَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - خَلْفَهُ وَالنَّاسُ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - فَصَلَّى الْعَصْرَ، ثُمَّ جَاءَهُ حِينَ وَجَبَتِ الشَّمْسُ فَتَقَدَّمَ جَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَرَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - خَلْفَهُ وَالنَّاسُ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - فَصَلَّى الْمَغْرِبَ. ثُمَّ ذَكَرَ بَاقِيَ الْحَدِيثِ وَقَالَ فِيهِ : ثُمَّ أَتَاهُ الْيَوْمَ الثَّانِي جَاءَهُ حِينَ وَجَبَتِ الشَّمْسُ لَوْفَتٍ وَاحِدٍ، فَتَقَدَّمَ جَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَرَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - خَلْفَهُ وَالنَّاسُ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - فَصَلَّى الْمَغْرِبَ. قَالَ وَقَالَ فِي آخِرِهِ ثُمَّ قَالَ : مَا بَيْنَ الصَّلَاتَيْنِ وَقْتُ. قَالَ : فَسَأَلَ رَجُلٌ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - عَنِ الصَّلَاةِ فَصَلَّى بِهِمْ كَمَا صَلَّى بِهِ جَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، ثُمَّ قَالَ : « أَيْنَ السَّائِلُ عَنِ الصَّلَاةِ؟ مَا بَيْنَ الصَّلَاتَيْنِ وَقْتُ » ٣٥٧ .

وَقَالَ عَطَاءُ بْنُ أَبِي رَبَاحٍ : سَمِعْتُ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ، يُحَدِّثُ أَنَّ رَجُلًا، سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنِ وَقْتِ الصَّلَاةِ ؟ فَسَكَتَ عَنْهُ فَأَذَّنَ بِلَالٌ بِصَلَاةِ الظُّهْرِ حِينَ ذَلَّكَتِ الشَّمْسُ ، فَأَمَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَأَقَامَ الصَّلَاةَ فَصَلَّى ثُمَّ أَذَّنَ بِلَالٌ بِالْعَصْرِ حِينَ ظَنَّتُ أَنَّ ظِلَّ الرَّجُلِ قَدْ صَارَ أَطْوَلَ مِنْهُ فَأَمَرَهُ فَأَقَامَ الصَّلَاةَ ، فَصَلَّى ثُمَّ أَذَّنَ بِلَالٌ الْمَغْرِبَ حِينَ غَرَبَتِ الشَّمْسُ ، فَأَمَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَأَقَامَ الصَّلَاةَ فَصَلَّى ، ثُمَّ أَذَّنَ بِلَالٌ الْعِشَاءَ حِينَ ذَهَبَ بَيَاضُ التَّهَارِ ، وَهُوَ الشَّفَقُ ، فَأَمَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَأَقَامَ الصَّلَاةَ فَصَلَّى ، ثُمَّ أَذَّنَ بِلَالٌ الْفَجْرَ حِينَ طَلَعَ

٣٥٦ - المعجم الكبير للطبراني - (٧ / ٣٩٢) (٨١٧٤) ومسنده أحمد (عالم الكتب) - (٧ / ٨٦٥) (٢٢/٢٤٠٠٩)

٢٤٢٣٩ - صحيح لغيره

٣٥٧ - السنن الكبرى للبيهقي - حيدر آباد - (١ / ٣٦٨) (١٧٩٣) صحيح

الْفَجْرِ فَأَمَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَأَقَامَ الصَّلَاةَ فَصَلَّى ، ثُمَّ أَذَّنَ بِإِلَاحِ فِي الْيَوْمِ الثَّانِي الطُّهْرَ حِينَ دَلَّكَتِ الشَّمْسُ فَأَمَرَهُ النَّبِيُّ ﷺ فَأَقَامَ الصَّلَاةَ حِينَ ظَنَّ أَنَّ ظِلَّ الرَّجُلِ قَدْ صَارَ مِثْلَهُ ، ثُمَّ أَذَّنَ بِإِلَاحِ الْعَصْرِ فَأَخَّرَ النَّبِيُّ ﷺ حِينَ ظَنَّ أَنَّ ظِلَّ الرَّجُلِ قَدْ كَانَ مِثْلِيهِ ، ثُمَّ أَمَرَهُ فَأَقَامَ الصَّلَاةَ فَصَلَّى ، ثُمَّ أَذَّنَ بِإِلَاحِ لِلْمَغْرِبِ فَأَخَّرَ الصَّلَاةَ حِينَ كَانَ يَذْهَبُ بِيَاضِ النَّهَارِ ، وَهُوَ أَوَّلُ الشَّفَقِ ، ثُمَّ أَمَرَهُ فَأَقَامَ الصَّلَاةَ فَصَلَّى ، ثُمَّ أَذَّنَ بِإِلَاحِ الْعِشَاءِ حِينَ ذَهَبَ بِيَاضِ النَّهَارِ ، وَهُوَ الشَّفَقُ ، فَمِنَّا ثُمَّ قَمْنَا مَرَارًا ، ثُمَّ خَرَجَ إِلَيْنَا فَقَالَ : إِنَّ النَّاسَ قَدْ صَلُّوا ، قَدْ نَامُوا ، وَإِنَّكُمْ لَنْ تَزَالُوا فِي صَلَاةٍ مَا أَنْتُمْ فِي الصَّلَاةِ ، لَوْلَا أَنْ يَشُقَّ عَلَيَّ أُمَّتِي لِأَخَّرْتُ الصَّلَاةَ إِلَى هَذَا الْوَقْتِ فَصَلَّى قَبْلَ أَنْ يَنْتَصِفَ اللَّيْلُ ، ثُمَّ أَذَّنَ الْفَجْرَ حِينَ طَلَعَ الْفَجْرُ فَأَخَّرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى أَسْفَرَ ، وَرَأَى الرَّائِي نَبْلَهُ ، ثُمَّ أَمَرَهُ فَأَقَامَ الصَّلَاةَ فَصَلَّى ، ثُمَّ قَالَ : أَيَسْنَ السَّائِلُ عَنْ وَقْتِ الصَّلَاةِ ؟ فَقَالَ : هَا أَنَا ذَا يَا رَسُولَ اللَّهِ ، فَقَالَ : الْوَقْتُ فِيمَا بَيْنَ هَذَيْنِ الْوَقْتَيْنِ ٣٥٨١١

وَعَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ بُرَيْدَةَ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ : أَتَى النَّبِيَّ ﷺ رَجُلٌ، فَسَأَلَهُ عَنْ وَقْتِ الصَّلَاةِ، فَقَالَ : صَلِّ مَعَنَا هَذَيْنِ الْوَقْتَيْنِ، فَلَمَّا زَالَتِ الشَّمْسُ، صَلَّى الطُّهْرَ، ثُمَّ صَلَّى الْعَصْرَ وَالشَّمْسُ مُرْتَفَعَةٌ بِيَاضِ حَيَّةٍ، وَصَلَّى الْمَغْرِبَ حِينَ غَابَتِ الشَّمْسُ، وَصَلَّى الْعِشَاءَ حِينَ غَابَ الشَّفَقُ، وَصَلَّى الْفَجْرَ بَعْلَسَ، فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْعَدَا أَمَرَ بِإِلَاحِ بِالطُّهْرِ، فَأَنْعَمَ أَنْ يُبْرَدَ بِهَا، وَأَمَرَهُ فَأَقَامَ الْعَصْرَ وَالشَّمْسُ حَيَّةٌ آخِرَهَا فَوْقَ الَّذِي كَانَ أَوَّلَ مَرَّةٍ، وَأَمَرَهُ فَأَقَامَ الْمَغْرِبَ قَبْلَ مَغِيبِ الشَّفَقِ، وَأَمَرَهُ فَأَقَامَ الْعِشَاءَ بَعْدَمَا ذَهَبَ ثُلُثُ اللَّيْلِ، وَأَمَرَهُ فَأَقَامَ الْفَجْرَ، فَاسْفَرَ بِهَا، ثُمَّ قَالَ : أَيَسْنَ السَّائِلُ عَنْ وَقْتِ الصَّلَاةِ ؟ قَالَ : أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ : وَقْتُ صَلَاتِكُمْ بَيْنَ مَا رَأَيْتُمْ. ٣٥٩١١

وَعَنْ أَبِي بَكْرٍ بْنِ أَبِي مُوسَى سَمِعْتُهُ مِنْهُ عَنْ أَبِيهِ : أَنَّ سَائِلًا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ - فَسَأَلَهُ عَنْ مَوَاقِيتِ الصَّلَاةِ، فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيْهِ شَيْئًا، ثُمَّ أَمَرَ بِإِلَاحِ فَأَقَامَ حِينَ انْشَقَّ الْفَجْرُ فَصَلَّى، ثُمَّ أَمَرَهُ فَأَقَامَ الطُّهْرَ وَالْقَائِلُ يَقُولُ قَدْ زَالَتِ الشَّمْسُ أَوْ لَمْ تَزَلْ، وَهُوَ كَانَ أَعْلَمَ مِنْهُمْ، ثُمَّ أَمَرَهُ فَأَقَامَ

٣٥٨ - مسند الشاميين ٣٦٠ - (٢ / ٥٣) (٩٠٧) صحيح لغيره

٣٥٩ - صحيح ابن حبان - (٤ / ٣٥٩) (١٤٩٢) صحيح

العَصْرَ وَالشَّمْسُ مُرْتَفِعَةً، ثُمَّ أَمَرَهُ فَأَقَامَ الْمَغْرِبَ حِينَ وَقَعَتِ الشَّمْسُ، ثُمَّ أَمَرَهُ فَأَقَامَ الْعِشَاءَ عِنْدَ سُقُوطِ الشَّفَقِ قَالَ ثُمَّ صَلَّى الْفَجْرَ مِنَ الْعَدِ وَالْقَائِلُ يَقُولُ قَدْ طَلَعَتِ الشَّمْسُ أَوْ لَمْ تَطْلُعْ، وَهُوَ كَانَ أَعْلَمُ مِنْهُمْ، وَصَلَّى الظُّهْرَ قَرِيبًا مِنْ وَقْتِ الْعَصْرِ بِالْأَمْسِ، وَصَلَّى الْعَصْرَ وَالْقَائِلُ يَقُولُ قَدْ احْمَرَّتِ الشَّمْسُ وَصَلَّى الْمَغْرِبَ قَبْلَ أَنْ يَغِيبَ الشَّفَقُ، وَصَلَّى الْعِشَاءَ ثَلَاثَ اللَّيْلِ الْأَوَّلِ، ثُمَّ قَالَ: «أَيْنَ السَّائِلُ عَنِ الْوَقْتِ، مَا بَيْنَ هَذَيْنِ الْوَقْتَيْنِ وَقْتُ» ٣٦٠.

وَعَنْ زُرِّ بْنِ حُبَيْشٍ: أَنَّهُ سَمِعَ عَلِيًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَسُئِلَ عَنْ وُضُوءِ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - فَأَرَأَى الْمَاءَ فِي الرَّحْبَةِ، ثُمَّ قَالَ: أَيْنَ السَّائِلُ عَنِ وُضُوءِ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ -؟ فَغَسَلَ يَدَيْهِ ثَلَاثًا وَوَجْهَهُ ثَلَاثًا وَذِرَاعَيْهِ ثَلَاثًا، وَمَسَحَ بِرَأْسِهِ حَتَّى أَلَمَ أَنْ يَقْطُرَ، وَغَسَلَ رِجْلَيْهِ ثَلَاثًا ثَلَاثًا، ثُمَّ قَالَ: هَكَذَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - يَتَوَضَّأُ. ٣٦١.

وَعَنْ أَنَسٍ، قَالَ: أَتَى النَّبِيَّ ﷺ رَجُلٌ فَسَأَلَهُ عَنِ وَقْتِ صَلَاةِ الْفَجْرِ، فَلَمَّا أَصْبَحْنَا مِنَ الْعَدِ أَمَرَ حِينَ انْشَقَّ الْفَجْرُ أَنْ تُقَامَ الصَّلَاةُ، فَلَمَّا كَانَ الْعَدُ آخِرَهَا حَتَّى أَسْفَرَ، ثُمَّ أَمَرَ فَأُقِيمَتِ الصَّلَاةُ، فَصَلَّى بِنَا، ثُمَّ قَالَ: أَيْنَ السَّائِلُ عَنِ وَقْتِ الصَّلَاةِ؟ مَا بَيْنَ هَذَيْنِ وَقْتُ ٣٦٢.

وَعَنْ عَمْرِو بْنِ مَيْمُونٍ، قَالَ: سَأَلْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو عَنِ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ؟ فَسَكَتَ حَتَّى إِذَا تَهَبَّطَ أَيْدِي رَوَاحِلِنَا بِالْمُزْدَلِفَةِ، قَالَ: أَيْنَ السَّائِلُ عَنِ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ؟ هَذَا الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ. ٣٦٣.

وَعَنْ أَبِي حَازِمٍ بْنِ دِينَارٍ أَنَّ رَجُلًا أَتَوْا سَهْلَ بْنَ سَعْدِ السَّاعِدِيِّ، وَقَدْ امْتَرَوْا فِي الْمَنَبْرِ مِمَّ عُوْدُهُ فَسَأَلُوهُ عَنِ ذَلِكَ فَقَالَ وَاللَّهِ إِنِّي لِأَعْرِفُ مِمَّا هُوَ، وَلَقَدْ رَأَيْتُهُ أَوَّلَ يَوْمٍ وَضِعَ، وَأَوَّلَ يَوْمٍ جَلَسَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - أَرْسَلَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - إِلَى فُلَانَةٍ - امْرَأَةٍ قَدْ سَمَّاهَا سَهْلٌ - «مُرِي غُلَامَكَ التَّجَارَ أَنْ يَعْمَلَ لِي أَعْوَادًا أَجْلِسُ عَلَيْهِنَّ إِذَا كَلَّمْتُ النَّاسَ». فَأَمَرْتُهُ فَعَمَلَهَا مِنْ طَرْفَاءِ الْعَابَةِ ثُمَّ جَاءَ بِهَا، فَأَرْسَلْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - فَأَمَرَ

٣٦٠ - السنن الكبرى للبيهقي - المكتز - (١ / ٣٦٦) (١٧٨٦) صحيح ، واصله في مسلم

٣٦١ - السنن الكبرى للبيهقي - حيدر آباد - (١ / ٧٤) (٣٥٥) صحيح

٣٦٢ - مسند أبي يعلى الموصلي (٣٨٠١) صحيح

٣٦٣ - مصنف ابن أبي شيبة - (٨ / ٥٤٤) (١٤٩٨٢) صحيح

بِهَا فَوَضِعَتْ هَا هُنَا، ثُمَّ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ - صَلَّى عَلَيْهَا، وَكَبَّرَ وَهُوَ عَلَيْهَا، ثُمَّ رَكَعَ وَهُوَ عَلَيْهَا، ثُمَّ نَزَلَ الْقَهْقَرَى فَسَجَدَ فِي أَصْلِ الْمَنْبَرِ ثُمَّ عَادَ، فَلَمَّا فَرَغَ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ فَقَالَ « أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا صَنَعْتُ هَذَا لِتَأْتُمُّوا وَلِتَعْلَمُوا صَلَاتِي »^{٣٦٤}.

وَعَنْ أَنَسٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ - رَأَى نُخَامَةً فِي الْقِبْلَةِ، فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَيْهِ حَتَّى رُمِيَ فِي وَجْهِهِ، فَقَامَ فَحَكَهُ بِيَدِهِ فَقَالَ « إِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا قَامَ فِي صَلَاتِهِ، فَإِنَّهُ يُنَاجِي رَبَّهُ - أَوْ إِنْ رَبَّهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْقِبْلَةِ^{٣٦٥} - فَلَا يَبْزُقَنَّ أَحَدُكُمْ قِبَلَ قِبْلَتِهِ، وَلَكِنْ عَنْ يَسَارِهِ، أَوْ تَحْتَ قَدَمَيْهِ ». ثُمَّ أَخَذَ طَرَفَ رِدَائِهِ فَبَصَقَ فِيهِ، ثُمَّ رَدَّ بَعْضَهُ عَلَى بَعْضٍ، فَقَالَ « أَوْ يَفْعَلْ هَكَذَا »^{٣٦٦}.

قوله: "ثم أخذ طرف رداءه الخ" فيه البيان بالفعل ليكون أوقع في نفس السامع^{٣٦٧}

وَعَنْ حُمْرَانَ بْنِ أَبَانَ، قَالَ: " رَأَيْتُ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَتَوَضَّأُ، فَأَفْرَغَ عَلَى يَدَيْهِ ثَلَاثًا فَعَسَلَهُمَا، ثُمَّ تَمَضَّمَضَ، وَاسْتَنْشَقَ، وَعَسَلَ وَجْهَهُ ثَلَاثًا، ثُمَّ غَسَلَ يَدَهُ الْيُمْنَى ثَلَاثًا، ثُمَّ الْيُسْرَى مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ مَسَحَ يَدَهُ بِرَأْسِهِ، ثُمَّ غَسَلَ قَدَمَهُ الْيُمْنَى ثَلَاثًا، ثُمَّ الْيُسْرَى مِثْلَ ذَلِكَ "، ثُمَّ قَالَ: " رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَتَوَضَّأُ نَحْوَ وَضُوءِي هَذَا "، ثُمَّ قَالَ: " مَنْ تَوَضَّأَ مِثْلَ وَضُوءِي هَذَا ثُمَّ صَلَّى رَكَعَتَيْنِ لَا يُحَدِّثُ فِيهِمَا بِشَيْءٍ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ "

٣٦٨

قال ابن حجر: " وفي الحديث التعليم بالفعل لكونه أبلغ وأضبط للمتعلم^{٣٦٩}

والأمثلة كثيرة في هذا الباب، وفيما سبق غنية عن الإطالة. فعلى المعلم أن يعتني بهذا الأسلوب فإنه ناجع ومفيد. وزيادة على ما مضى فإن هذا الأسلوب يختصر المسافة على

^{٣٦٤} - صحيح البخارى - المكثر - (٩١٧)

^{٣٦٥} - قال الخطابي: معناه أن توجهه إلى القبلة مفض بالقصد منه إلى ربه فصار في التقدير: فإن مقصوده بينه وبين قبلته.

وقيل هو على حذف مضاف أي عظمة الله أو ثواب الله. وقال ابن عبد البر: هو كلام خرج على التعظيم لشأن

القبلة. فتح الباري لابن حجر - (١ / ٥٠٨)

^{٣٦٦} - صحيح البخارى - المكثر - (٤٠٥)

^{٣٦٧} - فتح الباري لابن حجر - (١ / ٥٠٩)

^{٣٦٨} - شعب الإيمان - (٤ / ٢٤٤) (٢٤٦٤) وصحيح البخارى - المكثر - (١٥٩) وصحيح مسلم - المكثر - (٥٦١)

^{٣٦٩} - فتح الباري لابن حجر - (١ / ٢٦١) وعون المعبود - (١ / ١٣٠)

المعلم في ضرب الأمثلة، ويوفر الوقت والجهد، فبدلاً من أن يحفظهم صفة الوضوء - مثلاً - ويستهلك وقتاً طويلاً في تعليمهم، يكفيه أن يحضر الماء ويطبقه عملياً أمامهم ثم يجعلهم يفعلون ذلك عملياً بتطبيق ما شاهدوه من معلمهم على أنفسهم . وكذلك الأمر في تعليم الصلاة ونحوها .

وعلى المعلم أن يتذكر أن استخدام الأسلوب العملي في التعليم لا يتأتى لكل مادة علمية، ولكن عليه أن يبذل جهده في استخدام هذا الأسلوب أثناء أدائه لمهمته التعليمية، فإنه مجرب ومفيد في حفظ المعلومات واستدامتها في الذهن .

ب - الأسلوب العملي من قبل المتعلم :

فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، دَخَلَ الْمَسْجِدَ، فَدَخَلَ رَجُلٌ فَصَلَّى ثُمَّ جَاءَ فَجَلَسَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : ارْجِعْ فَصَلِّ فَإِنَّكَ لَمْ تُصَلِّ حَتَّىٰ فَعَلَ ذَلِكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَقَالَ الرَّجُلُ : وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ مَا أَعْرِفُ غَيْرَ هَذَا، فَعَلَّمَنِي، قَالَ : إِذَا قُمْتَ إِلَى الصَّلَاةِ، فَكَبِّرْ، وَأَقْرَأْ مَا تَيَسَّرَ مَعَكَ مِنَ الْقُرْآنِ، ثُمَّ ارْكَعْ حَتَّىٰ تَطْمَئِنَّ رَاكِعًا، ثُمَّ ارْفَعْ حَتَّىٰ تَعْتَدِلَ قَائِمًا، ثُمَّ اسْجُدْ حَتَّىٰ تَطْمَئِنَّ سَاجِدًا، ثُمَّ ارْفَعْ حَتَّىٰ تَطْمَئِنَّ جَالِسًا، وَأَفْعَلْ ذَلِكَ فِي صَلَاتِكَ كُلِّهَا. ۳۷۰

فهذا الحديث فيه تعليم الرسول ﷺ، لذلك الذي أساء في صلاته ولم يحسن فيها، بأسلوب عملي يجعل المتعلم يكتشف الخطأ الذي وقع فيه بنفسه، وذلك يتبين من رد النبي ﷺ، لذلك المصلي ثلاث مرات، لعله يكتشف سبب أمر النبي ﷺ له بإعادة الصلاة .

" فَإِنْ قِيلَ : لِمَ سَكَتَ النَّبِيُّ ﷺ عَنْ تَعْلِيمِهِ أَوَّلًا حَتَّىٰ افْتَقَرَ إِلَى الْمُرَاجَعَةِ كَرَّةً بَعْدَ أُخْرَىٰ ؟ قُلْنَا : لِأَنَّ الرَّجُلَ لَمَّا لَمْ يَسْتَكْشِفِ الْحَالَ مُعْتَرًّا بِمَا عِنْدَهُ سَكَتَ عَنْ تَعْلِيمِهِ زَجْرًا لَهُ

۳۷۰ - صحيح ابن حبان - (۵ / ۲۱۲) (۱۸۹۰) وصحيح البخارى - المكثر - (۷۵۷) وصحيح مسلم - المكثر -

(۹۱۱)

قَالَ أَبُو حَاتِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : قَوْلُهُ ﷺ : وَأَقْرَأْ مَا تَيَسَّرَ مَعَكَ مِنَ الْقُرْآنِ ، يُرِيدُ فَاتِحَةَ الْكِتَابِ ، وَقَوْلُهُ : ارْجِعْ فَصَلِّ ، فَإِنَّكَ لَمْ تُصَلِّ ، نَفَى الصَّلَاةَ عَنْ هَذَا الْمُصَلِّي ؛ لِنَقْصِهِ عَنْ حَقِيقَةِ إِثْبَانِ مَا كَانَ عَلَيْهِ مِنْ فَرَضِهَا ، لِأَنَّهُ لَمْ يُصَلِّ ، فَلَمَّا كَانَ فِعْلُهُ نَاقِصًا عَنْ حَالَةِ الْكَمَالِ ، نَفَى عَنْهُ الْإِسْمَ بِالْكَلْبَةِ .

وإرشادًا إلى أنه ينبغي أن يستكشف ما استبهم عليه، فلما طلب كشف الحال بينه بحسن المقال . قاله ابن الملك في شرح المشرق . قال القاري : واستشكل تقريره عليه السلام على صلته وهي فاسدة ثلاث مرات على القول بأن النفي للصحة، وأجيب بأنه أراد استدراجه بفعل ما جهله مرات لاحتمال أن يكون فعله ناسيًا أو غافلًا فيتذكر فيفعله من غير تعليم، فليس من باب التقرير على الخطأ بل من باب تحقق الخطأ، أو بأنه لم يعلمه أو لا ليكون أبلغ في تعريفه وتعريف غيره وتفضيم الأمر وتعظيمه عليه . وقال ابن دقيق العيد : لا شك في زيادة قبول المتعلم لما يلقي إليه بعد تكرار فعله واستجماع نفسه وتوجهه سؤاله مصلحة مانعة من وجوب المبادرة إلى التعليم لا سيما مع عدم خوف " ٣٧١

وقال النووي : " وإنما لم يعلمه أولًا ليكون أبلغ في تعريفه وتعريف غيره بصفة الصلاة المجزئة كما أمرهم بالإحرام بالحج ثم بفسخه إلى العمرة ليكون أبلغ في تقرير ذلك عندهم . والله أعلم . " ٣٧٢ .

وعن أنس بن مالك أن رجلاً، سأل رسول الله ﷺ عن وقت صلاة الفجر فقال : " صل معنا غداً فصلى بنا رسول الله ﷺ بغلس فلما كان من الغد أسفر ثم قال : " أين السائل عن وقت هذه الصلاة ؟ " فقال الرجل هأنذا يا رسول الله فقال رسول الله ﷺ : " أليس قد شهدت معنا أمس واليوم ؟ " قال : بلى قال : فما بينهما وقت " ٣٧٣

قال ابن عبد البر ٣٧٤ : " وقد يكون البيان بالفعل أثبت أحياناً فيما فيه عمل من القول، لحديث ابن عباس، قال : قال رسول الله ﷺ : ليس الخبر كالمعاينة، إن الله عز وجل أخبر موسى بما صنع قومه في العجل، فلم يلق الألواح، فلما عاين ما صنعوا، ألقى

٣٧١ - عون المعبود - (٢ / ٣٥٦)

٣٧٢ - شرح النووي على مسلم - (٢ / ١٣٢) وفتح الباري لابن حجر - (٢ / ٢٨١) وعمدة القاري شرح صحيح

البخاري - (٦ / ٦٥٧)

٣٧٣ - التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد - (٤ / ٣٣٢) وبغية الباحث عن زوائد مسند الحارث - (١١٥)

صحيح

٣٧٤ - التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد - (٤ / ٣٣٤)

(ج) عن طريق المعلم والمتعلم

عَنْ يَعْلَى بْنِ شَدَّادٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي شَدَّادُ بْنُ أَوْسٍ، وَعَبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ، حَاضِرٌ يُصَدِّقُهُ قَالَ: كُنَّا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: هَلْ فِيكُمْ غَرِيبٌ؟ يَعْنِي أَهْلَ الْكِتَابِ. فَقُلْنَا: لَا يَا رَسُولَ اللَّهِ. فَأَمَرَ بَعْلُقَ الْبَابِ، وَقَالَ: ارْفَعُوا أَيْدِيَكُمْ، وَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فَرَفَعْنَا أَيْدِيَنَا سَاعَةً، ثُمَّ وَضَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدَهُ، ثُمَّ قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ، اللَّهُمَّ بَعَثْ نَبِيَّ بِهَذِهِ الْكَلِمَةِ، وَأْمُرْ نَبِيَّ بِهَا، وَوَعِدْ نَبِيَّ عَلَيْهَا الْجَنَّةَ، وَإِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ ثُمَّ قَالَ: أَبْشِرُوا، فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ غَفَرَ لَكُمْ. " ٣٧٦

وعن يعلى بن شداد بن أوس، عن أبيه، قال: إني لمع رسول الله ﷺ في بيت رجل من أصحابه، فقال: "انظروا هل فيكم من غيركم؟"، فقالوا: لا، فقال: "أحف الباب"، فأغلق الباب، ثم قال: "ارفعوا أيديكم، وقولوا: لا إله إلا الله"، فرفع رسول الله ﷺ، فرفعنا أيدينا، ثم قال: "ضعوا أيديكم وأبشروا، فقد غفر لكم، إني بعثت بها، وبها أمرت، وعليها أدخل الجنة". " ٣٧٧

ونلاحظ في هذا الخبر اشتراك الكل في الفعل، فهو ﷺ يريد أن يعلمهم عمليا هو وإياهم .

الخلاصة:

- (١) الجمع بين الأسلوب النظري والأسلوب العملي في التعليم، من الوسائل النافعة في التربية والتعليم .
- (٢) هذه الطريقة تختصر الطريق على المعلم، وتوفر الوقت والجهد.
- (٣) إشراك الطلاب في التطبيق العملي، لكي تتم الفائدة .
- (٤) على المعلم أن يجعل طلابه يكتشفون الخطأ بأنفسهم، كأن يعيد المعلم كراسة الواجبات إلى الطالب بدون تصحيح لكي يعيد النظر فيها ويكتشف الخطأ بنفسه .

٣٧٥ - صحيح ابن حبان - (١٤ / ٩٦) (٦٢١٣) ومسند أحمد (عالم الكتب) - (١ / ٧٠٥) (٢٤٤٧) صحيح

٣٧٦ - مسند أحمد (عالم الكتب) - (٥ / ٨٣٥) (١٧١٢١) ١٧٢٥١ - حسن

٣٧٧ - المعجم الكبير للطبراني - (٦ / ٤٤٦) (٧٠١٧) حسن

(٥) ممارسة الشيء وتطبيقه، عامل قوي في حفظ المعلومة وصيانتها عن النسيان .

[٤] عرض المادة العلمية بأسلوب يناسب عقل الطالب وفهمه :

تختلف العقول والمدارك، من شخص لآخر، ومن جماعة لأخرى، وذلك أمر بين وواضح، ويدلك على ذلك أن الطلاب في الفصل الواحد يختلفون في سرعة الاستجابة لأستئلة المطروحة، وفي الفهم، ولعل حديث أبي سعيد الخدري المروي في الصحيحين وغيرهما يجلي لنا الأمر :
فَعَنْ أَبِي سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - جَلَسَ عَلَى الْمِنْبَرِ فَقَالَ « إِنَّ عَبْدًا خَيْرُهُ اللَّهُ بَيْنَ أَنْ يُؤْتِيَهُ مِنْ زَهْرَةِ الدُّنْيَا مَا شَاءَ، وَيَبِينَ مَا عِنْدَهُ، فَاخْتَارَ مَا عِنْدَهُ ». فَبَكَى أَبُو بَكْرٍ وَقَالَ فَدَيْتَاكَ يَا بَائِنَا وَأُمَّهَاتِنَا . فَعَجَبْنَا لَهُ، وَقَالَ النَّاسُ انظُرُوا إِلَى هَذَا الشَّيْخِ، يُخْبِرُ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - عَنْ عَبْدِ خَيْرِهِ اللَّهُ بَيْنَ أَنْ يُؤْتِيَهُ مِنْ زَهْرَةِ الدُّنْيَا وَيَبِينَ مَا عِنْدَهُ وَهُوَ يَقُولُ فَدَيْتَاكَ يَا بَائِنَا وَأُمَّهَاتِنَا . فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - هُوَ الْمُخَيَّرَ، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ هُوَ أَعْلَمَنَا بِهِ . وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - « إِنَّ مِنْ أَمْنِ النَّاسِ عَلَيَّ فِي صُحْبَتِهِ وَمَالِهِ أَبُو بَكْرٍ، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا مِنْ أُمَّتِي لَأَتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ، إِلَّا خَلَّةَ الْإِسْلَامِ، لَا يَبْقَيْنَ فِي الْمَسْجِدِ خَوْخَةٌ إِلَّا خَوْخَةٌ أَبِي بَكْرٍ »^{٣٧٨}

قال النووي : " كَانَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَلِمَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ هُوَ الْعَبْدُ الْمُخَيَّرُ، فَبَكَى حُزْنًا عَلَى فِرَاقِهِ، وَأَنْقَطَعَ الْوَحْيُ، وَغَيْرُهُ مِنَ الْخَيْرِ دَائِمًا . وَإِنَّمَا قَالَ ﷺ : (إِنَّ عَبْدًا) وَأَبْهَمَهُ، لِيَنْظُرَ فَهَمُ أَهْلِ الْمَعْرِفَةِ، وَنَبَاهَةُ أَصْحَابِ الْحَدِيثِ . " ^{٣٧٩}

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية " كَانَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَقْرَبَ النَّاسِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَأَوْلَاهُمْ بِهِ وَأَعْلَمَهُمْ بِمُرَادِهِ لِمَا يَسْأَلُونَهُ عَنْهُ فَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَتَكَلَّمُ بِالْكَلَامِ الْعَرَبِيِّ الَّذِي يَفْهَمُهُ الصَّحَابَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَيَزِدَادُ الصِّدِّيقُ بِفَهْمِ آخِرِ يُوَافِقُ مَا فَهَمُوهُ وَيَزِيدُ

^{٣٧٨} - صحيح البخارى- المكثر - (٣٩٠٤) وصحيح مسلم- المكثر - (٦٣٢٠) - الخوخة : الباب الصغير

^{٣٧٩} - شرح النووي على مسلم - (٨ / ١٢٠)

عَلَيْهِمْ وَلَا يُخَالَفُهُ . ثم ذكر حديث أبي سعيد ثم قال : " فَالْتَبِيُّ ﷺ ذَكَرَ عَبْدًا مُطْلَقًا وَهَذَا كَلَامٌ عَرَبِيٌّ لَا لُغْزَ فِيهِ فَفَهَمَ الصَّدِيقُ لِقُوَّةَ مَعْرِفَتِهِ بِمَقَاصِدِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ هُوَ الْعَبْدُ الْمُخَيَّرُ وَمَعْرِفَةٌ أَنَّ الْمُطْلَقَ هَذَا الْمُعَيَّنَ خَارِجٌ عَنِ دَلَالَةِ اللَّفْظِ لَكِنْ يُوَافِقُهُ وَلَا يُخَالَفُهُ ؛ وَلِهَذَا قَالَ أَبُو سَعِيدٍ : كَانَ أَبُو بَكْرٍ أَعْلَمَنَا بِهِ . " ٣٨٠

وقال في موضع آخر : " فَكَانَ أَبُو بَكْرٍ هُوَ أَعْلَمُهُمْ بِمُرَادِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَمَقَاصِدِهِ فِي كَلَامِهِ ؛ وَإِنْ كَانُوا كُلُّهُمْ مُشْتَرِكِينَ فِي فَهْمِهِ " ٣٨١

ثم إن المقدرة على إيصال المعلومات إلى ذهن الطالب، تختلف قوة وضعفاً من وسيلة لأخرى، ومن هذه الوسائل، طريقة الشرح، شرح المادة المراد تدريسها، وهذه الطريقة تعد من أفضل الطرق في الإفصاح والكشف عن مراد المعلم، ولذا كان من المهم جداً أن يعرف المعلم مستوى طلابه العقلي، لأن ذلك يساعد على تحديد أسلوبه في عرض المواد العلمية، وتلخيصها بما يوفق عقولهم ومداركهم . ويوضح ذلك الآثار التالية :

فَعَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - قَالَتْ سَأَلْتُ النَّبِيَّ - ﷺ - عَنِ الْجَدْرِ أَمِنَ الْبَيْتِ هُوَ قَالَ « نَعَمْ » . قُلْتُ فَمَا لَهُمْ لَمْ يُدْخِلُوهُ فِي الْبَيْتِ قَالَ « إِنَّ قَوْمَكَ فَصَّرَتْ بِهِمُ النَّفَقَةُ » . قُلْتُ فَمَا شَأْنُ بَابِهِ مُرْتَفِعًا قَالَ « فَعَلَّ ذَلِكَ قَوْمَكَ لِيُدْخِلُوا مَنْ شَاءُوا وَيَمْنَعُوا مَنْ شَاءُوا، وَلَوْ لَا أَنَّ قَوْمَكَ حَدِيثٌ عَهْدُهُمْ بِالْجَاهِلِيَّةِ فَأَخَافُ أَنْ تُنْكَرَ قُلُوبُهُمْ أَنْ أُدْخَلَ الْجَدْرَ فِي الْبَيْتِ وَأَنْ أُلْصِقَ بَابَهُ بِالْأَرْضِ » ٣٨٢ .

فالنبي ﷺ ترك بناء الكعبة على أساسها الذي بناها عليه إبراهيم عليه السلام، من أجل الأمن من الوقوع في المفسدة، والمفسدة " لِأَنَّ قُرَيْشًا كَانَتْ تُعْظِمُ أَمْرَ الْكَعْبَةِ جِدًّا، فَخَشِيَ ﷺ أَنْ يَظُنُّوا لِلْأَجْلِ قُرْبَ عَهْدِهِمْ بِالْإِسْلَامِ أَنَّهُ غَيْرَ بِنَاءِهَا لِيَنْفَرِدَ بِالْفَخْرِ عَلَيْهِمْ فِي ذَلِكَ، وَيُسْتَفَادَ مِنْهُ تَرْكُ الْمَصْلَحَةِ لِأَمْنِ الْوُقُوعِ فِي الْمَفْسَدَةِ، وَمِنْهُ تَرَكَ إِنْكَارَ الْمُنْكَرِ خَشْيَةَ الْوُقُوعِ فِي أَنْكَرِ مِنْهُ، وَأَنَّ الْإِمَامَ يَسُوسُ رَعِيَّتَهُ بِمَا فِيهِ إِصْلَاحُهُمْ وَلَوْ كَانَ مَفْضُولًا مَا لَمْ

٣٨٠ - مجموع فتاوى ابن تيمية - (٢ / ٤٦٠)

٣٨١ - مجموع الفتاوى لابن تيمية - (٢ / ٢١٧)

٣٨٢ - صحيح البخاري - المكثر - (١٥٨٤) وصحيح مسلم - المكثر - (٣٣١٣)

يَكُنْ مُحَرَّمًا. ٣٨٣ فانظر رعاك الله كيف ترك النبي ﷺ أمراً عظيماً كهذا، خشية أن تقصر أفهامهم عن إدراك الأمر على وجهه.

وفي الموسوعة الفقهية :

" يَنْبَغِي لِلْمُفْتِي مِرَاعَاةَ أَحْوَالِ الْمُسْتَفْتِي، وَلِذَلِكَ وَجُودُهُ، مِنْهَا :

أ- إِذَا كَانَ الْمُسْتَفْتِي بَطِيءَ الْفَهْمِ، فَعَلَى الْمُفْتِي التَّرْفُقُ بِهِ وَالصَّبْرُ عَلَى تَفْهَمِ سُؤَالِهِ وَتَفْهِيمِ جَوَابِهِ. ٣٨٤

ب - إِذَا كَانَ بِحَاجَةٍ إِلَى تَفْهِيمِهِ أُمُورًا شَرْعِيَّةً لَمْ يَتَطَرَّقْ إِلَيْهَا فِي سُؤَالِهِ، فَيَنْبَغِي لِلْمُفْتِي بَيَانُهَا لَهُ زِيَادَةً عَلَى جَوَابِ سُؤَالِهِ، نُصْحًا وَإِرْشَادًا، وَقَدْ أَخَذَ الْعُلَمَاءُ ذَلِكَ مِنْ حَدِيثِ أَنَّ بَعْضَ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا نَرَكِبُ الْبَحْرَ وَنَحْمِلُ مَعَنَا الْقَلِيلَ مِنَ الْمَاءِ فَإِنْ تَوَضَّأْنَا بِهِ عَطِشْنَا أَفْتَوَضُّا بِهِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - « هُوَ الطَّهُورُ مَاؤُهُ الْحَلُّ مَيْتُهُ » ٣٨٥

وَلِلْمُفْتِي أَنْ يَعْدِلَ عَنِ جَوَابِ السُّؤَالِ إِلَى مَا هُوَ أَنْفَعُ، وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى : { يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِللَّهِ وَاللَّذِينَ فِي الْأَقْرَابِ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ } (٢١٥) سورة البقرة. فَقَدْ سَأَلَ النَّاسُ النَّبِيَّ ﷺ عَنِ الْمُنْفِقِ فَأَجَابَهُمْ بِذِكْرِ الْمَصْرِفِ إِذْ هُوَ أَهَمُّ مِمَّا سَأَلُوا عَنْهُ. ٣٨٦

ج - أَنْ يَسْأَلَهُ الْمُسْتَفْتِي عَمَّا هُوَ بِحَاجَةٍ إِلَيْهِ فَيُفْتِيهِ بِالْمَنْعِ، فَيَنْبَغِي أَنْ يَدُلَّهُ عَلَى مَا هُوَ عَوْضٌ مِنْهُ، كَالطَّبِيبِ الْحَاقِقِ إِذَا مَنَّعَ الْمَرِيضَ مِنْ أَغْذِيَةٍ تَضُرُّهُ يَدُلُّهُ عَلَى أَغْذِيَةٍ تَنْفَعُهُ. ٣٨٧

د - أَنْ يُسْأَلَ عَمَّا لَمْ يَقَعْ، وَتَكُونُ الْمَسْأَلَةُ اجْتِهَادِيَّةً، فَيَتْرُكُ الْجَوَابَ إِشْعَارًا لِلْمُسْتَفْتِي بِأَنَّهُ يَنْبَغِي لَهُ السُّؤَالُ عَمَّا يَعْنِيهِ مِمَّا لَهُ فِيهِ نَفْعٌ وَوَرَاءَهُ عَمَلٌ، لِحَدِيثِ : « إِنَّ اللَّهَ كَرِهَ لَكُمْ ثَلَاثًا قِيلَ وَقَالَ، وَإِضَاعَةَ الْمَالِ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ » ٣٨٨ .

٣٨٣ - فتح الباري لابن حجر - (١ / ٢٠١)

٣٨٤ - المجموع للنووي ١ / ٤٨ .

٣٨٥ - موطأ مالك (٤٢) صحيح

٣٨٦ - إعلام الموقعين ٤ / ١٥٨ .

٣٨٧ - إعلام الموقعين ٤ / ١٥٩ .

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا : مَا كَانُوا يَسْأَلُونَ إِلَّا عَمَّا يَنْفَعُهُمْ وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ لِعَكْرِمَةَ : مَنْ سَأَلَكَ عَمَّا لَا يَعْنِيهِ فَلَا تُفْتِهِ ^{٣٨٩} .

هـ - أَنْ يَكُونَ عَقْلُ السَّائِلِ لَا يَحْتَمِلُ الْجَوَابَ، فَيَتْرُكُ إِجَابَتَهُ وَجُوبًا، قَالَ عَلِيُّ : حَدَّثُوا النَّاسَ بِمَا يَعْرِفُونَ، أَتُحِبُّونَ أَنْ يُكَذِّبَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ^{٣٩٠}

وَعَنْ أَبِي الطُّفَيْلِ، قَالَ : سَمِعْتُ عَلِيًّا، عَلَيْهِ السَّلَامُ يَقُولُ : أَيُّهَا النَّاسُ أَتُرِيدُونَ أَنْ يُكَذِّبَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ حَدَّثُوا النَّاسَ بِمَا يَعْرِفُونَ، وَدَعُوا مَا يَنْكُرُونَ ^{٣٩١}

" وَالْمُرَادُ بِقَوْلِهِ : " بِمَا يَعْرِفُونَ " أَيُّ : يَفْهَمُونَ ... وَفِيهِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الْمُتَشَابِهَ لَا يَنْبَغِي أَنْ يُذَكَرَ عِنْدَ الْعَامَّةِ . " ^{٣٩٢}

وَعَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّادَةَ، أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مَسْعُودٍ، قَالَ : مَا أَنْتَ بِمُحَدِّثٍ قَوْمًا حَدِيثًا لَا تَبْلُغُهُ عُقُولُهُمْ إِلَّا كَانَ لِبَعْضِهِمْ فِتْنَةٌ ^{٣٩٣} .

و- تَرَكَ الْجَوَابَ إِذَا خَافَ الْمُفْتِيَ غَائِلَةَ الْفُتْيَا ^{٣٩٤} أَيُّ هَلَاكًا أَوْ فَسَادًا أَوْ فِتْنَةً يُدْبِرُهَا الْمُسْتَفْتَى أَوْ غَيْرُهُ، وَالْأَصْلُ وَجُوبُ الْبَيَانِ وَتَحْرِيمُ الْكُتْمَانِ إِنْ كَانَ الْحُكْمُ جَلِيًّا ^{٣٩٥} فَلَا يَتْرُكُ الْمُفْتِيَ بَيَانَهُ لِرَغْبَةٍ وَلَا رَهْبَةٍ لِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى : { وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ تَمَنَّا قَلِيلًا فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ } (١٨٧) سورة آل عمران .

^{٣٨٨} - صحيح البخارى (١٤٧٧) ومسلم (٤٥٨٢)

^{٣٨٩} - شرح المنتهى ٣ / ٤٥٧، وإعلام الموقعين ٤ / ٢٢١، والموافقات ٤ / ٢٨٦ - ٢٩٠ .

^{٣٩٠} - صحيح البخارى - المكثر - (١٢٧)

^{٣٩١} - المُدْخَلُ إِلَى السُّنَنِ الْكُبْرَى لِلْبَيْهَقِيِّ (٤٩٧) صحيح

^{٣٩٢} - فتح الباري لابن حجر - (١ / ٢٠٣)

^{٣٩٣} - شرح المنتهى ٣ / ٤٥٧، والموافقات ٤ / ٣١٣، والحديث أخرجه المُدْخَلُ إِلَى السُّنَنِ الْكُبْرَى لِلْبَيْهَقِيِّ (٤٩٨)

صحيح

^{٣٩٤} - شرح المنتهى ٣ / ٤٥٨ .

^{٣٩٥} - إعلام الموقعين ٤ / ١٧٥ .

لَكِنْ إِنْ خَافَ الْعَائِلَةَ فَلَهُ تَرْكُ الْجَوَابِ وَكَذَا لَهُ أَنْ يَتْرَكَ الْفِتْيَا إِنْ خَافَ أَنْ يَسْتَغْلِبَهَا
الظَّلْمَةُ أَوْ أَهْلَ الْفُجُورِ لِمَا رَبِّهِمْ^{٣٩٦} .

والمعلمون لهم نصيب من ذلك، وعليهم عبء كبير، إذ إن على المعلم أن يجتهد في تبسيط
المسائل، وصياغة الألفاظ بعبارات واضحة مفهومة تناسب مستوى طلابه، كي لا يقعوا في
حيرة من أمرهم، ولكي لا يصعب العلم عليهم .

قال الغزالي في الإحياء: "الوظيفة السادسة: أن يقتصر بالمتعلم على قدر فهمه فلا يلقي
ملا يبلغه عقله فينفره أو يخبط عليه عقله اقتداءً في ذلك بسيد البشر ﷺ. فليث إليه
الحقيقة إذا علم أنه يستقل بفهمها ..^{٣٩٧}

قال ابن مفلح: " " وَرَوَى الْبُخَارِيُّ عَنْ الْمِقْدَامِ بْنِ مَعْدِي كَرِبَ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ
قَالَ: " إِذَا حَدَّثْتُمُ النَّاسَ عَنْ رَبِّهِمْ فَلَا تُحَدِّثُوهُمْ بِمَا يَعْرُبُ عَنْهُمْ وَيَشْقُ عَلَيْهِمْ^{٣٩٨} .

وَرَوَى الْحَاكِمُ فِي تَارِيخِهِ بِإِسْنَادِهِ عَنْ أَبِي قُدَامَةَ عَنْ النَّضْرِ بْنِ شَمِيلٍ قَالَ: سَأَلَ الْخَلِيلُ
عَنْ مَسْأَلَةٍ فَأَبْطَأَ بِالْجَوَابِ فِيهَا قَالَ: فَقُلْتُ مَا فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ كُلُّ هَذَا النَّظَرِ قَالَ:
فَرَعْتُ مِنَ الْمَسْأَلَةِ وَجَوَابِهَا وَلَكِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُجِيبَكَ جَوَابًا يَكُونُ أَسْرَعَ إِلَى فَهْمِكَ قَالَ
أَبُو قُدَامَةَ: فَحَدَّثْتُ بِهِ أَبَا عُبَيْدٍ فَسَرَّ بِهِ .

وَفِي تَارِيخِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرِ السَّرْحَسِيِّ أَبُو مُحَمَّدٍ الْفَقِيهِ أَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ حَامِدٍ ثَنَا
عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَحْمَدَ سَمِعْتُ الرَّبِيعَ سَمِعْتُ الشَّافِعِيَّ يَقُولُ: لَوْ أَنَّ مُحَمَّدَ بْنَ الْحَسَنِ كَانَ
يُكَلِّمُنَا عَلَى قَدْرِ عَقْلِهِ مَا فَهِمْنَا عَنْهُ لَكِنَّهُ كَانَ يُكَلِّمُنَا عَلَى قَدْرِ عُقُولِنَا فَفَهَّمَهُ^{٣٩٩} .

الخلاصة:

(١) اختلاف عقول وأفهام الطلاب من شخص لآخر، ومن جماعة لأخرى .

^{٣٩٦} - حاشية ابن عابدين ٣ / ٢٦٤ ، وانظر الموسوعة الفقهية الكويتية - (٣٢ / ٣٨) فما بعد

^{٣٩٧} - إحياء علوم الدين . (٩٦/١) ط دار الحديث .

^{٣٩٨} - شعب الإيمان - (٣ / ٢٦٥) (١٦٣١) والمعجم الأوسط للطبراني - (١٨ / ٨) (٨٤٣٠) حسن لغيره

^{٣٩٩} - الآداب الشرعية - (٢ / ٢٤٤)

- (٢) براعة المعلم تكمن في قدرته على إيصال المعلومة للطالب كما ينبغي، وليست في حشد النصوص والأدلة، وكثرة المسائل .
- (٣) تقدير المستوى العقلي للطلاب، ومن ثم تعليمهم وتدريبهم على هذا الأساس .
- (٤) أن تكليف عقل الطالب ما لا يحتمله، وتحميله فوق طاقته، لا يزيد الطالب إلا حيرة وجهلاً .

[٥] أسلوب المحاوراة والإقناع العقلي :

تختلف عقول الناس ومداركهم من حيث الفهم، وسرعة الاستجابة . ويختلف الناس أيضاً من حيث الانقياد والتسليم لشرع الله أمره ونهيهِ، فمنهم من لا يقنع بالدليل إلا إذا ظهرت له الحكمة من ذلك التشريع^{٤٠٠}، ومنهم من يكفيه الدليل ويقف عنده .

والتلاميذ عموماً فيهم من ذلك الشيء الكثير، فمنهم من لا ترضيه بعض القواعد والأسس التي اصطلح عليها العلماء في أمور الطبيعة مثلاً، إلا إذا تبين له وجه الحكمة من ذلك. ومنهم من لا يحصل له الفهم الكامل إلا بعد أن تختصر له هذه القاعدة أو هذه المسألة، وتعرضها عليه بأسلوب الحوار والإقناع.

ومن أساليبه ﷺ في التعليم أنه كان يسلك في بعض الأحيان سبيل المحاكمة العقلية على طريقة السؤال والاستجواب، لقلع الباطل من نفس مستحسنه، أو لترسيخ الحق في قلب مستبعده أو مُستغربه .

فَعَنْ أَبِي أُمَامَةَ قَالَ : إِنَّ فَتًى شَابًا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ، أئذَنْ لِي بِالزُّنَا، فَأَقْبَلَ الْقَوْمُ عَلَيْهِ فزَجَرُوهُ وَقَالُوا : مَهْ . مَهْ^{٤٠١} . فَقَالَ : اذُنُهُ^{٤٠٢}، فَذَنَّا مِنْهُ قَرِيْبًا . قَالَ : فَجَلَسَ

^{٤٠٠} - وصاحب هذا يخشى عليه الفتنة في دينه، لأننا تعبدنا الله بالسمع والطاعة، ومن صفات المؤمنين أنهم يقولون : ربنا إنا سمعنا وأطعنا ولو لم تظهر لهم حكمة التشريع من ذلك الأمر أو النهي . ولكن تلمس الحكمة من التشريع مع التسليم والانقياد للدليل، أسكن للنفس وأهدأ للبال. والله أعلم .

^{٤٠١} لفظ (مَهْ) اسم فعل أمر، معناه : اكفّف .

قَالَ : أَتُحِبُّهُ لَأُمَّكَ ؟ قَالَ : لَا ، وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ . قَالَ : وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لَأُمَّهَاتِهِمْ . قَالَ : أَتُحِبُّهُ لِابْنَتِكَ ؟ قَالَ : لَا ، وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ قَالَ : وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِبنَاتِهِمْ . قَالَ : أَتُحِبُّهُ لِأَخْتِكَ ؟ قَالَ : لَا ، وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ . قَالَ : وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأَخَوَاتِهِمْ . قَالَ : أَتُحِبُّهُ لِعَمَّتِكَ ؟ قَالَ : لَا ، وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ . قَالَ : وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِعَمَّاتِهِمْ . قَالَ : أَتُحِبُّهُ لِخَالَتِكَ ؟ قَالَ : لَا ، وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ . قَالَ : وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِخَالَاتِهِمْ . قَالَ : فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ وَقَالَ : اللَّهُمَّ اغْفِرْ ذَنْبَهُ وَطَهِّرْ قَلْبَهُ ، وَحَصِّنْ فَرْجَهُ فَلَمْ يَكُنْ بَعْدُ ذَلِكَ الْفَتَى يَلْتَفِتُ إِلَى شَيْءٍ .^{٤٠٣}

فانظر كيف استأصل النبي ﷺ من نفس الفتى تعلقه بالزنى، عن طريق المحادثة والمحاكمة النفسية والموازنة العقلية، دون أن يذكر له الآيات الواردة في تحريم الزنى والوعيد للزاني والزانية، نظراً منه أن هذا أفلح للباطل في ذلك الوقت من قلب الشاب بحسب تصوُّره وإدراكه .

وفي هذا إرشادٌ للدعاة أن يلجؤوا إلى العقل في بعض الأحيان وبعض الناس إذا كانت الحال تستدعي ذلك، كحال هذا الشاب الذي طهر النبي ﷺ قلبه من الزنى بتلك المحاكمة العقلية الهادية .^{٤٠٤}

وفي هذا الحديث نلمس عظمة الرسول ﷺ، وحسن تعليمه وتعامله في هذا الموقف. فهذا شاب يعلم ماذا يعني (الزنا) ولذلك قال يا رسول الله ائذن لي بالزنا! ولا يخفى موقف الصحابة وغيرهم الشديدة على دين الله رضي الله عنهم وأرضاهم، ولكن الرسول ﷺ لم يعامل ذلك الشاب بالزجر كما فعل الصحابة رضوان الله عليهم، ولا قال له إن الله حرم الزنا ورتب على ذلك وعيداً شديداً، كل ذلك لم يفعله ﷺ لأن هذه الأمور مستقرة لدى الشاب ومعلومة لديه.

^{٤٠٢} هو فعلٌ أمرٌ من الدنو ، وهو القرب ، والهاءُ فيه للسكتِ حيءٌ بها لبيان الحركةِ ، كما في ((النهاية)) لابن الأثير ٢

. ٣٣:

^{٤٠٣} - مسند أحمد (عالم الكتب) - (٧ / ٤٠٧) (٢٢٢١١) (٢٢٥٦٤) - صحيح

^{٤٠٤} - الرسول المعلم ﷺ وأساليبه في التعليم لأبي غدة - (١ / ٨١)

إذاً، كان العلاج النبوي بالمحاورة والإقناع العقلي هو أنجح وسيلة لمثل هذه الحالة، فتأمل هذه الوسيلة في التعليم يتبين لك عظمة المعلم الأول ﷺ .

وعن أبي هريرة أن رجلاً أتى النبي ﷺ - فقال يا رسول الله ولد لي غلام أسود . فقال « هل لك من إبل » . قال نعم . قال « ما ألوانها » . قال حمز . قال « هل فيها من أورك » . قال نعم . قال « فأنتي ذلك » . قال لعله نزع عرق . قال « ففعل ابنك هذا نزع »^{٤٠٥} .

فهذا الرجل أو الأعرابي جاء سائلاً مستفتياً مستنكراً أن يأتيه ولد أسود على خلاف لونه ولون أمه، فبين له الرسول ﷺ بأسلوب عقلي^{٤٠٦} سهل وميسور، وحاوره وضرب له مثلاً من بعض ما يملكه هذا الأعرابي ليكون أقرب إلى فهمه، حيث سأله عن إبله وهل يأتي منها ما هو مخالف لأبويه في الشكل والصفة، فقال نعم : عندئذ أخبره النبي ﷺ أن ذلك حاصل في البشر أيضاً. فانظر رعاك الله كيف حاوره النبي ﷺ وقرره بأسلوب عقلي بسيط وواضح. ولقد كان من الممكن أن يخبره النبي ﷺ أن هذا ابنه، وهذا بجد ذاته كاف، لأنه لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى، ولكن لما علم الرسول ﷺ حال الأعرابي وجهله، أراد أن يبين له الأمر حتى تطمئن نفسه ويرتاح فؤاده، ولعل النبي ﷺ أراد بهذا التقرير أن يكون ذلك حكماً عاماً لذلك الأعرابي ولمن خلفه^{٤٠٧} والله أعلم .

وعن عوف بن مالك أنه قال : بينما نحن جلوس عند رسول الله ذات يوم، فنظر في السماء، ثم قال : هذا أو أن العلم أن يُرفع، فقال له رجل من الأنصار يُقال له زياد بن لبيد : أيرفع العلم يا رسول الله وفينا كتاب الله، وقد علمناه أبناءنا ونساءنا ؟ فقال رسول الله ﷺ : إن كنت لأظنك من أفقه أهل المدينة، ثم ذكر ضلالة أهل الكتابين، وعندهما ما

^{٤٠٥} - صحيح البخاري - المكثر - (٥٣٠٥) - الأورق : الأسم

^{٤٠٦} - يستدل الفقهاء بهذا الحديث وغيره على إثبات القياس والرد على من أنكروه . انظر فتح الباري كتاب الاعتصام (حديث ٧٣١٤).

^{٤٠٧} - هذه القصة ترشد كل من جاء ولد تختلف أوصافه عن أوصاف والديه ، بأن لا يتعجل ويصدر حكماً على زوجه بالزنا، بل عليه أن يحسن الظن، والأصل البراءة إلا بينة والله أعلم .

عِنْدَهُمَا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

فَلَقِيَ جُبَيْرُ بْنُ نُفَيْرٍ شَدَّادَ بْنَ أَوْسٍ بِالْمُصَلَّى، فَحَدَّثَهُ هَذَا الْحَدِيثَ عَنْ عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ فَقَالَ: صَدَقَ عَوْفٌ، ثُمَّ قَالَ: وَهَلْ تَدْرِي مَا رَفَعَ الْعِلْمُ؟ قَالَ: قُلْتُ: لَا أَدْرِي. قَالَ: ذَهَابُ أَوْعِيَّتِهِ. قَالَ: وَهَلْ تَدْرِي أَيُّ الْعِلْمِ أَوْلُ أَنْ يُرْفَعَ؟ قَالَ: قُلْتُ: لَا أَدْرِي. قَالَ: الْخُشُوعُ، حَتَّى لَا تَكَادُ تَرَى خَاشِعًا.^{٤٠٨}

وَعَنْ جُبَيْرِ بْنِ نُفَيْرٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي عَوْفُ بْنُ مَالِكٍ الْأَشْجَعِيُّ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ نَظَرَ إِلَى السَّمَاءِ يَوْمًا، فَقَالَ: هَذَا أَوْ أَنْ يُرْفَعَ الْعِلْمُ، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ يُقَالُ لَهُ لَبِيدُ بْنُ زِيَادٍ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، يُرْفَعُ الْعِلْمُ، وَقَدْ أُثْبِتَ وَوَعَتَهُ الْقُلُوبُ؟ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: إِنْ كُنْتُ لَأَحْسِبُكَ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ، ثُمَّ ذَكَرَ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى عَلَى مَا فِي أَيْدِيهِمْ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ، قَالَ: فَلَقِيتُ شَدَّادَ بْنَ أَوْسٍ، فَحَدَّثَنِي بِحَدِيثِ عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ، فَقَالَ: صَدَقَ عَوْفٌ، أَلَا أَدُلُّكَ بِأَوَّلِ ذَلِكَ؟ يُرْفَعُ الْخُشُوعُ، حَتَّى لَا تَرَى خَاشِعًا.^{٤٠٩}

ومن النوع الثاني من المحادثة والموازنة العقلية:

عَنْ أَبِي سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ، قَالَ: خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي أَضْحَى، أَوْ فِطْرٍ إِلَى الْمُصَلَّى^{٤١٠}، فَصَلَّى ثُمَّ انْصَرَفَ، فَقَامَ، فَوَعِظَ النَّاسَ وَأَمَرَهُمْ بِالصَّدَقَةِ، قَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ، تَصَدَّقُوا، ثُمَّ انْصَرَفَ، فَمَرَّ عَلَى النِّسَاءِ فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ تَصَدَّقْنَ، فَإِنِّي أَرَاكُمْ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ^{٤١١}، فَقُلْنَ: وَلِمَ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: تُكْثِرْنَ اللَّعْنَ، وَتَكْفُرْنَ الْعَشِيرَ^{٤١٢}، مَا رَأَيْتُ مِنْ نَاقِصَاتِ عَقْلِ وَدِينٍ أَذْهَبَ لُبَّ الرَّجُلِ الْحَازِمِ مِنْ إِحْدَاكُنَّ، يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ، فَقُلْنَ لَهُ: مَا نُقْصَانُ دِينِنَا وَعَقْلِنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: أَلَيْسَ شَهَادَةُ الْمَرْأَةِ

^{٤٠٨} - مسند أحمد (عالم الكتب) - (٧ / ٩٤٦) (٢٣٩٩٠) - ٢٤٤٩٠ - صحيح

^{٤٠٩} - صحيح ابن حبان - (١٥ / ١١٥) (٦٧٢٠) - صحيح

^{٤١٠} أي مصلى العيد.

^{٤١١} إن الله تعالى أراهن له كذلك في ليلة الإسراء.

^{٤١٢} أي الزوج. تكفرن نعمته وتجحدن لها لأدين خصومة أو خلاف.

مِثْلَ نِصْفِ شَهَادَةِ الرَّجُلِ؟ قُلْنَ: بَلَى، قَالَ: فَذَلِكَ نُقْصَانُ عَقْلِهَا^{٤١٣}، أَوْ لَيْسَتْ إِذَا حَاضَتِ الْمَرْأَةُ لَمْ تُصَلِّ وَلَمْ تَصُمْ؟ قُلْنَ: بَلَى، قَالَ: فَذَلِكَ نُقْصَانُ دِينِهَا^{٤١٤}

قَالَ الْكَلَابَازِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: " فِي هَذَا الْحَدِيثِ مَنْ لَمْ يَشْكُرِ الْعَطَاءَ وَلَمْ يَصْبِرْ عِنْدَ الْبَلَاءِ، وَقَدْ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِي الشَّاكِرُونَ، فَأَحْبَبَ أَنْ الشَّاكِرُ فِي الْعِبَادِ قَلِيلٌ، فَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ قَوْلُهُ تَعَالَى وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِي الشَّاكِرُونَ أَيِ الشَّاكِرُونَ مِنَ النَّاسِ قَلِيلٌ لِأَنَّ الْمُؤْمِنِينَ فِي النَّاسِ قَلِيلٌ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى لِأَدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ابْعَثْ بَعَثَ النَّارِ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ وَمَا بَعَثَ النَّارِ، فَيَقُولُ: مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعِمِائَةٍ وَتِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ فِي النَّارِ وَوَاحِدٌ فِي الْجَنَّةِ " فَالوَاحِدُ مِنَ الْأَلْفِ قَلِيلٌ. وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " مَا أَنْتُمْ فِي النَّاسِ إِلَّا كَالشَّعْرَةِ الْبَيْضَاءِ فِي جَنْبِ الثَّوْرِ الْأَسْوَدِ ". فَعَلَى هَذَا يَكُونُ الشَّاكِرُ الْمُؤْمِنِينَ كُلَّهُمْ وَالْمُوحَّدِينَ بِأَجْمَعِهِمْ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الشَّاكِرُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ قَلِيلًا، ذَلِكَ إِنَّ الشَّاكِرَ هُوَ الْمُبَالِغَةُ فِي صِفَةِ الشُّكْرِ فَيَكُونُ شَاكِرٌ وَشَاكِرًا وَشَاكِرًا، فَالشَّاكِرُ الَّذِي يَشْكُرُ فِي كُلِّ حَالٍ، وَلَا يَكَادُ يَكْفُرُ نِعْمَةً مَا، وَمِثْلُ هَذَا فِي الْمُؤْمِنِينَ قَلِيلٌ وَكُلُّهُمْ شَاكِرُونَ، وَالشَّاكِرُ فِيهِمْ كَثِيرٌ، وَالشَّاكِرُ قَلِيلٌ فَيَكُونُ عَامَّةُ الْمُؤْمِنِينَ شَاكِرِينَ، وَالشَّاكِرُ مِنْهُمْ قَلِيلٌ؛ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِي الشَّاكِرُونَ بِيَاءِ الْإِضَافَةِ، وَهَذَا تَخْصِيصٌ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى كَأَنَّهُ حَصَّ مِنَ الْعِبَادِ مَنْ أَضَافَهُ إِلَى نَفْسِهِ، وَكُلُّهُمْ عِبَادُهُ مِنْ جِهَةِ الْمَلِكِ. وَمَعْنَى تَفْسِيرِ الْفُسَّاقِ بِالنِّسَاءِ عَلَى الْإِطْلَاقِ وَهُوَ أَنَّ صِفَةَ كُفْرَانَ الْعَطَاءِ وَتَرْكِ الصَّبْرِ عِنْدَ الْبَلَاءِ فِيهِنَّ أَكْثَرُ؛ لِأَنَّهُنَّ فِي نُقْصَانٍ مِنَ آلَةِ الشُّكْرِ وَالصَّبْرِ وَعَلْتِهَمَا، وَذَلِكَ هَوَانُ الْعَقْلِ فَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " مَا رَأَيْتُ مِنْ نَاقِصَاتِ عَقْلِ وَدِينٍ أَسْلَبَ لِقُلُوبِ الرِّجَالِ مِنْهُنَّ " وَنُقْصَانُ دِينِهِنَّ بِالْحَيْضِ، وَنُقْصَانُ عَقْلِهِنَّ بِالشَّهَادَةِ. فَالشُّكْرُ وَالصَّبْرُ مِنْ أَوْصَافِ أَهْلِ الدِّينِ، فَمَنْ رَقَّ دِينُهُ وَسَخِفَ عَقْلُهُ، قَلَّ شُكْرُهُ وَصَبْرُهُ، وَمَنْ تَرَكَ الشُّكْرَ فِي أَكْثَرِ الْأَحْوَالِ، وَالصَّبْرَ فِي أَكْثَرِ الْبَلَوَى، فَقَدْ خَرَجَ مِنْ أَوْصَافِ أَهْلِ

^{٤١٣} قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ: ((بِكسْرِ الْكَافِ خِطَابًا لِلوَاحِدَةِ الَّتِي تَوَلَّتِ الْخِطَابَ. وَيَجُوزُ فَتْحُهَا عَلَى أَنَّهُ لِلخِطَابِ

(العام))

^{٤١٤} - صحيح ابن حبان - (١٣ / ٥٤) (٥٧٤٤) وصحيح البخاري - المكثر - (٣٠٤)

الدِّينِ وَالْعَقْلِ ، وَالنَّارِ مَأْوَى مَنْ لَا دِينَ لَهُ وَلَا عَقْلَ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي صِفَةِ أَهْلِ النَّارِ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمِ الْمِسْكِينَ ، فَهَذَا مِنْ بَابِ الدِّينِ وَكُنَّا نَحْوُضُ مَعَ الْخَائِضِينَ وَكُنَّا نَكْذِبُ بِيَوْمِ الدِّينِ ، فَهَذَا مِنْ بَابِ الْعَقْلِ ، فَكَأَنَّهُ قَالَ ﷺ : اللَّاتِي لَأَ يَشْكُرْنَ الْعَطَاءَ ، وَلَا يَصْبِرْنَ عَلَى الْبَلَاءِ فِي عَامَّةِ أَوْقَاتِهِنَّ ، وَأَكْثَرَ حَالَاتِهِنَّ مِنَ النِّسَاءِ فُسَاقٍ ، وَالْفُسَاقُ فِي النَّارِ . وَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : " قُتُّ عَلَى بَابِ النَّارِ فَإِذَا عَامَّةٌ مَنْ يَدْخُلُهَا النِّسَاءُ " ٤١٥

قال القرطبي : " قوله : يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ ، تَصَدَّقْنَ ، وَأَكْثِرْنَ الْإِسْتِغْفَارَ ؛ فَإِنِّي رَأَيْتُكُنَّ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ ، هَذَا نِدَاءٌ لَجَمِيعِ نِسَاءِ الْعَالَمِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، وَإِرْشَادٌ لهنَّ إِلَى مَا يُخَلِّصُهُنَّ مِنَ النَّارِ ، وَهُوَ الصَّدَقَةُ مُطْلَقًا ، وَاجِبُهَا وَتَطَوُّعُهَا .

والظاهر : أَنَّ الْمُرَادَ هُنَا الْقَدْرَ الْمَشْتَرِكُ بَيْنَ الْوَاجِبِ وَالتَطَوُّعِ ؛ لِقَوْلِهِ فِي بَعْضِ طَرِيقِهِ : وَلَوْ مِنْ حُلِيِّكُنَّ .

والاستغفار : سَوْأَلُ الْمَغْفِرَةِ ، وَقَدْ يَعْبَرُ بِهِ عَنِ التَّوْبَةِ ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى : { قُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا } (١٠) سُورَةُ نُوحٍ ، أَي : تَوَبُوا إِلَيْهِ وَإِنَّمَا عَبَّرَ عَنِ التَّوْبَةِ بِالِاسْتِغْفَارِ ؛ لِأَنَّهُ إِنَّمَا يَصْدُرُ عَنِ النَّدَمِ وَحَلِّ الْإِصْرَارِ ، وَذَلِكَ هُوَ التَّوْبَةُ .

فَأَمَّا الْإِسْتِغْفَارُ مَعَ الْإِصْرَارِ ، فَحَالُ الْمُنَافِقِينَ وَالْأَشْرَارِ ، وَهُوَ جَدِيرٌ بِالرَّدِّ وَتَكْثِيرِ الْأَوْزَارِ ، وَقَدْ قَالَ بَعْضُ الْعَارِفِينَ : " الْإِسْتِغْفَارُ بِاللِّسَانِ تَوْبَةُ الْكٰذِبِينَ " .

وقوله : رَأَيْتُكُنَّ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ ، أَي : أَطَّلَعْتُ عَلَى نِسَاءٍ آدَمِيَّاتٍ ، مِنْ نَوْعِ الْمَخَاطَبَاتِ ، لَا أَنْفُسِ الْمَخَاطَبَاتِ ؛ كَمَا قَالَ فِي الرَّوَايَةِ الْأُخْرَى : أَطَّلَعْتُ عَلَى النَّارِ ، فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا النِّسَاءَ .

فَلَمَّا سَمِعَ النِّسَاءُ ذَلِكَ ، عَلِمْنَ أَنَّ ذَلِكَ بِسَبَبِ ذَنْبٍ سَبَقَ لهنَّ ، فَبَادَرَتْ هَذِهِ الْمَرْأَةُ لِحِزْنِهَا وَشِدَّةِ حِرْصِهَا عَلَى مَا يُخَلِّصُ مِنْ هَذَا الْأَمْرِ الْعَظِيمِ ، فَسَأَلَتْ عَنْ ذَلِكَ ، فَقَالَتْ : " وَمَا لَنَا أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ؟ " ، فَأَجَابَهَا ﷺ بِقَوْلِهِ : تُكْثِرْنَ اللَّعْنَ ، وَتُكْفِرْنَ الْعَشِيرَ ، أَي : يَدُورُ

٤١٥ - بَحْرُ الْفَوَائِدِ الْمُسَمَّى بِمَعَانِي الْأَخْيَارِ لِلْكَلَّابَادِيِّ (٢٧٩)

اللَعْنُ عَلَى أَلْسِنَتِهِنَّ كَثِيرًا لَمَنْ لَا يَجُوزُ لَعْنُهُ ؛ وَكَأَنَّ هَذَا كَانَ عَادَةً جَارِيَةً فِي نِسَاءِ الْعَرَبِ ، كَمَا قَدْ غَلَبَتْ بَعْدَ ذَلِكَ عَلَى النِّسَاءِ وَالرِّجَالِ ، حَتَّى إِنَّهُمْ إِذَا اسْتَحْسَنُوا شَيْئًا رَبَّمَا لَعَنُوهُ ، فَيَقُولُونَ : " مَا أَشْعَرُهُ ! لَعْنَةُ اللَّهِ ! ! " ، وَقَدْ حَكَى بَعْضُهُمْ أَنَّ قَصِيدَةَ ابْنِ دُرَيْدٍ كَانَتْ تَسْمَى عِنْدَهُمْ : الْمَلْعُونَةُ ؛ لِأَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَمِعُوهَا ، قَالُوا : " مَا أَشْعَرُهُ ! لَعْنَةُ اللَّهِ ! ! " ، وَقَدْ تَقَدَّمَ أَنَّ أَصْلَ اللَّعْنِ : الطَّرْدُ وَالْبُعْدُ .

وَالْعَشِيرُ : هُوَ الْمَعَاشِرُ وَالْمُخَالَطُ مَطْلَقًا ، وَالْمُرَادُ بِهِ هُنَا : الزَّوْجُ ، وَالْكَفْرُ : كُفْرَانُ الْحَقِيقِ ؛ وَيَدُلُّ عَلَى صِحَّةِ الْأَمْرَيْنِ : حَدِيثُ الْمُوطَّأِ ، الَّذِي قَالَ فِيهِ : يَكْفُرُنَ ، قِيلَ : أَيَكْفُرُنَ بِاللَّهِ ؟ قَالَ : يَكْفُرُنَ الْعَشِيرَ ، وَيَكْفُرُنَ الْإِحْسَانَ ، لَوْ أَحْسَنْتَ إِلَى إِحْدَاهُنَّ الدَّهْرَ ، ثُمَّ رَأَتْ مِنْكَ شَيْئًا ، قَالَتْ : مَا رَأَيْتُ مِنْكَ خَيْرًا قَطُّ .

وَالْجَزَالَةُ : الشَّهَامَةُ وَالْحِدَّةُ ، مَعَ الْعَقْلِ وَالرَّفْقِ ؛ قَالَ ابْنُ دُرَيْدٍ : " الْجَزَالَةُ : الْوَقَارُ وَالْعَقْلُ ، وَأَصْلُ الْجَزَالَةِ : الْعِظْمُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ ، وَمِنْهُ : عَطَاءٌ جَزَلٌ .
وَاللُّبُّ : الْعَقْلُ ، سُمِّيَ بِذَلِكَ ؛ لِأَنَّهُ خِلَاصَةُ الْإِنْسَانِ وَلُبُّهُ وَلِبَابُهُ ، وَمِنْهُ سُمِّيَ قَلْبَ الْحَبَّةِ : لُبًّا .

وَالْعَقْلُ الَّذِي تُقْصَهُ النِّسَاءُ : هُوَ التَّثَبُّتُ فِي الْأُمُورِ ، وَالتَّحْقِيقُ فِيهَا ، وَالْبَلُوغُ فِيهَا إِلَى غَايَةِ الْكَمَالِ ، وَهُنَّ فِي ذَلِكَ غَالِبًا بِخِلَافِ الرِّجَالِ .

وَأَصْلُ الْعَقْلِ : الْعِلْمُ ، وَقَدْ يُقَالُ عَلَى : الْمُدْوِيِّ وَالْوَقَارِ وَالتَّثَبُّتِ فِي الْأُمُورِ .
وَلِلْعُلَمَاءِ خِلَافٌ فِي حَدِّ الْعَقْلِ الْمَشْتَرَطِ فِي حَدِّ التَّكْلِيفِ لَيْسَ هَذَا مَوْضِعَ ذِكْرِهِ .
وَالدِّينُ هُنَا يُرَادُ بِهِ : الْعِبَادَاتُ ، وَلَيْسَ نَقْصَانُ ذَلِكَ فِي حَقِّهِنَّ ذَمًّا لِهِنَّ ؛ وَإِنَّمَا ذَكَرَ النَّبِيُّ ﷺ ذَلِكَ مِنْ أَحْوَالِهِنَّ عَلَى مَعْنَى التَّعْجِيبِ مِنَ الرِّجَالِ ، حَيْثُ يُغْلِبُهُمْ مَنْ نَقَصَ عَنْ دَرَجَتِهِمْ ، وَلَمْ يَبْلُغْ كَمَا لَهُمْ ؛ وَذَلِكَ هُوَ صَرِيحُ قَوْلِهِ ﷺ : مَا رَأَيْتُ مِنْ نَاقِصَاتِ عَقْلِ وَدِينٍ أَذْهَبَ لِلْبِ الرَّجُلِ الْحَازِمِ مِنْ إِحْدَاكُنَّ ؛ وَذَلِكَ نَحْوُ مِمَّا قَالَهُ الْأَعْمَشِيُّ فِيهِنَّ :
وَهُنَّ شَرٌّ غَالِبٌ لِمَنْ غَلَبَ
وَنَحْوُ قَوْلِهِمْ فِيمَا جَرَى مَجْرَى الْمَثَلِ : يَغْلِبُنَ الْكِرَامَ ، وَيَغْلِبُهُنَّ اللَّتَامُ .

وفيه : مايدلُّ على أنَّ الحائضَ لا تُصَلِّي ولا تصومُ مُدَّةَ حَيْضِهَا ، وهو مجمَعٌ عليه ، وبالله تعالى التوفيق. "٤١٦"

وقال الحافظ ابن حجر : " وفي هذا الحديث من الفوائد: مشروعية الخروج إلى المصلى في العيد، وأمر الإمام الناس بالصدقة فيه، واستنبط منه بعض الصوفية جواز الطلب من الأغنياء للفقراء وله شروط، وفيه حضور النساء العيد، لكن بحيث ينفردن عن الرجال خوف الفتنة، وفيه جواز عظة الإمام النساء على حدة وقد تقدم في العلم، وفيه أن جحد النعم حرام، وكذا كثرة استعمال الكلام القبيح كاللعن والشتم، استدلت النووي على أنهما من الكبائر بالتواعد عليها بالنار، وفيه ذم اللعن وهو الدعاء بالإبعاد من رحمة الله تعالى، وهو محمول على ما إذا كان في معين، وفيه إطلاق الكفر على الذنوب التي لا تخرج عن الملة تغليظا على فاعلها لقوله في بعض طرقه: " بكفرهن " كم تقدم في الإيمان، وهو كإطلاق نفي الإيمان، وفيه الإغلاظ في النصح بما يكون سببا لإزالة الصفة التي تعاب، وأن لا يواجه بذلك الشخص المعين لأن التعميم تسهيفا على السامع، وفيه أن الصدقة تدفع العذاب، وأنها قد تكفر الذنوب التي بين المخلوقين، وأن العقل يقبل الزيادة والنقصان، وكذلك الإيمان كما تقدم، وليس المقصود بذكر النقص في النساء لومهن على ذلك لأنه من أصل الحلقة، لكن التنبيه على ذلك تحذيرا من الافتتان بهن، ولهذا رتب العذاب على ما ذكر من الكفران وغيره لا على النقص، وليس، نقص، الدين منحصرًا فيما يحصل به الإثم بل في أعم من ذلك قاله النووي، لأنه أمر نسبي، فالكامل مثلا ناقص عن الأكمل، ومن ذلك الحائض لا تأثم بترك الصلاة زمن الحيض لكنها ناقصة عن المصلي، وهل تثاب على هذا الترك لكونها مكلفة به كما يتاب المريض على النوافل التي كان يعملها في صحته وشغل بالمرض عنها؟ قال النووي: الظاهري أنها لا تثاب، والفرق بينها وبين المريض أنه كان يفعلها بنية الدوام عليها مع أهليته، والحائض ليست كذلك. وعندني - في كون هذا الفرق مستلزما لكونها لا تثاب - وقفة، وفي الحديث أيضا مراجعة المتعلم لمعلمه والتابع لمبتوعه فيما لا يظهر له معناه، وفيه ما كان عليه ﷺ من الخلق العظيم والصفح الجميل

٤١٦ - المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم - (٢ / ٣٢)

والرفق والرأفة، زاده الله تشريفا وتكريما وتعظيما. ٤١٧

وعن ابن أبي مليكة أن عائشة زوج النبي - ﷺ - كانت لا تسمع شيئا لا تعرفه إلا راجعت فيه حتى تعرفه، وأن النبي - ﷺ - قال « من حوسب عذب ». قالت عائشة فقلت أو ليس يقول الله تعالى (فسوف يحاسب حسابا يسيرا) قالت فقال « إنما ذلك العرض، ولكن من نوقش الحساب يهلك » ٤١٨ .

" وفي الحديث ما كان عند عائشة من الحرص على تفهم معاني الحديث، وأن النبي ﷺ لم يكن يتضجر من المراجعة في العلم. وفيه جواز المناظرة، ومقابلة السنة بالكتاب، وتفاوت الناس في الحساب. وفيه أن السؤال عن مثل هذا لم يدخل فيما نهي الصحابة عنه في قوله تعالى: { لا تسألوا عن أشياء } وفي حديث أنس: " كنا نمينا أن نسأل رسول الله ﷺ عن شيء " ٤١٩ وقد وقع نحو ذلك لغير عائشة، ففي حديث عن حفصة، قالت: قال النبي ﷺ: إني لأرجو ألا يدخل النار أحد، إن شاء الله تعالى ممن شهد بدرا، والحديبية، قالت: قلت: يا رسول الله، أليس قد قال الله: { وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا }، قال: ألم تسمعيه يقول: { ثم ننجي الذين اتقوا، ونذر الظالمين فيها جثيا } ٤٢٠، وعن عبد الله، قال: لما نزلت هذه الآية: { الذين آمنوا ولم يلبسوا } إيمانهم بظلم شق ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ، وقالوا: أيننا لم يظلم نفسه؟ فقال رسول الله ﷺ: ليس كما تظنون، إنما هو كما قال لقمان لابنه: { يا بني لا تشرك بالله، إن الشرك لظلم عظيم } ٤٢١. والجامع بين هذه المسائل الثلاث ظهور العموم في الحساب والورود والظلم. فأوضح لهم أن المراد في كل منها أمر خاص. ولم يقع مثل هذا من الصحابة إلا قليلا مع توجه السؤال وظهوره، وذلك لكمال فهمهم ومعرفتهم باللسان العربي، فيحمل ما ورد من ذم من سأل عن المشكلات على من سأل تعنتا كما قال تعالى

٤١٧ - فتح الباري لابن حجر - (١ / ٤٠٦)

٤١٨ - صحيح البخاري - المكثر - (١٠٣)

٤١٩ - صحيح مسلم - المكثر - (١١١)

٤٢٠ - سنن ابن ماجه - طبع مؤسسة الرسالة - (٥ / ٣٤٥) (٤٢٨١) صحيح

٤٢١ - مسند أحمد (عالم الكتب) - (٢ / ١٦٤) (٤٢٤٠) ومسند أحمد (عالم الكتب) - (٤٢٤٠)

{ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ } وفي حديث عائشة ،
 قَالَتْ : قرأ رسول الله ﷺ : { هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ
 الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ
 وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ
 رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ } فإذا رأيتم الذين يجادلون فيه ، فهم الذين عنى الله عز
 وجل ، فاحذروهم^{٤٢٢} . ومن ثم أنكر عمر على صبيغ لما رآه أكثر من السؤال عن مثل
 ذلك^{٤٢٣} وعاقبه^{٤٢٤}

الخلاصة:

- (١) استخدام الأسلوب العقلي في الإقناع وسيلة جيدة تضمن وصول المعلومة إلى ذهن السامع، على ما أراده المتحدث .
- (٢) مراعاة البساطة في المحاوراة العقلية، وإشراك التلميذ في المحاوراة لكي يحصل التفاعل .
- (٣) تقريب (المحاوراة العقلية) إلى أدنى شيء ممكن أن يحسه أو يعقله التلميذ، كقصة الأعرابي الذي جاءه ولد أسود، فضرب له الرسول ﷺ مثلاً من أقرب الأشياء إليه وهي إبله .
- (٤) مراعاة حال السامع، وهل هو ممن تؤثر فيه الأدلة العقلية أم لا

[٦] التعليل عن طريق القصص :

^{٤٢٢} - مسند أحمد (عالم الكتب) - (٨ / ٥٠) (٢٤٢١٠) ٢٤٧١٤ - وصحيح البخاري - المكثر - (٤٥٤٧)
 وصحيح مسلم - المكثر - (٦٩٤٦)
 (٤٨ / ٦)
^{٤٢٣} - سنن الدارمي - المكثر - (١٤٦) صحيح
^{٤٢٤} - فتح الباري شرح صحيح البخاري - ط دار الفكر - (١ / ١٩٧)

القصة لها قدرة عظيمة في جذب النفوس، وحشد الحواس كلها للقاص . وذلك لأن القصة بطبيعتها محبة إلى النفس البشرية، لما فيها من ذكر أخبار الماضين، وذكر الوقائع، والنوادر وغير ذلك، أضف إلى ذلك أن القصة من شأنها أنها تعلق بالذهن ولا تكاد تنسى وهذا أمر واضح للعيان يعلمه كل أحد. ولذا فقد اعتنى القرآن الكريم بذكر القصص في القرآن لما فيها من تسلية النفس، وتقوية العزائم، وأخذ العبر والاتعاظ ومعرفة أخبار الماضين، وحفظ الأحداث، وغيرها كثير، والقرآن الكريم لم يعرض هذه القصص لمجرد التسلية فقط، لا .

بل إن المتأمل لهذه القصص يجد بين طياتها وبين ثناياها تقرير مسائل التوحيد، وكذلك بيان حكم الله الباهرة وسننه في عباده التي لا تتبدل ولا تتغير، وقد يوجد في بعض منها بيان أحكام فقهية كقوله تعالى في قصة يوسف {قَالُوا نَفَقْدُ صُوعَ الْمَلِكِ وَلِمَنْ جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ} (٧٢) سورة يوسف .

وفي هذه الآية كثير من الأحكام الفقهية، قال القرطبي :

" الزعيم والكفيل والحميل والضمين والقبيل سواء والزعيم الرئيس . قال :

وإني زعيم إن رجعت مملكا ... بسير ترى منه الفرانق أزورا

وقالت ليلي الأخيلية ترثي أباها :

ومخرق عنه القميص تخاله ... يوم اللقاء من الحياء سقيما

حتى إذا رفع اللواء رأيته ... تحت اللواء على الخميس زعيما

الثانية : - إن قيل : كيف ضمن حمل البعير وهو مجهول، وضمن المجهول لا يصح ؟ قيل له : حمل البعير كان معينا معلوما عندهم كالوسق ؛ فصح ضمانه، غير أنه كان بدل مال للشارق، ولا يحل للشارق ذلك، فلعله كان يصح في شرعهم أو كان هذا جملة، وبذل مال لمن كان يفتش ويطلب .

الثالثة : - قال بعض العلماء : في هذه الآية دليلان :

أحدهما : جواز الجعل وقد أجزى للضرورة ؛ فإنه يجوز فيه من الجهالة ما لا يجوز في غيره

الرابعة : - متى قال الإنسان، من جاء ببعدي الأبق فله دينار لزمه ما جعله فيه إذا جاء به ؛

الخامسة : - الدليل الثاني : جواز الكفالة على الرجل ؛ لأن المؤذن الضامن هو غير يوسف عليه السلام ...

السادسة : - واختلف العلماء إذا تكفل رجل عن رجل بمال ؛ هل للطالب أن يأخذ من شاء منهما ؟

السابعة : - الزعامة لا تكون إلا في الحقوق التي تجوز النيابة فيها، مما يتعلق بالذمة من الأموال^{٤٢٥}

فمن هذا يعلم أن القصص لها دور كبير في تعليم الناس وتربيتهم، وكثيراً ما كان ﷺ يعلم أصحابه بطريق القصص والوقائع التي يحدثهم بها عن الأقسام الماضية، فيكون لها في نفوس سامعيها أطيّب الأثر، وأفضل التوجيه، وتحتضى منهم بأوفى النشاط والانتباه، وتقع على القلب والسمع أطيّب ما تكون، إذ لا يواجهه فيها المخاطب بأمر أو نهى، وإنما هو الحديث عن غيره، فتكون له منه العبرة والموعظة والقُدوة والانتساء . وقد سنَّ الله تعالى هذا الأسلوب الكريم في تعليمه لنبيه ﷺ، فقال سبحانه : (وَكَلَّا نَقْصُ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ) .

ومن ذلك حديثه ﷺ في الترغيب في الحبِّ في الله، والمؤاخاة الخالصة للخير والدين .
فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ : أَنَّ رَجُلًا زَارَ أَخًا لَهُ فِي قَرْيَةٍ أُخْرَى ، قَالَ : فَأَرْصَدَ اللَّهُ لَهُ عَلَى مَدْرَجَتِهِ مَلَكًا^{٤٢٦} ، فَلَمَّا أَتَى عَلَيْهِ^{٤٢٧} ، قَالَ : أَيْنَ تُرِيدُ ؟ قَالَ : أُرِيدُ أَخًا لِي فِي هَذِهِ الْقَرْيَةِ ، فَقَالَ لَهُ : هَلْ لَهُ عَلَيْكَ مِنْ نِعْمَةٍ تَرْتُبُهَا^{٤٢٨} ؟ قَالَ : لَا ، غَيْرَ أَنِّي أُحِبُّهُ فِي اللَّهِ ، قَالَ : فَإِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكَ ، إِنَّ اللَّهَ جَلَّ وَعَلَا قَدْ أَحَبَّكَ كَمَا أَحَبَّبْتَهُ فِيهِ.^{٤٢٩}

^{٤٢٥} - تفسير القرطبي موافق للمطبوع - (٩ / ٢٣١)

^{٤٢٦} المدرجة : الطريق . وأرصده : أفعده يرقبه ، والمَلَكُ الذي أَرصده الله تعالى على طريق الرجل الزائر لأخيه في الله تعالى ، كان في صورة إنسان عادي ، لا في صورته على خَلْقته الحقيقية .

^{٤٢٧} أي المَلَكُ للزائر المسافر لزيارة أخيه في بلد آخر .

^{٤٢٨} أي تقوم بإصلاحها وتُساوٍ إليه بسببها ، وتزوره من أجلها .

^{٤٢٩} - صحيح ابن حبان - (٢ / ٣٣١) (٥٧٢) وصحيح مسلم - المكثر - (٤ / ٦٧١)

" قَالَ الْعُلَمَاءُ : مَحَبَّةُ اللَّهِ عَبْدَهُ هِيَ رَحْمَتُهُ لَهُ ، وَرِضَاؤُهُ عَنْهُ ، وَإِرَادَتُهُ لَهُ الْخَيْرَ ، وَأَنْ يَفْعَلَ بِهِ فِعْلَ الْمُحِبِّ مِنَ الْخَيْرِ . وَأَصْلُ الْمَحَبَّةِ فِي حَقِّ الْعِبَادِ مِثْلَ الْقَلْبِ ، وَاللَّهُ تَعَالَى مُنَزَّهُ عَنِ ذَلِكَ . فِي هَذَا الْحَدِيثِ فَضْلُ الْمَحَبَّةِ فِي اللَّهِ تَعَالَى ، وَأَنَّهَا سَبَبٌ لِحُبِّ اللَّهِ تَعَالَى الْعَبْدَ ، وَفِيهِ فَضِيلَةُ زِيَارَةِ الصَّالِحِينَ وَالْأَصْحَابِ ، وَفِيهِ أَنَّ الْآدَمِيِّينَ قَدْ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ . " ٤٣٠

والزيارة لها فوائد منها هذا الأجر العظيم ومنها أنها تؤلف القلوب وتجمع الناس وتذكر الناسي وتنبه الغافل وتعلم الجاهل وفيها مصالح كثيرة يعرفها من جربها ٤٣١

ومن تعليمه ﷺ بطريق القصص والوقائع الماضية أيضاً : حديثه في الحِصِّ على الرحمة بالحيوان والإحسان إليه، والتحذير من أذاه والإساءة إليه .

فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، قَالَ : بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي بِطَرِيقٍ ، اشْتَدَّ عَلَيْهِ الْعَطَشُ ، فَوَجَدَ بَيْتًا فَنَزَلَ فِيهَا ، فَشَرِبَ ، ثُمَّ خَرَجَ ، فَإِذَا كَلْبٌ يَلْهَثُ ، يَأْكُلُ الثَّرَى مِنْ الْعَطَشِ ٤٣٢ ، فَقَالَ الرَّجُلُ : لَقَدْ بَلَغَ هَذَا الْكَلْبُ مِنَ الْعَطَشِ مِثْلَ الَّذِي بَلَغَ بِي ، فَنَزَلَ الْبَيْتَ ، فَمَلَأَ حُفَّهُ مَاءً ، ثُمَّ أَمْسَكَهُ بِفِيهِ حَتَّى رَقِيَ ، فَسَقَى الْكَلْبَ ٤٣٣ ، فَشَكَرَ اللَّهُ لَهُ ، فَغَفَرَ لَهُ فَقَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنَّ لَنَا فِي الْبُهَائِمِ لَأَجْرًا ؟ فَقَالَ ﷺ : فِي كُلِّ ذَاتِ كَبِدٍ رَطْبَةٌ أَجْرٌ ٤٣٤ . يَعْنِي : فِي الْإِحْسَانِ إِلَى كُلِّ ذِي رُوحٍ وَحَيَاةٍ أَجْرٌ .

أي في كل كبد حيّة . والمرادُ بالرطوبة في الكبد : رطوبة الحياة فيها ، وهي لازمة لكبد الإنسان أو الحيوان ما دام حياً ، والمعنى : في الإحسان إلى كل ذي حياة حيواناً كان أو إنساناً أجراً .

٤٣٠ - شرح النووي على مسلم - (٨ / ٣٦٦)

٤٣١ - شرح رياض الصالحين لابن عثيمين - (٢ / ٤٩٨)

٤٣٢ الثرى : التراب الندي . ومعنى (يأكل الثرى) أي يلحس الثرى بلسانه من شدة العطش ، ليتبرّد بطراوته ونداوته .

٤٣٣ أمسكه بفيه أي بفيه . وذلك لأن يديه مشغولتان بصعوده من البئر!

٤٣٤ - صحيح البخاري - المكثر - (٦٠٠٩) وصحيح مسلم - المكثر - (٥٩٩٦) وصحيح ابن حبان - (٢ / ٣٠٢)

(٥٤٤)

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَنْ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - قَالَ « غُفِرَ لِمَرْأَةٍ مُؤَمِّسَةً مَرَّتَ بِكَلْبٍ عَلَى رَأْسِ رَكِيٍّ يَلْهَثُ ، قَالَ كَادَ يَقْتُلُهُ الْعَطَشُ ، فَزَرَعَتْ خُفَّهَا ، فَأَوْتَقَتْهُ بِخِمَارِهَا ، فَزَرَعَتْ لَهُ مِنَ الْمَاءِ ، فَعُفِرَ لَهَا بِذَلِكَ » ٤٣٥ .

" أي بسبب سقيها للكلب على الوجه المشروح فإنه تعالى يتجاوز عن الكبيرة بالعمل اليسير إذا شاء فضلاً منه. قال ابن العربي: وهذا الحديث يحتمل كونه قبل النهي عن قتل الكلاب وكونه بعده فإن كان قبله فليس بناسخ لأنه إنما أمر بقتل كلاب المدينة لا البوادي على أنه وإن وجب قتله يجب سقيه ولا يجمع عليه حرّ العطش والموت، ألا ترى أن المصطفى صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم لما أمر بقتل اليهود شكوا العطش فقال: لا تجمعوا عليهم حرّ السيف والعطش فسقوا واستدل به على طهارة سؤر الكلب لأن ظاهره أنها سقت الكلب من خفها ومنع باحتمال أن تكون صبته في شيء فسقته أو غسلت خفها بعد أو لم تلبسه على أن شرع من قبلنا ليس شرعاً لنا، ولو قلنا به فمحلّه ما لم ينسخ " ٤٣٦

وَعَنْ ابْنِ عُمَرَ ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ ، قَالَ : عُذِّبَتْ امْرَأَةٌ فِي هِرَّةٍ رَبَطْتَهَا ، فَلَمْ تُطْعَمْهَا ، وَلَمْ تَدْعَهَا تَأْكُلْ مِنْ خَشَائِشِ الْأَرْضِ " ٤٣٧

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - قَالَ « عُذِّبَتْ امْرَأَةٌ فِي هِرَّةٍ سَجَنَتْهَا حَتَّى مَاتَتْ فَدَخَلَتْ فِيهَا النَّارَ لِأَنَّهَا لَا هِيَ أَطْعَمْتَهَا وَسَقَمْتَهَا إِذْ هِيَ حَبَسْتَهَا وَلَا هِيَ تَرَكَتْهَا تَأْكُلُ مِنْ خَشَائِشِ الْأَرْضِ » ٤٣٨ . « ٤٣٩

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ : دَخَلَتْ امْرَأَةٌ النَّارَ فِي هِرَّةٍ رَبَطْتَهَا ، فَلَا هِيَ

٤٣٥ - صحيح البخارى - المكثر - (٣٣٢١)

٤٣٦ - فيض القدير، شرح الجامع الصغير، الإصدار ٢ - (١٠ / ٤٦)

٤٣٧ - صحيح البخارى - المكثر - (٢٣٦٥) وصحيح مسلم - المكثر - (٥٩٨٩) وصحيح ابن حبان - (٢) /

(٣٠٥) (٥٤٦)

٤٣٨ - أي هوائها وحشراتنا من فأرة ونحوها من الحيوانات الصغيرة

٤٣٩ - صحيح مسلم - المكثر - (٦٨٤١)

أَطْعَمْتَهَا ، وَلَا هِيَ أَرْسَلَتْهَا تَأْكُلُ مِنْ خَشَاشِ الْأَرْضِ حَتَّى مَاتَتْ. ٤٤٠

وَعَنْ عَطَاءِ بْنِ السَّائِبِ ، قَالَ : سَمِعْتُ أَبِي يَقُولُ : سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو ، يَقُولُ :
انْكَسَفَتِ الشَّمْسُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَقَامَ وَقُمْنَا ، فَصَلَّى ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا يُحَدِّثُنَا ،
فَقَالَ : لَقَدْ عَرِضَتْ عَلَيَّ الْجَنَّةُ ، حَتَّى لَوْ شِئْتُ لَتَعَاطَيْتُ مِنْ قُطُوفِهَا ، وَعَرِضَتْ عَلَيَّ
النَّارُ فَلَوْلَا أَنِّي دَفَعْتُهَا عَنْكُمْ لَعَشَيْتُكُمْ ، وَرَأَيْتُ فِيهَا ثَلَاثَةَ يُعَذِّبُونَ : امْرَأَةً حَمِيرِيَّةً سَوْدَاءَ
طَوِيلَةً ، تُعَذِّبُ فِي هِرَّةٍ لَهَا ، أَوْ تَقْتَلُهَا فَلَمْ تَدْعُهَا تَأْكُلُ مِنْ خَشَاشِ الْأَرْضِ ، وَلَمْ تُطْعَمِهَا
حَتَّى مَاتَتْ ، فَهِيَ إِذَا أَقْبَلَتْ تَنَهَشَتْهَا وَإِذَا أَدْبَرَتْ تَنَهَشَتْهَا ، وَرَأَيْتُ أَحَا بْنَ دَعْدَعٍ
صَاحِبَ السَّائِبَيْنِ يُدْفِعُ بِعُمُودَيْنِ فِي النَّارِ ، وَالسَّائِبَتَانِ بَدَنَتَانِ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ سَرَقَهُمَا ،
وَرَأَيْتُ صَاحِبَ الْمَحْجَنِ مُتَكِنًا عَلَى مَحْجَنِهِ ، وَكَانَ صَاحِبُ الْمَحْجَنِ يَسْرِقُ مَتَاعَ
الْحَاجِّ بِمَحْجَنِهِ ، فَإِذَا خَفِيَ لَهُ ذَهَبَ بِهِ ، وَإِذَا ظَهَرَ عَلَيْهِ ، قَالَ : إِنِّي لَمْ أُسْرِقْ ، إِنَّمَا
تَعَلَّقَ بِمَحْجَنِي. ٤٤١

وَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ كَسَفَتِ الشَّمْسُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - فِي يَوْمٍ شَدِيدِ
الْحَرِّ فَصَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - بِأَصْحَابِهِ فَأَطَالَ الْقِيَامَ حَتَّى جَعَلُوا يَخْرُونَ ثُمَّ رَكَعَ
فَأَطَالَ ثُمَّ رَفَعَ فَأَطَالَ ثُمَّ رَكَعَ فَأَطَالَ ثُمَّ رَفَعَ فَأَطَالَ ثُمَّ سَجَدَ سَجْدَتَيْنِ ثُمَّ قَامَ فَصَنَعَ نَحْوًا
مِنْ ذَلِكَ فَكَانَتْ أَرْبَعُ رَكَعَاتٍ وَأَرْبَعُ سَجَدَاتٍ ثُمَّ قَالَ « إِنَّهُ عُرِضَ عَلَيَّ كُلُّ شَيْءٍ
تَوَلَّجُونَهُ فَعَرِضَتْ عَلَيَّ الْجَنَّةُ حَتَّى لَوْ تَنَاوَلْتُ مِنْهَا قِطْفًا أَخَذْتُهُ - أَوْ قَالَ تَنَاوَلْتُ مِنْهَا
قِطْفًا - فَقَصُرَتْ يَدِي عَنْهُ وَعَرِضَتْ عَلَيَّ النَّارُ فَرَأَيْتُ فِيهَا امْرَأَةً مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ تُعَذِّبُ
فِي هِرَّةٍ لَهَا رَبَطَتْهَا فَلَمْ تُطْعَمِهَا وَلَمْ تَدْعُهَا تَأْكُلُ مِنْ خَشَاشِ الْأَرْضِ وَرَأَيْتُ أَبَا ثَمَامَةَ
عَمْرٍو بْنَ مَالِكٍ يَجْرُ قُصْبَهُ فِي النَّارِ. وَإِنَّهُمْ كَانُوا يَقُولُونَ إِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَا يَخْسِفَانِ
إِلَّا لِمَوْتِ عَظِيمٍ وَإِنَّهُمَا آيَاتَانِ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ يُرِيكُمُوهَا فَإِذَا خَسَفَا فَصَلُّوا حَتَّى تَنْجَلِيَ
٤٤٢ .»

٤٤٠ - صحيح ابن حبان - (١٢ / ٤٣٨) (٥٦٢١) وصحيح مسلم - المكثر - (٥٩٩٢)

٤٤١ - صحيح ابن حبان - (١٢ / ٤٣٩) (٥٦٢٢) صحيح

٤٤٢ - صحيح مسلم - المكثر - (٢١٣٨)

وَفِي الْحَدِيثِ دَلِيلٌ لِتَحْرِيمِ قَتْلِ الْهَرَّةِ ، وَتَحْرِيمِ حَبْسِهَا بِغَيْرِ طَعَامٍ أَوْ شَرَابٍ . وَأَمَّا دُخُولُهَا النَّارَ بِسَبَبِهَا فَظَاهِرُ الْحَدِيثِ أَنَّهَا كَانَتْ مُسْلِمَةً ، وَإِنَّمَا دَخَلَتْ النَّارَ بِسَبَبِ الْهَرَّةِ . وَذَكَرَ الْقَاضِي أَنَّهُ يَجُوزُ أَنَّهَا كَافِرَةٌ عُذِّبَتْ بِكُفْرِهَا ، وَزِيدَ فِي عَذَابِهَا بِسَبَبِ الْهَرَّةِ ، وَاسْتَحَقَّتْ ذَلِكَ لِكَوْنِهَا لَيْسَتْ مُؤْمِنَةٌ تُغْفَرُ صَغَائِرُهَا بِاجْتِنَابِ الْكَبَائِرِ . هَذَا كَلَامُ الْقَاضِي ، وَالصَّوَابُ مَا قَدَّمَاهُ أَنَّهَا كَانَتْ مُسْلِمَةً ، وَأَنَّهَا دَخَلَتْ النَّارَ بِسَبَبِهَا كَمَا هُوَ ظَاهِرُ الْحَدِيثِ ، وَهَذِهِ الْمَعْصِيَةُ لَيْسَتْ صَغِيرَةً ، بَلْ صَارَتْ بِإِصْرَارِهَا كَبِيرَةً ، وَلَيْسَ فِي الْحَدِيثِ أَنَّهَا تَخُلَّدُ فِي النَّارِ ، وَفِيهِ وَجُوبُ نَفَقَةِ الْحَيَوَانَ عَلَى مَالِكِهِ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ .^{٤٤٣}

وَعَنْ حَبَّابٍ، قَالَ : شَكَّوْنَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً لَهُ فِي ظِلِّ الْكَعْبَةِ، فَقُلْنَا : أَلَا تَسْتَنْصِرُنَا، أَلَا تَدْعُو لَنَا ؟ فَقَالَ : قَدْ كَانَ مِنْ قَبْلِكُمْ يُؤْخَذُ الرَّجُلُ فَيُحْفَرُ لَهُ فِي الْأَرْضِ، فَيُجْعَلُ فِيهَا فَيُؤْتَى بِالْمِنْشَارِ فَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ، فَيُجْعَلُ بِنَصْفَيْنِ، وَيَمْسَطُ بِأَمْشَاطِ الْحَدِيدِ فِيمَا دُونَ عَظْمِهِ وَلَحْمِهِ، فَمَا يَصْرِفُهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ ، وَاللَّهُ لَيَتَمَنَّ هَذَا الْأَمْرَ حَتَّى يَسِيرَ الرَّكَّابُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتِ، لَا يَخَافُ إِلَّا اللَّهَ وَالذُّبَّ عَلَى غَنَمِهِ، وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ.^{٤٤٤}

فهذه القصة التي ساقها الرسول ﷺ فيها من الحكم والعبر لا يعلمها إلا من أعطاها حقها من التأمل، ففيها أن الابتلاء بالتعذيب وغيره لأهل التوحيد سنة ماضية، وفيها ثبات من كان قبلنا على الحق لا يصدده عن دينه شيء ولو كان الثمن حياته، وفيها إخبار بالغيب عندما أخبر عن ظهور هذا الدين، وفيها بيان فضيلة الصبر ودم الاستعجال بقوله : (ولكنكم تستعجلون) .

قال ابن عثيمين : " أقسم ﷺ أن الله سبحانه سيعم هذا الأمر يعني سيتم ما جاء به الرسول ﷺ من دعوة الإسلام حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخشى إلا الله والذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون أي فاصبروا وانتظروا الفرج من الله فإن الله سيتم

الحشاش : هوام الأرض وحشراتهما واحده حَشَاشَةٌ - القُصْب : الأمعاء

^{٤٤٣} - شرح النووي على مسلم - (٧ / ٤١٥)

^{٤٤٤} - صحيح ابن حبان - (١٥ / ٩١) (٦٦٩٨) وصحيح البخارى - المكثر - (٦٩٤٣)

هذا الأمر وقد صار الأمر كما أقسم ﷺ ففي هذا الحديث آية من آيات الله حيث وقع الأمر مطابقاً لما أخبر به النبي ﷺ .

وآية من آيات النبي ﷺ حيث صدقه الله بما أخبر به وهذه شهادة له من الله بالرسالة كما قال الله لكن الله يشهد بما أنزل إليك أنزله بعلمه والملائكة يشهدون وكفى بالله شهيداً وفيه أيضاً دليل على وجوب الصبر على أذية أعداء المسلمين وإذا صبر الإنسان ظفر فالواجب على الإنسان أن يقابل ما يحصل من أذية الكفار بالصبر والاحتساب وانتظار الفرج ولا يظن الأمر ينتهي بسرعة وينتهي بسهولة .

قد يتلى الله عز وجل المؤمنين بالكفار يؤذونهم وربما يقتلونهم كما قتلوا الأنبياء .

اليهود من بني إسرائيل قتلوا الأنبياء الذين هم أعظم من الدعاة وأعظم من المسلمين، فليصبر ولينتظر الفرج ولا يمل ولا يضجر بل يبقى راسياً كالصخرة والعاقبة للمتقين والله تعالى مع الصابرين .

فإذا صبر وثابر وسلك الطرق توصل إلى المقصود ولكن بدون فوضى وبدون استنفار وبدون إثارة بطريق منظمة لأن أعداء المسلمين من المنافقين والكفار يمشون على خطا ثابتة منظمة ويحصلون مقصودهم .

أما السطحيون الذين تأخذهم العواطف حتى يثوروا ويستنفروا فإنه قد يفوتهم شيء كثير وربما حصل منهم زلة تفسد كل ما بنوا إن كانوا قد بنوا شيئاً .

لكن المؤمن يصبر ويتند ويعمل بتؤده ويوطن نفسه ويخطط تخطيطاً منظماً يقضي به على أعداء الله من المنافقين والكفار ويفوت عليهم الفرص لأنهم يتربصون الدوائر بأهل الخير يريدون أن يثيروهم حتى إن حصل من بعضهم ما يحصل حينئذ استعلوا عليهم وقالوا هذا الذي نريد وحصل بذلك شر كبير .

فالرسول ﷺ قال لأصحابه اصبروا فالمؤمن فيمن قبلكم - وأنتم أحق بالصبر منه - كان يعمل به هذا العمل ويصبر فأنتم يا أمة محمد أمة الصبر والإحسان فاصبروا حتى يأتي الله بأمره والعاقبة للمتقين .

فأنت أيها الإنسان لا تسكت عن الشر ولكن اعمل بنظام وبتخطيط وبجسـن تصرف وانتظر الفرج من الله ولا تمل فالدرب طويل لا سيما إذا كنت أول الفتنة فإن القائمين بها سوف يحاولون ما استطاعوا أن يصلوا إلى قمة ما يريدون فاقطع عليهم السبيل وكن أطول منهم نفساً وأشد منهم مكرًا فإن هؤلاء الأعداء يمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين والله الموفق. «٤٤٥»

عَنِ ابْنِ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - عَنِ النَّبِيِّ - ﷺ - قَالَ « خَرَجَ ثَلَاثَةٌ يَمْشُونَ فَأَصَابَهُمُ الْمَطَرُ، فَدَخَلُوا فِي غَارٍ فِي جَبَلٍ، فَانْحَطَّتْ عَلَيْهِمْ صَخْرَةٌ . قَالَ فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ادْعُوا اللَّهَ بِأَفْضَلِ عَمَلٍ عَمَلْتُمُوهُ . فَقَالَ أَحَدُهُمُ اللَّهُمَّ، إِنِّي كَانَ لِي أَبُوَانِ شَيْخَانِ كَبِيرَانِ، فَكُنْتُ أَخْرُجُ فَارْعَى، ثُمَّ أَجِيءُ فَأَحْلُبُ، فَأَجِيءُ بِالْحَلَابِ فَآتِي بِهِ أَبَوَيَّ فَيَشْرَبَانِ، ثُمَّ أَسْقِي الصَّبِيَةَ وَأَهْلِي وَأَمْرَأَتِي، فَاحْتَبَسْتُ لَيْلَةً . فَجِئْتُ فَإِذَا هُمَا نَائِمَانِ - قَالَ - فَكَرِهْتُ أَنْ أُوقِظَهُمَا، وَالصَّبِيَةَ يَتَضَاغُونَ عِنْدَ رِجْلِي، فَلَمْ يَزَلْ ذَلِكَ دَائِبِي وَدَائِبُهُمَا، حَتَّى طَلَعَ الْفَجْرُ اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءً وَجْهَكَ فَافْرُجْ عَنَّا فُرْجَةً نَرَى مِنْهَا السَّمَاءَ . قَالَ فَفَرَجَ عَنْهُمْ . وَقَالَ الْآخَرُ اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ تَعْلَمُ أَنِّي كُنْتُ أَحِبُّ امْرَأَةً مِنْ بَنَاتِ عَمِّي كَأَشَدِّ مَا يُحِبُّ الرَّجُلُ النِّسَاءَ، فَقَالَتْ لَا تَنَالُ ذَلِكَ مِنْهَا حَتَّى تُعْطِيَهَا مِائَةَ دِينَارٍ . فَسَعَيْتُ فِيهَا حَتَّى جَمَعْتُهَا، فَلَمَّا فَعَدْتُ بَيْنَ رِجْلَيْهَا قَالَتْ اتَّقِ اللَّهَ، وَلَا تَفُضِّ الْخَاتَمَ إِلَّا بِحَقِّهِ . فَقُمْتُ وَتَرَكْتُهَا، فَإِنْ كُنْتُ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءً وَجْهَكَ فَافْرُجْ عَنَّا فُرْجَةً، قَالَ فَفَرَجَ عَنْهُمْ الثَّلَاثِينَ .

وَقَالَ الْآخَرُ اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ تَعْلَمُ أَنِّي اسْتَأْجَرْتُ أَحِيرًا بَفَرَقٍ مِنْ ذُرَّةٍ فَأَعْطَيْتُهُ، وَأَبَى ذَلِكَ أَنْ يَأْخُذَ، فَعَمَدْتُ إِلَى ذَلِكَ الْفَرَقِ، فَزَرَعْتُهُ حَتَّى اشْتَرَيْتُ مِنْهُ بَقْرًا وَرَاعِيَهَا، ثُمَّ جَاءَ فَقَالَ يَا عَبْدَ اللَّهِ أَعْطِنِي حَقِّي . فَقُلْتُ انْطَلِقْ إِلَى تِلْكَ الْبَقْرِ وَرَاعِيَهَا، فَإِنَّهَا لَكَ . فَقَالَ أَتَسْتَهْزِئُ بِي . قَالَ فَقُلْتُ مَا أَتَسْتَهْزِئُ بِكَ وَلَكِنَّهَا لَكَ . اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءً

٤٤٥ - شرح رياض الصالحين لابن عثيمين - (١ / ١٢٧) وانظر فتاوى الشبكة الإسلامية معدلة - (٩ / ٧١٢٦) رقم الفتوى ٦٨٤٥٩ شرح حديث (.. لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه..)

وَجْهَكَ فَافْرُجْ عَنَّا . فَكُشِفَ عَنْهُمْ^{٤٤٦}»

وقال ابن تيمية : " وفي هذا: دليل على الإخلاص لله عز وجل في العمل وأن الإخلاص عليه مدار كبير في قبول العمل فتقبل الله منه هذه الوسيلة وانفجرت الصخرة لكن انفراجاً لا يستطيعون الخروج منه .

الثاني توصل إلى الله عز وجل بالعفة التامة وذلك أنه كان له ابنة عم وكان يجبها حباً شديداً كأشد ما يجب الرجال النساء فأرادها عن نفسها أي بالزنا ليزني بها ولكنها لم توافق وأبت، فألمت بها سنة من السنين أي أصابها فقر وحاجة فاضطرت إلى أن تجود بنفسها في الزنا من أجل الضرورة وهذا لا يجوز، ولكن هذا الذي حصل فجاءت إليه فأعطاه مائة وعشرين ديناراً أي: مائة وعشرين جنيهاً من أجل أن تمكنه من نفسها .

ففعلت من أجل الحاجة والضرورة، فلما جلس منها مجلس الرجل من امرأته على أنه يريد أن يفعل بها قالت هذه الكلمة العجيبة العظيمة: اتق الله ولا تفض الخاتم إلا بحقه .

فخوفته بالله عز وجل وأشارت إليه إلا أنه إن أراد هذا بالحق فلا مانع عندها لكن كونه يفض الخاتم بغير حق هي لا تريده، ترى أن هذا من المعاصي ولهذا قالت له اتق الله فلما قالت هذه الكلمة التي خرجت من أعماق قلبها دخلت في أعماق قلبه وقام عنها وهي أحب الناس إليه، يعني ما زالت رغبته عنها ولا كرهها بل حبها باق في قلبه، لكن أدركه خوف الله عز وجل فقام عنها وترك لها الذهب الذي أعطاه مائة وعشرين ديناراً، ثم قال: اللهم إن كنت فعلت هذا لأجلك فافرج عنا ما نحن فيه فانفجرت الصخرة إلا أنهم لا يستطيعون الخروج وهذا من آيات الله لأن الله على كل شيء قدير لو شاء الله تعالى لانفجرت عنهم لأول مرة .

ولكنه سبحانه وتعالى أراد أن يبقى هذه الصخرة حتى يتم لكل واحد منهم ما أراد أن يتوسل به من صالح الأعمال .

^{٤٤٦} صحيح البخارى- المكثر - (٢٢١٥) وصحيح مسلم- المكثر - (٧١٢٧)

الحلاب : الإناء الذى يجلب فيه اللبن - يتضاغون : يكون ويصبحون

الفرق : مكيال يسع ستة عشر رطلا

أما الثالث فتوسل إلى الله عز وجل بالأمانة والإصلاح والإخلاص في العمل فإنه يذكر أنه استأجر أجراً، على عمل من الأعمال فأعطاهم أجورهم إلا رجلاً واحداً ترك أجره فلم يأخذه، فقام هذا المستأجر فثمر المال فصار يتكسب به بالبيع والشراء وغير ذلك حتى نما وصار منه إبل وبقر وغنم ورقيق وأموال عظيمة .

ففي هذا الحديث من الفوائد والعبر فضيلة بر الوالدين وأنه من الأعمال الصالحة التي يفرج بها الكربات ويزيل بها الظلمات .

وفيه فضيلة العفة عن الزنا وأن الإنسان إذا عفا عن الزنا مع قدرته عليه فإن ذلك من أفضل الأعمال وقد ثبت عن النبي ﷺ أن هذا من السبعة الذين يظلمهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله رجل دعت امرأة ذات منصب وجمال فقال إني أخاف الله .

فهذا الرجل مكنته هذه المرأة التي يحبها من نفسها فقام خوفاً من الله عز وجل فحصل عنده كمال العفة فيرجى أن يكون ممن يظلمهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله .

وفي هذا الحديث دليل على فضل الأمانة وإصلاح العمل للغير فإن هذا الرجل بإمكانه لما جاءه الأجير أن يعطيه أجره ويقتي هذا المال له، ولكن لأمانته وثقته وإخلاصه لأخيه ونصح له أعطاه كل ما أثمر أجره .

ومن فوائد هذا الحديث بيان قدرة الله عز وجل حيث إنه تعالى أزال عنهم الصخرة بإذنه لم تأت سيارة تزيلها ولم يأت رجال يزحزحونها وإنما هو أمر الله عز وجل .

أمر الله هذه الصخرة أن تنحدر فتنتطبق عليهم ثم أمرها أن تنفرج عنهم والله سبحانه على كل شيء قدير .

وفيه من العبر: أن الله سميع الدعاء فإنه سمع دعاء هؤلاء واستجاب لهم .

وفيه من العبر: أن الإخلاص من أسباب تفريج الكربات لأن كل واحد منهم يقول: اللهم إن كنت فعلت ذلك من أجلك فافرج عنا ما نحن فيه .

أما الرياء والعياذ بالله والذي لا يعمل الأعمال إلا رياء وسمعة حتى يمدح عند الناس فإن هذا كالزبد يذهب جفاء لا ينتفع منه صاحبه نسأل الله أن يرزقنا وإياكم الإخلاص له

الإخلاص هو كل شيء لا تجعل نصيباً من عبادتك لأحد اجعلها كلها لله عز وجل حتى تكون مقبولة عند الله لأنه ثبت عن أبي هريرة قال قال رسول الله - ﷺ - « قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنَا أَعْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشُّرْكِ مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِيَ غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشُرْكَهُ » ٤٤٧ . والله الموفق . « ٤٤٨ »

والقصص في السنة كثيرة ولولا الإطالة لسقت بعضاً منها ولكن أكتفي بإشارات إليها، فمنها قصة الثلاثة (الأعمى، والأبرص، والأقرع) الذين أتاهم الملك.. وقصة نبي الله موسى عليه السلام مع الخضر، وغيرها كثير .

وعلى المعلم .. أن لا يكون همه سرد القصص فقط، بل عليه بيان مواضع العبر منها، وبيان الفوائد المستنبطة من القصة، وبيان الأحكام الواردة فيها إن كان فيها أحكام .. إلخ .

الخلاصة:

- (١) القصص تألفها النفوس، ولها تأثير عجيب في جذب انتباه السامع وحفظ أحداث القصة بسرعة.
- (٢) القصة لم توضع للتسلية المجردة فقط بل للاعتبار والاعتاظ والتعلم .
- (٣) القصص لها أثرها البالغ في التأثير على سلوكيات الطلاب، خصوصاً إذا كانت القصة واقعية وتعالج قضايا هامة .
- (٤) القصة وسيلة قوية للتعليم فيجب الاعتناء بها، وإعطائها قدراً كبيراً من الاهتمام ٤٤٩ .

[٧] ضرب الأمثال أثناء التعليم :

٤٤٧ - صحيح مسلم - المكثر - (٧٦٦٦)

٤٤٨ - شرح رياض الصالحين لابن عثيمين - (١ / ٤٥)

٤٤٩ - انظر كتابي ((قصة قارون دروس وعبر)) وكتابي ((قصة أصحاب القرية دروس وعبر))

يحتاج المعلم والمربي إلى وسيلة تقرب المسألة المعقدة أو المعضلة إلى الأذهان، أو توضح الفكرة الصعبة. وبأسلوب آخر فإن المعلم قد تواجهه بعض الصعوبات في إيصال المعلومات إلى ذهن السامع، فيحتاج إلى وسيلة أخرى مساعدة تحل هذا الإشكال، وتفتح المجال أمام ذهن الطالب فيتعلم المسألة الصعبة بسهولة ويسر.

والمثل لغة : صيغة المثل وما يشتق منها تفيد التصوير والتوضيح، والظهور والحضور والتأثير . فالمثل هو الشيء المضروب الممثل به الذي تتضح به المعاني وهو صفة الشيء أيضاً^{٤٥٠} .

والقرآن الكريم حافل بذكر الأمثال، وهي كثيرة جداً : فمن ذلك قوله تعالى : { أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ (٢٤) تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ يَأْذَنُ رَبُّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (٢٥) وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ } (٢٦) سورة إبراهيم

بَيْنَ اللَّهِ تَعَالَى فِي الْآيَاتِ السَّابِقَاتِ حَالَ الْأَشْقِيَاءِ، وَمَا يَلْقَوْنَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْأَهْوَالِ الشَّدِيدَةِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، كَمَا بَيْنَ حَالَ السُّعْدَاءِ الْأَبْرَارِ وَمَا يَنَالُونَهُ مِنْ فَوْزٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ فِي جَنَّاتِ التَّعِيمِ . ثُمَّ ضَرَبَ مَثَلًا يُبَيِّنُ حَالَ الْفَرِيقَيْنِ، وَيُوضِّحُ الْفَرْقَ بَيْنَهُمَا، لِتَقْرِيبِ الصُّورَةِ إِلَى الْعُقُولِ وَالْأَفْهَامِ فَقَالَ تَعَالَى : أَلَمْ تَعْلَمْ يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ عِلْمَ الْيَقِينِ، كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا وَوَضَعَهُ الْمَوْضِعَ اللَّائِقَ بِهِ، فَشَبَّهَ الْكَلِمَةَ الطَّيِّبَةَ (وَهِيَ الْإِيمَانُ الثَّابِتُ فِي قَلْبِ الْمُؤْمِنِ الَّذِي يَرْفَعُ بِهِ عَمَلُهُ إِلَى السَّمَاءِ، وَتَنَالَهُ بَرَكَتُهُ وَتَوَابُهُ فِي كُلِّ وَقْتٍ)، بِالشَّجَرَةِ الْمُثْمِرَةِ الْجَمِيلَةِ الْمُنْظَرِ الَّتِي أَصْلُهَا رَاسِخٌ فِي الْأَرْضِ وَفُرُوعُهَا مُتَصَاعِدَةٌ إِلَى السَّمَاءِ .

وَهَذِهِ الشَّجَرَةُ الطَّيِّبَةُ تُكُونُ عَلَيْهَا ثَمَارُهَا فِي كُلِّ حِينٍ، وَفِي كُلِّ آن يَأْذَنُ رَبُّهَا لِلَّهِ، كَذَلِكَ الْمُؤْمِنُ لَا يَزَالُ يُرْفَعُ لَهُ عَمَلٌ صَالِحٌ آتَاءَ اللَّيْلِ وَأَطْرَافِ النَّهَارِ، فِي كُلِّ وَقْتٍ، وَفِي كُلِّ حِينٍ، وَاللَّهُ يَضْرِبُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لِتَقْرِبِ الْأُمُورَ إِلَى أَفْهَامِهِمْ، وَيَزِيدَ فِي إِضَاحِهَا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَتَعَذَّبُونَ وَيَتَذَكَّرُونَ .

وَضَرَبَ اللَّهُ تَعَالَى مَثَلًا لِكَلِمَةِ الْكُفْرِ وَمَا مَاتَلَهَا (كَلِمَةُ خَبِيثَةٍ)، شَجَرَةً خَبِيثَةً كَالْحَنْظَلِ

^{٤٥٠} - الأمثال في القرآن الكريم . لابن القيم الجوزية . ص ٢٨ تحقيق سعيد محمد نمر الخطيب (ط. دار المعرفة) والكلام من قول الحق .

وَنَحْوِهِ، لَيْسَ لَهَا جُدُورٌ نَابِتَةٌ فِي الْأَرْضِ، وَفُرُوعُهَا لَا تَتَجَاوَزُ سَطْحَ الْأَرْضِ، وَقَدْ اقْتَلَعَتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ لِأَنَّ عُرُوقَهَا قَرِيبَةٌ مِنْ سَطْحِ الْأَرْضِ، وَأُلْقِيَتْ .

كَمَا أَنَّ هَذِهِ الشَّجَرَةَ الْخَبِيثَةَ لَا تَبَاتَ لَهَا وَلَا دَوَامٌ، وَسَمَرُهَا مُرٌّ الْمَذَاقِ، كَذَلِكَ الْكُفْرُ لَا يَدُومُ وَلَا يَبْتُ، وَعَاقِبَتُهُ وَحِيمَةٌ .^{٤٥١}

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ يَقُولُ : تَأْمُرُونَهُمْ أَنْ يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَالْإِقْرَارَ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَتُقَاتِلُونَهُمْ عَلَيْهِ ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ أَعْظَمُ الْمَعْرُوفِ ، وَتَنْهَوْنَهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْمُنْكَرُ هُوَ التَّكْذِيبُ ، وَهُوَ أَنْكَرُ الْمُنْكَرِ وَفِي قَوْلِهِ : وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا ، قَالَ : هِيَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَكَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَهِيَ الشِّرْكَ بِاللَّهِ وَفِي قَوْلِهِ : لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ يَقُولُ لِلَّذِينَ شَهِدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْحَنَّةَ وَفِي قَوْلِهِ : لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ ، يَقُولُ شَهَادَةَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَفِي قَوْلِهِ : إِنْ اللَّهُ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ يَقُولُ : شَهَادَةَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَفِي قَوْلِهِ : إِيَّا مَنْ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا قَالَ : الْعَهْدُ شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَيَبْرَأُ مِنَ الْحَوْلِ وَالْقُوَّةِ وَلَا يَرْجُو إِلَّا اللَّهَ وَفِي قَوْلِهِ : وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَى يَقُولُ : الَّذِينَ ارْتَضَاهُمْ بِشَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَفِي قَوْلِهِ : مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا ، يَقُولُ : مَنْ جَاءَ بِمَا إِلَّا اللَّهُ فَمِنْهَا وَصَلَ إِلَيْهِ الْخَيْرُ ، وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ وَهُوَ الشِّرْكَ يَقُولُ : فَكَبَّتْ وَجُوهُهُمْ فِي النَّارِ وَفِي قَوْلِهِ : وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ جَاءَ بِمَا إِلَّا اللَّهُ وَصَدَّقَ بِهِ يَعْنِي : بِرَسُولِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ يَقُولُ : اتَّقُوا الشِّرْكَ ، وَفِي قَوْلِهِ إِيَّا مَنْ أَدَانَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا يَقُولُ : إِيَّا مَنْ أَدَانَ لَهُ الرَّبُّ بِشَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَهِيَ مُنْتَهَى الصَّوَابِ ، وَفِي قَوْلِهِ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً شَهَادَةَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ وَهُوَ الْمُؤْمِنُ : أَصْلُهَا تَابَتْ يَقُولُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ تَابَتْ فِي قَلْبِ الْمُؤْمِنِ ، وَفَرَعُهَا فِي السَّمَاءِ يَقُولُ : يُرْفَعُ بِهَا عَمَلُ الْمُؤْمِنِ إِلَى السَّمَاءِ ، ثُمَّ قَالَ : وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ يَقُولُ : الشِّرْكَ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ يَعْنِي : الْكَافِرَ ، اجْتَثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ يَقُولُ : الشِّرْكَ لَيْسَ لَهُ أَصْلٌ يَأْخُذُ بِهِ الْكَافِرُ وَلَا بُرْهَانٌ ، وَلَا يَقْبَلُ اللَّهُ مَعَ الشِّرْكَ عَمَلًا^{٤٥٢}

^{٤٥١} - أيسر التفاسير لأسعد حومد - (١ / ١٧٧٥)

^{٤٥٢} - الأسماء والصفات للبيهقي (٢٠٥) حسن

وعن سُلَيْمَانَ بْنِ عَامِرٍ، قَالَ : سَمِعْتُ الرَّبِيعَ بْنَ أَنَسٍ، فِي قَوْلِهِ : ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ قَالَ : " فَكَذَلِكَ مَثَلُ الْكَافِرِ فِي الْبَحْرِ فِي ظُلْمَةِ اللَّيْلِ فِي لُجَّةِ الْبَحْرِ فَهِيَ ظُلُمَاتٌ إِحْدَاهُنَّ اللَّيْلُ فِي بَحْرِ لُجِّي يَعْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ إِلَى قَوْلِهِ فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ فَهُوَ يَتَقَلَّبُ فِي خَمْسٍ مِنَ الظُّلْمِ، وَكَذَلِكَ أَنْ عَمَلُهُ كَظُلْمَةِ اللَّيْلِ فِي لُجَّةِ الْبَحْرِ، يَعْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ، مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ، ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ، فَهَذِهِ خَمْسَةٌ مِنَ الظُّلْمِ، وَهُوَ يَتَقَلَّبُ فِي خَمْسَةٍ مِنَ الظُّلْمِ، فَمَدَّخُلُهُ فِي ظُلْمَةٍ، وَمَخْرَجُهُ فِي ظُلْمَةٍ، وَكَلَامُهُ فِي ظُلْمَةٍ، وَعَمَلُهُ ظُلْمَةٌ، وَمَصِيرُهُ إِلَى الظُّلْمَاتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَكَذَلِكَ مَيِّتُ الْأَحْيَاءِ يَمْشِي فِي النَّاسِ لَا يَدْرِي مَا لَهُ وَمَاذَا عَلَيْهِ، إِنَّ اللَّهَ جَعَلَ طَاعَتَهُ نُورًا، وَمَعْصِيَتَهُ ظُلْمَةً، إِنَّ الْإِيمَانَ فِي الدُّنْيَا هُوَ النُّورُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، ثُمَّ إِنَّهُ لَا خَيْرَ فِي قَوْلٍ وَلَا عَمَلٍ لَيْسَ لَهُ أَصْلٌ وَلَا فَرْعٌ " ٤٥٣

إن مشهد الكلمة الطيبة كالشجرة الطيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء ... والكلمة الخبيثة كالشجرة الخبيثة، اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار .. هو مشهد مأخوذ من جو السياق، ومن قصة النبيين والمكذبين، ومصير هؤلاء وهؤلاء بوجه خاص. وشجرة النبوة هنا وظل إبراهيم أبي الأنبياء عليها واضح، وهي تؤتي أكلها كل فترة، أكلا جنيا طيبا .. نيبا من الأنبياء .. يثمر إيمانا وخيرا وحيوية ..

ولكن المثل - بعد تناسقه مع جو السورة وجو القصة - أبعد من هذا آفاقا، وأعرض مساحة، وأعمق حقيقة.

إن الكلمة الطيبة - كلمة الحق - كالشجرة الطيبة. ثابتة سامقة مثمرة .. ثابتة لا تززعها الأعاصير، ولا تعصف بها رياح الباطل ولا تقوى عليها معاول الطغيان - وإن خيل للبعض أنها معرضة للخطر الماحق في بعض الأحيان - سامقة متعالية، تطل على الشر والظلم والطغيان من عل - وإن خيل إلى البعض أحيانا أن الشر يزحهما في الفضاء - مثمرة لا ينقطع ثمرها، لأن بذورها تنبت في النفوس المتكاثرة أنا بعد أن ..

وإن الكلمة الخبيثة - كلمة الباطل - كالشجرة الخبيثة قد تهيج وتتعالي وتتشابك ويخيل إلى

٤٥٣ - تَفْسِيرُ ابْنِ أَبِي حَاتِمٍ (١٣٦٥٠) حَسَن

بعض الناس أهما أضخم من الشجرة الطيبة وأقوى. ولكنها تظل نافشة هشة، وتظل جذورها في التربة قريبة حتى لكأنها على وجه الأرض .. وما هي إلا فترة ثم تحتث من فوق الأرض، فلا قرار لها ولا بقاء.

ليس هذا وذلك مجرد مثل يضرب، ولا مجرد عزاء للطيبين وتشجيع. إنما هو الواقع في الحياة، ولو أبطأ تحققه في بعض الأحيان.

والخير الأصيل لا يموت ولا يذوي. مهما زحمة الشر وأخذ عليه الطريق .. والشر كذلك لا يعيش إلا ريثما يستهلك بعض الخير المتلبس به - فقلما يوجد الشر الخالص - وعند ما يستهلك ما يلبسه من الخير فلا تبقى فيه منه بقية، فإنه يتهالك ويتهشم مهما تضخم واستطال.

إن الخير بخير! وإن الشر بشر! «وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ» .. فهي أمثال مصداقها واقع في الأرض، ولكن الناس كثيرا ما ينسونه في زحمة الحياة.

وفي ظل الشجرة الثابتة، التي يشارك التعبير في تصوير معنى الثبات وجوه، فيرسمها : أصلها ثابت مستقر في الأرض، وفرعها سامق ذاهب في الفضاء على مد البصر، قائم أمام العين يوحى بالقوة والثبات.

في ظل الشجرة الثابتة مثلا للكلمة الطيبة : «يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ» ..

وفي ظل الشجرة الخبيثة المجتثة من فوق الأرض ما لها من قرار ولا ثبات : «وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ» .. فتناسق ظلال التعبير وظلال المعاني كلها في السياق! يثبت الله الذين آمنوا في الحياة الدنيا وفي الآخرة بكلمة الإيمان المستقرة في الضمائر، الثابتة في الفطر، المثمرة بالعمل الصالح المتجدد الباقي في الحياة. ويثبتهم بكلمات القرآن وكلمات الرسول وبوعده للحق بالنصر في الدنيا، والفوز في الآخرة .. وكلها كلمات ثابتة صادقة حقة، لا تتخلف ولا تتفرق بها السبل، ولا يمس أصحابها قلق ولا حيرة ولا اضطراب.

ويضل الله الظالمين بظلمهم وشركهم (و الظلم يكثر استعماله في السياق القرآني بمعنى الشرك ويغلب) وبعدهم عن النور الهادي، واضطرابهم في تيه الظلمات والأوهام والخرافات واتباعهم

مناهج وشرائع من الهوى لا من اختيار الله .. يضلهم وفق سنته التي تنتهي بمن يظلم ويعمى عن النور ويخضع للهوى إلى الضلال والتهيه والشروء.

«وَيَقْعُلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ» .. بإرادته المطلقة، التي تختار الناموس، فلا تتقيد به ولكنها ترضاه. حتى تقتضي الحكمة تبديله فيتبدل في نطاق المشيئة التي لا تقف لها قوة، ولا يقوم في طريقها عائق والتي يتم كل أمر في الوجود وفق ما تشاء.^{٤٥٤}

والمثل هو الشيء الذي يوضح بالجلي الخفي. وأنت تقول لصديق لك: هل رأيت فلاناً؟ فيقول لك: لا لم أراه؛ فتقول له: إنه يُشبهه صديقنا علان. وهكذا توضح أنت مَنْ خَفِيَ عَن مُخَيَّلَةِ صَدِيقِكَ. مَنْ هُوَ وَاضِحٌ فِي مُخَيَّلَتِهِ.

والحق - سبحانه وتعالى - يضرب لنا الأمثال بالأمر المحسنة، كي ينقل المعاني إلى أذهاننا؛ لأن الإنسان له إلفٌ بالمحس؛ وإدراكات حواسه تعطيه أموراً حسية أولاً، ثم تحقق له المعاني بعد ذلك.

ويقول الحق سبحانه: { إِنْ لِّلّٰهِ لَا يَسْتَحْيٰ اَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوْذَةً فَمَا فَوْقَهَا... } [البقرة: ٢٦].

وقد قال الكافرون: أيضرب الحق مثلاً ببعوضة؟ ذلك أنهم لم يعرفوا أن البعوضة لها حياة، وفيها حركة كأى كائن؛ وتركيبها التشريحي يتشابه مع التركيب التشريحي لكل الأحياء في التفاصيل؛ ويؤدي كل الوظائف الحيوية المطلوبة منه.

ولا أحد غير الدارسين لعلم الحشرات يمكن أن يعرف كيف تتنفس، أو كيف تهضم طعامها؛ ولا كيفية وجود جهاز دمويّ فيها؛ أو مكان الغدد الخاصة بها؛ وهي حشرة دقيقة الصنع.

وهو سبحانه ضرب الأمثال الكثيرة ليوضح الأمر الخفيّ بأمر جليّ. ومن بعد ذلك ينتشر المثل بين الناس. ونقول: إن كلمة "ضرب" مثلها مثل "ضرب العملة"، وكان الناس قديماً يأتون بقطع من الفضة أو الذهب ويشكّلونها بقدر وشكلٍ مُحدّد لتدلّ على قيمة ما، وتصير بذلك عملة متداولة، ويُقال وشكّل - أيضاً - "ضرب في مصر" أي: اعتمد وصار أمراً واقعاً.

^{٤٥٤} - في ظلال القرآن موافقا للمطبوع - (٤ / ٢٠٩٨)

وكذلك المثل حين ينتشر ويصبح أمراً واقعاً.

والمثل الذي يضربه الحق سبحانه هنا هو الكلمة الطيبة؛ ولها أربع خصائص: { كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ... } [إبراهيم: ٢٤]. أي: تعطيك طيباً تستريح له نفسك؛ إما منظراً أو رائحة أو ثماراً؛ أو كُلُّ ذَلِكَ مجتمعا؛ فقله: { كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ.. } [إبراهيم: ٢٤]. يوحى بأن كُلَّ الحواس تجدد فيها ما يُريحها؛ وكلمة " طيبة " مأخوذة من الطَّيب في جميع وسائل الإحساس.

فالخاصة الأولى، أنها شجرة طيبة، أما الخاصية الثانية فهي أن أصلها ثابت، كإيمان المؤمن الحُب، والثالثة أن فروعها في السماء، وهذا دليل أيضاً على ثبات الأصل وطيب منبتها. أما الخاصية الرابعة فهي أن تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها، أي: فيها عطاء المدد الذي لا يعرف الحد ولا العدد، وهي تدل على صفات المؤمنين المحبين.

وبما أنها شجرة طيبة؛ فهي كائن نباتي لا بُدَّ لها من أن تتغذى لتحفظ مَقومَات حياتها. ومَقومَات حياة النبات توجد في الأرض، فإن كانت الشجرة مُخلخلَة وغير ثابتة فهي لن تستطيع أن تأخذ غذاءها.

ولذلك يقول الحق سبحانه عن تلك الشجرة: { أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ... } [إبراهيم: ٢٤]. وكلنا نظن أن الشجرة تأخذ غذاءها من الجذور فقط؛ ولكن الحقيقة العلمية تؤكد أن الشجرة تأخذ خمسة بالمائة من غذائها عِبْرَ الجذور؛ والباقي تأخذه من الهواء، وكلما كان الهواء نظيفاً فالشجرة تنمو بأقصى ما فيها من طاقة حتى تكاد أن تبلغ فروعها السماء.

أما إن كانت البيئة غير نظيفة ومُلوثة؛ فالهواء يكون غير نظيف بما لا يسمح للشجرة أن تنمو المناسب؛ فتمرُّ الأغيار غير المناسبة على الشجرة، فلا تستخلص منها الغذاء المناسب، ولا تنمو النمو المناسب. اللهم إلا إذا نزل عليها المطر فيغسل أوراقها.

إذن: فقول الحق سبحانه: { أَصْلُهَا ثَابِتٌ... } [إبراهيم: ٢٤]. يعني: أنها تأخذ من الأرض. وقوله: { وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ.. } [إبراهيم: ٢٤]. يُبين أنها تأخذ من أعلى.

ويتابع سبحانه: { تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ... } [إبراهيم: ٢٥]. والأكل هو ما يُؤكل ويُتمتع به، ولكننا لا نأخذ المعنى هنا على ما يُؤكل بالفم فقط؛ ذلك أن هناك أشجاراً ونباتات طيبة؛ لأن

مزاج الكون العام يتطلبها؛ فالظل مثلاً يُستفاد منه؛ وكذلك هناك أشجار يتفاعل وجودها مع الأثير؛ ويأخذ منها رائحة طيبة.

والمثل في ذلك: الطفل البدويّ الذي شاهد نخيل جيرانه مثمراً بالبلح، ولكن النخلة التي يملكونها غير مثمرة، وتساءل: لماذا؟ وذهب ليقطعها، فلحقه والده ومنعه من ذلك، وقال له: إن نخلتنا هي الذكر الذي يُنتج اللقاح اللازم لبقية النخيل كي تثمر.

ولذلك فأنا لا أوافق المفسرين الذين ذهبوا إلى تفسير قوله الحق: { كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ... } {إبراهيم: ٢٤}.

بأنها مثل شجرة التفاح وغيرها من الأشجار المثمرة؛ ذلك أن كل شجرة حتى ولو كانت شجرة حَنْظَل فهي طيبة بفائدتها التي أودعها الحق إياها؛ فشجرة الحنظل نأخذ منها دواءً - قد يكون مرير الطعم - لكنه يشفي بعضاً من الأمراض بإذن الله.

ذلك أن كل ما هو موصوف بشجرة له مهمة طيبة في هذا الكون. وقول الحق سبحانه: { تُؤْتِي أكلها كُلَّ حِينٍ... } {إبراهيم: ٢٥}.

يدلنا على أن هناك قدراً مشتركاً بين الشجر كله؛ مثمراً بما نراه من فاكهة أو غير ذلك.

وقد نبهنا العلم الحديث إلى أن كل خُضْرَة إنما تُنْقِي الجو بما تأخذ منه من ثاني أكسيد الكربون، وبما تضيف لنا من أكسجين؛ وتستمر الخضرة في ذلك نهاراً؛ وتقلب مهمتها بإرسال ثاني أكسيد الكربون ليلاً وامتصاص الأوكسجين، وكأنها مُبرِّجة على فهم أن النهار يقتضي الحركة.

ويحتاج الكائن الحي فيه إلى المزيد من وقود الحركة وهو الأوكسجين؛ والإنسان أثناء الحركة يستهلك كمية كبيرة من الأوكسجين؛ ونجد مَنْ يصعد سلماً ينهج لأن رتتيه تحاولان امتصاص أكبر قدر من الأوكسجين ليؤكسد الدم، وينتج الطاقة اللازمة للصعود. وهكذا نجد كل خُضْرَة إنما تقوم بوظائف محددة لها سلفاً من قبل الخالق الأعلى.

ولذلك اختلف العلماء عند تفسير: { تُؤْتِي أكلها كُلَّ حِينٍ.. } {إبراهيم: ٢٥}. فمنهم مَنْ قال: إن " الحين " يُطلق على اللحظة؛ مثل قول الحق سبحانه: { فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الحُلُومَ * }

وَأَنْتُمْ حِينِيذٍ تَنْظُرُونَ } [الواقعة: ٨٣-٨٤].

وقال مُفسِّر آخر: إن " الحين " يُقصد به الصباح والمساء، والحق سبحانه هو القائل: { فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ } [الروم: ١٧].

وأقول: فلننتبه إلى أن " الحين " هو الوقت الذي يمين فيه المقدور؛ فإذا كان الحين هو لحظة بلوغ الروح إلى الحُلُقوم؛ فهذه اللحظة هي المراد بـ " الحين " هنا، وإذا كان المقصود بها زمناً أطول من ذلك؛ صباحاً أو مساءً؛ فهذا الزمن ينسحب عليه معنى الحين.

والحق سبحانه هو القائل: { وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ ... } [البقرة: ١٧٧].
والبأس يعني الحرب؛ ومدة الحرب قد تطول. وكذلك يقول الحق سبحانه: { وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ } [الأعراف: ٢٤].

وهكذا يكون معنى " الحين " هنا هو الأجل غير المُسمَّى الذي يمتد إلى أن تتبدل الأرض غير الأرض والسماء غير السماء. إذن: فلا يوجد توقيت مُحدد المدة يمكن أن نُحدد به معنى " حين ".

ويذيل الحق سبحانه الآية الكريمة التي نحن بصدد خواطرننا عنها بقوله: { وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ } [إبراهيم: ٢٥].

وضرب المثل معناه إيقاع شيء صغير ليدل على شيء كبير؛ أو بشيء جلي ليدل على شيء خفي؛ ليُقرب المعنويات إلى وسائل الإدراكات الأولى، وهي مُدركات الحس من سمع وبصر وبقية وسائل الإدراك.

وحين تأتي المعاني التي تناسب الطموح العقلي؛ فالإنسان يتجاوز مرحلة الحس إلى المعلومات المعنوية؛ فيقربها الحق سبحانه بأن يضرب لنا الأمثال التي توصل لنا المعنى المطلوب إيصاله.

والحق سبحانه لا يستحي - كما قال - أن يضرب مثلاً بالعوضة وما فوقها. والبعض من المستشرقين يقول: ولماذا لم يُقل " وما تحتها "؟

ونقول لمن يقول ذلك: أنت لم تفهم اللغة العربية؛ لذلك لم تستقبل القرآن بالملكة العربية؛ ذلك أن المثل يُضرب بالشيء الدقيق؛ وما فوق الدقيق هو الأدق.

والحق سبحانه يضرب لنا المثل للحياة الدنيا، وهي الحياة التي من لَدُنْ خَلَقَ اللهُ لِلْإِنْسَانِ؛ ذلك أنه كانت هناك أجناسٌ قبل الإنسان، وهو سبحانه هنا يُوضِّح لنا بالمثل ما يخص الحياة من لحظة خَلَقَ آدم إلى أن تقوم الساعة، وهو يطويها - تلك الحياة الطويلة العريضة التي تستغرق أعمال أجيال - ويعطيها لنا في صورة مثل موجز، فيقول لنا: ﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَا أَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ فَأَخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَّاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا كُلُّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا ۝﴾ [الكهف: ٤٥].

وهكذا يطوي الحق سبحانه الحياة كلها في هذا المثل من ماء يتزل ونبات ينمو لينضج ثم تذروه الرياح.

وأيضاً يقول الحق سبحانه: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُمْ وَاثِقَاتٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا..﴾ [الحديد: ٢٠].

وهكذا يطوي الحق سبحانه الحياة الدنيا بطولها وعرضها في هذا المثل البسيط لنرى ما يُوضِّح لنا المعاني الخفية في صورة مُحسَّنة بحيث يستطيع العقل الفطري أن يدرك ما يريد الله منها.

ونعلم أن المحسَّات تدرك أولاً بعض الأشياء؛ ثم ترتقي إلى مرتبة التخيل؛ ثم يأتي التوهم؛ فمرحلة الإدراك للأشياء الخفية هي الحس أولاً؛ ثم التخيل ثانياً؛ ثم التوهم ثالثاً.

والتخيل هو أن تجمع صورة كلية ليس لها وجود في الخارج؛ وإن كانت مُكوَّنة من مادة وأشياء موجودة في هذا الخارج. والمثل على ذلك هو قول الشاعر الذي أراد أن يصف الوشم على يد حبيبته، فقال: حوض كأنَّ بنائها في نَقْشِهِ الوشم المُرْدَسْمَكُ من البَلُّورِ في شَبَكِ تَكُونُ من زَبْرَجِدٍ وحين تبحث في الصورة الكلية لتلك الأبيات من الشعر؛ لن تجدها موجودة في الواقع؛ ولكن الشاعر أوجدها من مُكوِّنات ومُفردات موجودة في الواقع؛ فالسَّمَكُ موجود ومعروف؛ والبَلُّورُ موجود ومعروف؛ وكذلك الشَّبَكُ والزَّبْرَجِدُ، وقام الشاعر بنسج تلك الصورة غير الموجودة من أشياء موجودة بالفعل، وهذا هو الخيال الذي يُقَرِّبُ المعنى.

والتوهم يُتلف عن الخيال؛ فإذا كان التخيل هو تكوين صورة غير موجودة في الواقع من مفردات موجودة في هذا الواقع؛ فالتوهم هو صورة غير موجودة في الواقع، ومُكوَّن من

مفردات غير موجودة في الواقع. والحق سبحانه يقول لنا عن الجنة: { وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ... } [الزخرف: ٧١].

ويشرح الرسول ﷺ ذلك بمذكرة تفسيرية، فيقول: " فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر "

والعين وسيلة إدراك وحس؛ وكذلك الأذن، أما ما لا يخطر على القلب فهو ليشرحه الخيال أو الوهم. وهكذا نعلم لماذا يضرب الله لنا الأمثال؛ لِيُوجِزَ لنا ما يشرح ويوضح بأشياء قريبة من الفهم البشري.

وأنت حين تريد أن تكتب لصديق؛ فقد تُمسك الورقة والقلم وتُدبج رسالة طويلة؛ ولكن إن كنت تملك وقتك فستحاول أن تُركِّز كل المعاني في كلمات قليلة.

وحين طلب أحد القادة المسلمين النُصرة من خالد بن الوليد؛ وكان القائد الذي يطلب المساعدة مُحاصراً؛ وأرسل لخالد بن الوليد كلمتين اثنتين " إياك أريد "، وهكذا اختصر القائد المحاصر ما يرغب إيصاله إلى مَنْ ينجده، بإيجاز شديد.

والشاعر يقول:

إِذَا أَرَادَ اللَّهُ نَشْرَ فَضِيلَةٍ طُوِيَتْ أَتَاحَ لَهَا لِسَانَ حَسُودٍ

لَوْلَا اشْتِعَالُ النَّارِ فِيمَا جَاوَرَتْ مَا كَانَ يُعْرَفُ طِيبُ عَرَفِ الْعُودِ

أي: أنه إذا كانت هناك فضيلة مكتومة نسيها الناس؛ فالحق سبحانه يتيح لها لسان حاسد حاقد ليُثرثر ويُنقّب؛ لتظهر وتنجلي؛ مثلما يُوضَعُ خشب العود - وهو من أرقى ألوان البخور - في النار، فينتشر عطره بين الناس.

وهكذا ضرب الشاعر المثل ليُوضِّح أمراً ما للقارئ أو السامع.

ويقول الشاعر ضارباً المثل أيضاً:

وَإِذَا امْرُؤٌ مَدَحَ امْرَأً لِنَوَالِهِ وَأَطَالَ فِيهِ فَقَدْ أَطَالَ هِجَاؤَهُ

لَوْ لَمْ يُقَدَّرْ فِيهِ بُعْدُ الْمُسْتَقَى عِنْدَ الْوُرُودِ لَمَا أَطَالَ رِشَاءَهُ

والمقاييس العادية تقول: إن المرء حين يمدح أحداً لفترة طويلة، فهذا يعني الرُفعة والمجد

للممدوح. ولكن حين يقرأ أحدٌ قول هذا الشاعر قد يتعجب ويندهش، ولكنه يتوقف عند قول الشاعر أن الماء لو كان قريباً في البئر؛ لأخرجه العطشان بدلو مربوط بجبل قصير؛ ولكن إن كان الماء على بُعد مسافة في البئر فهذا يقتضي حبلاً طويلاً ليتزل الدلو إلى الماء.

وهذا يعني أن طول المدح إنما يُعبر عن فظاظة الممدوح الذي لا يستجيب إلا بالثناء الطويل؛ ولو كان الممدوح كريماً حقاً لاكتفى بكلمة أو كلمتين في مدحه. وهكذا يكون ضربُ المثل توضيحاً وتقريباً للذهن. وهنا قال الحق سبحانه: { وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ } [إبراهيم: ٢٥]. والتذكر معناه أن شيئاً كان معلوماً بالفطرة؛ ولكن الغفلة طرأت؛ فيأتي المثل لِيُذَكِّرَ بالأمر الفطري. ٤٥٥

وقال السعدي: " إن في ضرب الأمثال تقريبا للمعاني المعقولة من الأمثال المحسوسة، ويتبين المعنى الذي أراده الله غاية البيان، ويتضح غاية الوضوح، وهذا من رحمته وحسن تعليمه. فله أتم الحمد وأكمله وأعمه، فهذه صفة كلمة التوحيد وثباتها، في قلب المؤمن." ٤٥٦

وكان ﷺ في كثير من الأحيان يَسْتَعِين على توضيح المعاني التي يُريد بيانها بضرب المثل، مما يَشْهَدُهُ الناسُ بأبصارهم، وَيَتَذَوَّقُونَهُ بِأَلْسِنَتِهِمْ، وَيَقَعُ تَحْتَ حَوَاسِهِمْ وفي مُتَنَاوَلِ أَيْدِيهِمْ، وفي هذه الطريقة تيسيرٌ للفهم على المتعلم، واستيفاء تامٌ سريعٌ لإيضاح ما يُعلِّمه أو يُحذِّرُ منه .

وقد تقرر عند علماء البلاغة أن لضرب الأمثال شأنًا عظيمًا، في إبراز خفيا المعاني ورفع أستار مُحجَّباتِ الدقائق، وقد أكثرَ الله سبحانه من ضرب الأمثال في كتابه العزيز، واقتدى النبي ﷺ في ذلك بالكتاب العزيز فكان يُكثِرُ من ذكر الأمثال في مُحاطباته ومواعظه وكلامه .

وقد جَمَعَ غيرُ واحد من الحفاظ (الأمثال) من أحاديث النبي ﷺ في كُتُب مُستقلة كما فعله الحافظ أبو الحسن العسكري، المتوفى سنة ٣١٠، وأبو أحمد العسكري، والقاضي أبو محمد الحسن بن عبد الرحمن بن خلاد الرامهرمزي، وكتابه مطبوع متداول .

وفي كتب الصحاح والسنن والمسانيد من تلك الأحاديث جملةٌ وافرةٌ فمن ذلك :

٤٥٥ - تفسير الشعراوي - (/ ١٧٦١)

٤٥٦ - تفسير السعدي - (/ ١) ٤٢٥

ما جاء عن أبي موسى، عن النبي ﷺ، قال: مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن كمثل الأثرجة، طعمها طيبٌ وريحها طيبٌ، ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن كمثل التمرة، طعمها طيبٌ ولا ریح لها، ومثل الفاجر الذي يقرأ القرآن كمثل الريحانة، ریحها طيبٌ وطعمها مُرٌّ، ومثل الفاجر الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة، طعمها مُرٌّ، ولا ریح لها.^{٤٥٧}

وعن أنس قال قال رسول الله - ﷺ - « مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن مثل الأثرجة ريحها طيبٌ وطعمها طيبٌ ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن كمثل التمرة طعمها طيبٌ ولا ریح لها ومثل الفاجر الذي يقرأ القرآن كمثل الريحانة ريحها طيبٌ وطعمها مُرٌّ ومثل الفاجر الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة طعمها مُرٌّ ولا ریح لها ومثل المجلس الصالح كمثل صاحب المسك إن لم يصبك منه شيء أصابك من ريحه ومثل جلس السوء كمثل صاحب الكبر^{٤٥٨} إن لم يصبك من سواده أصابك من دخانه^{٤٥٩} » .

الأثرجة بتشديد الجيم ، وقد تُخفف ، ثمَّ معروف في جزيرة العرب ، وموجود فيها حتى الآن ، الواحدة : أثرجة ، والجمع أترج ، ويقال له أيضاً : تُرُج . ويقال له في بلاد الشام : (الكباد) . وهو ثمرة جامع إلى طيب الطعم والرائحة حُسن اللون والمنظر ، وله منافع كثيرة ذكرتها كتب الطب .

والمقصود بضرب المثل به : بيان علو شأن المؤمن وارتفاع عمله ، وكشف انحطاط شأن الفاجر ، وسقوط عمله . وفي الحديث أيضاً : ضرب المثل لتقريب الفهم . قال الشيخ الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى في ((مفتاح دار السعادة))^{٤٦٠} :

((وقد جعل النبي ﷺ في هذا الحديث الناس أربعة أقسام : الأول أهل الإيمان والقرآن ، وهم خيار الناس . الثاني أهل الإيمان الذين لا يقرأون القرآن ، وهم دونهم ، فهؤلاء هم

^{٤٥٧} - صحيح ابن حبان - (٣ / ٤٧) (٧٧٠) وصحيح البخاري - المكثر - (٥٤٢٧) وصحيح مسلم - المكثر - (١٨٩٦)

^{٤٥٨} الكبر هو الرق الذي ينفخ فيه الحداد ، لزيادة اشتعال النار وامتداد لهبها ، لئلا ما يوضع فيها .

^{٤٥٩} - سنن أبي داود - المكثر - (٤٨٣١) صحيح

^{٤٦٠} - ((مفتاح دار السعادة)) ١ : ٥٥

السعداء . والأشقياء قسمان : أحدهما من أوتي قرآناً بلا إيمان فهو منافق . والثاني من لم يُوتَ قرآناً ولا إيماناً .

والإيمانُ والقرآنُ هما نور يجعله الله في قلب من يشاء من عباده ، وإنهما أصلُ كل خير في الدنيا والآخرة ، وعلمُهما أجلُّ العلوم وأفضلُها ، بل لا علم في الحقيقة ينفع صاحبه إلاَّ علمُهما)) .

إن النبي ﷺ ضرب أمثلة للمؤمن والمنافق المؤمن إما أن يكون قارئاً للقرآن أو غير قارئٍ فإن كان قارئاً له فمثله كمثل الأترجة يعني الثمرة ريحها طيب وطعمها طيب فهذا المؤمن الذي يقرأ القرآن لأن نفسه طيبة وقلب طيب وفيه خيره لغيره الجلسة معه خير .. فالمؤمن الذي يقرأ القرآن كله خير في ذاته وفي غيره فهو كالأترجة لها رائحة طيبة ذكية وطعمها طيب أما المؤمن الذي لا يقرأ القرآن فهو كمثل التمرة طعمها حلو ولكن ليس لها رائحة ذكية كرائحة الأترجة ونفى النبي ﷺ ريحها لأنه ليس بريح طيب وإن كان كل شيء له رائحة لكن ليست رائحتها ذكية لكنها حلوة طيبة هذا المؤمن الذي لا يقرأ القرآن إذا فالمؤمن القارئ للقرآن أفضل بكثير من الذي لا يقرأ القرآن ومعنى لا يقرؤه يعني لا يعرفه ولم يتعلمه ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن كمثل الريحانة لها رائحة طيبة لكن طعمها مر لأن المنافق في ذاته خبيث لا خير فيه والمنافق هو الذي يظهر أنه مسلم ولكن قلبه كافر والعياذ بالله، هو الذي قال الله فيه { وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ } (٨) سورة البقرة

يوجد منافقون يقرءون القرآن قراءة طيبة مرتلة مجودة لكنهم منافقون والعياذ بالله كما قال النبي ﷺ في الخوارج يقرءون القرآن لا يتجاوز حناجرهم هؤلاء والعياذ بالله ضرب لهم النبي ﷺ مثلاً بالريحانة ريحها طيب وذلك لما معهم من القرآن وطعمها مر وذلك لخبث طويتهم وفساد نيتهم والمنافق الذي لا يقرأ القرآن ضرب النبي ﷺ له مثلاً بالحنظلة طعمها مر وليست لها ريح هذا المنافق الذي لا يقرأ القرآن لا خير فيه طعمه مر وليس معه قرآن ينتفع الناس به هذه أقسام الناس بالنسبة لكتاب الله عز وجل فاحرص أخي المسلم على أن تكون من المؤمنين الذين يقرءون القرآن ويتلونه حق تلاوته حتى تكون كمثل الأترجة

ريحتها طيب وطعمها حلو والله الموفق "٤٦١"

وفي هذا التشبيه النبوي الكريم أبلغ ترغيب في الخير، وأزجر تحذير عن الشر، بأقرب أسلوب يُدرِكه المخاطبون، وفيه إرشاد إلى الرغبة في صحبة الصلحاء والعلماء ومجالستهم، فإنها تنفع في الدنيا والآخرة، وفيه أيضاً تحذير من صحبة الأشرار والفساق فانظر أخي المبارك إلى هذا التفصيل ما أروعه، ثم تأمل أثر التمثيل في بيان حقيقة المؤمن والمنافق الذي يقرأ القرآن والذي لا يقرأ القرآن .

وَعَنْ أَبِي مُوسَى عَنِ النَّبِيِّ ﷺ - قَالَ « مَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ مِنَ الْهُدَى وَالْعِلْمِ كَمَثَلِ الْغَيْثِ الْكَثِيرِ أَصَابَ أَرْضًا ، فَكَانَ مِنْهَا نَقِيَّةٌ قَبِلَتِ الْمَاءَ ، فَأَنْبَتَتِ الْكَلَّاءَ وَالْعُشْبَ الْكَثِيرَ ٤٦٢ ، وَكَانَتْ مِنْهَا أَجَادِبُ أَمْسَكَتِ الْمَاءَ ، فَتَفَعَّ اللَّهُ بِهَا النَّاسَ ، فَشَرِبُوا وَسَقَوْا وَزَرَعُوا ، وَأَصَابَتْ مِنْهَا طَائِفَةٌ أُخْرَى ، إِنَّمَا هِيَ قِيعَانٌ لَا تُمْسِكُ مَاءً ، وَلَا تُنْبِتُ كَلًّا ، فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ فَفَعَّ فِي دِينِ اللَّهِ وَتَفَعَّهَ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ ، فَعَلِمَ وَعَلَّمَ ، وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا ، وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللَّهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ » ٤٦٣ .

قال الحافظ ابن حجر ٤٦٤ : ((قال القرطبي وغيره : ضَرَبَ النَّبِيُّ ﷺ لِمَا جَاءَ بِهِ مِنَ الدِّينِ مَثَلًا بِالْغَيْثِ الْعَامِ الَّذِي يَأْتِي النَّاسَ فِي حَالِ حَاجَتِهِمْ إِلَيْهِ ، وَكَذَا كَانَ حَالُ النَّاسِ قَبْلَ مَبْعَثِهِ ﷺ ، فَكَمَا أَنَّ الْغَيْثَ يُحْيِي الْبِلْدَ الْمَيِّتَ ، فَكَذَا عُلُومُ الدِّينِ تُحْيِي الْقَلْبَ الْمَيِّتَ .

ثم شبه السامعين له بالأرض المختلفة التي يتزل بها الغيث .

فمنهم العالمُ العاملُ المُعلِّمُ ، فهو بامتزاج الأرض الطيبة شربت فانتفعت في نفسها وأنبتت فنفعت غيرها .

٤٦١ - شرح رياض الصالحين لابن عثيمين - (٤ / ١٥٩)

٤٦٢ (أجَادِب) جمع أجْدَب ، والأجَادِبُ : صلابُ الأرض التي تُمسكُ الماءَ ولا تُشربُهُ سريعاً .

٤٦٣ - صحيح البخاري - المكثر - (٧٩)

الأجَادِبُ : جمع أجْدَب وأجْدَب جمع جَدَب وهي الأرض التي لا تنبت كلاً

القِيعَانُ : جمع القِيعِ ومعناها هنا الأرض التي لا نبات فيها

٤٦٤ - في ((فتح الباري)) ١ : ١٧٧

ومنهم الجامع للعلم المستغرق لزمانه فيه غير أنه لم يعمل بنوافله أو لم يتفقه فيما جمعه لكنه أذاه لغيره ، فهو بمتزلة الأرض التي يستقر فيها الماء فينتفع الناس به ، وهو المشار إليه بقوله ﷺ : ((نضر الله امرءاً سمع مقالتي فوعاها ، ثم أذاها كما سمعها ، فرب حامل فقه غير فقيه ، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه)) .

ومنهم من يسمع العلم فلا يحفظه ولا يعمل به ولا ينقله لغيره ، فهو بمتزلة الأرض السبخة أو الملساء التي لا تقبل الماء أو تفسده على غيرها . وإنما جمع في المثل بين الطائفتين الأوليين المحمودتين لاشتراكهما في الانتفاع بهما ، وأفراد الطائفة الثالثة المذمومة لعدم النفع بها ، والله أعلم)) . انتهى .

فالصنف الأول هم أهل رواية ودراية ودعوة وعمل ، والصنف الثاني أهل رواية ورعاية وعمل ، ولهم نصيب من الدراية ، والصنف الثالث الأشقياء لا رواية عندهم ولا دراية ولا رعاية ، ولا حفظ ولا فهم ، لم يقبلوا هدى الله ولم يرفعوا به رأساً ، بل أعرضوا عنه ، كما أوضحه الشيخ ابن القيم رحمه الله تعالى في ((الوابل الصيب من الكلم الطيب))^{٤٦٥} وقال الإمام النووي^{٤٦٦} : ((في هذا الحديث أنواع من العلم ، منها ضرب الأمثال ، ومنها فضل العلم والتعليم ، وشدة الحث عليهما ، وذم الإعراض عن العلم ، والله أعلم))

وقال عامر : سمعت الثعمان بن بشير يخطب يقول ، وأوماً بأصبعه إلى أذنيه : سمعت رسول الله ﷺ يقول : مثل القائم على حدود الله ، والواقع فيها ، المدهن فيها ، مثل قوم ركبوا سفينة ، فأصاب بعضهم أسفلها ، وأوعرها ، وشرها ، وأصاب بعضهم أعلاها ، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا الماء ، مروا على من فوقهم ، فأذوهم ، فقالوا : لو حرقنا في نصيبنا حرقاً ، فاستقينا منه ، ولم نؤذ من فوقنا ، فإن تركوهم وأمرهم ، هلكوا جميعاً ، وإن أخذوا على أيديهم ، نجوا جميعاً.^{٤٦٧}

فالذين أرادوا حرق السفينة بمتزلة الواقع في حدود الله ، ومن عداهم إما منكر عليهم وهو

^{٤٦٥} - ص ٥٧ ، ٥٩ ، فانظره لزاماً .

^{٤٦٦} - في ((شرح صحيح مسلم)) ١٥ : ٤٨

^{٤٦٧} - مسند أحمد (عالم الكتب) - (٦ / ٢٧٦) (١٨٣٧٠) (١٨٥٦٠) - وصحيح البخاري - المكثر - (٢٤٩٣)

القائم على حدود الله ، وإما ساكت عنهم وهو المذنب ، والمذنب المحابي .
والمعنى أن إقامة الحدود يحصل بها النجاة لمن أقامها وأقيمت عليه ، وإلا هلك العاصي
بالمعصية ، والساكت بالرضا بما .

قال المهلب وغيره: في هذا الحديث تعذيب العامة بذنب الخاصة، وفيه نظر لأن التعذيب
المذكور إذا وقع في الدنيا على من لا يستحقه فإنه يكفر من ذنوب من وقع به أو يرفع من
درجته. وفيه استحقاق العقوبة بترك الأمر بالمعروف، وتبيين العالم الحكم بضرب المثل،
ووجوب الصبر على أذى الجار إذا خشى وقوع ما هو أشد ضررا، وأنه ليس لصاحب
السفل أن يحدث على صاحب العلو ما يضر به، وأنه إن أحدث عليه ضررا لزمه إصلاحه،
وأن لصاحب العلو منعه من الضرر. وفيه جواز قسمة العقار المتفاوت بالقرعة وإن كان
فيه علو وسفل.^{٤٦٨}

وعن ابن عمر عن النبي ﷺ - قَالَ « مَثَلُ الْمُنَافِقِ كَمَثَلِ الشَّاةِ الْعَائِرَةِ بَيْنَ الْغَنَمَيْنِ تَعِيرُ
إِلَى هَذِهِ مَرَّةً وَإِلَى هَذِهِ مَرَّةً »^{٤٦٩}.

وعن ابن عمر أن رسول الله ﷺ - قَالَ « مَثَلُ الْمُنَافِقِ كَمَثَلِ الشَّاةِ الْعَائِرَةِ بَيْنَ الْغَنَمَيْنِ
تَعِيرُ فِي هَذِهِ مَرَّةً وَفِي هَذِهِ مَرَّةً لَا تَدْرِي أَيُّهَا تَتَّبِعُ ».^{٤٧٠}

والعائرة: هي التي تفارق جماعة الغنم، وتعدل إلى بعض النواحي، ومنه قيل للذي يعير نحو
الباطل، ويفارق أهل الاستقامة والحق: العيار.

وعن أبي موسى، عن النبي ﷺ، قَالَ: " مَثَلُ الْبَيْتِ الَّذِي يُذَكِّرُ اللَّهَ فِيهِ، وَالْبَيْتِ الَّذِي لَا
يُذَكِّرُ اللَّهَ فِيهِ مَثَلُ الْحَيِّ وَالْمَيِّتِ. " ^{٤٧١}

^{٤٦٨} - فتح الباري لابن حجر - (٥ / ٢٩٦)

^{٤٦٩} - صحيح مسلم - المكثر - (٧٢٢٠)

العائرة: أي المترددة بين قطيعين من الغنم. يقال: عارت الشاة تعير: ترددت بين القطيعين، لا تدري أيهما تتبع!

^{٤٧٠} - سنن النسائي - المكثر - (٥٠٥٤) صحيح

^{٤٧١} - صحيح ابن حبان - (٣ / ١٣٥) (٨٥٤) وصحيح مسلم - المكثر -)

قال النووي : " فِيهِ : النَّدْبُ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى فِي الْبَيْتِ ، وَأَنَّهُ لَا يُخْلَى مِنَ الذِّكْرِ ، وَفِيهِ : جَوَازُ التَّمَثِيلِ . وَفِيهِ : أَنَّ طُولَ الْعُمُرِ فِي الطَّاعَةِ فَضِيلَةٌ ، وَإِنْ كَانَ الْمَيِّتُ يَنْتَقِلُ إِلَى خَيْرٍ ، لِأَنَّ الْحَيَّ يَلْتَحِقُ بِهِ وَيَزِيدُ عَلَيْهِ بِمَا يَفْعَلُهُ مِنَ الطَّاعَاتِ . " ٤٧٢

" ذلك لأن الذي يذكر الله تعالى قد أحيا الله قلبه بذكره وشرح له صدره فكان كالحي وأما الذي لا يذكر الله فإنه لا يطمئن قلبه والعياذ بالله ولا ينشرح صدره للإسلام فهو كمثل الميت وهذا مثل ينبغي للإنسان أن يعتبر به وأن يعلم أنه كلما غفل عن ذكر الله عز وجل فإنه يقسو قلبه وربما يموت قلبه والعياذ بالله . " ٤٧٣

وَعَنْ نُوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ الْأَنْصَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ : " ضَرَبَ اللَّهُ عِزَّ وَجَلَّ مَثَلًا صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ، وَعَلَى حَبَّتِي الصِّرَاطِ سُورٌ فِيهِ أَبْوَابٌ مُفْتَحَةٌ ، وَعَلَى الْأَبْوَابِ السُّتُورُ مُرْحَاةٌ ، وَعَلَى بَابِ الصِّرَاطِ دَاعٍ يَقُولُ : يَا أَيُّهَا النَّاسُ ، ادْخُلُوا الصِّرَاطَ جَمِيعًا وَلَا تَعُوجُوا ، وَدَاعٍ يَدْعُو مِنْ فَوْقِ الصِّرَاطِ " . فَإِذَا أَرَادَ - كَأَنَّهُمْ يَعْنُونَ رَجُلًا - فَتَحَ شَيْءٌ مِنْ تِلْكَ الْأَبْوَابِ ، قَالَ : وَيَحْكُ لَا تَفْتَحُهُ ، فَإِنَّكَ إِنْ تَفْتَحُهُ تَلْجُهُ فَالصِّرَاطُ : الْإِسْلَامُ ، وَالسُّتُورُ : حُدُودُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَالْأَبْوَابُ الْمُفْتَحَةُ : مَحَارِمُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَذَلِكَ الدَّاعِي عَلَى رَأْسِ الصِّرَاطِ : كِتَابُ اللَّهِ تَعَالَى ، وَالدَّاعِي مِنْ فَوْقِهِ كَأَنَّهُ يَعْنِي الصِّرَاطَ : وَاعِظُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي قَلْبِ كُلِّ مُسْلِمٍ . " ٤٧٤

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : مَثَلِي وَمَثَلُ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِي كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى بُنْيَانًا فَأَحْسَنَهُ ، وَكَمَلَهُ إِلَّا مَوْضِعَ لَبْنَةٍ مِنْ زَاوِيَةِ مَنْ زَاوِيَاهُ ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَطُوفُونَ بِهِ ، وَيَعْجَبُونَ ، وَيَقُولُونَ : هَلَّا وَضَعْتَ هَذِهِ اللَّبْنَةَ ؟ . قَالَ : فَأَنَا تِلْكَ اللَّبْنَةُ ، وَأَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ . " ٤٧٥

٤٧٢ - شرح النووي على مسلم - (٣ / ١٣٠)

٤٧٣ - شرح رياض الصالحين لابن عثيمين - (٥ / ٣٩)

٤٧٤ - شرح مشكل الآثار - (٥ / ٣٩٠) (٢١٤١) ومسنند أحمد (عالم الكتب) - (٦ / ٥٩) (١٧٦٣٤) (١٧٧٨٤) -

صحيح

٤٧٥ - صحيح ابن حبان - (١٤ / ٣١٥) (٦٤٠٥) وصحيح البخارى - المكثر - (٣٥٣٥) وصحيح مسلم - المكثر -

(٦١٠٠)

قال ابن حجر: " فكأنه شبه الأنبياء وما بعثوا به من إرشاد الناس ببيت أسست قواعده ورفع بنيانه وبقي منه موضع به يتم صلاح ذلك البيت ..وقد وقع في رواية همام عند مسلم: "إلا موضع لبنة من زاوية من زواياها" فيظهر أن المراد أنها مكلمة محسنة وإلا لاستلزم أن يكون الأمر بدونها كان ناقصا، وليس كذلك فإن شريعة كل نبي بالنسبة إليه كاملة، فالمراد هنا النظر إلى الأكمل بالنسبة إلى الشريعة المحمدية مع ما مضى من الشرائع الكاملة.

وفي الحديث ضرب الأمثال للتقريب للأفهام وفضل النبي ﷺ على سائر النبيين، وأن الله ختم به المرسلين، وأكمل به شرائع الدين. " ٤٧٦

الخلاصة:

- (١) ضرب الأمثال وسيلة جيدة في تقريب المعاني والأفكار
- (٢) يلجأ المعلم لضرب المثل عندما تصعب مسألة ما على الأذهان، فيعمد إلى المثل لتبسيطها وتقريبها للفهم .
- (٣) يتوقف مدى الفائدة من ضرب المثل على براعة المعلم في تصوير المثل لكي يطابق الفكرة التي يريد إيضاها .

[٨] أسلوب التشويق في التعليم :

أسلوب التشويق : هو أسلوب أو طريقة من الطرق تبعث على إيقاظ الهمم، وإذكاء النفوس، إذ إن النفس البشرية تتطلع إلى استكشاف كل جديد، بل إن إثارة المتعلم وتشويقه، تجعله يبحث ويستقصي بلهف شديد، ورغبة شديدة، في معرفة ذلك الشيء المشوق. يوضح ذلك الحديث الذي التالي، عَنْ أَبِي سَعِيدِ بْنِ الْمُعَلَّى، قَالَ : كُنْتُ أُصَلِّي فِي الْمَسْجِدِ، فَدَعَانِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَلَمْ أُجِبْهُ، فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي كُنْتُ أُصَلِّي، فَقَالَ :

٤٧٦ - فتح الباري لابن حجر - (٦ / ٥٥٩)

أَلَمْ يَقُلِ اللَّهُ : { اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ } [الأنفال :] ؟ ثُمَّ قَالَ : أَلَا أَعْلَمُكُمْ سُورَةً هِيَ أَعْظَمُ سُورَةً فِي الْقُرْآنِ ؟ فَقُلْتُ : بَلَى ، فَقَالَ : الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، هِيَ السَّبْعُ الْمَثَانِي ، وَالْقُرْآنُ الَّذِي أُوتِيَتْهُ .^{٤٧٧}

" وفيه أن الأمر يقتضي الفور لأنه عاتب الصحابي على تأخير إجابته . وفيه استعمال صيغة العموم في الأحوال كلها قال الخطابي : فيه أن حكم لفظ العموم أن يجري على جميع مقتضاه ، وأن الخاص والعام إذا تقابلا كان العام متزلا على الخاص ، لأن الشارع حرم الكلام في الصلاة على العموم ، ثم استثنى منه إجابة دعاء النبي ﷺ في الصلاة . وفيه أن إجابة المصلي دعاء النبي ﷺ لا تفسد الصلاة ، هكذا صرح به جماعة من الشافعية وغيرهم . وفيه بحث لاحتمال أن تكون إجابته واجبة مطلقا سواء كان المخاطب مصليا أو غير مصلي ، أما كونه يخرج بالإجابة من الصلاة أو لا يخرج فليس من الحديث ما يستلزمه . فيحتمل أن تجب الإجابة ولو خرج المحيب من الصلاة ، وإلى ذلك جنح بعض الشافعية ، وهل يختص هذا الحكم بالنداء أو يشمل ما هو أعم حتى تجب إجابته إذا سأل ؟ فيه بحث وقد جزم ابن حبان بأن إجابة الصحابة في قصة ذي اليمين كان كذلك ."^{٤٧٨}

ففي هذا الحديث يظهر لنا جليا شوق ذلك الصحابي إلى معرفة أعظم سورة في القرآن ، حيث أنه لم يصبر ولم يجهل الرسول حتى يخرج بل بادره بقوله : إِنَّكَ قُلْتَ لِأَعْلَمَنَّكَ أَعْظَمَ سُورَةٍ مِنَ الْقُرْآنِ .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " احْتَشِدُوا فَإِنِّي سَأَقْرَأُ عَلَيْكُمْ ثُلُثَ الْقُرْآنِ " فَحَشَدَ مَنْ حَشَدَ ،^{٤٧٩} فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَرَأَ : قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ثُمَّ دَخَلَ ، فَقَالَ بَعْضُنَا لِبَعْضٍ : إِنِّي أَرَى هَذَا خَبْرًا جَاءَهُ مِنَ السَّمَاءِ ، فَذَلِكَ الَّذِي أَدْخَلَهُ ثُمَّ خَرَجَ ، فَقَالَ : " إِنِّي قُلْتُ

^{٤٧٧} - صحيح ابن حبان - (٣ / ٥٦) (٧٧٧) وصحيح البخارى - المكثر - (٤٤٧٤)

^{٤٧٨} - فتح الباري لابن حجر - (٨ / ١٥٨)

^{٤٧٩} - وقوله : " فحشد من حشد " ؛ أي : اجتمع من اجتمع ، [والحشد] : الجمع ، قاله الهروي وغيره " المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم - (٧ / ٧٥)

لَكُمْ إِنِّي سَأْقُرُّ عَلَيْكُمْ ثُلُثَ الْقُرْآنِ، أَلَا إِنَّهَا تَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ ۚ ٤٨٠

ألا إن قول الرسول ﷺ وفعله، كان له أثر كبير في تشويقهم، لسماع ثلث القرآن منه ﷺ. ففي هذه القصة فوائد دلالة واضحة على فضل قراءة سورة الإخلاص، ومنها تلهف الصحابة لسماع ثلث القرآن من في رسول الله ﷺ، ومنها أن قوله (احشدوا) ثم دخوله وخروجه مرة أخرى يلزم منه رسوخ هذه القصة بأحداثها عند الصحابة وحفظهم لها .

وعن الزُّهْرِيِّ، قَالَ: أَخْبَرَنِي أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ قَالَ: كُنَّا جُلُوسًا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: يَطْلُعُ عَلَيْكُمْ الْآنَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَطَلَعَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ، تَنْطَفُ لِحِيَّتُهُ مِنْ وُضُوئِهِ، قَدْ تَعَلَّقَ نَعْلَيْهِ فِي يَدِهِ الشِّمَالِ، فَلَمَّا كَانَ الْعَدُوُّ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ، مِثْلَ ذَلِكَ، فَطَلَعَ ذَلِكَ الرَّجُلُ مِثْلَ الْمَرَّةِ الْأُولَى. فَلَمَّا كَانَ الْيَوْمَ الثَّلَاثُ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ، مِثْلَ مَقَالَتِهِ أَيْضًا، فَطَلَعَ ذَلِكَ الرَّجُلُ عَلَى مِثْلِ حَالِهِ الْأُولَى، فَلَمَّا قَامَ النَّبِيُّ ﷺ تَبِعَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو بْنُ الْعَاصِ فَقَالَ: إِنِّي لَأَحِبُّ أَبِي فَأَقْسَمْتُ أَنْ لَا أَدْخُلَ عَلَيْهِ ثَلَاثًا، فَإِنْ رَأَيْتَ أَنْ تُؤْوِيَنِي إِلَيْكَ حَتَّى تَمْضِيَ فَعَلْتَ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ أَنَسُ: وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ يُحَدِّثُ أَنَّهُ بَاتَ مَعَهُ تِلْكَ اللَّيَالِي الثَّلَاثَ، فَلَمْ يَرَهُ يَقُومُ مِنَ اللَّيْلِ شَيْئًا، غَيْرَ أَنَّهُ إِذَا تَعَارَى وَتَقَلَّبَ عَلَى فِرَاشِهِ ذَكَرَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ وَكَبَّرَ، حَتَّى يَقُومَ لِمُصَلَاةِ الْفَجْرِ. قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: غَيْرَ أَنِّي لَمْ أَسْمَعُهُ يَقُولُ إِلَّا خَيْرًا، فَلَمَّا مَضَتْ الثَّلَاثُ لَيْالٍ وَكَدْتُ أَنْ أَحْقِرَ عَمَلَهُ، قُلْتُ: يَا عَبْدَ اللَّهِ إِنِّي لَمْ يَكُنْ بَيْنِي وَبَيْنَ أَبِي غَضَبٌ وَلَا هَجْرٌ ثُمَّ، وَلَكِنْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ لَكَ ثَلَاثَ مَرَارٍ: يَطْلُعُ عَلَيْكُمْ الْآنَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَطَلَعَتْ أَنْتَ الثَّلَاثَ مَرَارٍ، فَأَرَدْتُ أَنْ آوِيَ إِلَيْكَ لِأَنْظُرَ مَا عَمَلُكَ، فَأَقْتَدِي بِهِ، فَلَمْ أَرَكَ تَعْمَلُ كَثِيرَ عَمَلٍ، فَمَا الَّذِي بَلَغَ بِكَ مَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: مَا هُوَ إِلَّا مَا رَأَيْتَ. قَالَ: فَلَمَّا وَكَيْتُ دَعَانِي، فَقَالَ: مَا هُوَ إِلَّا مَا رَأَيْتَ، غَيْرَ أَنِّي لَا أَجِدُ فِي نَفْسِي لِأَحَدٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ غِشًّا، وَلَا أَحْسُدُ أَحَدًا عَلَى خَيْرٍ أَعْطَاهُ اللَّهُ إِيَّاهُ. فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ هَذِهِ الَّتِي بَلَغْتَ

٤٨٠ - شرح مشكل الآثار - (٣ / ٢٥٥) (١٢٢٣) وصحيح مسلم - المكثر (١٩٢٤)

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: فَكَانَ مَعْنَى مَا فِي هَذِهِ الْأَحَادِيثِ مِنْ أَنَّ قُلَّ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ تَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ هُوَ مَعْنَى الْأَحَادِيثِ الَّتِي رَوَيْنَاهَا قَبْلَهَا فِي قُلَّ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ أَنَّهَا ثُلُثُ الْقُرْآنِ وَإِذَا جَازَ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ فِي قُلَّ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ بِمَعْنَى أَنَّهَا فِي الثَّوَابِ كَثُلْتُ الْقُرْآنِ جَازَ فِي فَاتِحَةِ الْكِتَابِ أَيْضًا فِي الْأَثَارِ الَّتِي رُوِيَ فِيهَا الَّتِي تَقَدَّمَ ذِكْرُنَا لَهَا فِي هَذَا الْبَابِ أَنَّهَا الْقُرْآنُ أَنْ يَكُونَ مَعْنَى ذَلِكَ أَنَّهَا فِي الثَّوَابِ بِهَا كَالثَّوَابِ بِالْقُرْآنِ كُلِّهِ. وَاللَّهُ نَسْأَلُهُ التَّوْفِيقَ

بك، وهي التي لا تُطيق. ٤٨١

وأما قوله (إني لأحيتُ أبي، فأقسمتُ أن لا أدخلَ عليه ثلاثَ ليالٍ)، ثم قوله بعد ذلك (إنه لم يكن بيني وبين والدي غضبٌ ولا هجرةٌ) فهو قول أراد به الوصول إلى مصلحة دينية راجحة، ولذا قال الحافظ في الفتح: الكذب وإن كان قبيحا مخلا، لكنه قد يحسن في مواضع .

وقال ابن تيمية رحمه الله في الفتاوى الكبرى: " وبالجملة يجوزُ للإنسان أن يظهرَ قولًا وفعلًا مقصوده به مقصودٌ صالح، وإن ظنَّ الناسُ أنه قصدَ به غيرَ ما قصدَ به إذا كانت فيه مصلحةٌ دينيةٌ مثلُ دفعِ ظلمٍ عن نفسه، أو عن مسلمٍ، أو دفعِ الكفارِ عن المسلمينَ أو الاحتياطِ على إبطالِ حيلةٍ محرمةٍ، أو نحو ذلك فهذه حيلةٌ جائزةٌ .

وإنما المحرمُ مثلُ أن يقصدَ بالعقودِ الشرعيةِ ونحوها غيرَ ما شرعتُ العقودُ له، فيصيرُ مُخادعًا لله، كما أن الأولَ خادعَ الناسِ ومقصوده حصولُ الشيءِ الذي حرّمهُ الله لولا تلك الحيلةَ وسقوطُ الشيءِ الذي يوجبهُ الله تعالى لولا تلك الحيلةَ، كما أن الأولَ مقصوده إظهارُ دينِ الله ودفعُ معصيةِ الله. ٤٨٢

وفي هذه القصة كان الدافع الذي حدا بعبد الله بن عمرو بن العاص إلى أن يقول ما يقول لذلك الصحابي، لكي يعلم السبب الذي من أجله كان الرسول ﷺ يقول ثلاث مرات: " يطلع عليكم الآن رجلٌ من أهلِ الجنة"، ولا يخفى ما في هذه القصة من أسلوب إشارة وتشويق وهو بين ظاهر .

وعن أبي موسى الأشعري قال: لما غزا رسولُ الله - ﷺ - حنينًا - أو قال لما توجهَ رسولُ الله - ﷺ - إلى حنين - أشرفَ الناسُ على وادٍ فرفعوا أصواتهم بالتكبير: اللّهُ أكبرُ، لا إلهَ إلاّ الله. فقال رسولُ الله - ﷺ - : « يا أيّها الناسُ اربعوا على أنفسكم، إنكم لا تدعون أصمًّا ولا غائبًا، إنّما تدعون سميعًا قريبًا وهو معكم ». قال: وأنا خلفَ رايةٍ

٤٨١ - مسند أحمد (عالم الكتب) - (٤ / ٤٢٩) (١٢٦٩٧) ١٢٧٢٧ - صحيح

٤٨٢ - فتاوى الشبكة الإسلامية معدلة - (٥ / ٣٠٥٨) رقم الفتوى ٣٢٨٦٠ التفسير الشرعي لقول ابن عمرو "إني لأحيت أبي.." والأداب الشرعية - (١ / ٢٦) والفتاوى الكبرى لابن تيمية - (٩ / ١٣٠)

رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - فَسَمِعَنِي وَأَنَا أَقُولُ : لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ فَقَالَ : « يَا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ قَيْسٍ فَقُلْتُ : لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ . فَقَالَ : « أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى كَلِمَةٍ مِنْ كَنْزِ الْجَنَّةِ ؟ » . قُلْتُ : بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي . قَالَ : « لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ » ٤٨٣ .

وَعَنْ قَيْسِ بْنِ سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : كَانَ أَبِي دَفَعَنِي إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَحْدَمُهُ، فَأَتَى عَلِيَّ وَقَدْ صَلَّيْتُ رَكَعَتَيْنِ، فَضَرَبَنِي بِرِجْلِهِ، وَقَالَ : أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى بَابٍ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ ؟ فَقُلْتُ : بَلَى، يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ : لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ ٤٨٤

وَعَنْ مَعْصِلِ بْنِ يَسَارٍ قَالَ : انْطَلَقْتُ مَعَ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ ، فَقَالَ : " يَا أَبَا بَكْرٍ، لِلشِّرْكِ فِيكُمْ أَخْفَى مِنْ دَيْبِ النَّمْلِ " ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : وَهَلِ الشِّرْكَ إِلَّا مَنْ جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : " وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لِلشِّرْكِ أَخْفَى مِنْ دَيْبِ النَّمْلِ، أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى شَيْءٍ إِذَا قُلْتَهُ ذَهَبَ عَنْكَ قَلِيلُهُ وَكَثِيرُهُ ؟ " قَالَ : " قُلِ : اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أُشْرِكَ بِكَ وَأَنَا أَعْلَمُ، وَأَسْتَغْفِرُكَ لِمَا لَا أَعْلَمُ " ٤٨٥

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، قَالَ : إِنَّ لِلَّهِ مَلَائِكَةً فَضْلًا عَنْ كُتَابِ النَّاسِ، يَطُوفُونَ فِي الطَّرِيقِ، يَلْتَمِسُونَ أَهْلَ الذِّكْرِ، فَإِذَا وَجَدُوا قَوْمًا يَذْكُرُونَ اللَّهَ تَنَادَوْا : هَلُمُّوا إِلَيْنَا حَاجَتِكُمْ، فَيَحْفُونَ بِهِمْ بِأَجْنَحَتِهِمْ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَيَسْأَلُهُمْ رَبُّهُمْ وَهُوَ أَعْلَمُ مِنْهُمْ، فَيَقُولُ : مَا يَقُولُ عِبَادِي ؟ فَيَقُولُونَ : يُكَبِّرُونَكَ وَيُحَمِّدُونَكَ وَيُسَبِّحُونَكَ وَيَحْمَدُونَكَ، فَيَقُولُ : هَلْ رَأَوْنِي ؟ فَيَقُولُونَ : لَا، فَيَقُولُ : فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْنِي ؟ فَيَقُولُونَ : لَوْ رَأَوْنَا لَكُنَّا لَكَ أَشَدَّ عِبَادَةً وَأَكْثَرَ تَسْبِيحًا وَتَحْمِيدًا وَتَمْجِيدًا، فَيَقُولُ : وَمَا يَسْأَلُونِي ؟ قَالَ : فَيَقُولُونَ : يَسْأَلُونَكَ الْجَنَّةَ، فَيَقُولُ : فَهَلْ رَأَوَهَا ؟ فَيَقُولُونَ : لَا وَاللَّهِ يَا رَبِّ، فَيَقُولُ : فَكَيْفَ لَوْ رَأَوَهَا ؟ فَيَقُولُونَ : لَوْ رَأَوَهَا كُنَّا عَلَيْهَا أَشَدَّ حَرِصًا وَأَشَدَّ طَلَبًا، وَأَعْظَمَ فِيهَا رَغْبَةً، فَيَقُولُ : وَمِمَّ يَتَعَوَّدُونَ ؟ فَيَقُولُونَ : مِنَ النَّارِ، فَيَقُولُ : وَهَلْ رَأَوَهَا ؟ فَيَقُولُونَ : لَا وَاللَّهِ يَا رَبِّ، فَيَقُولُ : فَكَيْفَ لَوْ رَأَوَهَا ؟ فَيَقُولُونَ : لَوْ رَأَوَهَا لَكُنَّا مِنْهَا أَشَدَّ فِرَارًا، وَأَشَدَّ هَرَبًا، وَأَشَدَّ

٤٨٣ - السنن الكبرى للبيهقي - حيدر آباد - (٢ / ١٨٤) (٣١٣٢) وصحيح البخاري - المكثر - (٤٢٠٥)

٤٨٤ - الأحاد والمثاني - (٣ / ٥٢٩) (٢٠٢٢) صحيح لغيره

٤٨٥ - الأذنب المفرد للبخاري (٧٣٨) صحيح لغيره

خَوْفًا، فَيَقُولُ اللَّهُ لِمَلَائِكَتِهِ : أَشْهَدُكُمْ أَنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ. قَالَ : فَقَالَ مَلَكٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ :
: إِنَّ فِيهِمْ فُلَانًا لَيْسَ مِنْهُمْ إِنَّمَا جَاءَ لِحَاجَةٍ، قَالَ : فَهُمْ الْجُلَسَاءُ لَا يَشْتَقِي جَلِيسُهُمْ.^{٤٨٦}

الخلاصة:

(١) إن استخدام أسلوب التشويق والإثارة، من أقوى الدوافع على التعلم والبحث والاستقصاء.

(٢) يجب أن يضع المعلم في اعتباره، أن العبارات المستخدمة في هذا الأسلوب، يجب أن تؤدي إلى معنى هواه وتستشرف إليه النفس .

(٣) كلما كان أسلوب التشويق قوياً، كلما كانت الدوافع أقوى .

[٩] استخدام الإيماءات (حركات اليدين والرأس) في التعليم

كان ﷺ يجمع في تعليمه بين البيان بالعبارة، والإشارة باليدين الكرمتين، توضيحاً للمرام وتنبهاً على أهمية ما يذكره للسامعين أو يعلمهم إياه.

إن المعلم لا ينفك بحال من الأحوال عن إيماءات اليدين والرأس، أثناء ممارسته للتعليم، فهي ملازمة للمتحدث أياً كان نوع الحديث. ولكن هل من سبيل إلى توظيف هذه الحركات والإيماءات لصالح التعليم؟ الجواب نعم، وإن سألتني كيف ذلك؟ قلت لك: تابع معي السطور التالية:

إن عين التلميذ تتابع حركات المعلم وسكناته، ولذلك فهو يتأثر بالانفعالات التي يحدثها المعلم، إذاً فهو يتأثر بحركة اليدين والرأس . والمعلم قد يستفيد من هذه الحركات والإشارات في أمور عدة:

أحدها: زيادة بيان وإيضاح وتأكيد على الكلام:

^{٤٨٦} - صحيح ابن حبان - (٣ / ١٣٩) (٨٥٧) وصحيح البخارى - المكثر - (٦٤٠٨)

نأخذ هذه من حديث جابر رضي الله عنه، في سياق حجة النبي ﷺ

عَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ : دَخَلْنَا عَلَى جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، فَسَأَلَ عَنِ الْقَوْمِ حَتَّى انْتَهَى إِلَيَّ، فَقُلْتُ أَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ فَأَهْوَى بِيَدِهِ إِلَيَّ رَأْسِي، فَنَزَعَ زِرِّي الْأَعْلَى، ثُمَّ نَزَعَ زِرِّي الْأَسْفَلَ، ثُمَّ وَضَعَ كَفَّهُ بَيْنَ تَدْيِي، وَأَنَا غُلَامٌ يَوْمئِذٍ شَابٌ، فَقَالَ : مَرِحَبًا يَا ابْنَ أَخِي سَلْ عَمَّا شِئْتَ، فَسَأَلْتُهُ وَهُوَ أَعْمَى، وَجَاءَ وَقَتُ الصَّلَاةِ، فَقَامَ فِي نَسَاجَةٍ مُلْتَحِفٍ بِهَا، كُلَّمَا وَضَعَهَا عَلَى مَنْكِبِيهِ رَجَعَ طَرَفَاهَا إِلَيْهِ مِنْ صِعْرَهَا، وَرَدَاؤُهُ إِلَيَّ جَنْبِهِ عَلَى الْمَشْجَبِ، فَصَلَّى بِنَا، فَقُلْتُ : أَخْبِرْنِي عَنْ حِجَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ بِيَدِهِ وَعَقَدَ تَسْعًا، وَقَالَ : إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مَكَثَ تِسْعَ سِنِينَ لَمْ يَحُجَّ، ثُمَّ أَذَّنَ فِي النَّاسِ فِي الْعَاشِرِ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ حَاجٌّ، فَقَدِمَ الْمَدِينَةَ بِشَرِّ كَثِيرٍ، كُلُّهُمْ يَلْتَمِسُ أَنْ يَأْتَمَّ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَيَعْمَلْ مِثْلَ عَمَلِهِ، فَخَرَجْنَا مَعَهُ حَتَّى أَتَيْنَا ذَا الْحُلَيْفَةِ، فَوَلَدَتْ أَسْمَاءُ بِنْتُ عُمَيْسٍ مُحَمَّدَ بْنَ أَبِي بَكْرٍ، فَأَرْسَلَتْ إِلَيَّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ كَيْفَ أَصْنَعُ، فَقَالَ : اغْتَسِلِي، وَاسْتَشْفِرِي بِثَوْبٍ، وَأَحْرِمِي.

فَصَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي الْمَسْجِدِ، ثُمَّ رَكِبَ الْقَصْوَاءَ حَتَّى إِذَا اسْتَوَتْ بِهِ نَاقَتُهُ عَلَى الْبَيْدَاءِ، نَظَرَتْ إِلَى مَدِّ بَصَرِي بَيْنَ يَدَيْهِ مِنْ رَاكِبٍ وَمَاشِيٍّ، وَعَنْ يَمِينِهِ مِثْلُ ذَلِكَ، وَعَنْ يَسَارِهِ مِثْلُ ذَلِكَ، وَمِنْ خَلْفِهِ مِثْلُ ذَلِكَ، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَيْنَ أَظْهُرِنَا، وَعَلَيْهِ يَنْزِلُ الْقُرْآنُ، وَهُوَ يَعْرِفُ تَأْوِيلَهُ، وَمَا عَمِلَ بِهِ مِنْ شَيْءٍ عَمَلْنَا بِهِ، فَأَهْلٌ بِالتَّوْحِيدِ : لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ، لَبَّيْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ لَبَّيْكَ، إِنَّ الْحَمْدَ وَالتَّعَمَّةَ لَكَ وَالْمُلْكَ، لَا شَرِيكَ لَكَ، وَأَهْلُ النَّاسِ بِهَذَا الَّذِي يُهْلُونَ بِهِ، فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْهُ شَيْئًا، وَلَزِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ تَلْبِيَّتَهُ.

قَالَ جَابِرٌ : لَسْنَا نَنْوِي إِلَّا الْحَجَّ، لَسْنَا نَعْرِفُ الْعُمْرَةَ حَتَّى أَتَيْنَا الْبَيْتَ مَعَهُ، اسْتَلَمَ الرُّكْنَ فَرَمَلَ ثَلَاثًا، وَمَشَى أَرْبَعًا، ثُمَّ تَقَدَّمَ إِلَى مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ، فَقَرَأَ { وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى } [البقرة]، فَجَعَلَ الْمَقَامَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْبَيْتِ، فَكَانَ أَبِي يَقُولُ : - وَلَا أَعْلَمُهُ ذَكَرَهُ إِلَّا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ - إِنَّهُ كَانَ يَقْرَأُ فِي الرَّكْعَتَيْنِ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ وَقُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ثُمَّ رَجَعَ إِلَى الرُّكْنِ فَاسْتَلَمَهُ، ثُمَّ خَرَجَ مِنَ الْبَابِ إِلَى الصَّفَا، فَلَمَّا دَنَا مِنَ الصَّفَا قَرَأَ { إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ } [البقرة] أبدأ بما بدأ الله به، فبدأ بالصفا، فرقي عليه حتى رأى

الْبَيْتَ، فَاسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ، وَوَحَّدَ اللَّهَ، وَكَبَّرَهُ، وَقَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمَلِكُ، وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ، نَجَزَ وَعَدَهُ، وَنَصَرَ عَبْدَهُ، وَهَزَمَ الْأَحْزَابَ وَحْدَهُ، ثُمَّ دَعَا بَيْنَ ذَلِكَ، قَالَ مِثْلَ هَذَا ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ نَزَلَ إِلَى الْمَرْوَةِ حَتَّى انْصَبَتْ قَدَمَاهُ إِلَى بَطْنِ الْوَادِي، سَعَى، حَتَّى إِذَا صَعِدَ مَشَى حَتَّى أَتَى الْمَرْوَةَ، فَفَعَلَ عَلَى الْمَرْوَةِ كَمَا فَعَلَ عَلَى الصَّفَا، حَتَّى إِذَا كَانَ آخِرَ طَوَافٍ عَلَى الْمَرْوَةِ قَالَ : لَوْ أَنِّي اسْتَقْبَلْتُ مِنْ أَمْرِي مَا اسْتَدْبِرْتُ لَمْ أَسُقِ الْهَدْيَ، وَجَعَلْتُهَا عَمْرَةً، فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ لَيْسَ مَعَهُ هَدْيٌ فَلْيَحِلِّ وَلْيَجْعَلْهَا عَمْرَةً.

فَقَامَ سُرَاقَةُ بْنُ جُعْشَمٍ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلْعَامَنَا هَذَا أَمْ لِلْأَبْدِ ؟ قَالَ : فَشَبَّكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَصَابِعُهُ وَاحِدَةً فِي الْأُخْرَى، وَقَالَ : دَخَلْتَ الْعُمْرَةَ فِي الْحَجِّ مَرَّتَيْنِ، لَا بَلَّ لِأَبَدٍ، لَا بَلَّ لِأَبَدٍ، وَقَدِمَ عَلَيَّ مِنَ الْيَمَنِ بِيَدِنِ النَّبِيِّ ﷺ، فَوَجَدَ فَاطِمَةَ مَمَّنْ قَدْ حَلَّ، وَكَبَسَتْ نِيَابَ صَبْعٍ، وَاسْتَحَلَّتْ، فَأَنْكَرَ ذَلِكَ عَلَيْهَا، فَقَالَتْ : أَبِي أَمَرَنِي بِهَذَا، قَالَ : فَكَانَ عَلَيَّ يَقُولُ بِالْعِرَاقِ، فَذَهَبْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مُحَرِّثًا عَلَى فَاطِمَةَ لِلَّذِي صَنَعْتَ وَأَخْبَرْتَهُ أَنِّي أَنْكَرْتُ ذَلِكَ عَلَيْهَا، فَقَالَ ﷺ : صَدَقْتَ، مَا قُلْتَ حِينَ فَرَضْتَ الْحَجَّ قَالَ : قُلْتُ : اللَّهُمَّ إِنِّي أَهْلٌ بِمَا أَهَلَ بِهِ رَسُولُكَ، قَالَ : فَإِنَّ مَعِيَ الْهَدْيَ، فَلَا تَحِلَّ، قَالَ : فَكَانَ جَمَاعَةُ الْهَدْيِ الَّذِي قَدِمَ بِهِ عَلَيَّ مِنَ الْيَمَنِ وَالَّذِي أَتَى بِهِ النَّبِيُّ ﷺ مِائَةً، قَالَ : فَحَلَّ النَّاسُ كُلَّهُمْ، وَفَصَّرُوا إِلَّا النَّبِيَّ ﷺ وَمَنْ كَانَ مَعَهُ هَدْيٌ.

فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ التَّرْوِيَةِ، تَوَجَّهُوا إِلَى مَنَى، فَأَهْلُوا بِالْحَجِّ رَكِبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَصَلَّى بِهَا الظُّهْرَ وَالْعَصْرَ وَالْمَغْرِبَ وَالْعِشَاءَ وَالصُّبْحَ، ثُمَّ مَكَثَ قَلِيلًا حَتَّى طَلَعَتِ الشَّمْسُ وَأَمَرَ بِقُبَّةِ مَنْ شَعَرَ فَضْرِبَتْ لَهُ بِنَمْرَةَ، فَسَارَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَلَا تَشْكُ قُرَيْشٌ إِلَّا أَنَّهُ وَقَفَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ كَمَا كَانَتْ قُرَيْشٌ تَصْنَعُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فَأَجَازَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى أَتَى عَرَفَةَ، فَوَجَدَ الْقُبَّةَ، قَدْ ضُرِبَتْ لَهُ بِنَمْرَةَ، فَنَزَلَ بِهَا، حَتَّى إِذَا زَاغَتِ الشَّمْسُ أَمَرَ بِالْقَصْوَاءِ، فَفُرِحَتْ لَهُ، فَأَتَى بَطْنَ الْوَادِي، يَخْطُبُ النَّاسَ، ثُمَّ قَالَ ﷺ : إِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ حَرَامٌ عَلَيْكُمْ كَحَرَمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا فِي بَلَدِكُمْ هَذَا، أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ تَحْتَ قَدَمِي مَوْضُوعٌ، وَدِمَاءُ الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعَةٌ، وَإِنَّ أَوَّلَ دَمٍ أُضِعَ مِنْ دِمَائِنَا دَمٌ

ابن ربيعة بن الحارث، وكان مسترضعاً في بني ليث، فقتلته هذيل، وربا الجاهلية موضوع، وأول ربا أضع ربا العباس بن عبد المطلب، فإنه موضوع كله، فاتقوا الله في النساء، فإنكم أخذتموهن بأمان الله، واستحللتم فروجهن بكلمة الله، ولكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم أحداً تكرهونه، فإن فعلن ذلك فاضربوهن ضرباً غير مبرح، ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف، وقد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به : كتاب الله. وأنتم تسألون عني فما أنتم قائلون، قالوا : نشهد أن قد بلغت وأديت ونصحت، فقال ﷺ بأصبعه السبابة، يرفعها إلى السماء وينكتها إلى الناس : اللهم اشهد - ثلاث مرات -

ثم أذن، ثم أقام فصلى الظهر، ثم أقام فصلى العصر، ولم يصل بينهما شيئاً، ثم ركب رسول الله ﷺ حتى أتى الموقف فجعل بطن ناقته الفصواء إلى الصخرات، وجعل جبل المشاة بين يديه، فاستقبل القبلة فلم يزل واقفاً حتى غربت الشمس، وذهبت الصفرة قليلاً، وغاب القرص، وأردف رسول الله ﷺ أسامة خلفه، ودفع رسول الله ﷺ وقد شقق للفصواء الزمام، حتى إن رأسها ليصيب مورك رحله، ويقول بيده اليمنى : أيها الناس السكينة السكينة كلما أتى جبلاً من الجبال أرخى لها قليلاً حتى تصعد، حتى أتى المزدلفة فصلى بها المغرب والعشاء بأذان واحد وإقامتين، ولم يسبح بينهما شيئاً.

ثم اضطجع رسول الله ﷺ حتى طلع الفجر، فصلى الفجر، حتى تبيّن له الصبح بأذان وإقامة، ثم ركب الفصواء حتى أتى المشعر الحرام، فاستقبل القبلة، فدعاه وكبره وهلله ووحدته، فلم يزل واقفاً حتى أسفر جداً، دفع قبل أن تطلع الشمس، وأردف الفضل بن العباس وكان رجلاً حسن الشعر أبيض وسيماً، فلما دفع رسول الله ﷺ مرت طعن يجرين، فطفق الفضل ينظر إليهن، فوضع رسول الله ﷺ يده على وجه الفضل، فحوّل الفضل وجهه من الشق الآخر، فحوّل رسول الله ﷺ يده إلى الشق الآخر على وجه الفضل، فصرف وجهه من الشق الآخر حتى أتى محسراً، فحرك قليلاً، ثم سلك الطريق الوسطى التي تخرج إلى الجمرة الكبرى، حتى أتى الجمرة فرماها بسبع حصيات، يكبر مع كل حصاة منها مثل حصا الخذف، رمى من بطن الوادي، ثم انصرف إلى

الْمَنْحَرِ، فَنَحَرَ ثَلَاثًا وَسِتِّينَ بِيَدِهِ، ثُمَّ أُعْطِيَ عَلِيًّا، رِضْوَانَ اللَّهِ عَلَيْهِ، فَنَحَرَ مَا غَبَرَ مِنْهَا، وَأَشْرَكَهُ فِي هَدْيِهِ، وَأَمَرَ مِنْ كُلِّ بَدَنَةٍ بَبِضْعَةٍ، فَجَعَلَتْ فِي قَدْرِ، فَطَبِخَتْ، فَأَكَلَا مِنْ لَحْمِهَا، وَشَرَبَا مِنْ مَرْقِهَا.

ثُمَّ رَكِبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَأَفَاضَ إِلَى الْبَيْتِ فَصَلَّى بِمَكَّةَ الظُّهْرَ، فَأَتَى بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ يَسْتَفُونَ عَلَى زَمْرٍ، فَقَالَ: انزِعُوا يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ فَلَوْلَا أَنْ يَغْلِبَكُمْ النَّاسُ عَلَى سِقَايَتِكُمْ لَنَزَعْتُ مَعَكُمْ، فَنَاوَلُوهُ دُلُوءًا، فَشَرِبَ مِنْهُ. " ٤٨٧

قلت: قد استخدم الرسول ﷺ في هذا الحديث الطويل كل الإشارات التي تجذب أنظار المشاهدين له كالإشارة بالإصبع وتشبيك الأصابع، والركوب على الدابة، والنظر إليهم، من حين خروجه لحين عودته ﷺ

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ - ذَكَرَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ فَقَالَ « فِيهِ سَاعَةٌ لَا يُوَافِقُهَا

٤٨٧ - صحيح ابن حبان - (٩ / ٢٥٣) (٣٩٤٤) وصحيح مسلم - المكثر - (٣٠٠٩)

نساجة: ضرب من الملاحف المنسوجة. - المشجب: أعواد مركبة يوضع عليها الرجل والثياب. - واستثفري استنفار الحائض: هو أن تشد فرجها بخرقه عريضة توثق طرفيها في شيء آخر قد شدته علي وسطها، ليمتنع السدم أن يجري ويقطر. - القصواء: اسم ناقة رسول الله ﷺ - ، ولم تكن قصواء، لأن القصواء، هي المقطوعة الأذن. - صبيغا: ثوب صبيغ، أي: مصبوغ، فعيل، بمعنى: مفعول. - محرشا: التحريش: الإغراء، ووصف ما يوجب عتاب المنقول عنه وتوبيخه. - بكلمة الله: كلمة الله: هي قوله تعالى: { فإمسك بمعروف أو تسريح بإحسان } البقرة: ٢٢٩. - لا يوطن فرشكم أحدا تكرهون معناه: أن لا يأذن لأحد من الرجال أن يتحدث إليهن، وكان الحديث من الرجال إلى النساء من عادات العرب، لا يرون ذلك عيبا، ولا يعدونه ريبة، إلى أن نزلت آية الحجاب، وليس المراد بوطء الفراش: نفس الزنا، لأن ذلك محرم علي الوجوه كلها، فلا معنى لا شتراط الكراهة فيه، ولو كان ذلك كذلك لم يكن الضرب فيه ضربا غير مبرح، إنما كان فيه الحد، والضرب المبرح: هو الضرب الشديد. - ينكبها نكب إصبه: أمالها إلى الناس، يريد بذلك أن يشهد الله عليهم. - حبل المشاة الحبل: واحد حبال الرمل، وهو ما استطال منه مرتفعا. - شنق زمام ناقته: إذا جمعه إليه كفا لها عن السرعة. في المشي.

مورك: الرجل: ما يكون بين يدي الرجل، يضع الراكب رجله عليه، يقال: ورك وورك، مخففاً ومثقلاً. - ولم يسبح بينهما: السبحة: الصلاة، وقيل: هي النافلة من الصلاة، أي: لم يصل بينهما سنة. - وسيما: رجل وسيم: له منظر جميل. - ظعن: جمع، ظعينة وهي المرأة في الهودج، والهودج أيضا يسمى: ظعينة. - ماغب: الغابر: الباقي. - انزعوا: التزع: الاستقاء. جامع الأصول في أحاديث الرسول - (٣ / ٤٧٣)

عَبْدٌ مُسْلِمٌ، وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي، يَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى شَيْئًا إِلَّا أَعْطَاهُ إِيَّاهُ » . وَأَشَارَ بِيَدِهِ يُقَلِّلُهَا^{٤٨٨}
 وبأمل هذا الحديث، يتبين أن إشارته ﷺ أفادت معنى جديدًا زائدًا على كلامه ﷺ، وهو أن
 هذه الساعة أمرها يسير في مقابل نيل أمر عظيم، وهذا من فضل الله على عباده. قال الزين
 بن المنير: الإشارة لتقليلها هو للترغيب فيها والحض عليها ليسارة وقتها وغزارة
 فضلها^{٤٨٩}.

ثانيها : جذب الانتباه وترسيخ بعض المعاني في الذهن :

نلمس ذلك من الحديث السابق الذي ساقه جابر بن عبد الله رضي الله عنه، وذلك عندما
 خطب النبي ﷺ بالناس في نمرة يوم عرفة، حيث بين لهم في هذه الخطبة أموراً كثيرة
 وعظيمة، ثم بعد أن بلغهم قال لهم: (وَأَنْتُمْ تُسْأَلُونَ عَنِّي، فَمَا أَنْتُمْ قَائِلُونَ ؟ قَالُوا : نَشْهَدُ
 أَنَّكَ قَدْ بَلَّغْتَ وَأَدَّيْتَ وَنَصَحْتَ، فَقَالَ بِأَصْبَعِهِ السَّبَابَةَ، يَرْفَعُهَا إِلَى السَّمَاءِ وَيَنْكُتُهَا إِلَى
 النَّاسِ : اللَّهُمَّ اشْهَدْ، اللَّهُمَّ اشْهَدْ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ)^{٤٩٠}

ففي رفع الرسول ﷺ لأصبعه إلى السماء ثم الإشارة به إليهم، جذب لأنظار الناس لهذا
 الأمر الهام والخطير وهو مقام الشهادة على التبليغ .

وَعَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ الْبُرَاءِ، قَالَ : أَخْرَجَ ابْنُ زِيَادٍ الصَّلَاةَ، فَأَتَانِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الصَّامِتِ، فَأَلْقَيْتُ لَهُ
 كُرْسِيًّا، فَجَلَسَ عَلَيْهِ فَذَكَرْتُ لَهُ صَنِيعَ ابْنِ زِيَادٍ، فَعَضَّ عَلَى شَفْتِهِ، وَضَرَبَ فِخْذِي، وَقَالَ :
 إِنِّي سَأَلْتُ أَبَا ذَرٍّ كَمَا سَأَلْتَنِي، فَضَرَبَ فِخْذِي كَمَا ضَرَبْتُ عَلَى فِخْذِكَ، وَقَالَ : إِنِّي
 سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَمَا سَأَلْتَنِي فَضَرَبَ فِخْذِي، كَمَا ضَرَبْتُ فِخْذَكَ، فَقَالَ : صَلِّ
 الصَّلَاةَ لَوْقَتِهَا، فَإِنْ أَدْرَكْتَكُ مَعَهُمْ فَصَلِّ، وَلَا تَقُلْ إِنِّي قَدْ صَلَّيْتُ وَلَا أُصَلِّي. " ^{٤٩١}

قال القرطي : " وقوله : ((صل الصلاة لوقتها)) ؛ يعني : الأفضل، بدليل قوله : ((فإن
 أدركتها معهم)) ؛ أي : في الوقت . وبدليل قوله : " فإن صلَّيت لوقتها كانت لك نافلة

^{٤٨٨} - صحيح البخارى - المكثر - (٩٣٥) وصحيح مسلم - المكثر - (٢٠٠٦)

^{٤٨٩} - فتح الباري لابن حجر - (٢ / ٤١٦)

^{٤٩٠} - صحيح مسلم - المكثر - (٣٠٠٩)

^{٤٩١} - صحيح مسلم - المكثر - (١٥٠١)

((أي : زيادة في العمل والثواب .

وقوله : ((وإلا كنت قد أحرزت صلاتك)) ؛ أي : فعلتها في وقتها، وعلى ما يجب أداؤها . وفيه : جواز فعل الصلاة مرتين . ومحمل النهي عن إعادة الصلاة : على إعادتها من غير سبب . وتأخير ابن زياد الصلاة على رأي بني أمية في تأخيرهم الصلوات . وضرب النبي ﷺ على فخذ أبي ذر تنبيه له على الاستعداد لقبول ما يلقي إليه .

وقوله : ((ولا تقل إني قد صليت فلا أصلي)) ؛ فهاه عن إظهار خلاف على الأئمة، ولذلك قال : " إن خليلي أوصاني أن أسمع وأطيع، وإن كان عبداً مُجَدِّع الأطراف " .^{٤٩٢}

قال في شرح مسلم : قوله : (وَضَرَبَ فَخَذِي) أَي لِّلْتَنْبِيهِ وَجَمَعَ الذَّهْنَ عَلَى مَا يَقُولُهُ لَهُ ^{٤٩٣}

وَعَنْ أَبِي مُوسَى عَنِ النَّبِيِّ ﷺ - قَالَ « إِنَّ الْمُؤْمِنَ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ ، يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا » . وَشَبَّكَ أَصَابِعُهُ .^{٤٩٤}

" قَوْلُهُ ﷺ : (الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا) صَرِيحٌ فِي تَعْظِيمِ حُقُوقِ الْمُسْلِمِينَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ ، وَحَثُّهُمْ عَلَى التَّرَاحُمِ وَالْمُلَاطَفَةِ وَالتَّعَاوُدِ فِي غَيْرِ إِثْمٍ وَلَا مَكْرُوهٍ . وَفِيهِ جَوَازُ التَّشْبِيهِ وَضَرْبُ الْأَمْثَالِ لِتَقْرِيْبِ الْمَعَانِي إِلَى الْأَفْهَامِ . " ^{٤٩٥}

" وهو دال على جواز التشبيك مطلقاً، وحديث أبي هريرة وهو دال على جوازه في المسجد، وإذا جاز في المسجد فهو في غيره أجوز .

وقال ابن المنير: التحقيق أنه ليس بين هذه الأحاديث تعارض، إذ المنهي عنه فعله على وجه العبث، والذي في الحديث إنما هو لمقصود التمثيل، وتصوير المعنى في النفس بصورة الحسن . قلت: هو في حديث أبي موسى وابن عمر كما قال، بخلاف حديث أبي هريرة . وجمع

^{٤٩٢} - المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم - (٦ / ٥٩)

^{٤٩٣} - شرح النووي على مسلم - (٢ / ٤٤٦) والآداب الشرعية - (٢ / ١٥٦)

^{٤٩٤} - صحيح البخاري - المكثر - (٤٨١) وصحيح مسلم - المكثر - (٦٧٥٠)

^{٤٩٥} - شرح النووي على مسلم - (٨ / ٣٩٤)

الإسماعيلي بأن النهي مقيد بما إذا كان في الصلاة أو قاصدا لها، إذ منتظر الصلاة في حكم المصلي، وأحاديث الباب الدالة على الجواز خالية عن ذلك، أما الأولان فظاهران، وأما حديث أبي هريرة فلأن تشبيكه إنما وقع بعد انقضاء الصلاة في ظنه، فهو في حكم المنصرف من الصلاة. والرواية التي فيها النهي عن ذلك ما دام في المسجد ضعيفة كما قدمنا، فهي غير معارضة لحديث أبي هريرة كما قال ابن بطال. ^{٤٩٦}

وعن ابن عباس، قال: جاء الناس مع النبي ﷺ حجاجاً فأمرهم فجعلوها عمرة ثم قال: لو أنني استقبلت من أمري ما استدبرت ما فعلت ذلك ولكن دخلت العمرة في الحج إلى يوم القيامة، ثم شبك بين أصابعه. ^{٤٩٧}

أظهر ما قيل في معنى قوله ﷺ: ((دخلت العمرة في الحج)): أن العمرة يجوز فعلها في أشهر الحج، خلافاً لما كانت الجاهلية تزعمه من امتناع العمرة في أشهر الحج، فهذا إبطال منه ﷺ لما زعموه. ^{٤٩٨}

وعن سهل بن سعد، قال: قال رسول الله ﷺ: أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا، وأشار بالسبابة والوسطى. ^{٤٩٩}

وعن سهل قال رسول الله ﷺ - «أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا». وأشار بالسبابة والوسطى، وفرج بينهما شيئاً. ^{٥٠٠}

قال الحافظ في الفتح: "وفيه: "وفرغ بينهما" أي بين السبابة والوسطى، وفيه إشارة إلى أن بين درجة النبي ﷺ وكافل اليتيم قدر تفاوت ما بين السبابة والوسطى، وهو نظير

^{٤٩٦} - فتح الباري لابن حجر - (١ / ٥٦٦)

^{٤٩٧} - مصنف ابن أبي شيبة - (٨ / ٧٧٣) (١٦٠٢٨) صحيح

^{٤٩٨} - وهناك وجوه أخرى في معنى هذه الجملة تراها في ((شرح صحيح مسلم)) للنووي ٨: ١٦٦، و((فتح الباري))

لابن حجر ٣: ٤٨٥.

^{٤٩٩} - صحيح ابن حبان - (٢ / ٢٠٧) (٤٦٠) وصحيح البخاري - المكثر - (٦٠٠٥)

قال أبو حاتم رضي الله عنه: قوله ﷺ هكذا أراد به في دخول الجنة، لا أن كافل اليتيم تكون مرتبته مع مرتبة رسول الله ﷺ، في الجنة واحدة.

^{٥٠٠} - صحيح البخاري - المكثر - (٥٣٠٤)

الحديث الآخر "بعثت أنا والساعة كهاتين" الحديث، وزعم بعضهم ﷺ لما قال ذلك استوت إصبعاه في تلك الساعة ثم عادتا إلى حالهما الطبيعية الأصلية تأكيدا لأمر كفالة اليتيم. قلت: ومثل هذا لا يثبت بالاحتمال، ويكفي في إثبات قرب المتزلة من المتزلة أنه ليس بين الوسطى والسبابة إصبع أخرى

قال شيخنا في "شرح الترمذي" لعل الحكمة في كون كافل اليتيم يشبه في دخول الجنة أو شبهت منزلته في الجنة بالقرب من النبي أو منزلة النبي لكون النبي شأنه أن يبعث إلى قوم لا يعقلون أمر دينهم فيكون كافلا لهم ومعلما ومرشدا، وكذلك كافل اليتيم يقوم بكفالة من لا يعقل أمر دينه بل ولا دنياه، ويرشده ويعلمه ويحسن أدبه، فظهرت مناسبة ذلك اه ملخصا. "٥٠١"

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "لَمْ يَتَكَلَّمْ فِي الْمَهْدِ إِلَّا ثَلَاثَةٌ ٥٠٢: عَيْسَى ابْنُ مَرْيَمَ، قَالَ: وَكَانَ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ: جُرَيْجٌ، وَكَانَ عَابِدًا، فَأَبْتَنِي صَوْمَعَةَ ٥٠٣ فَجَعَلَ يُصَلِّي فِيهَا، فَأَتَتْهُ أُمُّهُ، فَقَالَتْ: يَا جُرَيْجُ، فَقَالَ: يَا رَبُّ أُمِّي وَصَلَاتِي ٥٠٤، فَأَقْبَلَ عَلَيَّ صَلَاتِهِ، فَأَنْصَرَفَتْ ثُمَّ جَاءَتْهُ يَوْمًا آخَرَ فَفَعَلَ مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ جَاءَتْهُ يَوْمًا ثَالِثًا فَفَعَلَ مِثْلَ ذَلِكَ، فَقَالَتْ لَهُ أُمُّهُ: اللَّهُمَّ لَا تُمِئْتُهُ حَتَّى يَرَى أَوْ يَنْظُرَ فِي وَجْهِهِ الْمَوْمِسَاتِ ٥٠٥، قَالَ: فَذَكَرَ يَوْمًا بَنُو إِسْرَائِيلَ جُرَيْجًا وَفَضْلَهُ، فَقَالَتْ: بَغِيٌّ مِنْ بَغَايَا بَنِي إِسْرَائِيلَ: إِنْ شِئْتُمْ

٥٠١ - فتح الباري لابن حجر - (١٠ / ٤٣٦)

٥٠٢ ذكر الحافظ ابن حجر في ((فتح الباري)) ٦: ٣٤٤ أن هناك غير هؤلاء الثلاثة تكلموا في المهد، كما جاء ذلك في السنة الثابتة، وأشار إلى وجه التوفيق بين ظاهر هذا الحصر في الحديث والأحاديث الأخرى، فراجعها إذا شئت.

٥٠٣ الصومعة: البناء المرتفع المحدد أعلاه. مأخوذة من صَمَعْتُ إذا دَقَقْتُ، لأنها دقيقة الرأس.

٥٠٤ أي اجتمع عليَّ إجابة أمي وإتمام صلاتي، فوفَّقني لأفضلهما. قال الحافظ ابن حجر في ((فتح الباري)) ٦: ٣٤٥: ((وكل ذلك قاله أي في المرات الثلاث من مُناداة أمِّه حال صلاته محمولٌ على أنه قاله في نفسه، لا أنه نطق به، ويُحتملُ أن يكون نطق به على ظاهره، لأن الكلام كان مُباحاً عندهم، وكذلك كان في صدر الإسلام)).

٥٠٥ المومسات: الزواني المتجاهراتُ بذلك. وفي رواية ثانية عند مسلم فقالت: اللهم إن هذا جريج وهو ابني، وإني كلمته فأبي أن يُكَلِّدَني، اللهم فلا تُمِئْتُهُ حتى تُرِيَهُ وجوه المومسات، قال: ولو دَعَت عليه أن يُفْتَنَ لُفْتِنًا!)). أي لفتن بالزنى أو القتل! ولكن كانت رفيقةً رحيمةً به، فكانت دَعَوْتُها أن تكون عَقُوبَتُهُ رُؤْيَةً وجوه الزواني فقط، وما أشدها من عقوبة على قلوب العابدين الصالحين، نسألُ الله السلامة والعافية.

لَأَفْتِنَهُ لَكُمْ، فَقَالُوا: قَدْ شِئْنَا، فَاِنطَلَقَتْ فَعَرَضَتْ لِحُرَيْجٍ فَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَيْهَا، فَأَتَتْ رَاعِيًا كَانَ يَأْوِي إِلَى صَوْمَعَةِ حُرَيْجٍ بَعْنَمِهِ، فَأَمَكَّنَتْهُ مِنْ نَفْسِهَا فَحَمَلَتْ فَوَلَدَتْ غُلَامًا، فَقَالَتْ: هُوَ مِنْ حُرَيْجٍ، فَأَتَاهُ بَنُو إِسْرَائِيلَ فَضْرَبُوهُ وَشَتَمُوهُ وَهَدَمُوا صَوْمَعَتَهُ، فَقَالَ: مَا شَأْنُكُمْ؟ فَقَالُوا: زَنَيْتَ بِهَذِهِ الْبَغِيِّ^{٥٠٦}، وَوَلَدْتَ غُلَامًا، قَالَ: فَأَيْنَ الْغُلَامُ؟ قَالَ: فَجِيءَ بِهِ فَقَامَ وَصَلَّى^{٥٠٧} وَدَعَا، ثُمَّ انصَرَفَ إِلَى الْغُلَامِ فَطَعَنَهُ بِإِصْبَعِهِ فِي صَدْرِهِ وَقَالَ: يَا غُلَامُ، مَنْ أَبُوكَ؟ قَالَ: أَبِي الرَّاعِي، قَالَ فَوَتَّبَ النَّاسُ إِلَيْهِ فَجَعَلُوا يُقْبَلُونَهُ وَقَالُوا: نَبِيٌّ صَوْمَعَتِكَ مِنْ ذَهَبٍ، قَالَ: لَأَحَاجَةَ لِي فِي ذَلِكَ، ابْنُوهَا كَمَا كَانَتْ مِنْ قَبْلُ.

وَبَيْنَا امْرَأَةٌ جَالِسَةٌ وَفِي حَجْرِهَا ابْنٌ لَهَا تُرَضِعُهُ إِذْ مَرَّ بِهَا رَاكِبٌ ذُو شَارَةٍ^{٥٠٨}، فَقَالَتْ: اللَّهُمَّ اجْعَلْ ابْنِي مِثْلَ هَذَا، فَتَرَكَ نَدْبَيْهَا، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى الرَّاَكِبِ فَنَظَرَ إِلَيْهِ فَقَالَ: اللَّهُمَّ لَأَجْعَلَنِي مِثْلَ هَذَا، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى نَدْبَيْهَا يَمِصُّهُ " قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: فَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَحْكِي مِصَّهُ، وَوَضَعَهُ إِصْبَعَهُ فِي فِيهِ، فَجَعَلَ يَمِصُّهَا، ثُمَّ مَرَّ بِأَمَةٍ مَعَهَا النَّاسُ تُضْرَبُ، فَقَالَتْ: اللَّهُمَّ لَأَجْعَلَ ابْنِي مِثْلَ هَذِهِ، فَتَرَكَ نَدْبَيْهَا وَنَظَرَ إِلَيْهَا وَقَالَ: اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِثْلَهَا، فَعِنْدَ ذَلِكَ تَرَاَجَعَا الْحَدِيثَ^{٥٠٩}، فَقَالَتْ: حَلَقَى^{٥١٠}، أَيُّ بَنِيٍّ، مَرَّ بِي الرَّاَكِبُ ذُو شَارَةٍ، فَقُلْتُ: اللَّهُمَّ اجْعَلْ ابْنِي مِثْلَ هَذَا، فَقُلْتُ: اللَّهُمَّ لَأَجْعَلَنِي مِثْلَهُ، ثُمَّ مَرَّ بِهَذِهِ الْأَمَةِ فَقُلْتُ: اللَّهُمَّ لَأَجْعَلَ ابْنِي مِثْلَ هَذِهِ الْأَمَةِ^{٥١١}، فَقُلْتُ: اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِثْلَهَا، فَقَالَ: يَا أُمَّتَاهُ، إِنَّ الرَّاَكِبَ الَّذِي مَرَّ بِكَ جَبَّارٌ، فَدَعَوْتُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِثْلَهُ فَقُلْتُ: اللَّهُمَّ لَأَجْعَلَنِي مِثْلَهُ، وَهَذِهِ يَقُولُونَ: سَرَقَتْ، وَكَلِمٌ تَسْرِقُ، وَزَنْتَ، وَكَلِمٌ تَزْنُ، وَهِيَ تَقُولُ: حَسْبِيَ اللَّهُ^{٥١٢}.

^{٥٠٦} وكان في حكمهم أن من زنى قُتِلَ .

^{٥٠٧} وقد صلى ركعتين ، وكانت الصلاة مشروعة عندهم .

^{٥٠٨} أي ذو هيئة جميلة وملبس حسن .

^{٥٠٩} قال الإمام النووي في ((شرح صحيح مسلم)) ١٦ : ١٠٧ (قوله (تراجعا الحديث) ، أي أقبلت الأم على الرضيع تحدته ، وكانت أولاً لا تراه أهلاً للكلام ، فلما تكرّر منه الكلام ، علمت أنه أهل ، فسألته وراجعته)) .

^{٥١٠} أي عجباً لك؟!

^{٥١١} أي سالماً من المعاصي كما هي سالمة منها ، وليس المراد : اجعلني مثلها في النسبة إلى باطلٍ أكون منه بريئاً .

^{٥١٢} - شعب الإيمان - (١٠ / ٢٨٠) (٧٤٩٥) وصحيح البخاري - المكثر - (٣٤٣٦) وصحيح مسلم - المكثر -

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : " كَانَ رَجُلٌ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ تَاجِرًا ، فَكَانَ يَنْتَقِصُ مَرَّةً ، وَيَزِيدُ مَرَّةً أُخْرَى ، فَقَالَ : مَا لِي فِي هَذِهِ التَّجَارَةِ مِنْ خَيْرٍ ، لِأَلْتَمِسُ تِجَارَةً لَا تُقْصَانُ فِيهَا ، فَأَتَى صَوْمَعَةً ، فَتَرَهَّبَ فِيهَا ، فَكَانَ اسْمُهُ جُرَيْجٌ ، فَكَانَ يُرِيحُ إِلَى صَوْمَعَتِهِ رَاعِي ضَأْنٍ ، وَرَاعِيَةٌ مِعْزَى قَالَ : وَإِنَّ أُمَّ جُرَيْجٍ أَتَتْهُ يَوْمًا ، فَصَرَخَتْ ، وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي ، فَقَالَتْ : جُرَيْجُ ، فَقَالَ جُرَيْجٌ : أُمِّي وَالصَّلَاةُ ، ثُمَّ قَالَتْ : جُرَيْجُ ، فَلَمْ يُجِبْهَا ، فَقَالَ : أُمِّي وَالصَّلَاةُ قَالَ : فَذَهَبَتْ ، ثُمَّ أَتَتْهُ يَوْمًا آخَرَ ، فَقَالَتْ : جُرَيْجُ ، فَقَالَ : أُمِّي وَالصَّلَاةُ ، فَلَمْ يُجِبْهَا ، فَقَالَ : أُمِّي وَالصَّلَاةُ . قَالَ : فَذَهَبَتْ أُمُّهُ ، وَقَالَتْ : اللَّهُمَّ لَا تُمِتْ جُرَيْجًا حَتَّى يَنْظُرَ فِي وُجُوهِ الْمَيَامِسِ قَالَ : وَوَقَعَ صَاحِبُ الضَّأْنِ عَلَى صَاحِبَةِ الْمِعْزَى ، فَأَحْبَلَهَا ، فَقِيلَ لَهَا حِينَ وَلَدَتْ : وَيَحْكُ ، مِمَّنْ وَلَدَتْ ؟ فَقَالَتْ : مِنْ جُرَيْجٍ قَالَ : فَذَهَبُوا إِلَى الْمَلِكِ ، فَأَخْبَرُوهُ ، فَقَالَ : أَنْزِلُوهُ ، وَاتَّبُونِي بِهِ ، وَكَسَرُوا صَوْمَعَتَهُ ، فَأَنْزَلُوهُ ، فَقَالَ : وَيَحْكُ يَا جُرَيْجُ كُنَّا نَرَاكَ خَيْرَ النَّاسِ ، فَاحْتَبَلْتَ هَذِهِ الْمَرْأَةَ ، اذْهَبُوا بِهِ ، وَاصْلُبُوهُ . قَالَ : فَخَرَجَ إِلَى النَّاسِ ، وَخَرَجَ النَّاسُ مَعَهُ حَتَّى أُنْشِيَ ، وَبَرَزَ قَالَ : أَرَأَيْتُمْ هَذَا الَّذِي تَزْعُمُونَ أَنَّهُ ابْنِي ، أَرُونِي أَنْظُرُ إِلَيْهِ قَالَ : فَأَتَى بِالْمَرْأَةِ ، وَالصَّبِيِّ ، فَمَهُ فِي ثَدْيِهَا ، فَقَالَ جُرَيْجٌ : يَا غُلَامُ ، مَنْ أَبُوكَ ؟ فَقَالَ الْغُلَامُ ، وَنَزَعَ فَمَهُ مِنَ الثَّدْيِ : أَبِي رَاعِي الضَّأْنِ قَالَ : فَسَبَّحَ النَّاسُ ، وَعَجَبُوا ، قَالَ : فَضَحِكَ ، فَذَهَبُوا إِلَى الْمَلِكِ ، فَأَخْبَرُوهُ ، فَقَالَ : رُدُّوهُ ، فَأَتَى بِهِ ، فَقَالَ : يَا جُرَيْجُ ، فَلَنْصَنَعَهَا لَكَ كَيْفَ شِئْتَ ، وَاللَّهِ لَئِنْ شِئْتَ لَنَبْنِيَهَا لَكَ مِنْ ذَهَبٍ وَفِضَّةٍ ، قَالَ : بَلْ رُدُّوَهَا كَمَا كَانَتْ . قَالَ : فَرَدُّوَهَا ، وَرَجِعْ فِي صَوْمَعَتِهِ ، فَقَالَ لَهُ : بِاللَّهِ ، مِمَّ ضَحِكْتَ ؟^{٥١٣} قَالَ : مَا ضَحِكْتُ إِلَّا مِنْ دَعْوَةِ دَعَتْهَا أُمِّي عَلَيَّ^{٥١٤}

قال الحافظ ابن حجر^{٥١٥} : ((وفي الحديث إثارة إجابة الأم على صلاة التطوع ، لأن الاستمرار فيها : نافلة ، وإجابة الأم وبرها : واجب . وفي حديث يزيد بن حوشب عن

^{٥١٣} - أي أنه تذكر أن هذه العقوبة بسبب تلك المعصية!

^{٥١٤} - فُتُونُ الْعَجَائِبِ لِأَبِي سَعِيدِ النَّقَّاشِ (٥٦) حسن

^{٥١٥} - ((فتح الباري)) ٦ : ٣٤٧ و ٣ : ٦٣

أبيه أن النبي ﷺ قال : ((لو كان جريح فقيهاً وفي رواية : عالماً لعلم أن إجابة أمه أولى من عبادة ربه)) أخرجه الحسن بن سفيان . و(يزيد) والد حَوْشَب : مجهول))

" ففي هذه القصة أن هذا الصبي تكلم وهو في المهد وقال إن أباه فلان الراعي واستدل بعض العلماء من هذا الحديث على أن ولد الزني يلحق الزاني لأن جريح قال من أبوك قال أبي فلان الراعي وقد قصها النبي ﷺ علينا للعبرة فإذا لم ينازع الزاني في الولد واستلحق الولد فإنه يلحقه وإلى هذا ذهب طائفة يسيرة من أهل العلم وأكثر العلماء على أن ولد الزني لا يلحق الزاني لقول النبي ﷺ الولد للفراش وللعاهر الحجر ولكن الذين قالوا بلحقه قالوا هذا إذا كان له منازع كصاحب الفراش فإن الولد لصاحب الفراش وأما إذا لم يكن له منازع واستلحقه فإنه يلحقه لأنه ولده قدراً فإن هذا الولد لا شك أنه خلق من ماء الزاني فهو ولده قدراً ولم يكن له أب شرعي ينازعه وعلى هذا فيلحق به قالوا وهذا أولى من ضياع نسب هذا الولد لأنه إذا لم يكن له أب ضاع نسبه وصار ينسب إلى أمه .

وفي هذا الحديث دليل على صبر هذا الرجل جريح حيث إنه لم ينتقم لنفسه ولم يكلفهم شططا فينبون له صومعته من ذهب وإنما رضي بما كان رضي به أولا من القناعة وأن تبني من الطين أما الثالث الذي تكلم في المهد فهو هذا الصبي الذي مع أمه يرضع فمر رجل على فرس فارهة وعلى شارة حسنة وهو من أكابر القوم وأشرف القوم فقالت أم الصبي اللهم اجعل ابني هذا مثله فترك الصبي الثدي وأقبل على أمه بعد أن نظر إلى هذا الرجل فقال اللهم لا تجعلني مثله .

وحكى النبي ﷺ ارتضاع هذا الطفل من ثدي أمه بأن وضع إصبعه السبابة في فمه يمص تحقيقا للأمر ﷺ فقال اللهم لا تجعلني مثله ثم أقبلوا بجارية امرأة يضربونها ويقولون لها زنيته سرقت وهي تقول حسبنا الله ونعم الوكيل فقالت المرأة أم الصبي وهي ترضعه اللهم لا تجعل ابني مثلها فأطلق الثدي وجعل ينظر إليها وقال اللهم اجعلني مثلها فتراجع الحديث مع أمه طفل قام يتكلم معها قالت إني مررت أو مر بي هذا الرجل ذو الهيئة الحسنة فقلت اللهم اجعل ابني مثله فقلت أنت اللهم لا تجعلني مثله فقال نعم هذا رجل كان جبارا عنيدا فسألت الله ألا يجعلني مثله أما المرأة فإنهم يقولون زنيته سرقت وهي

تقول حسبي الله ونعم الوكيل فقلت اللهم اجعلني مثلها أي اجعلني طاهرا من الزنى والسرقة مفوضا أمري إلى الله في قولها حسبي الله ونعم الوكيل وفي هذا آية من آيات الله أن يكون هذا الصبي يشعر وينظر ويتأمل ويفكر وعنده شيء من العلم يقول هذا كان جبارا عنيدا وهو طفل وقال لهذه المرأة اللهم اجعلني مثلها علم أنها مظلومة وأنها بريئة مما اهتمت به وعلم أنها فوضت أمرها إلى الله عز وجل فهذا أيضا من آيات الله أن يكون عند هذا الصبي شيء من العلم والحاصل أن الله سبحانه وتعالى على كل شيء قدير فقد يحصل من الأمور المخالفة للعادة ما يكون آية من آياته إما تأييدا لرسوله أو تأييدا لأحد من أوليائه^{٥١٦}

وعن عبد الله بن مسعود ، قَالَ : بَيْنَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فِي قَرِيبٍ مِنْ ثَمَانِينَ رَجُلًا مِنْ قُرَيْشٍ ، لَيْسَ فِيهِمْ إِلَّا قُرَشِيٌّ لَا وَاللَّهِ مَا رَأَيْتُ صَفْحَةَ وَجْهِهِ رَجَالٍ قَطُّ أَحْسَنَ مِنْ وَجْهِهِمْ يَوْمَئِذٍ ، فَذَكَرُوا النِّسَاءَ ، فَتَحَدَّثُوا فِيهِنَّ ، فَتَحَدَّثَ مَعَهُمْ ، حَتَّى أَحْبَبْتُ أَنْ يَسْكُتَ ، قَالَ : ثُمَّ أَتَيْتُهُ فَتَشَهَّدَ ، ثُمَّ قَالَ : أَمَّا بَعْدُ ، يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ ، فَإِنَّكُمْ أَهْلُ هَذَا الْأَمْرِ ، مَا لَمْ تَعْصُوا اللَّهَ ، فَإِذَا عَصَيْتُمُوهُ بَعَثَ عَلَيْكُمْ مَنْ يَلْحَاكُمْ كَمَا يُلْحَى هَذَا الْقَضِيبُ لِقَضِيبٍ فِي يَدِهِ ، ثُمَّ لَحَا قَضِيبُهُ فَإِذَا هُوَ أَبْيَضٌ^{٥١٧} يَصْلُدُ.^{٥١٨}

وعن ابن عباس إن شاء الله أن النبي ﷺ - سئل يوم التَّحْرِ عَنْ مَنْ قَدَّمَ شَيْئًا قَبْلَ شَيْءٍ وَشَيْئًا قَبْلَ شَيْءٍ^{٥١٩} - قَالَ - فَرَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - يَدَيْهِ « لَا حَرَجَ لَا حَرَجَ ».^{٥٢٠}

وعن عبد الرحمن بن جابر حَدَّثَنِي سُلَيْمُ بْنُ عَامِرٍ حَدَّثَنِي الْمِقْدَادُ بْنُ الْأَسْوَدِ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ - يَقُولُ « تُدْنِي الشَّمْسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْخَلْقِ حَتَّى تَكُونَ مِنْهُمْ كَمِقْدَارِ مِيلٍ ». قَالَ سُلَيْمُ بْنُ عَامِرٍ فَوَاللَّهِ مَا أَدْرِي مَا يَعْنِي بِالْمِيلِ أَمْسَافَةَ الْأَرْضِ أَمْ

^{٥١٦} - شرح رياض الصالحين لابن عثيمين - (٢ / ٣٨٣)

^{٥١٧} - يَصْلُدُ : يَبْرُقُ .

^{٥١٨} - مسند أحمد (عالم الكتب) - (٢ / ١٩٥) (٤٣٨٠) صحيح

^{٥١٩} - يعني : قَدَّمَ أفعال الحج على بعض .

^{٥٢٠} - سنن الدارقطني - المكثر - (٢٦٠٥) صحيح

الْمِيلَ الَّذِي تُكْتَحَلُ بِهِ الْعَيْنُ. قَالَ « فَيَكُونُ النَّاسُ عَلَى قَدْرِ أَعْمَالِهِمْ فِي الْعَرَقِ فَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى كَعْبِيهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى رُكْبَتَيْهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى حَقْوَيْهِ ^{٥٢١} وَمِنْهُمْ مَنْ يُلْجِمُهُ الْعَرَقُ إِلْحَامًا ». قَالَ وَأَشَارَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - بِيَدِهِ إِلَى فِيهِ ^{٥٢٢} . ^{٥٢٣}

وعن أبي عَشَانَةَ أَنَّهُ سَمِعَ عُقْبَةَ بْنَ عَامِرٍ ، يَقُولُ : رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : تَدْنُو الشَّمْسُ مِنَ الْأَرْضِ ، فَيَعْرِقُ النَّاسُ ، فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَبْلُغُ عَرْفَهُ كَعْبِيهِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَبْلُغُ إِلَى نِصْفِ السَّاقِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَبْلُغُ إِلَى رُكْبَتَيْهِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَبْلُغُ إِلَى الْعَجْزِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَبْلُغُ إِلَى الْخَاصِرَةِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَبْلُغُ عُنُقَهُ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَبْلُغُ وَسَطَ فِيهِ ، وَأَشَارَ بِيَدِهِ ، فَأَلْجَمَ فَاهُ ، قَالَ : رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يُشِيرُ هَكَذَا وَمِنْهُمْ مَنْ يُعْطِيهِ عَرْفَهُ ، وَضَرَبَ ^{٥٢٤} بِيَدِهِ إِشَارَةً ^{٥٢٥} .

ثالثها طلب الاختصار :

أما طلب الاختصار فنأخذه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قَالَ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ - « أُمِرْتُ أَنْ أَسْجُدَ عَلَى سَبْعَةِ أَعْظُمٍ عَلَى الْجَبْهَةِ - وَأَشَارَ بِيَدِهِ عَلَى أَنْفِهِ - وَالْيَدَيْنِ ، وَالرُّكْبَتَيْنِ وَأَطْرَافِ الْقَدَمَيْنِ ، وَلَا نَكُفَّتِ الشِّيَابَ وَالشَّعْرَ » ^{٥٢٦} .

ألا ترى أنه قال أمرت أن أسجد على سبعة أعظم ثم قال الجبهة وأشار بيده إلى الأنف، فهذا فيه بيان إلى أن الأنف تابع للجبهة، أي كأنهما عضو واحد، وفيه أيضاً اختصار بدعي، إذ أنه ﷺ استغنى عن ذكر الأنف بالإشارة إليه، ألا ترى أنه لو لم يشير إلى الأنف لكان يتوجه أن يقال : الجبهة والأنف، فلما استخدمت الإشارة على الأنف مع قوله الجبهة، أعنى ذلك عن ذكر الأنف . والله أعلم .

^{٥٢١} - الحَقْوُ بفتح الحاء وكسرهما مع سكون القاف : هو الموضع الذي يُعَقَّدُ عليه الإزار ، أي يَبْلُغُ به الْعَرَقُ إِلَى وَسْطِهِ .

^{٥٢٢} - أي أشار إلى فَمِهِ الشَّرِيفِ ﷺ .

^{٥٢٣} - صحيح مسلم - المكثر - (٧٣٨٥)

^{٥٢٤} - (وَضَرَبَ بِيَدِهِ إِشَارَةً) أي أشارَ إِشَارَةً إِلَى مَا فَوْقَ رَأْسِهِ !

^{٥٢٥} - صحيح ابن حبان - (١٦ / ٣٢٤) (٧٣٢٩) صحيح

^{٥٢٦} - صحيح البخاري - المكثر - (٨١٢) وصحيح مسلم - المكثر - (١١٢٦) - يكفت : يضم ويجمع

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ - سُئِلَ فِي حَجَّتِهِ فَقَالَ ذَبَحْتُ قَبْلَ أَنْ أُرْمِيَ، فَأَوْمَأَ بِيَدِهِ
قَالَ وَلَا حَرَجَ . قَالَ حَلَقْتُ قَبْلَ أَنْ أُذْبَحَ . فَأَوْمَأَ بِيَدِهِ وَلَا حَرَجَ . ٥٢٧

وَعَنْ سَالِمٍ قَالَ سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ - قَالَ « يُقْبِضُ الْعِلْمُ، وَيُظْهِرُ الْجَهْلُ
وَالْفِتْنُ، وَيَكْثُرُ الْهَرْجُ » . قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا الْهَرْجُ فَقَالَ هَكَذَا بِيَدِهِ، فَحَرَفَهَا، كَأَنَّهُ يُرِيدُ
الْقَتْلَ ٥٢٨

قوله: "كأنه يريد القتل" كأن ذلك فهم من تحريف اليد وحركتها كالضارب ٥٢٩

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ مَوْلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَامِرٍ، قَالَ : سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ، يَقُولُ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ
ﷺ : لَا تَحَاسِدُوا، وَلَا تَنَاجَشُوا، وَلَا تَبَاغِضُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَلَا يَبِعْ أَحَدُكُمْ عَلَى بَيْعِ
أَخِيهِ، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا، الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يَخْدُلُهُ وَلَا يَحْقِرُهُ، التَّقْوَى
هَاهُنَا، وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، حَسِبُ امْرَأَتٍ مُسْلِمٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ
الْمُسْلِمِ، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ : دَمُهُ، وَمَالُهُ، وَعَرِضُهُ. ٥٣٠

وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ، قَالَ : كُنْتُ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ إِذْ جَاءَهُ حَرْمَلَةٌ بِنِ زَيْدٍ ،
فَجَلَسَ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ، الْإِيمَانُ هَهُنَا وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى
لِسَانِهِ، وَالتَّفَاقُ هَهُنَا، وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى صَدْرِهِ وَلَا يَذْكُرُ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا، فَسَكَتَ عَنْهُ النَّبِيُّ ﷺ
، فَرَدَّدَ ذَلِكَ عَلَيْهِ، وَسَكَتَ حَرْمَلَةٌ، فَأَخَذَ النَّبِيُّ ﷺ بِطَرْفِ لِسَانِ حَرْمَلَةٍ، فَقَالَ : " اللَّهُمَّ
اجْعَلْ لَهُ لِسَانًا صَادِقًا، وَقَلْبًا شَاكِرًا، وَارزُقْهُ حُبِّي وَحُبَّ مَنْ يُحِبُّنِي، وَصَيِّرْ أَمْرَهُ إِلَى الْخَيْرِ
" ، فَقَالَ حَرْمَلَةٌ : يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ لِي إِخْوَانًا مُنَافِقِينَ كُنْتُ فِيهِمْ رَأْسًا أَفَلَا أَدُلُّكَ عَلَيْهِمْ ؟
فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : " لَا، مَنْ جَاءَنَا كَمَا جِئْنَا اسْتَعْفَرْنَا لَهُ كَمَا اسْتَعْفَرْنَا لَكَ، وَمَنْ أَصَرَ عَلَى
ذَنْبِهِ فَالِلَّهِ أَوْلَى بِهِ، وَلَا تَخْرِقْ عَلَى أَحَدٍ سِتْرًا " . ٥٣١

٥٢٧ - صحيح البخارى - المكثر - (٨٤)

٥٢٨ - صحيح البخارى - المكثر - (٨٥)

٥٢٩ - فتح الباري لابن حجر - (١ / ١٨٢)

٥٣٠ - مسند أحمد (عالم الكتب) - (٣ / ١٣١) (٧٧٢٧) ٧٧١٣ - صحيح

٥٣١ - المعجم الكبير للطبراني - (٣ / ٤٨٧) (٣٣٩٧) حسن

الخلاصة:

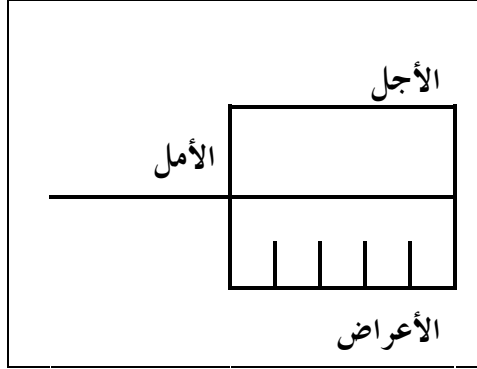
- (١) توظيف إيماءات اليدين والرأس في صالح التعليم .
- (٢) الإشارات تفيد المعلم في الاختصار، أو زيادة تأكيد على الكلام، أو ترسيخ وتعميق بعض الأمور الهامة أو جذب انتباه السامع، أو تساعد المعلم في التعبير عن بعض المعاني التي قد يتعذر على اللسان الإتيان بها . وغيرها .
- (٣) هناك وظائف كثيرة متعارف عليها، وهي معلومة لنا بحكم العادة، كإشارة طلب السكوت، أو النفي، أو طلب المحييء والانصراف .
- (٤) إن الإسراف في حركة اليدين، مزعجة للطالب، ونقيضه تعطيل هذه الوسيلة يفوت على المعلم وسائل مساعدة في إيضاح بعض مواد الشرح . فكلما قصد طرقي الأمور ذميم .

[١٠] استخدام الرسومات للتوضيح والبيان :

يحتاج المعلمون إلى وسائل مساعدة، تساعد المعلم في إيصال المعلومات بشكل أفضل وأيسر، ومن هذه الوسائل (السبورة) حيث يتمكن المعلم من دعم شرحه بالكتابة أو بالرسم على (السبورة) ونحوها . ولك أن تقارن بين معلم يجمع بين الشرح والكتابة أو الرسم على (السبورة) وبين معلم يقتصر على أسلوب الإلقاء فقط . قطعاً الأول أكثر إيضاحاً للمعنى المراد بيانه، وأسرع فهماً. وهذا أمر لا يحتاج إلى تدليل لإثباته. والرسول ﷺ سبق التربية الحديثة بأربعة عشر قرناً حيث كان يدعم قوله ﷺ في بعض حديثه برسومات تقرب المعنى للأذهان، وتعين على الحفظ . فمن ذلك :

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ خَطَّ النَّبِيُّ ﷺ - حَطًّا مُرَبَّعًا، وَحَطَّ حَطًّا فِي الْوَسَطِ خَارِجًا مِنْهُ، وَحَطَّ حَطًّا صِغَارًا إِلَى هَذَا الَّذِي فِي الْوَسَطِ، مِنْ جَانِبِهِ الَّذِي فِي الْوَسَطِ وَقَالَ « هَذَا الْإِنْسَانُ، وَهَذَا أَجَلُهُ مُحِيطٌ بِهِ - أَوْ قَدْ أَحَاطَ بِهِ - وَهَذَا الَّذِي هُوَ

خَارِجٌ ٥٣٢ أَمَلُهُ، وَهَذِهِ الْخُطُطُ الصَّعَارُ الْأَعْرَاضُ ٥٣٣، فَإِنْ أَخْطَأَهُ هَذَا نَهَشَهُ هَذَا ٥٣٤، وَإِنْ أَخْطَأَهُ هَذَا نَهَشَهُ هَذَا ٥٣٥ .



فَبَيَّنَ لَهُمُ ﷺ بِمَا رَسَمَهُ أَمَامَهُمْ عَلَى الْأَرْضِ، كَيْفَ يُحَالُ بَيْنَ الْإِنْسَانِ وَأَمَالِهِ الْوَاسِعَةِ، بِالْأَجْلِ الْمُبَاغِتِ، أَوْ الْعَلْلِ وَالْأَمْرَاضِ الْمُقْعِدَةِ، أَوْ الْهَرَمِ الْمَفْنِيِّ، وَحَضَّوهُمْ عَلَى قِصْرِ الْأَمَلِ وَالِاسْتِعْدَادِ لِبَعْتَةِ الْأَجْلِ، وَكَانَتْ وَسِيلَةَ الْإِيضَاحِ فِي ذَلِكَ : الْأَرْضُ وَالثَّرَابُ كَمَا رَأَيْنَا .

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ : خَطَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، خَطًّا بِيَدِهِ، ثُمَّ قَالَ : هَذَا سَبِيلُ اللَّهِ مُسْتَقِيمًا، قَالَ : ثُمَّ خَطَّ عَنْ يَمِينِهِ، وَشِمَالِهِ، ثُمَّ قَالَ : هَذِهِ السَّبِيلُ، لَيْسَ مِنْهَا سَبِيلٌ إِلَّا عَلَيْهِ شَيْطَانٌ يَدْعُو إِلَيْهِ ثُمَّ قَرَأَ : { وَأَنْ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السَّبِيلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ } (١٥٣) سُورَةُ الْأَنْعَامِ ٥٣٦

فَقَدْ وَضَحَ النَّبِيُّ ﷺ الْفِكْرَتَيْنِ فِي هَذَيْنِ الْحَدِيثَيْنِ بِالرَّسْمِ فِي الْأَرْضِ، فَرَسَمَ فِي الْأَوَّلِ شَكْلًا هِنْدُسِيًّا وَهُوَ الْمَرْبَعُ، فَيُعِيدُ هَذَا جَوَازَ الرَّسْمِ لِلْإِيضَاحِ إِذَا لَمْ يَكُنْ فِيهِ رَسْمٌ لِدَوَاتِ الْأَرْوَاحِ ٥٣٧

٥٣٢ أي خارج عن الخط .

٥٣٣ أي الحوادث والنوائب المفاجئة .

٥٣٤ عبر بالتهش وهو لدغ الأفعى ذات السم مبالغة في الإصابة والإهلاك السريع .

٥٣٥ - صحيح البخاري - المكثر - (٦٤١٧)

٥٣٦ - مسند أحمد (عالم الكتب) - (٢ / ٢١٠) (٤٤٣٧) صحيح

٥٣٧ - فتاوى الشبكة الإسلامية معدلة - (٩ / ٤٤٢٧) رقم الفتوى ٦٥٣٠٧ جواز التعليم بالرسم لغير ذوات الأرواح

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ؛ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ خَطَّ أَرْبَعَةَ خُطُوطٍ ، ثُمَّ قَالَ : أُنْذِرُونَ لِمَ خَطَّطْتُ هَذِهِ الْخُطُوطُ ؟ قَالُوا : لَا . قَالَ : أَفْضَلُ نِسَاءِ الْجَنَّةِ أَرْبَعٌ : مَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ ، وَخَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ ، وَفَاطِمَةُ ابْنَةُ مُحَمَّدٍ ، وَأَسِيَّةُ ابْنَةُ مُزَاحِمٍ. ٥٣٨

لم أرَ من بين المعنى الذي أراده رسول الله ﷺ من خطه لتلك الخطوط الأربعة ، وهو يُبين أفضلية هؤلاء النسوة الأربع ، والظاهرُ عندي والله أعلم أن المعنى من ذلك توكيد أفضلية هؤلاء النسوة الأربع على سائر نساء أهل الجنة ، فيكون إعلام ذلك حاصلًا من طريق السماع للقول من فمه ﷺ ، والمشاهدة لخطه بيده ، فيكون أكد ما يكون البيان في حصر الأفضلية فيهن ، والله أعلم . ٥٣٩

وقد استخدم النبي ﷺ وأصحابه وسائل إيضاح مادية أيضاً غير الرسم، فتارةً كان ﷺ يحمل بيده الشيء الذي ينهى عنه، ويرفعه إلى أنظار المخاطبين، فيجمع لهم بين النهي عن الشيء بالقول والمشاهدة للمنهي عنه بالعين، فيكون ذلك أوعى للنفوس، وأوضح في الدلالة على التحريم والمنع، فعن علي بن أبي طالب ، أن النبي ﷺ أخذ حريراً فجعله في يمينه ، وذهباً فجعله في شماله ، ثم رفع يده ، وقال : هذان حرام علي ذكور أمتي. ٥٤٠

وعن عبد الله بن زريق العافقي سمعته يقول سمعتُ علي بن أبي طالب يقول أخذ رسول الله - ﷺ - حريراً بشماله وذهباً بيمينه ثم رفع بهما يديه فقال « إن هذين حرام علي ذكور أمتي حل لائنائهم ». ٥٤١

وَعَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ : كَانَ يَأْخُذُ الْوَبْرَةَ مِنْ جَنْبِ الْبَعِيرِ مِنَ الْمَعْنَمِ فَيَقُولُ : مَا لِي فِيهِ إِلَّا مِثْلُ مَا لِأَحَدِكُمْ مِنْهُ ، إِيَّاكُمْ وَالْعُلُولُ ؛ فَإِنَّ الْعُلُولَ حِزْبِي عَلَى صَاحِبِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، أَدُّوا الْخَيْطَ وَالْمَخِيطَ ، وَمَا فَوْقَ ذَلِكَ ، وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الْقَرِيبَ وَالْبَعِيدَ فِي الْحَضَرِ وَالسَّفَرِ ؛ فَإِنَّ الْجِهَادَ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ إِنَّهُ لَيُنْجِي اللَّهُ بِهِ

٥٣٨ - مسند أحمد (عالم الكتب) - (١ / ٨١٥) (٢٩٥٧) ٢٩٥٩ - صحيح

٥٣٩ - الرسول المعلم ﷺ وأساليبه في التعليم لأبي غدة - (١ / ٩٣)

٥٤٠ - صحيح ابن حبان - (١٢ / ٢٥٠) (٥٤٣٤) صحيح لغيره

٥٤١ - سنن ابن ماجه - المكثر - (٣٧٢٦) و سنن النسائي - المكثر - (٥١٦٣) حسن

مِنَ الِهَمِّ وَالْعَمِّ ، وَأَقِيمُوا حُدُودَ اللَّهِ فِي الْقَرِيبِ وَالْبَعِيدِ ، وَلَا تَأْخُذْكُمْ فِي اللَّهِ لَوْمَةٌ
لَا تُمْ. ٥٤٢

وقال عيسى بن طهمان: أَخْرَجَ إِلَيْنَا أَنَسُ نَعْلَيْنِ جَرْدَاوَيْنِ ٥٤٣ لَهُمَا قِبَالَانِ ، فَحَدَّثَنِي ثَابِتُ
الْبُنَانِيُّ بَعْدَ عَنِ أَنَسٍ أَنَّهُمَا نَعْلَا النَّبِيِّ ﷺ - ٥٤٤

وعن أبي بردة قال أَخْرَجَتْ إِلَيْنَا عَائِشَةُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - كِسَاءً مُلْبَدًّا وَقَالَتْ فِي هَذَا
نُزْعَ رُوحِ النَّبِيِّ ﷺ - ٥٤٥

وعن أبي بردة، قال: أَخْرَجَتْ إِلَيْنَا عَائِشَةُ إِزَارًا غَلِيظًا، مِمَّا يُصْنَعُ بِالْيَمَنِ، وَكِسَاءً مِنْ هَذِهِ
الْمُلْبَدَةِ، فَأَقْسَمَتْ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مَاتَ فِيهِمَا. ٥٤٦

وعن أبي بردة، قال: دَخَلْتُ عَلَى عَائِشَةَ فَأَخْرَجَتْ إِلَيْنَا إِزَارًا غَلِيظًا مِمَّا يُصْنَعُ بِالْيَمَنِ
وَكَسَاءً مِمَّا يُسْمَوْنَهَا الْمُلْبَدَةَ، فَأَقْسَمَتْ بِاللَّهِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَبِضَ فِي هَذَيْنِ
الشَّوْبَيْنِ. ٥٤٧

وعن حميد بن عبد الرحمن أنه رأى معاوية، يَخْطُبُ عَلَى الْمَنْبَرِ وَفِي يَدِهِ قُصَّةٌ مِنْ شَعْرٍ
، قَالَ: فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: أَيْنَ عُلَمَاؤُكُمْ يَا أَهْلَ الْمَدِينَةِ؟ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَنْهَى عَنْ
مِثْلِ هَذِهِ، وَقَالَ: إِنَّمَا عُدَّ بَنُو إِسْرَائِيلَ حِينَ اتَّخَذَتْ هَذِهِ نِسَاؤَهُمْ. ٥٤٨

وعن سعيد بن أبي سعيد المقبري، عن أبيه، قَالَ: سَمِعْتُ مُعَاوِيَةَ، وَهُوَ عَلَى الْمَنْبَرِ
وَفِي يَدِهِ قُصَّةٌ مِنْ شَعْرٍ يَقُولُ: مَا بَالُ نِسَاءٍ يَجْعَلْنَ فِي رُؤُوسِهِنَّ مِثْلَ هَذَا، سَمِعْتُ
رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: مَا مِنْ امْرَأَةٍ تَجْعَلُ فِي رَأْسِهَا شَعْرًا مِنْ شَعْرِ غَيْرِهَا، إِلَّا كَانَ

٥٤٢ - مسند أحمد (عالم الكتب) - (٧ / ٥٧٦) (٢٢٧٩٥) ٢٣١٨١ - حسن لغيره

٥٤٣ - أي لا شعر عليهما

٥٤٤ - صحيح البخاري - المكثر - (٣١٠٧)

٥٤٥ - صحيح البخاري - المكثر - (٣١٠٨) - الملبدة: المرقع أو الذي تخن وسطه حتى صار كاللبدة

٥٤٦ - صحيح مسلم - المكثر - (٥٥٦٣) ومسند أبي عوانة (٦٨٩٥)

٥٤٧ - صحيح ابن حبان - (١٤ / ٥٩٣) (٦٦٢٣) صحيح

٥٤٨ - مسند أحمد (عالم الكتب) - (٥ / ٧٦٣) (٦٨٦٥) ١٦٩٩٠ - وسنن الترمذي - المكثر - (٣٠٠٩) صحيح

وَعَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ ، قَالَ : قَدِمَ مُعَاوِيَةُ الْمَدِينَةَ فَخَطَبَنَا ، وَأَخْرَجَ كُبَّةً مِنْ شَعْرٍ ، وَقَالَ : مَا كُنْتُ أَرَى أَحَدًا يَفْعَلُهُ إِلَّا الْيَهُودَ ، إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بَلَّغَهُ ، فَسَمَاهُ الزُّورُ. ٥٥٠

وَعَنْ حُمَيْدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ أَنَّهُ سَمِعَ مُعَاوِيَةَ بْنَ أَبِي سُفْيَانَ ، عَامَ حَجِّ عَلِيِّ الْمُنْبَرِ ، فَتَنَاولَ قِصَّةً مِنْ شَعْرٍ ٥٥١ وَكَانَتْ فِي يَدَيْ حَرَسِيِّ فَقَالَ يَا أَهْلَ الْمَدِينَةِ ، أَيْنَ عُلَمَاؤُكُمْ سَمِعْتُ النَّبِيَّ - ﷺ - يَنْهَى عَنْ مِثْلِ هَذِهِ ، وَيَقُولُ « إِنَّمَا هَلَكَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ حِينَ اتَّخَذَهَا نِسَاؤُهُمْ » ٥٥٢ .

والحرسى بفتح الحاء والراء وبالسين المهملات نسبة إلى الحرس وهم خدم الأمير الذين يجرسونه، ويقال للواحد حرسى لأنه اسم جنس

قوله: "أين علماءكم؟" تقدم في ذكر بني إسرائيل أن فيه إشارة إلى قلة العلماء يومئذ بالمدينة، ويحتمل أنه أراد بذلك إحضارهم ليستعين بهم على ما أراد من إنكار ذلك أو لينكر عليهم سكوتهم عن إنكارهم هذا الفعل قبل ذلك، "ألا وهذا الزور" قال قتادة: يعني ما تكثر به النساء أشعارهن من الخرق. وهذا الحديث حجة للجمهور في منع وصل الشعر بشيء آخر سواء كان شعرا أم لا... ٥٥٣

وقال النووي : "قوله : (يَا أَهْلَ الْمَدِينَةِ أَيْنَ عُلَمَاؤُكُمْ) هَذَا السُّؤَالُ لِلإِنكَارِ عَلَيْهِمْ بِإِهْمَالِهِمْ إِنْكَارَ هَذَا الْمُنْكَرِ وَعَقَلْتَهُمْ عَنْ تَعْيِيرِهِ . وَفِي حَدِيثِ مُعَاوِيَةَ هَذَا اعْتِنَاءُ الْخُلَفَاءِ وَسَائِرِ وُلَاةِ الْأُمُورِ بِإِنْكَارِ الْمُنْكَرِ ، وَإِشَاعَةِ إِزَالَتِهِ ، وَتَوْبِيخِ مَنْ أَهْمَلَ إِنْكَارَهُ مِمَّنْ تَوَجَّهَ ذَلِكَ عَلَيْهِ .

٥٤٩ - صحيح ابن حبان - (١٢ / ٣٢٠) (٥٥١٠) صحيح

٥٥٠ - صحيح ابن حبان - (١٢ / ٣٢١) (٥٥١١) صحيح

٥٥١ - ما أقبل على الجبهة من شعر الرأس سمي بذلك لأنه يقص والقص ما في وسط الصدر من شعر وقيل المشاش المغروزة فيه أطراف الأضلاع . فتح الباري لابن حجر - (١ / ١٧٤)

٥٥٢ - صحيح البخارى - المكثر - (٣٤٦٨) وصحيح مسلم - المكثر - (٥٧٠٠)

٥٥٣ - فتح الباري لابن حجر - (١٠ / ٣٧٥)

قوله ﷺ : (إِنَّمَا هَلَكَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ حِينَ اتَّخَذَ هَذِهِ نِسَاؤُهُمْ) قَالَ الْقَاضِي : قِيلَ : يُحْتَمَلُ أَنَّهُ كَانَ مُحْرَمًا عَلَيْهِمْ ، فَعُوقِبُوا بِاسْتِعْمَالِهِ ، وَهَلَكُوا بِسَبَبِهِ . وَقِيلَ : يُحْتَمَلُ أَنَّ الْهَلَاكَ كَانَ بِهِ وَبَعِيرِهِ مِمَّا ارْتَكَبُوهُ مِنَ الْمَعَاصِي ، فَعِنْدَ ظُهُورِ ذَلِكَ فِيهِمْ هَلَكُوا . وَفِيهِ مُعَاقِبَةُ الْعَامَّةِ بِظُهُورِ الْمُنْكَرِ . " ٥٥٤ "

وقد استخدم الرسول ﷺ بعض أمور الطبيعة للتعليم أيضا ، فعَنِ الْأَحْنَفِ بْنِ قَيْسٍ ، قَالَ : قَدِمْتُ الْمَدِينَةَ فَبِينَا أَنَا فِي حَلَقَةٍ وَفِيهَا مَلَأٌ مِنْ قُرَيْشٍ إِذْ جَاءَ رَجُلٌ ، أَخْشَنُ الثِّيَابِ ، أَخْشَنُ الْجَسَدِ ، أَخْشَنُ الْوَجْهِ ، فَقَامَ عَلَيْهِمْ ، فَقَالَ : بَشِّرِ الْكَنَازِينَ بِرَضْفٍ يُحْمَى عَلَيْهِمْ فِي نَارِ جَهَنَّمَ ، فَيُوضَعُ عَلَى حَلْمَةِ نَدْيٍ أَحَدِهِمْ حَتَّى يَخْرُجَ مِنْ نَعْضِ كَتِفِهِ ، وَيُوضَعُ عَلَى نَعْضِ كَتِفِهِ حَتَّى يَخْرُجَ مِنْ حَلْمَةِ نَدْيِهِ ، فَوَضَعُوا رُؤُوسَهُمْ ، فَمَا رَأَيْتُ أَحَدًا مِنْهُمْ رَجَعَ إِلَيْهِ شَيْئًا ، قَالَ : وَأَدْبَرَ ، فَاتَّبَعْتُهُ حَتَّى جَلَسَ إِلَى سَارِيَةٍ ، فَقُلْتُ : مَا رَأَيْتُ هَؤُلَاءِ إِلَّا كَرَهُوا مَا قُلْتَ لَهُمْ ، قَالَ : إِنَّ هَؤُلَاءِ لَا يَعْقِلُونَ ، إِنَّ خَلِيلِي أَبَا الْقَاسِمِ ﷺ دَعَانِي ، فَقَالَ : يَا أَبَا ذَرٍّ : فَأَجَبْتُهُ ، قَالَ : أَتَرَى أَحَدًا ، قَالَ : فَنَظَرْتُ مَا عَلَيَّ مِنَ الشَّمْسِ وَأَنَا أَظُنُّهُ يَبْعَثُنِي لِحَاجَةٍ لَهُ ، فَقَالَ : مَا يَسْرُنِي أَنْ لِي مِثْلُهُ ذَهَبًا أَنْفَقُهُ كُلَّهُ غَيْرَ ثَلَاثَةِ دَنَانِيرٍ ، ثُمَّ هَؤُلَاءِ يَجْمَعُونَ الدُّنْيَا لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا ، قَالَ : قُلْتُ : مَا لَكَ وَلِلْخَوَانِكِ قُرَيْشٍ ؟ قَالَ : لَا وَرَبِّكَ لَا أَسْأَلُهُمْ دُنْيَا وَلَا أَسْتَفْتِيهِمْ فِي دِينِي حَتَّى أَلْحَقَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ﷺ . " ٥٥٥ "

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، أَنَّهُ مَرَّ بِسُوقِ الْمَدِينَةِ ، فَوَقَفَ عَلَيْهَا ، فَقَالَ : " يَا أَهْلَ السُّوقِ ، مَا أَعْجَزَكُمْ " قَالُوا : وَمَا ذَاكَ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ ؟ قَالَ : " ذَاكَ مِيرَاثُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يُقْسَمُ ، وَأَنْتُمْ هَاهُنَا لَا تَذْهَبُونَ فَتَأْخُذُونَ نَصِيْبَكُمْ مِنْهُ " قَالُوا : وَأَيْنَ هُوَ ؟ قَالَ : " فِي الْمَسْجِدِ " فَخَرَجُوا سَرَاعًا إِلَى الْمَسْجِدِ ، وَوَقَفَ أَبُو هُرَيْرَةَ لَهُمْ حَتَّى رَجَعُوا ، فَقَالَ لَهُمْ : " مَا لَكُمْ ؟ " قَالُوا : يَا أَبَا هُرَيْرَةَ فَقَدْ أَتَيْنَا الْمَسْجِدَ ، فَدَخَلْنَا ، فَلَمْ نَرِ فِيهِ شَيْئًا يُقْسَمُ . فَقَالَ لَهُمْ أَبُو هُرَيْرَةَ : " أَمَا رَأَيْتُمْ فِي الْمَسْجِدِ أَحَدًا ؟ " قَالُوا : بَلَى ، رَأَيْنَا قَوْمًا يُصَلُّونَ ، وَقَوْمًا يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ ، وَقَوْمًا يَتَذَكَّرُونَ الْحَلَالَ وَالْحَرَامَ ، فَقَالَ لَهُمْ أَبُو هُرَيْرَةَ :

٥٥٤ - شرح النووي على مسلم - (٧ / ٢٤٢)

٥٥٥ - صحيح ابن حبان - (٨ / ٥١) (٣٢٥٩) صحيح

" وَيَحْكُمُ ، فَذَلِكَ مِيرَاثُ مُحَمَّدٍ ﷺ " ٥٥٦ .

إن استخدام وسائل الإيضاح الحسينية في الدعوة إلى الله عز وجل وفي العلم من الأمور المهمة؛ وقد استخدمها الرسول ﷺ وأصحابه ، وهذا فيه إيضاح للناس وتعليم لهم. بما كان عليه النبي ﷺ من الزهد في الدنيا، وإيثار الآخرة والرغبة فيها؛ لأن ما عند الله خير وأبقى. فينبغي للداعية أن يستخدم وسائل الإيضاح الحسينية في دعوته إلى الله عز وجل، وما ورد من أمثلة يؤكد للداعية والعالم أهمية استخدام الوسائل الحسينية للإيضاح والتبيين وشد الانتباه للمدعوين والله المستعان. ٥٥٧

وعن عليٍّ ، قَالَ : انْطَلَقَ بِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى أَتَى بِي الْكَعْبَةَ ، فَقَالَ : اجْلِسْ ، فَجَلَسْتُ إِلَى حَنْبِ الْكَعْبَةِ ، وَصَعِدَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَيَّ مِنْكَبِي ، ثُمَّ قَالَ لِي : انْهَضْ بِي ، فَنَهَضْتُ بِهِ ، فَلَمَّا رَأَى ضَعْفِي تَحْتَهُ ، قَالَ : اجْلِسْ ، فَجَلَسْتُ فَنَزَلَ عَنِّي ، وَجَلَسَ لِي ، فَقَالَ : يَا عَلِيُّ ، اصْعِدْ عَلَيَّ مِنْكَبِي ، فَصَعِدْتُ عَلَيَّ مِنْكَبِي ، ثُمَّ نَهَضَ بِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، فَلَمَّا نَهَضَ بِي خِيلَ إِلَيَّ أَنِّي لَوْ شِئْتُ نَلْتُ أَفْقَ السَّمَاءِ ، فَصَعِدْتُ عَلَيَّ الْكَعْبَةَ ، وَتَنَحَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، فَقَالَ لِي : أَلْقِ صَنَمَهُمُ الْأَكْبَرَ ، صَنَمَ قُرَيْشٍ ، وَكَانَ مِنْ نُحَاسٍ ، وَكَانَ مَوْثُودًا بِأَوْتَادٍ مِنْ حَدِيدٍ فِي الْأَرْضِ ، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : عَالِجُهُ ، فَجَعَلْتُ عَالِجَهُ وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ لِي : إِيهِ ، فَلَمْ أَزَلْ أَعَالِجُهُ حَتَّى اسْتَمَكْتُ مِنْهُ ، فَقَالَ : أَقْذِفْهُ ، فَقَذَفْتُهُ وَنَزَلَتْ . ٥٥٨

وبعد . فإننا نضيف أموراً أخرى، وهي :

- (١) أن يراعي المعلم وضوح المادة المكتوبة أو المرسومة .
- (٢) أن يتأكد من أن جميع الطلاب يشاهدون المادة المكتوبة أو المرسومة وإزالة جميع العوائق التي تمنع ذلك .
- (٣) استخدام الألوان وتنويعها لجذب الانتباه .

٥٥٦ - الْمُعْجَمُ الْأَوْسَطُ لِلطَّبْرَانِيِّ (١٤٨٣) والمعجم الكبير للطبراني - (١٩ / ١٦٤) (٤٠٢) حسن

٥٥٧ - فقه الدعوة في صحيح الإمام البخاري - (٣ / ٣٤١)

٥٥٨ - مصنف ابن أبي شيبة - (٢٠ / ٤٧١) (٣٨٠٦٢) حسن

الخلاصة:

- (١) دعم الشرح بالرسومات والكتابة، يزيد الشرح قوة إلى قوة .
- (٢) الرسومات والكتابات مع الشرح، تساعد في إيصال المعلومة بشكل سريع .
- (٣) يجب أن تكون الكتابة والرسومات واضحة يراها جميع الطلاب، مع مراعاة إزالة الحواجز التي قد تعيق رؤية الطلاب لها .

[١١] توضيح المسائل المهمة عن طريق التعليل^{٥٥٩} :

قد تغلق بعض المسائل على الطالب، ويختار فيها ولا يجد تفسيراً لها أو فكاً لرموزها، وعندئذ يأتي دور المعلم في بيان ما أشكل على الطالب وأغلق عليه . ومن ذلك استخدام أسلوب التعليل، أي بيان الأسباب والعلل التي جعلت هذه المسألة أو هذا الحكم على هذه الصورة . والتعليل يحل رموز المسائل المشكلة، ويدخل على النفس الراحة، ويكسبها الطمأنينة، هذا بالإضافة إلى رسوخ المسألة في الذهن وصيانتها عن النسيان، لأن حفظ ما علم علتة وسببه أيسر ممن جهلت علتة وسببه . وبالمثال يتضح الحال، فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله - ﷺ - قال « إذا وقع الذباب في إناء أحدكم، فليغمسه كله، ثم ليطرحه، فإن في أحد جناحيه شفاء وفي الآخر داء »^{٥٦٠} .

وعن أبي هريرة، قال : قال رسول الله ﷺ : إذا وقع الذباب في إناء أحدكم فليغمسه، فإن في أحد جناحيه داء وفي الآخر شفاء، وإنه يتقي بجناحه الذي فيه الداء فليغمسه كله ثم لينزعه^{٥٦١}

ففي هذا الحديث بين النبي ﷺ الحكمة من غمس الذبابة جميعها في الإناء أو

^{٥٥٩} - عقد ابن القيم فضلاً ساق فيه بعض ما ورد في السنة من تعليل الأحكام . فارجع إليه إن شئت . (أعلام الموقعين

١ / ٥٢ ط . دار الكتب العلمية) .

^{٥٦٠} - صحيح البخاري - المكثر - (٥٧٨٢)

^{٥٦١} - صحيح ابن حبان - (١٢ / ٥٥) (٥٢٥٠) صحيح

الشراب، وعللها بأن في أحد جناحي الذبابة داء وفي الآخر شفاء. ولو أن الحديث جاء هكذا بدون تعليل منه، لأصبح مشكلاً محيراً، ولكن لما جاء هذا التعليل بان لنا سبب الغمس والطرح .

وهذا الحديث ذكر قضيتين كلتاهما لم تكن معروفة قديماً:

أولاهما: أن الذباب ناقل داء وهذا شيء أصبح الآن معروفاً لدى الجميع.

وثانيهما: وهي التي يجهلها الكثير أن الذباب يحمل مضادات للجراثيم من النوع الممتاز كذلك. وهذا تحقيق كتبه الدكتور عز الدين جواله حول هذا الموضوع نقل منه ما يلزمنا هنا، يقول: قبل الخوض في هذا الموضوع لنتذكر ما يلي:

١- من المعروف منذ القدم أن بعض المؤذيات يكون في سمها نفع "ودواء" فقد يجتمع الضدان في حيوان واحد، فالعقرب في إبرتها سم "نافع" وقد يداوى سمها بجزءٍ منها، وفي ذلك يقول العلماء: وقد وجدنا لكون أحد جناحي الذباب داء والآخر دواء وشفاء فيما أقامه الله من عجائب خلقه وبدائع فطرته شواهد ونظائر، منها: النحلة يخرج من بطنها شراب "نافع" ويكمن في إبرتها السم النافع، والعقرب تهيج الداء بإبرتها ويتداوى من ذلك بجرمها.

٢- وفي الطب: يحضر لقاح من ذيب الأفاعي والحشرات السامة يحقن به لديغ العقرب أو لديغ الأفعى، بل وينفع في تخفيض آلام السرطان أيضاً.

٣- إن الطب الحديث استخراج من مواد مستقذرة أدوية حيوية قلبت فن المعالجة رأساً على عقب "فالبنسلين" استخراج من العفن، و"الستربتومايسين" من تراب المقابر... إلخ، أو بمعنى أدق من طفيليات العفن وجراثيم تراب المقابر.

أما والحالة كذلك، فهل يمتنع عقلاً ونظرياً أن يكون الذباب هذه الحشرة القذرة، والتي تنقل القدر طفيلي أو جرثوم يخرج أو يحمل دواء يقتل هذا الداء الذي تحمله.

٤- من المعروف في فن الجراثيم أن للجرثوم "ذيفان" مادة منفصلة عن الجرثوم، وأن هذا "الذيفان" إذا دخل بدن الحيوان كون البدن أجساماً ضد هذا "الذيفان" لها قدرة على

تخريب "الذيفان" والتهام الجراثيم تسمى بمبيدات الجراثيم.

فهل يستبعد القول بأن الذباب تلتهم الجراثيم فيما تلتهم، فيكون في جسم الذباب الأجسام الضدية المبيدة للجراثيم، والتي مر ذكرها، ولها القدرة على الفتك بالجراثيم الممرضة التي ينقلها الذباب إلى الطعام والشراب، فإذا وقعت في الطعام فما علينا إلا نغمس الذبابة فيه فتخرج تلك الأجسام الضدية فتبيد الجراثيم التي تنقلها وتقضي على الأمراض التي تحملها.

وبعد كلام الدكتور عز الدين يستمر فينقل تحقيقاً للطبيين المصريين محمود كمال و محمد عبد المنعم حسين في إثبات ما في الحديث نقل بعضاً منه، يقولان: ما تقوله المراجع العلمية: في سنة ١٨٧١، وجد الأستاذ الألماني بريفلد من جامعة "هال" بألمانيا أن الذبابة المتزلية مصابة بطفيلي من جنس الفطريات سماها "امبوزاموسكي" وهو طفيلي يعايش الذبابة على الدوام، وبالتدقيق فيه وجدته من نوع من الفطور التي تسمى "انتوموفترالي" تنتمي إلى أهم فصيلة في الفطور الأشنية وهي المسماة بالفطور الأشنية المرتبطة أو المتحدة، وهو من النوع الثاني للفطر المسمى الفطور الأشنية الطفيلية، وهذا الطفيلي يقضي حياته في الطبقة الدهنية الموجودة داخل بطن الذبابة بشكل خلايا مستديرة فيها خميرة خاصة سيأتي ذكرها، ثم لا تلبث هذه الخلايا المستديرة أن تستطيل فتخرج من الفتحات أو من بين مفاصل حلقات بطن الذبابة فتصبح خارج جسم الذبابة.

ودور الخروج هذا يمثل الدور التناسلي لهذا الفطر، وفي هذا الدور تتجمع بذور الفطر داخل الخلية، فيزداد الضغط الداخلي للخلية من جراء ذلك، حتى إذا وصل الضغط إلى قوة معينة لا تحملها جدر الخلية انفجرت الخلية وأطلقت البذور إلى خارجها بقوة دفع شديدة، تدفع البذور إلى مسافة ٢ سم خارج الخلية، على هيئة رشاش مصحوباً بالسائل الخلوي.

وعلى هذا إذا أمعنا النظر في ذبابة ميتة ومتروكة على الزجاج نشاهد:

أ- مجالاً من بذور هذا الفطر حول الذبابة المذكورة.

ب- ويشاهد حول القسم الثالث والأخير من الذباب على بطنها وعلى ظهرها وجود

الخلايا المتفجرة، والتي خرجت منها البذور وقد برز منها رؤوس الخلايا المستطيلة التي مر ذكرها.

وقد جاءت مكتشفات العلماء الحديثة مؤيدة ما ذهب إليه "بريفلد" ومبينة خصائص عجيبة لهذا الفطر الذي يعيش في بطن الذبابة، منها:

١- في عام ١٩٤٥ أعلن أكبر أستاذ في علم الفطريات وهو "لانجبيرون" أن هذا الفطر الذي يعيش دوماً في بطن الذبابة على شكل خلايا مستديرة فيها خميرة خاصة (إنزيم) قوية تحلل وتذيب من أجزاء الحشرة الحاملة للمرض.

٢- في عام ١٩٤٧ - ١٩٥٠ تمكن العالمان الإنجليزيان آرنشتين و كوك والعالم السويسري رولويس من عزل مادة سموها "جافاسين" استخرجوها من فصيلة الفطور التي تعيش في الذباب، وتبين لهم أن هذه المادة مضادة للحياة تقتل جراثيم مختلفة من بينها جراثيم غرام السالبة والموجبة والديزانتريا والتيفويد.

٣- في عام ١٩٤٨ تمكن بريان وكورتيس و هيمينغ وجيفيرس وماكجوان من بريطانيا من عزل مادة مضادة للحياة أسموها "كلوتيزين" وقد عزلوها عن فطريات تنتمي إلى نفس فصيلة الفطريات التي تعيش في الذباب وتؤثر في جراثيم غرام السالبة كالتيفويد والديزنتريا.

٤- وفي عام ١٩٤٩ تمكن عالمان إنجليزيان هما كومسي وفارمر وعلماء آخرون من سويسرا هم جرمان وروث واثلنجر وبلاتز من عزل مادة مضادة للحياة أيضاً أسموها "انياتين" عزلوها من فطر ينتمي إلى فصيلة الفطر الذي يعيش في الذباب، ووجدوا لها فعالية شديدة جداً وتؤثر بقوة على جراثيم غرام وسالب وعلى بعض الفطريات الأخرى كالزحار والتيفويد والكوليرا.

٥- وفي عام ١٩٤٧ عزل موفيس مواد مضادة للحياة من مزرعة للفطريات الموجودة على نفس جسم الذبابة، فوجدها ذات مفعول قوي على الجراثيم السالبة لصيفة غرام، كالزحار والتيفويد وما يشابهها، ووجدها ذات مفعول قوي على الجراثيم المسببة لأمراض الحميات ذات الحضانة القصيرة المدة، وأن غراماً واحداً من هذه المادة يمكنه أن يحفظ أكثر

من ١٠٠٠ لتر من اللبن المتلوث بالجراثيم المذكورة.

والخلاصة أنه يستدل من كل ما سبق على الآتي:

أ- يقع الذباب على الفضلات والمواد القذرة والبراز وما شابه ذلك، فيحمل بأرجله أو يمج كثيراً من الجراثيم المرضية الخطرة.

ب- يقع الذباب على الأكل فيلمس بأرجله الملوثة الحاملة للمرض هذا الطعام أو هذا الشراب، فيلوته بما يحمل من سم ناقع، أو يتبرز عليه فيخرج مع ونيمها تلك الجراثيم الدقيقة الممرضة.

ت- فإذا حملت الذبابة من الطعام، وألقيت خارجه دون غمس، بقيت هذه الجراثيم في مكان سقوط الذباب، فإذا التهمها الأكل وهو لا يعلم طبعاً، دخلت فيه الجراثيم، فإذا وجدت أسباباً مساعدة، تكاثرت ثم صالت وأحدثت لديه المرض، فلا يشعر إلا وهو فريسة للحمى طريحاً للفراش.

ث- أما إذا غمست الذبابة كلها، أو مقلت في الطعام فماذا يحدث؟ إذا غمست الذبابة أحدثت هذه الحركة ضغطاً داخل الخلية الفطرية الموجودة مع جسم الذبابة فزاد توتر البروز والسائل داخلها زيادة تؤدي لانفجار الخلايا، وخروج الأنزيمات الحاملة لجراثيم المرض والقاتلة له، فتقع على الجراثيم التي تنقلها الذبابة بأرجلها فتهلكها وتبيدها، ويصبح الطعام طاهراً من الجراثيم المرضية.

ج- وهكذا يضع العلماء بأبحاثهم تفسيراً للحديث النبوي المؤكد لضرورة غمس الذبابة كلها في السائل أو الغذاء ليخرج من بطنها الدواء الذي يكافح ما تحمله من داء.^{٥٦٢}

والحاصل أن كون الذبابة تحمل في إحدى جناحيها داء وفي الآخر شفاء أمر ثابت عن النبي ﷺ ومن رد ما ثبت عن النبي ﷺ مع علمه بثبوتها عنه فقد خرج عن ملة الإسلام أما إذا رده مجرد أنه لا يثبت عنده بمقتضى عدم مطابقته لما يسمى قواعد العلوم التجريبية، أو بأن العقل لا يقبله فإن هذا على خطر عظيم فإن قواعد العلوم التجريبية تنفي اليوم

^{٥٦٢} - فتاوى الشبكة الإسلامية معدلة - (٣ / ٤٩١٨)

وجود شيء وتثبته غدا وتثبته اليوم وتنفيه غدا إضافة إلى أنها قد وقفت أمامها عقبات كأداء في الإجابة على كثير من التساؤلات ويكفي من ذلك أنها لا تعرف، ولن تعرف شيئاً عن الروح هذا الكائن الذي إذا فقدته الجسم صار جثة هامدة وصدق الله إذ يقول: (وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً) [الإسراء: ٨٥] والله تعالى أعلم. ٥٦٣

وَعَنْ يَحْيَى بْنِ أَبِي كَثِيرٍ قَالَ حَدَّثَنِي أَبُو قَلَابَةَ قَالَ حَدَّثَنِي ثَابِتُ بْنُ الضَّحَّاكِ قَالَ: نَذَرَ رَجُلٌ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - أَنْ يَنْحَرَ إِبِلًا بِبُؤَانَةِ فَاتَى النَّبِيَّ - ﷺ - فَقَالَ: إِنَّسِي نَذَرْتُ أَنْ أَنْحَرَ إِبِلًا بِبُؤَانَةِ. فَقَالَ النَّبِيُّ - ﷺ - : « هَلْ كَانَ فِيهَا وَثْنٌ مِنْ أَوْثَانِ الْجَاهِلِيَّةِ يُعْبَدُ ». قَالُوا: لَا. قَالَ: « هَلْ كَانَ فِيهَا عِيدٌ مِنْ أَعْيَادِهِمْ ». قَالُوا: لَا. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - : « أَوْفِ بِنَذْرِكَ فَإِنَّهُ لَا وَفَاءَ لِنَذْرِ فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ وَلَا فِيمَا لَا يَمْلِكُ ابْنُ آدَمَ ». ٥٦٤.

وهذا الحديث فيه أن الرجل سأل النبي ﷺ أن عليه نذراً في مكان يقال له بوانة، فلما عين ذلك الرجل المكان استفسر منه النبي ﷺ عن سبب ذلك فسأله هل كان فيها وثن من أوثان الجاهلية، وهل كان فيها عيد من أعيادهم، فلما قالوا: لا، وانتفى المحذور من أن يكون المكان مكان معصية، أذن له النبي ﷺ في وفائه بنذره، ثم علل ذلك بقوله: (لَا وَفَاءَ لِنَذْرِ فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ) أي إن نذر المعصية لا يجوز إمضاؤه. وأنت ترى كيف جاء هذا التعليل بياناً لاستفسار النبي ﷺ عن ذلك المكان، فلو أن النبي ﷺ لم يعلل، لسأل سائل، ما هو المقصود من استفسار النبي ﷺ عن ذلك الموقع؟ ولكن لما جاء التعليل وضح المقصود وأزال التوهم وعن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: مَا مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا وَقَدَ أَنْذَرَ أُمَّتَهُ الدَّجَالَ، وَإِنِّي سَأَبِّينُ لَكُمْ شَيْئًا تَعْلَمُونَ أَنَّهُ كَذَلِكَ، إِنَّهُ أَعْوَرٌ، وَإِنَّ رَبَّكُمْ لَيْسَ بِأَعْوَرٍ، وَإِنَّهُ

٥٦٣ - فتاوى الشبكة الإسلامية معدلة - (٢ / ٨٨٣) و فتاوى الشبكة الإسلامية معدلة - (٢ / ٣٠١٠) رقم الفتوى ٦٧٧٦ الرد على من أنكر حديث "إذا وقع الذباب في إناء أحدكم...."
٥٦٤ - سنن أبي داود - المكثر - (٣٣١٥) صحيح
وانظر فتاوى الشبكة الإسلامية معدلة - (٦ / ٢٥٩) رقم الفتوى ٤٠٢٩٨ نذر قربة في مكان ما ثم عجز عن الذهاب إليه

بَيْنَ عَيْنَيْهِ مَكْتُوبٌ كَافِرٌ يَقْرَأُهُ كُلُّ مُؤْمِنٍ كَاتِبٍ وَغَيْرِ كَاتِبٍ. ٥٦٥

وَعَنْ مَحْمُودِ بْنِ لَبِيدٍ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: ائْتَانِ يَكْرَهُهُمَا ابْنُ آدَمَ: الْمَوْتُ، وَالْمَوْتُ خَيْرٌ لِلْمُؤْمِنِ مِنَ الْفِتْنَةِ، وَيَكْرَهُ قَلَّةَ الْمَالِ، وَقَلَّةَ الْمَالِ أَقْلٌ لِلْحِسَابِ. ٥٦٦

وَعَنْ أَبِي ذَرٍّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: يَا أَبَا ذَرٍّ أَتَرَى كَثْرَةَ الْمَالِ هُوَ الْغِنَى؟ قُلْتُ: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: فَتَرَى قَلَّةَ الْمَالِ هُوَ الْفَقْرُ؟ قُلْتُ: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: إِنَّمَا الْغِنَى غِنَى الْقَلْبِ، وَالْفَقْرُ فَقْرُ الْقَلْبِ ثُمَّ سَأَلَنِي عَنْ رَجُلٍ مِنْ قُرَيْشٍ، فَقَالَ: هَلْ تَعْرِفُ فُلَانًا؟ قُلْتُ: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: فَكَيْفَ تَرَاهُ وَتَرَاهُ؟ قُلْتُ: إِذَا سَأَلَ أُعْطِيَ، وَإِذَا حَضَرَ أُدْخِلَ، ثُمَّ سَأَلَنِي عَنْ رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الصُّفَّةِ، فَقَالَ: هَلْ تَعْرِفُ فُلَانًا؟ قُلْتُ: لَا وَاللَّهِ مَا أَعْرِفُهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: فَمَا زَالَ يُحَلِّيهِ وَيَنْعَتُهُ حَتَّى عَرَفْتُهُ، فَقُلْتُ: قَدْ عَرَفْتُهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: فَكَيْفَ تَرَاهُ أَوْ تَرَاهُ؟ قُلْتُ: رَجُلٌ مَسْكِينٌ مِنْ أَهْلِ الصُّفَّةِ، فَقَالَ: هُوَ خَيْرٌ مِنْ طَلَاعِ الْأَرْضِ مِنَ الْآخِرِ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَفَلَا يُعْطَى مِنْ بَعْضِ مَا يُعْطَى الْآخِرُ؟ فَقَالَ: إِذَا أُعْطِيَ خَيْرًا فَهُوَ أَهْلُهُ، وَإِنْ صُرِفَ عَنْهُ فَقَدْ أُعْطِيَ حَسَنَةً. ٥٦٧

الخلاصة:

- (١) أسلوب التعليل يوضح ما صعب على الطالب فهمه، وما أشكل عليه .
- (٢) أسلوب التعليل يبعث في النفس الطمأنينة، ويقر المعنى للذهن .
- (٣) أسلوب التعليل، سبب في رسوخ المعلومات في ذهن الطالب .

[١٢] ترك استخراج الجواب للمتعلم :

إن ترك المعلم الطالب يستخرج الجواب بنفسه، وسيلة نافعة في إعمال الذهن، وتحريضه

٥٦٥ - صحيح ابن حبان - (١٥ / ١٨٣) (٦٧٨٠) صحيح

٥٦٦ - مسند أحمد (عالم الكتب) - (٧ / ٧٩٧) (٢٣٦٢٥) (٢٤٠٢٤) - صحيح

٥٦٧ - صحيح ابن حبان - (٢ / ٤٦٠) (٦٨٥) - صحيح

على التفكير والإدلاء بالجواب. ويكفي هذه الطريقة فائدة، أنها شحذت الذهن والحواس، وجعلتها تبحث جاهدة للعثور على الجواب المطلوب، وهذا في حد ذاته تقدماً ومكسباً ينضاف إلى رصيد الطالب. بيان ذلك، بأن يطرح المعلم مسألة معينة، ثم يقربها لهم ويترك الجواب أو الحكم النهائي لهم. وقد تكون هذه المسألة المطروحة تستلزم جواباً من الطالب، وقد لا تستلزم ذلك ولكنها تتطلب إعمالاً ذهنياً وشحذاً فكرياً. وإليك الأمثلة، فعن أبي ذر عن النبي ﷺ - قال « يُصْبِحُ عَلَى كُلِّ سُلَامَى مِنْ ابْنِ آدَمَ صَدَقَةٌ تَسْلِيْمُهُ عَلَى مَنْ لَقِيَ صَدَقَةٌ وَأَمْرُهُ بِالْمَعْرُوفِ صَدَقَةٌ وَنَهْيُهُ عَنِ الْمُنْكَرِ صَدَقَةٌ وَإِمَاطَتُهُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ وَبُضْعَةُ أَهْلِهِ صَدَقَةٌ وَيُجْزَى مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ رَكْعَتَانِ مِنَ الضُّحَى ». قال أبو داود وحديث عباد أئمة ولم يذكر مُسَدِّدُ الْأَمْرِ وَالنَّهْيُ زَادَ فِي حَدِيثِهِ وَقَالَ كَذَا وَزَادَ ابْنُ مَنِيعٍ فِي حَدِيثِهِ قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ أَحَدُنَا يَقْضِي شَهْوَتَهُ وَتَكُونُ لَهُ صَدَقَةٌ قَالَ « أَرَأَيْتَ لَوْ وَضَعَهَا فِي غَيْرِ حِلِّهَا أَلَمْ يَكُنْ يَأْتُمُّ ».^{٥٦٨}

وقول النبي ﷺ في الحديث، أرايت لو وضعها في غير حِلِّها ألم يكن يأتم ؟ فالجواب وإن كان مسكوتاً عنه، فهو إن وضعها في حِلِّها فهو له صدقة. أليس هذا إعمالاً للذهن ؟

وعن أبي هريرة أن رجلاً من بني فزارة أتى رسول الله ﷺ، فقال: إن امرأتي ولدت غلاماً أسوداً، فقال رسول الله ﷺ: هل لك من إبل قال: نعم، قال: فما ألوانها قال: حُمْرٌ، قال: فهل فيها من أورق فقال: إن فيها لورقاً، قال: فأنتي تراه ذلك فقال: عسى أن يكون نزع عرق، فقال النبي ﷺ: وهذا عسى أن يكون نزع عرق^{٥٦٩}

وفي الفتح: " وفي الحديث ضرب المثل، وتشبيه المجهول بالمعلوم تقريباً لفهم السائل، واستدل به لصحة العمل بالقياس، قال الخطابي: هو أصل في قياس الشبه. وقال ابن

^{٥٦٨} - سنن أبي داود - المكثر - (١٢٨٧) صحيح

سلامي: السلامي: واحدة من السلاميات، وهي مفاصل الأصابع. - الأذى: كل شيء يؤذي الناس في طرقهم. - إمطة: و«الإمطة» الإزالة: وتنحيته من الطريق. - بضعة: البضع: النكاح، وقيل: هو الفرج، فكأن به عن النكاح.

^{٥٦٩} - صحيح ابن حبان - (٩ / ٤١٧) (٤١٠٧) وصحيح البخاري - المكثر - (٦٨٤٧) وصحيح مسلم - المكثر -

(٣٨٣٩)

العربي: فيه دليل على صحة القياس والاعتبار بالنظير، وفيه أن الزوج لا يجوز له الانتفاء من ولده بمجرد الظن، وأن الولد يلحق به ولو خالف لونه لون أمه.

وفيه تقديم حكم الفراش على ما يشعر به مخالفة الشبه. وفيه الاحتياط للأنساب وإبقائها مع الإمكان، والزجر عن تحقيق ظن السوء. وقال المهلب: التعريض إذا كان على سبيل السؤال لا حد فيه، وإنما يجب الحد في التعريض إذا كان على سبيل المواجهة والمشائمة. وقال ابن المنير: الفرق بين الزوج والأجنبي في التعريض أن الأجنبي يقصد الأذية المحضة، والزوج قد يعذر بالنسبة إلى صيانة النسب، والله أعلم.^{٥٧٠}

وعند التأمل لهذا الحديث نرى كيف أن النبي ﷺ حاوره وقرب إليه المسألة حتى أجاب السائل بقوله: عسى أن يكون نزعه عرق. ولا شك أن هذه الطريقة تتطلب براعة من المعلم، وحسن اختيار للمسائل المطروحة، ومراعاة البساطة والسهولة فيها، وتقريبها للذهن بذكر القرائن والأحوال المصاحبة ونحو ذلك

وعن ابن عمر، قال: قال رسول الله ﷺ يوماً لأصحابه: أخبروني عن شجرة مثلها مثل المؤمن، قال: فجعل القوم يتذكرون شجراً من شجر الوادي قال عبد الله: وألقي في نفسي أو روعي أنها النخلة، قال: فجعلت أريد أن أقول، فأرى أسناناً من القوم، فأهاب أن أتكلم، فلم يكشفوا، فقال رسول الله ﷺ: هي النخلة.^{٥٧١}

الخلاصة:

- (١) استخراج الطالب الإجابة بنفسه من المسألة، طريقة مفيدة ونافعة في أعمال الذهن، وشحذ الفكر.
- (٢) قد تستلزم المسألة المطروحة إجابة من الطالب، وقد لا تستلزم ذلك.
- (٣) هذه الطريقة تتطلب براعة من المعلم، وحسن اختيار للأمثلة.

^{٥٧٠} - فتح الباري لابن حجر - (٩ / ٤٤٤)

^{٥٧١} - صحيح ابن حبان - (١ / ٤٨٠) (٢٤٥) وصحيح مسلم - المكثر - (٧٢٧٧) - الأسنان: كبارهم وشيوخهم وذوو السن منهم

(٤) كلما كانت المسألة المطروحة، سهلة - ليست من النوع التي تصعب على الذهن - كان ذلك أدعى لحصول المقصود .

[١٣] استخدام التكرار في التعليم:

إن استخدام أسلوب التكرار في التعليم له فوائد عظيمة النفع منها :

التأكيد على مسألة مهمة، أو حكم هام، ومنها تنبيه الغافل ومن به نعاس ونحوه، ومنها حفظ الشيء المكرر . والاقتصار على ثلاث مرات، أمر قد تكرر كثيراً في أحاديث المصطفى ﷺ، فقد كان ﷺ يُكرِّرُ حديثه تأكيداً لمضمونه، وتنبيهاً للمخاطب على أهميته، وليفهمه السامعُ ويُتقنه، قال ابن التين : فيه أن الثلاث غاية ما يقع به الاعتذار والبيان . أه ٥٧٢ .

وقد ترجم الإمام البخاري لهذا المعنى (باب من أعاد الحديث ثلاثاً لِيُفهمَ عنه) ٥٧٣

ومن تأمل ذلك وجده كما قال . وقد يزداد على الثلاث للحاجة كما ستراه من قول الرسول ﷺ قريباً . والتكرار قد يكون في الكلمات والجمل، وقد يكون في الأسماء، وقد يكون في غيرهما .

فأولاً : تكرر الكلمات :

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ : كَانَ كَلَامُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ كَلَامًا فَصَلًا، يَفْهَمُهُ كُلُّ مَنْ سَمِعَهُ. ٥٧٤

٥٧٢ - فتح الباري لابن حجر - (١ / ١٨٩)

٥٧٣ - ٦ ١ ١٨٨: ١٨٩ في كتاب العلم . قال الحافظ ابن حجر في ((فتح الباري)) ١ : ١٨٩ : ((قال ابن المنير : نبه البخاري بهذه الترجمة على الرد على من كره إعادة الحديث ، وأنكر على الطالب الاستعادة ، وعدّه من البلاغة قال : والحق أن هذا يختلف باختلاف القرائح ، فلا عيب على المستفيد الذي لا يحفظ من مرة إذا سعاد ، ولا عُذر للمفيد إذا لم يُعد ، بل الإعادة عليه أكّد من الابتداء ، لأن الشروع مُلزم .

وقال ابن التين : في هذا الحديث أن الثلاث غاية ما يقع به الاعتذار والبيان)) . انتهى كلام الحافظ ابن حجر .

٥٧٤ - مصنف ابن أبي شيبة - (١٣ / ٤٠٧) (٢٦٨٢١) حسن

أي فاصلاً بين الحق والباطل وآثره عليه لأنه أبلغ أو مفصلاً عن الباطل أو مصوناً عنه
فليس في كلامه باطل أصلاً أو مختصاً أو متميزاً في الدلالة على معناه وحاصله أنه بين
المعنى لا يلتبس على أحد بل (يفهمه كل من سمعه) من العرب وغيرهم لظهوره وتفاصيل
حروفه وكلماته واقتداره لكمال فصاحته على إيضاح الكلام وتبينه^{٥٧٥} فيض القدير

وَعَنْ أَنَسٍ عَنِ النَّبِيِّ - ﷺ - أَنَّهُ كَانَ إِذَا تَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ أَعَادَهَا ثَلَاثًا حَتَّى تُفْهَمَ عَنْهُ، وَإِذَا
أَتَى عَلَى قَوْمٍ فَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ سَلَّمَ عَلَيْهِمْ ثَلَاثًا^{٥٧٦} .

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - يُعِيدُ الْكَلِمَةَ ثَلَاثًا لِيُتَعَلَّ عَنْهُ^{٥٧٧} .

قال المباركفوري : " وَالْمُرَادُ أَنَّهُ كَانَ يُكَرِّرُ الْكَلَامَ ثَلَاثًا إِذَا افْتَضَى الْمَقَامَ ذَلِكَ لِصُعُوبَةِ
الْمَعْنَى أَوْ غَرَابَتِهِ أَوْ كَثْرَةِ السَّامِعِينَ لَأَنَّ دَائِمًا فَإِنَّ تَكَرُّرَ الْكَلَامِ مِنْ غَيْرِ حَاجَةٍ لِتَكَرُّرِهِ لَيْسَ
مِنْ الْبَلَاغَةِ كَذَا فِي شَرْحِ الشَّمَائِلِ لِلْبَيْهَقِيِّ

(لِيُتَعَلَّ عَنْهُ) بِصِيغَةِ الْمَجْهُولِ أَي لِيُفْهَمَ تِلْكَ الْكَلِمَةَ عَنْهُ ﷺ .^{٥٧٨}

وَعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرَةَ عَنْ أَبِيهِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ قَالَ النَّبِيُّ - ﷺ - « أَلَا
أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكِبَائِرِ » . ثَلَاثًا^{٥٧٩} . قَالُوا بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ . قَالَ « الْإِشْرَاكُ
بِاللَّهِ^{٥٨٠} ، وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ »^{٥٨١} . وَجَلَسَ وَكَانَ مُتَكِنًا فَقَالَ « أَلَا وَقَوْلُ الزُّورِ » . قَالَ

^{٥٧٥} - شرح الجامع الصغير، الإصدار ٢ - (١٠ / ٥٠٠)

^{٥٧٦} - صحيح البخاري- المكثر - (٩٥)

^{٥٧٧} - سنن الترمذي- المكثر - (٤٠٠١) قَالَ أَبُو عَيْسَى هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ

^{٥٧٨} - تحفة الأحمدي - (٩ / ٤٩)

^{٥٧٩} قالها ثلاث مرات ، جرياً على عادته ﷺ في تكرير الشيء ثلاث مرات تأكيداً ، لِيُنَبِّهَ السَّامِعَ إِلَى إِحْضَارِ قَلْبِهِ وَفَهْمِهِ
للخبر الذي يذكُرُه .

^{٥٨٠} قوله ((الإشراك بالله)) يُرَادُ بِهِ مَطْلَقُ الْكُفْرِ ، لِأَنَّ بَعْضَ الْكُفْرِ مِثْلُ الْإِلْحَادِ وَحُجْدِ الْخَالِقِ أَعْظَمُ مِنَ الْإِشْرَاكِ بِاللَّهِ
، وَإِنَّمَا خَصَّهُ بِالذِّكْرِ لِغَلْبَةِ الشَّرْكِ أَنْتَدِ فِي بِلَادِ الْعَرَبِ ، فَذَكَرَهُ تَنْبِيهاً عَلَى غَيْرِهِ مِنْ أَصْنَافِ الْكُفْرِ
^{٥٨١} قَالَ الشَّيْخُ أَبُو عَمْرٍو بْنُ الصَّلَاحِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي ((فَتَاوَاهِ)) ١: ٢٠١ : ((الْعُقُوقُ الْحَرَمُ كُلُّ فِعْلٍ يَتَأَذَى بِهِ الْوَالِدُ
أَوْ الْوَالِدَةُ تَأَذَى لَيْسَ بِالْهَيْئِ ، مَعَ كَوْنِهِ لَيْسَ مِنَ الْأَفْعَالِ الْوَاجِبَةِ ، قَالَ : وَرَبَّمَا قِيلَ : طَاعَةُ الْوَالِدَيْنِ وَاجِبَةٌ فِي كُلِّ مَا لَيْسَ
بِمَعْصِيَةٍ ، وَمُخَالَفَةٌ أَمْرُهُمَا فِي ذَلِكَ عُقُوقٌ)) . نَقَلَهُ النَّوَوِيُّ فِي ((شرح صحيح مسلم)) ٢ : ٨٧ .

فَمَا زَالَ يُكْرَرُهَا حَتَّى قُلْنَا لَيْتَهُ سَكَتَ .^{٥٨٢}

" قوله: "ثلاثاً" أي قال لهم ذلك ثلاث مرات، وكرره تأكيداً لينتبه السامع على إحضار فهمه، ووههم من قال: المراد بذلك عدد الكبائر"^{٥٨٣}

قول الزور وشهادة الزور بمعنى واحد ، وعطفُ أحدهما على الآخر عطفٌ تفسيري ، ومن باب التوكيد وزيادة التفضيح له .

وإنما كرّر قوله : ألا وقولُ الزور وشهادةُ الزور ، ولم يُكرّر قوله : الإِشْرَاقُ بِاللَّهِ ، وعقوق الوالدين ، اهتماماً منه ﷺ بالزجر عن شهادة الزور ، لأنها أسهلُّ وقوعاً على الناس ، والتهاؤُنِ بِهَا أَكْثَرُ ، ومفسدٌ لها أيسرُ وقوعاً .

لأن الشركَ يَنبُو عنه المسلم ، والعقوق يَنبُو عنه الطبعُ ، وأما شهادةُ الزور فالدوافعُ والبواعثُ عليها كثيرة ، فحَسُنَ الاهتمامُ بِهَا ، وليس التكرارُ لعَظَمِهَا بالنسبةِ إلى ما ذُكِرَ معها ، فالشركُ أو الكفرُ أعظمُ الذنوبِ جميعاً .

وشهادةُ الزور هي الشهادةُ بالكذبِ لِيَتَوَصَّلَ بِهَا إِلَى الباطلِ من إتلافِ نَفْسٍ ، أو أخذِ مالٍ ، أو إلى إبطالِ حَقٍّ للغيرِ ، ولا شيء من الكبائرِ أعظمُ ضرراً منها ، ولا أكثرُ فساداً ، بعد الشركِ بِاللَّهِ ، ومن ثم جُعِلَتْ عَدْلًا للشركِ ، ووقِعَ من النبي ﷺ عند ذكْرِهَا من الغضبِ والتكريرِ ما لم يَقَعِ منه عند ذكر أكبرِ منها كالقتلِ والزنا .

قال الحافظ ابن حجر في ((فتح الباري)) : ((وفي هذا الحديث : استحبابُ إعادةِ الموعظةِ ثلاثاً لَتَفْهَمَ ، وانزعاجِ الواعظِ في وعظه ليكون أبلغَ في الوعي عنه ، والزجرِ عن فعل ما يَنْهَى عنه .

وفيه إشفاقُ التلميذ على شيخه إذا رآه مُتْرَعِجاً وتمنّي عدم غضبه لما يترتّب على الغضب من تغيُّرِ مزاجه)) . انتهى^{٥٨٤} .

^{٥٨٢} - صحيح البخارى - المكثر - (٢٦٥٤)

^{٥٨٣} - فتح الباري لابن حجر - (٥ / ٢٦٢)

^{٥٨٤} - ((فتح الباري)) ١٠ : ٤١٢

وفيه أيضاً : أنه ينبغي للعالم أن يعرضَ على أصحابه ما يُريدُ أن يُخبرهم به ، لِحَثِّهم على التفرُّغ والاستماع له .

وما هذا التكرارُ وتغييرُ الحال التي هو عليها إلاَّ للفتِ أذهانِ السامعين إلى خُطورةِ ذلك العمل الذي يُحذِّرُ منه، وهو شهادةُ الزور .

وقال أبو ظبيّان: سَمِعْتُ أُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - يَقُولُ بَعَثَنَا رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - إِلَى الْحُرَقَةِ، فَصَبَحْنَا الْقَوْمَ فَهَزَمْنَاهُمْ وَلَحِقْتُ أَنَا وَرَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ رَجُلًا مِنْهُمْ، فَلَمَّا غَشِيَنَاهُ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ . فَكَفَّ الْأَنْصَارِيُّ، فَطَعَنَتْهُ بِرُمْحِي حَتَّى قَتَلْتُهُ، فَلَمَّا قَدِمْنَا بَلَغَ النَّبِيُّ - ﷺ - فَقَالَ « يَا أُسَامَةُ أَقْتَلْتَهُ بَعْدَ مَا قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ » قُلْتُ كَانَ مُتَعَوِّذًا . فَمَا زَالَ يُكْرِرُهَا حَتَّى تَمَنَيْتُ أَنِّي لَمْ أَكُنْ أَسْلَمْتُ قَبْلَ ذَلِكَ الْيَوْمِ ٥٨٥ .

قال ابن التين: في هذا اللوم تعليم وإبلاغ في الموعظة حتى لا يقدم أحد على قتل من تلفظ بالتوحيد. وقال القرطبي: في تكريره ذلك والإعراض عن قبول العذر زجر شديد عن الإقدام على مثل ذلك"

وفيه دليل على ترتب الأحكام على الأسباب الظاهرة دون الباطنة. قوله: "حتى تمنيت أني لم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم" أي أن إسلامي كان ذلك اليوم لأن الإسلام يجب ما قبله، فتمنى أن يكون ذلك الوقت أول دخوله في الإسلام ليأمن من جريرة تلك الفعلية، ولم يرد أنه تمنى أن لا يكون مسلماً قبل ذلك. قال القرطبي: وفيه إشعار بأنه كان استصغر ما سبق له قبل ذلك من عمل صالح في مقابلة هذه الفعلية لما سمع من الإنكار الشديد، وإنما أورد ذلك على سبيل المبالغة^{٥٨٦}

والمعنى أنه ينبغي للإنسان إذا تكلم وخاطب الناس أن يكلمهم بكلام بين لا يستعجل في إلقاء الكلمات، ولا يدغم شيئاً في شيء ويكون حقه الإظهار بل يكون كلامه فصلاً بيناً واضحاً حتى يفهم المخاطب بدون مشقة وبدون كلفة فبعض الناس تجده في الكلام ويأكل

٥٨٥ - صحيح البخاري - المكثر - (٤٢٦٩) وصحيح مسلم - المكثر - (٢٨٨) غَيَّبِنَاهُ : أَدْرَكَنَاهُ وَلِحَقْنَاهُ ، كَأَنَّهُمْ أَتَوْهُ مِنْ فَوْقِهِ . - مُتَعَوِّذًا الْمُتَعَوِّذُ : الْمَلْتَجِي خَوْفًا مِنَ الْقَتْلِ .

٥٨٦ - فتح الباري لابن حجر - (١٢ / ١٩٥)

الكلام، حتى إن الإنسان يحتاج إلى أن يقول له: ماذا تقول؟ فهذا خلاف السنة فالسنة أن يكون الكلام بينا واضحا يفهمه المخاطب وليس من الواجب أن يكون خطابك باللغة الفصحى. فعليك أن تخاطب الناس بلسانهم وليكن بينا واضحا كما في حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان إذا تكلم بالكلمة أعادها ثلاثا حتى تفهم عنه فقوله: حتى تفهم عنه يدل على أنها إذا فهمت بدون تكرار فإنه لا يكررها وهذا هو الواقع فإن الرسول ﷺ نسمع عنه أحاديث كثيرة يقولها في خطبة وفي المجتمعات ولا يكرر ذلك، لكن إذا لم يفهم الإنسان بأن كان لا يعرف المعنى جيدا فكرر عليه حتى يفهم أو كان سمعه ثقيلًا لا يسمع أو كان هناك ضجة حوله لا يسمع فهنا يستحب أن تكرر حتى يفهم عنك، وكان ﷺ إذا سلم على قوم سلم عليهم ثلاثا معناه أنه كان لا يكرر أكثر من ثلاث يسلم مرة فإذا لم يجب سلم الثانية فإذا لم يجب سلم الثالثة فإذا لم يجب تركه، وكذلك في الاستئذان كان ﷺ يستأذن ثلاثا يعني إذا جاء للإنسان يستأذن في الدخول على بيته يدق عليه الباب ثلاث مرات فإذا لم يجب انصرف فهذه سنته ﷺ أن يكرر الأمور ثلاثا ثم ينتهي .

وهل مثل ذلك إذا دق جرس الهاتف ثلاث مرات؟ يحتمل أن يكون من هذا الباب، وأنت إذا اتصلت بإنسان ودق الجرس ثلاث مرات وأنت تسمعه وهو لم يجيبك، فأنت في حل إذا وضعت سماعة الهاتف ويحتمل أن يقال: إن الهاتف له حكم آخر وأنت تبقى حتى تيبأس من أهل البيت لأنهم ربما لا يكونون حول الهاتف عند اتصالك فربما يكونون في طرف المكان ويحتاجون إلى خطوات كثيرة حتى يصلوا إلى الهاتف فلذلك قلنا باحتمال الأمرين ثم ذكر المؤلف رحمه الله حديث عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان كلامه فصلا يعني مفصلا لا يدخل الحروف بعضها على بعض ولا الكلمات بعضها على بعض حتى لو شاء العاد أن يحصيه لأحصاه من شدة تأنيه ﷺ في الكلام وهكذا ينبغي للإنسان أن لا يكون كلامه متداخلا بحيث يخفي على السامع لأن المقصود من الكلام هو إفهام المخاطب وكلما كان أقرب إلى الإفهام كان أولى وأحسن، ثم إنه ينبغي للإنسان إذا استعمل هذه الطريقة يعني إذا جعل كلامه فصلا بينا واضحا وكرره ثلاث مرات لمن لم

يفهم ينبغي أن يستشعر في هذا أنه متبع لرسول الله ﷺ حتى يحصل له بذلك الأجر وإفهام أخيه المسلم وهكذا جميع السنن اجعل على بالك أنك متبع فيها لرسول ﷺ حتى يتحقق لك الاتباع^{٥٨٧}

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو ، قَالَ : تَخَلَّفَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي سَفَرَةٍ سَافَرْنَاهَا ، فَأَذْرَكْنَا وَقَدْ أَرْهَقْتَنَا^{٥٨٨} صَلَاةَ الْعَصْرِ ، وَنَحْنُ نَتَوَضَّأُ ، فَجَعَلْنَا نَمْسُحُ عَلَى أَرْجُلِنَا ، فَنَادَى بِأَعْلَى صَوْتِهِ : وَيْلٌ لِلْأَعْقَابِ مِنَ النَّارِ مَرَّتَيْنِ ، أَوْ ثَلَاثًا..^{٥٨٩}

قوله (ويلٌ للأعقاب من النار) الويلُ : وادٍ في جهنم ، يريدُ الرسول ﷺ بهذا تهديد من لم يستوف غسْلَ قدميه بالماء . و(الأعقاب) جمع عَقَب ، وهو مؤخَّر القَدَم ، قال البغوي : معناه ويلٌ لأصحاب الأعقاب المقصرين في غسْلِها .

وفي الحديث من المسائل : تعليمُ الجاهل ، ورفع الصوت بالإنكار ، وتكرارُ المسألة لثقتهم^{٥٩٠} وقوله (مرتين أو ثلاثاً) قال الحافظ ابن حجر في ((فتح الباري))^{٥٩١} : ((هو شك من الراوي ، وهو يدلُّ على أن الإعادة ثلاث مرات ليست شرطاً ، بل المراد التفهيم ، فإذا حصل بدونها أجزاء)) .

وَعَنْ حَدِيثِ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ خَرَجَ بِالنَّاسِ قَبْلَ غَزْوَةِ تَبُوكَ ، فَلَمَّا أَنْ أَصْبَحَ صَلَّى بِالنَّاسِ صَلَاةَ الصُّبْحِ ، ثُمَّ إِنَّ النَّاسَ رَكِبُوا ، فَلَمَّا أَنْ طَلَعَتِ الشَّمْسُ نَعَسَ النَّاسُ عَلَى أَثَرِ الدُّلْجَةِ^{٥٩٢} ، وَلَزِمَ مُعَاذُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَتْلُو أَثَرَهُ ، وَالنَّاسُ تَفَرَّقَتْ بِهِمْ رِكَابُهُمْ عَلَى حِوَادِّ الطَّرِيقِ تَأْكُلُ وَتَسِيرُ ، فَبَيْنَمَا مُعَاذٌ عَلَى أَثَرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَنَاقَتُهُ تَأْكُلُ مَرَّةً وَتَسِيرُ أُخْرَى عَشْرَتِ نَاقَةٍ مُعَاذَ ، فَكَبَحَهَا بِالزَّمَامِ ، فَهَبَّتْ حَتَّى نَفَرَتْ مِنْهَا نَاقَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، ثُمَّ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَشَفَ عَنْهُ قِنَاعَهُ ، فَالْتَفَتَ فَإِذَا لَيْسَ مِنَ الْجَيْشِ

^{٥٨٧} - شرح رياض الصالحين لابن عثيمين - (٣ / ٣٣٠)

^{٥٨٨} قوله (أَرْهَقْتَنَا) أي أدركتْنَا الصلاة وضاق وقتها .

^{٥٨٩} - صحيح البخاري - المكثر - (٦٠)

^{٥٩٠} - كما في ((فتح الباري)) ١ : ٢٦٦ .

^{٥٩١} - في ((فتح الباري)) ١ : ١٨٩ .

^{٥٩٢} الدُّلْجَةُ السفر من أول الليل ، أي بسبب سفرهم من أول الليل نَعَسُوا .

رَجُلٌ أَدْنَى إِلَيْهِ مِنْ مُعَاذٍ ، فَنَادَاهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ : يَا مُعَاذُ . قَالَ : لَبَّيْكَ يَا نَبِيَّ اللَّهِ . قَالَ : اذْنُ دُونِكَ . فَذَنَا مِنْهُ حَتَّى لَصِقَتْ رَاحِلَتَاهُمَا إِحْدَاهُمَا بِالْأُخْرَى ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : مَا كُنْتُ أَحْسِبُ النَّاسَ مِثْلَ كَمَا كَانَهُمْ مِنَ الْبُعْدِ . فَقَالَ مُعَاذُ : يَا نَبِيَّ اللَّهِ نَعَسَ النَّاسُ ، فَتَفَرَّقَتْ بِهِمْ رِكَابُهُمْ تَرْتَعُ وَتَسِيرُ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : وَأَنَا كُنْتُ نَاعِسًا . فَلَمَّا رَأَى مُعَاذُ بُشْرَى^{٥٩٣} رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَيْهِ وَخَلَوَتْهُ لَهُ قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، ائْذَنْ لِي أَسْأَلُكَ عَنْ كَلِمَةٍ قَدْ أَمْرَضَتْني وَأَسْقَمَتْني وَأَحْزَنْتْني . فَقَالَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ : سَلْنِي عَمَّ شِئْتَ . قَالَ : يَا نَبِيَّ اللَّهِ ، حَدَّثَنِي بِعَمَلٍ يُدْخِلُنِي الْجَنَّةَ لَا أَسْأَلُكَ عَنْ شَيْءٍ غَيْرِهَا . قَالَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ : بَخٍ بَخٍ لَقَدْ سَأَلْتَ بَعْظِيمٍ ، لَقَدْ سَأَلْتَ بَعْظِيمٍ ، ثَلَاثًا ، وَإِنَّهُ لَيْسِيرٌ عَلَيَّ مَنْ أَرَادَ اللَّهُ بِهِ الْخَيْرَ ، وَإِنَّهُ لَيْسِيرٌ عَلَيَّ مَنْ أَرَادَ اللَّهُ بِهِ الْخَيْرَ ، فَلَمْ يُحَدِّثْهُ بِشَيْءٍ إِلَّا قَالَهُ لَهُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ، يَعْنِي أَعَادَهُ عَلَيْهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ؛ حَرِصًا لِكَيْ مَا يُتَّقَنَهُ عَنْهُ ، فَقَالَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ : تُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ، وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ ، وَتَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ لَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا حَتَّى تَمُوتَ وَأَنْتَ عَلَى ذَلِكَ ، فَقَالَ : يَا نَبِيَّ اللَّهِ ، أَعَدَّ لِي فَأَعَادَهَا لَهُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ، ثُمَّ قَالَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ : إِنْ شِئْتَ حَدَّثْتُكَ يَا مُعَاذُ بِرَأْسِ هَذَا الْأَمْرِ^{٥٩٤} ، وَقَوَامِ هَذَا الْأَمْرِ وَذُرْوَةِ السَّنَامِ . فَقَالَ مُعَاذُ : بَلَى يَا نَبِيَّ اللَّهِ فَحَدَّثَنِي . فَقَالَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ : إِنْ رَأَسَ هَذَا الْأَمْرَ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، وَإِنْ قَوَامَ هَذَا الْأَمْرِ إِقَامَ الصَّلَاةَ ، وَإِيتَاءَ الزَّكَاةَ ، وَإِنْ ذُرْوَةَ السَّنَامِ مِنْهُ الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، إِنَّمَا أَمَرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ ، وَيَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ فَقَدِ اعْتَصَمُوا وَعَصَمُوا دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّهَا ، وَحَسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ ، وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ مَا شَحِبَ وَجْهٌ ، وَلَا اغْبَرَّتْ قَدَمٌ فِي عَمَلٍ تُبْتَغَى فِيهِ دَرَجَاتُ الْجَنَّةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ الْمَفْرُوضَةِ كَجِهَادٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، وَلَا تَقُلَ

^{٥٩٣} أي ارتياحه وتوجهه إليه .

^{٥٩٤} المراد بقوله (هذا الأمر) الدين ، أو العمل الذي يدخل الجنة .

مِيزَانَ عَبْدٍ كِدَابَةٌ تَنْفُقُ لَهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، أَوْ يَحْمِلُ عَلَيْهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ .^{٥٩٥}

ثانياً : تكرر الاسم :

وكان ﷺ في بعض الأحيان يُكرّرُ نداءَ المُخاطَبِ مع تأخيرِ الجوابِ، لتأكيدِ الانتباهِ والاهتمامِ بما يُخبرُهُ به، ولِيُبَالِغَ تَفْهَمَهُ وضبطَهُ عنه .

فَعَنْ قَتَادَةَ قَالَ حَدَّثَنَا أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ أَنَّ النَّبِيَّ - ﷺ - وَمُعَاذُ رَدِيفُهُ عَلَى الرَّحْلِ^{٥٩٦} قَالَ « يَا مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ » . قَالَ لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ^{٥٩٧} . قَالَ « يَا مُعَاذُ » . قَالَ لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ^{٥٩٨} . ثَلَاثًا .

قَالَ « مَا مِنْ أَحَدٍ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ صِدْقًا مِنْ قَلْبِهِ إِلَّا حَرَّمَهُ اللَّهُ عَلَى النَّارِ » . قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَفَلَا أُخْبِرُ بِهِ النَّاسَ فَيَسْتَبْشِرُوا قَالَ « إِذَا يَتَكَلَّمُوا » . وَأَخْبَرَ بِهَا مُعَاذٌ عِنْدَ مَوْتِهِ تَأْتِمًا^{٥٩٩} .

وَعَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ، قَالَ : كُنْتُ رَدِيفَ النَّبِيِّ ﷺ ، مَا بَيْنِي وَبَيْنَهُ إِلَّا مُؤَخَّرَةُ الرَّحْلِ، فَقَالَ : يَا مُعَاذُ قُلْتُ : لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ، قَالَ : ثُمَّ سَارَ سَاعَةً، ثُمَّ قَالَ : يَا مُعَاذُ، قُلْتُ : لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ، قَالَ : هَلْ تَدْرِي مَا حَقُّ اللَّهِ عَلَى الْعِبَادِ^{٦٠٠} ؟ قُلْتُ : اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ : أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، قَالَ : ثُمَّ سَارَ سَاعَةً، ثُمَّ قَالَ : هَلْ

^{٥٩٥} - مسند أحمد (عالم الكتب) - (٧ / ٣٨١) (٢٢١٢٢) ٢٢٤٧٣ - حسن

^{٥٩٦} الرَّحْلُ للبعير كالسرج للفرس والحمار ، وأخره الرُّحْلُ : هي العود الذي يُجعلُ خلفَ الرَّكِبِ يَسْتَنِدُ إليه . وفائدةُ ذكر ذلك بيانُ شدةِ قُربِهِ من الرسول ﷺ ، إذ هو رديفُهُ خلفَ ظهرِهِ على الدابةِ ، فهو أوعى ما يكون وأضبطُ ما يكون لما يسمعه منه ، فهو يذكُرُ الهيئةَ والحالَ التي كان عليها وقت سماعه هذا الحديث ، وهذا قُربُهُ زيادةً الضبطِ . وكان مركوبُ رسولِ الله ﷺ في هذه الحالِ حِمَارًا ، كما جاء ذلك مُصرِّحاً به في رواية مسلم ١ : ٢٣٢ عن عمرو بن ميمون ، عن معاذ بن جبل ، وفي رواية ((مسند أحمد)) ٥ : ٢٣٨ عن عبد الرحمن بن عُثْمَانَ ، عن معاذ ، فيكون المرادُ (بأخره الرَّحْلُ) موضعُ آخره الرَّحْلُ .

^{٥٩٧} معنى (لبيك) : أجبتك إجابةً بعد إجابة ، و(سعديك) : ساعدتُ طاعتك مُساعدةً بعد مُساعدة .

^{٥٩٨} هذا النداءُ المُكرَّرُ ثلاثاً من رسولِ الله ﷺ مُعَاذُ ، مع تأخيرِ جوابِ النداءِ ، لتأكيدِ الاهتمامِ بما يُخبرُهُ ، وليُكْمَلَ انتباهَ معاذٍ فيما يسمعه ، ليتدبرَهُ وَيَعِيَهُ كما ينبغي .

^{٥٩٩} - صحيح البخاري - المكثر - (١٢٨)

^{٦٠٠} أي ما يستحقُّه الله تعالى على عباده مما جعله حُثْمًا عليهم .

تَدْرِي مَا حَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ^{٦٠١}، إِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ^{٦٠٢}؟ قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: فَإِنَّ حَقَّ الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ إِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ أَنْ لَا يُعَذِّبَهُمْ^{٦٠٣}.

وذلك فضلاً منه وكرماً ، بحكم وعده الصادق . وفي الحديث من الأمور التعليمية كما قال الحافظ ابن حجر^{٦٠٤} : ((حَسُنُ أَدَبُ مَعَاذِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي الْقَوْلِ ، وَفِي الْعِلْمِ بَرْدُهُ لِمَا لَمْ يُحِطْ بِحَقِيقَتِهِ إِلَى عِلْمِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ، وَفِيهِ قُرْبٌ مِثْلَتِهِ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ ، وَفِيهِ تَكَرُّرُ الْكَلَامِ لِتَأْكِيدِهِ وَتَفْهِيمِهِ ، وَفِيهِ اسْتِيفَسَارُ الشَّيْخِ تَلْمِيذَهُ عَنِ الْحَكْمِ لِيُخْتَبَرَ مَا عِنْدَهُ ، وَيُبَيَّنُ مَا يُشْكَلُ عَلَيْهِ مِنْهُ .

وفي هذا الحديث نلاحظ تكرار منادة الرسول ﷺ لمعاذ بن جبل ثلاث مرات، والسري في ذلك والله أعلم هو تهينة معاذ للخبر العظيم الذي سوف يحمله، ويدلك على ذلك قول معاذ في الحديث أفلا أحيى الناس فيستبشروا؟ فإن فيه دلالة واضحة على عظم هذا الحديث وجلالة قدره، لما فيه من البشري العظيمة. ونخرج من هذا الحديث، أن المعلم إذا أراد أن يبيث خبراً هاماً لأحد طلابه أن يناديه باسمه ثلاث مرات، ثم يلقي إليه الخبر، وقس على ذلك لو كانوا جماعة فله أن يناديهم بالاسم الذي يجمعهم، كأن يقول: يا طلاب (ثلاثاً) أو نحواً من ذلك .

٣- تكرار الجواب

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ رَجُلًا قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ - أَوْصِنِي . قَالَ « لَا تَعْضَبْ » . فَرَدَّدَ مَرَارًا، قَالَ « لَا تَعْضَبْ »^{٦٠٥}.

^{٦٠١} قال بعض العلماء: يُريد النبي ﷺ بقوله: (حق العباد على الله): حَقًّا عُلِمَ مِنْ جِهَةِ الشَّرْعِ، لَا بِإِيجَابِ الْعَقْلِ، فَهُوَ كَالْوَاجِبِ فِي تَحَقُّقِ وَقُوعِهِ. أَوْ هُوَ عَلَى جِهَةِ الْمُشَاكَلَةِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: (فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ)، وَقَوْلُهُ سَبَّحَانَهُ عَلَى لِسَانِ سَيِّدِنَا عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: (تَعَلَّمْ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ).

^{٦٠٢} أي إذا فعلوا العبادة له مُخلصين له فيما دون إشتراك أحدٍ معه .

^{٦٠٣} - صحيح ابن حبان - (٢ / ٨٢) (٣٦٢) وصحيح البخاري - المكثر - (٦٥٠٠)

مؤخرة الرجل: الرجل: كور البعير، ومؤخرته مخففا مهموزا: الخشبة التي في آخره يستند إليها الراكب. - تأمنا: يقال: فعل فلان ذلك تأمنا، أي: تجنبنا للإثم وكفا عنه.

^{٦٠٤} - ((فتح الباري)) ١١: ٢٩١

^{٦٠٥} - صحيح البخاري - المكثر - (٦١١٦)

وَعَنْ جَارِيَةِ بْنِ قَدَامَةَ، أَنَّهُ قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ، قُلْ لِي قَوْلًا يَنْفَعُنِي اللَّهُ بِهِ، وَأَقْلِلْ لِعَلِّي لَا أُغْفَلُهُ، قَالَ : لَا تَعْضَبْ فَعَادَ لَهُ مَرَارًا، كُلُّ ذَلِكَ يَرْجِعُ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : لَا تَعْضَبْ. ٦٠٦
 قَالَ أَبُو حَاتِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : قَوْلُهُ ﷺ لَا تَعْضَبْ أَرَادَ بِهِ أَنْ لَا تَعْمَلَ عَمَلًا بَعْدَ الْعَضَبِ مِمَّا نَهَيْتَكَ عَنْهُ، لَا أَنَّهُ نَهَاكَ عَنِ الْعَضَبِ، إِذِ الْعَضَبُ شَيْءٌ جَبِلَةٌ فِي الْإِنْسَانِ، وَمُحَالٌ أَنْ يُنْهَى الْمَرْءُ عَنْ جِبِلَّتِهِ الَّتِي خُلِقَ عَلَيْهَا، بَلْ وَقَعَ النَّهْيُ فِي هَذَا الْخَبَرِ عَمَّا يَتَوَلَّدُ مِنَ الْعَضَبِ مِمَّا ذَكَرْتَاهُ.

الخلاصة:

- (١) التكرار ثلاثاً غاية ما يحصل به البيان، ولكن قد يزداد فوق الثلاث للحاجة .
- (٢) التكرار وسيلة ناجعة في حفظ المعلومات، وفي التركيز على النقاط الهامة .
- (٣) تكرار الاسم يجعل المنادي يتهيأ لاستقبال الخبر .
- (٤) تكرار الجواب يبين أهمية الموضوع وخطره .

[١٤] استخدام أسلوب التقسيم في التعليم :

هذا أسلوب عزيز وجوده عند المعلمين وقليل هم الذين يستخدمونه أثناء طرحهم لموادهم العلمية، وأعني بأسلوب التقسيم، أن يعمد المعلم إلى دراسة المادة العلمية التي يراد طرحها على الطلاب، ثم يقسمها إلى أقسام أو مراتب أو فقرات أو نقاط - سمها ما شئت - ثم يقوم بطرحها على الطلاب. ولا يخفى ما في هذه الطريقة من فائدة عظيمة للطلاب، إذ إنها تجعل الطالب يلم بأطراف الموضوع، وتجعله يحفظ المعلومات ويستوعبها بشكل سريع، هذا بالإضافة إلى صيانة المعلومات وحفظها من النسيان. فإذا نسي الطالب معلومة منها ثم تذكر أن عددها كذا، أو أقسامها كذا، كان ذلك معيناً لاسترجاع المعلومة المفقودة. ولعل الذي يطالع الكتب الفقهية، يرى أنواعاً عديدة من التقسيمات، فهناك شروط، وواجبات، وأركان، ومحظورات .. إلخ . وكل هذه التقسيمات لم يرد بها نص عن المعصوم عليه الصلاة والسلام، وإنما وضعها العلماء والفقهاء - رحمهم الله - من أجل

٦٠٦ - صحيح ابن حبان - (١٢ / ٥٠٢) (٥٦٨٩) صحيح

تقريب العلم لطالبيه، وحصص موادده، وجمع متفرقاته، فيسهل على مریده حفظه ومراجعتة.

ولقد كان النبي ﷺ يفعل مثل ذلك :

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ - ﷺ - قَالَ « سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ
الإمام العادل، وشاب نشأ في عبادة ربه، ورجل قلبه معلق في المساجد، ورجلان تحابا في
الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه، ورجل طلبته امرأة ذات منصب وجمال فقال إني أخاف الله
. ورجل تصدق أخفى حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه، ورجل ذكر الله خاليا ففاضت
عيناه » ٦٠٧ .

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا
خَالصًا، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خِصْلَةٌ مِنْهَا كَانَتْ فِيهِ خِصْلَةٌ مِنَ النَّفَاقِ حَتَّى يَدْعَهَا : إِذَا حَدَّثَ
كَذِبًا، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ. ٦٠٨

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - قَالَ « حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ سِتٌّ » . قِيلَ مَا
هُنَّ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ « إِذَا لَقِيْتَهُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ وَإِذَا دَعَاكَ فَأَجِبْهُ وَإِذَا اسْتَنْصَحَكَ فَانصَحْ لَهُ
وَإِذَا عَطَسَ فَحَمِدِ اللَّهَ فَسَمِّتْهُ وَإِذَا مَرِضَ فَعُدَّهُ وَإِذَا مَاتَ فَاتَّبِعْهُ » . ٦٠٩

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَنِ النَّبِيِّ - ﷺ - قَالَ « اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُؤْبَقَاتِ »
. قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا هُنَّ قَالَ « الشُّرْكُ بِاللَّهِ، وَالسَّحَرُ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا
بِالْحَقِّ، وَأَكْلُ الرِّبَا، وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ، وَالتَّوَلَّى يَوْمَ الزَّحْفِ، وَقَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ
الْعَافِلَاتِ » ٦١٠ .

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، قَالَ : أَقْبَلَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، فَقَالَ : يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ
خَمْسٌ إِذَا ابْتُلِيْتُمْ بِهِنَّ، وَأَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ تُدْرِكُوهُنَّ :

لَمْ تَظْهَرِ الْفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ قَطُّ، حَتَّى يُعْلِنُوا بِهَا، إِلَّا فَشَا فِيهِمُ الطَّاعُونَ، وَالْأَوْجَاعُ الَّتِي لَمْ

٦٠٧ - صحيح البخارى - المكثر - (٦٦٠) وصحيح مسلم - المكثر - (٢٤٢٧)

٦٠٨ - صحيح ابن حبان - (١ / ٤٨٨) (٢٥٤) وصحيح البخارى - المكثر (٣٤) وصحيح مسلم - المكثر - (٢١٩)

٦٠٩ - صحيح مسلم - المكثر - (٥٧٧٨) - سمت : ادع له والتسميت الدعاء بالخير والبركة

٦١٠ - صحيح البخارى - المكثر - (٢٧٦٦) وصحيح مسلم - المكثر - (٢٧٢)

تَكُنْ مَضَتْ فِي أَسْلَافِهِمُ الَّذِينَ مَضَوْا.

وَلَمْ يَنْقُضُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ، إِلَّا أَخَذُوا بِالْسِّنِينَ، وَشِدَّةِ الْمُؤُونَةِ، وَجَوْرِ السُّلْطَانِ عَلَيْهِمْ.

وَلَمْ يَمْنَعُوا زَكَاةَ أَمْوَالِهِمْ، إِلَّا مُنَعُوا الْقَطْرَ مِنَ السَّمَاءِ، وَلَوْلَا الْبَهَائِمُ لَمْ يُمْطَرُوا.

وَلَمْ يَنْقُضُوا عَهْدَ اللَّهِ، وَعَهْدَ رَسُولِهِ، إِلَّا سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ غَيْرِهِمْ، فَأَخَذُوا بَعْضَ مَا فِي أَيْدِيهِمْ.

وَمَا لَمْ تَحْكَمْ أَيْمَتَهُمْ بِكِتَابِ اللَّهِ، وَيَتَّخِرُوا مِمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ، إِلَّا جَعَلَ اللَّهُ بِأَسْهُمِ بَيْنَهُمْ. "٦١١

والأخبار في ذلك عن النبي ﷺ كثيرة جداً، ولو ذهبنا نستقصي بعضها، لطلال بنا المقام، وفيما ذكرنا غنية وكفاية .

ثم لو دققنا النظر في حديث النبي ﷺ، لوجدنا أن النبي ﷺ يذكر العدد مجماً ثم يفصل في ذلك، ولا شك أن هذه الطريقة أشد جذباً للنفس، وأحسن ترتيباً وسياًقاً. والمعلمون ينبغي عليهم أن يسلكوا هذا السبيل، إن أرادوا أن ييسروا العلم ويذلوه لطلابهم .

الخلاصة:

- (١) إن أسلوب التقسيم، معين على حفظ المعلومات، ويصونها من النسيان .
- (٢) إن هذه الطريقة تستلزم من المعلم دقة ومهارة .
- (٣) يفضل عند استخدام هذه الطريقة، استخدام أسلوب الإجمال ثم التفصيل .

[١٥] استخدام أسلوب الاستفهام أثناء التعليم :

يحتاج المعلم في جذبه لانتباه الطالب إلى وسائل متعددة، وطرق متباينة، ولا بد للمعلم من التنويع بين وسائل الجذب لكي لا يألّف الطالب طريقة معينة فيعتادها، ثم لا تحدث لديه أثراً بحكم الاعتياد . ومن وسائل الجذب التي يحتاجها المعلم، هو استخدام أسلوب

٦١١ - سنن ابن ماجه - طبع مؤسسة الرسالة - (٥ / ١٤٩) (٤٠١٩) حسن

الاستفهام بين يدي الحديث، أو في منتصف الحديث لجذب انتباه الطالب وحثه على استحضار الذهن. يبين ذلك الحديث المتفق عليه عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرَةَ عَنْ أَبِيهِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ - « أَلَا أُتْبِعُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكِبَائِرِ » . ثَلَاثًا . قَالُوا بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ . قَالَ « الْإِشْرَاكُ بِاللَّهِ، وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ » . وَجَلَسَ وَكَانَ مُتَكِّمًا فَقَالَ « أَلَا وَقَوْلُ الزُّورِ » . قَالَ فَمَا زَالَ يُكْرَرُهَا حَتَّى قُلْنَا لَيْتَهُ سَكَتَ . ٦١٢

ف (ألا) أداة استفهام للتنبيه، والتحضيض لضبط ما يقال وفهمه على وجهه ٦١٣ .

وَعَنْ أَبِي بَكْرَةَ، ذَكَرَ النَّبِيُّ ﷺ قَالَ : وَقَفَ عَلَى بَعِيرِهِ، وَأَمْسَكَ إِنْسَانٌ بِحِطَامِهِ - أَوْ قَالَ : بِزِمَامِهِ - فَقَالَ : أَيُّ يَوْمٍ هَذَا ؟ فَسَكَتْنَا حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيَسْمِيهِ سَوَى اسْمِهِ، فَقَالَ : أَلَيْسَ يَوْمَ النَّحْرِ ؟ قُلْنَا : بَلَى، قَالَ : فَأَيُّ شَهْرٍ هَذَا ؟ فَسَكَتْنَا حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيَسْمِيهِ سَوَى اسْمِهِ، فَقَالَ : أَلَيْسَ بِذِي الْحِجَّةِ ؟ قُلْنَا : بَلَى، قَالَ : فَأَيُّ بَلَدٍ هَذَا ؟ فَسَكَتْنَا حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيَسْمِيهِ سَوَى اسْمِهِ، قَالَ : أَلَيْسَ الْبَلَدُ الْحَرَامُ، قُلْنَا : بَلَى، فَقَالَ : فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ، وَأَمْوَالَكُمْ، وَأَعْرَاضَكُمْ بَيْنَكُمْ حَرَامٌ عَلَيْكُمْ كَحَرَمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا فِي بَلَدِكُمْ هَذَا، أَلَا لِيُبَلِّغَ الشَّاهِدُ مِنْكُمْ الْغَائِبَ، فَإِنَّ الشَّاهِدَ يَبْلُغُ مَنْ هُوَ أَوْ عَى لَهُ مِنْهُ. ٦١٤

" قال القرطبي: سؤاله ﷺ عن الثلاثة وسكوته بعد كل سؤال منها كان لاستحضار فهو مهم وليقبلوا عليه بكليتهم، وليستشعروا عظمة ما يخبرهم عنه، ولذلك قال بعد هذا: فإن دمائكم الح، مبالغة في بيان تحريم هذه الأشياء. انتهى. ومناط التشبيه في قوله: "كحرمة يومكم" وما بعده ظهوره عند السامعين، لأن تحريم البلد والشهر واليوم كان ثابتا في نفوسهم - مقررًا عندهم، بخلاف الأنفس والأموال والأعراض فكانوا في الجاهلية يستبيحونها، فطراً الشرع عليهم بأن تحريم دم المسلم وماله وعرضه أعظم من تحريم البلد والشهر واليوم، فلا يرد كون المشبه به أخفض رتبة من المشبه، لأن الخطاب إنما وقع

٦١٢ - صحيح البخارى- المكثر - (٢٦٥٤) وصحيح مسلم- المكثر - (٢٦٩)

٦١٣ دراسات في الحديث النبوي . د/ محمد لقمان الأعظمي الندوي . ص ١٩٢ .

٦١٤ - صحيح ابن حبان - (٩ / ١٥٨) (٣٨٤٨) وصحيح البخارى- المكثر - (٦٧)

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ النَّاسُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلْ تَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: هَلْ تُضَارُونَ فِي الشَّمْسِ لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ؟ قَالُوا: لَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: فَهَلْ تُضَارُونَ فِي الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ لَيْسَ دُونَهُ سَحَابٌ؟ قَالُوا: لَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: فَإِنَّكُمْ تَرَوْنَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ يَجْمَعُ اللَّهُ النَّاسَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيَقُولُ: مَنْ كَانَ يَعْبُدُ شَيْئًا فَلْيَتَّبِعْهُ، فَيَتَّبِعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الشَّمْسَ الشَّمْسَ، وَمَنْ كَانَ يَعْبُدُ الْقَمَرَ الْقَمَرَ، وَيَتَّبِعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الطَّوَاغِيَةَ الطَّوَاغِيَةَ، وَتَبَقَى هَذِهِ الْأُمَّةُ فِيهَا مُنَافِقُوهَا، فَيَأْتِيهِمُ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا فِي غَيْرِ صُورَتِهِ الَّتِي يَعْرِفُونَ، فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ: نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْكَ هَذَا مَقَامُنَا حَتَّى يَأْتِينَا رَبُّنَا، فَإِذَا جَاءَنَا رَبُّنَا عَرَفْنَا، قَالَ: فَيَأْتِيهِمْ فِي الصُّورَةِ الَّتِي يَعْرِفُونَ، فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ: أَنْتَ رَبُّنَا، وَيُضْرَبُ جِسْرٌ عَلَى جَهَنَّمَ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يَجُوزُهُ، وَدَعْوَةُ الرُّسُلِ يَوْمَئِذٍ: اللَّهُمَّ سَلِّمْ وَسَلِّمْ، وَبِهِ كَلَالِيبٌ مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ، هَلْ تَدْرُونَ شَوْكَ السَّعْدَانِ؟ قَالُوا: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: فَإِنَّهَا مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ غَيْرَ أَنَّهُ لَا يَعْلَمُ قَدْرَ عَظَمَتِهَا إِلَّا اللَّهُ، فَتَخْطَفُ النَّاسَ بِأَعْمَالِهِمْ، فَمِنْهُمْ الْمُؤَبَّقُ بِعَمَلِهِ، وَمِنْهُمْ الْمُخْرَدَلُ، ثُمَّ يَنْجُو حَتَّى إِذَا فَرَعَ اللَّهُ مِنَ الْقَضَاءِ بَيْنَ عِبَادِهِ، وَأَرَادَ أَنْ يُخْرِجَ مِنَ النَّارِ مَنْ أَرَادَ مِمَّنْ كَانَ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ أَمَرَ اللَّهُ الْمَلَائِكَةَ أَنْ يُخْرِجُوهُمْ، فَيَعْرِفُونَهُمْ بِعَلَامَةِ آثَارِ السُّجُودِ، قَالَ: وَحَرَّمَ اللَّهُ عَلَى النَّارِ أَنْ تَأْكُلَ مِنْ ابْنِ آدَمَ أَنْتَرِ السُّجُودِ، قَالَ: فَيُخْرِجُونَهُمْ قَدْ امْتَحَشُوا فَيُصَبُّ عَلَيْهِمْ مَاءٌ، يُقَالُ لَهُ: مَاءُ الْحَيَاةِ، فَيَنْبُتُونَ نَبَاتَ الْحَبَّةِ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ، قَالَ: وَيَبْقَى رَجُلٌ مُقْبِلٌ بِوَجْهِهِ عَلَى النَّارِ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ قَدْ قَشَبَنِي رِيحُهَا، وَأَحْرَقَنِي ذِكَاؤُهَا، فَاصْرِفْ وَجْهِي عَنِ النَّارِ، فَلَا يَزَالُ يَدْعُو، فَيَقُولُ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: فَلَعَلِّي إِنْ أُعْطَيْتُكَ ذَلِكَ أَنْ تَسْأَلَنِي غَيْرَهُ، فَيَقُولُ: لَا وَعِزَّتِكَ لَا أَسْأَلُكَ غَيْرَهُ، فَيُصْرِفُ وَجْهَهُ عَنِ النَّارِ، ثُمَّ يَقُولُ بَعْدَ ذَلِكَ: يَا رَبِّ، قَرَّبَنِي إِلَى بَابِ الْجَنَّةِ، فَيَقُولُ جَلَّ وَعَلَا: أَلَيْسَ قَدْ زَعَمْتَ أَنْ لَا تَسْأَلَنِي غَيْرَهُ؟ وَيَلِكُ يَا ابْنَ آدَمَ مَا أُغْدِرَكَ، فَلَا يَزَالُ يَدْعُو، فَيَقُولُ جَلَّ وَعَلَا: فَلَعَلَّكَ إِنْ أُعْطَيْتُكَ ذَلِكَ أَنْ تَسْأَلَنِي غَيْرَهُ، فَيَقُولُ: لَا وَعِزَّتِكَ لَا أَسْأَلُكَ

غَيْرُهُ، وَيُعْطِي اللَّهُ مِنْ عُهُودٍ وَمَوَاقِيحَ أَنْ لَا يَسْأَلُهُ غَيْرُهُ، فَيَقْرَبُهُ إِلَى بَابِ الْجَنَّةِ فَلَمَّا قَرَّبَهُ مِنْهَا انْفَهَقَتْ لَهُ الْجَنَّةُ، فَإِذَا رَأَى مَا فِيهَا سَكَتَ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَسْكُتَ، ثُمَّ يَقُولُ: يَا رَبِّ أَدْخِلْنِي الْجَنَّةَ، فَيَقُولُ جَلَّ وَعَلَا: أَلَيْسَ قَدْ زَعَمْتَ أَنْ لَا تَسْأَلُنِي غَيْرُهُ، وَيَلِكُ يَا ابْنَ آدَمَ مَا أَغْدِرُكَ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ لَا تَجْعَلْنِي أَشَقَى خَلْقِكَ، قَالَ: فَلَا يَزَالُ يَدْعُو حَتَّى يَضْحَكَ جَلَّ وَعَلَا، فَإِذَا ضَحِكَ مِنْهُ أَذِنَ لَهُ بِالْدُخُولِ دُخُولَ الْجَنَّةِ، فَإِذَا دَخَلَ قِيلَ لَهُ: تَمَنَّ كَذَا وَتَمَنَّ كَذَا، فَيَتَمَنَّى حَتَّى تَنْقَطِعَ بِهِ الْأَمَانِيُّ، فَيَقُولُ جَلَّ وَعَلَا: هُوَ لَكَ وَمِثْلُهُ مَعَهُ، قَالَ أَبُو سَعِيدٍ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، يَقُولُ: هُوَ لَكَ وَعَشْرَةُ أَمْثَالِهِ، فَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: حَفِظْتُ: هُوَ لَكَ وَمِثْلُهُ مَعَهُ وَذَلِكَ الرَّجُلُ آخِرُ أَهْلِ الْجَنَّةِ دُخُولًا. "٦٦"

والملاحظ في الأمثلة السابقة أن الرسول ﷺ لم يعين شخصاً بعينه، للإجابة على الأسئلة المطروحة، بل كانت عباراته بصيغة الجمع غالباً وهذا يفيدنا في أن المعلم ينبغي عليه أن يطرح السؤال أولاً لكي يشترك الطلاب جميعهم في إيجاد جواب للسؤال المطروح، ثم إنه من المستحسن للمعلم أن يترك وقتاً مناسباً قبل الشروع في سماع إجابة الطالب، وذلك لأن قدرات الطلاب العقلية تختلف وتباين من فرد لآخر، فبعضهم سريع استحضاره وبعضهم دون ذلك بمراحل. وبهذا يتبين لك خطأ ما يفعله بعض المعلمين من سؤال طلابهم حسب قائمة معينة من الأسماء، أو حسب ترتيبهم في مقاعد الصف، لأن هذه الطريقة تجعل الطلاب الآخرين الذين لم يقع عليهم الاختيار لا يتكلمون عناء البحث عن الإجابة اكتفاء بتعيين الطالب من قبل معلمهم.

نعم قد يسأل المعلم بعض طلابه في حالات معينة كأن يريد المعلم أن يفاجئ طالباً معيناً، ليستخبر حاله، أو لينبهه من غفلته ونحو ذلك.

وقد ورد أن النبي ﷺ سأل بعض آحاد الصحابة في مسائل متفرقة، وهذا محله ما إذا كان

٦٦ - صحيح ابن حبان - (١٦ / ٤٥٠) (٧٤٢٩) وصحيح البخاري - المكثر - (٨٠٦) وصحيح مسلم - المكثر - (٤٦٩)

الحية : بذور العشب البرية - الذكاء : هب النار واشتعالها - تضارون : لا تتخالفون ولا تتجادلون في صحة النظر - انفهقت : انفتحت واتسعت - قشبي : سمي وأهلكني - امتحشوا : احترقت جلودهم حتى ظهرت العظام

النبي ﷺ منفرداً بذلك الصحابي، كما جاء ذلك مع أبي ذر رضي الله عنه، فعن أبي ذر رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: يا أبا ذر، قلت: لبيك يا رسول الله وسعديك، قال: كيف أنت إذا أصاب الناس جوع، تأتي مسجداً فلا تستطيع أن ترجع إلى فراشك، وتأتي فراشك فلا تستطيع أن تنهض إلى مسجداً، قلت: الله ورسوله أعلم، أو ما خار الله لي ورسوله، قال: عليك بالعفة، ثم قال: يا أبا ذر، قلت: لبيك يا رسول الله وسعديك، قال: كيف أنت إذا رأيت أحجار الزيت قد عرفت بالدم؟ قلت: ما خار الله ورسوله، قال: تلحق بمن أنت منه، أو قال: عليك بمن أنت منه، قلت: أفلا آخذ سيفي، فأضعه على عاتقي؟ قال: شاركت إذا، قلت: فما تأمرني؟ قال: تلزم بيتك، قلت: أرايت إن دخل علي بيتي؟ قال: فإن خشيت أن يبهرك شعاع السيف، فآلق رداءك على وجهك، يوء بإثمه وإثمك" ٦١٧

الخلاصة:

- (١) أسلوب الاستفهام، أسلوب فعال في جذب انتباه السامع، وتهيته لما سيلقى عليه
- (٢) قد يكون الاستفهام في أول الحديث، وقد يكون في أثنائه، بحسب ما تقتضيه الحاجة
- (٣) على المعلم أن يطرح السؤال على طلابه بشكل عام ثم يترك وقتاً كافياً لاستحضار الجواب، ثم يعين الطالب الذي سوف يقوم بالإجابة على السؤال .
- (٤) عدم تعيين طالب بعينه، قبل طرح السؤال، لأن ذلك يلغي مشاركة الطلاب الآخرين الذهنية اكتفاءً بتعيين زميلهم .
- (٥) للمعلم أن يعين طالباً بعينه قبل طرح السؤال للحالات خاصة، كإرادة المعلم معرفة قدرة الطالب على الاستجابة السريعة، أو تنبيه طالب من غفلة أو نوم ونحوه، ولكن لا يتخذ المعلم هذه عادة له .

[١٦] طرح بعض المسائل العلمية المهمة لاختبار مقدرة الطالب العقلية :

٦١٧ - المستدرک للحاکم (٨٣٠٥) حسن

إن طرح بعض المسائل للاختبار على الطلاب بشكل عام، له فائدة كبيرة في تنمية المدارك وتقوية الأفهام. والطريقة المثلى لاستخدامها، هي أن يقوم المعلم بطرح المسألة بشكل جماعي، ثم تكون هناك مهلة قصيرة لا سترجاع المعلومات والتفكير في المسألة، ثم ترك جواب المسألة المطروحة للطلاب . والسنة حافلة بمثل هذا النوع من العلم .

وتارةً كان ﷺ يسأل أصحابه عن الشيء وهو يعلمه، وإنما يسألهم لِيُثِيرَ فِطْنَتَهُمْ، وَيُحَرِّكَ ذَكَاءَهُمْ، وَيَسْقِيَهُمُ الْعِلْمَ فِي قَالِبِ الْمُحَاجَاةِ لِيَخْتَبِرَ مَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ .

فَعَنْ ابْنِ عُمَرَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - « إِنْ مِنْ الشَّجَرِ شَجْرَةٌ لَا يَسْقُطُ وَرَقُهَا^{٦١٨} ، وَإِنَّهَا مِثْلُ الْمُسْلِمِ ، فَحَدِّثُونِي مَا هِيَ » . فَوَقَعَ النَّاسُ فِي شَجَرِ الْبُؤَادِي . قَالَ عَبْدُ اللَّهِ وَوَقَعَ فِي نَفْسِي أَنَّهَا النَّخْلَةُ ، فَاسْتَحْيَيْتُ ثُمَّ قَالُوا حَدِّثْنَا مَا هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ « هِيَ النَّخْلَةُ »^{٦١٩} .

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ بَيْنَا نَحْنُ عِنْدَ النَّبِيِّ - ﷺ - جُلُوسٌ إِذْ أَتَى بِجُمَارِ نَخْلَةٍ^{٦٢٠} فَقَالَ النَّبِيُّ - ﷺ - « إِنْ مِنْ الشَّجَرِ لَمَّا بَرَكَتُهُ كَبْرُكَةُ الْمُسْلِمِ^{٦٢١} . فَظَنَنْتُ أَنَّهُ يَعْنِي النَّخْلَةَ ، فَأَرَدْتُ أَنْ أَقُولَ هِيَ النَّخْلَةُ يَا رَسُولَ اللَّهِ . ثُمَّ التَّفَقْتُ فَإِذَا أَنَا عَاشِرُ عَشْرَةٍ أَنَا أَحَدُهُمْ فَسَكَتُ ، فَقَالَ النَّبِيُّ - ﷺ - « هِيَ النَّخْلَةُ »^{٦٢٢} .

وَعَنْ ابْنِ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - فَقَالَ « أَخْبِرُونِي بِشَجْرَةٍ تُشْبِهُهُ أَوْ كَالرَّجُلِ الْمُسْلِمِ لَا يَتَّحَاتُ وَرَقُهَا وَلَا وَلَا وَلَا ، تُؤْتِي أَكْلَهَا كُلَّ حِينٍ

^{٦١٨} أي لا يتساقط ورقها ولا يتناثر .

^{٦١٩} - صحيح البخارى - المكثر - (٦١) وصحيح مسلم - المكثر - (٧٢٧٦)

^{٦٢٠} - الجُمَارُ بوزن رُمان : قَلْبُ النَّخْلَةِ وَشَحْمُهَا ، تَمُوتُ بِقَطْعِهِ ، وَيُسْتَخْرَجُ مِنْهَا بَعْدَ قَطْعِهَا . وَيُقَالُ لَهُ : الْجَامُورُ أَيْضاً . وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ بْنُ الْعَرَبِيِّ فِي ((عَارِضَةُ الْأَحْوَذِيِّ شَرْحُ سِنَنِ التِّرْمِذِيِّ)) : ١٠ : ٣١٠ : ((الْجُمَارُ شَحْمُ النَّخْلَةِ الَّذِي يُؤْكَلُ بِالْعَسَلِ)) . وَلِلْأَسْتَاذِ عَبَّاسِ الْعَرَاوِيِّ الْعِرَاقِيِّ كِتَابُ ((النَّخْلُ فِي تَارِيخِ الْعِرَاقِ)) فِي ١٣٤ صَفْحَةٍ ، اسْتَوْفَى فِيهِ كُلَّ مَا يَتَعَلَّقُ بِالنَّخْلَةِ مِنْ جَمِيعِ أَحْوَالِهَا ، وَقَالَ فِيهِ فِي ص ١٢٨ : ((وَالْجُمَارُ مِنَ النَّخْلَةِ كَالْمُحِّ مِنَ الْغَنَسَانِ)) .

^{٦٢١} بَرَكَتُهَا أَي خَيْرُهَا وَنَفْعُهَا .

^{٦٢٢} - صحيح البخارى - المكثر - (٥٤٤٤)

٦٢٣ . قَالَ ابْنُ عُمَرَ فَوَقَعَ فِي نَفْسِي أَنَّهَا النَّخْلَةُ ، وَرَأَيْتُ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ لَا يَتَكَلَّمَانِ ، فَكَرِهْتُ أَنْ أَتَكَلَّمَ ، فَلَمَّا لَمْ يَقُولُوا شَيْئًا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - « هِيَ النَّخْلَةُ » . فَلَمَّا قُمْنَا قُلْتُ لِعُمَرَ يَا أَبَتَاهُ وَاللَّهِ لَقَدْ كَانَ وَقَعَ فِي نَفْسِي أَنَّهَا النَّخْلَةُ فَقَالَ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَتَكَلَّمَ قَالَ لَمْ أَرَكُم تَتَكَلَّمُونَ ، فَكَرِهْتُ أَنْ أَتَكَلَّمَ أَوْ أَقُولَ شَيْئًا . قَالَ عُمَرُ لِأَنْ تَكُونَ قُلْتَهَا أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كَذَا وَكَذَا ٦٢٤ .

قال البغوي ٦٢٥ : قال الإمام : فيه دليل على أنه يجوز للعالم أن يطرح على أصحابه ما يختبر به علمهم أه

وقال ابن حجر رحمه الله : " وفي هذا الحديث من الفوائد غير ما تقدم امتحان العالم أذهان الطلبة بما يخفى مع بيانه لهم إن لم يفهموه، وفيه التحريض على الفهم في العلم، وقد بوب عليه المؤلف " باب الفهم في العلم". وفيه استحباب الحياء ما لم يؤد إلى تفويت مصلحة، ولهذا تمنى عمر أن يكون ابنه لم يسكت ٦٢٦

رُوي لفظ (مثل) بكسر الميم وسكون الثاء ، كما روي (مثلُ المسلم) بفتح الميم وفتح الثاء ، وكلاهما بمعنى واحد . قال الجوهرى في ((الصحاح)) : ((مثلُ الشيءِ ، ومثلهُ : كلمةٌ تسوية ، كما يقال : شَبَّهُهُ وشَبَّهَهُ بمعنى واحد)). وجاء في بعض روايات البخاري ومسلم : ((مثلها كمثال المؤمن)). ووجه تشبيه النخلة بالمسلم أو المؤمن قائمٌ من جهات كثيرة ، وذلك في أنها تُعدُّ أشرفَ الشجرِ وأعلاها مرتبة ، وفي كثرة خيرها ، ودوام ظلِّها ، وطيب ثمرها ، ووجوده على الدوام ، فإنه من حين يُطلَعُ ثمرها لا يزال يؤكل أنواعاً حتى يُجدَّ ثَمراً ويُقطع .

وإذا يبست النخلة يُتخذ منها منافع كثيرة ، فخشبها ، وورقها ، وأغصانها ، تُستعمل جذوعاً وخطباً وعصياً وحبالاً ومخاصير وأواني وغير ذلك . ثم آخر ذلك . ثم آخر شيء

٦٢٣ أي تُعطي ثمرها كل وقت أفتته الله تعالى لذلك الثمر ، بإرادة خالقها سبحانه .

٦٢٤ - صحيح البخاري - المكثر - (٤٦٩٨) .

٦٢٥ - شرح السنة . (٣٠٨/١) .

٦٢٦ - فتح الباري لابن حجر - (١ / ١٤٦) .

يُنْتَفَعُ به منها هو نَوَاهَا ، فإنه يُتَّخَذُ عَلْفًا لِلْإِبِلِ .

أما جَمَالُ نَبَاتِهَا وورَقِهَا ، وحُسْنُ حَلِقَتِهَا وثَمَرِهَا ، وفارغُ طولِهَا وانبساطِهَا ، ودوامُ خُضْرَةِ أوراقِهَا ، وتَمَاسُكُ جَذْعِهَا أن تَلْعَبَ به الرياحُ والاعاصيرُ ، وكرِيمُ ظِلِّهَا وفَيْئِهَا ، لمن كان في جزيرة العرب : فمَنافعُ مشهودة ، ومُتَعٌ متكاثرَةٌ معروفةٌ محمودة . وقد مدَحَهَا اللهُ في القرآنِ بآياتٍ كثيرةٍ أيما مدَحٍ .

وكذلك المسلم أو المؤمنُ كلُّه خيرٌ ونَفْعٌ ، وبركتهُ عامَّةٌ في جميعِ الاحوالِ ، ونفعُهُ مستمرٌ له ولغيره حتى بعد موته . فهو ذو عَمَلٍ صالحٍ ، وقولٍ حسنٍ ، كثيرُ الطاعاتِ على ألوامِها ، ما بين صائمٍ ، ومُصَلٍّ ، وتالٍ للقرآنِ ، وذاكِرٍ لله ، ومُذَكِّرٍ به ، ومُتَصَدِّقٍ ، وأمرٍ بالمعروفِ ، وناهٍ عن المنكرِ .

يُخَالِطُ الناسَ وَيَصْبِرُ على أذاهم ، أَلِفٌ مألوفٌ ، يَنفَعُ ولا يَضُرُّ ، جميلُ المَظْهَرِ والمَخْبَرِ ، مَكَارِمُ أخلاقِهِ مبدولةٌ للناسِ ، يُعْطِي ولا يَمْنَعُ ، ويؤَثِّرُ ولا يَطْمَعُ ، لا يَزِيدُهُ طولُ الأيامِ إلا بُسُوقًا وارتفاعًا عن الدنيا ، ولا تَجِدُ فِيهِ الشَّدَائِدُ والأهوالُ إلا رُسُوحًا على الحقِّ وثباتًا عليه ، وسُمُومًا إلى الخيرِ والنفعِ ، وشُفُوفًا عن السَّافِسِ .

عَمَلُهُ صاعِدٌ إلى رَبِّهِ بالقبولِ والرضوانِ ، إن جالستَهُ نَفَعَكَ ، وإن شاركتَهُ نَفَعَكَ ، وإن صاحبتَهُ نَفَعَكَ ، وإن شاورته نَفَعَكَ ، وكلُّ شأنٍ من شؤونه مَنفَعَةٌ ، وما يَصْدُرُ عنه من العلومِ فهو قُوَّةٌ للأرواحِ والقلوبِ ، لا يزالُ مستورا بدينِهِ ، لا يَعْرِى من لباسِ التقوى ، ولا يَنْقَطِعُ عملُهُ في غِنَى أو فقرٍ ، ولا في صِحَّةٍ أو مرضٍ .

بل لا يَنْقَطِعُ عملُهُ حتى بعد موته ، إذا نَظَرَ من حياتِهِ لآخرته ، واغتنمَ من يومِهِ لَعَدِهِ ، يُنْتَفَعُ بكلِّ ما يَصْدُرُ عنه حَيًّا وميتًا ، إذ مَبَعَتْ تُصَرِّفَاتِهِ كُلُّهَا الإيمانُ باللهِ ، والنفعُ لعبادِ اللهِ ، سبحانَ اللهُ ما أعظَمَ المؤمنُ!؟^{٦٢٧}

وهو حديثٌ جليلٌ القدرِ ، غزيرُ العلمِ ، كبيرُ الصلَةِ بالتعليمِ وأسبابِهِ وقد جَمَعَتْ رِوَايَاتُهُ من تلكِ الكتبِ أيضًا ، وشرحتُهُ مستقلاً في محاضرةٍ عامَّةٍ ، ألقيتها في الرباطِ بالمغربِ

٦٢٧ - الرسول المعلم ﷺ وأساليبه في التعليم لأبي غدة - (١ / ٨٣)

الأقصى في رمضان سنة ١٣٨٧ ، بدعوة من عاهل المغرب الحسن الثاني ، أرجو من الله تعالى تيسير نشرها للناس .

وقد رأيت فيما تقدّم أن الإمام البخاري رحمه الله تعالى رواه في ((صحيحه)) في أحد عشر موضعاً .

قال العلامة الأريب الأديب والداعية الكبير الشيخ أبو الحسن الحسني الندوي رحمه الله تعالى ، في (تقديمه) لكتاب ((الأبواب والتراجم للبخاري)) للشيخ الحافظ المحدث الكبير مولاي محمد زكريا الكاندهلوي رحمه الله تعالى :

((اشتهر بين العلماء أن فقه البخاري في (تراجم صحيحه) ، ولتنوع مقاصد الإمام البخاري ، وبُعد مراميه ، وفرط ذكائه ، وحادّة ذهنه ، وتعمّقه في فهم الحديث ، وحرصه على الاستفادة والإفادة منه أكبر استفادة ممكنة : أوردَ الحديثَ الواحدَ في مواضع كثيرة في أبواب متنوّعة العنوّان ، والمعنى ، والموضوع ، فهو كَنخلة حريصة تَوّاقة ، تَجتهدُ أن تَنشربَ من الزهرة آخرَ قطرةٍ من الرّحيق ، ثم تُحوّلُها إلى عَسَلٍ مُصَفّى فيه شفاء للناس .
وشأن الإمام البخاري مع الحديث النبوي الصحيح : شأنُ العاشقِ الصادق ، والمحَبِّ الوامق ، مع الحبيب الذي أسبغ الله عليه نعمة الجمال والكمال ، وكساه ثوباً من الرّوعة والجلال ، فهو لا يكاد يَمألاً عينيه منه ، وهو كلما نَظَرَ إليه اكتشَفَ جديداً من آيات جماله ، فازداد افتتاحاً وهياماً ، ورأى جماله يتجدّد في كل حين .

ولذلك نرى الإمام البخاري ، لا يكاد يشبع من استخراج المسائل ، واستنباط الفوائد ، والتزول إلى أعماق الحديث ، والتقاط الدرر منه ، والخروج على قرائته بها ، حتى يذُكُرَ حديثاً واحداً أكثر من عشرين مرة .

وقد روى (حديثَ بَريرةَ عن عائشة) أكثر من اثنتين وعشرين مرة ، واستخرج منه أحكاماً وفوائد جديدة .

وروى (حديث جابر قال : كنتُ مع النبي ﷺ في غزوة ، فأبطأ بي جملي وأعيأ ...) الحديث ، أكثر من عشرين مرة .

وروى (حديث عائشة أن النبي ﷺ اشترى طعاماً من يهودي إلى أجل ، ورهنه درعاً من حديد) في أحد عشر موضعاً ، وعقد له أبواباً وتراجم لها .

وروى حديث ابن عمر : إن من الشجر شجرة لا يسقط ورقها ... الحديث في أحد عشر موضعاً واستخراج منها فوائد جديدة .

وسر ذلك أن الإمام البخاري لا يقتصر على ما يتبادر إليه الذهن من الأحكام الفقهية المستخرجة من الاحاديث ، شأن أقرانه ومن سبقه من المؤلفين في علم الحديث والفقه ، بل يستخرج من الاحاديث فوائد علمية وعمليّة ، لا تدخل تحت باب من أبواب الفقه المعروفة ، رحمه الله تعالى)) . انتهى ملخصاً

وأشير هنا إلى جل ما يؤخذ من هذا الحديث الشريف من الأمور التعليمية :

استحباب لقاء العالم المسألة على أصحابه ، لِيختبر أفهامهم ، ويُرغبهم في الفكر والاعتناء ، مع بيانه لهم ما خفي عليهم إن لم يفهموه .

التحريض على الفهم في العلم .

ضرب الأمثال والأشباه ، لزيادة الإفهام وتصوير المعاني لترسخ في الذهن ، ولتحديد الفكر في النظر في حكم الحادثة .

أن تشبيه الشيء بالشيء ، لا يلزم منه أن يكون نظيره من جميع وجوهه ، فإن المؤمن لا يُماثلُه شيء من الجمادات ولا يُعادله .

استحباب الحياء ما لم يؤدّ إلى تفويت مصلحة ، ولهذا تمتى عمر أن يكون ابنه لم يسكت . توقير الكبير ، وتقديم الصغير أباه في القول ، وأنه لا يُيادِرُه بما فهمه ، وإن ظن أنه الصواب .

أن العالم الكبير قد يخفى عليه بعض ما يدركه من هو دونه ، لأن العلم مواهب ، والله يؤتي فضله من يشاء .

ما استدلّ به الإمام مالك رضي الله عنه ، على أن الخواطر التي تقع في القلب ، من محبة الشاء على أعمال الخير ، لا يُقدح فيها إذا كان أصلها لله تعالى وذلك مُستفاد من تمسي

سيدنا عمر رضي الله عنه أن يكون ابنه قد قال ما فهمه ووقع في نفسه من الصواب .
ووجهه تمّني عمر رضي الله عنه : ما طبع الإنسان عليه من محبة الخير لنفسه ولو كده ،
ولتظهر فضيلة الولد في فهم من صغره ، وليزداد من النبي ﷺ حُظوة ، ولعله كان يرجو
أن يدعو له رسول الله ﷺ إذ ذاك بالفهم ، كما دعا ﷺ لعبد الله بن عباس ، لما أذن إليه
الماء إلى بيت الخلاء ، من تلقاء نفسه دون سابق إشارة منه ﷺ ، فقال : ((اللهم فقّهه في
الدين وعلمه التأويل)) . فكان رضي الله عنه كذلك .

فرح الرجل بإصابة ولده وتوفيقه للصواب .
الإشارة إلى حقارة الدنيا في عين عمر رضي الله عنه ، لأنه قابل فهم ابنه لمسألة واحدة
بجُمُر النَّعَم كما جاء في رواية ، مع عظم قدرها وغلاء ثمنها .
أنه لا يُكره للولد أن يُجيب بما عرّف في حضرة أبيه ، وإن لم يعرفه الأب ، وليس في
ذلك إساءة أدب عليه .

ما كان عليه الصحابة رضي الله عنهم من الحياء من أكابره وأجلّائهم ، وإمساكهم عن
الكلام بين أيديهم .

وقد أورد الإمام ابن فرحون هذا الحديث الشريف في كتابه : ((دُرّة العوّاص في مُحاضرة
الخوّاص)) وهو المعروف بالأغاز ابن فرحون ، ثم قال : ((قال العلماء : وفي هذا الحديث
دليل على أنه ينبغي للعالم أن يُميّز أصحابه بالأغاز المسائل العويصات عليهم ، ليختبر
أذهانهم ، في كشف المعضلات وإيضاح المشكّلات .

وهذا النوع سمّته الفقهاء : الألغاز ، وأهل الفرائض سمّوه : المعاياة ، والنحاة يُسمّونه :
الأحاجي ، وقد ألف العلماء في ذلك تصانيف عديدة)) .^{٦٢٨}

فعلى المعلم أن يحسن اختيار المسائل التي يطرحها على طلابه، وكذلك له أن يسمح
بالمناقشة بين الطلاب والإدلاء بالأراء ألا ترى إلى قوله : (فوقع الناس في شجر البوادي)
أن ذلك مشعر بأن الجميع قد ذهبوا في تحليل هذه المعضلة كل مذهب . قال الحافظ :

^{٦٢٨} - انتهى من ((الترايب الإدارية)) ٢ : ٢٣٢ للشيخ محدث المغرب عبد الحي الكتاني رحمه الله تعالى . . .

قوله: "فوقع الناس" أي ذهبت أفكارهم في أشجار البادية، فجعل كل منهم يفسرها بنوع من الأنواع وذهلوا عن النخلة^{٦٢٩}.

والتأمل في المسألة التي طرحها النبي ﷺ عليهم، يجد أنها قد حفزت هممهم، وبعثتهم على التفكير في الحل، وتلهفت أنفسهم لمعرفة الجواب الصحيح من رسول الله ﷺ لما عجزوا عن حله .

أيضاً من الأمور المهمة التي يحسن التفطن لها، أن تكون هذه المسائل توصل فكرة معينة أو ترسخ مفهوماً معيناً لدى الطلاب. ولك أن تسأل ما وجه الشبه بين النخلة وبين المسلم، أو ما هي الفائدة المستفادة من هذا السؤال، يبين ذلك الحافظ ابن حجر بقوله: " وبركة النخلة موجودة في جميع أجزائها، مستمرة في جميع أحوالها، فمن حين تطلع إلى أن تيبس تؤكل أنواعاً، ثم بعد ذلك ينتفع بجميع أجزائها، حتى النوى في علف الدواب والليف في الحبال وغير ذلك مما لا يخفى، وكذلك بركة المسلم عامة في جميع الأحوال، ونفعه مستمر له ولغيره حتى بعد موته "٦٣٠.

وهذه الطريقة نافعة جداً إذا أحسن استخدامها واستغلالها، فعلى المعلم أن يتعد عن صعاب المسائل، وأن لا يكون همه تعجيز المتعلمين وإفحامهم، بل عليه أن يقرب لهم المسألة المطروحة عليهم بقرائن الأحوال وغيرها من الوسائل، لكي تكون عوناً لهم في الاهتداء إلى الجواب الصحيح، ويدل على ذلك أن الرسول ﷺ عندما طرح عليهم هذه المسألة كان في يديه حمار، ففي إحدى روايات هذا الحديث، عَنْ مُجَاهِدٍ قَالَ صَحِبْتُ ابْنَ عَمْرِو بْنِ عَبْدِ الْمَدِينَةِ فَلَمْ أَسْمَعْهُ يُحَدِّثُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - إِلَّا حَدِيثًا وَاحِدًا، قَالَ: كُنَّا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ - فَأَتَى بِحِمَارٍ فَقَالَ: « إِنَّ مِنَ الشَّجَرِ شَجْرَةً مِثْلُهَا كَمِثْلِ الْمُسْلِمِ ». فَأَرَدْتُ أَنْ أَقُولَ هِيَ النَّخْلَةُ، فَإِذَا أَنَا أَصْغَرُ الْقَوْمِ فَسَكَتُ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ - : « هِيَ النَّخْلَةُ »^{٦٣١}

فابن عمر رضي الله عنهما فهم المراد عندما رأى الحمار في يدي رسول الله ﷺ، ولم يمنعه

٦٢٩ - فتح الباري لابن حجر - (١ / ١٤٦)

٦٣٠ - فتح الباري لابن حجر - (١ / ١٤٥)

٦٣١ - صحيح البخاري - المكثر - (٧٢)

من الإجابة على السؤال إلا صغر سنّه، قال الحافظ ابن حجر : " وفيه إشارة إلى أن الملغز له ينبغي أن يتفطن لقرائن الأحوال الواقعة عند السؤال، وأن الملغز ينبغي له أن لا يبالغ في التعمية بحيث لا يجعل للملغز بابا يدخل منه، بل كلما قربه كان أوقع في نفس سامعه. " ٦٣٢

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : أَتَدْرُونَ مَنْ الْمُفْلِسُ ؟ قَالُوا : الْمُفْلِسُ فِينَا يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ لَا دَرَاهِمَ لَهُ، وَلَا مَتَاعَ لَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : الْمُفْلِسُ مِنْ أُمَّتِي مَنْ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاتِهِ وَصِيَامِهِ وَزَكَاتِهِ، وَقَدْ شَتَمَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا، فَيَقْعُدُ فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنَيْتَ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُعْطِيَ مَا عَلَيْهِ أَخَذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ. " ٦٣٣

" الاستفهام هنا للاستعلام الذي يراد به الإخبار ؛ لأن المستفهم تارة يستفهم عن جهل ولا يدري فيسأل غيره، وتارة يستفهم لتبنيه المخاطب لما يلقي إليه أو لتقرير الحكم، فمثال الثاني حديث سعد بن أبي وقاص، أنه سُئِلَ عَنْ بَيْعِ الْبَيْضَاءِ، بِالسُّلْتِ، فَقَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، سُئِلَ عَنْ بَيْعِ الرُّطْبِ، بِالتَّمْرِ، فَقَالَ : أَلَيْسَ يَنْقُصُ الرُّطْبُ، إِذَا حَفَّ ؟ قَالُوا : نَعَمْ، قَالَ : فَلَا إِذَا. " ٦٣٤

أما في هذا الحديث فسيخبر الصحابة عن أمر لا يعلمونه، أو لا يعلمون مراد النبي ﷺ به، قال: أتدرون من المفلس ؟ قالوا: يا رسول الله، المفلس فينا من لا درهم عنده ولا متاع، يعني ليس عنده نقود ولا عنده متاع، أي: أعيان من المال، أي: إن المفلس يعني الفقير، وهذا هو المعروف من المفلس بين الناس، فإذا قالوا: من المفلس ؟ يعني الذي ليس عنده فلوس، ولا عنده متاع، بل هو فقير .

فقال النبي ﷺ : المفلس من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة وفي رواية: من يأتي بحسنات مثل الجبال أي يأتي بحسنات عظيمة، فهو عنده ثروة من الحسنات لكنه يأتي وقد

٦٣٢ - فتح الباري لابن حجر - (١ / ١٤٦)

٦٣٣ - صحيح ابن حبان - (١٠ / ٢٥٨) (٤٤١١) وصحيح مسلم - المكثر - (٦٧٤٤)

٦٣٤ - صحيح ابن حبان - (١١ / ٣٧٢) (٤٩٩٧) حسن

شتم هذا، وضرب هذا، وأخذ مال هذا، وسفك دم هذا، أي: اعتدى على الناس بأنواع الاعتداء، والناس يريدون أخذ حقهم، ما لا يأخذونه في الدنيا يأخذونه في الآخرة، فيقتص لهم منه، فيأخذ هذا من حسناته وهذا من حسناته، وهذا من حسناته بالعدل والقصاص بالحق، فإن فنيت حسناته أخذ من سيئاتهم فطرحت عليه ثم طرح في النار، والعياذ بالله .

تنقصي حسناته، ثواب الصلاة ينتهي، وثواب الزكاة ينتهي، وثواب الصيام ينتهي، كل ما عنده من حسناته ينتهي، فيؤخذ من سيئاتهم ويطرح عليه، ثم يطرح في النار، والعياذ بالله وصدق النبي ﷺ فإن هذا هو المفلس حقاً، أما مفلس الدنيا فإن الدنيا تأتي وتذهب، ربما يكون الإنسان فقيراً فيمسى غنياً، أو بالعكس، لكن الإفلاس كل الإفلاس أن يفلس الإنسان من حسناته التي تعب عليها، وكانت أمامه يوم القيامة يشاهدها، ثم تؤخذ منه لفلان وفلان .

وفي هذا: التحذير من العدوان على الخلق، وأنه يجب على الإنسان أن يؤدي ما للناس في حياته قبل مماته، حتى يكون القصاص في الدنيا مما يستطيع، أما في الآخرة فليس هناك درهم ولا دينار حتى يفدي نفسه، ليس فيه إلا الحسنات، يقول الرسول ﷺ: فيأخذ هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإذا فنيت حسناته أخذ من سيئاتهم ثم طرح عليه، وطرح في النار .

ولكن هذا الحديث لا يعني أنه يخلد في النار، بل يعذب بقدر ما حصل عليه من سيئات الغير التي طرحت عليه، ثم بعد ذلك مآله إلى الجنة؛ لأن المؤمن لا يخلد في النار، ولكن النار حرها شديد، لا يصبر الإنسان على النار ولو للحظة واحدة، هذا على نار الدنيا فضلاً عن نار الآخرة، أجازني الله وإياكم منها^{٦٣٥}

الخلاصة:

- (١) أهمية هذه الطريقة في تقوية الفهم، وتوسيع المدارك .
- (٢) الاستفادة من هذه المسائل في ترسيخ معاني معينة في الأذهان

^{٦٣٥} - شرح رياض الصالحين لابن عثيمين - (٢ / ٢٦٤)

(٣) تقريب المسألة المطروحة بقرائن وأحوال، تساعد في الوصول إلى الحل .

(٤) بيان الجواب الصحيح عند العجز عن الإتيان بالجواب .

[١٧] حثُّ المعلم طلابه على طرح الأسئلة :

إن الأسئلة تزيل كثيراً من الخلط أو الوهم الذي قد يقع فيه الطالب، فعند عرض المعلم لمادته شرحاً، فإنه لا يتبين له ما إذا كانوا قد فهموا منه مادته كما ينبغي أم لا . وطريق معرفة ذلك يكون بسؤالهم عن بعض ما تم عرضه، وأفضل من ذلك أن يتدبّر الطالب سؤال معلمه عما أشكل عليه. والسؤال يوضح المعاني التي قصر فهم الطالب عن عقلها وتدبرها، ويرسخ الإجابة في ذهن السائل لكونه هو الذي ابتدر السؤال، وهو مزيل للجهل كما قال ﷺ: (فَإِذَا شَفَاءَ الْعِيِّ السُّؤَالُ) ^{٦٣٦} والعيا بكسر العين وتشديد الياء هو التحير في الكلام وعدم الضبط . كذا في الصحاح. وفي النهاية ولسان العرب العيا بكسر العين الجهل، والمعنى أن الجهل داء وشفاءه السؤال والتعلم ^{٦٣٧} . ومن أجل ذلك قلنا إنه يتوجه على المعلم أن يحث طلابه على طرح الأسئلة عليه . وقد قال بذلك معلمنا الأول صلوات الله وسلامه عليه إلى يوم الدين :

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ سَأَلَ حَتَّى أَحْفَوْهُ بِالْمَسْأَلَةِ، فَقَالَ : سَأَلُونِي، فَوَاللَّهِ لَا تَسْأَلُونِي عَنْ شَيْءٍ إِلَّا بَيَّنَّتُهُ لَكُمْ. قَالَ : فَأَرَمَ الْقَوْمَ، وَخَشُوا أَنْ يَكُونَ بَيْنَ يَدَيْ أَمْرٍ عَظِيمٍ. قَالَ أَنَسٌ : فَجَعَلْنَا نَلْتَفِتُ يَمِينًا وَشِمَالًا، فَلَا أَرَى كُلَّ رَجُلٍ إِلَّا قَدْ دَسَّ رَأْسَهُ فِي ثُوبِهِ يَبْكِي، وَجَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : سَأَلُونِي، فَوَاللَّهِ لَا تَسْأَلُونِي عَنْ شَيْءٍ إِلَّا بَيَّنَّتُهُ لَكُمْ، فَقَامَ رَجُلٌ مِنْ نَاحِيَةِ الْمَسْجِدِ، فَقَالَ : يَا نَبِيَّ اللَّهِ مَنْ أَبِي ؟ قَالَ : أَبُوكَ حُدُافَةَ، فَقَامَ

^{٦٣٦} - عَنْ جَابِرٍ قَالَ خَرَجْنَا فِي سَفَرٍ فَأَصَابَ رَجُلًا مِمَّا حَجَرَ فَشَجَّهَ فِي رَأْسِهِ ثُمَّ احْتَلَمَ فَسَأَلَ أَصْحَابَهُ فَقَالَ هَلْ تَجِدُونَ لِي رُخْصَةً فِي التَّيْمِ فَقَالُوا مَا نَجِدُ لَكَ رُخْصَةً وَأَنْتَ تَقْدِرُ عَلَى الْمَاءِ فَاغْتَسَلَ فَمَاتَ فَلَمَّا قَدِمْنَا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ - أَخْبَرَ بِذَلِكَ فَقَالَ « قَتَلُوهُ قَتَلَهُمُ اللَّهُ أَلَا سَأَلُوا إِذْ لَمْ يَعْلَمُوا فَإِنَّمَا شَفَاءُ الْعِيِّ السُّؤَالُ إِنَّمَا كَانَ يَكْفِيهِ أَنْ يَتَيَمَّمَ وَيُعْصِرَ ». أَوْ « يَعْصِبَ ». شَكَ مُوسَى « عَلَى جُرْحِهِ خِرْقَةً ثُمَّ يَمْسَحُ عَلَيْهَا وَيُعْسِلُ سَائِرَ جَسَدِهِ ». سنن أبي داود -

المكتر - (٣٣٦) حسن

^{٦٣٧} عون المعبود شرح سنن أبي داود (ح ٣٣٢)

عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ رَضِينَا بِاللَّهِ رَبًّا، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ ﷺ رَسُولًا، نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّ الْفِتَنِ. فَقَالَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ: مَا رَأَيْتُمْ مِنْ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ كَالْيَوْمِ قَطُّ، إِنَّهَا صَوَّرَتْ لِي الْجَنَّةَ وَالنَّارَ، فَأَبْصَرْتُهُمَا دُونَ ذَلِكَ الْحَائِطِ. ٦٣٨

وَعَنِ الرَّهْرِيِّ أَخْبَرَنِي أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ النَّبِيَّ - ﷺ - خَرَجَ حِينَ زَاغَتِ الشَّمْسُ فَصَلَّى الظُّهْرَ فَلَمَّا سَلَّمَ قَامَ عَلَى الْمَنْبَرِ فَذَكَرَ السَّاعَةَ، وَذَكَرَ أَنَّ بَيْنَ يَدَيْهَا أُمُورًا عَظِيمًا ٦٣٩ ثُمَّ قَالَ « مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُسْأَلَ عَنْ شَيْءٍ فَلْيَسْأَلْ عَنْهُ، فَوَاللَّهِ لَا تَسْأَلُونِي عَنْ شَيْءٍ إِلَّا أَخْبَرْتُكُمْ بِهِ، مَا دُمْتُ فِي مَقَامِي هَذَا » ٦٤٠. قَالَ أَنَسٌ فَأَكْثَرَ النَّاسُ الْبُكَاءَ ٦٤١، وَأَكْثَرَ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - أَنْ يَقُولَ « سَلُونِي ». فَقَالَ أَنَسٌ فَقَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ فَقَالَ أَيْنَ مَدْخَلِي يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ « النَّارُ ». فَقَامَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ حُدَافَةَ ٦٤٢ فَقَالَ مَنْ أَبِي

٦٣٨ - صحيح ابن حبان - (١٤ / ٣٣٨) (٦٤٢٩) وصحيح مسلم - المكثر - (٦٢٧٢)

أحفوا: أكثروا في الإلحاح والمبالغة فيه - أرم: سكت ولم يجب - يلاحى: يُخاصم ويُسب

٦٣٩ - قوله: (فذكر أموراً عظيماً)، الظاهر أنها من أمور الساعة وما يتقدمها أو يصحبها من أهوال عظام.

٦٤٠ فسألوه وأكثروا عليه الأسئلة، وفيها ما يُشبهه التعنت أو الشك، كسؤال أحدهم: أين نافي؟! وسؤال بعضهم عن الحج: أي كل عام؟! وسؤال بعضهم: أين أنا؟ قال: في النار. ونحو هذه الأسئلة، فغضب النبي ﷺ، وغضبُ النبي ﷺ لا يخرج فيه فداه أبي وأمي عن الحق، فإنه لا يقول إلا الحق في الرضا والغضب.

٦٤١ لخشيتهم أن تنزل بهم العقوبة بسبب ذلك فيكفوا بكاءً شديداً.

٦٤٢ - كان عبد الله بن حذافة رضي الله عنه أحد العقلاء النبلاء والمجاهدين الصناديد الشجعان من الصحابة الكرام، وهو أبو حذافة أو أبو حذيفة عبد الله بن حذافة بن قيس بن عدي القرشي السهمي. وأمه بنت حراثان من بني الحارث بن عبد مناة من السابقين الأولين.

أسلم عبد الله قديماً، وكان من المهاجرين الأولين، هاجر إلى أرض الحبشة الهجرة الثانية مع أخيه قيس بن حذافة، ويقال: إنه شهّد بدرًا، وجعله النبي ﷺ أميراً على بعض البعوث، وكان فيه فطانة وحصافة ودعابة، وأرسله النبي ﷺ بكتابه رسولاً وسفيراً إلى كسرى يدعو إلى الإسلام، فمزق كسرى الكتاب، فقال رسول الله ﷺ: اللهم مزق ملكه، وقال: إذا مات كسرى فلا كسرى بعده، فسلب الله على كسرى ابنه شيرويه، فقتله ليلة الثلاثاء لعشر مضين من جمادى سنة سبع.

ووجه عمر جيشاً إلى الروم سنة ١٩، وفيهم عبد الله بن حذافة، فأسرته الروم في بعض المعارك، فأرادوه على الكفر فأبي، فقال له ملك الروم: تنصّر أشركتك في ملكي، فأبي، فأمر به فصلب وأمر برميّه بالسهم فلم يجز، فأُنزل وأمر يقدر فصبّ فيها الماء وأغلي عليه، وأمر بإلقاء أسير فيها، فإذا عظامه تلوح، فأمر بإلقائه إن لم ينتصر، فلما ذهبوا به بكى.

قال الملك: ردّوه، فقال: لم بكيت؟ قال: تمّنت أن لي مئة نفس تلقى هكذا في الله، فعجب فقال: قبّل رأسي وأطلقك، قال: لا، قال: قبّل رأسي وأطلقك ومن معك من المسلمين، فقبّل رأسه، ففعل وأطلق معه ثمانين أسيراً،

يَا رَسُولَ اللَّهِ ^{٦٤٣} قَالَ « أَبُوكَ حُدَافَةُ ». قَالَ ثُمَّ أَكْثَرَ أَنْ يَقُولَ « سَلُونِي سَلُونِي ». فَبَرَكَ عُمَرُ عَلَى رُكْبَتَيْهِ فَقَالَ رَضِينَا بِاللَّهِ رَبًّا، وَبِالإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ ﷺ - رَسُولًا ^{٦٤٤}. قَالَ فَسَكَتَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - حِينَ قَالَ عُمَرُ ذَلِكَ، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - « وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ عُرِضْتُ عَلَى الْجَنَّةِ وَالنَّارِ أَنْفًا فِي عُرْضِ هَذَا الْحَايِطِ ^{٦٤٥} وَأَنَا أَصْلِي، فَلَمْ أَرَ كَالْيَوْمِ فِي الْخَيْرِ وَالشَّرِّ ». ^{٦٤٦}

وَعَنْ ابْنِ شَهَابٍ أَخْبَرَنِي أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ - خَرَجَ حِينَ زَاغَتِ الشَّمْسُ فَصَلَّى لَهُمْ صَلَاةَ الظُّهْرِ فَلَمَّا سَلَّمَ قَامَ عَلَى الْمَنْبَرِ فَذَكَرَ السَّاعَةَ وَذَكَرَ أَنَّ قَبْلَهَا أُمُورًا عَظِيمًا ثُمَّ قَالَ « مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَسْأَلَنِي عَنْ شَيْءٍ فَلْيَسْأَلْنِي عَنْهُ فَوَاللَّهِ لَا تَسْأَلُونَنِي عَنْ شَيْءٍ إِلَّا أَخْبَرْتُكُمْ بِهِ مَا دُمْتُ فِي مَقَامِي هَذَا ». قَالَ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ فَأَكْثَرَ النَّاسُ الْبِكَاءَ حِينَ سَمِعُوا ذَلِكَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - وَأَكْثَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - أَنْ يَقُولَ « سَلُونِي ». فَقَامَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ حُدَافَةَ فَقَالَ مَنْ أَبِي يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ « أَبُوكَ حُدَافَةُ ». فَلَمَّا أَكْثَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - مِنْ أَنْ يَقُولَ « سَلُونِي ». بَرَكَ عُمَرُ فَقَالَ رَضِينَا بِاللَّهِ رَبًّا وَبِالإِسْلَامِ دِينًا وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولًا - قَالَ - فَسَكَتَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - حِينَ قَالَ عُمَرُ ذَلِكَ ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - « أَوْلَى وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَقَدْ عُرِضْتُ عَلَى الْجَنَّةِ وَالنَّارِ

فَقَدِمَ بِهِمْ عَلَى عُمَرَ ، فَقَالَ عُمَرُ : حَقَّ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ أَنْ يُقْبَلَ رَأْسَ عَبْدِ اللَّهِ ، وَإِنَّا أَبَدًا ففعلوا . وشهد عبد الله بن حذافة فتح مصر ، وودفن في مقبرتها في خلافة عثمان رضي الله عنهما .

^{٦٤٣} وَسَبَبُ سُؤَالِهِ النَّبِيَّ ﷺ بقوله : (من أبي يا رسول الله) : أَنَّهُ كَانَ إِذَا لَاحَى الرَّجَالَ أَي حَاصِمَ يُدْعَى لِغَيْرِ أَبِيهِ وَيُطْعَنُ فِي نَسَبِهِ عَلَى عَادَةِ أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ مِنَ الطَّعْنِ فِي الْإِنْسَابِ . كَمَا بَيَّنَّ هَذَا أَنَسٌ فِي الْحَدِيثِ نَفْسِهِ فِي رِوَايَةِ أُخْرَى عِنْدَ الْبُخَارِيِّ .

^{٦٤٤} قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ فِي ((فَتْحِ الْبَارِي)) ١٣ : ٢٧٠ : ((وَفِي مُرْسَلِ السُّدِّيِّ عِنْدَ الطَّبْرِيِّ فِي نَحْوِ هَذِهِ الْقِصَّةِ : فَقَامَ إِلَيْهِ عُمَرُ يُقْبَلُ رِجْلَهُ ، وَقَالَ : رَضِينَا بِاللَّهِ رَبًّا ، وَبِالإِسْلَامِ دِينًا ، وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولًا ، وَبِالْقُرْآنِ إِمَامًا ، فَاعْفُ عَنَّا اللَّهُ عَنكَ ، فَلَمْ يَزَلْ بِهِ حَتَّى رَضِيَ)).

^{٦٤٥} - أَي جَانِبِهِ أَوْ وَسْطِهِ .

^{٦٤٦} - صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ - الْمَكْتَبُ - (٧٢٩٤)

أَنفًا : فَعَلْتُ الشَّيْءَ أَنفًا ، أَي : الْآنَ . - الْخَنِينُ : بِالْحَاءِ الْمَعْجَمَةِ ، شَبِيهٌ بِالْبِكَاةِ مَعَ مِشَارَكَةِ فِي الصَّوْتِ مِنَ الْأَنْفِ . - عُرْضٌ : عُرِضَ الشَّيْءُ : جَانِبُهُ . - الْمَقَارَفَةُ : هِيَ هُنَا : الزُّنَا ، وَهِيَ فِي الْأَصْلِ : الْكَسْبُ وَالْعَمَلُ . - أَحْفُوهُ : الْإِحْفَاءُ فِي السُّؤَالِ : الْاسْتِقْصَاءُ وَالْإِكْثَارُ . - أَرْمُوا : أَرَمَ الْإِنْسَانُ : إِذَا أَطْرَقَ سَاكِنًا مِنَ الْخَوْفِ . - رَهْبَةٌ : الرُّهْبَةُ : الْخَوْفُ وَالْفِرْعُ .

آنفاً^{٦٤٧} في عرض هذا الحائط فلم أر كاليوم في الخير والشر». قال ابن شهاب أخبرني عبيد الله بن عبد الله بن عتبة قال قالت أم عبد الله بن حذافة لعبد الله بن حذافة ما سمعتُ بأين قط أعق منك أمنت أن تكون أمك قد قارفت بعض ما تُقارِفُ نساء أهل الجاهلية فتفضحها على أعين الناس قال عبد الله بن حذافة والله لو ألحقني بعبد أسود للحقته.^{٦٤٨}

وفي هذا الحديث مراقبة الصحابة أحوال النبي ﷺ وشدة إشفاقهم إذا غضب، خشية أن يكون لأمر يعم فيعمهم، وإدلال عمر عليه، وجواز تقبيل رجل الرجل، وجواز الغضب في الموعظة، وبروك الطالب بين يدي من يستفيد منه، وكذا التابع بين يدي المتبوع إذا سأله في حاجة، ومشروعية التعوذ من الفتن عند وجود شيء قد يظهر منه قرينة وقوعها، واستعمال المزاجحة في الدعاء في قوله: "اعف عفا الله عنك" وإلا فالنبي ﷺ معفو عنه قبل ذلك.^{٦٤٩}

وعن أبي هريرة قال قال رسول الله - ﷺ - « سلوني » فهأبوه أن يسألوه. فجاء رجل فجلس عند ركبتيه. فقال يا رسول الله ما الإسلام قال « لا تُشرك بالله شيئاً وتُقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان ». قال صدقت. قال يا رسول الله ما الإيمان قال « أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه وألقائه ورُسُله وتؤمن بالبعث وتؤمن بالقدر كله ». قال صدقت. قال يا رسول الله ما الإحسان قال « أن تحشى الله كأنك تراه فإِنَّكَ إنْ لَا تُكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ ». قال صدقت. قال يا رسول الله متى تقوم الساعة قال « ما المسئول عنها بأعلم من السائل وسأحدثك عن أشراطها إذا رأيت المرأة تلد ربها فذاك من أشراطها وإذا رأيت الحفافة العرأة الصم البكم ملوك الأرض فذاك من أشراطها وإذا رأيت رعاء البهائم يتطاولون في البنيان فذاك من أشراطها في خمس من الغيب لا يعلمهن إلا الله ». ثم قرأ (إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام وما تدري نفس

^{٦٤٧} معنى (آنفاً) الآن .

^{٦٤٨} - صحيح مسلم - المكثر - (٦٢٧٠)

أي لانتسبت إليه بالبنوة . وفهمت من قوله : (لو ألحقني بعبد أسود للحقته) أنه كان أبيض اللون ، لأن الذي يقابل الأسود : الأبيض ، والمراد من كلمته هذه أنه لو نسبي إلى نقيض ما أنا عليه وما لا أنسبُ إليه لانتسبت . فالكلمة على طريق المجاز والمبالغة في الترام قوله ﷺ وشديد صحته عنده .

^{٦٤٩} - فتح الباري لابن حجر - (١٣ / ٢٧٠)

مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ قَالَ ثُمَّ قَامَ الرَّجُلُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - « رُدُّوهُ عَلَيَّ » فَالْتَمَسَ فَلَمْ يَجِدُوهُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - « هَذَا جَبْرِيلُ أَرَادَ أَنْ تَعْلَمُوا إِذْ لَمْ تَسْأَلُوا ». ٦٥٠

وَعَنْ شَهْرَ بْنِ حَوْشَبٍ، حَدَّثَنِي ابْنُ عَبَّاسٍ، قَالَ: لَمَّا حَضَرَتْ عَصَابَةَ مِنَ الْيَهُودِ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا، فَقَالُوا: يَا أَبَا الْقَاسِمِ، حَدَّثْنَا عَنْ خِلَالٍ نَسَأَلُكَ عَنْهَا لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا نَبِيُّ، قَالَ: "سَلُونِي عَمَّ شِئْتُمْ؟ وَلَكِنْ اجْعَلُوا ذِمَّةَ اللَّهِ وَمَا أَخَذَهُ يَعْقُوبُ عَلَى بَنِيهِ إِنْ أَنَا حَدَّثْتُكُمْ بِشَيْءٍ فَعَرَفْتُمُوهُ لَتَبَايَعُنِي عَلَى الْإِسْلَامِ. فَقَالُوا: فَكَذَلِكَ، قَالَ: فَسَلُونِي عَمَّ شِئْتُمْ. قَالُوا: أَخْبِرْنَا عَنِ الطَّعَامِ الَّذِي حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَةُ. قَالَ: فَأَنْشَدْتُكُمْ بِالَّذِي أَنْزَلَ التَّوْرَةَ عَلَى مُوسَى هَلْ تَعْلَمُونَ أَنَّ إِسْرَائِيلَ يَعْقُوبُ مَرِيضٌ مَرَضًا شَدِيدًا طَالَ سَقَمُهُ مِنْهُ، فَتَدْرَأَ لِلَّهِ نَذْرًا لَنْ شَفَاهُ مِنْ سَقَمِهِ لِيَحْرَمَنَّ مِنْ أَحَبِّ الشَّرَابِ إِلَيْهِ وَأَحَبِّ الطَّعَامِ إِلَيْهِ وَكَانَ أَحَبُّ الطَّعَامِ إِلَيْهِ لُحْمَانِ الْإِبِلِ وَأَحَبُّ الشَّرَابِ إِلَيْهِ الْبَنَانُ الْإِبِلِ. فَقَالُوا: اللَّهُمَّ نَعَمْ. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: اللَّهُمَّ اشْهَدْ عَلَيْهِمْ". ٦٥١

وَعَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيْبِ قَالَ: " مَا كَانَ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ يَقُولُ: سَلُونِي غَيْرَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ " ٦٥٢

وَعَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، قَالَ: إِنَّا لَعِنَدَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ فِي بَيْتِهِ، إِذْ قَالَ: سَلُونِي، فَقُلْتُ: أَبَا عَبَّاسٍ، جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ، بِالْكُوفَةِ رَجُلٌ قَاصٌّ يُقَالُ لَهُ: نَوْفٌ، يَزْعُمُ أَنَّهُ لَيْسَ مُوسَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَمَّا عَمْرُو بْنُ دِينَارٍ، فَقَالَ: كَذَبَ عَدُوُّ اللَّهِ، وَأَمَّا يَعْلَى بْنُ مُسْلِمٍ، فَقَالَ: قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ، حَدَّثَنِي أَبِيُّ بْنُ كَعْبٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: إِنْ مُوسَى رَسُولَ اللَّهِ ذَكَرَ النَّاسَ يَوْمًا حَتَّى، إِذَا فَاضَتْ الْعُيُونُ، وَرَقَّتِ الْقُلُوبُ، وَوَلَّى فَأَدْرَكَهُ رَجُلٌ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَلْ فِي الْأَرْضِ أَحَدٌ أَعْلَمُ مِنْكَ؟ قَالَ: لَا، قَالَ: فَعُتِبَ عَلَيْهِ، إِذْ لَمْ يَرُدَّ الْعِلْمَ إِلَى اللَّهِ، فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ: إِنْ لِي عَبْدًا أَعْلَمَ مِنْكَ، قَالَ: أَيُّ رَبِّ، وَأَيْنَ؟ قَالَ: مَجْمَعُ الْبَحْرَيْنِ، قَالَ: أَيُّ رَبِّ، اجْعَلْ لِي عِلْمًا أَعْلَمَ ذَلِكَ بِهِ، قَالَ لِي عَمْرُو: وَقَالَ: حَيْثُ يُفَارِقُكَ الْحُوتُ، وَقَالَ يَعْلَى: خُذْ حُوتًا مَيْتًا حَيْثُ يُنْفَخُ فِيهِ الرُّوحُ، فَأَخَذَ حُوتًا فَجَعَلَهُ فِي مَكْتَلٍ، قَالَ لِفَتَاهُ: لَا

٦٥٠ - صحيح مسلم - المكثر - (١٠٨)

٦٥١ - تفسير ابن أبي حاتم - (٣ / ٨٦) (٣٨٦٦) حسن

٦٥٢ - جامع بيان العلم (٥٢٦) صحيح

أَكْلُفَكَ إِلَّا أَنْ تُخْبِرَنِي حَيْثُ يُفَارِقُكَ الْحَوْتُ، قَالَ : مَا كَلَّفْتَنِي كَثِيرًا، فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى { إِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ } يُوشَعَ بْنِ نُونٍ، لَيْسَتْ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، قَالَ : فَبَيْنَا هُوَ فِي ظِلِّ صَخْرَةٍ فِي مَكَانٍ ثَرِيانٍ، إِذْ تَضَرَّبَ الْحَوْتُ وَمُوسَى نَائِمٌ، قَالَ فَتَاهُ : لَا أُوقِظُكَ، حَتَّى إِذَا اسْتَيْقَظَ، نَسِيَ أَنْ يُخْبِرَهُ، وَتَضَرَّبَ الْحَوْتُ حَتَّى دَخَلَ الْبَحْرَ، فَأَمْسَكَ اللَّهُ عَلَيْهِ جَرِيَةَ الْبَحْرِ، حَتَّى كَانَ أَثَرُهُ فِي حَجَرٍ، فَقَالَ لِي عَمْرُو : وَكَأَنَّ أَثَرَهُ فِي حَجَرٍ، وَحَلَّقَ إِنْهَامِيهِ، وَاللَّتَيْنِ تَلِيَانِهِمَا، { لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا }، قَالَ : قَدْ قَطَعَ اللَّهُ عَنَّكَ النَّصَبَ، لَيْسَتْ هَذِهِ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، فَأَخْبِرَهُ، فَرَجَعَا فَوَجَدَا خَضِرًا، فَقَالَ لِي عُثْمَانُ بْنُ أَبِي سُلَيْمَانَ : عَلَى طَنْفَسَةِ خَضِرَاءَ عَلَى كَبِدِ الْبَحْرِ، قَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ : مُسَجَّى ثَوْبُهُ، قَدْ جَعَلَ طَرَفُهُ تَحْتَ رِجْلَيْهِ، وَطَرَفُهُ تَحْتَ رَأْسِهِ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ مُوسَى، فَكَشَفَ عَنْ وَجْهِهِ، وَقَالَ : هَلْ بَارَضِكَ مِنْ سَلَامٍ ؟ مَنْ أَنْتَ ؟ قَالَ : أَنَا مُوسَى، قَالَ : مُوسَى بَنِي إِسْرَائِيلَ ؟ قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : فَمَا شَأْنُكَ ؟ قَالَ : جِئْتُ لَتُعَلِّمَنِي مِمَّا عَلَّمْتَ رُشْدًا قَالَ : أَمَا يَكْفِيكَ أَنْ أَنْبَأَ التَّوْرَةَ بِبَيْدِكَ، وَأَنَّ الْوَحْيَ يَأْتِيكَ، يَا مُوسَى، إِنَّ لِي عِلْمًا لَا يَنْبَغِي أَنْ تَعْلَمَهُ، وَإِنَّ لَكَ عِلْمًا لَا يَنْبَغِي أَنْ أَعْلَمَهُ، فَجَاءَ طَائِرٌ، فَأَخَذَ بِمَنْقَارِهِ، فَقَالَ : وَاللَّهِ مَا عَلِمِي وَعَلِمُكَ فِي عِلْمِ اللَّهِ إِلَّا كَمَا أَخَذَ هَذَا الطَّائِرُ بِمَنْقَارِهِ مِنَ الْبَحْرِ، حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ، وَجَدَا مَعَابِرَ صِغَارًا تَحْمِلُ أَهْلَ هَذَا السَّاحِلِ إِلَى هَذَا السَّاحِلِ عَرَفُوهُ، فَقَالُوا : عَبْدُ اللَّهِ الصَّالِحُ : فَقُلْنَا لِسَعِيدِ خَضِرٍ ؟ قَالَ : نَعَمْ، لَا يَحْمِلُونَهُ بِأَجْرٍ، فَخَرَقَهَا، وَوَتَدَّ فِيهَا وَتَدَا قَالَ مُوسَى : { أَخْرَقْتَهَا لَتُغْرَقَ أَهْلُهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا }، قَالَ مُجَاهِدٌ : نُكْرًا، قَالَ : { أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا }، وَكَانَتْ الْأُولَى نَسِيَانًا، وَالثَّانِيَةُ شَرْطًا، وَالثَّلَاثَةُ عَمْدًا، قَالَ : { لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا } فَلَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ، قَالَ يَعْلَى بْنُ مُسْلِمٍ : قَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ : وَجَدَا غُلَمَانًا يَلْعَبُونَ فَأَخَذَ غُلَامًا كَافِرًا كَانَ ظَرِيفًا، فَأَضْجَعَهُ، ثُمَّ ذَبَحَهُ بِالسَّكِّينِ، قَالَ : { أَقْتَلْتُ نَفْسًا زَكِيَّةً } لَمْ تَعْمَلْ بِالْحَنْثِ فَانْطَلَقَا، فَوَجَدَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقُضَ، فَأَقَامَهُ، قَالَ سَعِيدٌ : بِيَدِهِ هَكَذَا وَرَفَعَ يَدَهُ فَاسْتَقَامَ قَالَ يَعْلَى : فَحَسِبْتُ أَنَّ سَعِيدًا قَالَ : فَمَسَحَهُ بِيَدِهِ فَاسْتَقَامَ، قَالَ : { لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا }، قَالَ سَعِيدٌ : أَجْرًا نَأْكُلُهُ، قَالَ : وَكَانَ يَقْرَأُهَا { وَكَانَ وَرَاءَهُمْ }، وَكَانَ ابْنُ عَبَّاسٍ يَقْرَأُهَا، وَكَانَ أَمَامَهُمْ مَلِكٌ يَزْعُمُونَ عَنْ غَيْرِ سَعِيدٍ أَنَّهُ قَالَ : هَذَا الْعُلَامُ الْمَقْتُولُ يَزْعُمُونَ أَنَّ اسْمَهُ جَيْسُورٌ، قَالَ : يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَضَبًا، وَأَرَادَ إِذَا مَرَّتْ بِهِ أَنْ يَدْعَهَا لِعَيْبِهَا، فَإِذَا جَاوَزُوا، أَصْلَحُوهَا، فَانْتَفَعُوا بِهَا بَعْدَ، مِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ : سَدُّوْهَا بِقَارُورَةٍ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ : بِالْقَارِ وَكَانَ أَبَوَاهُ

مُؤْمِنِينَ، وَكَانَ كَافِرًا، فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا، فَيَحْمِلُهُمَا حُبَّهُ عَلَيَّ أَنْ يُتَابِعَاهُ
عَلَى دِينِهِ، فَأَرَدْنَا أَنْ يُبَدِّلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً، وَأَقْرَبَ رُحْمًا : هُمَا بِهِ أَرْحَمُ مِنْهُمَا
بِالْأَوَّلِ الَّذِي قَتَلَهُ حَضْرًا. ٦٥٣

وَعَنْ كَثِيرِ بْنِ كَثِيرٍ، قَالَ : كُنْتُ أَنَا وَعُثْمَانُ بْنُ أَبِي سُلَيْمَانَ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ
أَبِي حُسَيْنٍ فِي نَاسٍ مَعَ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ فِي أَعْلَى الْمَسْجِدِ لَيْلًا فَقَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ :
سَلُونِي قَبْلَ أَنْ لَا تَرُونِي، فَسَأَلَهُ الْقَوْمُ فَأَكْثَرُوا، فَكَانَ مِمَّا سُئِلَ عَنْهُ أَنْ قَالَ رَجُلٌ : أَحَقُّ مَا
سَمِعْنَا يُدْرِكُ فِي الْمَقَامِ مَقَامَ إِبْرَاهِيمَ ؟ فَقَالَ سَعِيدٌ : وَمَاذَا سَمِعْتَ ؟ قَالَ الرَّجُلُ : سَمِعْنَا
أَنَّ إِبْرَاهِيمَ نَبِيَّ اللَّهِ سُبْحَانَهُ حِينَ جَاءَ مِنَ الشَّامِ حَلَفَ لَامْرَأَتِهِ أَنْ لَا يَنْزِلَ بِمَكَّةَ حَتَّى
يَرْجِعَ، يَقُولُ الرَّجُلُ : فَقَرَّبَ إِلَيْهِ الْمَقَامَ فَرَجَلَ عَلَيْهِ، فَقَالَ سَعِيدٌ : لَيْسَ كَذَلِكَ، حَدَّثَنَا ابْنُ
عَبَّاسٍ، وَلَكِنَّهُ حَدَّثَنَا أَنَّهُ حِينَ كَانَ بَيْنَ أُمِّ إِسْمَاعِيلَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ وَبَيْنَ سَارَةَ امْرَأَةِ إِبْرَاهِيمَ
عَلَيْهِ السَّلَامُ مَا كَانَ، أَقْبَلَ إِبْرَاهِيمُ نَبِيَّ اللَّهِ بِأُمِّ إِسْمَاعِيلَ، وَإِسْمَاعِيلُ مَعَهَا، وَهُوَ صَغِيرٌ
يُرِضِعُهَا حَتَّى قَدِمَ بِهِمَا مَكَّةَ، وَمَعَ أُمِّ إِسْمَاعِيلَ شَنَّةٌ فِيهَا مَاءٌ تَشْرَبُ مِنْهَا، وَتُدْرُ عَلَى
ابْنِهَا، لَيْسَ مَعَهَا زَادٌ، يَقُولُ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ : قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : " فَعَمَدَ بِهِمَا إِلَى دَوْحَةِ
فَوْقَ زَمْزَمَ فِي أَعْلَى الْمَسْجِدِ يُشِيرُ لَنَا بَيْنَ الْبَيْرِ وَبَيْنَ الصَّفَا، يَقُولُ : فَوَضَعَهُمَا تَحْتَهَا، ثُمَّ
تَوَجَّهَ إِبْرَاهِيمُ خَارِجًا عَلَى دَابَّتِهِ، وَاتَّبَعَتْ أُمُّ إِسْمَاعِيلَ آثَرَهُ حَتَّى أَوْفَى إِبْرَاهِيمُ بِكُدَا " يَقُولُ
ابْنُ عَبَّاسٍ : " فَقَالَتْ لَهُ أُمُّ إِسْمَاعِيلَ : إِلَى مَنْ تَتْرُكُهَا وَابْنَهَا ؟ قَالَ : إِلَى اللَّهِ
سُبْحَانَهُ، قَالَتْ : رَضِيتُ بِاللَّهِ تَعَالَى، فَرَجَعَتْ أُمُّ إِسْمَاعِيلَ تَحْمِلُ ابْنَهَا حَتَّى قَعَدَتْ تَحْتَ
الدَّوْحَةِ وَوَضَعَتْ ابْنَهَا إِلَى جَنْبِهَا "، ثُمَّ سَاقَ حَدِيثًا طَوِيلًا يَقُولُ فِيهِ : " ثُمَّ جَاءَ
الثَّلَاثَةَ، فَوَجَدَ إِسْمَاعِيلَ قَاعِدًا تَحْتَ الدَّوْحَةِ إِلَى نَاحِيَةِ الْبُئْرِ يَبْرِي نُبْلًا لَهُ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ نَزَلَ
إِلَيْهِ فَقَعَدَ مَعَهُ، فَقَالَ لَهُ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ : يَا إِسْمَاعِيلُ إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ قَدْ أَمَرَنِي
بِأَمْرٍ، قَالَ : إِسْمَاعِيلُ : فَأَطَعُ رَبِّيَ فِيمَا أَمَرَكَ، قَالَ إِبْرَاهِيمُ : أَمَرَنِي رَبِّي أَنْ أَتَيْتَا، قَالَ
لَهُ إِسْمَاعِيلُ : وَأَيْنَ ؟ " يَقُولُ ابْنُ عَبَّاسٍ : " فَأَشَارَ إِلَى أَكْمَةِ بَيْنَ يَدَيْهِ مُرْتَفِعَةً عَلَى مَا
حَوْلَهَا، عَلَيْهَا رَضْرَاضٌ مِنْ حَصْبَاءَ يَأْتِيهَا السَّيْلُ مِنْ نَوَاحِيهَا، وَلَا يَرُكِبُهَا، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ :
فَقَامَا يَحْفِرَانِ عَنِ الْقَوَاعِدِ وَيَقُولَانِ : رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ، وَيَحْمِلُ لَهُ
إِسْمَاعِيلُ الْحِجَارَةَ عَلَى رَقَبَتِهِ، وَيَبْنِي الشَّيْخُ إِبْرَاهِيمَ، فَلَمَّا ارْتَفَعَ الْبُنْيَانُ، وَشَقَّ عَلَى الشَّيْخِ

تَنَاوَلُهُ، قَرَّبَ لَهُ إِسْمَاعِيلُ هَذَا الْحَجَرَ، فَكَانَ يَقُومُ عَلَيْهِ، وَيَبْنِي وَيُحَوِّلُهُ فِي نَوَاحِي الْبَيْتِ حَتَّى انْتَهَى إِلَى وَجْهِ الْبَيْتِ "، يَقُولُ ابْنُ عَبَّاسٍ: " فَذَلِكَ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَقِيَامُهُ عَلَيْهِ " ٦٥٤

وقال عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ هَارُونَ الْفَرِيَّابِيُّ: سَمِعْتُ الشَّافِعِيَّ مُحَمَّدَ بْنَ إِدْرِيسَ بِمَكَّةَ يَقُولُ: سَلُونِي مَا شِئْتُمْ أُجِبْكُمْ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَمِنْ سُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - قَالَ فَقُلْتُ لَهُ: أَصْلَحَكَ اللَّهُ مَا تَقُولُ فِي الْمُحْرَمِ يَقْتُلُ زُبُورًا؟ قَالَ: نَعَمْ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى (مَا آتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا) حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ عُمَيْرٍ عَنْ رَبِيعٍ عَنْ حُذَيْفَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - «: اقْتَدُوا بِاللَّذِينَ مِنْ بَعْدِي أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرُ».

وَحَدَّثَنَا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ عَنْ مَسْعَرٍ عَنْ قَيْسِ بْنِ مُسْلِمٍ عَنْ طَارِقِ بْنِ شِهَابٍ عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّهُ أَمَرَ الْمُحْرَمَ بِقَتْلِ الزُّبُورِ. ٦٥٥

ففي الآثار المتقدمة استحباب قول المعلم (سلوني)، فإن في هذا حثاً للطلاب على طرح السؤال، وفيه أيضاً تجرئته للطلاب الخجول على سؤال معلمه، وفيه استفادة الغير من السؤال المطروح، وفيه معرفة المعلم مقدار تحصيل طلابه للمادة المشروحة. وينبغي أن يراعي المعلم في أسئلة الطلاب الصادرة منهم، أن تكون ذات فائدة، وليست من باب التعجيز، أو السخرية أو التهكم، فإن هذه الأسئلة وأمثالها تطرح في الأرض ولا كرامة لصاحبها .

الخلاصة:

(١) السؤال يزيل غشاوة الجهل، ويصحح المعاني والأفكار .

(٢) ابتدار المعلم طلابه وحثهم على طرح السؤال فيه فوائد منها :

أ - تقييم حال طلابه من حيث الفهم .

ب - دفع الطالب الخجول وتجربته على طرح السؤال .

ت - استفادة الطلاب الآخرين عند سماع الإجابة .

٦٥٤ - أخبار مكة للأزرقي (٥٩٦) صحيح

٦٥٥ - السنن الكبرى للبيهقي - المكثر - (٥ / ٢١٢) (١٠٣٤٨ و ١٠٣٤٩) صحيح

ث- تقديم المعلم لنفسه، ومراجعته لطريقة عرضه لمادته، عندما يتضح له من خلال الأسئلة، عدم فهمهم كما ينبغي .
(٣) رد الأسئلة التعجيزية، أو الأسئلة الساخرة، وتوبيخ قائلها .

[١٨] تقديم السائل من خلال سؤاله، وإجابته بما يناسب حاله :

يتلقى المعلمون والمربون، أسئلة كثيرة من طلابهم وتلاميذهم ونجد أن كثيراً من المعلمين والمربين يقتصرون في إجاباتهم على مراد السائل فقط لا يتعدونه. والتحقق أن يقال : إن الاقتصار على مراد السائل فقط لا ينبغي في كل الأحوال، بل قد يكون في بعض الأحيان ما يدعو المعلم إلى الزيادة على مراد السائل وتوضيح بعض المسائل التي تتعلق بالسؤال، أو تقرير بعض المسائل المهمة والتي يمكن ربطها بالسؤال، وذلك الأمر يشتد إذا كان السائل يغلب عليه الجهل . وإليك التفاصيل :

أ - معاملة السائل من جهة جهله :

عَنْ سَعِيدِ بْنِ سَلَمَةَ، مِنْ آلِ بَنِي الْأَرْزَقِ، أَنَّ الْمُغِيرَةَ بْنَ أَبِي بُرْدَةَ، وَهُوَ مِنْ بَنِي عَبْدِ الدَّارِ، أَخْبَرَهُ أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَةَ، يَقُولُ : سَأَلَ رَجُلٌ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا نَرَكِبُ الْبَحْرَ وَنَحْمِلُ مَعَنَا الْقَلِيلَ مِنَ الْمَاءِ^{٦٥٦}، فَإِنْ تَوَضَّأْنَا بِهِ عَطِشْنَا، أَفَتَتَوَضَّأُ مِنْ مَاءِ الْبَحْرِ؟ فَقَالَ : هُوَ الطُّهُورُ مَاؤُهُ^{٦٥٧}، الْحَلُّ^{٦٥٨} مِيَّتُهُ^{٦٥٩}.

قَالَ الرَّافِعِيُّ : لَمَّا عَرَفَ ﷺ اشْتِبَاهَ الْأَمْرِ عَلَى السَّائِلِ فِي مَاءِ الْبَحْرِ أَشْفَقَ أَنْ يَشْتَبِهَ عَلَيْهِ حُكْمُ مِيَّتِهِ، وَقَدْ يُبْتَلَى بِهَا رَاكِبُ الْبَحْرِ فَعَقَّبَ الْجَوَابَ عَنْ سُؤَالِهِ بِيَانِ حُكْمِ الْمِيَّةِ . وَقَالَ غَيْرُهُ سَأَلَهُ عَنْ مَائِهِ فَأَجَابَهُ عَنْ مَائِهِ وَطَعَامِهِ لَعَلَّمَهُ بِأَنَّهُ قَدْ يُعَوِّزُهُمُ الزَّادُ فِيهِ كَمَا

^{٦٥٦} أي الماء العذب ليشربوه .

^{٦٥٧} أي ماؤه بالغ في الطهارة أتمها .

^{٦٥٨} أي الحلال .

^{٦٥٩} - صحيح ابن حبان - (٤ / ٤٩) (١٢٤٣) صحيح

يُعَوِّزُهُمُ الْمَاءَ فَلَمَّا جَمَعْتَهُمُ الْحَاجَةَ انْتَضَمَ الْجَوَابُ بِهِمَا .

وَقَالَ ابْنُ الْعَرَبِيِّ: وَذَلِكَ مِنْ مَحَاسِنِ الْفَتَاوَى أَنْ يُجَاءَ فِي الْجَوَابِ بِأَكْثَرِ مِمَّا يُسْأَلُ عَنْهُ تَنْمِيماً لِلْفَائِدَةِ وَإِفَادَةً لِعِلْمٍ آخَرَ غَيْرِ مَسْئُولٍ عَنْهُ، وَيَتَأَكَّدُ ذَلِكَ عِنْدَ ظُهُورِ الْحَاجَةِ إِلَى الْحُكْمِ كَمَا هُنَا لِأَنَّ مَنْ تَوَقَّفَ فِي ظُهُورِيَّةِ مَاءِ الْبَحْرِ فَهُوَ عَنِ الْعِلْمِ بِحِلِّ مَيْتَتِهِ مَعَ تَقَدُّمِ تَحْرِيمِ الْمَيْتَةِ أَشَدَّ تَوَقُّفًا ٦٦٠

فَأَجَابَ ﷺ ذَلِكَ الْمُدْلِحِيَّ الْبَحَّارَ، عَنْ حُكْمِ التَّوَضُّؤِ بِمَاءِ الْبَحْرِ، بِأَنَّ مَاءَهُ ظُهُورٌ يَصِحُّ التَّوَضُّؤُ بِهِ، ثُمَّ أَشْفَقَ ﷺ عَلَى ذَلِكَ الْبَحَّارِ أَنْ يَشْتَبِهَ عَلَيْهِ حُكْمُ مَيْتَةِ الْبَحْرِ، وَهِيَ شَيْءٌ يَقَعُ لَهُ أَثْنَاءَ إِجْرَاهُ، فَبَيَّنَ لَهُ أَنَّ مَيْتَةَ الْبَحْرِ حَلَالٌ أَكْلُهَا وَالِانْتِفَاعُ بِهَا، فَقَالَ لَهُ زِيَادَةً عَلَى سُؤَالِهِ: ((الْحِلُّ مَيْتَتُهُ)).

فهذه الزيادة في الجواب مهمة لأنها بيّنت طهارة ماء البحر وإن مات فيه ما مات، وبيّنت حل تلك الميثة أيضاً، ومعرفة ذلك ضرورية للبحار، لأنه قد يحتاج إلى أكل تلك الميثة في بعض الأحيان اختياراً أو اضطراراً، فيأكل منها ويدخر ولا حرج عليه .

وهذا الصنيع منه ﷺ من أبواب الخير في أسلوب التعليم واستيفاء ما يحتاج إليه المتعلم . ٦٦١

وَعَنْ أَبِي جُرَيْجٍ جَابِرِ بْنِ سُلَيْمٍ قَالَ: رَأَيْتُ رَجُلًا يَصُدِّرُ النَّاسَ عَنْ رَأْيِهِ لَا يَقُولُ شَيْئًا إِلَّا صَدَرُوا عَنْهُ قُلْتُ مَنْ هَذَا؟ قَالُوا: رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - . قُلْتُ: عَلَيْكَ السَّلَامُ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَرَّتَيْنِ. قَالَ: «لَا تَقُلْ عَلَيْكَ السَّلَامُ عَلَيْكَ السَّلَامُ تَحْيَةَ الْمَيِّتِ قَلِ السَّلَامُ عَلَيْكَ». قَالَ قُلْتُ: أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ. قَالَ: أَنَا رَسُولُ اللَّهِ الَّذِي إِذَا أَصَابَكَ ضَرٌّْ فَدَعَوْتَهُ كَشَفَهُ عَنْكَ وَإِنْ أَصَابَكَ عَامٌ سَنَةَ فَدَعَوْتَهُ أَنْبَتَهَا لَكَ وَإِذَا كُنْتَ بِأَرْضٍ قَفَرٍ أَوْ فَلَاةٍ فَضَلَّتْ رَاحِلَتُكَ فَدَعَوْتَهُ رَدَّهَا عَلَيْكَ». قَالَ قُلْتُ: اعْهَدْ إِلَيَّ. قَالَ: «لَا تَسُبَّنَّ أَحَدًا». قَالَ: فَمَا سَبَبْتُ بَعْدَهُ حُرًّا وَلَا عَبْدًا وَلَا بَعِيرًا وَلَا شَاةً. قَالَ: «وَلَا تَحْقِرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا وَأَنْ تُكَلِّمَ أَحَاكَ وَأَنْتَ مُنْبَسِطٌ إِلَيْهِ وَجْهَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنَ الْمَعْرُوفِ وَارْفَعِ إِزَارَكَ إِلَى نِصْفِ السَّاقِ فَإِنَّ أَبِيْتَ فِإِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِيَّاكَ وَإِسْبَالَ الْإِزَارِ فَإِنَّهَا مِنَ الْمَخِيلَةِ وَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ

٦٦٠ - تحفة الأحمدي - (١ / ٨٠) وفيض القدير، شرح الجامع الصغير، الإصدار ٢ - (٦ / ٥٠٠)

٦٦١ - الرسول المعلم ﷺ وأساليبه في التعليم لأبي غدة - (١ / ١١١)

الْمَخِيلَةَ وَإِنْ امْرُؤٌ شَتَمَكَ وَعَيَّرَكَ بِمَا يَعْلَمُ فِيكَ فَلَا تُعَيِّرْهُ بِمَا تَعْلَمُ فِيهِ فَإِنَّمَا وَبَالَ ذَلِكَ عَلَيْهِ» ٦٦٢ .

وفي هذا الحديث يتبين لنا جهل ذلك السائل واضحاً بأمور :

أولاً في قوله : (رأيت رجلاً) وهذا يدل على أنه لأول وهلة يرى الرسول ﷺ .

ثانياً : في قوله (عليك السلام)، فإن تحية الإسلام لا يجهلها أحد من الصحابة؛ لأنها من الأمور المتكررة التي تحدث في اليوم الواحد مرات عديدة، فلما رأى الرسول ﷺ، جهله أراد أن يدلّه على خالقه ويعلمه، فأرشده أولاً إلى تصحيح خطئه بقوله : « لَا تَقُلْ عَلَيْكَ السَّلَامُ عَلَيْكَ السَّلَامُ تَحِيَّةُ الْمَيِّتِ قُلِ السَّلَامُ عَلَيْكَ » ثم بين له أن كشف الضر، والاستغاثة كلها لا تصرف إلا لله. "وفي الحديث لفظة كريمة للمسلم حيث دل الأعراي على خالقه الذي يملك وحده الضر والنفع، وربطه به وحده دونه ﷺ، ورغبه في اللجوء إليه وطلب العون منه والاستغاثة به في الملمات . " ٦٦٣

ب - معاملة السائل من جهة ما هو أنفع له :

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - أَنَّ رَجُلًا قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا يَلْبَسُ الْمُحْرِمُ مِنَ الثِّيَابِ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - « لَا يَلْبَسُ الْقُمُصَ وَلَا الْعَمَائِمَ وَلَا السَّرَاوِيَالَاتِ وَلَا الْبِرَانِسَ وَلَا الْخِفَافَ، إِلَّا أَحَدًا لَا يَجِدُ نَعْلَيْنِ فَلْيَلْبَسْ خُفَيْنِ، وَلْيَقْطَعْهُمَا أَسْفَلَ مِنَ الْكَعْبَيْنِ، وَلَا تَلْبَسُوا مِنَ الثِّيَابِ شَيْئًا مَسَّهُ الزَّعْفَرَانُ أَوْ وَرْسٌ » ٦٦٤ .

قال النووي قال العلماء هذا الجواب من بديع الكلام وجزله لأن ما لا يلبس منحصر فحصل التصريح به، وأما الملبوس الجائز فغير منحصر فقال: لا يلبس كذا أي ويلبس ما سواه انتهى. وقال البيضاوي: سئل عما يلبس فأجاب بما لا يلبس ليدل بالالتزام من طريق المفهوم على ما يجوز، وإنما عدل عن الجواب لأنه أحصر وأحصر، وفيه إشارة إلى أن حق

٦٦٢ - السنن الكبرى للبيهقي - المكثر - (١٠ / ٢٣٦) (٢١٦٢٣) - حسن

٦٦٣ - زاد المعاد حاشية (٢) ص(٢/٤٢٠) مؤسسة الرسالة

٦٦٤ - صحيح البخارى - المكثر - (١٥٤٢) وصحيح مسلم - المكثر - (٢٨٤٨)

البرانس : جمع البرنس وهو كل ثوب رأسه منه ملتصق به من أذراعه

السؤال أن يكون عما لا يلبس لأنه الحكم العارض في الإحرام المحتاج لبيان، إذ الجواز ثابت بالأصل معلوم بالاستصحاب فكان الأليق السؤال عما لا يلبس. وقال غيره: هذا يشبه أسلوب الحكيم، ويقرب منه قوله تعالى: {يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِللَّوَالِدَيْنِ} الآية، فعدل عن جنس المنفق وهو المستول عنه إلى ذكر المنفق عليه لأنه أهم. وقال ابن دقيق العيد: يستفاد منه أن المعبر في الجواب ما يحصل منه المقصود كيف كان ولو بتغيير أو زيادة ولا تشترط المطابقة "٦٦٥

وعن الربيع، عن أبي العالية قال: بَلَعْنَا أَنَّهُمْ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لِمَ خُلِقَتِ الْأَهْلَةُ؟ فَأَنْزَلَ اللَّهُ: يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ يَقُولُ: "جَعَلَهَا اللَّهُ مَوَاقِيتَ لَصَوْمِ الْمُسْلِمِينَ وَإِفْطَارِهِمْ وَعِدَّةَ نِسَائِهِمْ وَمَحَلَّ دِينِهِمْ" ٦٦٦

وعن قتادة، قوله: يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ قَالَ قَتَادَةُ: سَأَلُوا نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ عَنْ ذَلِكَ: لِمَ جَعَلْتَ هَذِهِ الْأَهْلَةَ؟ فَأَنْزَلَ اللَّهُ فِيهَا مَا تَسْمَعُونَ: هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ فَجَعَلَهَا لَصَوْمِ الْمُسْلِمِينَ، وَلِإِفْطَارِهِمْ، وَلِمَنَاسِكِهِمْ، وَحَجِّهِمْ، وَلِعِدَّةِ نِسَائِهِمْ، وَمَحَلَّ دِينِهِمْ فِي أَشْيَاءَ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُصْلِحُ خَلْقَهُ "٦٦٧

يقول ابن القيم: "فَسَأَلُوهُ عَنْ سَبَبِ ظُهُورِ الْهَلَالِ خَفِيًّا ثُمَّ لَا يَزَالُ يَتَزَايَدُ فِيهِ التُّورُ عَلَى التَّدْرِيجِ حَتَّى يَكْمُلَ ثُمَّ يَأْخُذُ فِي التَّقْصَانِ، فَأَجَابَهُمْ عَنْ حِكْمَةِ ذَلِكَ مِنْ ظُهُورِ مَوَاقِيتِ النَّاسِ الَّتِي بَهَا تَمَامُ مَصَالِحِهِمْ فِي أَحْوَالِهِمْ وَمَعَاشِهِمْ وَمَوَاقِيتِ أَكْبَرِ عِبَادَتِهِمْ وَهُوَ الْحَجُّ، وَإِنْ كَانُوا قَدْ سَأَلُوا عَنْ السَّبَبِ فَقَدْ أُجِيبُوا بِمَا هُوَ أَنْفَعُ لَهُمْ مِمَّا سَأَلُوا عَنْهُ، وَإِنْ كَانُوا إِنَّمَا سَأَلُوا عَنْ حِكْمَةِ ذَلِكَ فَقَدْ أُجِيبُوا عَنْ عَيْنِ مَا سَأَلُوا عَنْهُ، وَلَفْظُ سُؤْلِهِمْ مُحْتَمَلٌ؛ فَإِنَّهُمْ قَالُوا: مَا بَالُ الْهَلَالِ يَبْدُو دَقِيقًا ثُمَّ يَأْخُذُ فِي الزِّيَادَةِ حَتَّى يَتِمَّ ثُمَّ يَأْخُذُ فِي التَّقْصِ؟" ٦٦٨

٦٦٥ - فتح الباري لابن حجر - (٤٠١ / ٣)

٦٦٦ - تفسير ابن أبي حاتم < سورة البقرة (١٧٣٢) - حسن مرسل

٦٦٧ - جامع البيان في تفسير القرآن للطبري (٢٧٩٩) - صحيح مرسل

٦٦٨ - إعلام الموقعين عن رب العالمين - (٤٨٩ / ٤) وإعلام الموقعين عن رب العالمين - (٤ / ١٦٨)

الخلاصة:

- (١) تقديم حال السائل، وبيان ما قد يحتاجه السائل، ففي المثال الأول من الفقرة الأولى : كان السائل جاهلاً بحكم معين وهو قد يخفى على بعض دون بعض ولذلك أجابه الرسول ﷺ على سؤاله وأردفه بحكم آخر يجهله السائل وهو متعلق بالسؤال نفسه، فمن جهل الحكم الأول فلا بد أن يجهل الآخر. فتأمله . وفي المثال الثاني من الفقرة الثانية : كان سؤال الصحابي يدل على جهله الشديد بأمور الإسلام حيث أخطأ في السلام وهو أمر لا يكاد يخطئه أحد لشيوعه بين الناس، ولذا عامله الرسول ﷺ بحسب حاله، حيث أجاب على سؤاله ثم علمه ودل على خالقه .
- (٢) قد تكون إجابة السائل بخلاف السؤال ولكنها أنفع له ففي المثال الأول من الفقرة الثانية: كان السؤال عن جنس ما يلبس وهو كثير صعب الحصر، فأرشده النبي ﷺ إلى مالا يلبس وهو قليل محصور. وفي المثال الثاني من الفقرة الثانية : فيه سؤالهم عن طبيعة الهلال وخلقته، فأجابهم بما هو أنفع لهم من الحكمة العظيمة في إيجادها .
- (٣) ليس ذلك التقديم مضطرباً في كل أحوال السائلين، وإنما هي أمور يقدرها المعلمون
- (٤) الاستفادة من أسئلة الطلاب في ترسيخ معاني معينة، أو بيان أحكام جديدة، وغير ذلك .

[١٩] التعليق على إجابة المتعلم :

يحتاج المعلم إلى التعليق على إجابة الطالب بعد توجيه السؤال إليه، وذلك لأن الطالب قد يكون غير متأكد من الإجابة التي أدلى بها، وأيضاً فإن الطلاب الآخرين الذي يستمعون إلى إجابة الطالب في شوق لمعرفة ما إذا كانت إجابة الطالب صحيحة أم غير ذلك . وعلى المعلم أن يعلق على إجابة كل طالب فيستفيد الطالب من تصويب المعلم له، ويستفيد الطلاب الآخرون بمعرفة صحة الجواب من عدمه .

وعلى المعلم أيضاً أن يتحرى الدقة في التصويب والتخطئة، وألا يسارع بتخطئة الطالب كلياً إن كان في إجابته شيء من الصحة، بل عليه أن يشيد بالصحيح ويوضح الخطأ وبينه، وينبغي على المعلم أن يختار ألفاظ التخطئة فلا تكون ألفاظاً قاسية أو عبارات ساخرة فتصيب الطالب بإحباط وتمنعه من الإقدام على الإجابة على أسئلة المعلم خوفاً من لسان المعلم السليط وعباراته القاسية، بل تكون العبارة مخبطة للجواب ولكن في قالب تشجيعي. وإليك بيان ذلك :

عَنْ ابْنِ شَهَابٍ، أَنَّ عُبَيْدَ اللَّهِ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ أَخْبَرَهُ، أَنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ كَانَ يُحَدِّثُ، أَنَّ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي رَأَيْتُ اللَّيْلَةَ فِي الْمَنَامِ ظُلَّةً^{٦٦٩} تَنْطِفُ السَّمْنَ وَالْعَسَلَ، وَإِذَا النَّاسُ يَتَكَفَّفُونَ مِنْهَا بِأَيْدِيهِمْ^{٦٧٠}، فَالْمُسْتَكْتَرُ وَالْمُسْتَقْلُ، وَأَرَى سَبَبًا^{٦٧١} وَأَصِلًا مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ، فَأَرَاكَ أَخَذْتَ بِهِ فَعَلَوْتَ، ثُمَّ أَخَذَ بِهِ رَجُلٌ مِنْ بَعْدِكَ فَعَلَا، ثُمَّ أَخَذَ بِهِ رَجُلٌ آخَرَ فَعَلَا، ثُمَّ أَخَذَ بِهِ رَجُلٌ آخَرَ فَانْقَطَعَ بِهِ، ثُمَّ وَصَلَ لَهُ فَعَلَا. قَالَ أَبُو بَكْرٍ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، بِأَبِي أَنْتَ وَاللَّهِ لَتَدْعَنِي فَلَا عَبْرَةَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: عَبْرٌ، قَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَمَا الظُّلَّةُ فَظُلَّةُ الْإِسْلَامِ، وَأَمَا الَّذِي يَنْطِفُ مِنَ السَّمْنَ وَالْعَسَلَ، فَالْقُرْآنُ حَلَاوَتُهُ وَلِينُهُ، وَأَمَا مَا يَتَكَفَّفُ النَّاسُ مِنْ ذَلِكَ، فَالْمُسْتَكْتَرُ مِنَ الْقُرْآنِ وَالْمُسْتَقْلُ، وَأَمَا السَّبَبُ الْوَاصِلُ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ، فَالْحَقُّ الَّذِي أَنْتَ عَلَيْهِ، أَخَذْتَهُ فَيَعْلِيكَ اللَّهُ، ثُمَّ يَأْخُذُ بِهِ رَجُلٌ مِنْ بَعْدِكَ فَيَعْلُو بِهِ، ثُمَّ يَأْخُذُ بِهِ رَجُلٌ آخَرَ فَيَعْلُو بِهِ، ثُمَّ يَأْخُذُ بِهِ رَجُلٌ آخَرَ فَيَنْقَطِعُ بِهِ، ثُمَّ يُوَصِّلُ لَهُ فَيَعْلُو، فَأَخْبِرْنِي يَا رَسُولَ اللَّهِ، بِأَبِي أَنْتَ، أَصَبْتَ أَمْ أَخْطَأْتُ؟ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَصَبْتَ بَعْضًا، وَأَخْطَأْتَ بَعْضًا، قَالَ: وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَتُخْبِرَنِي بِالَّذِي أَخْطَأْتُ، قَالَ: لَا تُقَسِّمُ.^{٦٧٢}

قال الداودي: قوله: "لا تقسم" أي لا تكرر يميناك فيني لا أخبرك وقال المهلب: توجيهه تعبير أبي بكر أن الظلة نعمة من نعم الله على أهل الجنة وكذلك كانت على بني إسرائيل،

^{٦٦٩} الظلة: السحابة التي لها ظل، وكل ما أظل من سقيفة ونحوها، وينطف بضم الطاء وكسرهما أي يقطر قليلاً قليلاً

^{٦٧٠} أي يأخذون بأكتفهم.

^{٦٧١} السبب: الحبل، والواصل بمعنى الموصول.

^{٦٧٢} - صحيح ابن حبان - (١ / ٣١٥) (١١١) وصحيح البخاري - المكثر - (٧٠٤٦)

وكذلك الإسلام بقي الأذى وينعم به المؤمن في الدنيا والآخرة، وأما العسل فإن الله جعله شفاء للناس وقال تعالى إن القرآن {وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ} وقال إنه {شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ} وهو حلو على الأسماع كحلاوة العسل في المذاق، وكذلك جاء في الحديث: "أن في السمن شفاء" قال القاضي عياض: وقد يكون عبر الظلة بذلك لما نظفت العسل والسمن اللذين عبرهما بالقرآن، وذلك إنما كان عن الإسلام والشريعة، والسبب في اللغة الحبل والعهد والميثاق، والذين أخذوا به بعد النبي ﷺ واحدا بعد واحد هم الخلفاء الثلاثة وعثمان هو الذي انقطع به ثم اتصل انتهى ملخصا

قال ابن التين ومن بعده الأشبه بظاهر الحديث أن الخطأ في تأويل الرؤيا، أي أخطأت في بعض تأويلك

قال ابن التين وقيل أخطأ لكون المذكور في الرؤيا شيئين العسل والسمن ففسرهما بشيء واحد، وكان ينبغي أن يفسرهما بالقرآن والسنة، ذكر ذلك عن الطحاوي. قلت: وحكاة الخطيب عن أهل العلم بالتعبير، وجزم به ابن العربي. فقال: قالوا هنا وهم أبو بكر فإنه جعل السمن والعسل معنى واحدا وهما معنيان القرآن والسنة. قال: ويحتمل أن يكون السمن والعسل العلم والعمل، ويحتمل أن يكونا الفهم والحفظ"

قال النووي: قيل إنما لم يبر النبي ﷺ قسم أبي بكر لأن إبرار القسم مخصوص بما إذا لم يكن هناك مفسدة ولا مشقة ظاهرة فإن وجد ذلك فلا إبرار، ولعل المفسدة في ذلك ما علمه من سبب انقطاع السبب بعثمان وهو قتله وتلك الحروب والفتن المترتبة عليه فكره ذكرها خوف شيوعها، ويحتمل أن يكون سبب ذلك أنه لو ذكر له السبب للزم منه أن يوجه بين الناس لمبادرته، ويحتمل أن يكون خطؤه في ترك تعيين الرجال المذكورين، فلو أبر قسمه للزم أن يعينهم ولم يؤمر بذلك إذ لو عينهم لكان نصا على خلافتهم، وقد سبقت مشيئة الله أن الخلافة تكون على هذا الوجه فترك تعيينهم خشية أن يقع في ذلك مفسدة. وقيل هو علم غيب فجاز أن يختص به ويخفيه عن غيره، وقيل المراد بقوله أخطأت وأصبت أن تعبير الرؤيا مرجعه الظن، والظن يخطئ ويصيب، وقيل لما أراد الاستبداد ولم يصبر حتى يفاد جاز منعه ما يستفاد فكان المنع كالتأديب له على ذلك.

قلت: وجميع ما تقدم من لفظ الخطأ والتوهم والتأديب وغيرهما إنما أحكيه عن قائله
ولست راضيا بإطلاقه في حق الصديق، وقيل الخطأ في خلع عثمان لأنه في المنام رأى أنه
أخذ بالسبب فانقطع به وذلك يدل على انخلاعه بنفسه، وتفسير أبي بكر بأنه يأخذ به
رجل فينقطع به ثم يوصل له، وعثمان قد قتل قهرا ولم يخلع نفسه فالصواب أن يحمل
وصله على ولاية غيره، وقيل يحتمل أن يكون ترك إبرار القسم لما يدخل في النفوس لا
سيما من الذي انقطع في يده السبب وإن كان وصل "٦٧٣

" وقال ابن هبيرة: وفي السؤال من أبي بكر أولا وآخرا وجواب النبي ﷺ دلالة على
انبساط أبي بكر معه وإدلاله عليه. وفيه أنه لا يعبر الرؤيا إلا عالم ناصح أمين حبيب وفيه
أن العابر قد يخطئ وقد يصيب، وأن للعالم بالتعبير أن يسكت عن تعبير الرؤيا أو بعضها
عند رجحان الكتمان على الذكر. قال المهلب: ومحلّه إذا كان في ذلك عموم، فأما لو
كانت مخصوصة بواحد مثلا فلا بأس أن يخبره ليعد الصبر ويكون على أهبة من نزول
الحادثة. وفيه جواز إظهار العالم ما يحسن من العلم إذا خلصت نيته وأمن العجب، وكلام
العالم بالعلم بحضرة من هو أعلم منه إذا أذن له في ذلك صريحا أو ما قام مقامه، ويؤخذ
منه جواز مثله في الإفتاء والحكم، وأن للتلميذ أن يقسم على معلمه أن يفيد الحكم. "٦٧٤
وهذا الحديث دليل لما قاله العلماء أن إبرار القسم المأمور به، إنما هو إذا لم تكن في الإبرار
مفسدة، ولا مشقة ظاهرة، فإن كان لم يؤمر بالإبرار، لأن النبي ﷺ لم يبر قسم أبي بكر
لما رأى في إبراره من المفسدة ٦٧٥.

وهنا يتبين لنا بجلاء تعليق النبي ﷺ على تعبير أبي بكر للرؤيا، وأخبره بأن بعضها صحيح
وبعضها خطأ وهذا عين الإنصاف أن تذكر ما في الإجابة من صحة أو خطأ، ثم إن على
المعلم أن يبين الخطأ ويوضحه، وفي المثال السابق لم يذكر النبي ﷺ الخطأ ولم يوضحه لما

٦٧٣ - فتح الباري لابن حجر - (١٢ / ٤٣٥)

٦٧٤ - فتح الباري لابن حجر - (١٢ / ٤٣٧)

٦٧٥ الرسول المعلم ﷺ وأساليبه في التعليم لأبي غدة - (١ / ١١٩)

يترتب على ذكره من مفاسد كان الأولى ترك تعبيره ولكن غرضنا هنا هو بيان تقييم الإجابة في حالة الصحة أو الخطأ، أو بينهما .

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ أَنَّهُ سَمِعَ رَجُلًا يَقْرَأُ آيَةً، سَمِعَ النَّبِيَّ - ﷺ - - خِلَافَهَا، فَأَخَذَتْ بِيَدِهِ فَأَنْطَلَقَتْ بِهِ إِلَى النَّبِيِّ - ﷺ - فَقَالَ « كَلَاكُمَا مُحْسِنٌ فَأَقْرَأَا - أَكْبَرُ عِلْمِي قَالَ - فَإِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ اخْتَلَفُوا فَأَهْلَكَهُمْ » ٦٧٦ .

وَعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ الْقَارِيِّ، أَنَّهُ قَالَ : سَمِعْتُ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ، يَقُولُ : سَمِعْتُ هِشَامَ بْنَ حَكِيمِ بْنِ حِزَامٍ، فَقَرَأَ سُورَةَ الْفُرْقَانِ عَلَى غَيْرِ مَا أَقْرَأُهَا، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَقْرَأَ فِيهَا، فَكَذَبْتُ أَنْ أَعْجَلَ عَلَيْهِ، ثُمَّ أَمَهَلْتُ حَتَّى انصَرَفَ، ثُمَّ لَبَيْتُهُ بِرِدَائِهِ، فَجِئْتُ بِهِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقُلْتُ : إِنِّي سَمِعْتُ هَذَا يَقْرَأُ سُورَةَ الْفُرْقَانِ عَلَى غَيْرِ مَا أَقْرَأْتِيهَا، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : اقْرَأْ، فَقَرَأَ الْقِرَاءَةَ الَّتِي سَمِعْتَهُ يَقْرَأُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : هَكَذَا أَنْزَلْتُ، ثُمَّ قَالَ لِي : اقْرَأْ، فَقَرَأْتُ، فَقَالَ : هَكَذَا أَنْزَلْتُ، إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ أَنْزَلَ عَلَيَّ سَبْعَةَ أَحْرَفٍ، فَأَقْرَأُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ. ٦٧٧

وَعَنْ أَبِي بِنِ كَعْبٍ، قَالَ : كُنْتُ جَالِسًا فِي الْمَسْجِدِ، فَدَخَلَ رَجُلٌ فَقَرَأَ قِرَاءَةً أَنْكَرْتُهَا عَلَيْهِ، ثُمَّ دَخَلَ آخَرَ فَقَرَأَ قِرَاءَةً سِوَى قِرَاءَةِ صَاحِبِهِ، فَلَمَّا قَضَى الصَّلَاةَ دَخَلَ جَمِيعًا عَلَيَّ النَّبِيُّ ﷺ، فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ هَذَا قَرَأَ قِرَاءَةً أَنْكَرْتُهَا عَلَيْهِ، ثُمَّ قَرَأَ الْآخَرَ قِرَاءَةً سِوَى قِرَاءَةِ صَاحِبِهِ، فَقَالَ لَهُمَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : اقْرَأْ، فَقَرَأَا، فَقَالَ : أَحْسَنْتُمَا، أَوْ، قَالَ : أَصَبْتُمَا، قَالَ : فَلَمَّا، قَالَ لَهُمَا الَّذِي، قَالَ، كَبِرَ عَلَيَّ، فَلَمَّا رَأَى النَّبِيُّ ﷺ مَا غَشَيْتَنِي ضَرَبَ فِي صَدْرِي، فَكَأَنِّي أَنْظَرُ إِلَى رَبِّي فَرَقًا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : يَا أَبِي : إِنَّ رَبِّي أَرْسَلَ إِلَيَّ : أَنْ اقْرَأَ الْقُرْآنَ عَلَى حَرْفٍ، فَرَدَدْتُ عَلَيْهِ : أَنْ هُوَ عَلَى أُمَّتِي مَرَّتَيْنِ، فَرَدَّ عَلَيَّ : أَنْ اقْرَأْهُ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرَفٍ، وَلَكَ بِكُلِّ رَدَّةٍ رَدَدْتُهَا مَسْأَلَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَقُلْتُ : اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَأُمَّتِي، ثُمَّ أَخَّرْتُ الثَّانِيَةَ إِلَى يَوْمٍ يَرْغَبُ إِلَيَّ فِيهِ الْخَلْقُ حَتَّى أَبْرَهُمْ. ٦٧٨

٦٧٦ - صحيح البخارى - المكثر - (٥٠٦٢)

٦٧٧ - صحيح ابن حبان - (٣ / ١٦) (٧٤١-) صحيح

٦٧٨ - صحيح ابن حبان - (٣ / ١٥) (٧٤٠) وصحيح مسلم - المكثر - (١٩٤١)

قوله : (عَنْ أَبِي بِنِ كَعْبٍ فَحَسَّنَ النَّبِيُّ ﷺ شَأْنَ الْمُخْتَلِفِينَ فِي الْقِرَاءَةِ، قَالَ : فَسُقِطَ فِي نَفْسِي مِنَ التَّكْذِيبِ وَلَا إِذْ كُنْتُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ) مَعْنَاهُ : وَسَوَسَ لِي الشَّيْطَانُ تَكْذِيبًا لِلنَّبِيِّ أَشَدَّ مِمَّا كُنْتُ عَلَيْهِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ ؛ لِأَنَّهُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ كَانَ غَافِلًا أَوْ مُتَشَكِّكًا فَوَسَّسَ لَهُ الشَّيْطَانُ الْحَزْمَ بِالتَّكْذِيبِ . قَالَ الْقَاضِي عِيَّاضُ : مَعْنَى قَوْلِهِ : (سُقِطَ فِي نَفْسِي) أَنَّهُ اعْتَرَتْهُ حَيْرَةٌ وَدَهْشَةٌ . قَالَ : وَقَوْلُهُ : (وَلَا إِذْ كُنْتُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ) مَعْنَاهُ : أَنَّ الشَّيْطَانَ نَزَعَ فِي نَفْسِهِ تَكْذِيبًا لَمْ يَعْتَقِدْهُ . قَالَ : وَهَذِهِ الْخَوَاطِرُ إِذَا لَمْ يَسْتَمِرَّ عَلَيْهَا لَا يُؤَاخِذُ بِهَا . قَالَ الْقَاضِي : قَالَ الْمَازِرِيُّ : مَعْنَى هَذَا أَنَّهُ وَقَعَ فِي نَفْسِ أَبِي بِنِ كَعْبٍ نَزْعَةٌ مِنْ الشَّيْطَانِ غَيْرَ مُسْتَقَرَّةٍ، ثُمَّ زَالَتْ فِي الْحَالِ حِينَ ضَرَبَ النَّبِيُّ ﷺ بِيَدِهِ فِي صَدْرِهِ فَفَاضَ عَرَقًا .

قوله : (فَلَمَّا رَأَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مَا قَدْ غَشِيَنِي ضَرَبَ فِي صَدْرِي فَفِضْتُ عَرَقًا وَكَأَنَّمَا أَنْظَرُ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَرَقًا) قَالَ الْقَاضِي : ضَرَبَهُ ﷺ فِي صَدْرِهِ تَثْبُتًا لَهُ حِينَ رَأَاهُ قَدْ غَشِيَهُ ذَلِكَ الْخَاطِرُ الْمَدْمُومُ

قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى : (وَلَكَ بِكُلِّ رَدَّةٍ رَدَدْتُكَهَا مَسْأَلَةٌ تَسْأَلْنِيهَا) مَعْنَاهُ : مَسْأَلَةٌ مُجَابَةً قَطْعًا . وَأَمَّا بَاقِي الدَّعَوَاتِ فَمَرْجُوعَةٌ لَيْسَتْ قَطْعِيَّةً الْإِجَابَةُ^{٦٧٩}

وهنا كان التعليق على قراءة أبي والصحابي الآخر بقوله ﷺ أحسنت لكل منهما لأن الصحابين كليهما قد قرأ قراءة صحيحة، استوجبت التصحيح، ولو بعبارة مغايرة لكلمة الصحة بل يكفي أي عبارة تدل على المقصود .

وَعَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ عَائِشَةَ ، قَالَ : قُلْتُ لَهَا : إِنِّي لَأَطُنُّ رَجُلًا ، لَوْ لَمْ يَطُفُ بَيْنَ الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ ، مَا ضَرَّهُ ، قَالَتْ : " لَمْ ؟ " قُلْتُ : لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ : إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ إِلَى آخِرِ الْآيَةِ ، فَقَالَتْ : " مَا أَنْتَ اللَّهُ حَجَّ أَمْرِي وَلَا عُمَرَتُهُ لَمْ يَطُفُ بَيْنَ الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ ، وَلَوْ كَانَ كَمَا تَقُولُ لَكَانَ : فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ لَا يَطُوفَ بِهِمَا ، وَهَلْ تُدْرِي فِيمَا كَانَ ذَلِكَ ؟ إِنَّمَا كَانَ ذَلِكَ أَنَّ الْأَنْصَارَ كَانُوا يُهْلُونَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ لِصَنْمَيْنِ عَلَى شَطِّ الْبَحْرِ ، يُقَالُ لَهُمَا إِسَافٌ وَنَائِلَةٌ ، ثُمَّ يَجِيئُونَ فَيَطُوفُونَ بَيْنَ الصَّفَا

^{٦٧٩} - شرح النووي على مسلم - (٣ / ١٧٤)

وَالْمَرْوَةَ ، ثُمَّ يَحْلِقُونَ ، فَلَمَّا جَاءَ الْإِسْلَامَ كَرَهُوا أَنْ يَطُوفُوا بَيْنَهُمَا لِلَّذِي كَانُوا يَصْنَعُونَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ ، قَالَتْ : فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِنَّ الصِّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ إِلَى آخِرِهَا ، قَالَتْ : فَطَافُوا "

وقال هشامُ بنُ عروةَ ، أَخْبَرَنِي أَبِي ، قَالَ : قُلْتُ لِعَائِشَةَ : مَا أَرَى عَلَيَّ جُنَاحًا أَنْ لَا أَتَطُوفَ بَيْنَ الصِّفَا وَالْمَرْوَةَ ، قَالَتْ : " لِمَ ؟ " قُلْتُ : لِأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ : إِنَّ الصِّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ الْآيَةَ ، فَقَالَتْ : " لَوْ كَانَ كَمَا تَقُولُ ، لَكَانَ : فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ لَا يَطُوفَ بِهِمَا ، إِنَّمَا أَنْزَلَ هَذَا فِي أَنْاسٍ مِنَ الْأَنْصَارِ كَانُوا إِذَا أَهَلُّوا ، أَهَلُّوا لِمَنَاةَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ ، فَلَا يَحِلُّ لَهُمْ أَنْ يَطُوفُوا بَيْنَ الصِّفَا وَالْمَرْوَةَ ، فَلَمَّا قَدِمُوا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ لِلْحَجِّ ، ذَكَرُوا ذَلِكَ لَهُ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى هَذِهِ الْآيَةَ ، فَاعْمِرِي ، مَا أَتَمَّ اللَّهُ حَجَّ مَنْ لَمْ يَطُفْ بَيْنَ الصِّفَا وَالْمَرْوَةَ "

وعنُ عروةَ بنِ الزُّبَيْرِ ، قَالَ : قُلْتُ لِعَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ : مَا أَرَى عَلَى أَحَدٍ لَمْ يَطُفْ بَيْنَ الصِّفَا وَالْمَرْوَةَ شَيْئًا ، وَمَا أَبَالِي أَنْ لَا أَطُوفَ بَيْنَهُمَا ، قَالَتْ : " بِئْسَ مَا قُلْتَ ، يَا ابْنَ أُخْتِي ، طَافَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، وَطَافَ الْمُسْلِمُونَ ، فَكَانَتْ سُنَّةً وَإِنَّمَا كَانَ مَنْ أَهَلَ لِمَنَاةَ الطَّاعِيَةَ الَّتِي بِالْمُثَلَّلِ ، لَا يَطُوفُونَ بَيْنَ الصِّفَا وَالْمَرْوَةَ ، فَلَمَّا كَانَ الْإِسْلَامُ سَأَلْنَا النَّبِيَّ ﷺ عَنْ ذَلِكَ ؟ فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : إِنَّ الصِّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ ، فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطُوفَ بِهِمَا ، وَلَوْ كَانَتْ كَمَا تَقُولُ ، لَكَانَتْ : فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ لَا يَطُوفَ بِهِمَا " قَالَ الزُّهْرِيُّ : فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِأَبِي بَكْرٍ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ ، فَأَعْجَبَهُ ذَلِكَ ، وَقَالَ : " إِنَّ هَذَا الْعِلْمُ ، وَلَقَدْ سَمِعْتُ رِجَالًا مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ يَقُولُونَ : إِنَّمَا كَانَ مَنْ لَا يَطُوفُ بَيْنَ الصِّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنَ الْعَرَبِ ، يَقُولُونَ : إِنَّ طَوَافَنَا بَيْنَ هَذَيْنِ الْحَجَرَيْنِ مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ ، وَقَالَ آخَرُونَ مِنَ الْأَنْصَارِ : إِنَّمَا أَمْرُنَا بِالطَّوَافِ بِالْبَيْتِ وَلَمْ نُؤْمَرْ بِهِ بَيْنَ الصِّفَا وَالْمَرْوَةَ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : إِنَّ الصِّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ . قَالَ أَبُو بَكْرٍ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ : فَأَرَاهَا قَدْ نَزَلَتْ فِي هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ " وَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ ، حَدَّثَنَا حُجَيْنُ بْنُ الْمُثَنَّى ، حَدَّثَنَا لَيْثٌ ، عَنْ عُقَيْلٍ ، عَنْ ابْنِ شِهَابٍ ، أَنَّهُ قَالَ : أَخْبَرَنِي عروةُ بنُ الزُّبَيْرِ ، قَالَ : سَأَلْتُ عَائِشَةَ ، وَسَأَقَ

الْحَدِيثَ بِنَحْوِهِ ، وَقَالَ فِي الْحَدِيثِ : فَلَمَّا سَأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنْ ذَلِكَ فَقَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنَّا كُنَّا نَتَحَرَّجُ أَنْ نَطُوفَ بِالصَّفَا وَالْمَرْوَةِ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ ، فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطُوفَ بِهِمَا قَالَتُ عَائِشَةُ : قَدْ سَنَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الطَّوْفَ بَيْنَهُمَا ، فَلَيْسَ لِأَحَدٍ أَنْ يَتْرِكَ الطَّوْفَ بِهِمَا

٦٨٠ ۱۱

الخلاصة:

- (١) التعليق على إجابة المتعلم، تفيد المحيب في تصحيح إجابته، وتفيد الطلاب الآخرين في قبول الإجابة أو رفضها .
- (٢) قد تكون الإجابة صحيحة، وقد تكون الإجابة صحيحة جزئياً، وقد تكون خطأ. ولكل إجابة ما يناسبها من عبارات التعليق
- (٣) الإجابة الخاطئة يراعى فيها نفسية الطالب وروحه المعنوية .
- (٤) لا يلزم أن يتقيد المعلم بلفظ (صحيح، خطأ) بل أي عبارة تدل على المقصود (كأحسن، جيد، ممتاز، تحتاج العبارة إلى تصحيح أكثر، الجواب غير مكتمل . ونحوه)

[٢٠] تأخير جواب السائل لمصلحة معينة :

عَنْ صَفْوَانَ بْنِ أُمَيَّةَ، أَنَّهُ قَالَ: "جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ مُتَضَمِّنًا بِالزَّعْفَرَانِ، عَلَيْهِ جُبَّةٌ، فَقَالَ: كَيْفَ تَأْمُرُنِي يَا رَسُولَ اللَّهِ فِي عُمْرَتِي؟ قَالَ: فَأَنْزَلَ اللَّهُ: " وَأَتَمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ "، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "أَيْنَ السَّائِلُ عَنِ الْعُمْرَةِ؟ فَقَالَ: هَا أَنَاذَا، فَقَالَ لَهُ: الْقِيَ عَنكَ ثِيَابَكَ ثُمَّ اغْتَسِلْ وَاسْتَنْشِقْ مَا اسْتَطَعْتَ، ثُمَّ مَا كُنْتَ يَعْني صَانِعًا فِي حَجِّكَ، فَاصْنَعُهُ فِي عُمْرَتِكَ" ٦٨١ ۱۱ .

٦٨٠ - صحيح مسلم- المكثر - << كِتَابُ الْحَجِّ >> بَابُ بَيَانِ أَنَّ السَّعْيَ بَيْنَ الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ رُكْنٌ لَا يَصِحُّ الْحَجُّ

<< (٣١٣٨-٣١٤٢)

٦٨١ - تفسير ابن أبي حاتم - (٢ / ١٠) (١٧٩٤) صحيح

وَعَنْ صَفْوَانَ بْنِ يَعْلَى بْنِ أُمَيَّةَ عَنْ أَبِيهِ : أَنَّ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ - ﷺ - وَهُوَ بِالْجِعْرَانَةِ وَعَلَيْهِ جُبَّةٌ وَعَلَيْهِ أَثَرُ الْخَلْقِ قَالَ هَمَّامٌ أَوْ قَالَ أَثَرُ الصُّفْرَةِ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ كَيْفَ تَأْمُرُنِي أَنْ أَصْنَعَ فِي عُمْرَتِي؟ قَالَ : فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ - ﷺ - قَالَ : فَسْتَرَ بِثَوْبٍ قَالَ وَكَانَ يَعْلَى يَقُولُ : وَدِدْتُ لَوْ أَنِّي قَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - وَقَدْ نَزَلَ عَلَيْهِ الْوَحْيُ قَالَ فَقَالَ عُمَرُ : أَيَسْرُكَ أَنْ تَنْظُرَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - وَقَدْ أَنْزَلَ عَلَيْهِ الْوَحْيُ قُلْتُ : نَعَمْ. قَالَ فَرَفَعَ طَرَفَ الثَّوْبِ فَنَظَرْتُ إِلَيْهِ وَلَهُ غَطِيطٌ قَالَ هَمَّامٌ أَحْسِبُهُ كَعَطِيطِ الْبَكْرِ فَلَمَّا سُرِّيَ عَنْهُ قَالَ : « أَيْنَ السَّائِلُ عَنِ الْعُمْرَةِ اخْلَعْ عَنْكَ هَذِهِ الْجُبَّةَ وَاغْسِلْ عَنْكَ أَثَرَ الْخَلْقِ أَوْ قَالَ أَثَرَ الصُّفْرَةِ وَاصْنَعْ فِي عُمْرَتِكَ كَمَا تَصْنَعُ فِي حَجِّكَ » ٦٨٢ .

وَعَنْ يَعْلَى بْنِ أُمَيَّةَ الْقُرَشِيِّ قَالَ : سَأَلْتُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنْ يُرِينِي النَّبِيَّ - ﷺ - إِذَا نَزَلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ فَبَيْنَا نَحْنُ مَعَهُ فِي سَفَرٍ إِذْ أَتَاهُ رَجُلٌ عَلَيْهِ جُبَّةٌ بِهَا رَدْعٌ مِنْ زَعْفَرَانَ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي أَحْرَمْتُ بِالْعُمْرَةِ وَإِنَّ النَّاسَ يَسْخَرُونَ مِنِّي فَسَكَتَ عَنْهُ النَّبِيُّ - ﷺ - وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ الْوَحْيُ فَذَكَرَ الْحَدِيثَ قَالَ ثُمَّ قَالَ : « أَيْنَ السَّائِلُ عَنِ الْعُمْرَةِ ». فَقَامَ الرَّجُلُ فَقَالَ : « انزَعْ عَنْكَ جُبَّتَكَ هَذِهِ وَمَا كُنْتَ صَانِعًا فِي حَجِّكَ إِذَا أَحْرَمْتَ فَاصْنَعُهُ فِي عُمْرَتِكَ » ٦٨٣ .

في هذا الحديث الشريف أخر جواب السائل، ليشد انتباهه أكثر، ثم نزل عليه الوحي، ثم بعد ذلك سال عنه وأعطاه الجواب وصح له خطاه .

وقال عثمان - هو ابن موهب - : جاء رجل من أهل مصر حج البيت فرأى قوماً جلوساً، فقال من هؤلاء القوم قال هؤلاء قريش . قال فمن الشيخ فيهم قالوا عبد الله بن عمر . قال يا ابن عمر إني سألتك عن شيء فحدثني هل تعلم أن عثمان فر يوم أحد قال نعم . قال تعلم أنه تعيب عن بدر ولم يشهد قال نعم . قال تعلم أنه تعيب عن بيعة الرضوان فلم يشهدا قال نعم . قال الله أكبر .

٦٨٢ - السنن الكبرى للبيهقي - حيدر آباد - (٥ / ٥٦) (٩٣٦٤) صحيح

٦٨٣ - السنن الكبرى للبيهقي - حيدر آباد - (٥ / ٥٦) (٩٣٦٧) صحيح

قَالَ ابْنُ عُمَرَ تَعَالَ أُبَيِّنُ لَكَ أَمَّا فِرَارُهُ يَوْمَ أُحُدٍ فَأَشْهَدُ أَنَّ اللَّهَ عَفَا عَنْهُ وَغَفَرَ لَهُ، وَأَمَّا تَعْيِبُهُ عَنْ بَدْرٍ، فَإِنَّهُ كَانَتْ تَحْتَهُ بِنْتُ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - وَكَانَتْ مَرِيضَةً، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - « إِنَّ لَكَ أَجْرَ رَجُلٍ مِمَّنْ شَهِدَ بَدْرًا وَسَهْمَهُ » . وَأَمَّا تَعْيِبُهُ عَنْ بَيْعَةِ الرُّضْوَانَ فَلَوْ كَانَ أَحَدٌ أَعَزَّ بِيْطْنِ مَكَّةَ مِنْ عُثْمَانَ لَبَعَثَهُ مَكَانَهُ فَبَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - - عُثْمَانَ وَكَانَتْ بَيْعَةُ الرُّضْوَانَ بَعْدَ مَا ذَهَبَ عُثْمَانُ إِلَى مَكَّةَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - - بِيَدِهِ الْيَمْنَى « هَذِهِ يَدُ عُثْمَانَ » . فَضْرَبَ بِهَا عَلَى يَدِهِ، فَقَالَ « هَذِهِ لِعُثْمَانَ » . فَقَالَ لَهُ ابْنُ عُمَرَ اذْهَبْ بِهَا الْآنَ مَعَكَ^{٦٨٤} .

قوله: "هل تعلم أن عثمان فر يوم أحد الخ" الذي يظهر من سياقه أن السائل كان ممن يتعصب على عثمان فأراد بالمسائل الثلاث أن يقرر معتقده فيه، ولذلك كبر مستحسنا لما أجابه به ابن عمر. قوله: "قال ابن عمر: تعال أبين لك" كأن ابن عمر فهم منه مراده لما كبر، وإلا لو فهم ذلك من أول سؤاله لقرن العذر بالجواب، وحاصله أنه عابه بثلاثة أشياء فأظهر له ابن عمر العذر عن جميعها: أما الفرار فبالعفو، وأما التخلف فبالأمر، وقد حصل له مقصود من شهد من ترتب الأمرين الدينوي وهو السهم والأخروي وهو الأجر، وأما البيعة فكان مأذونا له في ذلك أيضا، ويد رسول الله ﷺ خير لعثمان من يده كما ثبت ذلك أيضا عن عثمان نفسه فيما رواه البزار بإسناد جيد أنه عاتب عبد الرحمن بن عوف فقال له: لم ترفع صوتك علي؟ فذكر الأمور الثلاثة، فأجابه بمثل ما أجاب به ابن عمر. قال في هذه: فشمال رسول الله ﷺ خير لي من يميني.

قوله: "فقال له ابن عمر: اذهب بها الآن معك" أي اقرن هذا العذر بالجواب حتى لا يبقى لك فيما أحببتك به حجة على ما كنت تعتقده من غيبة عثمان. وقال الطيبي. قال له ابن عمر تمكما به، أي توجه بما تمسكت به فإنه لا ينفعك بعدما بينت لك^{٦٨٥}

وَعَنِ الْحَسَنِ قَالَ: أَتَتْ عَجُوزٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ادْعُ اللَّهَ أَنْ يُدْخِلَنِي الْجَنَّةَ، فَقَالَ: " يَا أُمَّ فُلَانٍ، إِنَّ الْجَنَّةَ لَا تَدْخُلُهَا عَجُوزٌ " قَالَ: فَوَلَّتْ تَبْكِي فَقَالَ:

^{٦٨٤} - صحيح البخارى - المكثر - (٣٦٩٨)

^{٦٨٥} - فتح الباري لابن حجر - (٧ / ٥٩)

" أَخْبَرُواهَا أَنَّهَا لَا تَدْخُلُهَا وَهِيَ عَجُوزٌ " إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ : إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا عُربًا أُنثَرَابًا " ٦٨٦

وَعَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ : دَخَلَ عَلَيَّ النَّبِيُّ ﷺ وَعِنْدِي عَجُوزٌ مِنْ بَنِي عَامِرٍ، فَقَالَ : " مَنْ هَذِهِ الْعَجُوزُ ؟ " قَالَتْ : مِنْ أَحْوَالِي، أَوْ قَالَتْ : خَالَاتِي، فَقَالَ : " إِنَّ الْجَنَّةَ لَا تَدْخُلُهَا عَجُوزٌ "، قَالَ فَكَبَّرَ ذَلِكَ مِنَ الْعَجُوزِ، قَالَ : فَذَكَرْتُ عَائِشَةَ لِلنَّبِيِّ ﷺ الَّتِي لَقِيتِ الْمَرْأَةَ، فَقَالَ : " إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُنْبِتُ بِهِنَّ خَلْقًا غَيْرَ خَلْقِهِنَّ " ٦٨٧

وَعَنْ عَائِشَةَ، أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ أَتَتْهُ عَجُوزٌ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَقَالَتْ : يَا رَسُولَ اللَّهِ، ادْعُ اللَّهَ أَنْ يُدْخِلَنِي الْجَنَّةَ، فَقَالَ نَبِيُّ اللَّهِ : " إِنَّ الْجَنَّةَ لَا يَدْخُلُهَا عَجُوزٌ "، فَذَهَبَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ فَصَلَّى، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى عَائِشَةَ، فَقَالَتْ عَائِشَةُ : لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ كَلِمَتِكَ مَشَقَّةً وَشِدَّةً، فَقَالَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ : " إِنَّ ذَلِكَ كَذَلِكَ، إِنَّ اللَّهَ إِذَا أَدْخَلَهُنَّ الْجَنَّةَ حَوَّلَهُنَّ أَبْكَارًا " ٦٨٨

وفي هذا الحديث آخر الجواب لبيان الحكم، وهو أنها لن تدخل الجنة وهي عجوز، بل وهي شابة .

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ : جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ - فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي عَالَجْتُ امْرَأَةً فِي أَقْصَى الْمَدِينَةِ وَإِنِّي أَصَبْتُ مِنْهَا مَا دُونَ أَنْ أَمْسَهَا فَأَنَا هَذَا فَاقْضِ فِيَّ مَا شِئْتَ. فَقَالَ لَهُ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : لَقَدْ سَتَرَكَ اللَّهُ لَوْ سَتَرْتَ نَفْسَكَ. قَالَ : وَلَمْ يَرُدَّ عَلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ - شَيْئًا فَقَامَ الرَّجُلُ فَانْطَلَقَ فَاتَّبَعَهُ النَّبِيُّ ﷺ - رَجُلًا دَعَاهُ فَتَلَا عَلَيْهِ هَذِهِ الْآيَةَ { وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفًا مِنْ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُدْهَبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذَكَرَى لِلذَّاكِرِينَ } (١١٤) سورة هود فقال رجلٌ من القومِ : يَا نَبِيَّ اللَّهِ هَذَا لَهُ خَاصَّةٌ؟ قَالَ : « بَلْ لِلنَّاسِ كَافَّةٌ » ٦٨٩ .

٦٨٦ - السَّمَائِلُ الْمُحَمَّدِيَّةُ لِلرَّمِذِيِّ (٢٣٨) صحيح لغيره

٦٨٧ - أَخْبَارُ أَصْبَهَانَ لِأَبِي نُعَيْمٍ الْأَصْبَهَانِيِّ (٤٠٦٠٥) صحيح لغيره

انظر فتاوى الشبكة الإسلامية معدلة - (٩ / ٢٥٤٦) رقم الفتوى ٦٣٠٧٢ النكات المنضمة آيات قرآنية

٦٨٨ - الْمُعْجَمُ الْأَوْسَطُ لِلطَّبْرَانِيِّ (٥٧٠٣) صحيح لغيره

٦٨٩ - السنن الكبرى للبيهقي - حيدر آباد - (٨ / ٢٤١) (١٧٥٤٠) ومسلم - المكثر - (٧١٨٠)

وَعَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ، قَالَ : جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ ، فَقَالَ : إِنِّي أَحَذْتُ امْرَأَةً فِي الْبُسْتَانِ، فَأَصَبْتُ مِنْهَا كُلَّ شَيْءٍ إِلَّا أَنِّي لَمْ أَنْكِحْهَا، فافْعَلْ بِي مَا شِئْتَ، فَلَمْ يَقُلْ لَهُ شَيْئًا، ثُمَّ دَعَاهُ، فَقَرَأَ عَلَيْهِ هَذِهِ الْآيَةَ : { أَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفًا مِنَ اللَّيْلِ، إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ } [هود] . ٦٩٠

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ : قَالَ رَجُلٌ : يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي لَقَيْتُ امْرَأَةً فِي الْبُسْتَانِ، فَضَمَمْتُهَا إِلَيَّ وَقَبَلْتُهَا وَبَاشَرْتُهَا، وَفَعَلْتُ بِهَا كُلَّ شَيْءٍ إِلَّا أَنِّي لَمْ أُجَامِعْهَا، فَسَكَتَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا : { أَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفًا مِنَ اللَّيْلِ، إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ، ذَلِكَ ذِكْرِي لِلذَّاكِرِينَ } [هود] قَالَ : فدَعَاهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، فَقَرَأَهَا عَلَيْهِ، فَقَالَ عُمَرُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَلَهُ خَاصَّةٌ ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : بَلْ لِلنَّاسِ كَافَّةً. ٦٩١

وَقَالَ وَائِلَةُ بِنْتُ الْأَسْتَعِ : جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي أَصَبْتُ حَدًّا فَأَقَمْتُهُ عَلَيَّ، قَالَ : فَأَعْرَضَ عَنْهُ، ثُمَّ قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي أَصَبْتُ حَدًّا فَأَقَمْتُهُ عَلَيَّ، فَأَعْرَضَ عَنْهُ، ثُمَّ أُفِيَمَتِ الصَّلَاةُ، فَلَمَّا سَلِمَ، قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي أَصَبْتُ حَدًّا فَأَقَمْتُهُ عَلَيَّ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : هَلْ تَوَضَّأْتَ حِينَ أَقْبَلْتَ ؟ قَالَ : نَعَمْ، قَالَ : صَلَّيْتَ مَعَنَا ؟ قَالَ : نَعَمْ، قَالَ : فَادْهَبْ، فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ غَفَرَ لَكَ. ٦٩٢

وَقَالَ أَبُو أُمَامَةَ : بَيْنَمَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - فِي الْمَسْجِدِ وَنَحْنُ قُعُودٌ مَعَهُ إِذْ جَاءَ رَجُلٌ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي أَصَبْتُ حَدًّا فَأَقَمْتُهُ عَلَيَّ. فَسَكَتَ عَنْهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - ثُمَّ أَعَادَ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي أَصَبْتُ حَدًّا فَأَقَمْتُهُ عَلَيَّ. فَسَكَتَ عَنْهُ وَأُفِيَمَتِ الصَّلَاةُ فَلَمَّا انْصَرَفَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ - قَالَ أَبُو أُمَامَةَ فَاتَّبَعَ الرَّجُلُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ - حِينَ انْصَرَفَ وَاتَّبَعَتْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ - أَنْظَرُ مَا يَرُدُّ عَلَى الرَّجُلِ فَلَحِقَ الرَّجُلُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ - فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي أَصَبْتُ حَدًّا فَأَقَمْتُهُ عَلَيَّ - قَالَ أَبُو أُمَامَةَ - فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - « أَرَأَيْتَ حِينَ خَرَجْتَ مِنْ بَيْتِكَ أَلَيْسَ قَدْ تَوَضَّأْتَ فَأَحْسَنْتَ الْوُضُوءَ ». قَالَ بَلَى يَا رَسُولَ

٦٩٠ - صحيح ابن حبان - (١٦ / ٥) (١٧٢٨) صحيح

٦٩١ - صحيح ابن حبان - (٢٠ / ٥) (١٧٣٠) صحيح

٦٩٢ - صحيح ابن حبان - (١٥ / ٥) (١٧٢٧) صحيح

اللَّهِ. قَالَ « ثُمَّ شَهِدْتَ الصَّلَاةَ مَعَنَا ». فَقَالَ نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - « فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ غَفَرَ لَكَ حَدَّكَ - أَوْ قَالَ - ذَنْبَكَ » ٦٩٣ .

وقال ابن عبد البر: ذهب بعض أهل العصر إلى أن الحسنات تكفر الذنوب، واستدل بهذه الآية وغيرها من الآيات والأحاديث الظاهرة في ذلك. قال: ويرد الحث على التوبة في أي كبيرة، فلو كانت الحسنات تكفر جميع السيئات لما احتاج إلى التوبة. واستدل بهذا الحديث على عدم وجوب الحد في القبلة واللمس ونحوهما، وعلى سقوط التعزيز عن من أتى شيئاً منها وجاء تائباً نادماً. واستنبط منه ابن المنذر أنه لا حد على من وجد مع امرأة أجنبية في ثوب واحد. ٦٩٤

وقال ابن عثيمين: " هذه الأحاديث كلها أيضاً فيها من الرجاء ما فيها فمن ذلك أن الصلوات الخمس تكفر السيئات التي قبلها كما في قصة الرجل الذي أصاب من امرأة قبلة، والذي أصاب حداً وطلب من النبي ﷺ أن يقيمه عليه، فإن الصلاة هي أفضل أعمال البدن وهي تذهب السيئات، قال الله تعالى: وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفًا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ۗ " ٦٩٥

قلت: ولكن تأخير الجواب لمصلحة لا حرج فيه، وأما إذا كان السائل مضطراً، وكان بالإمكان وقف الحديث وإجابته، فتجب إجابته في هذه الحال، فقد عاتب الله تعالى رسوله ﷺ عندما جاءه ابن أم مكتوم رضي الله عنه يسأل عن بعض أمور دينه، فكره الرسول ﷺ إجابته وقطع حديثه مع زعماء قريش - طمعاً بإسلامهم -، قال تعالى: { عَبَسَ وَتَوَلَّى (١) أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى (٢) وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يُزَكَّى (٣) أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ

٦٩٣ - صحيح مسلم - المكثر - (٧١٨٣)

حدًا: الحد: ما أمر به الله تعالى من العقاب لمن أذنب ذنباً، ومعنى قوله: أصبت حدًا أي أصبت ذنباً يوجب علي حدًا.

٦٩٤ - فتح الباري لابن حجر - (٨ / ٣٥٧)

٦٩٥ - شرح رياض الصالحين لابن عثيمين - (٣ / ٦٠)

الذكري (٤) أمّا من استعنى (٥) فأنت له تصدّي (٦) وما عليك ألا يزكّي (٧) وأمّا من
جاءك يسعَى (٨) وهو يخشى (٩) فأنت عنه تلّهَى (١٠) {عبس : ١ - ١٠}

وعن مسلم بن صبيح ، قال : دخلت على عائشة رضي الله عنها وعندها رجل مكفوف ،
وهي تقطع له الأثرج ، وتطعمه إياه بالعسل ، فقلت : من هذا يا أم المؤمنين ؟ فقالت
: هذا ابن أم مكتوم الذي عاتب الله تبارك وتعالى فيه نبيه ﷺ ، قالت : أتى النبي ﷺ
ابن أم مكتوم وعنده عتبة وشيبة ، فأقبل رسول الله ﷺ عليهما ، فنزلت عبس وتولى أن
جاءه الأعمى ابن أم مكتوم^{٦٩٦}

كان رسول الله ﷺ يوماً يخاطب أحد سادة قريش ، وقد طمع في إسلامه ، فبينما كان
يتحدث إليه ، إذ أقبل ابن أم مكتوم ، وهو رجل أعمى ، وكان أسلم ، قديماً ، وهاجر
إلى المدينة ، وقد جاء إلى النبي ﷺ ليسأله عن شيء ، وألح على النبي ﷺ في السؤال . وودَّ
النبي ﷺ أن لو كف ابن أم مكتوم ، ساعته تلك ، لستمكّن من متابعة حديثه مع ذلك الرجل
، طمعاً في هدايته . وعبس في وجه ابن أم مكتوم وأعرض عنه ، وأقبل على الآخر ،
فأنزل الله تعالى هذه الآيات معاتباً رسوله الكريم .

فكان رسول الله ﷺ بعد ذلك يهش لابن أم مكتوم ، ويلقاه بالعناية والتكريم ويقول له :
أهلاً بمن عاتبني فيه ربي .^{٦٩٧}

ومعنى الآية : أن الرسول قطب وجهه كارهاً وأعرض .

لأن الأعمى قد جاءه يسأل عن أمر من أمور دينه ، وقطع حديث الرسول ، مع أنه
بسبب عماه يستحق مزيداً من الرفق والرفقة ، فكيف يليق بك أن تخصه بالجفوة
والإعراض؟

وما يدريك حال هذا الأعمى؟ فقد يتطهر بما يسمعه منك ، ويتنفع به .

أو يتعظُ فتفعله ذكراك وعظتاك .

٦٩٦ - المستدرک للحاکم (٦٦٧١) صحیح

٦٩٧ - انظر سيرة ابن هشام - (١ / ٣٦٣)

أَمَّا مَنْ اسْتَعْنَى بِمَالِهِ وَقُوَّتِهِ عَنِ الْإِيمَانِ . فَأَنْتَ تَتَعَرَّضُ لَهُ ، وَنَهْتُمْ بِتَبْلِيغِهِ الدَّعْوَةَ ، لَعَلَّهُ يَهْتَدِي .

وَمَا يَضُرُّكَ أَنْ يَيْتَمَى عَلَى ضَلَالِهِ ، وَأَنْ لَا يَتَّطَهَّرَ مِنْ أَدْرَانِ الشُّرْكِ وَالْجَهَالَةِ ، فَأَنْتَ رَسُولٌ مُبَلِّغٌ وَقَدْ أَدَيْتَ رِسَالَتَكَ عَلَى أَكْمَلِ وَجْهِ .

وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى مُسْرِعًا فِي طَلَبِ الْعِلْمِ وَالْهُدَى وَالتَّقَرُّبِ مِنْ رَبِّهِ . وَهُوَ يَخْشَى رَبَّهُ ، وَيَحْذَرُ الْوُقُوعَ فِي الْغَوَايَةِ . فَأَنْتَ تَتَلَهَّى وَتَتَشَاغَلُ عَنْهُ ، وَتُعْرِضُ عَنْ إِجَابَتِهِ ، وَالرَّدَّ عَلَيْهِ . ٦٩٨

إنه لا مجال للامتيازات في دعوة الحق بسبب الحسب والنسب، أو المال والجاه، فهي إنما جاءت لتأصيل النظرة إلى الإنسان وبيان وحدة الأصل، وما تقتضيه من المساواة والتكافؤ، من هنا يمكن تعليل شدة أسلوب العتاب الذي وجهه الله تعالى لرسوله للاهتمام الكبير الذي أظهره لأبي بن خلف، على حساب استقباله لابن أم مكتوم الضعيف - رضي الله عنه -، فابن أم مكتوم يرجح في ميزان الحق على البلايين من أمثال أبي بن خلف لعنه الله.

وكانت لهذه القصة دروس وعبر، استفاد منها الرعيل الأول، ومن جاء بعدهم من المسلمين ومن أهم هذه الدروس، الإقبال على المؤمنين، على الدعاة البلاغ، وليس عليهم الهداية، في قصة الأعمى دليل على نبوة محمد ﷺ فلو لم يكن نبينا محمد ﷺ رسول الله لكتم هذه الحادثة، ولم يخبر الناس بما لما فيها من عتاب له ﷺ ولو كان كاتماً شيئاً من الوحي لكتم هذه الآيات وآيات قصة زيد وزينب بنت جحش، فعلى الدعاة تقديم أهل الخير والإيمان. ٦٩٩

الخلاصة :

(١) يجوز تأجير الجواب إذا كان السائل غير مضطر للجواب حالاً .

٦٩٨ - أيسر التفاسير لأسعد حومد - (١ / ٥٦٣٦)

٦٩٩ - السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث - (١ / ٢٤٤) وانظر: المستفاد من قصص القرآن، عبد الكريم زيدان .(٨٩/٢).

- (٢) يجوز تأخير الجواب حتى يعرف حتى مقصد السائل من سؤاله .
- (٣) يجوز تأخير الجواب لبيان الحكم المترتب عليه
- (٤) لا يجوز تأخير الجواب إذا ترتب عليه مفسدة أو كان السائل مضطرا
وبالإمكان إيقاف الدرس .

[٢١] عدم السخرية من سؤال الجاهل :

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، قَالَ : جَاءَ أَعْرَابِيٌّ عُلُوِيٌّ حَرِيءٌ جَافٌ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَخْبِرْنَا عَنِ الْهَجْرَةِ، أَهِيَ إِلَيْكَ حَيْثُ كُنْتَ ؟ أَمْ إِلَى أَرْضٍ مَعْرُوفَةٍ ؟ أَمْ لِقَوْمٍ خَاصَّةٍ ؟ أَمْ إِذَا مِتَّ انْقَطَعَتْ ؟ قَالَ : فَسَكَتَ عَنْهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، ثُمَّ قَالَ : أَيْنَ السَّائِلُ ؟ قَالَ : هَا أَنَا ذَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ : الْهَجْرَةُ أَنْ تَهْجَرَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ، ثُمَّ أَنْتَ مُهَاجِرٌ وَإِنْ مِتَّ فِي الْحَضَرِ .

قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو : فَقَالَ رَجُلٌ : يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَخْبِرْنَا عَنْ ثِيَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، أَخْلَقُ تُخْلَقُ، أَمْ نَسُجٌ تُنْسَجُ ؟، فَسَكَتَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَضَحِكَ بَعْضُ الْقَوْمِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : مِمَّ تَضْحَكُونَ ؟ أَمِنْ جَاهِلٍ يَسْأَلُ عَالِمًا ؟ ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : أَيْنَ السَّائِلُ ؟ قَالَ : هَا أَنَا ذَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : بَلْ تَتَشَقَّقُ عَنْهَا ثَمَرُ الْجَنَّةِ، بَلْ تَتَشَقَّقُ عَنْهَا ثَمَرُ الْجَنَّةِ مَرَّتَيْنِ، فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا تَقُولُ فِي الْهَجْرَةِ وَالْجِهَادِ ؟ فَقَالَ : يَا عَبْدَ اللَّهِ، ابْدَأْ بِنَفْسِكَ فَاعْزُهَا، وَابْدَأْ بِنَفْسِكَ فَجَاهِدْهَا، فَإِنَّكَ إِنْ قُتِلْتَ فَارًّا بَعَثَكَ اللَّهُ فَارًّا، وَإِنْ قُتِلْتَ مُرَائِبًا بَعَثَكَ اللَّهُ مُرَائِبًا، وَإِنْ قُتِلْتَ صَابِرًا مُحْتَسِبًا بَعَثَكَ اللَّهُ صَابِرًا مُحْتَسِبًا. ٧٠٠

٧٠٠ - مسند الطيالسي - (٤ / ٣٥) (٢٣٩١) حسن

وَعَنْ جَابِرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ : ثِيَابُنَا فِي الْجَنَّةِ نَنْسُجُهَا بِأَيْدِينَا ؟ فَضَحِكَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ الْأَعْرَابِيُّ : لِمَ تَضْحَكُونَ مِنْ جَاهِلٍ يَسْأَلُ عَالِمًا ؟ ! فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : " صَدَقْتَ يَا أَعْرَابِيٌّ وَلَكِنَّهَا ثَمَرَاتٌ " ٧٠١ .

وَعَنْ الْفَرَزْدَقِ بْنِ حَنَّانِ الْقَاصِّ، قَالَ : أَلَا أُحَدِّثُكُمْ حَدِيثًا سَمِعْتُهُ أُذُنَايَ وَوَعَاهُ قَلْبِي، لَمْ أَنْسُهُ بَعْدُ ؟ خَرَجْتُ أَنَا وَعُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ حَيْدَةَ فِي طَرِيقِ الشَّامِ، فَمَرَرْنَا بِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ، فَذَكَرَ الْحَدِيثَ، فَقَالَ : جَاءَ رَجُلٌ مِنْ قَوْمِكُمْ، أَعْرَابِيٌّ جَافٍ جَرِيءٍ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيْنَ الْهَجْرَةُ، إِلَيْكَ حَيْثُمَا كُنْتُ، أَمْ إِلَى أَرْضٍ مَعْلُومَةٍ، أَوْ لِقَوْمٍ خَاصَّةٍ، أَمْ إِذَا مُتَّ انْقَطَعَتْ ؟ قَالَ : فَسَكَتَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ سَاعَةً، ثُمَّ قَالَ : أَيْنَ السَّائِلُ عَنِ الْهَجْرَةِ ؟ قَالَ : هَا أَنَا ذَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ : إِذَا أَقَمْتَ الصَّلَاةَ وَآتَيْتَ الزَّكَاةَ فَأَنْتَ مُهَاجِرٌ، وَإِنْ مُتَّ بِالْحَضْرَمَةِ، قَالَ : يَعْنِي أَرْضًا بِالْيَمَامَةِ، قَالَ : ثُمَّ قَامَ رَجُلٌ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَرَأَيْتَ ثِيَابَ أَهْلِ الْجَنَّةِ، أَتَنْسُجُ نَسْجًا، أَمْ تُشَقِّقُ عَنْهُ ثَمَرُ الْجَنَّةِ ؟ قَالَ : فَكَأَنَّ الْقَوْمَ تَعَجَّبُوا مِنْ مَسْأَلَةِ الْأَعْرَابِيِّ فَقَالَ : مَا تَعَجَّبُونَ مِنْ جَاهِلٍ يَسْأَلُ عَالِمًا ؟ قَالَ : فَسَكَتَ هُنَيْئَةً، ثُمَّ قَالَ : أَيْنَ السَّائِلُ عَنِ ثِيَابِ الْجَنَّةِ ؟ قَالَ : أَنَا، قَالَ : لَا، بَلْ تُشَقِّقُ عَنْ ثَمَرِ الْجَنَّةِ. ٧٠٢ .

وَعَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ، أَنَّهُ كَانَ يَجْتَنِي سِوَاكَ مِنَ الْأَرَاكِ، وَكَانَ دَقِيقَ السَّافِينِ، فَجَعَلَتِ الرِّيحُ تَكْفُوهُ، فَضَحِكَ الْقَوْمُ مِنْهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : مِمَّ تَضْحَكُونَ ؟ قَالُوا : يَا نَبِيَّ اللَّهِ، مِنْ دَقَّةِ سَافِيهِ، فَقَالَ : وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَهُمَا أَنْقَلُ فِي الْمِيزَانِ مِنْ أَحَدٍ. ٧٠٣ .

وَعَنْ أُمِّ سَلَمَةَ قَالَتْ : جَاءَتْ أُمُّ سَلِيمٍ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَتْ : يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنْ اللَّهُ لَأَ يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ فَهَلْ عَلَى الْمَرْأَةِ مِنْ غُسْلِ إِذَا احْتَلَمَتْ ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " إِذَا رَأَتْ الْمَاءَ " وَغَطَّتْ أُمَّ سَلَمَةَ وَجْهَهَا، وَقَالَتْ : يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَوْ تَحْتَلِمُ الْمَرْأَةُ ؟ فَقَالَ : " تَرَبَّتْ يَدَاكَ بِمَا يُشْبِهُهَا وَلَدُهَا ؟ " ٧٠٤ .

٧٠١ - المطالب العالمة بزوائد المسانيد الثمانية - (١٨ / ٦٦٨) (٤٦٠٧) حسن

٧٠٢ - مسند أحمد (عالم الكتب) - (٢ / ٦٧٩) (٦٨٩٠) حسن

٧٠٣ - مسند أحمد (عالم الكتب) - (٢ / ١١٣) (٣٩٩١) صحيح

٧٠٤ - شرح مشكل الآثار - (٧ / ٨٨) (٢٦٦١) صحيح

وَعَنْ أُمِّ سَلَمَةَ قَالَتْ جَاءَتْ أُمُّ سُلَيْمٍ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - فَقَالَتْ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ، فَهَلْ عَلَى الْمَرْأَةِ مِنْ غُسْلٍ إِذَا احْتَلَمَتْ قَالَ النَّبِيُّ - ﷺ - « إِذَا رَأَتْ الْمَاءَ ». فَعَطَّتْ أُمُّ سَلَمَةَ - تَعْنِي وَجْهَهَا - وَقَالَتْ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَتَحْتَلِمُ الْمَرْأَةُ قَالَ « نَعَمْ تَرَبَّتْ يَمِينُكَ فِيمَ يُشْبِهُهَا وَلَدَهَا » ٧٠٥ .

وَعَنْ أُمِّ سَلَمَةَ أَنَّ أُمَّ سُلَيْمٍ قَالَتْ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ، هَلْ عَلَى الْمَرْأَةِ غُسْلٌ إِذَا احْتَلَمَتْ قَالَ « نَعَمْ إِذَا رَأَتْ الْمَاءَ ». فَضَحِكَتْ أُمُّ سَلَمَةَ فَقَالَتْ أَتَحْتَلِمُ الْمَرْأَةُ فَقَالَ النَّبِيُّ - ﷺ - « فِيمَ شَبَّهَ الْوَلَدَ » ٧٠٦ .

وَعَنِ الرَّهْرِيِّ، قَالَ: أَخْبَرَنِي عُرْوَةُ، أَنَّ عَائِشَةَ أَخْبَرَتْهُ، أَنَّ أُمَّ سُلَيْمٍ الْأَنْصَارِيَّةَ، وَهِيَ أُمُّ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، كَلَّمَتْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، وَعَائِشَةُ جَالِسَةٌ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ، أَرَأَيْتَ الْمَرْأَةَ تَرَى فِي النَّوْمِ مَا يَرَى الرَّجُلُ أَتَغْتَسِلُ مِنْ ذَلِكَ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: نَعَمْ، فَقَالَتْ عَائِشَةُ: أُمَّ لَكَ أَوْ تَرَى الْمَرْأَةَ ذَلِكَ؟ قَالَتْ: فَالْتَمَّتْ إِلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: تَرَبَّتْ يَمِينُكَ مِنْ أَيْنَ يَكُونُ الشَّبْهُ؟، قِيلَ لَهُ: أَرَأَيْتَ إِذَا لَمْ تُهْرَبِ قُ الْمَاءَ؟ قَالَ: لَا غُسْلَ إِذَا ٧٠٧

قال الإمام النووي: [وأما كون الحياء خيراً كله ولا يأتي إلا بخير فقد يشكل على بعض الناس من حيث إن صاحب الحياء قد يستحي أن يواجه بالحق من يجلبه فيترك أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر وقد يحمله الحياء على الإخلال ببعض الحقوق وغير ذلك مما هو معروف في العادة وجواب هذا ما أجاب به جماعة من الأئمة منهم الشيخ أبو عمر بن الصلاح رحمه الله تعالى أن هذا المانع الذي ذكرناه ليس بحياء حقيقة بل هو عجز وخور ومهانة وإنما تسميته حياء من إطلاق بعض أهل العرف أطلقوه مجازاً لمشابهته الحياء الحقيقي

٧٠٥ - صحيح البخارى - المكثر - (١٣٠)

٧٠٦ - صحيح البخارى - المكثر - (٦٠٩١)

٧٠٧ - مسند أبي عوانة (٦٥٥) صحيح

وإنما حقيقة الحياء خلقٌ يبعث على ترك القبيح ويمنع من التقصير في حق ذي الحق ونحو هذا [٧٠٨]

قلت : في هذه الأحاديث النهي عن السخرية والضحك على السائل، وكذلك على بعض الناس لدمامة أو قصر أو نحوه، فكان جواب النبي ﷺ واضحاً وصريحاً في النهي عن ذلك كله .

الخلاصة :

- (١) على المتعلم أن يسأل عن كل ما يشكل عليه في أمور دينه ودنياه .
- (٢) لا تجوز السخرية بسؤال المتعلم من قبل المعلم .
- (٣) لا تجوز السخرية ولا الضحك من قبل المتعلم على سؤال زميله .
- (٤) الحياء الصحيح لا يمنع من السؤال في أمور الدين والدنيا

[٢٢] إعادة السؤال على السائل لتنبهه إلى السؤال الأهم :

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ : بَيْنَمَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُحَدِّثُ الْقَوْمَ، جَاءَهُ أَعْرَابِيٌّ، فَقَالَ : مَتَى السَّاعَةُ ؟ فَمَضَى ﷺ يُحَدِّثُ، فَقَالَ بَعْضُ الْقَوْمِ : سَمِعَ مَا قَالَ، وَكَرِهَ مَا قَالَ. وَقَالَ بَعْضُهُمْ : بَلْ لَمْ يَسْمَعْ. حَتَّى إِذَا قَضَى حَدِيثَهُ، قَالَ : أَيْنَ السَّائِلُ عَنِ السَّاعَةِ ؟ قَالَ : هَا أَنَا ذَا، قَالَ : إِذَا ضُيِّعَتِ الْأَمَانَةُ، فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ، قَالَ : فَمَا إِضَاعَتُهَا ؟ قَالَ : إِذَا اشْتَدَّ الْأَمْرُ، فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ. ٧٠٩

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ : بَيْنَمَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ جَالِسٌ فِي مَجْلِسِهِ يُحَدِّثُ الْقَوْمَ حَدِيثًا، جَاءَ أَعْرَابِيٌّ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَتَى السَّاعَةُ ؟ قَالَ : فَمَضَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُحَدِّثُ، فَقَالَ

٧٠٨ - شرح النووي على صحيح مسلم ٢٠٤/١

٧٠٩ - صحيح ابن حبان - (١ / ٣٠٧) (١٠٤) صحيح

بَعْضُ الْقَوْمِ : سَمِعَ فِكْرَهُ مَا قَالَ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ : بَلْ لَمْ يَسْمَعْ حَتَّى إِذَا قَضَى حَدِيثَهُ، قَالَ :
 أَيْنَ السَّائِلُ عَنِ السَّاعَةِ ؟ قَالَ : هَا أَنَا ذَا، يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ : إِذَا ضُيِّعَتِ الْأَمَانَةُ، فَانْتَظِرِ
 السَّاعَةَ، قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَيْفَ ؟ أَوْ مَا إِضَاعَتُهَا ؟ قَالَ : إِذَا تَوَسَّدَ الْأَمْرَ غَيْرُ
 أَهْلِهِ، فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ. ٧١٠

وقوله: « إذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة » هو كلام مجمل أحب الأعرابي السائل
 النبي - ﷺ - شرحه له فقال له: « كيف إضاعتها يا رسول الله؟ قال: إذا أسند الأمر
 إلى غير أهله » فأجابه - ﷺ - بجواب عام دخل فيه تضييع الأمانة، وما كان في
 معناها مما لا يجرى على طريق الحق، كاتخاذ العلماء الجهال عند موت أهل العلم، واتخاذ
 ولاة الجور وحكام الجور عند غلبة الباطل وأهله ٧١١

ذلك أن إسناد أي أمر لغير أهله إنما هو إفساد في الوجود، لأن الأصل في إسناد أي أمر
 لأي إنسان أن يكون بهدف أن يقوم بالأمر كما يجب، فإذا كان الاختيار سيئاً؛ فسيكون
 هذا الإنسان أسوة في السوء؛ وتنتقل منه عدوى عدم الإتقان إلى غيره؛ ويتفشى السوء في
 المجتمع، أما إذا تولى الأمر من هو أهل له فالموقف يختلف تماماً، فوضع الإنسان في مكانه
 اللائق، تعادل به موازين العدل، وفي اعتدال الميزان استقرار للزمان والمكان والإنسان. ٧١٢

وعن أنس بن مالك، قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله، متى قيام الساعة؟
 فقال النبي ﷺ: إلى الصلاة، فلما قضى الصلاة، قال: أين السائل عن ساعته؟ فقال
 الرجل: أنا يا رسول الله، قال: ما أعددت لها؟ قال: ما أعددت لها كبير شيء، ولا
 صلاة، ولا صيام، أو قال: ما أعددت لها كبير عمل، إلا أنني أحب الله ورسوله، فقال النبي
 ﷺ: المرء مع من أحب، أو قال: أنت مع من أحببت قال أنس: فما رأيت المسلمين
 فرحوا بشيء بعد الإسلام مثل فرحهم بهذا. ٧١٣

٧١٠ - مسند أحمد (عالم الكتب) - (٣ / ٣٤٩) (٨٧٢٩) ٨٧١٤ - صحيح

٧١١ - شرح ابن بطلال - (١٩ / ٢٧٤)

٧١٢ - تفسير الشعراوي - (/ ١٧٧١)

٧١٣ - صحيح ابن حبان - (١ / ٣٠٨) (١٠٥) صحيح

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، أَنَّهُ قَالَ : جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَتَى قِيَامُ السَّاعَةِ ؟ فَقَامَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى الصَّلَاةِ، فَلَمَّا قَضَى الصَّلَاةَ، قَالَ : أَيُّنَ السَّائِلِ عَنِ الْقِيَامَةِ ؟ قَالَ الرَّجُلُ : أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ : مَا أَعَدَدْتَ لَهَا ؟ قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا أَعَدَدْتُ لَهَا كَبِيرَ صَلَاةٍ، وَلَا صَوْمٍ، إِلَّا إِنِّي أَحَبُّ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ، وَأَنْتَ مَعَ مَنْ أَحَبَّتَ، فَقَالَ أَنَسٌ : مَا رَأَيْتُ الْمُسْلِمِينَ فَرِحُوا بِشَيْءٍ بَعْدَ الْإِسْلَامِ مِثْلَ فَرَحِهِمْ بِهَا. ٧١٤

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ : إِنْ كَانَ لَيُعْجِنُنَا الرَّجُلُ مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ يَجِيءُ فَيَسْأَلُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ : فَجَاءَ أَعْرَابِيٌّ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَتَى السَّاعَةُ ؟ قَالَ : وَأُقِيمَتِ الصَّلَاةُ، فَنَهَضَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَصَلَّى، فَلَمَّا قَضَى الصَّلَاةَ قَالَ : أَيُّنَ السَّائِلِ عَنِ السَّاعَةِ ؟ فَقَامَ الرَّجُلُ فَقَالَ : أَنَا . فَقَالَ : وَمَا أَعَدَدْتَ لَهَا ؟ قَالَ : مَا أَعَدَدْتُ لَهَا مِنْ كَثِيرِ صَلَاةٍ، وَلَا صِيَامٍ، إِلَّا أَنِّي أَحَبُّ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ . قَالَ : فَمَا رَأَيْتُ الْمُسْلِمِينَ فَرِحُوا بِشَيْءٍ بَعْدَ الْإِسْلَامِ فَرَحَهُمْ بِذَلِكَ وَقَالَ الْأَنْصَارِيُّ : مِنْ كَبِيرِ عَمَلٍ صَلَاةٍ وَلَا صَوْمٍ. ٧١٥

وَعَنْ أَنَسٍ : أَنَّ رَجُلًا قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ مَتَى تَقُومُ السَّاعَةُ ؟ وَأُقِيمَتِ الصَّلَاةُ فَلَمَّا قَضَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ صَلَاتَهُ، قَالَ : أَيُّنَ السَّائِلِ عَنِ السَّاعَةِ ؟ قَالَ : هَا أَنَا ذَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ : إِنَّهَا قَائِمَةٌ فَمَا أَعَدَدْتَ لَهَا ؟ قَالَ : مَا أَعَدَدْتُ لَهَا كَبِيرَ عَمَلٍ غَيْرَ أَنِّي أَحَبُّ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحَبَّتَ، قَالَ : وَعِنْدَهُ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ يُقَالُ لَهُ مُحَمَّدٌ، فَقَالَ : إِنْ يَعِشْ هَذَا، فَلَا يُدْرِكُهُ الْهَرَمُ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ. ٧١٦

والمقصود ساعة الحاضرين، وليس الساعة الكبرى

ونلاحظ في هذه الأحاديث أن النبي ﷺ رد السؤال على السائل، لبيان المقصود من السؤال، وليكون فيه فائدة للحاضرين الذين لم يسألوا .

٧١٤ - صحيح ابن حبان - (١٦ / ٣٤٥) (٧٣٤٨) وسنن الترمذى - المكثر - (٢٥٦٠) صحيح

٧١٥ - مسند أحمد (عالم الكتب) - (٤ / ٥١٦) (١٣٠٦٨) ١٣٠٩٩ - صحيح

٧١٦ - صحيح ابن حبان - (٢ / ٣٢٤) (٥٦٥) صحيح

ومن ثم نلاحظ فرح الصحابة الشديد بجواب الرجل وبجواب رسول الله ﷺ، حيث إن حالهم يشبه حال السائل، وكلهم يطمع بالذي طمع فيه .

الخلاصة :

- (١) لا بأس بإعادة السؤال على السائل إذا اقتضت المصلحة ذلك
- (٢) في إعادة السؤال على السائل استخراج مقصوده من السؤال ولاسيما إذا كان يحتمل أكثر من جواب .
- (٣) في إعادة السؤال على السائل تنبيه للحاضرين كي تكون أسئلتهم دقيقة وفي محلها .

[٢٣] تأخير جواب السائل إذا كان مرتبطاً بشيء عملي :

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي بَعْضِ مَعَاذِرِهِ، فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا تَقُولُ فِي اللاهين؟ فَسَكَتَ عَنْهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيْهِ كَلِمَةً حَتَّى فَرَّغَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ غَزْوِهِ وَطَافَ، فَإِذَا بِصَبِيِّ قَدْ وَقَعَ مِنْ مِحْفَةٍ فَإِذَا هُوَ، فَنَادَى مُنَادِيَهُ أَيْنَ السَّائِلُ عَنِ اللاهين؟ فَأَقْبَلَ الرَّجُلُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَنَهَى عَنْ قَتْلِ أَوْفَالِهِمْ، وَقَالَ: اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا عَامِلِينَ. ٧١٧

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي بَعْضِ مَعَاذِرِهِ، فَسَأَلَهُ رَجُلٌ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا تَقُولُ فِي اللاهين، قَالَ فَسَكَتَ عَنْهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيْهِ كَلِمَةً، فَلَمَّا فَرَّغَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ غَزْوِهِ طَافَ، فَإِذَا هُوَ بِغُلَامٍ قَدْ وَقَعَ وَهُوَ يَعْبَثُ بِالْأَرْضِ، فَنَادَى مُنَادِيَهُ: أَيْنَ السَّائِلُ عَنِ اللاهين؟ فَأَقْبَلَ الرَّجُلُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَنَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ قَتْلِ الأَوْفَالِ، ثُمَّ قَالَ: وَاللَّهِ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا عَامِلِينَ، هَذَا مِنَ اللاهين ٧١٨.

٧١٧ - المعجم الكبير للطبراني - (١٠ / ٢٣) (١١٧٣٨) حسن

٧١٨ - كشف الأستار - (٣ / ٣٢) (٢١٧٣) حسن

وَهُمُ الْبُلَّةُ الْعَافِلُونَ الَّذِينَ لَمْ يَتَعَمَّدُوا الذُّنُوبَ، وَقِيلَ : هُمُ الْأَطْفَالُ الَّذِينَ لَمْ يَقْتَرِفُوا ذَنْبًا ٧١٩

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : سَأَلْتُ اللَّهَ الْلاهِينَ مِنْ ذُرِّيَةِ الْبَشَرِ فَأَعْطَانِيهِمْ ٧٢٠

قلت :

فالرجل سأل عن اللاهين، فلم يجبه الرسول ﷺ حتى مرت حالة مشاهمة فبين له ذلك فيما بعد، فكان هذا أبلغ في الجواب، وكذلك إذا سأل الطالب عن شيء موجود وإمكاننا إحضاره له، فلا بأس من تأخير الجواب حتى نحضره له ، كمن يسأل عن العسل، ولم يره ، فإذا أحضرنا له العسل في درس آخر، وقلنا له : هذا هو العسل لكان الجواب أبلغ ، فهذه وسيلة إيضاح ، ولاسيما أن هناك أشياء لا تفهم دون رؤيتها، فإن أمكن إحضارها فيه ونعمت وإلا عن طريق الرسم مثلا .

الخلاصة :

- (١) لا بأس بتأخير الجواب على سؤال المتعلم إذا كان مرتبطاً بأمر عملي حتى نحضره له .
- (٢) في إحضار الشيء المسؤول عنه زيادة إيضاح وتركيز للمعلومة .
- (٣) استخدام وسيلتي السمع والبصر أفضل من استخدام وسيلة واحدة .
- (٤) يمكن رسم الشيء المسؤول عنه عند العجز عن إحضاره، أو الاستعانة بالفيديو ونحو ذلك من وسائل الإيضاح، والنت اليوم من أقواها .

[٢٤] السكوت عن جواب السائل ساعة أو نحوها حسب مقتضى الحال :

٧١٩ - إعلام الموقعين عن رب العالمين - (٤ / ٣٨٣)

٧٢٠ - مسند أبي يعلى الموصلي (٣٥٧٠) والصحيحة (١٨٨١) وصحيح الجامع (٣٥٩٢) صحيح لغيره

عَنِ الْفَرَزْدَقِ بْنِ حَنَّانِ الْقَاصِّ، قَالَ : أَلَا أُحَدِّثُكُمْ حَدِيثًا سَمِعْتُهُ أُذُنَايَ وَوَعَاهُ قَلْبِي، لَمْ أَنْسَهُ بَعْدُ ؟ خَرَجْتُ أَنَا وَعُيَيْدُ اللَّهِ بْنِ حَيْدَةَ فِي طَرِيقِ الشَّامِ، فَمَرَرْنَا بِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ، فَذَكَرَ الْحَدِيثَ، فَقَالَ : جَاءَ رَجُلٌ مِنْ قَوْمِكُمْ، أَعْرَابِيٌّ جَافٌ جَرِيءٌ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيْنَ الْهَجْرَةُ، إِلَيْكَ حَيْثُمَا كُنْتُ، أَمْ إِلَى أَرْضٍ مَعْلُومَةٍ، أَوْ لِقَوْمٍ خَاصَّةٍ، أَمْ إِذَا مُتَّ انْقَطَعَتْ ؟ قَالَ : فَسَكَتَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ سَاعَةً، ثُمَّ قَالَ : أَيْنَ السَّائِلُ عَنِ الْهَجْرَةِ ؟ قَالَ : هَا أَنَا ذَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ : إِذَا أَقَمْتَ الصَّلَاةَ وَآتَيْتَ الزَّكَاةَ فَأَنْتَ مُهَاجِرٌ، وَإِنْ مُتَّ بِالْحَضْرَمَةِ، قَالَ : يَعْنِي أَرْضًا بِالْيَمَامَةِ، قَالَ : ثُمَّ قَامَ رَجُلٌ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَرَأَيْتَ ثِيَابَ أَهْلِ الْجَنَّةِ، أَتَنْسُجُ نَسْجًا، أَمْ تُشَقِّقُ عَنْهُ ثَمَرُ الْجَنَّةِ ؟ قَالَ : فَكَأَنَّ الْقَوْمَ تَعَجَّبُوا مِنْ مَسْأَلَةِ الْأَعْرَابِيِّ فَقَالَ : مَا تَعَجَّبُونَ مِنْ جَاهِلٍ يَسْأَلُ عَالِمًا ؟ قَالَ : فَسَكَتَ هُنَيْئَةً، ثُمَّ قَالَ : أَيْنَ السَّائِلُ عَنِ ثِيَابِ الْجَنَّةِ ؟ قَالَ : أَنَا، قَالَ : لَا، بَلْ تُشَقِّقُ عَنْ ثَمَرِ الْجَنَّةِ. ٧٢١

الجواب واضح ن فالنبي ﷺ لم يجبه مباشرة وإنما أخر الجواب عمدا .

الخلاصة :

- (١) يجوز للمعلم أن يؤخر الجواب برهة من الزمان حسب مقتضى الحال .
- (٢) قد يكون تأخير الجواب بسبب انشغاله بالدرس، أو لشد انتباه الطلاب، أو لتشويق السائل .
- (٣) قد لا يحفظ المعلم اسم السائل، فلا بأس من أن يقول : أين السائل عن كذا وكذا ؟

[٢٥] السؤال واحد والجواب مختلف حسب طبيعة السائل :

٧٢١ - مسند أحمد (عالم الكتب) - (٢ / ٦٧٩) (٦٨٩٠) حسن

عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، أَخْبَرَنِي كُدَيْرُ الضَّبِيِّ، أَنَّ رَجُلًا أَعْرَابِيًّا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَ: أَخْبَرَنِي بِعَمَلٍ يُقَرِّبُنِي مِنَ الْجَنَّةِ وَيُبَاعِدُنِي مِنَ النَّارِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَوْهَمَا أَعْمَلْتَاكَ؟»، قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: «تَقُولُ الْعَدْلَ وَتُعْطِي الْفَضْلَ»، قَالَ: وَاللَّهِ مَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَقُولَ الْعَدْلَ كُلَّ سَاعَةٍ، وَمَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أُعْطِيَ فَضْلَ مَالِي، قَالَ: «تُطْعِمُ الطَّعَامَ وَتُفْشِي السَّلَامَ»، قَالَ: هَذِهِ أَيْضًا شَدِيدَةٌ، فَقَالَ: «فَهَلْ لَكَ إِبِلٌ؟»، قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: «فَانْظُرْ إِلَى بَعِيرٍ مِنْ إِبِلِكَ وَسِقَاءٍ ثُمَّ اعْمِدْ إِلَى أَهْلِ بَيْتٍ لَا يَشْرَبُونَ الْمَاءَ إِلَّا غَبًّا فَاسْقِهِمْ، فَلَعَلَّكَ لَا تُهْلِكُ بَعِيرَكَ وَلَا تَخْرُقُ سِقَاءَكَ حَتَّى تَجِبَ لَكَ الْجَنَّةُ»، فَاذْطَلِقِ الْأَعْرَابِيَّ يُكَبِّرُ، فَمَا انْخَرَقَ سِقَاؤُهُ وَلَا هَلَكَ بَعِيرُهُ حَتَّى قُتِلَ شَهِيدًا) .. رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي الْكَبِيرِ ٧٢٢

وَعَنْ أَبِي إِسْحَاقَ أَخْبَرَنِي كُدَيْرُ الضَّبِيِّ أَنَّ رَجُلًا أَعْرَابِيًّا أَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ - فَقَالَ : أَخْبَرَنِي بِعَمَلٍ يَقَرِّبُنِي مِنْ طَاعَتِهِ وَيُبَاعِدُنِي مِنَ النَّارِ قَالَ : « أَوْهَمَا أَعْمَلْتَاكَ » . قَالَ : نَعَمْ قَالَ : « تَقُولُ الْعَدْلَ وَتُعْطِي الْفَضْلَ » . قَالَ : وَاللَّهِ مَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَقُولَ الْعَدْلَ كُلَّ سَاعَةٍ ، وَمَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أُعْطِيَ فَضْلَ مَالِي قَالَ : « فَطُطْعِمِ الطَّعَامَ وَتُفْشِي السَّلَامَ » . قَالَ : هَذِهِ أَيْضًا شَدِيدَةٌ قَالَ : « فَهَلْ لَكَ إِبِلٌ » . قَالَ : نَعَمْ قَالَ : « فَاذْطُرْ بَعِيرًا مِنْ إِبِلِكَ وَسِقَاءً ثُمَّ اعْمِدْ إِلَى أَهْلِ بَيْتٍ لَا يَشْرَبُونَ الْمَاءَ إِلَّا غَبًّا فَاسْقِهِمْ فَلَعَلَّكَ أَنْ لَا يَهْلِكَ بَعِيرُكَ ، وَلَا يَنْخَرِقُ سِقَاؤُكَ حَتَّى تَجِبَ لَكَ الْجَنَّةُ » . قَالَ فَاذْطَلِقِ الْأَعْرَابِيَّ يُكَبِّرُ قَالَ فَمَا انْخَرَقَ سِقَاؤُهُ وَلَا هَلَكَ بَعِيرُهُ حَتَّى قُتِلَ شَهِيدًا . " ٧٢٣

الغِبُّ مِنْ أَوْرَادِ الْإِبِلِ : أَنْ تَرِدَ الْمَاءَ يَوْمًا وَتَدَعَهُ يَوْمًا ثُمَّ تَعُودُ ، فَتَقْلَهُ إِلَى الزِّيَارَةِ وَإِنْ جَاءَ بَعْدَ أَيَّامٍ ، وَالغِبُّ فَعَلَ الْأَمْرَ وَالْقِيَامَ بِهِ حِينَ بَعْدَ حِينٍ

وَعَنْ أَبِي أُمَامَةَ ، قَالَ : جَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ ، فَقَالَ : يَا أَبَا أُمَامَةَ ، إِنِّي رَأَيْتُ رَجُلًا قَدِ أَخَذَ حَرِيدَةً مِنْ نَخْلٍ ، فَجَعَلَ عَلَيْهَا رِدَاءً لَهُ يُظِلُّ بِهِ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مِنَ الشَّمْسِ ، وَإِذَا هُوَ رَجُلٌ أَسْوَدٌ ، فَجِئْتُ حَتَّى قُمْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَقُولُونَ هَكَذَا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ

٧٢٢ - المعجم الكبير للطبراني - (١٤ / ٦٧) (١٥٧٥٣) وجمع الزوائد (٤٧٢٩) ومصنف عبد الرزاق (١٩٦٩٢)

وهو صحيح

٧٢٣ - السنن الكبرى للبيهقي - المكثر - (٤ / ١٨٦) (٨٠٦١) وشعب الإيمان - (٥ / ٦٥) (٣١٠٢) صحيح

ﷺ، قَالَ: " دَعُوهُ، اذْنُ " فَدَنَوْتُ، فَأَخَذْتُ بِرِمَامٍ رَاحِلَتِهِ، فَقَالَ: " أَرْسِلْ " فَقُلْتُ: لَأُ وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ، مَا أَنَا مُرْسَلُكَ حَتَّى تُخْبِرَنِي بِكَلِمَتَيْنِ أَسْأَلُكَ عَنْهُمَا، قَالَ: " وَمَا هُمَا ؟ " قُلْتُ: أَخْبِرَنِي بِعَمَلٍ يُدْخِلُنِي الْجَنَّةَ وَيُبَاعِدُنِي مِنَ النَّارِ، قَالَ: " أَهْمَا أَعْمَلْتَاكَ ؟ " قُلْتُ: أَيْ وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَهُمَا أَعْمَلْتَانِي، وَمَا جِئْتُ إِلَّا لَهُمَا، قَالَ: " لَقَدْ أَقْصَرْتَ الْمَسْأَلَةَ، وَطَلَبْتَ عَظِيمًا فَافْقَهُ لِمَا أَقُولُ لَكَ، وَاعْقِلْ عَنِّي، تَقُولُ الْعَدْلُ، وَتُعْطِي الْفَضْلَ " ٧٢٤

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنْ أَعْرَابِيًّا أَتَى النَّبِيَّ - ﷺ - فَقَالَ ذُلْنِي عَلَى عَمَلٍ إِذَا عَمَلْتُهُ دَخَلْتُ الْجَنَّةَ . قَالَ: « تَعْبُدُ اللَّهَ لَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ الْمَكْتُوبَةَ، وَتُؤَدِّي الزَّكَاةَ الْمَفْرُوضَةَ، وَتَصُومُ رَمَضَانَ » . قَالَ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا أَزِيدُ عَلَى هَذَا . فَلَمَّا وُلِيَ قَالَ النَّبِيُّ - ﷺ - « مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَلْيَنْظُرْ إِلَى هَذَا » ٧٢٥

وَعَنْ الْبَرَاءِ قَالَ : جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى النَّبِيِّ - ﷺ - فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ يُدْخِلُنِي الْجَنَّةَ. قَالَ: « لَكِنْ قَصَّرْتُ فِي الْخُطْبَةِ لَقَدْ عَرَّضْتُ الْمَسْأَلَةَ أَعْتَقَ النَّسَمَةَ وَفَكَ الرِّقْبَةَ ». قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَهْمَا سَوَاءٌ؟ قَالَ: « لَا عَتَقَ النَّسَمَةَ أَنْ تَنْفِرَ بِهَا وَفَكَ الرِّقْبَةَ أَنْ تُعِينَ فِي تَمْنِهَا وَالْمَنْحَةَ الْوَكُوفُ وَالْفَيْءُ عَلَى ذِي الرَّحِمِ الظَّالِمِ ». قَالَ: فَمَنْ يُطِيقُ ذَلِكَ؟ قَالَ: « فَأَطْعِمِ الْجَائِعَ وَاسْقِ الظَّمَانَ ». قَالَ: فَإِنْ لَمْ أَسْتَطِعْ. قَالَ: « مُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنَّهُ عَنِ الْمُنْكَرِ ». قَالَ: فَمَنْ لَمْ يُطِيقْ ذَلِكَ؟ قَالَ: « فَكُفَّ لِسَانَكَ إِلَّا مِنْ خَيْرٍ ». ٧٢٦

وَعَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ، قَالَ: خَرَجْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ، فَرَأَيْتُ خَلْوَةً فَاعْتَمَمْتُهَا، فَأَوْضَعْتُ بَعِيرِي نَحْوَهُ حَتَّى سَايَرْتُهُ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، عَلَّمَنِي عَمَلًا يُدْخِلُنِي الْجَنَّةَ، فَقَالَ: " لَقَدْ سَأَلْتَ عَظِيمًا، وَإِنَّهُ لَيْسِيرٌ عَلَى مَنْ يَسَّرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ: تَعْبُدُ اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ الْمَكْتُوبَةَ، وَتُؤَدِّي الزَّكَاةَ الْمَفْرُوضَةَ، وَتَصُومُ رَمَضَانَ "، ثُمَّ سَارَ وَسِرْتُ.

٧٢٤ - معرفة الصحابة لأبي نعيم - (٦ / ٣١٤٠) (٧٢٣٠) حسن لغيره

٧٢٥ - صحيح البخاري (١٣٩٧) ومسلم (١١٦)

٧٢٦ - السنن الكبرى للبيهقي - حيدرآباد - (١٠ / ٢٧٢) (٢١٨٤٧) صحيح

قَالَ: "إِنْ شِئْتَ أَنْبَأْتُكَ بِأَبْوَابِ مِنَ الْخَيْرِ: الصَّوْمُ جَنَّةٌ، وَالصَّدَقَةُ تُكَفِّرُ الْخَطَايَا، وَقِيَامُ الرَّجُلِ فِي حَوْفِ اللَّيْلِ، ثُمَّ قَرَأَ: "تَجَافَى جُنُوبَهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ" [السجدة آية ١٦]، قَالَ: ثُمَّ سَارَ وَسَرْتُ.

وَقَالَ: "أَلَا أُنبِئُكَ بِرَأْسِ الْأَمْرِ، وَعَمُودِهِ، وَذُرُورَةِ سَنَامِهِ؟: الْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ"، ثُمَّ سَارَ وَسَرْتُ.

قَالَ: "إِنْ شِئْتَ أُنبِئُكَ بِمَا هُوَ أَمْلَكُ عَلَى النَّاسِ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ"، قَالَ: فَكَانَتْ مِنْهُ سَكِينَةً، وَكَانَتْ مِنِّي التَّفَاتَةُ، فَرَأَيْتُ رَاكِبًا فَحَسِبْتُ أَنْ يَأْتِيَهُ فَيَشْعَلُهُ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا هُوَ أَمْلَكُ عَلَى النَّاسِ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ؟ فَأَوْمَأَ بِيَدِهِ إِلَى لِسَانِهِ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَإِنَّا لَنُؤَاخِذُ بِمَا تَتَكَلَّمُ؟ فَقَالَ: "تَكَلَّمْتُكَ أُمُّكَ يَا مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ، وَمَا تَقُولُ إِلَّا لَكَ أَوْ عَلَيْكَ؟ وَهَلْ يَكْبُ النَّاسُ عَلَى مَنَاحِرِهِمْ فِي نَارِ جَهَنَّمَ إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ؟".^{٧٢٧}

وَعَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ خَرَجَ بِالنَّاسِ قَبْلَ غَزْوَةِ تَبُوكَ، فَلَمَّا أَنْ أَصْبَحَ صَلَّى بِالنَّاسِ صَلَاةَ الصُّبْحِ، ثُمَّ إِنَّ النَّاسَ رَكِبُوا، فَلَمَّا أَنْ طَلَعَتِ الشَّمْسُ نَعَسَ النَّاسُ عَلَى أَثَرِ الدُّلْحَةِ، وَلَزِمَ مُعَاذُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَتَلَوُّ آثَرَهُ، وَالنَّاسُ تَفَرَّقَتْ بِهِمْ رِكَابُهُمْ عَلَى جَوَادِّ الطَّرِيقِ تَأْكُلُ وَتَسِيرُ، فَبَيْنَمَا مُعَاذٌ عَلَى أَثَرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَنَاقَتُهُ تَأْكُلُ مَرَّةً وَتَسِيرُ أُخْرَى عَشْرَتَ نَاقَةَ مُعَاذٍ، فَكَبَّحَهَا بِالزَّمَامِ، فَهَبَّتْ حَتَّى تَفَرَّتْ مِنْهَا نَاقَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، ثُمَّ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَشَفَ عَنْهُ قَنَاعَهُ، فَالْتَفَتَ فَإِذَا لَيْسَ مِنَ الْجَيْشِ رَجُلٌ أَدْنَى إِلَيْهِ مِنْ مُعَاذٍ، فَناداهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: يَا مُعَاذُ. قَالَ: لَيْبِكَ يَا نَبِيَّ اللَّهِ. قَالَ: اذْنُ دُونَكَ. فَدَنَا مِنْهُ حَتَّى لَصِقَتْ رَاحِلَتَاهُمَا إِحْدَاهُمَا بِالْأُخْرَى، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: مَا كُنْتُ أَحْسِبُ النَّاسَ مِنَّا كَمَا كَانَهُمْ مِنَ الْبُعْدِ. فَقَالَ مُعَاذٌ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ نَعَسَ النَّاسُ، فَتَفَرَّقَتْ بِهِمْ رِكَابُهُمْ تَرْتَعُ وَتَسِيرُ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: وَأَنَا كُنْتُ نَاعَسًا. فَلَمَّا رَأَى مُعَاذٌ بُشْرَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَيْهِ وَخَلُوتَهُ لَهُ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ائْذَنْ لِي أَسْأَلُكَ عَنْ كَلِمَةٍ قَدْ أَمْرَضَتْني وَأَسْقَمَتْني وَأَحْزَنْتْني. فَقَالَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ: سَلْنِي عَمَّ شِئْتَ. قَالَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، حَدِّثْنِي بِعَمَلٍ يُدْخِلُنِي

^{٧٢٧} - المعجم الكبير للطبراني - (١٥ / ٦٣) (١٦٧١٠) والمستدرک للحاکم (٣٥٤٨) صحیح لغیره

الْحَنَّةَ لَا أَسْأَلُكَ عَنْ شَيْءٍ غَيْرِهَا . قَالَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ : بَخٍ بَخٍ لَقَدْ سَأَلْتَ بَعْظِيمَ، لَقَدْ سَأَلْتَ بَعْظِيمَ، ثَلَاثًا، وَإِنَّهُ لَيْسِيرٌ عَلَيَّ مَنْ أَرَادَ اللَّهُ بِهِ الْخَيْرَ، وَإِنَّهُ لَيْسِيرٌ عَلَيَّ مَنْ أَرَادَ اللَّهُ بِهِ الْخَيْرَ، وَإِنَّهُ لَيْسِيرٌ عَلَيَّ مَنْ أَرَادَ اللَّهُ بِهِ الْخَيْرَ، فَلَمْ يُحَدِّثْهُ بِشَيْءٍ إِلَّا قَالَهُ لَهُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، يَعْنِي أَعَادَهُ عَلَيْهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ؛ حَرِصًا لِكَيْ مَا يُتَّقِنَهُ عَنْهُ، فَقَالَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ : تُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ، وَتَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ لَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا حَتَّى تَمُوتَ وَأَنْتَ عَلَى ذَلِكَ، فَقَالَ : يَا نَبِيَّ اللَّهِ، أَعِدْ لِي فَأَعَادَهَا لَهُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ قَالَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ : إِنْ شِئْتَ حَدَّثْتُكَ يَا مُعَاذُ بِرَأْسِ هَذَا الْأَمْرِ، وَقَوَامِ هَذَا الْأَمْرِ وَ ذُرْوَةِ السَّنَامِ . فَقَالَ مُعَاذُ : بَلَى بِأَبِي وَأُمِّي أَنْتَ يَا نَبِيَّ اللَّهِ فَحَدَّثَنِي . فَقَالَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ : إِنْ رَأْسَ هَذَا الْأَمْرِ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَإِنْ قَوَامِ هَذَا الْأَمْرِ إِقَامُ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ، وَإِنْ ذُرْوَةُ السَّنَامِ مِنْهُ الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، إِنَّمَا أَمَرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ، وَيَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ فَقَدِ اعْتَصَمُوا وَعَصَمُوا دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّهَا، وَحَسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ، وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ مَا شَحَبَ وَجْهًا، وَلَا اغْبَرَّتْ قَدَمٌ فِي عَمَلٍ تُبْتَغَى فِيهِ دَرَجَاتُ الْحَنَّةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ الْمَفْرُوضَةِ كَجِهَادٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَلَا ثَقُلَ مِيزَانُ عَبْدٍ كَدَابَّةٍ تَنْفُقُ لَهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، أَوْ يَحْمِلُ عَلَيْهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ. ۷۲۸

وَعَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ يُدْخِلُنِي الْحَنَّةَ، قَالَ: "بَخٍ بَخٍ، لَقَدْ سَأَلْتَ عَنْ عَظِيمٍ، وَإِنَّهُ لَيْسِيرٌ عَلَيَّ مَنْ يَسْرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ، تَعْبُدُ اللَّهَ لَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ الْمَكْتُوبَةَ، وَتُؤَدِّي الزَّكَاةَ الْمَفْرُوضَةَ، أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى أَبْوَابِ الْخَيْرِ؟ أَوَّلًا أَدُلُّكَ عَلَى رَأْسِ الْأَمْرِ، وَعَمُودِهِ، وَذُرْوَةِ سَنَامِهِ؟ فَأَمَّا رَأْسُ الْأَمْرِ: فَالِإِسْلَامُ، فَمَنْ أَسْلَمَ سَلِمَ، وَأَمَّا عَمُودُهُ: فَالصَّلَاةُ، وَأَمَّا ذُرْوَةُ سَنَامِهِ: فَالْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، أَوَّلًا أَدُلُّكَ عَلَى أَبْوَابِ الْخَيْرِ؟ الصَّوْمُ حَنَّةٌ، وَالصَّدَقَةُ تُكَفِّرُ الْخَطِيئَةَ، وَقِيَامُ الْعَبْدِ فِي حَوْفِ اللَّيْلِ،"

٧٢٨ - مسند أحمد (عالم الكتب) - (٧ / ٣٨١) (٢٢١٢٢) ٢٢٤٧٣ - وكشف الأستار - (٢ / ٢٥٨) (١٦٥٣)

وَتَلَا هَذِهِ الْآيَةَ: "تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ" [السجدة آية ١٦]، أَوَّلَا أُخْبِرُكَ بِأَمَلِكِ مِنْ ذَلِكَ؟"، فَأَقْبَلَ رَاكِبٌ أَوْ رَكْبٌ، فَحَسِبْتُ أَنْ يَشْعُلُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنِّي، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: "أَوَّلَا أُدْلِكَ عَلَى أَمَلِكِ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ؟"، فَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى لِسَانِهِ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّا لَنُؤَاخِذُ بِمَا تَتَكَلَّمُ بِهِ؟ قَالَ: "تَكَلَّمْتُكَ أُمَّكَ مُعَاذُ، وَهَلْ يَكُوبُ النَّاسَ فِي النَّارِ إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ".^{٧٢٩}

[ش - (عظيما) أي أمر مستعظم الحصول عليه لصعوبته على النفوس إلا على من سهل الله عليه . (تعبد الله) خير بمعنى الأمر . وهو مبتدأ محذوف على تقدير أن المصدرية . واستعمال الفعل موضع المصدر مجازا أي هو ذلك العمل ان تعبد الله (جنة) أي ستر من النار والمعاصي المؤدية إليها . (وصلاة الرجل) مبتدأ حذف خبره . أي هي مما لا يكتنخ كنهها . أي هي ما نزلت فيها الآية المذكورة . (برأس الأمر) أي هو للدين بمتزلة الرأس من الرجل . (وعموده) أي ما يعتمد عليه الدين وهو له بمتزلة العمود في البيت . (وذروة سنامه) السنام بالفتح ما ارتفع من ظهر الجمل . وذروته بالضم والكسر أعلاه . أي بما هو للدين بمتزلة ذروة السنام للجمل في العلو والارتفاع . وقد جاء بيان هذا بأَن رأس الأمر الإسلام أي الإتيان بالشهادتين . وعموده الصلاة . وذروة سنامه الجهاد . (بملاك) أي بما به يملك الإنسان ذبلك كله . بحيث يسهل عليه جميع ما ذكر . (تكف) أي تحبس وتحفظ . (تكلتك) أي فقدتك . وهو دعاء عليه بالموت ظاهرا . والمقصود التعجب من الغفلة عن هذا الأمر . (يكب) من كبة إذا صرعه . (حصائد ألسنتهم) بمعنى محصوداتهم . على تشبيهه ما يتكلم به الإنسان بالزرع المحصود بالمنجل . فكما أن المنجل يقطع من غير تمييز بين رطب ويابس وجيد وورديء كذلك لسان المكثار ف بالكلام بكل فن من الكرم من الكلام من غير تمييز بين ما يحسن ويقبح .]

وَعَنْ أَبِي أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيِّ، أَنَّ رَجُلًا أَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: حَدِّثْنِي بِعَمَلٍ يُدْخِلُنِي الْجَنَّةَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: اعْبُدِ اللَّهَ لَا تُشْرِكْ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمِ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ، وَتَصِلُ الرَّحِمَ ذَرْهًا - يَعْنِي النَّاقَةَ -

^{٧٢٩} - المعجم الكبير للطبراني - (١٥ / ٧٠) (١٦٧٢٤) صحيح لغيره

وَعَنْ أَبِي أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيِّ، أَنَّ رَجُلًا قَالَ : يَا نَبِيَّ اللَّهِ أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ يُدْخِلُنِي الْجَنَّةَ، فَقَالَ الْقَوْمُ : مَالُهُ مَالُهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : أَرَبُّ مَالِهِ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ : تَعْبُدُ اللَّهَ لَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ، وَتَصِلُ الرَّحِمَ ذَرْهًا، قَالَ : كَأَنَّهُ كَانَ عَلَى رَاحِلَتِهِ. ٧٣٠

وَعَنْ أَبِي أُمَامَةَ قَالَ : أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقُلْتُ : مُرْنِي بِعَمَلٍ يُدْخِلُنِي الْجَنَّةَ . قَالَ : عَلَيْكَ بِالصَّوْمِ ؛ فَإِنَّهُ لَا عَدَلَ لَهُ . ثُمَّ أَتَيْتُهُ الثَّانِيَةَ فَقَالَ لِي : عَلَيْكَ بِالصِّيَامِ. ٧٣١

وَعَنْ عِيَاضِ بْنِ مَرْثَدٍ، أَوْ مَرْثَدِ بْنِ عِيَاضٍ، عَنْ رَجُلٍ مِنْهُمْ، أَنَّهُ سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ يُدْخِلُنِي الْجَنَّةَ، قَالَ : هَلْ مِنْكَ مِنَ الدَّيْنِ مِنْ أَحَدٍ حَيٌّ ؟ قَالَ لَهُ مَرَّتَ : قَالَ : لَا، قَالَ : فَاسْقِ الْمَاءَ، قَالَ : كَيْفَ أَسْقِيهِ ؟ قَالَ : أَكْفِهِمْ أَلْتَهُ إِذَا حَضَرُوهُ، وَاحْمِلْهُ إِلَيْهِمْ إِذَا غَابُوا عَنْهُ. ٧٣٢

ففي هذه الأحاديث السؤال واحد والجواب مختلف، فقد راعى ﷺ ظروف كل سائل، وأجابته على ضوء ذلك .

ومثله حديث متى الساعة وقد ن فالسؤال واحد والجواب مختلف .

ففي مشكل الآثار للطحاوي : " بَابُ بَيَانِ مُشْكِلِ مَا رُوِيَ عَنِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي أَحَبِّ النَّاسِ كَانَ إِلَيْهِ

قَالَ أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ : " مَرَرْتُ، فَإِذَا عَلِيٌّ، وَالْعَبَّاسُ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ قَاعِدَانِ، فَقَالَا: يَا أُسَامَةُ اسْتَأْذِنْ لَنَا، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ عَلِيًّا وَالْعَبَّاسَ بِالْبَابِ يَسْتَأْذِنَانِ قَالَ: " أَتَدْرِي مَا جَاءَ بِهِمَا ؟ "، قُلْتُ: لَأ، قَالَ: " لَكِنِّي أَذْرِي، إِذْذَنْ لُهُمَا " فَدَخَلَا، فَقَالَ عَلِيٌّ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَيْكَ ؟ قَالَ: فَاطِمَةُ ابْنَةُ مُحَمَّدٍ " قَالَ: إِنِّي لَسْتُ أَسْأَلُ عَنِ النِّسَاءِ، قَالَ: " مَنْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ، وَأَنْعَمْتُ عَلَيْهِ: أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ " قَالَ عَلِيٌّ: ثُمَّ مَنْ ؟ قَالَ: " ثُمَّ أَنْتَ "

٧٣٠ - صحيح ابن حبان - (٣٧ / ٨) (٣٢٤٦) صحيح

٧٣١ - مسند أحمد (عالم الكتب) - (٧ / ٣٩١) (٢٢١٤٩) (٢٢٥٠١) - صحيح

٧٣٢ - مسند أحمد (عالم الكتب) - (٧ / ٦٦٢) (٢٣١٢٤) (٢٣٥١٢) - حسن

وَعَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ قَالَ: " أَتَى عَلِيٌّ وَالْعَبَّاسُ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، وَأَنَا فِي الْمَسْجِدِ، فَقَالَا: اسْتَأْذِنَا لَنَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَالسَّلَامُ، فَدَخَلْتُ، فَاسْتَأْذَنْتُ لَهُمَا، فَقَالَ: " أَتَدْرِي فِيمَا جَاءَا ؟ " ، فَقُلْتُ: لَا وَاللَّهِ، فَقَالَ: " وَلَكِنِّي أَدْرِي، إِذْذَنْ لَهُمَا " ، فَدَخَلَا عَلَيَّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَقَالَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، جِئْنَاكَ نَسْأَلُكَ عَنْ أَحَبِّ أَهْلِ بَيْتِكَ إِلَيْكَ ؟ قَالَ: فَقَالَ: " فَاطِمَةُ " ، فَقَالَا: لَسْنَا نَسْأَلُكَ عَنِ النِّسَاءِ، إِنَّمَا نَسْأَلُكَ عَنِ الرِّجَالِ، قَالَ: فَقَالَ: " أُسَامَةُ " ، فَقَالَ الْعَبَّاسُ شِبْهُ الْمُعْضَبِ: ثُمَّ مَنْ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ: " ثُمَّ عَلِيٌّ " ، فَقَالَ: جَعَلْتَ عَمَّكَ آخِرَ الْقَوْمِ، فَقَالَ: " يَا عَبَّاسُ، إِنَّ عَلِيًّا سَبَقَكَ بِالْهَجْرَةِ " قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: فَكَانَ فِي حَدِيثِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مَرْزُوقٍ أَنَّ سُؤَالَ عَلِيٍّ كَانَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيْهِ، وَفِي حَدِيثِ ابْنِ أَبِي دَاوُدَ سُؤَالُهُ كَانَ إِيَّاهُ عَنْ أَحَبِّ أَهْلِ بَيْتِهِ إِلَيْهِ فَكَانَ جَوَابُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَهُ فِي ذَلِكَ مَا ذَكَرَ مِنْ جَوَابِهِ لَهُ فِي ذَلِكَ إِيَّاهُ فِي هَذَيْنِ الْحَدِيثَيْنِ، وَفِيهِمَا: أَنَّ أُسَامَةَ كَانَ أَحَبَّ الرِّجَالِ إِلَيْهِ فَقَالَ قَائِلٌ: فَقَدْ رُوِيَ عَنْهُ ﷺ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ، أَنَّ أُسَامَةَ كَانَ مِنْ مَحَبَّتِهِ مَا يُخَالِفُ هَذَا، فَذَكَرَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ دِينَارٍ قَالَ: قَالَ ابْنُ عُمَرَ: " بَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ أُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ، فَطَعَنَ بَعْضُ النَّاسِ فِي إِمْرَتِهِ، فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: " إِنْ تَطَعُنُوا فِي إِمْرَتِهِ، فَقَدْ كُنْتُمْ تَطَعُنُونَ فِي إِمْرَةِ أَبِيهِ مِنْ قَبْلُ، وَإِيمُ اللَّهِ، إِنَّهُ كَانَ خَلِيقًا لِلْإِمَارَةِ، وَإِنْ كَانَ لَمِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ، وَإِنْ هَذَا لَمِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ بَعْدَهُ "

فَفِي هَذَا الْحَدِيثِ مِنْ قَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: " أَنَّ أُسَامَةَ مِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيْهِ، وَفِي الْحَدِيثِ الَّذِي رَوَيْتُهُ قَبْلَهُ أَنَّهُ أَحَبُّ الرِّجَالِ إِلَيْهِ، فَهَذَا حَدِيثَانِ مُتَضَادَّانِ فَكَانَ جَوَابًا لَهُ فِي ذَلِكَ بِتَوْفِيقِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَعَوْنِهِ: أَنَّهُمَا لَيْسَا بِمُتَضَادِّينِ كَمَا ظَنَّ ؛ لِأَنَّ الْحَدِيثَ الْأَوَّلَ إِنَّمَا كَانَ فِيهِ سُؤَالُ عَلِيٍّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيْهِ، وَعَنْ أَحَبِّ أَهْلِ بَيْتِهِ إِلَيْهِ، وَإِخْبَارِهِ إِيَّاهُ جَوَابًا لَهُ أَنَّهُ فَاطِمَةُ وَفِي الْحَدِيثِ الثَّانِي قَوْلُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي أُسَامَةَ: " أَنَّهُ مِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيْهِ " ، وَالنَّاسُ فِيهِمْ فَاطِمَةُ، فَلَمَّا كَانَتْ فَاطِمَةُ عَلَيْهَا السَّلَامُ فِي مَحَبَّتِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَوْقَ أُسَامَةَ مِنْ مَحَبَّتِهِ، كَانَ مَوْضِعُ أُسَامَةَ مِنْ مَحَبَّتِهِ دُونَ ذَلِكَ، فَكَانَ مَنْ أَحَبَّ النَّاسِ إِلَيْهِ إِذَا كَانَ فِي النَّاسِ النِّسَاءِ وَالرِّجَالِ، وَكَانَ أَحَبَّ الرِّجَالِ إِلَيْهِ، إِذْ لَيْسَتْ فَاطِمَةُ مِنَ الرِّجَالِ، وَلَكِنَّهَا مِنَ النِّسَاءِ، وَفِي ذَلِكَ مَا قَدْ دَلَّ عَلَى أَنَّ لَهَا تَضَادًّا فِي وَاحِدٍ مِنْ

هَذَيْنِ الْحَدِيثَيْنِ لِلْآخِرِ مِنْهُمَا قَالَ: فَقَدْ رُوِيَتْ مِنْ جَوَابِهِ كَانَ لِعَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ لَمَّا سَأَلَهُ عَنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيْهِ، فَذَكَرَ: عَنْ أَبِي عُثْمَانَ قَالَ: حَدَّثَنِي عَمْرٍو بْنُ الْعَاصِ: " أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ بَعَثَهُ عَلَى جَيْشِ ذَاتِ السَّلَاسِلِ، قَالَ: فَقُلْتُ: أَيُّ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ فَقَالَ: " عَائِشَةُ "، فَقُلْتُ: فَمَنْ الرَّجَالِ؟ قَالَ: " فَأَبُوهَا "، قُلْتُ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: " عَمْرٌو بْنُ الْخَطَّابِ "، فَعَدَّ رَجَالًا " قَالَ: فَبِهَذَا الْحَدِيثِ جَوَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَمْرًا بِمَا أَحَابَهُ بِهِ فِيهِ، وَهُوَ خِلَافُ مَا أَحَابَ بِهِ عَلِيًّا فِي حَدِيثِ أُسَامَةَ الَّذِي قَدْ ذَكَرْتُهُ فِي هَذَا الْبَابِ وَذَكَرَ فِي ذَلِكَ أَيْضًا عَنْ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَيْكَ، فَأَجَبَهُ؟ قَالَ: " عَائِشَةُ "، قُلْتُ: لَسْتُ أَسْأَلُكَ عَنِ النِّسَاءِ، إِنَّمَا أَسْأَلُكَ عَنِ الرَّجَالِ، فَقَالَ: " أَبُو بَكْرٍ "، أَوْ قَالَ: " أَبُوهَا " رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَكَانَ جَوَابَنَا لَهُ فِي ذَلِكَ بِتَوْفِيقِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَعَوْنِهِ: أَنَّهُ قَدْ يَحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ عَمْرٍو عَلِمَ أَنَّ لِأَهْلِ بَيْتِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ مَحَبَّتِهِ إِيَّاهُمْ مَا لَيْسَ لِغَيْرِهِمْ، فَكَانَ سُؤْلُهُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيْهِ، يُرِيدُ بِهِ النَّاسَ الَّذِينَ هُمْ سِوَى أَهْلِ بَيْتِهِ، وَعَلِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُرَادَهُ كَانَ فِي ذَلِكَ، فَأَجَابَهُ بِالْجَوَابِ الَّذِي أَحَابَهُ بِهِ، مِمَّا ذَكَرَ فِي حَدِيثِهِ، وَكَانَ حَدِيثِ أُسَامَةَ فِيهِ ذِكْرُ سُؤْلِ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِيَّاهُ، عَمَّا سَأَلَهُ عَنْهُ، وَعَلِيٌّ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ، فَأَجَابَهُ بِمَا أَحَابَهُ بِهِ، مِمَّا ذَكَرَ جَوَابَهُ إِيَّاهُ فِي ذَلِكَ الْحَدِيثِ فَقَالَ قَائِلٌ: فَقَدْ ذَكَرَ فِي ذَلِكَ أُسَامَةَ، وَلَيْسَ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ فَكَانَ جَوَابَنَا لَهُ فِي ذَلِكَ بِتَوْفِيقِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَعَوْنِهِ: أَنَّهُ قَدْ يَحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ كَانَ ذَلِكَ مِنْهُ، وَأُسَامَةُ حِينَئِذٍ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ؛ لِأَنَّ أَبَاهُ قَدْ كَانَ يُدْعَى ابْنَهُ، فَيُقَالُ: زَيْدٌ بْنُ مُحَمَّدٍ، فَعَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: " وَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَنُسَمِّي زَيْدَ بْنَ حَارِثَةَ: زَيْدَ بْنَ مُحَمَّدٍ، حَتَّى أَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: { ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ } [الأحزاب: ٥] " قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: فَكَانَ أُسَامَةُ حِينَئِذٍ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ ابْنِ ابْنٍ، فَكَانَ بِذَلِكَ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ، وَبِذَلِكَ الْمَعْنَى تَقَدَّمَ فِي مَحَبَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ سِوَاهُ، مِمَّنْ ذَكَرَ فِي حَدِيثِهِ ذَلِكَ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ، ثُمَّ نَسَخَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ذَلِكَ بِمَا نَسَخَهُ بِهِ، مِمَّا قَدْ تَلَوْنَا، وَبِقَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: { مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ } [الأحزاب: ٤٠]، وَأَعَادَ زَيْدًا، وَأُسَامَةَ، وَأَمْثَالَهُمَا إِلَى قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: { ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ، فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ، فَاخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ } [الأحزاب: ٥] وَفِي ذَلِكَ مَا قَدْ دَلَّ أَنَّ

أَسَامَةَ لَمَّا خَرَجَ عَنِ الْبُنُوَّةِ الَّتِي كَانَ فِيهَا مِمَّا اسْتَحَقَّ بِهِ تَقَدُّمَ غَيْرِهِ مِنْ أَهْلِ بَيْتِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي مَحَبَّةِ رَسُولِ اللَّهِ أَنْ مَحَبَّةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بَعْدَ ذَلِكَ قَدْ عَادَتْ إِلَى مَنْ كَانَ ذَكَرَهُ مِنْ مَحَبَّتِهِ بِمَحَبَّتِهِ بَعْدَهُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ وَقَالَ قَائِلٌ آخَرٌ: قَدْ رُوِيَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي هَذَا الْمَعْنَى مَا قَدْ رُوِيَ عَنْهُ فِيهِ، مِمَّا قَدْ ذَكَرْتُمُوهُ فِي هَذَا الْبَابِ، وَأَنْتُمْ تَرَوْنَ عَنْهُ مَا يُخَالِفُ ذَلِكَ، فَذَكَرَ: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ شَقِيقٍ قَالَ: " سَأَلْتُ عَائِشَةَ: أَيُّ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ كَانَ أَحَبَّ إِلَيْهِ؟ قَالَتْ: أَبُو بَكْرٍ، قُلْتُ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَتْ: ثُمَّ عُمَرُ، قُلْتُ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَتْ: ثُمَّ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ قَالَ: قُلْتُ: ثُمَّ مَنْ؟، فَسَكَتَتْ " قَالَ: فَالَّذِي فِي هَذَا الْحَدِيثِ مِنْ هَذَا الْمَعْنَى يُخَالِفُ مَا قَدْ رُوِيَ عَنْهُ قَبْلَهُ فِي حَدِيثِ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ فِي هَذَا الْبَابِ فَكَانَ جَوَابًا لَهُ فِي ذَلِكَ بِتَوْفِيقِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَعَوْنِهِ: أَنَّهُ لَا خِلَافَ فِي شَيْءٍ مِمَّا قَدْ رُوِيَ فِي هَذَا الْبَابِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؛ لِأَنَّ الَّذِي رُوِيَ عَنْهُ فِي حَدِيثِ أُسَامَةَ عَلَى حَقَائِقِ مَا كَانَ عِنْدَهُ ﷺ فِي ذَلِكَ، لِأَنَّهُ كَانَ مَسْتَوًّا عَنْهُ، وَمُجِيبًا لِسَائِلِهِ، عَمَّا أَجَابَهُ بِهِ فِي حَدِيثِ أُسَامَةَ، وَالَّذِي فِي حَدِيثِ عَائِشَةَ هُوَ جَوَابُهَا عَمَّا سَأَلَتْ عَنْهُ، عَمَّا كَانَ عَلَيْهِ، وَذَلِكَ عَلَى مَا يَقَعُ فِي قَلْبِهَا، مِمَّا كَانَ عَلَيْهِ ﷺ، وَقَدْ يَكُونُ عَلَى خِلَافِ ذَلِكَ قَالَ: فَقَدْ رُوِيَ عَنْهَا جَوَابًا مِنْهَا عَنْ مِثْلِ هَذَا السُّؤَالِ مَا يُخَالِفُ هَذَا الْجَوَابَ، وَذَكَرَ عَنْ جُمِيعٍ وَهُوَ ابْنُ عُمَيْرٍ قَالَ: " دَخَلْتُ مَعَ أَبِي عَلِيٍّ عَائِشَةَ وَأَنَا غُلَامٌ، فَذَكَرَ لَهَا عَلِيًّا، فَقَالَتْ: " مَا رَأَيْتُ رَجُلًا كَانَ أَحَبَّ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْهُ، وَلَا امْرَأَةً أَحَبَّ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ امْرَأَتِهِ " "

وَعَنْ جُمِيعِ بْنِ عُمَيْرٍ قَالَ: " دَخَلْتُ مَعَ أُمِّي عَلِيَّ عَائِشَةَ فَقَالَتْ لَهَا أُمِّي: مَنْ كَانَ أَحَبَّ النِّسَاءِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟ قَالَتْ: فَاطِمَةُ، قَالَتْ: فَمَنْ الرِّجَالُ؟ قَالَتْ: " زَوْجُهَا " قَالَ: فَالَّذِي عَنْهَا فِي هَذَا الْحَدِيثِ يُخَالِفُ الَّذِي عَنْهَا فِي الْحَدِيثِ الَّذِي ذَكَرْتُمُوهُ عَنْهَا قَبْلَهُ فِي هَذَا الْبَابِ فَكَانَ جَوَابًا لَهُ فِي ذَلِكَ بِتَوْفِيقِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَعَوْنِهِ: أَنَّهُ لَا خِلَافَ فِي ذَلِكَ كَمَا ظَنُّ، وَلَكِنَّ عَائِشَةَ سَأَلَتْ فِي حَدِيثِهَا الْأَوَّلِ عَنْ أَحَبِّ النَّاسِ كَانَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَكَانَ الَّذِي عِنْدَهَا أَنَّ أَحَدًا لَا يَذْهَبُ عَنْهُ أَنَّ أَحَدًا لَا يَتَقَدَّمُ أَهْلَ بَيْتِهِ فِي مَحَبَّتِهِ، كَمَا لَمْ يَتَقَدَّمْ أَحَدٌ سِوَاهُمْ إِيَّاهُمْ فِي التَّبْلِغِ عَنْهُ فِي الْمَوْسِمِ سُورَةَ بَرَاءةٍ، وَفِي قَوْلِهِ: " إِنَّهُ لَا يُبْلَغُ "

عَنِّي إِلَّا رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي " ، فَأَجَابَتْ بِالْجَوَابِ الْمَذْكُورِ فِيهِ عَنْ أَحَبِّ النَّاسِ كَانَ إِلَيْهِ سِوَى أَهْلِ بَيْتِهِ، وَسُئِلَتْ فِي حَدِيثِهَا الثَّانِي عَنْ عَلِيٍّ، وَهُوَ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ، فَأَجَابَتْ فِيهِ بِالْجَوَابِ الَّذِي أَحَابَتْ بِهِ فِيهِ، وَفِي ذَلِكَ مَا قَدْ حَقَّقَ مَا حَمَلْنَا عَلَيْهِ مَعْنَى حَدِيثِ أُسَامَةَ، وَحَدِيثِ عَمْرٍو عَلَى مَا ذَكَرْنَا مِنْ مَعْنَى كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا الَّذِي ذَكَرْنَاهُ فِي هَذَا الْبَابِ وَمَا حَقَّقَ مَا ذَكَرْنَا فِيهِمَا رُويْنَاهُ عَنْ عَائِشَةَ مِنْ سَائِرِ أَهْلِ بَيْتِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَمِنْ سِوَاهُمْ مِنَ النَّاسِ فِي مَحَبَّتِهِ، قَالَ الثُّعْمَانُ بْنُ بَشِيرٍ: " اسْتَأْذَنَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَسَمِعَ صَوْتَ عَائِشَةَ تَقُولُ: وَاللَّهِ لَقَدْ عَرَفْتُ أَنَّ عَلِيًّا أَحَبُّ إِلَيْكَ مِنْ أَبِي، مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا، فَاسْتَأْذَنَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَدَخَلَ، فَأَهْوَى إِلَيْهَا، وَقَالَ: يَا بِنْتَ فُلَانَةَ، أَلَا أَسْمَعُكَ تَرْفَعِينَ صَوْتَكَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ " فَكَانَ فِي هَذَا الْحَدِيثِ وَقُوفٌ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَلَى مَا قَالَتْ عَائِشَةُ مِنْ ذَلِكَ، فَلَمْ يُنْكِرْهُ عَلَيْهَا، وَخَرَجَ جَمِيعٌ مَعَانِي كُلِّ مَا رُويْنَاهُ فِي هَذَا الْبَابِ خُرُوجًا لَا تَضَادَ فِيهِ، وَلَمْ يَكُنْ مَا ذَكَرْنَاهُ مِنْ تَقْدِيمِ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي مَحَبَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أبا بَكْرٍ فِيهَا، بِمَانِعٍ أَنْ يَكُونَ أَبُو بَكْرٍ يَتَقَدَّمُهُ بِالْفَضْلِ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَلَكِنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا لَهُ مَوْضِعُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ مَحَبَّةٍ، وَمِنْ فَضْلِ، رِضْوَانِ اللَّهِ عَلَيْهِمَا، وَعَلَى سَائِرِ أَصْحَابِهِ سِوَاهُمَا، وَاللَّهُ نَسَأَلُهُ التَّوْفِيقَ " ٧٣٣

الخلاصة :

- (١) على المعلم أن يراعي الفروق الفردية بين المتعلمين .
- (٢) على المعلم أن يجيب على سؤال المتعلم من وحي ظروفه ، لاسيما إذا كان السؤال يحتمل إجابات متعددة .
- (٣) حرص الصحابة في سؤالهم عما ينجيهم من النار ويدخلهم الجنة .

[٢٦] استخدام القياس أثناء التعليم أو الإجابة على الأسئلة :

٧٣٣ - شرح مشكل الآثار - (١٣ / ٣٢٣) (٥٢٩٨-٥٣٠٩) وكلها صحاح وحسان

وتارةً كان ﷺ يُقايِسُ لأصحابه الأحكامَ ويُعلِّلُها لهم، إذا اشتبهت عليهم مسالكها، وغمضَ عليهم حُكْمُها، فَيَتَضَحَّحُ لهم ما اشتبه أمره، وخفي فهمه، ويكون لهم من تلك المقايِسةِ معرفةٌ بمسالكِ الشريعةِ ومقاصدها، وفقهٍ بمراميها البعيدة :

وهذا كثير في أسلوب الرسول ﷺ :

عن ابن عباسٍ - رضى الله عنهما - قَالَ لَمَّا نَزَلَتْ (وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ) صَعِدَ النَّبِيُّ - ﷺ - عَلَى الصَّفَا فَجَعَلَ يُنَادِي « يَا بَنِي فَهْرٍ، يَا بَنِي عَدَى » . لِبَطُونِ قُرَيْشٍ حَتَّى اجْتَمَعُوا، فَجَعَلَ الرَّجُلُ إِذَا لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَخْرُجَ أَرْسَلَ رَسُولًا لِيَنْظُرَ مَا هُوَ، فَجَاءَ أَبُو لَهَبٍ وَقُرَيْشٌ فَقَالَ « أَرَأَيْتَكُمْ لَوْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ خَيْلًا بِالْوَادِي تُرِيدُ أَنْ تُغَيِّرَ عَلَيْكُمْ، أَكُنْتُمْ مُصَدِّقِي » . قَالُوا نَعَمْ، مَا جَرَّبْنَا عَلَيْكَ إِلَّا صِدْقًا . قَالَ « فَإِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ » . فَقَالَ أَبُو لَهَبٍ تَبًّا لَكَ سَائِرَ الْيَوْمِ، أَلْهَذَا جَمَعْتَنَا فَنَزَلَتْ (تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ * مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ) ٧٣٤

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ : لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ : { وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ } [الشعراء] وَرَهْطَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ. قَالَ : وَهَنَّ فِي قِرَاءَةِ عَبْدِ اللَّهِ، خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى أَتَى الصَّفَا، فَصَعِدَ عَلَيْهَا، ثُمَّ نَادَى : يَا صَبَاحَاهُ، فَاجْتَمَعَ النَّاسُ إِلَيْهِ فَبَيَّنَ رَجُلٌ يَجِيءُ، وَبَيْنَ رَجُلٍ يَبْعَثُ رَسُولَهُ، فَقَالَ ﷺ : يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، يَا بَنِي فَهْرٍ، يَا بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ، يَا بَنِي أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ خَيْلًا بِسَفْحِ هَذَا الْجَبَلِ تُرِيدُ أَنْ تُغَيِّرَ عَلَيْكُمْ أَصْدَقْتُمُونِي ؟ قَالُوا : نَعَمْ، قَالَ : فَإِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ، فَقَالَ أَبُو لَهَبٍ : تَبًّا لَكَ سَائِرَ الْيَوْمِ، أَمَا دَعَوْتُمُونَا إِلَّا لِهَذَا، ثُمَّ قَامَ، فَنَزَلَتْ : { تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ } [المسد]، وَقَدُ تَبَّ، وَقَالُوا : مَا جَرَّبْنَا عَلَيْكَ كَذِبًا. ٧٣٥

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ النَّبِيَّ - ﷺ - خَرَجَ إِلَى الْبَطْحَاءِ فَصَعِدَ إِلَى الْجَبَلِ فَنَادَى « يَا صَبَاحَاهُ » . فَاجْتَمَعَتْ إِلَيْهِ قُرَيْشٌ فَقَالَ « أَرَأَيْتُمْ إِنْ حَدَّثْتُكُمْ أَنَّ الْعَدُوَّ مُصِيبُكُمْ أَوْ

٧٣٤ - صحيح البخارى - المكثر - (٤٧٧٠) وصحيح مسلم - المكثر - (٥٢٩) - تب : خسر

٧٣٥ - صحيح ابن حبان - (١٤ / ٤٨٧) (٦٥٥٠) صحيح

مُؤَسِّكُمْ، أَكُنْتُمْ تُصَدِّقُونِي . قَالَوا نَعَمْ . قَالَ « فَإِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ » . فَقَالَ أَبُو لَهَبٍ أَلِهَذَا جَمَعْتَنَا تَبًّا لَكَ . فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ (تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ) إِلَى آخِرِهَا ٧٣٦

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ امْرَأَةً جَاءَتْ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ - فَقَالَتْ إِنَّ أُمَّي نَذَرْتُ أَنْ تَحُجَّ فَمَاتَتْ قَبْلَ أَنْ تَحُجَّ أَفَأَحُجُّ عَنْهَا قَالَ « نَعَمْ حُجِّي عَنْهَا، أَرَأَيْتِ ٧٣٧ لَوْ كَانَ عَلَى أُمِّكَ دَيْنٌ أَكُنْتُ قَاضِيَتَهُ » . قَالَتْ نَعَمْ . فَقَالَ « فَاقْضُوا الَّذِي لَهُ، فَإِنَّ اللَّهَ أَحَقُّ بِالْوَفَاءِ » ٧٣٨

وَعَنْ يَحْيَى بْنِ أَبِي إِسْحَاقَ، أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ سُلَيْمَانَ بْنَ يَسَّارٍ عَنِ امْرَأَةٍ أَرَادَتْ أَنْ تَعْتَقَ عَنْ أُمِّهَا قَالَ سُلَيْمَانُ : حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ أَبِي دَخَلَ فِي الْإِسْلَامِ وَهُوَ شَيْخٌ كَبِيرٌ، فَإِنِ أَنَا شَدَدْتُهُ عَلَى رَاحِلَتِي خَشِيتُ أَنْ أَقْتُلَهُ، وَإِن لَمْ أَشُدَّهُ لَمْ يَتَّبِعْ عَلَيْهَا، أَفَأَحُجُّ عَنْهُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : أَرَأَيْتِ لَوْ كَانَ عَلَى أَبِيكَ دَيْنٌ فَقَضَيْتَهُ عَنْهُ أَكَانَ يُجْزَى عَنْهُ قَالَ : نَعَمْ، قَالَ : فَاحْجُجْ عَنْ أَبِيكَ. ٧٣٩

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ : إِنَّ أَبِي مَاتَ وَلَمْ يَحُجَّ، أَفَأَحُجُّ عَنْهُ قَالَ : أَرَأَيْتِ لَوْ كَانَ عَلَى أَبِيكَ دَيْنٌ أَكُنْتُ قَاضِيَهُ قَالَ : نَعَمْ قَالَ : حُجَّ عَنْ أَبِيكَ. ٧٤٠

وَعَنْ أَنَسٍ، قَالَ : جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ : إِنَّ أَبِي مَاتَ وَلَمْ يَحُجَّ حَجَّةَ الْإِسْلَامِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : أَرَأَيْتِ لَوْ كَانَ عَلَى أَبِيكَ دَيْنٌ تَقْضِيَنَهُ عَنْهُ ؟ فَقَالَ : نَعَمْ، قَالَ : فَإِنَّهُ دَيْنٌ عَلَيْهِ، فَاقْضِهِ. ٧٤١

وَعَنْ عِمْرَانَ بْنِ يَحْيَى الْأَسَدِيِّ، قَالَ : سَمِعْتُ عَمِّي مَرْوَانَ بْنَ قَيْسٍ - وَقَدْ أَجْزَأَ (وَفِي رِوَايَةٍ أَخَذَ الرِّعِيَّةَ عَنْ أَهْلِهِ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ) ، قَالَ : " جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ

٧٣٦ - صحيح البخارى - المكثر - (٤٩٧٢)

٧٣٧ أي أخبريني .

٧٣٨ - صحيح البخارى - المكثر - (٧٣١٥)

٧٣٩ - صحيح ابن حبان - (٣٠٢ / ٩) (٣٩٩٠) صحيح

٧٤٠ - صحيح ابن حبان - (٣٠٥ / ٩) (٣٩٩٢) صحيح

٧٤١ - كشف الأستار - (٣٦ / ٢) (١١٤٥) حسن

ﷺ ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنَّ أَبِي تُوفِّيَ، وَقَدْ جَعَلَ عَلَيْهِ أَنْ يَمْشِيَ إِلَى مَكَّةَ وَأَنْ يَنْحَرَ بَدَنَةً، وَلَمْ يَتْرِكْ مَالًا، فَهَلْ يَقْضِي عَنْهُ أَنْ نَمْشِيَ عَنْهُ، وَأَنْ نَنْحَرَ عَنْهُ بَدَنَةً مِنْ مَالِي ؟ فَقَالَ ﷺ : " نَعَمْ اقْضِ عَنْهُ، وَانْحَرَ عَنْهُ ، وَامْشِ، أَرَأَيْتَ لَوْ كَانَ عَلَى أَبِيكَ ذَيْنَ لِرَجُلٍ، فَقَضَيْتَ عَنْهُ مِنْ مَالِكَ، أَلَيْسَ يَرْجِعُ الرَّجُلُ رَاضِيًا، فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ يَرْضَى " ٧٤٢

وَعَنْ أَبِي ذَرٍّ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : فِي بُضْعِ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيَأْتِي أَحَدُنَا شَهْوَتُهُ وَيَكُونُ لَهُ فِيهِ أَجْرٌ فَقَالَ : أَرَأَيْتُمْ لَوْ وَضَعَهَا فِي الْحَرَامِ أَكَانَ عَلَيْهِ فِيهِ وَزْرٌ فَكَذَلِكَ إِذَا وَضَعَهَا فِي الْحَلَالِ كَانَ لَهُ أَجْرٌ. ٧٤٣

وَعَنْ أَبِي ذَرٍّ أَنَّ نَاسًا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ - قَالُوا لِلنَّبِيِّ ﷺ - يَا رَسُولَ اللَّهِ ذَهَبَ أَهْلُ الدُّثُورِ ٧٤٤ بِالْأَجُورِ ٧٤٥ يُصَلُّونَ كَمَا نُصَلِّي وَيَصُومُونَ كَمَا نَصُومُ وَيَتَصَدَّقُونَ بِفُضُولِ أَمْوَالِهِمْ. قَالَ « أَوْلَيْسَ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ مَا تَصَدَّقُونَ ٧٤٦ إِنْ بِكُلِّ تَسْبِيحَةٍ صَدَقَةٌ وَكُلِّ تَكْبِيرَةٍ صَدَقَةٌ وَكُلِّ تَحْمِيدَةٍ صَدَقَةٌ وَكُلِّ تَهْلِيلَةٍ ٧٤٧ صَدَقَةٌ وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ صَدَقَةٌ وَنَهْيٌ عَنِ مُنْكَرٍ صَدَقَةٌ وَفِي بُضْعِ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ » ٧٤٨. قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيَأْتِي أَحَدُنَا شَهْوَتُهُ وَيَكُونُ لَهُ فِيهَا أَجْرٌ قَالَ « أَرَأَيْتُمْ ٧٤٩ لَوْ وَضَعَهَا فِي حَرَامٍ أَكَانَ عَلَيْهِ فِيهَا وَزْرٌ فَكَذَلِكَ إِذَا وَضَعَهَا فِي الْحَلَالِ كَانَ لَهُ أَجْرٌ ». ٧٥٠

٧٤٢ - معرفة الصحابة لأبي نعيم - (٥ / ٢٦٣٣) (٦٣٢٥) والمعجم الكبير للطبراني - (١٥ / ٢٩٠) (١٧٢٣١)

حسن

٧٤٣ - صحيح ابن حبان - (٩ / ٤٧٦) (٤١٦٧) صحيح

٧٤٤ يعني : ذهب أهل الغنى بالثواب .

٧٤٥ أي بما لديهم من أموال فائضة عن الحاجة .

٧٤٦ أي تتصدقون به .

٧٤٧ التهليل قول الإنسان : لا إله إلا الله .

٧٤٨ أي في معاشرته الرجل زوجته الحلال له صدقة . وسمى جزاء هذه الأعمال من التسييح والتكبير والتحميد ...

صَدَقَةٌ عَلَى سَبِيلِ الْمَقَابَلَةِ وَتَجْنِيسِ الْكَلَامِ ، أَي كَمَا أَنَّ لِلصَّدَقَةِ الَّتِي يَجُودُ بِهَا الْأَغْنِيَاءُ أَهْلُ الدُّثُورِ ، عَلَى إِخْوَانِهِمُ الْفُقَرَاءِ الْمُعْوَزِينَ أَجْرًا وَثَوَابًا ، فَكَذَلِكَ لِهَذِهِ الْأَعْمَالِ وَالطَّاعَاتِ أَجْرٌ وَثَوَابٌ لِفَاعِلِهَا .

٧٤٩ أي أخبروني .

٧٥٠ - صحيح مسلم - المكثر - (٢٣٧٦) - الدثور : جمع دثر وهو المال العظيم

فقايسَ لهم ﷺ مُقايِسةً عقليةً بين الأمرين، حتى أتضح لهم الحكم، وفهّموا ما لم يكن يدورُ في خلدِهِم، وهو أن مثلَ هذا الاستمتاعِ المشروعِ يكون به للمرء أجرٌ وثواب، لما يترتب عليه من الآثارِ الحسنة .

وعن عبدِ اللهِ بنِ يزيدٍ ، أن زيداَ أبا عيَّاشٍ ، أخبره أنه ، سألَ سعدَ بنَ أبي وقاصٍ عن البيضاءِ ، بالسُّلتِ ، فقالَ : أَيُّهُما أَفْضَلُ ؟ قالَ : البيضاءُ ، فَنهاه عن ذلكَ ، وقالَ سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ ، سُئلَ عن ييسِ التمرِ بالرُّطبِ^{٧٥١} ، فقالَ رسولُ اللهِ ﷺ : أَيُنْقِصُ الرُّطبُ ، إِذا ييسَ ؟ قالَ : نَعَمْ ، فَنهاه عن ذلكَ .^{٧٥٢}

وهذا الحديث أصل في أبواب كثيرة من مسائل الربا وذلك أن كل شيء من المطعوم مما له نداوة ولجفاهه نهاية فانه لا يجوز رطبه بيباسه كالعنب والزبيب واللحم النيء بالقديد ونحوهما ، وكذلك لا يجوز على هذا المعنى منه الرطب بالرطب كالعنب بالعنب والرطب بالرطب لأن اعتبار المماثلة إنما يصح فيهما عند أوان الجفاف وهما إذا تناهى جفافهما كانا مختلفين لأن أحدهما قد يكون أرق رقة وأكثر مائة من الآخر ، فالجفاف ينال منه أكثر ويتفاوت مقاديرهما في الكيل عند المماثلة.^{٧٥٣}

وبدهي كل البداهة أن النبي ﷺ كان عالماً أن الرطب ينقص إذا ييس، فهو يعيش في قلب جزيرة العرب بلاد التمر والرطب، وذلك أمر لا يخفى على أقل الناس فيها، ولكنه ﷺ سألهم : هل ينقص الرطب إذا ييس؟ لئيبه أصحابه وسامعيه وتابعيه، إلى أن علة التهي عن بيع الرطب بالتمر، هي نقصه عند ييسه، فلا يجوز أن يباع هذا بهذا على سبيل التساوي بالكيل، فأشعرهم بعلّة الحكم إذ كان خفياً عليهم، فكان ذلك قاعدةً في البيوع إلى آخر الزمن .^{٧٥٤}

^{٧٥١} الرُّطبُ هو التمر قبل أن يتم استوائُهُ ويُيسهُ .

^{٧٥٢} - صحيح ابن حبان - (١١ / ٣٧٨) (٥٠٠٣) صحيح

^{٧٥٣} - معالم السنن للخطابي ٢٨٨ - (٣ / ٧٦)

^{٧٥٤} - الرسول المعلم ﷺ وأساليبه في التعليم لأبي غدة - (١ / ٨٦)

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - يَقُولُ: «أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَنَّ نَهْرًا بِيَابِ أَحَدِكُمْ يَغْتَسِلُ مِنْهُ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسَ مَرَّاتٍ مَا تَقُولُونَ مُبْتَغِيًا مِنْ دَرْنِهِ؟». قَالُوا: لَا يُبْقَى مِنْ دَرْنِهِ شَيْئًا. قَالَ: «فَذَلِكَ مَثَلُ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ يَمْحُو اللَّهُ بِهِنَّ الْخَطَايَا».^{٧٥٥}

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ - ﷺ - - فَإِذَا إِبِلٌ مُصَرَّرَةٌ بَعْضَاهُ الشَّجَرَ فَأَنْطَلَقَ نَاسٌ لِيَحْتَلِبُوا فَادْعَاهُمْ النَّبِيُّ - ﷺ - - فَقَالَ: «أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَنَّ أَنْاسًا عَمَدُوا إِلَى مَزَاوِدِكُمْ فِيهَا أَزُودُكُمْ فَأَخَذُوا مَا فِيهَا لَكَانُوا غَدْرُوكُمْ؟». قَالُوا: نَعَمْ. قَالَ: «هَذِهِ لِأَهْلِ بَيْتِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ إِنَّ مَا فِي ضُرُوعِهَا مِثْلُ مَا فِي أَزُودِكُمْ». قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ فَمَا يَحِلُّ لِلرَّجُلِ مِنْ مَالِ أَخِيهِ؟ قَالَ: «أَنْ يَأْكُلَ وَلَا يَحْمِلَ وَيَشْرَبَ وَلَا يَحْمِلَ».
٧٥٦

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِذْ نَحْنُ بِبَابِ مُصَرَّاةٍ تَلْجَأُ الشَّجَرَ، لَيْسَ مَعَهَا رَاعٍ، فَقَالَ بَعْضُنَا: لَوْ قُمْنَا فَحَلَبْنَا، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: كَيْفَ نَحْلِبُهَا وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِيْنَا لَا نَسْتَأْمِرُهُ؟ فَقَالَ بَعْضُنَا: قَدْ سَكَتَ وَسُكُوتُهُ إِذْنٌ، فَقُمْنَا إِلَيْهَا فَادْعَانَا، فَقَالَ: «أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَنَّ قَوْمًا أَتَوْكُمْ وَقَدْ نَمْتُمْ فَأَخَذُوا مَا فِي مَزَاوِدِكُمْ، أَضَرُّوا بِكُمْ؟» قَالُوا: نَعَمْ. قَالَ: فَإِنَّ مَا فِي أَخْلَافِ هَذِهِ الْإِبِلِ كَمِثْلِ مَا فِي مَزَاوِدِكُمْ، قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا يَحِلُّ لِلرَّجُلِ مِنْ مَالِ أَخِيهِ إِذَا افْتَقَرَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: «يَأْكُلُ وَلَا يَحْمِلُ، وَيَشْرَبُ وَلَا يَحْمِلُ».^{٧٥٧}

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - أَتَى الْمَثْبِرَةَ فَقَالَ «السَّلَامُ عَلَيْكُمْ دَارَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ بِكُمْ لَاحِقُونَ وَدِدْتُ أَنَّا قَدْ رَأَيْنَا إِخْوَانَنَا». قَالُوا أَوْلَسْنَا إِخْوَانَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ «أَنْتُمْ أَصْحَابِي وَإِخْوَانُنَا الَّذِينَ لَمْ يَأْتُوا بَعْدُ». فَقَالُوا كَيْفَ تَعْرِفُ مَنْ لَمْ يَأْتِ بَعْدُ مِنْ أُمَّتِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَقَالَ «أَرَأَيْتَ لَوْ أَنَّ رَجُلًا لَهُ خَيْلٌ غُرٌّ مُحَجَّلَةٌ بَيْنَ ظَهْرِي خَيْلٍ دُهُمٍ بُوهُمِ أَلَا يَعْرِفُ خَيْلَهُ». قَالُوا بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ «فَإِنَّهُمْ يَأْتُونَ غُرًّا

^{٧٥٥} - السنن الكبرى للبيهقي - حيدر آباد - (١ / ٣٦١) (١٧٦٢) وصحيح البخاري - المكثر - (٥٢٨) وصحيح

مسلم - المكثر - (١٥٥٤)

^{٧٥٦} - السنن الكبرى للبيهقي - حيدر آباد - (٩ / ٣٦٠) (٢٠١٥٠) فيه جهالة

^{٧٥٧} - المعجم الكبير للطبراني - (١٩ / ٣٩١) (٩٤٨) فيه جهالة

مُحَجَّلِينَ مِنَ الْوُضُوءِ وَأَنَا فَرَطُهُمْ عَلَى الْحَوْضِ أَلَّا لِيَدَادَنَّ رِجَالٌ عَنْ حَوْضِي كَمَا يُدَادُ
الْبَعِيرُ الضَّالُّ أُنَادِيهِمْ أَلَّا هَلُمَّ. فَيُقَالُ إِنَّهُمْ قَدْ بَدَلُوا بَعْدَكَ. فَأَقُولُ سَحَقًا سَحَقًا». ^{٧٥٨}

وغير ذلك كثير، فقد استعمل النبي ﷺ القياس لتقريب البعيد، وغير المحسوس ليكون
محسوساً حتى يفهم عليه أصحابه بشكل دقيق.

الخلاصة :

- (١) القياس أحد المصادر الأساسية للشريعة
- (٢) القياس يقرب البعيد، وغير المحسوس فيجعله محسوساً .
- (٣) استخدام القياس أدعى لقبول السامعين وأرسخ في أذهانهم

[٢٧] الحوار المشوق مع المتعلم :

كان من أبرز أساليبه ﷺ في التعليم الحوار والمساءلة، لإثارة انتباه السامعين وتشويق
نفوسهم إلى الجواب، وحضهم على إعمال الفكر للجواب، ليكون جواب النبي ﷺ إذا لم
يستطيعوا الإجابة أقرب إلى الفهم وأوقع في النفس.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - يَقُولُ « أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَنَّ نَهْرًا بِيَابِ أَحَدِكُمْ ،
يَغْتَسِلُ فِيهِ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسًا ، مَا تَقُولُ ذَلِكَ يُبْقِي مِنْ دَرَنِهِ ^{٧٥٩} » . قَالُوا لَا يُبْقِي مِنْ دَرَنِهِ
شَيْئًا . قَالَ « فَذَلِكَ مِثْلُ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ ، يَمْحُو اللَّهُ بِهَا الْخَطَايَا » ^{٧٦٠} .

وفي هذا الحديث الشريف من الأمور التعليمية إلى جانب طريقة الحوار التمثيل للمعقول
بالمحسوس ، ليزداد الشيء المتحدث عنه وضوحاً في نفس المتعلم . ووجه التمثيل أن المرء

^{٧٥٨} - صحيح مسلم- المكثر - (٦٠٧)

بهم : جمع بهيم وهو الأسود وقيل الذي لا يخالط لونه لون سواه -الدهم : جمع أدهم وهو الأسود

^{٧٥٩} - الدرن : الوسخ .

^{٧٦٠} - صحيح البخاري- المكثر - (٥٢٨) وصحيح مسلم- المكثر - (١٥٥٤)

كما يتدنّس بالأقذار المحسوسة في بدنه وثيابه ، ويُطهره منها الماء الكثير النقيّ ، فكذلك الصلوات الخمس تُطهر العبد من أقذار الذنوب والخطايا .

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص ، قال : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : تَدْرُونَ مَنْ الْمُسْلِمُ ؟ قَالُوا : اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ ، قَالَ : مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ ، قَالَ : تَدْرُونَ مَنْ الْمُؤْمِنُ ؟ قَالُوا : اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ ، قَالَ : مَنْ أَمَنَهُ الْمُؤْمِنُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ ، وَالْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ السُّوءَ فَاجْتَنَبَهُ. ^{٧٦١}

لفظ (المسلمون) هنا ، ومثله (المؤمنون) في الجملة التالية : لا يُرادُ به الاحترازُ من غيرهم ، بل هو وصفٌ خَرَجَ مَخْرَجَ الاتِّفَاقِ ، نظرًا للمخاطبين به ، إذ الإيذاءُ أو الخيانةُ كلٌّ منهما حرامٌ في الإسلام ، سواء وقع ذلك على مسلم أم ذمي .

بل أرى أن الإيذاءَ أو الخيانةَ في جَنَبِ الذِّمِّيِّ أشدُّ تحريمًا ، فعن ثلاثين من أبناء أصحابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - عَنْ آبَائِهِمْ ذَنْبَةً عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - قَالَ : « أَلَا مَنْ ظَلَمَ مُعَاهِدًا وَانْتَقَصَهُ وَكَلَّفَهُ فَوْقَ طَاقَتِهِ أَوْ أَخَذَ مِنْهُ شَيْئًا بَغَيْرِ طِيبِ نَفْسٍ مِنْهُ فَأَنَا حَاجِجُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ». وَأَشَارَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - بِإِصْبَعِهِ إِلَى صَدْرِهِ : « أَلَا وَمَنْ قَتَلَ مُعَاهِدًا لَهُ ذِمَّةُ اللَّهِ وَذِمَّةُ رَسُولِهِ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ رِيحَ الْجَنَّةِ وَإِنْ رِيحَهَا لَتُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ سَبْعِينَ خَرِيفًا ». ^{٧٦٢}

فقد أقام الرسولُ الكريمُ ﷺ نَفْسَهُ حَصْنًا لِمَنْ يَظْلِمُ الذِّمِّيَّ .

وعن أبي هريرة أن رَسُولَ اللَّهِ ﷺ - قَالَ : " أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ ؟ " ^{٧٦٣} " قَالُوا : الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ . قَالَ : " إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ وَصِيَامٍ

^{٧٦١} - مسند أحمد (عالم الكتب) - (٢ / ٦٨٦) (٦٩٢٥) صحيح

^{٧٦٢} - السنن الكبرى للبيهقي - حيدر آباد - (٩ / ٢٠٥) (١٩٢٠١) صحيح لغيره

^{٧٦٣} - كذا الرواية (أتدرون ما المفلس) بلفظ (ما) ، والسؤال هنا عن حقيقة المفلس ، فلذا جا التعبير بلفظة (ما) دون لفظة (من) . قال السنوسي في (شرحه على صحيح مسلم) ٨ : ١٨ ، عند قوله ﷺ : (أتدرون ما المفلس) : قال القرطبي : كذا الرواية ، وأصلها يعني لفظ (ما) لما لا يعقل ، وهي هنا لمن يعقل . قال الأبي : حكى بعضهم أن مذهب سيبويه جواز وقوعها على من يعقل ، وأخذَه ابن الحاج من قوله في (الكتاب) أي كتاب سيبويه لما فرغ من الكلام على (من) ، قال : ومثلها (ما) ، مُبَهَمَةٌ تَقَعُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ .

وَرَزَاكَ، وَيَأْتِي وَقَدْ شَتَمَ هَذَا وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ فَإِنْ فَنَيْتَ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطَرِحَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ طَرِحَ فِي النَّارِ^{٧٦٤}

فكان من سؤاله لهم أولاً، ثم تبينه ما هو جواب سؤاله ثانياً : تنبيه منه ﷺ للأذهان، أن الإفلاس الحقيقي هو الإفلاس يوم القيامة!

ومن أشهر أمثلة الحوار حديث جبريل في تعليم أركان الإيمان، الذي رواه عمر بن الخطاب وغيره من الصحابة، فقد عرّضت أهم أركان الإيمان على الصحابة على شكل حوار بين الرسول وبين جبريل عليهما الصلاة والسلام، ليعلمهم معالم دينهم.^{٧٦٥}

فَعَنْ يَحْيَى بْنِ يَعْمَرَ ، سَمِعَ ابْنَ عُمَرَ ، قَالَ : حَدَّثَنِي عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ، قَالَ : بَيْنَمَا نَحْنُ ذَاتَ يَوْمٍ عِنْدَ نَبِيِّ اللَّهِ ﷺ إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ ، شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعْرِ لَا يَرَى ، قَالَ يَزِيدُ : لَا تَرَى ، عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ ، وَلَا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ ، حَتَّى جَلَسَ إِلَيَّ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ ، فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَيَّ رُكْبَتَيْهِ ، وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَيَّ فَخَذَيْهِ^{٧٦٦} ، ثُمَّ قَالَ : يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرْنِي عَنِ الْإِسْلَامِ ، مَا الْإِسْلَامُ ؟ فَقَالَ الْإِسْلَامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ ، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ^{٧٦٧} ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ ، وَتُحِجَّ الْبَيْتَ إِنْ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا قَالَ : صَدَقْتَ . قَالَ : فَعَجِبْنَا لَهُ ، يَسْأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ . قَالَ : ثُمَّ قَالَ

قلتُ أي السنوسي : لقائل أن يقول : السؤال هنا بما ، إنما هو عن الحقيقة ، والحقيقة من حيث هي حقيقة لا تعقل ، وهذا كما لو قلت : ما الإنسان؟ أو ما زيد؟ أو نحو ذلك ، ومنه : (قال فرعون : وما رب العالمين) . ولم يقل : ومن ف (ما) إذا واقعة في محلها)) انتهى . وهو الصواب .

وقد جاء هذا الحديث في بعض الكتب الناقلة عن ((صحيح مسلم)) مثل ((رياض الصالحين)) ، بلفظ (أتدرون من المفلس؟) . وهو خلاف الرواية كما علمت ، ولعله من تصرفات بعض الناقلين . والله أعلم .

^{٧٦٤} - صحيح مسلم - المكثر - (٦٧٤٤)

^{٧٦٥} - الرسول المعلم ﷺ وأساليبه في التعليم لأبي غدة - (١ / ٧٧)

^{٧٦٦} - يعني أن الرجل الداخِلَ وَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَيَّ فَخَذَيْ نَفْسِهِ ، وَجَلَسَ عَلَيَّ هَيْئَةَ الْمُتَعَلِّمِ الْمُنَادَّبِ ، قَالَه النووي .

^{٧٦٧} - وجه التعجب ان السؤال يقتضي في الغالب الجهل بالسؤال عنه ، والتصديق يقتضي علم السائل به ، ومما يزيد في التعجب أن ما أحابه ﷺ لا يعرف إلا من جهته ، وليس هذا الرجل ممن عرف بلقائه ﷺ فضلاً عن سماعه منه وفي بعض روايات حديث جبريل : ((ما رأينا رجلاً مثل هذا ، كأنه يعلم رسول الله ﷺ ، يقول له : صدقت صدقت)).

: أَخْبِرْنِي عَنِ الْإِيمَانِ . قَالَ : الْإِيمَانُ أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ،
وَالْقَدْرَ كُلَّهُ خَيْرُهُ وَشَرُّهُ قَالَ : صَدَقْتَ . قَالَ : فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِحْسَانِ ، مَا الْإِحْسَانُ ؟
قَالَ يَزِيدُ : أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ ، فَإِنَّهُ يَرَاكَ قَالَ : فَأَخْبِرْنِي عَنِ
السَّاعَةِ ، قَالَ : مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ بِهَا مِنَ السَّائِلِ قَالَ : فَأَخْبِرْنِي عَنِ أَمَارَاتِهَا . قَالَ
: أَنْ تَلِدَ الْأُمَّةُ رَبَّتَهَا ، وَأَنْ تَرَى الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوُلُونَ فِي الْبِنَاءِ قَالَ : ثُمَّ
انْطَلَقَ ، قَالَ : فَلَبِثَ مَلِيًّا^{٧٦٨} ، قَالَ يَزِيدُ : ثَلَاثًا ، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : يَا عَمْرُ
أَتَدْرِي مِنَ السَّائِلِ ؟ قَالَ : قُلْتُ : اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ . قَالَ : فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ ، أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ
دِينَكُمْ ."

قال النووي : ((لو قَدَرْنَا أَنْ أَحَدْنَا قَامَ فِي عِبَادَةِ وَهُوَ يُعَايِنُ رَبَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لَمْ يَتْرُكْ
شَيْئًا مِمَّا يَقْدِرُ عَلَيْهِ مِنَ الْخُضُوعِ وَالْحُشُوعِ ، وَحُسْنِ السَّمْتِ ، وَاجْتِمَاعِهِ بظَاهِرِهِ وَباطِنِهِ
على الاعتناء بتتيميمها على أحسن وجوهها إلا أتى به ، فقال ﷺ : اعبد الله في جميع
أحوالك كعبادتك في حال العيان ، فإن التتيميم المذكور في حال العيان إنما كان لعلم العبد
باطلاع الله سبحانه وتعالى عليه ، فلا يُقدِّم العبد على تقصير في هذه الحال للاطلاع عليه
، وهذا المعنى موجود مع عدم رؤية العبد ، فينبغي أن يعمل بمقتضاه .

فمقصود الكلام الحث على الإخلاص في العبادة ومراقبة ربّه تبارك وتعالى في إتمام الخشوع
والخضوع وغير ذلك ، وقد ندب أهل الحقائق إلى مجالسة الصالحين ، ليكون ذلك مانعاً
من تلبسه بشيء من النقائص احتراماً لهم واستحياءً منهم ، فكيف بمن لا يزال الله تعالى
مُطَّلِعاً عليه في سرّه وعلايته؟!

فحاصل معنى الحديث أنك إنما تُراعي الآداب المذكورة إذا كنت تراه ويراك ، لكونه يراك
، لا لكونك تراه ، فهو دائماً يراك ، فأحسن عبادته ، وكن لم تره ، فتقدير الحديث : فإن
لم تكن تراه فاستمر على إحسان العبادة ، فإنه يراك .

^{٧٦٨} - أي زمنًا طويلاً أياماً .

قال : ((وهذا القدرُ من الحديث أصلٌ عظيمٌ من أصولِ الدين ، وقاعدةٌ مهمةٌ من قواعد المسلمين ، وهو عمدةُ الصّديّين ، وبُغيةُ السالّكين ، وكثرُ العارفين ، ودأبُ الصالحين ، وهو من جوامع الكَلِمِ التي أُوتِيها النبي ﷺ)) .^{٧٦٩}

قوله (ما المَسْؤُولُ عنها بأَعْلَمَ من السائلِ) لم يُقَلْ : لستُ بأَعْلَمَ بما منك ، كما يقتضيه المقامُ ظاهراً ، لِيُشْعَرَ بالتعميمِ ، تعريفاً للسامعين أن كلَّ مَسْؤُولٍ وكلَّ سائلٍ عن وقت قيامِ السّاعةِ فهو كذلك .

وقال النووي رحمه الله تعالى ^{٧٧٠} : ((يُسْتَنْبَطُ منه أن العالمَ والمفتي وغيرَهما إذا سُئِلَ عما لا يَعْلَمُ ينبغي له أن يقول : لا أعلمُ ، وأن ذلك لا يَنْقُصُهُ ، بل يُسْتَدَلُّ به على ورَعِهِ وتقواه ووفورِ علمه)) .

(أن تَلِدَ الأمةُ رَبَّتَها) هذا مجاز ، والمرادُ أن يَكْثَرَ العقوقُ في الأولاد ، فيُعَامِلُ الولدُ أمَّهُ معاملةَ السيّدِ أمته ، من الإهانةِ بالسبِّ والضربِ والاستخدامِ ، فأُطْلِقَ عليه (رَبُّها) مجازاً لذلك .

قوله (الحُفَاة) جمعُ الحافي وهو من لا نَعْلَ له . و(العُرَاة) جمعُ العاري ، وهو صادقٌ على من يكونُ بعضُ بدنه مكشوفاً مما ينبغي ان يكون مستوراً . و(العَلَّة) جمعُ عائل ، وهو الفقير كثيرُ العيال . و(رِعاء) جمعُ راعٍ ، و(الشّاء) جمعُ شاة .

والمقصودُ الإخبارُ عن تبدُّلِ الحالِ بأن يَسْتَوِي أهلُ البادية على الأمرِ وَيَتَمَلَّكُوا البلادَ بالقهرِ ، فتكثُرُ أموالُهم وتنصرفُ هممُهم إلى تشييدِ البُنيانِ والتفاخُرِ به ، ومنه الحديث الآخر : ((لا تقومُ السّاعةُ حتى تكون أسعدَ الناسِ بالدنيا لُكْعُ ابنِ لُكْع)) واللُّكْعُ هنا : اللُّثيمُ . ومنه أيضاً حديثٌ : ((إذا وُسِّدَ الأمرُ أي أُسْنِدَ إلى غيرِ أهلهِ فانتظِرِ السّاعةَ)) ، وكلاهما في ((الصحيح))^{٧٧١}

^{٧٦٩} - ((شرح صحيح مسلم)) ١ : ١٥٧ - ١٥٨ و((شرح صحيح البخاري)) ص ٢٤٥ ٢٤٦ و((فتح الملهم بشرح

صحيح مسلم)) ١ : ٤٨٢ - ٤٨٣ .

^{٧٧٠} - في ((شرح صحيح مسلم)) ١ : ١٥٨ .

^{٧٧١} - انظر ((فتح الباري)) ١ : ١٢٣ و((فتح الملهم)) ١ : ٤٨٧ - ٤٨٨ .

من الفوائد التعليمية التي تُستفاد من هذا الحديث أنه ينبغي لمن حضر مجلس العالم إذا علم بأهل المجلس حاجة إلى مسألة لا يسألون عنها أن يسأل هو عنها ، ليحصل الجواب للجميع ، وفيه أنه ينبغي للعالم أن يرفق بالسائل ويدينه منه ، ليتمكن من سؤاله غير هائب ولا مُنقبض ، وأنه ينبغي للسائل أن يرفق في سؤاله ^{٧٧٢}

ويستنبط من هذا الحديث أيضاً جواز سؤال العالم ما لا يجهله السائل ليعلمه السامع .

وفي قوله ﷺ (... يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ) دلالة على أن السؤال الحسن يُسمى علماً وتعليماً ، لأن جبريل لم يصدر منه سوى السؤال ، ومع ذلك فقد سماه النبي مُعلماً ، وقد اشتهر قولهم : حُسنُ السؤالِ نصفُ العلم . ^{٧٧٣}

وقال القاضي عياض رحمه الله : ((حديث جبريل قد اشتمل على شرح جميع وظائف العبادات الظاهرة والباطنة ، من عقود الإيمان ، وأعمال الجوارح ، وإخلاص السرائر ، والتحفُّظ من آفات الأعمال ، حتى إن علوم الشريعة كلها راجعة إليه متشعبة منه ، إذ لا يَشُدُّ شَيْءٌ من الواجبات والسنن والرغائب والمحظورات والمكروهات عن أقسامه الثلاثة : الإيمان ، والإسلام ، والإحسان)) . ^{٧٧٤}

وانظروا إلى هذا الحديث الطويل بين النبي ﷺ وأبي ذر الغفاري رضي الله عنه :

عَنْ أَبِي ذَرٍّ، قَالَ : دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ ، فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، جَالِسٌ وَحْدَهُ، قَالَ : يَا أَبَا ذَرٍّ إِنَّ لِلْمَسْجِدِ تَحِيَّةً، وَإِنَّ تَحِيَّتَهُ رَكَعَتَانِ، فَقُمْ فَارْكَعْهُمَا، قَالَ : فَقُمْتُ فَارْكَعْتُهُمَا، ثُمَّ عُذْتُ فَجَلَسْتُ إِلَيْهِ، فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّكَ أَمَرْتَنِي بِالصَّلَاةِ، فَمَا الصَّلَاةُ ؟ قَالَ : خَيْرُ مَوْضُوعٍ، اسْتَكْبَرُ أَوْ اسْتَقَلَّ، قَالَ : قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّ الْعَمَلِ أَفْضَلُ ؟ قَالَ : إِيمَانٌ بِاللَّهِ، وَجِهَادٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، قَالَ : قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَأَيُّ الْمُؤْمِنِينَ أَكْمَلُ إِيمَانًا ؟ قَالَ : أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَأَيُّ الْمُؤْمِنِينَ أَسْلَمُ ؟ قَالَ : مَنْ سَلِمَ النَّاسُ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ، قَالَ : قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَأَيُّ الصَّلَاةِ أَفْضَلُ ؟ قَالَ : طُولُ الْفُنُوتِ، قَالَ : قُلْتُ : يَا

^{٧٧٢} - أفاده الإمام النووي في ((شرح صحيح مسلم)) ١ : ١٦٠ .

^{٧٧٣} - أفاده في ((فتح الباري)) ١ : ١١٩ و ١٢٥ .

^{٧٧٤} - نقله النووي في ((شرح مسلم)) ١ : ١٥٨ .

رَسُولَ اللَّهِ، فَأَيُّ الْهَجْرَةِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: مَنْ هَجَرَ السَّيِّئَاتِ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَمَا الصِّيَامُ؟ قَالَ: فَرَضُ مُجْزِيٍّ، وَعِنْدَ اللَّهِ أَصْعَافٌ كَثِيرَةٌ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَأَيُّ الْجِهَادِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: مَنْ عَفَرَ جَوَادُهُ، وَأَهْرَيْقَ دَمُهُ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَأَيُّ الصَّدَقَةِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: جَهْدُ الْمُقْلِ يُسْرُ إِلَى فَقِيرٍ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَأَيُّ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ أَعْظَمُ؟ قَالَ: آيَةُ الْكُرْسِيِّ ثُمَّ قَالَ: يَا أَبَا ذَرٍّ، مَا السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ مَعَ الْكُرْسِيِّ إِلَّا كَحَلْقَةِ مُلْقَاةٍ بِأَرْضِ فَلَاةٍ وَفَضْلُ الْعَرْشِ عَلَى الْكُرْسِيِّ كَفَضْلِ الْفَلَاةِ عَلَى الْحَلْقَةِ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَمْ الْأَنْبِيَاءُ؟ قَالَ: مِائَةٌ أَلْفٌ وَعِشْرُونَ أَلْفًا قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَمْ الرُّسُلُ مِنْ ذَلِكَ؟ قَالَ: ثَلَاثُ مِائَةٍ وَثَلَاثَةٌ عَشْرًا جَمًّا غَفِيرًا، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَنْ كَانَ أَوْلَهُمْ؟ قَالَ: آدَمُ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنْبِيَّ مُرْسَلٍ؟ قَالَ: نَعَمْ، خَلَقَهُ اللَّهُ بِيَدِهِ، وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ، وَكَلَّمَهُ قَبْلًا ثُمَّ قَالَ: يَا أَبَا ذَرٍّ أَرْبَعَةٌ سُرِّيَانِيُونَ: آدَمُ، وَشِيثُ، وَأَخْنُوخُ وَهُوَ إِدْرِيسُ، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ حَطَّ بِالْقَلَمِ، وَنُوحٌ وَأَرْبَعَةٌ مِنَ الْعَرَبِ: هُودٌ، وَشُعَيْبٌ، وَصَالِحٌ، وَنَبِيِّكَ مُحَمَّدٌ ﷺ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَمْ كِتَابًا أَنْزَلَهُ اللَّهُ؟ قَالَ: مِائَةٌ كِتَابٌ، وَأَرْبَعَةٌ كُتِبَ، أَنْزَلَ عَلَى شِيثَ خَمْسُونَ صَحِيفَةً، وَأَنْزَلَ عَلَى أَخْنُوخَ ثَلَاثُونَ صَحِيفَةً، وَأَنْزَلَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ عَشْرَ صَحَائِفٍ، وَأَنْزَلَ عَلَى مُوسَى قَبْلَ التَّوْرَةِ عَشْرَ صَحَائِفٍ، وَأَنْزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَالزَّبُورَ وَالْقُرْآنَ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا كَانَتْ صَحِيفَةُ إِبْرَاهِيمَ؟ قَالَ: كَانَتْ أَمْثَالًا كُلِّهَا: أَيُّهَا الْمَلِكُ الْمُسَلِّطُ الْمُبْتَلَى الْمَعْرُورُ، إِنِّي لَمْ أَبْعَثْكَ لَتَجْمَعَ الدُّنْيَا بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ، وَلَكِنِّي بَعَثْتُكَ لَتُرَدَّ عَنِّي دَعْوَةُ الْمَظْلُومِ، فَإِنِّي لَا أَرُدُّهَا وَلَوْ كَانَتْ مِنْ كَافِرٍ، وَعَلَى الْعَاقِلِ مَا لَمْ يَكُنْ مَعْلُوبًا عَلَى عَقْلِهِ أَنْ تَكُونَ لَهُ سَاعَاتٌ: سَاعَةٌ يُنَاجِي فِيهَا رَبَّهُ، وَسَاعَةٌ يُحَاسِبُ فِيهَا نَفْسَهُ، وَسَاعَةٌ يَتَفَكَّرُ فِيهَا فِي صُنْعِ اللَّهِ، وَسَاعَةٌ يَخْلُو فِيهَا لِحَاجَتِهِ مِنَ الْمَطْعَمِ وَالْمَشْرَبِ، وَعَلَى الْعَاقِلِ أَنْ لَا يَكُونَ ظَاعِنًا إِلَّا لثَلَاثٍ: تَزُودَ لِمَعَادٍ، أَوْ مَرَمَةً لِمَعَاشٍ، أَوْ لَذَّةً فِي غَيْرِ مُحَرَّمٍ، وَعَلَى الْعَاقِلِ أَنْ يَكُونَ بَصِيرًا بِزَمَانِهِ، مُقْبِلًا عَلَى شَأْنِهِ، حَافِظًا لِسَانِهِ، وَمَنْ حَسَبَ كَلَامَهُ مِنْ عَمَلِهِ، قَلَّ كَلَامُهُ إِلَّا فِيمَا يَعْجِبُهُ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَمَا كَانَتْ صُحُفُ مُوسَى؟ قَالَ: كَانَتْ عِبْرًا كُلِّهَا: عَجِبْتُ لِمَنْ أَيْقَنَ بِالْمَوْتِ، ثُمَّ هُوَ يَفْرَحُ، وَعَجِبْتُ لِمَنْ أَيْقَنَ بِالنَّارِ، ثُمَّ هُوَ يَضْحَكُ، وَعَجِبْتُ لِمَنْ

أَيَقِنَ بِالْقَدْرِ ثُمَّ هُوَ يَنْصَبُ، عَجِبْتُ لِمَنْ رَأَى الدُّنْيَا وَتَقَلَّبَهَا بِأَهْلِهَا، ثُمَّ اطمأنَّ إِلَيْهَا، وَعَجِبْتُ لِمَنْ أَيَقِنَ بِالْحِسَابِ غَدًا ثُمَّ لَا يَعْمَلُ قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَوْصِنِي، قَالَ : أَوْصِيكَ بِتَقْوَى اللَّهِ، فَإِنَّهُ رَأْسُ الْأَمْرِ كُلِّهِ قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ، زِدْنِي، قَالَ : عَلَيْكَ بِتِلَاوَةِ الْقُرْآنِ، وَذِكْرِ اللَّهِ، فَإِنَّهُ نُورٌ لَكَ فِي الْأَرْضِ، وَذُخْرٌ لَكَ فِي السَّمَاءِ قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ، زِدْنِي : قَالَ : إِيَّاكَ وَكَثْرَةَ الصَّحْحِ، فَإِنَّهُ يُمِيتُ الْقَلْبَ، وَيَذْهَبُ بِنُورِ الْوَجْهِ قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ، زِدْنِي، قَالَ : عَلَيْكَ بِالصَّمْتِ إِلَّا مِنْ خَيْرٍ، فَإِنَّهُ مَطْرَدَةٌ لِلشَّيْطَانِ عَنكَ، وَعَوْنٌ لَكَ عَلَى أَمْرِ دِينِكَ قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ، زِدْنِي، قَالَ : عَلَيْكَ بِالْجِهَادِ، فَإِنَّهُ رَهْبَانِيَّةٌ أُمَّتِي قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ، زِدْنِي، قَالَ : أَحَبَّ الْمَسَاكِينِ وَجَالِسِهِمْ قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ، زِدْنِي، قَالَ : انظُرْ إِلَى مَنْ تَحْتَكَ وَلَا تَنْظُرْ إِلَى مَنْ فَوْقَكَ، فَإِنَّهُ أَجْدَرُ أَنْ لَا تُزْدَرَى نِعْمَةً اللَّهُ عِنْدَكَ قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ، زِدْنِي، قَالَ : قُلِ الْحَقَّ وَإِنْ كَانَ مَرًّا قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ، زِدْنِي، قَالَ : لِيُرِدَّكَ عَنِ النَّاسِ مَا تَعْرِفُ مِنْ نَفْسِكَ وَلَا تَجِدَ عَلَيْهِمْ فِيمَا تَأْتِي، وَكَفَى بِكَ عَيْبًا أَنْ تَعْرِفَ مِنَ النَّاسِ مَا تَجْهَلُ مِنْ نَفْسِكَ، أَوْ تَجِدَ عَلَيْهِمْ فِيمَا تَأْتِي ثُمَّ ضَرَبَ بِيَدِهِ عَلَى صَدْرِي، فَقَالَ : يَا أَبَا ذَرٍّ لَا عَقْلَ كَالْتَدْبِيرِ، وَلَا وَرَعَ كَالْكَفِّ، وَلَا حَسَبَ كَحُسْنِ الْخُلُقِ. اهـ ٧٧٥

قَالَ الشَّيْخُ (أَبُو نَعِيمٍ) رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى : وَكَانَ أَبُو ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ لِلرَّسُولِ ﷺ مُلَازِمًا وَجَلِيسًا، وَعَلَى مُسَاءَلَتِهِ وَالِاقْتِبَاسِ مِنْهُ حَرِيصًا، وَلِلْقِيَامِ عَلَى مَا اسْتَفَادَ مِنْهُ أَنْبِيَاءٌ، سَأَلَهُ عَنِ الْأَصُولِ وَالْفُرُوعِ، وَسَأَلَهُ عَنِ الْإِيمَانِ وَالْإِحْسَانِ، وَسَأَلَهُ عَنِ رُؤْيَةِ رَبِّهِ تَعَالَى، وَسَأَلَهُ عَنِ

٧٧٥ - صحيح ابن حبان (٣٦١) والمستدرک للحاکم (٤١٦٥) والمسند الجامع - (ج ١٦ / ص ٣٥٦) (١٢٣٨٠)

وَحَلِيَّةُ الْأَوْلِيَاءِ (٥٤٨ - ٥٧٣) وَهُوَ حَدِيثٌ حَسَنٌ لغيره

وَرَوَاهُ الْمُخْتَارُ بْنُ غَسَّانَ ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ سَلَمَةَ ، عَنْ أَبِي إِدْرِيسَ . وَرَوَاهُ عَلِيُّ بْنُ يَزِيدَ ، عَنْ الْقَاسِمِ ، عَنْ أَبِي أُمَامَةَ ، عَنْ أَبِي ذَرٍّ . وَرَوَاهُ عُبَيْدُ بْنُ الْحَسْحَاسِ ، عَنْ أَبِي ذَرٍّ . وَرَوَاهُ مُعَاوِيَةُ بْنُ صَالِحٍ ، عَنْ أَبِي عَبْدِ الْمَلِكِ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي يُوْبَ ، عَنْ ابْنِ عَائِدٍ ، عَنْ أَبِي ذَرٍّ ، بِطَوِيلِهِ . وَرَوَاهُ ابْنُ جُرَيْجٍ ، عَنْ عَطَاءٍ ، عَنْ عُبَيْدِ بْنِ عُمَيْرٍ ، عَنْ أَبِي ذَرٍّ ، بِطَوِيلِهِ . تَفَرَّدَ بِهِ عَنْهُ يَحْيَى بْنُ سَعِيدِ الْعُبَيْسِيِّ حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ جَعْفَرٍ ، ثنا مُحَمَّدُ بْنُ الْعَبَّاسِ بْنِ أَبِي يُوْبَ ، ثنا مُحَمَّدُ بْنُ مَرْزُوقٍ ، ثنا يَحْيَى بْنُ سَعِيدِ الْعُبَيْسِيِّ ، مِنْ بَنِي سَعْدِ بْنِ تَيْمٍ ، ثنا ابْنُ جُرَيْجٍ ، عَنْ عَطَاءٍ ، عَنْ عُبَيْدِ بْنِ عُمَيْرٍ ، عَنْ أَبِي ذَرٍّ ، رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ قَالَ : دَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ فِي الْمَسْجِدِ جَالِسٌ ، فَاعْتَمَمْتُ خَلْوَتَهُ ، ثُمَّ ذَكَرْتُ مِثْلَهُ ، وَزَادَ قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلْ لِي فِي الدُّنْيَا شَيْءٌ مِمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ مِمَّا كَانَ فِي صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى ؟ قَالَ : " يَا أَبَا ذَرٍّ أَقْرَأُ : قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَرَكَهُ إِلَى آخِرِ السُّورَةِ

أَحَبُّ الْكَلَامِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَسَأَلَهُ عَنْ لَيْلَةِ الْقَدْرِ : أُرْفَعُ مَعَ الْأَنْبِيَاءِ أَمْ تَبْقَى ؟ وَسَأَلَهُ عَنْ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى عَنْ مَسِّ الْحَصَا فِي الصَّلَاةِ، فَعَنْ أَبِي ذَرٍّ، قَالَ : " سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنْ كُلِّ شَيْءٍ، حَتَّى سَأَلْتُهُ عَنْ مَسِّ الْحَصَا، فَقَالَ : " مَسَّهُ مَرَّةً أَوْ دَعَّ " قَالَ الشَّيْخُ رَحِمَهُ اللَّهُ : تَخَلَّى مِنَ الدُّنْيَا، وَتَشَمَّرَ لِلْعُقْبَى، وَعَانَقَ الْبُلُوَى، إِلَى أَنْ لَحِقَ بِالْمَوْلَى .

قلت : وهذا الحديث لا يحتاج إلى تعليق، فقد كان أبو ذر رضي الله عنه أكثر الصحابة سؤالاً للنبي ﷺ، ويراعى في هذا حاجة طالب العلم، فإذا أراد المزيد زدنا وإلا فلا .

الخلاصة :

- (١) لا بأس بالإكثار من الأسئلة إذا كانت نافعة.
- (٢) الحوار بين العالم والمتعلم من أهم الأشياء التي تركز المعلومات وتشجذ الهمة ، وتزيل الشرود والغفلة .
- (٣) وفيه أدب طالب العلم مع معلمه .
- (٤) كان أبو ذر الغفاري رضي الله عنه أكثر الصحابة سؤالاً للرَسُول ﷺ
- (٥) سؤال العالم للمتعلم هو لتخفيفه وشد انتباهه لما سيلقى عليه .

[٢٨] هل يخص بعض طلابه ببعض العلم دون غيرهم ؟ :

الجواب له ذلك، وهي ما يسمى اليوم بتشجيع الفروق الفردية، وتنمية المواهب عند الطلاب، وتوجيههم التوجيه الأفضل، فَعَنْ عَلِيٍّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ - فِي جَنَازَةِ فَأَخَذَ شَيْئًا فَجَعَلَ يَنْكُتُ بِهِ الْأَرْضَ فَقَالَ « مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَقَدْ كُتِبَ مَقْعَدُهُ مِنَ النَّارِ وَمَقْعَدُهُ مِنَ الْجَنَّةِ » . قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفَلَا تَتَكَلَّمُ عَلَيْنَا وَنَدْعُ الْعَمَلَ قَالَ « اَعْمَلُوا فَكُلُّ مُيَسَّرٍ لِمَا خُلِقَ لَهُ، أَمَا مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ السَّعَادَةِ فَيُسَّرُ لِعَمَلِ

أَهْلِ السَّعَادَةِ، وَأَمَّا مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الشَّقَاءِ فَيَسِّرُ لِعَمَلِ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ ». ثُمَّ قَرَأَ (فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى * وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى) الْآيَةَ .^{٧٧٦}

وَعَنْ عِمْرَانَ قَالَ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ فِيمَا يَعْمَلُ الْعَامِلُونَ قَالَ « كُلُّ مُيسَّرٍ لِمَا خُلِقَ لَهُ »^{٧٧٧} .

ولهذا على المعلم أن يلحظ هذه النقطة فعين الاعتبار، فيحاول تنمية المواهب الفردية قدر الإمكان .

وأول هؤلاء الصحابي الجليل أبو هريرة رضي الله عنه، فعندما أسلم تفرغ لطلب العلم، فلازم النبي ﷺ أربع سنوات ما تركه في سفر ولا حضر، ولما رأى النبي ﷺ شدة حرصه على طلب العلم خصه بالكثير ودعا له، فما نسي شيئاً، وعن أبي هريرة قال قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي أَسْمَعُ مِنْكَ حَدِيثًا كَثِيرًا أَنْسَاهُ . قَالَ « ابْسُطْ رِدْءَكَ » فَبَسَطْتُهُ . قَالَ فَعَرَفَ بِيَدَيْهِ ثُمَّ قَالَ « ضُمَّهُ » فَضَمَّمْتُهُ فَمَا نَسِيتُ شَيْئًا بَعْدَهُ .^{٧٧٨}

قال أبو الزناد: فيه حفظ العلم والدءوب عليه، والمواظبة على طلبه، وهى فضيلة لأبي هريرة، فضله - ﷺ - بما بأن قال له: تمت ابسط رداءك، ثم قال: ضمه -، فما نسي شيئاً بعد.

وجاء هذا الحديث في كتاب البيوع، وقال فيه: تمت فما نسيتُ من مقالته تلك من شيء -، وهذا من بركة النبي - ﷺ -

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّهُ سَمِعَهُ يَقُولُ : سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ مَاذَا رَدَّ إِلَيْكَ رَبُّكَ فِي الشَّفَاعَةِ ؟ قَالَ : وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَقَدْ ظَنَنْتُ أَنَّكَ أَوَّلُ مَنْ يَسْأَلُنِي عَنْ ذَلِكَ مِنْ أُمَّتِي، لِمَا رَأَيْتُ مِنْ حِرْصِكَ عَلَى الْعِلْمِ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لِمَا يُهْمُنِي

^{٧٧٦} - صحيح البخارى- المكثر - (٤٩٤٩) - ينكت : يضرب

^{٧٧٧} - صحيح البخارى- المكثر - (٧٥٥١) وصحيح مسلم- المكثر - (٦٩٠٧)

^{٧٧٨} - صحيح البخارى- المكثر - (١١٩)

مِنْ أَنْقِصَافِهِمْ عَلَى أَبْوَابِ الْجَنَّةِ أَهْمٌ عِنْدِي مِنْ تَمَامِ شَفَاعَتِي لَهُمْ، وَشَفَاعَتِي لِمَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُخْلِصًا، وَأَنْ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ يُصَدِّقُ لِسَانُهُ قَلْبُهُ وَقَلْبُهُ لِسَانُهُ." ٧٧٩

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّهُ قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَاذَا رَدَّ إِلَيْكَ رَبُّكَ عَزَّ وَجَلَّ فِي الشَّفَاعَةِ؟ قَالَ: لَقَدْ ظَنَنْتُ لَتَكُونَنَّ أَوَّلَ مَنْ سَأَلَنِي عَنْهَا مِمَّا رَأَيْتُ مِنْ حَرِصِكَ عَلَى الْعِلْمِ، شَفَاعَتِي لِمَنْ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُخْلِصًا، يُصَدِّقُ قَلْبُهُ لِسَانَهُ، وَلِسَانُهُ قَلْبَهُ." ٧٨٠

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قُلْتُ لِلنَّبِيِّ ﷺ: مَنْ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: لَقَدْ ظَنَنْتُ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، أَلَّا يَسْأَلَنِي عَنْ هَذَا الْحَدِيثِ أَحَدٌ أَوْلَ مِنْكَ، لَمَّا رَأَيْتُ مِنْ حَرِصِكَ عَلَى الْحَدِيثِ، أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ خَالِصَةً مِنْ قَبْلِ نَفْسِهِ." ٧٨١

قال المهلب: فيه أن الحريص على الخير والعلم يبلغ بحرصه إلى أن يسأل عن غامض المسائل، ودقيق المعاني، لأن المسائل الظاهرة إلى الناس كافة يستوى الناس في السؤال عنها، لا اعتراضها في أفكارهم، وما غمض من المسائل، ولطف من المعاني، لا يستل عنها إلا راسخ بحاث، يبعثه على ذلك الحرص، فيكون ذلك سبباً إلى إثارة فائدة يكون له أجرها، وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة.

وفيه: أن للعالم أن يتفرس في متعلميه، فيظن في كل واحد مقدار تقدمه في فهمه، وأن ينبهه على تفرسه فيه، ويعرفه ذلك، ليعثه على الاجتهاد في العلم والحرص عليه.

وفيه: أن للعالم أن يسكت إذا لم يسأل عن العلم حتى يسأل عنه، ولا يكون كاتماً، لأن على الطالب أن يسأل، قال تعالى: {فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ} [النحل: ٤٣]، وليس للعالم أن يسكت إذا رأى تغييراً في الدين إذا علم أن ذلك لا يضره، ثم على العالم أن يبين إذا سئل، فإن لم يبين بعد أن يسأل فقد كتم، إلا أن يكون له عذر فيعذر.

٧٧٩ - صحيح ابن حبان - (١٤ / ٣٨٥) (٦٤٦٦) وصحيح البخاري - المكثر - (٩٩)

٧٨٠ - مسند أحمد (عالم الكتب) - (٣ / ٧٦١) (١٠٧١٣) (١٠٧٢٤) - صحيح

٧٨١ - مسند أحمد (عالم الكتب) - (٣ / ٣٧٩) (٨٨٥٨) (٨٨٤٥) - صحيح

وفيه: أن الشفاعة إنما تكون في أهل الإخلاص خاصة، وهم أهل التصديق بوحدانية الله،
ورسله، لقوله - ﷺ -: تمت خالصًا من قلبه، أو نفسه - ٧٨٢ .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ النَّاسَ كَانُوا يَقُولُونَ أَكْثَرَ أَبُو هُرَيْرَةَ . وَإِنِّي كُنْتُ
أَلْزَمَ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - بِشَبِيعِ بَطْنِي، حَتَّى لَا أَكُلُ الْخَمِيرَ، وَلَا أَلْبَسُ الْحَبِيرَ، وَلَا يَخْدُمُنِي
فُلَانٌ وَلَا فُلَانَةٌ، وَكُنْتُ أُلْصِقُ بَطْنِي بِالْحَصْبَاءِ مِنَ الْجُوعِ، وَإِنْ كُنْتُ لِأَسْتَقْرِي الرَّجُلَ الْآيَةَ
هِيَ مَعِيَ كَيْ يَنْقَلِبَ بِي فَيُطْعِمَنِي، وَكَانَ آخِرَ النَّاسِ لِلْمَسْكِينِ جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، كَانَ
يَنْقَلِبُ بِنَا فَيُطْعِمُنَا مَا كَانَ فِي بَيْتِهِ، حَتَّى إِنْ كَانَ لَيُخْرِجُ إِلَيْنَا الْعُكَّةَ الَّتِي لَيْسَ فِيهَا
شَيْءٌ، فَتَشُقُّهَا فَنَلْعَقُ مَا فِيهَا ٧٨٣ .

وعن مُجَاهِدٍ أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ كَانَ يَقُولُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِنْ كُنْتُ لِأَعْتَمِدُ بِكَ بَدِي
عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْجُوعِ، وَإِنْ كُنْتُ لِأَشُدُّ الْحَجَرَ عَلَى بَطْنِي مِنَ الْجُوعِ، وَلَقَدْ قَعَدْتُ يَوْمًا
عَلَى طَرِيقِهِمُ الَّذِي يَخْرُجُونَ مِنْهُ، فَمَرَّ أَبُو بَكْرٍ، فَسَأَلْتُهُ عَنْ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ، مَا سَأَلْتُهُ إِلَّا
لِيُشَبِّعَنِي، فَمَرَّ وَلَمْ يَفْعَلْ، ثُمَّ مَرَّ بِي عُمَرُ فَسَأَلْتُهُ عَنْ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ، مَا سَأَلْتُهُ إِلَّا
لِيُشَبِّعَنِي، فَمَرَّ فَلَمْ يَفْعَلْ، ثُمَّ مَرَّ بِي أَبُو الْقَاسِمِ - ﷺ - فَتَبَسَّمَ حِينَ رَأَى وَعَرَفَ، مَا فِي
نَفْسِي وَمَا فِي وَجْهِهِ ثُمَّ قَالَ «أَبَا هُرَيْرَةَ» . قُلْتُ لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ . قَالَ «الْحَقُّ» .
وَمَضَى فَتَبِعْتُهُ، فَدَخَلَ فَاسْتَأْذَنَ، فَأَذِنَ لِي، فَدَخَلَ فَوَجَدَ لَبْنًا فِي قَدَحٍ فَقَالَ «مِنْ أَيْنَ هَذَا
اللَّبْنُ» . قَالُوا أَهْدَاهُ لَكَ فُلَانٌ أَوْ فُلَانَةٌ . قَالَ «أَبَا هُرَيْرَةَ» . قُلْتُ لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ .
قَالَ «الْحَقُّ إِلَى أَهْلِ الصَّفَةِ فَادْعُهُمْ لِي» . قَالَ وَأَهْلُ الصَّفَةِ أَصْيَافُ الْإِسْلَامِ، لَا يَأْوُونَ
إِلَى أَهْلِ وَلَا مَالٍ، وَلَا عَلَى أَحَدٍ، إِذَا أَتَتْهُ صَدَقَةٌ بَعَثَ بِهَا إِلَيْهِمْ، وَلَمْ يَتَنَاوَلْ مِنْهَا شَيْئًا، وَإِذَا
أَتَتْهُ هَدِيَّةٌ أَرْسَلَ إِلَيْهِمْ، وَأَصَابَ مِنْهَا وَأَشْرَكَهُمْ فِيهَا، فَسَأَعَنِي ذَلِكَ فَقُلْتُ وَمَا هَذَا اللَّبْنُ فِي
أَهْلِ الصَّفَةِ كُنْتُ أَحَقُّ أَنَا أَنْ أُصِيبَ مِنْ هَذَا اللَّبْنِ شَرْبَةً أَتَقَوَّى بِهَا، فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنِي فَكُنْتُ
أَنَا أُعْطِيهِمْ، وَمَا عَسَى أَنْ يُلْغَنِي مِنْ هَذَا اللَّبْنِ، وَلَمْ يَكُنْ مِنْ طَاعَةِ اللَّهِ وَطَاعَةِ رَسُولِهِ -

٧٨٢ - شرح ابن بطال - (١ / ١٨٢)

٧٨٣ - صحيح البخاري - المكثر - (٣٧٠٨)

ﷺ - بُدِّ، فَأَتَيْتُهُمْ فَدَعَوْتُهُمْ فَأَقْبَلُوا، فَاسْتَأْذَنُوا فَأَذِنَ لَهُمْ، وَأَخَذُوا مَجَالِسَهُمْ مِنَ الْبَيْتِ قَالَ « يَا أَبَا هُرٍّ . قُلْتُ لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ .

قَالَ « خُذْ فَأَعْطِهِمْ » . قَالَ فَأَخَذْتُ الْقَدَحَ فَجَعَلْتُ أُعْطِيهِ الرَّجُلَ فَيَشْرَبُ حَتَّى يَرَوْى، ثُمَّ يَرُدُّ عَلَيَّ الْقَدَحَ، فَأُعْطِيهِ الرَّجُلَ فَيَشْرَبُ حَتَّى يَرَوْى، ثُمَّ يَرُدُّ عَلَيَّ الْقَدَحَ فَيَشْرَبُ حَتَّى يَرَوْى، ثُمَّ يَرُدُّ عَلَيَّ الْقَدَحَ، حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ - وَقَدْ رَوَى الْقَوْمُ كُلَّهُمْ، فَأَخَذَ الْقَدَحَ فَوَضَعَهُ عَلَى يَدِهِ فَنَظَرَ إِلَيَّ فَتَبَسَّمَ فَقَالَ « أَبَا هُرٍّ » . قُلْتُ لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ . قَالَ « بَقِيْتُ أَنَا وَأَنْتَ » . قُلْتُ صَدَقْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ . قَالَ « أَقْعُدْ فَاشْرَبْ » . فَقَعَدْتُ فَشَرِبْتُ . فَقَالَ « اشْرَبْ » . فَشَرِبْتُ، فَمَا زَالَ يَقُولُ « اشْرَبْ » . حَتَّى قُلْتُ لَا وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ، مَا أَجِدُ لَهُ مَسْلَكًا . قَالَ « فَأَرِنِي » . فَأَعْطَيْتُهُ الْقَدَحَ فَحَمِدَ اللَّهُ وَسَمَّى، وَشَرِبَ الْفَضْلَةَ . ٧٨٤ .

وَعَنْ مُجَاهِدٍ، قَالَ : سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ، يَقُولُ : وَالَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِنْ كُنْتُ لَأَعْتَمِدُ بِكَبِدِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْجُوعِ، وَلَقَدْ قَعَدْتُ يَوْمًا عَلَى طَرِيقِهِمُ الَّذِي يَخْرُجُونَ فِيهِ، فَمَرَّ بِي أَبُو بَكْرٍ فَسَأَلْتُهُ عَنْ آيَةٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ، مَا سَأَلْتُهُ إِلَّا لِيُشْبِعَنِي، فَمَرَّ وَلَمْ يَفْعَلْ، وَمَرَّ بِي عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ فَسَأَلْتُهُ عَنْ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ، مَا سَأَلْتُهُ إِلَّا لِيُشْبِعَنِي، فَمَرَّ وَلَمْ يَفْعَلْ، حَتَّى مَرَّ بِي أَبُو الْقَاسِمِ ﷺ، فَلَمَّا رَأَى مَا بَوَجَّهِي، وَمَا فِي نَفْسِي، قَالَ : أَبَا هُرٍّ، فَقُلْتُ : لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَسَعَدَيْكَ، قَالَ : الْحَقُّ، فَلَحِقْتُهُ، فَدَخَلَ إِلَى أَهْلِهِ، فَأَذِنَ، فَدَخَلْتُ، فَإِذَا هُوَ بَلْبَنٍ فِي قَدَحٍ، فَقَالَ لِأَهْلِهِ : مَنْ أَيْنَ لَكُمْ هَذَا ؟ قَالَ : هَدِيَّةُ فُلَانٍ، أَوْ قَالَ : فُلَانٌ، فَقَالَ : أَبَا هُرٍّ الْحَقُّ إِلَى أَهْلِ الصُّفَّةِ، فَادْعُهُمْ، وَأَهْلُ الصُّفَّةِ أَضْيَافُ لِأَهْلِ الْإِسْلَامِ، لَا يَأْوُونَ إِلَى أَهْلِ أَوْ مَالٍ، إِذَا أَتَتْهُ صَدَقَةٌ بَعَثَ بِهَا إِلَيْهِمْ، وَلَمْ يُشْرِكْهُمْ فِيهَا، وَإِذَا أَتَتْهُ هَدِيَّةٌ بَعَثَ بِهَا إِلَيْهِمْ وَشَرَكْهُمْ فِيهَا، وَأَصَابَ مِنْهَا، فَسَاعَنِي وَاللَّهِ ذَلِكَ. قُلْتُ : أَيْنَ يَقَعُ هَذَا اللَّبْنُ مِنْ أَهْلِ الصُّفَّةِ وَأَنَا وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ ؟ فَانْطَلَقْتُ فَدَعَوْتُهُمْ، فَأَذِنَ لَهُمْ، فَدَخَلُوا وَأَخَذَ الْقَوْمُ مَجَالِسَهُمْ. قَالَ : أَبَا هُرٍّ، قُلْتُ : لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ : خُذْ، فَنَاوِلْهُمْ. قَالَ فَجَعَلْتُ أَنْوِلُ رَجُلًا رَجُلًا، فَيَشْرَبُ، فَإِذَا رَوِيَ أَخَذْتُهُ، فَنَاوِلْتُ الْآخَرَ حَتَّى رَوِيَ الْقَوْمُ جَمِيعًا، ثُمَّ انْتَهَيْتُ إِلَى

رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَرَفَعَ رَأْسَهُ، فَتَبَسَّمَ، وَقَالَ: أبا هريرة، أنا وأنت. قلتُ: صدقت يا رسول الله. قال: خذ، فاشرب، فما زال يقول: اشرب، حتى قلتُ والذي بعثك بالحق، ما أجد له مسلًا. قال: فأرني الإناء، فأعطيته الإناء، فاشرب البقية، وحمد ربه ﷺ. ٧٨٥.

وعن محمد بن سيرين قال كنا عند أبي هريرة وعليه ثوبان ممشقان من كتان فتمخط في أحدهما ثم قال بخ بخ يتمخط أبو هريرة في الكتان لقد رأيتني وإني لأخر فيما بين منبر رسول الله - ﷺ - وحجرة عائشة من الجوع معشيًا على فيجيء الجائي فيضع رجله على عنقي يرى أن بي الجنون وما بي جنون وما هو إلا الجوع. ٧٨٦.

وعن أبي هريرة قال قال رسول الله - ﷺ - : « إذا صلى أحدكم الركتين قبل الصبح فليضطجع على يمينه ». فقال له مروان بن الحكم: أما يجزي أحدنا ممشاه إلى المسجد حتى يضطجع على يمينه؟ قال عبيد الله في حديثه قال: لا. قال: فبلغ ذلك ابن عمر، فقال: أكثر أبو هريرة على نفسه. قال فقيل لابن عمر: هل تنكر شيئًا مما يقول؟ قال: لا ولكنّه اجترأ وجبنا. قال: فبلغ ذلك أبا هريرة قال: فما ذنبي إن كنتُ حفظتُ ونسوا. ٧٨٧.

وعن أبي هريرة قال إن الناس يقولون أكثر أبو هريرة، ولولا آيتان في كتاب الله ما حدثت حديثًا، ثم يتلو { إن الذين يكتُمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون (١٥٩) إلا الذين تابوا وأصلحوا وينونا فأولئك أئوب عليهم وأنا التواب الرحيم (١٦٠) } سورة البقرة، إن إخواننا من المهاجرين كان يشغلهم الصفق بالأسواق، وإن إخواننا من الأنصار كان يشغلهم العمل

٧٨٥ - صحيح ابن حبان - (١٤ / ٤٧١) (٦٥٣٥) صحيح

٧٨٦ - سنن الترمذي - المكثر - (٢٥٤١) هذا حديث حسن صحيح غريب.

المشق: المصوغ بالمشق وهو الطين الأحمر

٧٨٧ - السنن الكبرى للبيهقي - حيدر آباد - (٣ / ٤٥) (٥٠٨٤) صحيح

{ق} وهذا يحتمل أن يكون المراد به الإباحة.

فِي أَمْوَالِهِمْ، وَإِنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ كَانَ يَلْزِمُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ - بِشَبَعِ بَطْنِهِ وَيَحْضُرُ مَا لَا يَحْضُرُونَ، وَيَحْفَظُ مَا لَا يَحْفَظُونَ ٧٨٨ .

وَعَنِ الْأَعْرَجِ، قَالَ : قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ : إِنَّكُمْ تَقُولُونَ : أَكْثَرَ أَبُو هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ وَاللَّهِ الْمُوعَدُ، إِنَّكُمْ تَقُولُونَ : مَا بَالُ الْمُهَاجِرِينَ لَا يُحَدِّثُونَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ بِهَذِهِ الْأَحَادِيثِ ؟ وَمَا بَالُ الْأَنْصَارِ لَا يُحَدِّثُونَ بِهَذِهِ الْأَحَادِيثِ ؟ وَإِنَّ أَصْحَابِي مِنَ الْمُهَاجِرِينَ كَانَتْ تَشْغَلُهُمْ صَفَقَاتُهُمْ فِي الْأَسْوَاقِ، وَإِنَّ أَصْحَابِي مِنَ الْأَنْصَارِ كَانَتْ تَشْغَلُهُمْ أَرْضُوهُمْ وَالْقِيَامُ عَلَيْهَا، وَإِنِّي كُنْتُ امْرَأً مُسْكِينًا، وَكُنْتُ أَكْثَرَ مُجَالَسَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، أَحْضُرُ إِذَا غَابُوا، وَأَحْفَظُ إِذَا نَسُوا، وَإِنَّ النَّبِيَّ ﷺ حَدَّثَنَا يَوْمًا فَقَالَ : مَنْ يَسْطُرْ ثَوْبَهُ حَتَّى أَفْرُغَ مِنْ حَدِيثِي، ثُمَّ يَقْبِضُهُ إِلَيْهِ، فَإِنَّهُ لَيْسَ يَنْسَى شَيْئًا سَمِعَهُ مِنِّي أَبَدًا فَبَسَطْتُ ثَوْبِي، أَوْ قَالَ : نَسِيتِي، ثُمَّ قَبِضْتُهُ إِلَيَّ، فَوَاللَّهِ مَا نَسِيتُ شَيْئًا سَمِعْتُهُ مِنْهُ، وَإِنَّمِ اللَّهُ، لَوْلَا آيَةٌ فِي كِتَابِ اللَّهِ مَا حَدَّثْتُكُمْ بِشَيْءٍ أَبَدًا، ثُمَّ تَلَا : { إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ } (١٥٩) سورة البقرة. ٧٨٩

وَعَنْ ابْنِ عُمَرَ، أَنَّهُ قَالَ : لِأَبِي هُرَيْرَةَ : " يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَنْتَ كُنْتَ أَلْزَمَنَا لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَأَحْفَظْنَا لِحَدِيثِهِ " ٧٩٠

وَأَرَادَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَنْ يَخْصَ بِنِي تَمِيمٍ بَبَشْرَةٍ فَلَمْ يَسْتَحِقُّهَا فَخَصَّهَا لِأَهْلِ الْيَمَنِ، فَعَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ، قَالَ : إِنِّي لَجَالِسٌ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، إِذْ جَاءَهُ قَوْمٌ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ، فَقَالَ : أَقْبِلُوا الْبُشْرَى يَا بَنِي تَمِيمٍ، قَالُوا : قَدْ بَشَّرْتَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ فَأَعْطِنَا، فَدَخَلَ عَلَيْهِ نَاسٌ مِنْ أَهْلِ الْيَمَنِ، فَقَالَ : أَقْبِلُوا الْبُشْرَى يَا أَهْلَ الْيَمَنِ، إِذْ لَمْ يَقْبَلْهَا بَنُو تَمِيمٍ، قَالُوا : قَدْ قَبِلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، جِئْنَا لِنَتَفَقَّهُ فِي الدِّينِ وَنَسْأَلُكَ عَنْ أَوَّلِ هَذَا الْأَمْرِ، مَا كَانَ ؟ فَقَالَ : كَانَ اللَّهُ، وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ قَبْلَهُ، وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ، ثُمَّ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ، وَكَتَبَ فِي الذِّكْرِ كُلِّ شَيْءٍ. قَالَ : ثُمَّ أَنَاهُ رَجُلٌ فَقَالَ : يَا عِمْرَانُ بْنُ حُصَيْنٍ رَأِحْتِكَ أَذْرِكْهَا، فَقَدْ

٧٨٨ - صحيح البخارى - المكثر - (١١٨) - الصفح : التابع

٧٨٩ - مسند أحمد (عالم الكتب) - (٣ / ١٢٥) (٧٧٠٥) - ٧٦٩١ - صحيح

٧٩٠ - سنن الترمذى الجامع الصحيح (٣٩٣١) - حسن

ذَهَبَتْ، فَأَنْطَلَقْتُ أَطْلُبُهَا، فَإِذَا السَّرَابُ يَنْقَطِعُ دُونَهَا، وَإِنَّمَا اللَّهُ لَوَدِدْتُ أَنَّهَا ذَهَبَتْ وَلَمْ أَقُمْ. ٧٩١

وَعَنْ عِمْرَانَ بْنِ الْحُصَيْنِ، قَالَ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ، فَعَقَلْتُ نَاقَتِي بِالْبَابِ ثُمَّ دَخَلْتُ، فَأَتَاهُ نَاسٌ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ، فَقَالَ: "اقْبُلُوا الْبُشْرَى يَا بَنِي تَمِيمٍ"، قَالُوا: قَدْ بَشَّرْتَنَا فَأَعْطِنَا، فَجَاءَهُ نَفَرٌ مِنْ أَهْلِ الْيَمَنِ، فَقَالَ: "اقْبُلُوا الْبُشْرَى يَا أَهْلَ الْيَمَنِ إِذْ لَمْ يَقْبَلْهَا بَنُو تَمِيمٍ"، فَقَالُوا: لِنَتَفَقَّهُ فِي الدِّينِ، وَنَسْأَلُكَ عَنْ أَوَّلِ هَذَا الْأَمْرِ، كَيْفَ كَانَ؟ فَقَالَ: "كَانَ اللَّهُ تَعَالَى لَمْ يَكُ شَيْءٌ غَيْرُهُ، وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ، وَكُتِبَ فِي الذِّكْرِ كُلِّ شَيْءٍ، ثُمَّ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ"، ثُمَّ جَاءَنِي رَجُلٌ، فَقَالَ: أَذْرِكُ نَاقَتَكَ فَقَدْ ذَهَبَتْ، فَخَرَجْتُ فَوَجَدْتُهَا تَنْقَطِعُ دُونَهَا السَّرَابُ، وَإِنَّمَا اللَّهُ لَوَدِدْتُ أَنِّي كُنْتُ تَرَكْتُهَا. ٧٩٢

وكذلك حذيفة بن اليمان رضي الله عنه صاحب سر رسول الله ﷺ، فقد خصه ﷺ بكثير من أحاديث الفتن، فعن شقيق، قال: سَمِعْتُ حُذَيْفَةَ، قَالَ: كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ عُمَرَ، فَقَالَ: أَيُّكُمْ يَحْفَظُ حَدِيثَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي الْفِتْنَةِ؟ قَالَ: قُلْتُ: أَنَا، قَالَ: إِنَّكَ لَجَدِيدٌ، أَوْ لَجَرِيءٌ، فَكَيْفَ قَالَ؟ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: فِتْنَةُ الرَّجُلِ فِي نَفْسِهِ وَأَهْلِهِ، وَمَالِهِ، وَوَلَدِهِ، وَجَارِهِ يُكْفَرُهَا الصِّيَامُ، وَالصَّدَقَةُ، وَالصَّلَاةُ، وَالْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ، وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ، فَقَالَ عُمَرُ: لَيْسَ هَذَا أُرِيدُ، إِنَّمَا أُرِيدُ الَّتِي تَمُوجُ كَمَوْجِ الْبَحْرِ، فَقُلْتُ: وَمَا لَكَ وَلَهَا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؟ إِنَّ بَيْنَكَ وَبَيْنَهَا بَابٌ مُغْلَقٌ، قَالَ: فَيُكْسَرُ الْبَابُ أَمْ يُفْتَحُ؟ قَالَ: قُلْتُ: بَلْ يُكْسَرُ، قَالَ: ذَلِكَ أَحْرَى أَنْ لَا يُعْلَقَ أَبَدًا، قَالَ: قُلْنَا لِحُذَيْفَةَ: هَلْ كَانَ يَعْلَمُ مِنَ الْبَابِ؟ قَالَ: نَعَمْ، كَمَا يَعْلَمُ أَنَّ دُونَ غَدِ اللَّيْلَةِ، إِنَّ حُذَيْفَةَ حَدَّثَنَا حَدِيثًا لَيْسَ بِالْأَعْلِيطِ، قَالَ: فَهَبْنَا أَنْ نَسْأَلَ حُذَيْفَةَ مِنَ الْبَابِ، فَقُلْنَا لِمَسْرُوقٍ: سَلْهُ، فَسَأَلَهُ فَقَالَ: عُمَرُ. ٧٩٣

٧٩١ - صحيح ابن حبان - (١٤ / ١١) (٦١٤٢) صحيح
٧٩٢ - المعجم الكبير للطبراني - (١٣ / ١٠٨) (١٤٩٠٦) صحيح
٧٩٣ - صحيح ابن حبان - (١٣ / ٣٠٤) (٥٩٦٦) وصحيح البخاري - المكثر - (٥٢٥ / ١٤٣٥) وصحيح مسلم - المكثر - (٣٨٦)

وَعَنِ الثُّعْمَانَ بْنِ بَشِيرٍ، قَالَ : كُنَّا قُعُودًا فِي الْمَسْجِدِ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَكَانَ بَشِيرٌ رَجُلًا يَكْفُ حَدِيثَهُ، فَجَاءَ أَبُو ثَعْلَبَةَ الْخُشَنِيُّ، فَقَالَ : يَا بَشِيرُ بْنُ سَعْدٍ أَتَحْفَظُ حَدِيثَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فِي الْأُمْرَاءِ ؟ فَقَالَ حُذَيْفَةُ : أَنَا أَحْفَظُ خُطْبَتَهُ، فَجَلَسَ أَبُو ثَعْلَبَةَ، فَقَالَ حُذَيْفَةُ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : تَكُونُ النُّبُوَّةُ فِيكُمْ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ تَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ خِلَافَةً عَلَى مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ، فَتَكُونُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ تَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ مُلْكًا عَاصًا، فَيَكُونُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ مُلْكًا جَبْرِيَّةً، فَتَكُونُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ تَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ خِلَافَةً عَلَى مِنْهَاجِ نُبُوَّةٍ ثُمَّ سَكَتَ. ۷۹۴

الخلاصة :

- (١) تشجيع الطلاب لإظهار مواهبهم سنة نبوية متبعة
- (٢) لا بد من مراعاة الفروق الفردية، وحرص كل طالب على ما يرغب به
- (٣) تخصيص بعض الطلاب بشيء من العلم دون غيرهم جائز ولا حرج فيه إذا كان هناك ثمة مصلحة راجحة لذلك.
- (٤) أبو هريرة رضي الله عنه كان أحرص الصحابة على طلب العلم، فنال الدرجة الأولى في الحفظ .
- (٥) كلما كان طالب العلم أحرص من غيره على طلبه كلما تيسرت له سبله، ونال السبق فيه .

[٢٩] نهي المتعلم عن أشياء تضره في المستقبل :

٧٩٤ - مسند أحمد (عالم الكتب) - (٦ / ٢٨٥) (١٨٤٠٦) ١٨٥٩٦ - صحيح

قد يطلب المتعلم أشياء من معلمه أو يرى معلمه فيه بعض الاهتمامات المعينة، فلا بد أن يوجهه التوجيه السليم من أجل مستقبله .

ومن هؤلاء الصحابي الجليل أبو ذر الغفاري رضي الله عنه ، فقد طلب مرة من النبي ﷺ أن يؤمره، فكان الجواب التالي :

عَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلَا تَسْتَعْمِلُنِي قَالَ فَضْرَبَ بِيَدِهِ عَلَيَّ مِنْكَبِي ثُمَّ قَالَ « يَا أَبَا ذَرٍّ إِنَّكَ ضَعِيفٌ وَإِنَّهَا أَمَانَةٌ وَإِنَّهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِزْبِي وَنَدَامَةٌ إِلَّا مَنْ أَخَذَهَا بِحَقِّهَا وَأَدَّى الَّذِي عَلَيْهِ فِيهَا »^{٧٩٥}.

قال النووي : " هَذَا الْحَدِيثُ أَصْلُ عَظِيمٍ فِي اجْتِنَابِ الْوَلَايَاتِ، لَأَنَّ سَيِّمًا لِمَنْ كَانَ فِيهِ ضَعْفٌ عَنِ الْقِيَامِ بِوِطَائِفِ تِلْكَ الْوَلَايَةِ، وَأَمَّا الْحِزْبِيُّ وَالنَّدَامَةُ فَهُوَ حَقٌّ مَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلًا لَهَا، أَوْ كَانَ أَهْلًا وَلَمْ يَعْدِلْ فِيهَا فَيُحْزِرِهِ اللَّهُ تَعَالَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَفْضَحُهُ، وَيَنْدِمَ عَلَى مَا فَرَطَ، وَأَمَّا مَنْ كَانَ أَهْلًا لِلْوَلَايَةِ، وَعَدَلَ فِيهَا، فَلَهُ فَضْلٌ عَظِيمٌ، تَطَاهَرَتْ بِهِ الْأَحَادِيثُ الصَّحِيحَةُ كَحَدِيثِ : " سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ " وَالْحَدِيثُ الْمَذْكُورُ هُنَا عَقِبَ هَذَا (أَنْ الْمُقْسَطِينَ عَلَى مَنَابِرٍ مِنْ نُورٍ) وَغَيْرِ ذَلِكَ، وَإِجْمَاعُ الْمُسْلِمِينَ مُنْعَدٌ عَلَيْهِ، وَمَعَ هَذَا فَلِكثْرَةِ الْخَطَرِ فِيهَا حَذَرُهُ ﷺ مِنْهَا، وَكَذَا حَذَرُ الْعُلَمَاءِ، وَامْتَنَعَ مِنْهَا خَلَائِقٌ مِنَ السَّلَفِ، وَصَبَرُوا عَلَى الَّذِي حِينَ امْتَنَعُوا .^{٧٩٦}

وكذلك فهاهنا ﷺ عن أن يتولى على مال يتيم ؛ لأنه كان يرى أن ما زاد عن حاجة المرء يجب أن ينفقه في سبيل الله، فعن أبي ذرٍّ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: " يَا أَبَا ذَرٍّ، إِنَّي أَرَاكَ ضَعِيفًا، وَإِنِّي أَحِبُّ لَكَ مَا أَحِبُّ لِنَفْسِي، لَا تَأْمُرَنَّ عَلَيَّ أَنْتَيْنِ، وَلَا تَوَلَّيَنَّ مَالَ يَتِيمٍ "^{٧٩٧}

قال ابن عثيمين : " وهذا القول إذا كان مصارحة أمام الإنسان فلا شك أنه ثقيل على النفس وأنه قد يؤثر فيك أن يقال لك إنك امرؤ ضعيف لكن الأمانة تقتضي هذا أن يصرح للإنسان بوصفه الذي هو عليه إن قويا فقوى وإن ضعيفا فضعيف هذا هو النصح

^{٧٩٥} - صحيح مسلم - المكثر - (٤٨٢٣)

^{٧٩٦} - شرح النووي على مسلم - (٦ / ٢٩٦)

^{٧٩٧} - صحيح مسلم - المكثر - (٤٨٢٤)

إنك امرؤ ضعيف ولا حرج على الإنسان إذا قال لشخص مثلا إن فيك كذا وكذا من باب النصيحة لا من باب السب والتعير فالنبي ﷺ قال: إنك امرؤ ضعيف الثانية: قال: وإني أحب لك ما أحبه لنفسي وهذا من حسن خلق النبي ﷺ لما كانت الجملة الأولى فيها شيء من الجرح قال وإني أحب لك ما أحب لنفسي يعني لم أقل لك ذلك إلا أني أحب لك ما أحب لنفسي الثالثة: فلا تأمرن على اثنين يعني لا تكن أميرا على اثنين وما زاد فهو من باب أولي والمعنى أن النبي ﷺ نهاه أن يكون أميرا لأنه ضعيف والإمارة تحتاج إلى إنسان قوي أمين قوي بحيث تكون له سلطة وكلمة حادة وإذا قال فعل لا يكون ضعيفا أمام الناس لأن الناس إذا استضعفوا الشخص لم يبق له حرمة عندهم وتجراً عليه لكع بن لكع وصار الإنسان ليس بشيء لكن إذا كان قويا حادا في ذات الله لا يتجاوز حدود الله عز وجل ولا يقصر عن السلطة التي جعلها الله له فهذا هو الأمير حقيقة الرابعة لا تولين مال يتيم واليتيم هو الذي مات أبوه قبل أن يبلغ فنهاه الرسول ﷺ أن يتولى على مال اليتيم لأن مال اليتيم يحتاج إلى عناية ويحتاج إلى رعاية إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما إنما يأكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا وأبو ذر ضعيف لا يستطيع أن يرعى هذا المال حق رعايته فلماذا قال ولا تولين مال يتيم يعني لا تكن وليا عليه دعه لغيرك ففي هذا دليل على أنه يشترط للإمارة أن يكون الإنسان قويا وأن يكون أمينا لأن الرسول ﷺ قال إنها أمانة فإذا كان قويا أمينا فهذه هي الصفات التي يستحق بها أن يكون أميرا فإن كان قويا غير أمين أو أمينا غير قوي أو ضعيفا غير أمين فهذه الأحوال الثلاثة لا ينبغي أن يكون صاحبها أميرا ولكن يجب أن نعلم أن الأشياء تنقيد بقدر الحاجة فإذا لم نجد إلا أميرا ضعيفا أو أميرا غير أمين وكان لا يوجد في الساحة أحد تنطبق عليه الأوصاف كاملة فإنه يولى الأمثل فالأمثل ولا تترك الأمور بلا إمارة لأن الناس محتاجون إلى أمير ومحتاجون إلى قاض، ومحتاجون إلى من يتولى أمورهم، فإن أمكن وجود من تتم فيه الشروط فهذا هو الواجب، وإن لم يوجد فإنه يولى الأمثل فالأمثل، لقول الله تعالى: ﴿ فاتقوا الله ما استطعتم ﴾^{٧٩٨}

^{٧٩٨} - شرح رياض الصالحين لابن عثيمين - (٣ / ٣٠٠)

وكذلك أمره إذا بلغ البناء جبل سلع أن يخرج من المدينة، فعن عبد الله بن الصامت، قال :
 قالت أم ذر : والله ما سير عثمان أبا ذر، ولكن رسول الله ﷺ، قال : إذا بلغ البنيان
 سلعا فإخرج منها، قال أبو ذر : فلما بلغ البنيان سلعا وجاوز خراج أبو ذر إلى
 الشام، وذكر باقي الحديث بطوله^{٧٩٩}

وعن ابن سيرين، أن رسول الله ﷺ قال لأبي ذر : " إذا رأيت البناء قد بلغ سلعا فإخرج
 من المدينة، ووجه بيده نحو الشام، ولا أرى أمراءك يدعوك ورأيك " . قال : قلت : يا
 رسول الله، أفلا أضع سيفي على عاتقي، وأضرب به من حال بيني وبين أمرك، قال : "
 لا، ولكن إن أمر عليك عبد حبشي مجذع فاسمع له وأطع "، قال : " فلما بلغ البناء سلعا
 خرج حتى أتى الشام فكتب معاوية إلى عثمان يشكوه، يذكر أنه يفسد عليه الناس، فكتب
 إليه عثمان أن أقدم، فقدم المدينة على عثمان، فقال له عثمان : يا أبا ذر، أقم تعدو عليك
 اللقاح وتروح، قال أبو ذر : لا حاجة لي فيها، هي لكم، ثم استأذنه إلى الربذة، فأذن
 له، فقدم الربذة وعليها عبد حبشي أمير، فحضرت الصلاة، فقال لأبي ذر : تقدم، فقال :
 لا، إني أمرت إن أمر علي عبد حبشي مجذع أن أسمع له وأطع، فتقدم الحبشي^{٨٠٠}

وعن محمد بن سيرين أن رسول الله ﷺ قال لأبي ذر : " إذا بلغ النبا سلعا فإخرج منها
 " ، ونحا بيده نحو الشام " ولا أرى أمراءك يدعونك "، قال : يا رسول الله أفلا أقاتل من
 يحول بيني وبين أمرك؟، قال : " لا "، قال : فما تأمرني؟، قال : " اسمع وأطع ولو لعبد
 حبشي "، قال : فلما كان ذلك خرج إلى الشام ، فكتب معاوية إلى عثمان : إن أبا ذر
 قد أفسد الناس بالشام، فبعث إليه عثمان، فقدم عليه، ثم بعثوا أهله من بعده ، فوجدوا عنده
 كيسا أو شيئا ، فظنوا أنها دراهم ، فقالوا : ما شاء الله فإذا هي فلوس ، فلما قدم المدينة
 ، قال له عثمان : كن عندي تعدو عليك وتروح اللقاح، قال : لا حاجة لي في دنياكم، ثم
 قال : ائذن لي حتى أخرج إلى الربذة، فأذن له ، فخرج إلى الربذة وقد أقيمت الصلاة ،

^{٧٩٩} - المستدرک للحاکم (٥٤٦٨) صحیح

^{٨٠٠} - السنّة لأبي بكر بن الخلال (٥٠) صحیح لغيره

وَعَلَيْهَا عَبْدُ عُثْمَانَ حَبَشِيٌّ ، فَتَأَخَّرَ ، فَقَالَ أَبُو ذَرٍّ : تَقَدَّمَ فَصَلَّ فَقَدْ أَمَرْتُ أَنْ أَسْمَعَ وَأُطِيعَ
وَلَوْ لِعَبْدِ حَبَشِيٍّ فَأَنْتَ عَبْدُ حَبَشِيٍّ ۗ ۸٠١

وكذلك وصية النبي ﷺ لعثمان رضي الله عنه بعدم خلع نفسه من الخلافة، فعن عائشة
رضي الله عنها ؛ قالت : رأيتُ النبي ﷺ مُخْتَلِيًا بِعُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَهُوَ يَقُولُ لَهُ : «
إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ مُقَمِّصُكَ قَمِيصًا أَوْ مُسْرِبِلُكَ سِرْبَالًا، فَإِنْ أَرَادَكَ الْمُنَافِقُونَ عَلَى خَلْعِهِ ؛ فَلَا
تَخْلَعُهُ، وَلَا كَرَامَةً ۗ ۸٠٢

وعن عائشة، قالت : أُرْسِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ ، فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ
، فَلَمَّا رَأَيْنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، أَقْبَلْتُ إِحْدَانَا عَلَى الْأُخْرَى ، فَكَانَ مِنْ آخِرِ كَلَامٍ كَلَّمَهُ ، أَنْ
ضَرَبَ مَنْكِبَهُ ، وَقَالَ : يَا عُثْمَانُ ، إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ عَسَى أَنْ يُلْبِسَكَ قَمِيصًا ، فَإِنْ أَرَادَكَ
الْمُنَافِقُونَ عَلَى خَلْعِهِ ، فَلَا تَخْلَعُهُ حَتَّى تَلْقَانِي ، يَا عُثْمَانُ ، إِنَّ اللَّهَ عَسَى أَنْ يُلْبِسَكَ قَمِيصًا ، فَإِنْ
أَرَادَكَ الْمُنَافِقُونَ عَلَى خَلْعِهِ ، فَلَا تَخْلَعُهُ حَتَّى تَلْقَانِي ثَلَاثًا ، فَقُلْتُ لَهَا : يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ ، فَأَيْنَ
كَانَ هَذَا عَنْكَ ؟ قالت : نَسِيْتُهُ ، وَاللَّهِ فَمَا ذَكَرْتُهُ . قال : فَأَخْبَرْتُهُ مُعَاوِيَةَ بْنَ أَبِي
سُفْيَانَ ، فَلَمْ يَرْضَ بِالَّذِي أَخْبَرْتُهُ حَتَّى كَتَبَ إِلَيَّ أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ أَكْتُبِيَ إِلَيْهَا بِهِ ، فَكَتَبْتُ إِلَيْهِ
بِهِ كِتَابًا . ۗ ۸٠٣

وعن ربيعة بن سيف ، أنه جلس مع شفي الأصبحي ، فقال : سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ
عَمْرٍو ، يَقُولُ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : يَكُونُ بَعْدِي اثْنَا عَشَرَ خَلِيفَةً : أَبُو بَكْرٍ
الصِّدِّيقُ لَا يَلْبَثُ بَعْدِي إِلَّا قَلِيلًا ، وَصَاحِبُ رَحَى دَارَةَ يَعِيشُ حَمِيدًا ، وَيَمُوتُ شَهِيدًا ، قِيلَ :
مَنْ هُوَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قال : عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، ثُمَّ التَّفَّتْ إِلَى عُثْمَانَ ، فَقَالَ
: وَأَنْتَ سَيَسْأَلُكَ النَّاسُ أَنْ تَخْلَعَ قَمِيصًا كَسَاكَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ، لَئِنْ
خَلَعْتَهُ ، لَا تَدْخُلُ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ . ۗ ۸٠٤

٨٠١ - الطَّبَقَاتُ الْكُبْرَى لِابْنِ سَعْدٍ (٥٠٦٢) صحيح لغيره

٨٠٢ - المجالسة وجواهر العلم - (٢ / ١٥٥) (٢٨٢) صحيح لغيره

٨٠٣ - مسند أحمد (عالم الكتب) - (٨ / ١٣٥) (٢٤٥٦٦) ٢٥٠٧٣ - صحيح

٨٠٤ - المعجم الكبير للطبراني - (١ / ٦) (١٢) صحيح

حِزَامٍ، إِنَّ هَذَا الْمَالَ حُلُوهَ حَضِرَةٍ فَمَنْ أَخَذَهُ بِسَخَاوَةِ نَفْسٍ بُورِكَ لَهُ فِيهِ، وَمَنْ أَخَذَهُ بِإِشْرَافِ نَفْسٍ لَمْ يُبَارَكْ لَهُ فِيهِ، وَكَانَ كَالَّذِي يَأْكُلُ وَلَا يَشْبَعُ، وَالْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى، قَالَ حَكِيمٌ : فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَا أَرَزُّ أَحَدًا بَعْدَكَ شَيْئًا حَتَّى أَفَارِقَ الدُّنْيَا.

قَالَ عُرْوَةُ، وَسَعِيدٌ : فَكَانَ أَبُو بَكْرٍ يَدْعُو حَكِيمًا فَيُعْطِيهِ الْعَطَاءَ فَيَأْتِي، ثُمَّ كَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ يُعْطِيهِ فَيَأْتِي، فَيَقُولُ عُمَرُ : إِنِّي أَشْهَدُكُمْ يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ عَلَى حَكِيمِ بْنِ حِزَامٍ أَنِّي أَعْرَضُ عَلَيْهِ حَقُّهُ الَّذِي قَسَمَ لَهُ مِنْ هَذَا الْفِيءِ فَيَأْتِي بِأَخْذِهِ، قَالَ : فَلَمْ يَرَزْ أَحَدًا حَكِيمٌ أَحَدًا مِنَ النَّاسِ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَتَّى تُؤْفَى. ٨٠٦

الخلاصة :

- (١) يجوز للعالم أن يوجه طلابه نحو الأكمل والأحسن
- (٢) إذا رأى العالم في بعض طلابه ميولا نحو شيء معين، فإن كان غير مناسب له وجهه التوجيه الأمثل .
- (٣) على المعلم أن يوصي طلابه بما يعود عليهم بالنفع في الدارين، وحسب قدراتهم وإمكاناتهم
- (٤) على طالب العلم التمسك بوصية معلمه إذا لم يكن فيها إثم أو قطيعة رحم، لأنه أعلم وأدرى بالحياة منه .

[٢٠] الإيجاز في الموعظة :

٨٠٦ - صحيح ابن حبان - (٨ / ١٤) (٣٢٢٠) وصحيح البخارى - المكثر - (١٤٧٢)
أرزأ : أنقص مال أحد - يرزأ : يأخذ منه وينقصه - الإشراف : التطلع للشئ وحديث النفس وتوقعه

ومن أهم وأبرز أساليبه ﷺ في التعليم، الوعظ والتذكير، اقتداءً بالقرآن الكريم، في قوله : {وَذَكَرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ} (٥٥) سورة الذاريات، وقوله : {فَذَكَرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكَّرٌ} (٢١) سورة الغاشية، وكثير من تعليماته ﷺ إنما أُخِذَتْ منه في مَوَاعِظِهِ وَخُطْبِهِ العامة

الشيخ محمد أنور الكشميري ، في إيضاح جانب (التذكير) في تعليم النبي ﷺ ، وبيان الفرق بين وظيفة الواعظِ المذكِّرِ ووظيفة المَعْلَمِ الفقيه ، وقد أردتُ ذكر تلك الكلمة هنا بطولها لما فيها من الفوائد ، قال رحمه الله تعالى في ((فيض الباري شرح صحيح البخاري)) : " ((اعلم أن هناك وظيفتين :

الأولى : وظيفة الواعظِ والمذكِّر ، فإنه يُحَرِّضُ على العمل ويُرَغِّبُ إليه فيختارُ من التعبيرات ما يكون أَدْعَى لها ، ولا يَلْتَفِتُ إلى تحقيق المسألة واستيفاء شرائطها وموانعها ، بل يُرْسِلُ الكلامَ فيَعِدُّ ويوعِدُ ، ويُرَغِّبُ ويُرَهِّبُ مطلقاً ، ويأمرُ وينهى ولا يَلْتَفِتُ إلى مزيد التفاصيل .

والثانية : وظيفة المَعْلَمِ والفقيه وهو يُرِيدُ تلقينَ العلم وبيانَ المسألة ، أما العملُ بها فبمَعزَلٍ عن نظره ، فيُحَقِّقُ البيانَ ، ويُدَقِّقُ الكلامَ ، ويستوفي الشروطَ ويختارُ من التعبيرات ما لا يكون مُوهِمًا بخلاف المقصود ، بل يكون أدلَّ عليه وأقربَ إليه ، فلا يُرْسِلُ الكلامَ بل يذكرُه بشرائطه ، وَيَعِدُّ ويوعِدُ ويُرَغِّبُ ويُرَهِّبُ بشرائطه .

فهاتان وظيفتان ، وَمَنْصِبُ الشارِعِ مَنْصِبُ المذكِّر ، قال الله تعالى : (إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكَّرٌ لستَ عليهم بمسيطر) ، وليس له مَنْصِبُ المَعْلَمِ فقط فهو مُذَكَّرٌ ومَعْلَمٌ معاً ، فوجِبَ أن يُعبَّرَ بما هو أَدْعَى للعمل وأبعَدُ عمَّا يوجب الكَسَلَ .

وهذا هو التعليم الفطري ، فإن أكثرَ تعليماته ﷺ مستفادٌ من عمله ، فما أمرَ به الناسَ عَمِلَ به أولاً ثم تَعَلَّم منه الناسُ ، ولذا لم يَحْتَاجوا إلى التعليم والتعلُّم ، ولو كان طريقه كما في زماننا لما شاع الدينُ إلى الأبد ، ولكنَّه علَّم الناسَ بعمله .

ثم إذا قال لهم أمراً اختار فيه الطريق الفطري أيضاً ، وهو الأمرُ المطلوب والنهيُّ عن المكروه ، ولم يبحث عن مراتبه ، قال الله تعالى : (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) ، فهذا هو السبيلُ الأقوم .

أما البحثُ عن المراتب فهو طريقٌ مُستحدث سلكه العلماءُ لفساد الزمان ، وأما الصحابةُ رضي الله عنهم فإنهم إذا أمرُوا بشيءٍ أخذوه بجميع مراتبه ، وإذا عنه تركوه بالكلية ، فلم تكن لهم حاجةٌ إلى البحث .

ولو كان الشارعُ تعرّض إلى المراتب لقاته منصبُ المُذكّر ولانعدام العمل ، فإنه إذا جاء البحثُ والجدال لبطل العمل ، مثلاً لو قال تعالى : ((فاعتزلوا النساءَ عن مَوضعِ الطَّمث ، ولا تقربوه فقط ، واستمتعوا بسائرِ الأعضاء)) ، لربما وقعَ الناسُ في الحرام ، لان من يرتع حول الحمى يوشكُ أن يقع فيه ، وإنما أخذ الاعتزال في التعبير ليكون أسهلَ لهم في العمل ، ولا يقعوا في المعصية .

وكذلك إذا أحب أمراً أمرَ به مطلقاً ، ليأتمر به الناسُ بجميع مراتبه ، ويقع في حيز مرضاة الله تعالى ، مثلاً قال : ((من ترك الصلاة فقد كفر)) ، ولم يقل : فَعَلِ الكفر ، أو مُستحلاً ، أو قاربَ الكفر ، مع أنه كان أسهلَ في بادئ النظر ، لأنه لو قال كذلك لقات غرضه من التشديد ولانعدام العمل ، ولذا كان السلفُ يكرهون تأويله .

فالحاصلُ أنه إذا أمرنا بشيءٍ فكأنه يُريدُ العملَ به بأقصى ما يمكن ، بحيث لا تبقى مرتبةٌ من مراتبه متروكةً ، وكذلك في جانب النهي ، ولذا كان يقولُ عند البيعة : ((فيما استطعتم)) فبذلُ الجهد والاستطاعة لا يكون إلا إذا أُجملَ الكلامُ ، وإذا فُصل يحدث التهاؤُن ، كما هو مشاهد في عمل العوام وعامة العلماء الذين ما لهم وجهة عند الله وقبولٌ في جنبه ، فهم ليسوا من الذين لا تُلهيهم تجارةٌ ولا بيعٌ عن ذكر الله))^{٨٠٧} .

وإذا أراد المعلم أن يعطه تلميذه فليوجز، ولا يكثر عليه إلا إذا طلب التلميذ ذلك، حتى يستطيع حفظها وتطبيقها .

^{٨٠٧} - (فيض الباري شرح صحيح البخاري) ١ : ٢٨٠ .

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: أُهْدِيَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ بَعْلَةٌ أَهْدَاهَا لَهُ كَسْرَى، فَرَكِبَهَا بِحَبَلٍ مِنْ شَعْرٍ، ثُمَّ أَرْدَفَنِي خَلْفَهُ، ثُمَّ سَارَ بِي مَلِيًّا، ثُمَّ التَّفَّتْ، فَقَالَ: يَا غُلَامُ، قُلْتُ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: أَحْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، أَحْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ أَمَامَكَ، تَعْرِفْ إِلَى اللَّهِ فِي الرَّخَاءِ يَعْرِفَكَ فِي الشَّدَّةِ، وَإِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، قَدْ مَضَى الْقَلَمُ بِمَا هُوَ كَاتِبٌ، فَلَوْ جَهَدَ النَّاسُ أَنْ يَنْفَعُوكَ بِمَا لَمْ يَنْفَعِ اللَّهَ لَكَ لَمْ يَقْدِرُوا عَلَيْهِ، وَلَوْ جَهَدَ النَّاسُ أَنْ يَضُرُّوكَ بِمَا لَمْ يَكْتُبْهُ اللَّهُ عَلَيْكَ لَمْ يَقْدِرُوا عَلَيْهِ، فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَعْمَلَ بِالصَّبْرِ مَعَ الْيَقِينِ فَافْعَلْ، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَاصْبِرْ، فَإِنْ فِي الصَّبْرِ عَلَى مَا تَكْرَهُهُ خَيْرًا كَثِيرًا، وَاعْلَمْ أَنَّ مَعَ الصَّبْرِ النَّصْرَ، وَاعْلَمْ أَنَّ مَعَ الْكَرْبِ الْفَرَجَ، وَاعْلَمْ أَنَّ مَعَ الْعُسْرِ الْيُسْرَ ^{٨٠٨}

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ كُنْتُ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - يَوْمًا فَقَالَ « يَا غُلَامُ إِنِّي أَعْلَمُكَ كَلِمَاتٍ أَحْفَظَ اللَّهُ يَحْفَظْكَ أَحْفَظَ اللَّهُ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ » ^{٨٠٩}.

وَعَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - « اتَّقِ اللَّهَ حَيْثُمَا كُنْتَ وَأَتَّبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمَحُّهَا وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ » ^{٨١٠}.

وَعَنْ مَيْمُونِ بْنِ أَبِي شَيْبٍ، قَالَ: لَمَّا بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُعَاذًا إِلَى الْيَمَنِ، قَالَ مُعَاذٌ: فَإِذَا رَكِبُ ابْنِ صَفْوَانَ نَحْوَ النَّبِيِّ ﷺ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا أَرَى هَوْلًا إِلَّا سَأَلْتُكَ عَنِّي، فَأَوْصِنِي وَاجْمَعْ، فَقَالَ: " اتَّقِ اللَّهَ حَيْثُمَا كُنْتَ، وَأَتَّبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمَحُّهَا، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ " ^{٨١١}

^{٨٠٨} - المستدرک للحاکم (٦٣٠٣) صحیح

^{٨٠٩} - سنن الترمذی - المکتب - (٢٧٠٦) صحیح

^{٨١٠} - سنن الترمذی - المکتب - (٢١١٥) قَالَ أَبُو عِيسَى هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

^{٨١١} - شعب الإيمان - (١٠ / ٣٨١) (٧٦٦٢) صحیح لغيره

وَعَنْ أَبِي ذَرٍّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " أَتَى اللَّهَ حَيْثَمَا كُنْتُ، وَخَالِقِ النَّاسِ بِخُلُقِ حَسَنٍ، وَإِذَا عَمِلْتَ سَيِّئَةً، فَأَضِفْ إِلَيْهَا حَسَنَةً تَمْحُهَا " ٨١٢

وَعَنْ سُفْيَانَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الثَّقَفِيِّ قَالَ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ قُلْ لِي فِي الْإِسْلَامِ قَوْلًا لَا أَسْأَلُ عَنْهُ أَحَدًا بَعْدَكَ - وَفِي رِوَايَةِ غَيْرِكَ - قَالَ « قُلْ آمَنْتُ بِاللَّهِ فَاسْتَقِم » ٨١٣ .

وَعَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مَاعِزٍ، أَنَّ سُفْيَانَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ، حَدِّثْنِي بِشَيْءٍ أَعْتَصِمُ بِهِ قَالَ : قُلْ : رَبِّيَ اللَّهُ، ثُمَّ اسْتَقِمْ قَالَ : قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا أَكْثَرَ مَا تَخَافُ عَلَيَّ ؟ قَالَ : وَأَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِلِسَانِ نَفْسِهِ قَالَ : هَذَا ٨١٤

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سُفْيَانَ، عَنْ أَبِيهِ : أَنَّهُ أَتَى النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! مُرِّ لِي فِي الْإِسْلَامِ بِأَمْرٍ لَا أَسْأَلُ عَنْهُ أَحَدًا بَعْدَكَ . قَالَ : « قُلْ : آمَنْتُ بِاللَّهِ، ثُمَّ اسْتَقِمْ » . قُلْتُ : فَمَاذَا أَتَّقِي ؟ قَالَ : « هَذَا » وَأَشَارَ إِلَى لِسَانِهِ ٨١٥

قلت : فهذه المواعظ كلها قصار ويستطيع طالب العلم حفظها وتطبيقها، وهذا هو الذي ينبغي أن يفعله العالم مع طلابه .

ولكن كما قلت سابقا إن طلب الطالب زيادة فلا بأس بذلك، فعن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ، أَنَّ مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ، أَرَادَ سَفْرًا، فَقَالَ : يَا نَبِيَّ اللَّهِ أَوْصِنِي، قَالَ : اعْبُدِ اللَّهَ لَا تُشْرِكْ بِهِ شَيْئًا، قَالَ : يَا نَبِيَّ اللَّهِ زِدْنِي، قَالَ : إِذَا أَسَأْتَ، فَأَحْسِنِ، قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ زِدْنِي، قَالَ : اسْتَقِمْ وَلِيَحْسُنْ خُلُقُكَ. ٨١٦

٨١٢ - شعب الإيمان - (١٠ / ٣٨٢) (٧٦٦٣) صحيح لغيره

٨١٣ - صحيح مسلم - المكثر - (١٦٨)

٨١٤ - الآحاد والمثاني - (٣ / ٩١) (١٥٨٥) حسن

٨١٥ - المجالسة وجواهر العلم - (٤ / ٤٩١) (١٧٢١) صحيح

٨١٦ - صحيح ابن حبان - (٢ / ٢٨٣) (٥٢٤) صحيح

وَعَنْ أَبِي نُوفَلٍ بْنِ أَبِي عَقْرَبٍ عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: سَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ، عَنِ الصَّوْمِ؟ فَقَالَ: صُمْ مِنْ الشَّهْرِ يَوْمًا، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي أَقْوَى، قَالَ: صُمْ يَوْمَيْنِ مِنَ الشَّهْرِ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ زِدْنِي، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: زِدْنِي زِدْنِي صُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ.^{٨١٧}

وَعَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: بَيْنَا أَنَا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ - وَأَتَاهُ رَجُلٌ فَشَكَا إِلَيْهِ الْفَاقَةَ وَأَتَاهُ آخَرُ فَشَكَا قَطْعَ السَّبِيلِ قَالَ: «يَا عَدِيُّ بْنُ حَاتِمٍ هَلْ رَأَيْتَ الْحَيْرَةَ». قُلْتُ: لَمْ أَرَهَا وَقَدْ أُبْتُتُ عَنْهَا قَالَ: «فَإِنْ طَالَتْ بِكَ حَيَاةٌ لَتَرَيْنَ الطَّعِينَةَ تَرْتَحِلُ مِنَ الْحَيْرَةِ حَتَّى تَطُوفَ بِالْكَعْبَةِ لَا تَخَافُ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ». قُلْتُ فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَ نَفْسِي: فَأَيْنَ دُعَارُ طَيِّبِ الَّذِينَ قَدْ سَعَرُوا الْبِلَادَ: «وَلَكِنَّ طَالَتْ بِكَ حَيَاةٌ لَتُفْتَحَنَّ كُنُوزَ كِسْرَى». قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ كِسْرَى بِنُ هُرْمُزٍ قَالَ: «كِسْرَى بِنُ هُرْمُزٍ وَلَكِنَّ طَالَتْ بِكَ حَيَاةٌ لَتَرَيْنَ الرَّجُلَ يُخْرِجُ مِلَّةً كَفَّيْهِ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ فِضَّةٍ يَطْلُبُ مَنْ يَقْبَلُهُ مِنْهُ فَلَا يَجِدُ أَحَدًا يَقْبَلُهُ مِنْهُ وَلَيَلْقَيْنَنَّ اللَّهَ أَحَدَكُمْ يَوْمَ يَلْقَاهُ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تُرْجَمَانٌ يُتْرَجَمُ لَهُ فَيَقُولُ: أَلَمْ أُبْعَثْ إِلَيْكَ رَسُولًا يُبَلِّغُكَ فَيَقُولُ بَلَى فَيَنْظُرُ عَنْ يَمِينِهِ فَلَا يَرَى إِلَّا جَهَنَّمَ وَيَنْظُرُ عَنْ شِمَالِهِ فَلَا يَرَى إِلَّا جَهَنَّمَ». قَالَ عَدِيُّ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ - يَقُولُ: «اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ فَإِنْ لَمْ يَجِدْ شِقِّ تَمْرَةٍ فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ». قَالَ عَدِيُّ: قَدْ رَأَيْتُ الطَّعِينَةَ تَرْتَحِلُ مِنَ الْكُوفَةِ حَتَّى تَطُوفَ بِالْبَيْتِ لَا تَخَافُ إِلَّا اللَّهَ وَكُنْتُ فِيمَنْ افْتَتَحَ كُنُوزَ كِسْرَى بِنُ هُرْمُزٍ وَلَكِنَّ طَالَتْ بِكُمْ حَيَاةٌ سَتَرُونَ مَا قَالَ أَبُو الْقَاسِمِ ﷺ - «يُخْرِجُ الرَّجُلُ مِلَّةً كَفَّيْهِ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ فِضَّةٍ فَلَا يَجِدُ مَنْ يَقْبَلُهُ مِنْهُ»^{٨١٨}.

وَعَنْ أَبِي مُوسَى قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - «عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ صَدَقَةٌ». قَالُوا: فَإِنْ لَمْ يَجِدْ؟ قَالَ: «فَيَعْمَلُ بِيَدِهِ فَيَنْفَعُ نَفْسَهُ وَيَتَصَدَّقُ». قَالُوا: فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ أَوْ لَمْ يَفْعَلْ قَالَ: «فَيُعِينُ ذَا الْحَاجَةِ الْمَلْهُوفَ». قَالُوا: فَإِنْ لَمْ يَفْعَلْ قَالَ: «فَيَأْمُرُ بِالْخَيْرِ أَوْ قَالَ بِالْمَعْرُوفِ». قَالُوا: فَإِنْ لَمْ يَفْعَلْ قَالَ: «فَلْيُمْسِكْ عَنِ الشَّرِّ فَإِنَّهُ لَهُ صَدَقَةٌ»^{٨١٩}.

^{٨١٧} - المعجم الكبير للطبراني - (١٦ / ١٧٨) (١٨٢٤٦) صحيح

^{٨١٨} - السنن الكبرى للبيهقي - حيدر آباد - (٥ / ٢٢٥) (١٠٤٢٥) وصحيح البخارى - المكثر - (١٤١٣)

^{٨١٩} - السنن الكبرى للبيهقي - حيدر آباد - (٤ / ١٨٨) (٨٠٧٣) وصحيح البخارى - المكثر - (٦٠٢٢)

وَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ : قَالَ أَبُو ذَرٍّ : يَا رَسُولَ اللَّهِ، ذَهَبَ أَصْحَابُ الدُّثُورِ بِالْأَجُورِ يُصَلُّونَ كَمَا نُصَلِّي، وَيَصُومُونَ كَمَا نَصُومُ، وَلَهُمْ فَضُولُ أَمْوَالٍ يَتَصَدَّقُونَ بِهَا، وَلَا نَجِدُ مَا نُصَدِّقُ بِهِ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : يَا أَبَا ذَرٍّ أَلَا أَعْلَمُكَ كَلِمَاتٍ إِذَا قُلْتَهُنَّ أَدْرَكَتَ مَنْ سَبَقَكَ، وَلَا يَلْحَقُ بِكَ أَحَدٌ بَعْدَكَ ؟ قَالَ: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: " تُكَبِّرُ فِي ذُبْرِ كُلِّ صَلَاةٍ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ تَكْبِيرَةً، وَتَحْمَدُ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ تَحْمِيدَةً، وَتُسَبِّحُ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ تَسْبِيحَةً، وَتَخْتُمُهَا بِلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ، وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ " ٨٢٠

وَقَالَ أَبُو كَثِيرٍ، عَنْ أَبِيهِ - وَكَانَ يُجَالِسُ أَبَا ذَرٍّ - قَالَ: فَجَمَعَ حَدِيثًا فَلَقِيَ أَبَا ذَرٍّ وَهُوَ عِنْدَ الْحِمْرَةِ الْوُسْطَى وَحَوْلَهُ النَّاسُ، قَالَ: فَجَلَسْتُ إِلَيْهِ حَتَّى مَسَّتْ رُكْبَتِي رُكْبَتَهُ فَتَسَبَّحْتُ ذَلِكَ الْحَدِيثَ، فَرَفَعْتُ رَأْسِي إِلَى السَّمَاءِ، أَتَذَكَّرُ فَقُلْتُ: يَا أَبَا ذَرٍّ، ذُلْنِي عَلَى عَمَلٍ إِذَا عَمِلَهُ الْعَبْدُ دَخَلَ الْجَنَّةَ، قَالَ أَبُو ذَرٍّ: سَأَلْتُ عَنْ ذَلِكَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، ذُلْنِي عَلَى عَمَلٍ إِذَا عَمِلَ بِهِ الْعَبْدُ دَخَلَ الْجَنَّةَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " يُؤْمِنُ بِاللَّهِ "، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ مَعَ الْإِيمَانِ عَمَلًا، قَالَ: " يُرْضَخُ مِمَّا رَزَقَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ " قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَإِنْ كَانَ مُعْدَمًا لَا شَيْءَ لَهُ، قَالَ: " يَقُولُ مَعْرُوفًا بِلِسَانِهِ "، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَإِنْ كَانَ عَمِيًّا لَا يَبْلُغُ عَنْهُ لِسَانُهُ، قَالَ: " فَلْيَعْنِ مَعْلُوبًا "، قُلْتُ: فَإِنْ كَانَ ضَعِيفًا لَا قُوَّةَ لَهُ، قَالَ: " فَلْيَصْنَعْ لِأَخْرَقٍ " قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَإِنْ كَانَ أَخْرَقًا، قَالَ: فَالْتَفَتَ إِلَيَّ فَقَالَ: " أَمَا تُرِيدُ أَنْ تَدَعَ لِصَاحِبِكَ خَيْرًا فَلْيَدْعِ النَّاسَ مِنْ أَدَاهُ " قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ هَذَا كُلَّهُ يَسِيرٌ، قَالَ: " فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، مَا مِنْهَا مِنْ حَصَلَةٍ يَعْمَلُ بِهَا الْعَبْدُ يُرِيدُ بِهَا وَجْهَ اللَّهِ إِلَّا أَخَذَتْ بِيَدِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَلَمْ تُفَارِقْهُ حَتَّى تُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ " ٨٢١

الخلاصة :

(١) الأصل بالموعظة أن تكون موجزة ليفهمها طالب العلم ويحفظها، ويعمل بها

(٢) يجوز إطالة الموعظة إذا كان المتعلم راغباً بذلك وأهلها لها.

٨٢٠ - شعب الإيمان - (٢ / ١٣١) (٦٠٧) صحيح - الدثور : جمع دثر وهو المال العظيم

٨٢١ - شعب الإيمان - (٥ / ٣٣) (٣٠٥٥) صحيح

(٣) ينبغي أن تكون الموعدة واضحة ومفهومة .

(٤) طول الموعدة وقصرها حسب مقتضى الحال.

[٢١] انتهازه ﷺ المناسبات العارضة في التعليم:

المعلم الناجح هو الذي ينتهز الفرص لكي يعلم طلابه، سواء أكانت في السفر أو الحضر، في الأفراح أو الأتراح، وكلما كانت مناسبة للظروف المحيطة بها كلما كان وقعها أكبر، وتأثيرها أقوى .

فقد كان ﷺ كثيراً ما ينتهز المناسبة المشاكلة لما يريد تعليمه، فيربط بين المناسبة القائمة، والعلم الذي يريد بثه وإذاعته، فيكون من ذلك للمخاطبين أبين لوضوح، وأفضل للفهم، وأقوى المعرفة بما يسمعون ويُلقي إليهم .

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - مَرَّ بِالسُّوقِ دَاخِلًا مِنْ بَعْضِ الْعَالِيَةِ^{٨٢٢} وَالنَّاسُ كَنَفْتُهُ^{٨٢٣} فَمَرَّ بِجَدِي أَسَكَّ^{٨٢٤} مَيِّتٍ فَتَنَاوَلَهُ فَأَخَذَ بِأُذُنِهِ ثُمَّ قَالَ « أَيُّكُمْ يُحِبُّ أَنْ هَذَا لَهُ بِدَرَاهِمٍ ». فَقَالُوا مَا نُحِبُّ أَنَّهُ لَنَا بِشَيْءٍ وَمَا نَصْنَعُ بِهِ قَالَ « أَتُحِبُّونَ أَنَّهُ لَكُمْ^{٨٢٥} ». قَالُوا وَاللَّهِ لَوْ كَانَ حَيًّا كَانَ عَيْنًا فِيهِ لِأَنَّهُ أَسَكُّ فَكَيْفَ وَهُوَ مَيِّتٌ فَقَالَ « فَوَاللَّهِ لَلدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَى اللَّهِ مِنْ هَذَا عَلَيْكُمْ^{٨٢٦} ».

وَعَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَدِمَ عَلَى النَّبِيِّ - ﷺ - سَبِيًّا^{٨٢٧}، فَإِذَا امْرَأَةٌ مِنَ السَّبِيِّ قَدْ تَحَلَّبُ^{٨٢٨} تَدْيِهَا تَسْقِي^{٨٢٩}، إِذَا وَجَدَتْ صَبِيًّا فِي السَّبِيِّ أَخَذَتْهُ فَأَلْصَقَتْهُ

^{٨٢٢} - العالوية : قرى بظاهر المدينة .

^{٨٢٣} - جانبه أى أحاط به الناس من جانبه.

^{٨٢٤} - الأسك : ذاهب الأذن سواء من أصل الحلقة أو مقطوعها

^{٨٢٥} أى بلا شيء ما .

^{٨٢٦} - صحيح مسلم - المكثر - (٧٦٠٧)

^{٨٢٧} - السبي : الأسرى ، وكان هذا السبي سبي هوازن .

بِطْنِهَا وَأَرْضَعَتْهُ^{٨٣٠}، فَقَالَ لَنَا النَّبِيُّ ﷺ - « أَتَرُونَ^{٨٣١} هَذِهِ طَارِحَةً وَلَدَهَا فِي النَّارِ ». قُلْنَا لَا وَهِيَ تَقْدِرُ عَلَيَّ أَنْ لَا تَطْرَحَهُ^{٨٣٢}. فَقَالَ « اللَّهُ أَرْحَمُ بِعِبَادِهِ مِنْ هَذِهِ بَوْلِدِهَا »^{٨٣٣}.

قال الحافظ ابن حجر^{٨٣٤}: وهو يشرح فوائد هذا الحديث وما يستخرج منه من أحكام: ((فيه ضَرْبُ المَثَلِ بما يُدْرِك بالحواسِّ لما لا يُدْرِكُ بها، لتحصيل معرفة الشيء على وجهه، وإن كان الذي ضُرِبَ به المَثَلُ لا يُحاطُ بحقيقته، لأن رحمة الله لا تُدْرِك بالعقل، ومع ذلك فقد قرَّرها النبي ﷺ للسامعين بحال المرأة المذكورة.

وفي الحديث أيضاً: جواز نظر النساءِ المسبياتِ، لأنه ﷺ لم يَنْهَ عن النظرِ إلى المرأةِ المذكورة، بل في سياق الحديث ما يقتضي إذنه في النظر إليها)).

فانتَهَزَ ﷺ المناسبةَ القائمةَ بين يديه مع أصحابه، المشهودَ فيها حنانُ الأمِّ الفاقدة، على رضيعها إذ وجدته، وضربَ بها المشاكلةَ والمشاهدةَ برحمة الله تعالى، ليعرّفَ الناسَ رحمةَ رَبِّ الناسِ بعبادته، ولم يبتدئهم أو يقتلهم بهذا المعنى اقتبالاً وابتداءً دون مناسبة، بل أورد لهم في هذه المناسبة، فكان ذلك درساً وشرحاً لسعة رحمة الله تعالى ورأفته بمخلوقاته سبحانه { وَاللَّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ } (٢٠٧) سورة البقرة.

وعن بيان بن بشر، قال: حَدَّثَنَا قَيْسٌ، قَالَ: حَدَّثَنَا حَرِيرٌ، قَالَ: خَرَجَ إِلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، فَقَالَ: إِنَّكُمْ سَتَرُونَ رَبُّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَمَا تَرُونَ هَذَا لَا تُضَامُونَ فِي رُؤْيَيْهِ^{٨٣٥}.

^{٨٢٨} أي سال حليبُ ثديها .

^{٨٢٩} أي تمشي بسرعة باحثة عن رضيعها الذي ذهب منها .

^{٨٣٠} يعني وهي على تلك الحال فوجئت بلقاء طفلها في السبي، فأخذته بحنان شديد وشفقة بالغة، فضمته إلى قلبها وصدرها فرحةً مسرورةً ببقائه، فهو عندها أعلى الأطفال، وأحبُّ الراضعين، وقرّة العين والقلب جميعاً .

^{٨٣١} أي أتظنون؟

^{٨٣٢} أي لا تطرحه ما دامت تقدر على حفظه معها ووقايتها .

^{٨٣٣} - صحيح البخارى - المكثر - (٥٩٩٩) وصحيح مسلم - المكثر - (٧١٥٤)

^{٨٣٤} - في (فتح الباري) ١٠: ٣٦١

^{٨٣٥} - صحيح ابن حبان - (١٦ / ٤٧٦) (٧٤٤٤) صحيح

وَعَنْ قَيْسِ بْنِ أَبِي حَازِمٍ حَدَّثَنَا جَرِيرٌ قَالَ خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - لَيْلَةَ الْبَدْرِ فَقَالَ « إِنَّكُمْ سَتَرُونَ رَبَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَمَا تَرَوْنَ هَذَا ، لَا تَصَامُونَ فِي رُؤْيَيْهِ »^{٨٣٦} .

أي لا يحصل لكم ضيم حينئذ . ورؤي : (لا تصامون في رؤيته) . أي تتصامون من الضم ، والمراد نفي الازدحام ، كما يقع للذين يشهدون الهلال في أول الشهر ، أنهم يتصامون لتتركز أحداقهم على موضع معين ، فيشتركوا في رؤيته دون سواهم .

قال الحافظ ابن حجر وهو يُفسرُ رواية (لا تصامون في رؤيته) : ((أي لا تصامون في رؤيته باجتماع في جهة ، فإنكم ترونه سبحانه في جهاتكم كلها ، وهو مُتعالٍ عن الجهة . والتشبيه برؤية القمر ، للرؤية دون تشبيه المرئي ، تعالى الله عن ذلك))^{٨٣٧} .

ورؤي : (لا تضارون في رؤيته) أي لا يلحقكم في رؤيته سبحانه مشقة أو ضرر .، فإن استطعتم أن لا تُغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس، وصلاة قبل غروبها، فافعلوا، ثم قرأ : { وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ } (٣٩) سورة ق فانتهز ﷺ مشاهدة الصحابة للقمر ليلة البدر، فبين لهم أن رؤية الله تعالى في الآخرة، ستكون للمؤمنين في الجنة بهذا الوضوح وتلك السهولة واليسر .

وقال عبد الرحمن بن عمرو السلمي، وحجر بن حجر الكلاعي : أتينا العرباض بن سارية، وهو ممن نزل فيه : { وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أتَوْكَ لَتَحْمِلُهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أُحْمِلُهُمْ عَلَيْهِ } [التوبة :] ، فسلمنا وقلنا : أتيناك زائرين ومقتبسين، فقال العرباض : صلى بنا رسول الله ﷺ الصبح ذات يوم، ثم أقبل علينا فوعظنا موعظة بليغة، ذرفت منها العيون، ووجلت منها القلوب، فقال قائل : يا رسول الله، كأن هذه موعظة مودّع، فماذا تعهد إلينا ؟ قال : أوصيكم بتقوى الله، والسمع والطاعة، وإن عبدا حبشيا مجذعا، فإنه من يعيش منكم فسيرى اختلافا كثيرا، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين

^{٨٣٦} - صحيح البخارى- المكثر - (٧٤٣٦) - تصامون : تزدحمون - تصامون : لا يحصل لكم ذل

^{٨٣٧} - في (فتح الباري) ((١٣ : ٣٥٧))

المَهْدِيِّينَ، فَتَمَسَّكُوا بِهَا، وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِدِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحَدَّثَاتِ الْأُمُورِ فَإِنَّ كُلَّ مُحَدَّثَةٍ
بِدْعَةٍ، وَكُلِّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ. ٨٣٨

وَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَمْرِو السَّلْمِيُّ ، وَحُجْرُ بْنُ حُجْرٍ : أَتَيْنَا الْعَرَبِيَّ بْنَ سَارِيَةَ وَهُوَ
مَمَّنْ نَزَلَ فِيهِ { وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ }
فَسَلَّمْنَا ، وَقُلْنَا : أَتَيْنَاكَ زَائِرِينَ وَعَائِدِينَ وَمُقْتَسِبِينَ . فَقَالَ عَرَبِيٌّ : صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللَّهِ
ﷺ الصُّبْحَ ذَاتَ يَوْمٍ ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا ، فَوَعظَنَا مَوْعِظَةً بَلِيغَةً ذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ ، وَوَجَلَتْ
مِنْهَا الْقُلُوبُ ، فَقَالَ قَائِلٌ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، كَأَنَّ هَذِهِ مَوْعِظَةٌ مُودِّعٌ ، فَمَاذَا تَعْهَدُ إِلَيْنَا ؟
فَقَالَ : أَوْصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ ، وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ ، وَإِنْ كَانَ عَبْدًا حَبَشِيًّا ، فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ
مِنْكُمْ بَعْدِي فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا ، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ ،
تَمَسَّكُوا بِهَا ، وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِدِ ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحَدَّثَاتِ الْأُمُورِ ، فَإِنَّ كُلَّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٌ
، وَكُلِّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ. ٨٣٩

قال الخطابي : " قوله وإن عبداً حبشياً يريد به طاعة من ولاة الإمام عليكم وإن كان عبداً
حبشياً ، وقد ثبت عنه ﷺ أنه قال : الأئمة من قريش ، وقد يضرب المثل في الشيء بما لا
يكاد يصح منه الوجود كقوله ﷺ : من بنى لله مسجداً ولو مثل مفحص قطة بني الله له
بيتاً في الجنة ، وقدر مفحص قطة لا يكون مسجداً لشخص آدمي وكقوله لو سرقت
فاطمة لقطعتها وهي رضوان الله عليها وسلامه لا يتوهم عليها السرقة ، وقال لعن الله
السارق يسرق البيضة فتقطع يده ونظائر هذا في الكلام كثير ، والنواجذ آخر الأضراس
واحدها ناجذ ، وإنما أراد بذلك الجذ في لزوم السنة فعل من أمسك الشيء بين أضراسه
وعض عليه منعاً له أن ينتزع وذلك أشد ما يكون من التمسك بالشيء إذ كان ما يمسكه

٨٣٨ - صحيح ابن حبان - (١ / ١٧٨) (٥) صحيح

قال أبو حاتم في قوله ﷺ : فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي عِنْدَ ذِكْرِهٖ الْاِخْتِلَافَ الَّذِي يَكُونُ فِي أُمَّتِهٖ بَيَانٌ وَاضِحٌ أَنَّ مَنْ وَاظَبَ عَلَى
السُّنَنِ ، قَالَ بِهَا ، وَلَمْ يُعْرَجْ عَلَى غَيْرِهَا مِنَ الْأَرَءِ مِنَ الْفِرْقِ النَّاجِيَةِ فِي الْقِيَامَةِ ، جَعَلْنَا اللَّهُ مِنْهُمْ بِمَنَّةٍ .

٨٣٩ - مسند أحمد (عالم الكتب) - (٥ / ٨٤٢) (١٧١٤٥) ١٧٢٧٥ - صحيح

بمقادير فمه أقرب تناولاً وأسهل انتزاعاً ، وقد يكون معناه أيضاً الأمر بالصبر على ما يصيبه من المضض في ذات الله كما يفعله المتألم بالوجع يصيبه .

وقوله كل محدثة بدعة فإن هذا خاص في بعض الأمور دون بعض وكل شيء أحدث على غير أصل من أصول الدين وعلى غير عياره وقياسه . وأما ما كان منها مبنياً على قواعد الأصول ومردود إليها فليس بدعة ولا ضلالة والله أعلم .

وفي قوله عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين دليل على أن الواحد من الخلفاء الراشدين إذا قال قولاً ، وخالفه فيه غيره من الصحابة كان المصير إلى قول الخليفة أولى .^{٨٤٠}

قول العرياض : "وعظنا رسول الله ﷺ موعظةً بليغة وجلت منها القلوب، وذرفت منها العيون" ، الموعظة ما كان من الكلام فيه ترغيب وترهيب، يؤثر على النفوس ويبلغ القلوب، فتوجل من مخافة الله، وقد وصف العرياض رضي الله عنه هذه الموعظة بهذه الصفات الثلاث، التي هي البلاغة ووجل القلب وذرف العيون، قال ابن رجب في جامع العلوم والحكم^{٨٤١} : "والبلاغة في الموعظة مستحسنة؛ لأنها أقرب إلى قبول القلوب واستجلائها، والبلاغة هي التوصل إلى إفهام المعاني المقصودة وإيصالها إلى قلوب السامعين بأحسن صورة من الألفاظ الدالة عليها، وأفصحها وأحلاها للأسماع وأوقعها في القلوب" .

وقد وصف الله المؤمنين بوجل قلوبهم وذرف عيونهم عند ذكر الله، قال الله عز وجل: { إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ } ، وقال: { وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ }

قوله: "قلنا: يا رسول الله! كأنها موعظة مودّع فأوصنا" أي: أن هذه الوصية تشبه موعظة المودّع، لذا فقد طلب الصحابة الكرام وهم الحريصون على كل خير وصية جامعة يعهد

^{٨٤٠} - معالم السنن للخطابي ٢٨٨ - (٤ / ٣٠٠)

^{٨٤١} - (١١١/٢)

بها إليهم رسول الله ﷺ ، يتمسكون بها ويُعوّلون عليها؛ لأنّ الوصيّة عند الوداع لها وقع في النفوس، ولعلّ هذه الموعظة كان فيها ما يشعر بالتوديع، لذا طلبوا هذه الوصيّة.

قوله: "أوصيكم بتقوى الله"، تقوى الله عزّ وجلّ أن يجعل المرء بينه وبين غضب الله وقاية تقيه منه، وذلك بفعل الطاعات واجتناب المعاصي، وتصديق الأخبار، وهي وصيّة الله للأولين والآخرين، كما قال الله عزّ وجلّ: {وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ} ، وهي سبب كلّ خير وفلاح في الدنيا والآخرة، ويأتي الأمر بتقوى الله في كثير من الآيات، لا سيما الآيات المبدوءة ب {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا}، وكذلك في وصايا رسول الله ﷺ لأصحابه.

قوله: "والسمع والطاعة وإن تأمر عليكم عبد" وهي وصيّة بالسمع والطاعة لولاة الأمور في غير معصية الله، ولو كان الأمير عبداً، وقد أجمع العلماء على أنّ العبد ليس أهلاً للخلافة، ويُحمل ما جاء في هذا الحديث وغيره من الأحاديث في معناه على المبالغة في لزوم السمع والطاعة للعبد إذا كان خليفة، وإن كان ذلك لا يقع، أو أنّ ذلك يحمل على تولية الخليفة عبداً على قرية أو جماعة، أو أنّه كان عند التولية حرّاً، وأُطلق عليه عبد باعتبار ما كان، أو على أنّ العبد تغلّب على الناس بشوكته واستقرت الأمور واستتبّ الأمن؛ لما في منازعته من حصول ما هو أنكر من ولايته.

قوله: "فإنّه من يعيش منكم فسرى اختلافاً كثيراً"، هذا من دلائل نبوته ﷺ ، حيث أخبر عن أمر مستقبل وقع طبقاً لما أخبر به ﷺ ؛ فإنّ الذين طالت أعمارهم من أصحاب النبيّ ﷺ أدركوا اختلافاً كثيراً ومخالفة لما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه، وذلك بظهور بعض فرق الضلال، كالقدرية والخوارج وغيرهم.

قوله: "فعلّيكُم بسنّتي وسنّة الخلفاء الراشدين المهديّين، عضّوا عليها بالتّواجد"، لما أخبر ﷺ بحصول التفرّق وكثرته، أرشد إلى طريق السلامة والنجاة، وذلك بالتمسك بسنّته وسنّة خلفائه الراشدين، وخلفاؤه الراشدون هم أبو بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم، وقد وصف رسول الله ﷺ خلافتهم بأنّها خلافة نبوة، كما جاء في حديث سفينة رضي الله عنه: "خلافة النبوة ثلاثون سنة، ثم يؤتي الله الملك أو ملكه من يشاء"

"والسنة هي الطريقة المسلوكة، فيشمل ذلك التمسك بما كان عليه هو وخلفاؤه الراشدون من الاعتقادات والأعمال والأقوال، وهذه هي السنة الكاملة، ولهذا كان السلف قديماً لا يطلقون اسم السنة إلا على ما يشمل ذلك كله، وروى معنى ذلك عن الحسن والأوزاعي والفضيل بن عياض، وكثير من العلماء المتأخرين يخص اسم السنة بما يتعلق بالاعتقادات؛ لأنها أصل الدين، والمخالف فيها على خطر عظيم".

وقد حث رسول الله ﷺ على التمسك بسنته وسنة خلفائه الراشدين بقوله: "فعلَيْكُمْ"، وهي اسم فعل أمر، ثم أرشد إلى شدة التمسك بما يقوله: "عضُّوا عليها بالنواجذ"، والنواجذ هي الأضراس، وذلك مبالغة في شدة التمسك بها.

قوله: "وإياكم ومحدثات الأمور؛ فإن كل بدعة ضلالة" محدثات الأمور ما أحدث وابتدع في الدين ممّا لم يكن له أصل فيه، وهو يرجع إلى الاختلاف والتفرُّق المذموم الذي ذكره النبي ﷺ بقوله: "فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً".

وفيه استحباب الموعظة والتذكير في بعض الأحيان؛ لما في ذلك من التأثير على القلوب.

وحرص الصحابة رضي الله عنهم على الخير؛ لطلبهم الوصية منه ﷺ.

وأن أهم ما يوصى به تقوى الله عز وجل، وهي طاعته بامتثال أمره واجتناب نهيهِ.

وأن من أهم ما يوصى به السمع والطاعة لولاة الأمور؛ لما في ذلك من المنافع الدنيوية والأخروية للمسلمين.

والمبالغة في الحث على لزوم السمع والطاعة، ولو كان الأمير عبداً.

وإخبار النبي ﷺ عن وجود الاختلاف الكثير في أمته، ثم حصوله كما أخبر من دلائل نبوته ﷺ.

وأن طريق السلامة عند الاختلاف في الدين لزوم سنته ﷺ وسنة الخلفاء الراشدين.

وبيان فضل الخلفاء الراشدين، وهم أبو بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم، وأنهم راشدون مهديون.

والتحذير من كل ما أحدث في الدين ممّا لم يكن له أصل فيه.

والجمع بين الترغيب والترهيب؛ لقوله في الترغيب: "فعلیکم"، وفي الترهب: "وإیاکم".
 وبيان أهمية الوصية بتقوى الله والسمع والطاعة لولاية الأمور، وأتباع السنن وترك البدع؛
 لكون النبي ﷺ أوصى أصحابه بها بعد قوله عن موعظته: "كأنها موعظة مودّع
 فأوصنا".^{٨٤٢}

وعن جابر بن عبد الله قال كان رسول الله - ﷺ - إذا خطب أحمرت عيناه وعلا صوته
 واشتد غضبه حتى كأنه منذر جيش يقول «صبحكم ومساءكم». ويقول «بعت أنا
 والساعة كهاتين». ويقرّن بين إصبعيه السبابة والوسطى ويقول «أما بعد فإن خير
 الحديث كتاب الله وخير الهدى هدى محمد وشر الأمور محدثاتها وكل بدعة ضلالة»
 «ثم يقول «أنا أولى بكل مؤمن من نفسه من ترك مالا فلاهله ومن ترك ديناً أو ضياعاً
 فالى وعلى»». ^{٨٤٣}

قال النووي: "قوله ﷺ: (وكل بدعة ضلالة) هذا عام مخصوص ، والمراد غالب
 البدع . قال أهل اللغة : هي كل شيء عمل على غير مثال سابق . قال العلماء : البدعة
 خمسة أقسام : واجبة ، ومندوبة ومحرمة ، ومكروهة ، ومباحة . فمن الواجبة : نظم
 أدلة المتكلمين للرد على الملاحدة والمبتدعين وشبه ذلك . ومن المندوبة : تصنيف
 كتب العلم ، وبناء المدارس والربط وغير ذلك . ومن المباح : التبسط في ألوان الأاطعمة
 وغير ذلك . والحرام والمكروه ظاهران . وقد أوضحت المسألة بأدلتها المبسوطة في
 تهذيب الأسماء واللغات ، فإذا عرف ما ذكرته علم أن الحديث من العام مخصوص .
 وكذا ما أشبهه من الأحاديث الواردة ، ويؤيد ما قلناه قول عمر بن الخطاب رضي الله
 عنه في التراويح : نعمت البدعة ، ولا يمنع من كون الحديث عاماً مخصوصاً . قوله : (كل بدعة)
 (بكل) ، بل يدخله التخصيص مع ذلك ، كقوله تعالى : { تُدمر كل شيء } .

^{٨٤٢} - فتح القوي المتن في شرح الأربعين وتمة الخمسين - (١ / ٩٩)

^{٨٤٣} - صحيح مسلم - المكثر - (٢٠٤٢)

قوله ﷺ : (أَنَا أَوْلَىٰ بِكُلِّ مُؤْمِنٍ مِنْ نَفْسِهِ) هُوَ مُوَافِقٌ لِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى : { النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ } أَي أَحَقُّ ، قَالَ أَصْحَابُنَا : فَكَأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ إِذَا اضْطُرَّ إِلَى طَعَامٍ غَيْرِهِ وَهُوَ مُضْطَرٌّ إِلَيْهِ لِنَفْسِهِ كَانَ لِلنَّبِيِّ ﷺ أَخْذُهُ مِنْ مَالِكِهِ الْمُضْطَرِّ ، وَوَجَبَ عَلَى مَالِكِهِ بَذْلُهُ لَهُ ﷺ قَالُوا : وَلَكِنَّ هَذَا وَإِنْ كَانَ جَائِزًا فَمَا وَقَعَ ؟

قوله ﷺ : (وَمَنْ تَرَكَ دَيْنًا أَوْ ضِيَاعًا فَإِلَيَّ وَعَلَيَّ) هَذَا تَفْسِيرٌ لِقَوْلِهِ ﷺ : (أَنَا أَوْلَىٰ بِكُلِّ مُؤْمِنٍ مِنْ نَفْسِهِ) . قَالَ أَهْلُ اللُّغَةِ : الضِّيَاعُ - بَفَتْحِ الضَّادِ - العِيَالُ ، قَالَ ابْنُ قُتَيْبَةَ : أَصْلُهُ مَصْدَرٌ ضَاعَ يَضِيعُ ضِيَاعًا ، الْمُرَادُ مَنْ تَرَكَ أَطْفَالًا وَعِيَالًا ذَوِي ضِيَاعٍ ، فَأَوْقَعَ الْمَصْدَرَ مَوْضِعَ الْاسْمِ ، قَالَ أَصْحَابُنَا : وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ لَا يُصَلِّي عَلَى مَنْ مَاتَ وَعَلَيْهِ دَيْنٌ لَمْ يُخْلَفْ بِهِ وَفَاءً ؛ لئَلَّا يَتَسَاهَلَ النَّاسُ فِي الْاسْتِدَانَةِ وَيُهْمِلُوا الْوَفَاءَ ، فَزَجَرَهُمْ عَلَى ذَلِكَ بِتَرْكِ الصَّلَاةِ عَلَيْهِمْ ، فَلَمَّا فَتَحَ اللَّهُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ مَبَادِيَ الْفَتْوحِ قَالَ ﷺ : (مَنْ تَرَكَ دَيْنًا فَعَلَيَّ) أَي قِضَاؤُهُ فَكَانَ يَقْضِيهِ ؟ وَاخْتَلَفَ أَصْحَابُنَا : هَلْ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَجِبُ عَلَيْهِ قِضَاءُ ذَلِكَ الدَّيْنِ أَمْ كَانَ يَقْضِيهِ تَكْرُمًا ؟ وَالْأَصَحُّ عِنْدَهُمْ أَنَّهُ كَانَ وَاجِبًا عَلَيْهِ ﷺ . وَاخْتَلَفَ أَصْحَابُنَا هَلْ هَذِهِ مِنَ الْخِصَائِصِ أَمْ لَا ؟ فَقَالَ بَعْضُهُمْ : هُوَ مِنْ خِصَائِصِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَلَا يُلْزَمُ الْإِمَامُ أَنْ يَقْضِيَ مِنْ بَيْتِ الْمَالِ دَيْنَ مَنْ مَاتَ وَعَلَيْهِ دَيْنٌ إِذَا لَمْ يُخْلَفْ وَفَاءً ، وَكَانَ فِي بَيْتِ الْمَالِ سَعَةٌ ، وَلَمْ يَكُنْ هُنَاكَ أَهَمُّ مِنْهُ .

قوله ﷺ : (بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةَ كَهَاتَيْنِ) قَالَ الْقَاضِي : يَحْتَمِلُ أَنَّهُ تَمَثِيلٌ لِمُقَارَبَتَيْهَا ، وَأَنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهُمَا إِصْبَعٌ أُخْرَى كَمَا أَنَّهُ لَا نَبِيٌّ بَيْنَهُ وَبَيْنَ السَّاعَةِ ، وَيَحْتَمِلُ أَنَّهُ لِتَقْرِيبِ مَا بَيْنَهُمَا مِنَ الْمُدَّةِ وَأَنَّ التَّفَاوُتَ بَيْنَهُمَا كِنَسْبَةِ التَّفَاوُتِ بَيْنَ الْإِصْبَعَيْنِ تَقْرِيْبًا لَا تَحْدِيدًا .

قوله : (إِذَا خَطَبَ أَحْمَرَّتْ عَيْنَاهُ وَعَلَا صَوْتُهُ وَاشْتَدَّ غَضَبُهُ كَأَنَّهُ مُنْذِرٌ جَيْشٍ) يُسْتَدَلُّ بِهِ عَلَى أَنَّهُ يُسْتَحَبُّ لِلْخَطِيبِ أَنْ يُفَخِّمَ أَمْرَ الْخُطْبَةِ ، وَيَرْفَعَ صَوْتَهُ ، وَيُجْزِلَ كَلَامَهُ ، وَيَكُونَ مُطَابِقًا لِلْفَصْلِ الَّذِي يَتَكَلَّمُ فِيهِ مِنْ تَرْغِيبٍ أَوْ تَرْهيبٍ . وَلَعَلَّ اشْتِدَادَ غَضَبِهِ كَانَ عِنْدَ إِنْذَارِهِ أَمْرًا عَظِيمًا وَتَحْدِيدَهُ خُطْبًا جَسِيمًا .^{٨٤٤}

^{٨٤٤} - شرح النووي على مسلم - (٣ / ٢٤٧)

وعن البراء بن عازب قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ في جنازة رجلٍ من الأنصارٍ فانتَهينَا إلى القبرِ، ولَمَّا يُلْحَدُ قَالَ: فَجَلَسَ رَسُوْلُ اللهِ ﷺ، وَجَلَسْنَا حَوْلَهُ كَأَنَّ عَلَيَّ رُؤْسَنَا الطَّيْرَ، وَفِي يَدِهِ عُوْدٌ يَنْكُتُ بِهِ قَالَ: فَرَفَعَ رَأْسَهُ وَقَالَ: " اسْتَعِيذُوا بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، فَإِنَّ الرَّجُلَ الْمُؤْمِنَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا، وَإِقْبَالٍ مِنَ الْآخِرَةِ نَزَلَتْ إِلَيْهِ مَلَائِكَةٌ مِنَ السَّمَاءِ بِيضُ الْوُجُوهِ، وَكَأَنَّ وُجُوهُهُمْ الشَّمْسُ مَعَهُمْ حُنُوطٌ مِنْ حُنُوطِ الْجَنَّةِ، وَكَفَنٌ مِنْ كَفَنِ الْجَنَّةِ حَتَّى يَجْلِسُوا مِنْهُ مَدَّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكُ الْمَوْتِ حَتَّى يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ فَيَقُولُ: أَيَّتَهَا النَّفْسُ الطَّيِّبَةُ اخْرُجِي إِلَى مَعْفَرَةٍ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ قَالَ: فَتَخْرُجُ نَفْسُهُ فَتَسِيلُ كَمَا تَسِيلُ الْقَطْرَةُ مِنْ فَمِ السَّقَاءِ، فَيَأْخُذُهَا فَإِذَا أَخَذَهَا لَمْ يَدْعُهَا فِي يَدِهِ طَرْفَةً عَيْنٍ حَتَّى يَأْخُذَهَا فَيَجْعَلُهَا فِي ذَلِكَ الْكَفَنِ، وَفِي ذَلِكَ الْحُنُوطِ، وَيَخْرُجُ مِنْهَا كَأَطِيبٍ نَفْحَةٍ رِيحِ مَسْكٍ، وَوَجَدَتْ عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ فَلَا يَمُرُّونَ بِمَلَأٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِلَّا قَالُوا: مَا هَذِهِ الرِّيحُ الطَّيِّبَةُ؟ فَيَقُولُونَ: فَلَانُ بْنُ فَلَانٍ بِأَحْسَنِ أَسْمَائِهِ الَّذِي كَانَ يُسَمَّى بِهَا فِي الدُّنْيَا حَتَّى يَنْتَهِيَ بِهَا إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَيُفْتَحُ لَهُ فَيُشَيِّعُهُ مِنْ كُلِّ سَمَاءٍ مُقَرَّبُوهَا إِلَى السَّمَاءِ الَّتِي تَلِيهَا حَتَّى يَنْتَهِيَ بِهَا إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: اكْتُبُوا عَبْدِي فِي عِلِّيِّينَ فِي السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، وَأَعِيدُوهُ إِلَى الْأَرْضِ فَإِنِّي مِنْهَا خَلَقْتُهُمْ، وَفِيهَا أُعِيدُهُمْ، وَمِنْهَا أَخْرَجْتُهُمْ تَارَةً أُخْرَى فَتَعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ، فَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ فَيَجْلِسَانِهِ فَيَقُولَانِ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: رَبِّي اللَّهُ، فَيَقُولَانِ: وَمَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: دِينِي الْإِسْلَامُ، فَيَقُولَانِ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟ فَيَقُولُ هُوَ رَسُولُ اللَّهِ، فَيَقُولَانِ: وَمَا يُدْرِيكَ؟ فَيَقُولُ: قَرَأْتُ كِتَابَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَآمَنْتُ بِهِ وَصَدَّقْتُ، قَالَ: فَيُنَادِي مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ أَنْ صَدَقَ عَبْدِي فَافْرِشُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَأَلْبِسُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا مِنَ الْجَنَّةِ فَيَأْتِيهِ مِنْ رَوْحِهَا وَطِيْبِهَا، وَيُفْسَخُ لَهُ فِي قَبْرِهِ مَدَّ بَصَرِهِ، وَيَأْتِيهِ رَجُلٌ حَسَنُ الْوَجْهِ طَيِّبُ الرِّيحِ فَيَقُولُ لَهُ: أَبَشِرْ بِالَّذِي يَسْرُكَ فَهَذَا يَوْمُكَ الَّذِي كُنْتَ تُوعَدُ فَيَقُولُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَوَجْهَكَ الْوَجْهُ الَّذِي يَأْتِي بِالْخَيْرِ، فَيَقُولُ: أَنَا عَمَلُكَ الصَّالِحِ فَيَقُولُ: رَبِّ أَقِمِ السَّاعَةَ رَبِّ أَقِمِ السَّاعَةَ حَتَّى أَرْجِعَ إِلَى أَهْلِي وَمَالِي، قَالَ وَأَمَّا الْعَبْدُ الْكَافِرُ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا، وَإِقْبَالٍ مِنَ الْآخِرَةِ نَزَلَ إِلَيْهِ مِنَ السَّمَاءِ مَلَائِكَةٌ سُودُ الْوُجُوهِ وَمَعَهُمُ الْمُسُوْحُ حَتَّى يَجْلِسُوا مِنْهُ مَدَّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَأْتِيهِ مَلَكُ الْمَوْتِ فَيَجْلِسُ

عِنْدَ رَأْسِهِ فَيَقُولُ: أَيَّتَهَا النَّفْسُ الْخَبِيثَةُ اخْرُجِي إِلَى سَخَطِ اللَّهِ وَغَضَبِهِ". قَالَ: "فَتَفَرَّقَ فِي جَسَدِهِ فَيَنْتَزِعُهَا، وَمَعَهَا الْعَصَبُ وَالْعُرُوقُ كَمَا يُنْتَزَعُ السُّفُودُ مِنَ الصُّوفِ الْمَبْلُولِ فَيَأْخُذُونَهَا فَيَجْعَلُونَهَا فِي تِلْكَ الْمُسُوحِ". قَالَ: "وَيَخْرُجُ مِنْهَا أَتْنٌ مِنْ حَيْفَةٍ وَجِدَتْ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ فَلَا يَمُرُّونَ بِهَا عَلَى مَلَأَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِلَّا قَالُوا: مَا هَذِهِ الرُّوحُ الْخَبِيثَةُ؟ فَيَقُولُونَ: فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ بِأَقْبَحِ أَسْمَائِهِ الَّتِي كَانَ يُسَمِّي بِهَا فِي الدُّنْيَا حَتَّى يَنْتَهِيَ بِهَا إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا فَيَسْتَفْتَحُ لَهُ فَلَا يُفْتَحُ لَهُ، ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ { لَا تُفْتَحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ } [الأعراف: ٤٠] إِلَى آخِرِ الْآيَةِ قَالَ: فَيَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: اكْتُبُوا كِتَابَهُ فِي سَجِينٍ فِي الْأَرْضِ السَّابِعَةِ السُّفْلَى، وَأَعِيدُوهُ إِلَى الْأَرْضِ فَإِنَّا مِنْهَا خَلَقْنَاهُمْ، وَفِيهَا نُعِيدُهُمْ، وَمِنْهَا نُخْرِجُهُمْ تَارَةً أُخْرَى". قَالَ: "فَتَطْرَحُ رُوحُهُ طَرْحًا، ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: { وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ } [الحج: ٣١] الْآيَةَ، ثُمَّ تُعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ فَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ فَيَجْلِسَانِهِ فَيَقُولَانِ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: هَاهُ هَاهُ لَا أَدْرِي، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: هَاهُ هَاهُ لَا أَدْرِي، فَيَقُولَانِ لَهُ مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بَعَثَ فِيكُمْ؟ فَيَقُولُ: هَاهُ هَاهُ لَا أَدْرِي، فَيَنَادِي مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ أَنْ كَذَبَ فَافْرِشُوهُ مِنَ النَّارِ، وَالْيَسُوهُ مِنَ النَّارِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا مِنَ النَّارِ فَيَأْتِيهِ مِنْ حَرِّهَا وَسُمُومِهَا وَيُضَيِّقُ عَلَيْهِ قَبْرُهُ حَتَّى تَخْتَلِفَ فِيهِ أَضْلَاعُهُ". قَالَ: "وَيَأْتِيهِ رَجُلٌ قَبِيحُ الْوَجْهِ مُنْتِنُ الرِّيحِ فَيَقُولُ: أَبَشِرْ بِالَّذِي يَسُوءُكَ هَذَا يَوْمُكَ الَّذِي كُنْتَ تُوعَدُ". قَالَ: "فَيَقُولُ: مَنْ أَنْتَ فَوْجُوهَكَ الْوَجْهِ الَّذِي يَجِي بِالشَّرِّ؟ فَيَقُولُ: أَنَا عَمَلُكَ الْخَبِيثُ، فَيَقُولُ: رَبِّ لَا تُقِمِ السَّاعَةَ رَبِّ لَا تُقِمِ السَّاعَةَ"^{٨٤٥}

وَعَنِ الْمَسُورِ بْنِ مَخْرَمَةَ قَالَ: سَمِعْتُ الْأَنْصَارُ أَنَّ أَبَا عُبَيْدَةَ قَدِمَ بِمَالٍ مِنْ قِبَلِ الْبَحْرَيْنِ، وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ بَعَثَهُ عَلَى الْبَحْرَيْنِ فَوَافَقَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلَاةَ الصُّبْحِ، فَلَمَّا انْصَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ تَعَرَّضُوا، فَلَمَّا رَأَهُمْ تَبَسَّمَ وَقَالَ: لَعَلَّكُمْ سَمِعْتُمْ أَنَّ أَبَا عُبَيْدَةَ بَنَ الْجَرَّاحِ قَدِمَ وَقَدِمَ بِمَالٍ؟ قَالُوا: أَجَلْ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: قَالَ: أَنْبَشِرُوا وَأَمَلُوا

^{٨٤٥} - شعب الإيمان - (١ / ٦١٠) (٣٩٠) ومسنَد أحمد (عالم الكتب) - (٦ / ٣٢١) (١٨٥٣٤) - ١٨٧٣٣ - صحيح

خَيْرًا، فَوَاللَّهِ مَا الْفَقْرُ أَخْشَى عَلَيْكُمْ، وَلَكِنْ إِذَا صَبَتْ عَلَيْكُمْ الدُّنْيَا، فَتَنَافَسْتُمُوهَا كَمَا تَنَافَسَهَا مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ. ٨٤٦

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ فِي غُرْفَةٍ لَهُ كَأَنَّهَا بَيْتُ حَمَامٍ، وَهُوَ نَائِمٌ عَلَى حَصِيرٍ وَقَدْ أَثَرَ بِحَنْبِهِ، قَالَ: فَبَكَيْتُ فَقَالَ: " مَا يُبْكِيكَ يَا عَبْدَ اللَّهِ؟ " فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَسَرَى وَقَيْصَرُ يَطْئُونَ عَلَى الْخَزْزِ وَالْحَرِيرِ وَالذَّبْيَاجِ وَأَنْتَ نَائِمٌ عَلَى الْحَصِيرِ، وَقَدْ أَثَرَ بِحَنْبِكَ قَالَ: " فَلَا تَبْكُ يَا عَبْدَ اللَّهِ، فَإِنَّ لَهُمُ الدُّنْيَا وَلَنَا الْآخِرَةُ، مَا مِثْلِي وَمِثْلُ الدُّنْيَا إِلَّا مِثْلُ رَاكِبٍ قَالَ تَحْتَ شَجَرَةٍ ثُمَّ سَارَ وَتَرَكَهَا ٨٤٧

وَعَنْ عُبَيْدِ بْنِ حُنَيْنٍ أَنَّهُ سَمِعَ ابْنَ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - يُحَدِّثُ أَنَّهُ قَالَ مَكُنْتُ سَنَةً أُرِيدُ أَنْ أَسْأَلَ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ عَنْ آيَةٍ، فَمَا اسْتَطِيعُ أَنْ أَسْأَلَهُ هَيْبَةً لَهُ، حَتَّى خَرَجَ حَاجًّا فَخَرَجْتُ مَعَهُ فَلَمَّا رَجَعْتُ وَكُنَّا بِبَعْضِ الطَّرِيقِ عَدَلَّ إِلَى الْأَرَاكِ لِحَاجَةِ لَهُ - قَالَ - فَوَقَفْتُ لَهُ حَتَّى فَرَغَ سِرَّتُ مَعَهُ فَقُلْتُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مِنَ اللَّتَانِ تَظَاهَرْتَا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ - مِنْ أَرْوَاجِهِ فَقَالَ تِلْكَ حَفْصَةُ وَعَائِشَةُ. قَالَ فَقُلْتُ وَاللَّهِ إِنْ كُنْتُ لِأُرِيدُ أَنْ أَسْأَلَكَ عَنْ هَذَا مُنْذُ سَنَةٍ، فَمَا اسْتَطِيعُ هَيْبَةً لَكَ. قَالَ فَلَا تَفْعَلْ مَا ظَنَنْتَ أَنَّ عِنْدِي مِنْ عِلْمٍ فَاسْأَلْنِي، فَإِنْ كَانَ لِي عِلْمٌ خَبَّرْتُكَ بِهِ - قَالَ - ثُمَّ قَالَ عُمَرُ وَاللَّهِ إِنْ كُنَّا فِي الْجَاهِلِيَّةِ مَا نَعُدُّ لِلنِّسَاءِ أَمْرًا، حَتَّى أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِنَّ مَا أَنْزَلَ وَقَسَمَ لَهُنَّ مَا قَسَمَ - قَالَ - فَبَيْنَا أَنَا فِي أَمْرٍ أَتَانِي إِذْ قَالَتْ امْرَأَتِي لَوْ صَنَعْتَ كَذَا وَكَذَا - قَالَ - فَقُلْتُ لَهَا مَالِكٌ وَلَمَّا هَا هُنَا فِيمَا تَكْلُفُكَ فِي أَمْرٍ أُرِيدُهُ. فَقَالَتْ لِي عَجَبًا لَكَ يَا ابْنَ الْخَطَّابِ مَا تُرِيدُ أَنْ تُرَاجِعَ أَنْتَ، وَإِنْ ابْتَنَّا لَتُرَاجِعُ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - حَتَّى يَظُلَّ يَوْمُهُ غَضِبَانَ. فَقَامَ عُمَرُ فَأَخَذَ رِدَاءَهُ مَكَانَهُ حَتَّى دَخَلَ عَلَى حَفْصَةَ فَقَالَ لَهَا يَا بِنْتِي إِنَّكَ لَتُرَاجِعِينَ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - حَتَّى يَظُلَّ يَوْمُهُ غَضِبَانَ. فَقَالَتْ حَفْصَةُ وَاللَّهِ إِنَّا لَنُرَاجِعُهُ. فَقُلْتُ. تَعْلَمِينَ أَنِّي أُحَدِّثُكَ عَفْوَةَ اللَّهِ وَغَضَبَ رَسُولِهِ - ﷺ - يَا بِنْتِي لَا يُعْرَتُكَ هَذِهِ الَّتِي أُعْجِبُهَا حُسْنُهَا حُبُّ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - إِيَّاهَا - يُرِيدُ عَائِشَةَ - قَالَ ثُمَّ خَرَجْتُ حَتَّى دَخَلْتُ عَلَى أُمِّ سَلَمَةَ لِقِرَابَتِي مِنْهَا

٨٤٦ - مسند أحمد (عالم الكتب) - (٦ / ٤٢٢) (١٨٩١٦) (١٩١٢٣) - صحيح

٨٤٧ - شعب الإيمان - (١٣ / ٤٦) (٩٩٢٨) - صحيح

فَكَلَّمَتْهَا . فَقَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ عَجَبًا لَكَ يَا ابْنَ الْخَطَّابِ دَخَلْتَ فِي كُلِّ شَيْءٍ، حَتَّى تَبْتَغِيَ أَنْ تَدْخُلَ بَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - وَأَزْوَاجِهِ . فَأَخَذْتَنِي وَاللَّهِ أَخَذًا كَسَرْتَنِي عَنْ بَعْضِ مَا كُنْتُ أُجِدُّ، فَخَرَجْتُ مِنْ عِنْدِهَا، وَكَانَ لِي صَاحِبٌ مِنَ الْأَنْصَارِ إِذَا غَبْتُ أَتَانِي بِالْخَبَرِ، وَإِذَا غَابَ كُنْتُ أَنَا أَتِيهِ بِالْخَبَرِ، وَتَحْنُ تَتَخَوَّفُ مَلِكًا مِنْ مُلُوكِ غَسَّانَ، ذَكَرَ لَنَا أَنَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَسِيرَ إِلَيْنَا، فَقَدْ امْتَلَأَتْ صُدُورُنَا مِنْهُ، فَإِذَا صَاحِبِي الْأَنْصَارِيُّ يَدُقُّ الْبَابَ فَقَالَ افْتَحْ افْتَحْ . فَقُلْتُ جَاءَ الْعَسَّانِيُّ فَقَالَ بَلْ أَشَدُّ مِنْ ذَلِكَ . اعْتَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - أَزْوَاجَهُ . فَقُلْتُ رَغِمَ أَنْفُ حَفْصَةَ وَعَائِشَةَ . فَأَخَذْتُ تُوبِي فَأَخْرَجْتُ حَتَّى جِئْتُ إِذَا رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - فِي مَشْرُوبَةٍ لَهُ يَرْقَى عَلَيْهَا بِعَجَلَةٍ، وَغَلَامٌ لِرَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - أَسْوَدٌ عَلَى رَأْسِ الدَّرَجَةِ فَقُلْتُ لَهُ قُلْ هَذَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ . فَأَذِنَ لِي - قَالَ عُمَرُ - فَقَصَصْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - هَذَا الْحَدِيثَ، فَلَمَّا بَلَغْتُ حَدِيثَ أُمِّ سَلَمَةَ تَبَسَّمَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - وَإِنَّهُ لَعَلَى حَصِيرٍ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ شَيْءٌ، وَتَحْتَ رَأْسِهِ وَسَادَةٌ مِنْ أَدَمٍ حَشَوَهَا لَيْفٌ، وَإِنَّ عِنْدَ رِجْلَيْهِ قَرْظًا مَصْبُوبًا، وَعِنْدَ رَأْسِهِ أَهْبٌ مُعَلَّقَةٌ فَرَأَيْتُ أَثَرَ الْحَصِيرِ فِي جَنْبِهِ فَبَكَتُ فَقَالَ « مَا يُبْكِيكَ » . فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنْ كَسَرَى وَقِصَرَ فِيمَا هُمَا فِيهِ وَأَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ . فَقَالَ « أَمَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ لَهُمُ الدُّنْيَا وَلَنَا الْآخِرَةُ »^{٨٤٨}

وَعَنْ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةَ، أَنَّهَا قَالَتْ : مَا رَأَيْتُ أَحَدًا، كَانَ أَشْبَهَ كَلَامًا وَحَدِيثًا بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ فَاطِمَةَ، وَكَانَتْ إِذَا دَخَلَتْ عَلَيْهِ، قَامَ إِلَيْهَا وَقَبَّلَهَا، وَرَحَّبَ بِهَا، وَأَخَذَ بِيَدِهَا وَأَجْلَسَهَا فِي مَجْلِسِهِ، وَكَانَتْ هِيَ إِذَا دَخَلَ عَلَيْهَا قَامَتْ إِلَيْهِ فَقَبَّلَتْهُ وَأَخَذَتْ بِيَدِهِ، فَدَخَلَتْ عَلَيْهِ فِي مَرَضِهِ الَّذِي تُوفِّيَ فِيهِ، فَأَسَرَ إِلَيْهَا، فَبَكَتُ، ثُمَّ أَسَرَ إِلَيْهَا، فَضَحِكَتْ، فَقَالَتْ : كُنْتُ أَحْسَبُ أَنَّ لِهَذِهِ الْمَرْأَةَ فَضْلًا عَلَى النَّاسِ، فَإِذَا هِيَ امْرَأَةٌ مِنْهُنَّ بَيْنَا هِيَ تَبْكِي إِذَا هِيَ تَضْحَكُ، فَلَمَّا تُوفِّيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، سَأَلْتُهَا عَنْ ذَلِكَ فَقَالَتْ : أَسَرَ إِلَيَّ أَنَّهُ مَيِّتٌ، فَبَكَتُ، ثُمَّ أَسَرَ إِلَيَّ فَأَخْبَرَنِي أَنِّي أَوَّلُ أَهْلِهِ لُحُوقًا بِهِ فَضَحِكْتُ.^{٨٤٩}

^{٨٤٨} - صحيح البخارى - المكثر - (٤٩١٣) - القرظ : شجر يدبغ به

^{٨٤٩} - صحيح ابن حبان - (١٥ / ٤٠٣) (٦٩٥٣) وصحيح البخارى - المكثر - (٣٦٢٣)

وعن أبي العلاء بن الشَّخِيرِ أَنَّ الْأَحْنَفَ بْنَ قَيْسٍ حَدَّثَهُمْ قَالَ جَلَسْتُ إِلَى مَلَا مِنْ قُرَيْشٍ، فَجَاءَ رَجُلٌ خَشِنُ الشَّعْرِ وَالثِّيَابِ وَالْهَيْئَةِ حَتَّى قَامَ عَلَيْهِمْ فَسَلَّمَ ثُمَّ قَالَ بَشِّرِ الْكَانِزِينَ بِرَضْفٍ يُحْمَى عَلَيْهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، ثُمَّ يُوضَعُ عَلَى حَلْمَةِ تَدَى أَحَدِهِمْ حَتَّى يَخْرُجَ مِنْ نُعْضِ كَتِفِهِ، وَيُوضَعُ عَلَى نُعْضِ كَتِفِهِ حَتَّى يَخْرُجَ مِنْ حَلْمَةِ تَدِيهِ يَتَزَلُّزَلُ، ثُمَّ وَلَّى فَجَلَسَ إِلَى سَارِيَةٍ، وَتَبِعْتُهُ وَجَلَسْتُ إِلَيْهِ، وَأَنَا لَا أَدْرِي مَنْ هُوَ فَقُلْتُ لَهُ لَا أَرَى الْقَوْمَ إِلَّا قَدْ كَرَهُوا الَّذِي قُلْتَ . قَالَ إِنَّهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا .

قَالَ لِي خَلِيلِي - قَالَ قُلْتُ مَنْ خَلِيلُكَ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ - - « يَا أَبَا ذَرٍّ أَتَبْصِرُ أَحَدًا » . قَالَ فَتَنَظَرْتُ إِلَى الشَّمْسِ مَا بَقِيَ مِنَ النَّهَارِ وَأَنَا أَرَى أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ - يُرْسِلُنِي فِي حَاجَةٍ لَهُ، قُلْتُ نَعَمْ . قَالَ « مَا أَحَبُّ أَنْ لِي مِثْلُ أَحَدٍ ذَهَبًا أَنْفَقَهُ كُلَّهُ إِلَّا ثَلَاثَةَ دَنَانِيرَ » . وَإِنَّ هَؤُلَاءِ لَا يَعْقِلُونَ، إِنَّمَا يَجْمَعُونَ الدُّنْيَا . لَا وَاللَّهِ لَا أَسْأَلُهُمْ دُنْيَا، وَلَا أَسْتَفْتِيهِمْ عَن دِينٍ حَتَّى أَلْقَى اللَّهَ . ٨٥٠

وَعَنْ أَبِي ذَرٍّ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ : يَا أَبَا ذَرٍّ، اعْقِلْ مَا أَقُولُ لَكَ : لَعْنَاقُ يَأْتِي رَجُلًا مِنْ الْمُسْلِمِينَ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَحَدٍ ذَهَبًا يَتْرُكُهُ وَرَاءَهُ، يَا أَبَا ذَرٍّ اعْقِلْ مَا أَقُولُ لَكَ : إِنَّ الْمُكْثَرِينَ هُمُ الْأَقْلُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، إِلَّا مَنْ قَالَ كَذَا وَكَذَا، اعْقِلْ يَا أَبَا ذَرٍّ مَا أَقُولُ لَكَ : إِنَّ الْخَيْلَ فِي نَوَاصِيهَا الْخَيْرُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، أَوْ إِنَّ الْخَيْلَ فِي نَوَاصِيهَا الْخَيْرُ . ٨٥١

وَعَنْ خَبَابِ بْنِ الْأَرْتِّ قَالَ شَكَوْنَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - وَهُوَ مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً لَهُ فِي ظِلِّ الْكَعْبَةِ، قُلْنَا لَهُ أَلَا تَسْتَنْصِرُ لَنَا أَلَا تَدْعُو اللَّهَ لَنَا قَالَ « كَانَ الرَّجُلُ فِيمَنْ قَبْلَكُمْ يُحْفَرُ لَهُ فِي الْأَرْضِ فَيَجْعَلُ فِيهِ، فَيَجَاءُ بِالْمِنْشَارِ، فَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ فَيَشَقُّ بِإِثْنَيْنِ، وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَن دِينِهِ، وَيُمَشِّطُ بِأَمْشَاطِ الْحَدِيدِ، مَا دُونَ لَحْمِهِ مِنْ عَظْمٍ أَوْ عَصَبٍ، وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَن

٨٥٠ - صحيح البخارى - المكتز - (٥ / ٣٥٨) (١٤٠٧)

الرضف : الحجارة المحماة على النار واحده رَضْفَةٌ - النغض : العظم الرقيق الذى على طرف الكتف وقيل أعلى الكتف

٨٥١ - مسند أحمد (عالم الكتب) - (٧ / ٢٢٩) (٢١٥٧٠) ٢١٩٠٣ - صحيح

دينه، واللّه لَيَتِمَّنَّ هَذَا الْأَمْرَ حَتَّى يَسِيرَ الرَّكْبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ، لَا يَخَافُ إِلَّا اللَّهَ
أَوْ الذُّبَّ عَلَى غَنَمِهِ، وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ» ٨٥٢ .

وَعَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ عُبَيْدِ بْنِ رِفَاعَةَ بْنِ رَافِعِ الرَّزْقِيِّ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ
، قَالَ لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ : يَا عُمَرُ، اجْمَعْ لِي قَوْمَكَ، فَجَمَعَهُمْ، ثُمَّ دَخَلَ عَلَيْهِ، فَقَالَ : يَا
رَسُولَ اللَّهِ، قَدْ جَمَعْتَهُمْ، فَيَدْخُلُونَ عَلَيْكَ أَمْ تَخْرُجُ إِلَيْهِمْ ؟ فَقَالَ : بَلْ أَخْرُجُ
إِلَيْهِمْ، فَسَمِعَتْ بِذَلِكَ الْمُهَاجِرُونَ وَالْأَنْصَارُ، فَقَالُوا : لَقَدْ جَاءَ فِي قُرَيْشٍ وَحْيٍ، فَحَضَرَ
النَّاظِرُ وَالْمُسْتَمِعُ مَا يُقَالُ لَهُمْ، فَقَامَ بَيْنَ أَظْهُرِهِمْ، فَقَالَ : هَلْ فِيكُمْ غَيْرُكُمْ ؟ قَالُوا :
نَعَمْ، فِينَا حُلَفَاؤُنَا، وَأَبْنَاؤُنَا، وَإِخْوَانُنَا، وَمَوَالِينَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : حُلَفَاؤُنَا مِنَّا، وَمَوَالِينَا
مِنَّا، ثُمَّ قَالَ : أَلَسْتُمْ تَسْمَعُونَ أَوْلِيَائِي مِنْكُمْ الْمُتَّقُونَ ؟ فَإِنْ كُنْتُمْ أَوْلِيَاءَ فَذَلِكَ، وَإِلَّا
فَابْصُرُوا، ثُمَّ ابْصُرُوا، لَا يَأْتِيَنَّ النَّاسُ بِالْأَعْمَالِ، وَتَأْتُونَ بِالْأَثْقَالِ، فَيَعْرِضُ عَنْكُمْ، ثُمَّ نَادَى فَرَفَعَ
صَوْتَهُ، فَقَالَ : إِنَّ قُرَيْشًا أَهْلُ أَمَانَةٍ، مَنْ بَغَاهُمْ الْعَوَاتِرُ، كَبَهُ اللَّهُ لِمِنْخَرِهِ، قَالَهَا ثَلَاثًا ٨٥٣

وَعَنْ أَنَسٍ، قَالَ : قَسَمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ غَنَائِمَ حُنَيْنٍ، فَأَعْطَى الْأَقْرَعَ بْنَ حَابِسٍ مِائَةَ مِنْ
الْإِبِلِ، وَعَیْبَةَ بْنَ بَدْرِ مِائَةَ مِنَ الْإِبِلِ، وَذَكَرَ نَفْرًا مِنَ الْأَنْصَارِ، فَقَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ، تُعْطِي
غَنَائِمَنَا قَوْمًا تَقْطُرُ سَيُوفُنَا مِنْ دِمَائِهِمْ، أَوْ تَقْطُرُ دِمَاؤَهُمْ فِي سَيُوفِنَا، فَبَلَّغَهُ ذَلِكَ، فَجَمَعَ
الْأَنْصَارَ، فَقَالَ : هَلْ فِيكُمْ غَيْرُكُمْ ؟ فَقَالُوا : لَا، غَيْرَ ابْنِ أُخْتِنَا، قَالَ : ابْنُ أُخْتِ الْقَوْمِ
مِنْهُمْ، ثُمَّ قَالَ : يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ، أَمَا تَرْغَبُونَ أَنْ يَذْهَبَ النَّاسُ بِالْأَدْنِيَا أَوْ بِالشَّيْءِ
وَالْإِبِلِ، وَتَذْهَبُونَ بِمُحَمَّدٍ إِلَى دِيَارِكُمْ ؟ قَالُوا : بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَ : وَالَّذِي نَفْسُ
مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَوْ أَخَذَ النَّاسُ وَادِيًا وَأَخَذَ الْأَنْصَارُ شِعْبًا، لَأَخَذْتُ شِعْبَ الْأَنْصَارِ، الْأَنْصَارُ
كَرِشِي وَعَیْبَتِي، وَلَوْلَا الْهَجْرَةُ لَكُنْتُ امْرَأًا مِنَ الْأَنْصَارِ. ٨٥٤

وَعَنِ الرَّهْرِيِّ قَالَ أَخْبَرَنِي عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - أَنَّ صَفِيَّةَ زَوْجَ النَّبِيِّ -
ﷺ - أَخْبَرَتْ أَنَّهَا جَاءَتْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ - تَزُورُهُ فِي اعْتِكَافِهِ فِي الْمَسْجِدِ، فِي الْعَشْرِ

٨٥٢ - صحيح البخارى - المكثر - (٣٦١٢)

٨٥٣ - المستدرک للحاکم (٦٩٥٢) حسن

٨٥٤ - صحيح ابن حبان - (١٦ / ٢٥٨) (٧٢٦٨) صحيح

الأوَّخِرِ مِنْ رَمَضَانَ، فَتَحَدَّثَتْ عِنْدَهُ سَاعَةً، ثُمَّ قَامَتْ تَنْقَلِبُ، فَقَامَ النَّبِيُّ ﷺ - مَعَهَا يَقْلِبُهَا، حَتَّى إِذَا بَلَغَتْ بَابَ الْمَسْجِدِ عِنْدَ بَابِ أُمِّ سَلَمَةَ مَرَّ رَجُلَانِ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَسَلَّمَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - فَقَالَ لَهُمَا النَّبِيُّ ﷺ - « عَلَى رِسَالِكُمَا إِنَّمَا هِيَ صَفِيَّةُ بِنْتُ حَيٍّ » . فَقَالَ سُبْحَانَ اللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ . وَكَبَّرَ عَلَيْهِمَا . فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ - « إِنَّ الشَّيْطَانَ يُبْلَغُ مِنَ الْإِنْسَانِ مَبْلَغَ الدَّمِ، وَإِنِّي خَشِيتُ أَنْ يَقْذِفَ فِي قُلُوبِكُمَا شَيْئًا » ٨٥٥

وَعَنْ ابْنِ عُمَرَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ نَزَلَ عَامَ تَبُوكَ بِالْحَجْرِ عِنْدَ بَيْوتِ ثَمُودَ، فَاسْتَقَى النَّاسُ مِنَ الْآبَارِ الَّتِي كَانَتْ تَشْرَبُ مِنْهَا ثَمُودٌ، فَتَصْبُوا الْقُدُورَ وَعَجَنُوا الدَّقِيقَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : اكْفُوا الْقُدُورَ، وَأَعْلِفُوا الْعَجِينَ الْإِبِلَ، ثُمَّ ارْتَحَلَ حَتَّى نَزَلَ فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي كَانَتْ تَشْرَبُ مِنْهُ النَّاقَةُ، وَقَالَ : لَا تَدْخُلُوا عَلَى هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ الَّذِينَ عَذَّبُوا فَيُصِيبِكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَهُمْ. ٨٥٦ .

وَعَنْ أَبِي مُوسَى ، قَالَ : أَتَى النَّبِيَّ ﷺ أَعْرَابِيًّا فَأَكْرَمَهُ ، فَقَالَ لَهُ : ائْتِنَا ، فَأَتَاهُ ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : سَلْ حَاجَتَكَ ، قَالَ : نَاقَةٌ تَرْكَبُهَا ، وَأَعْزُرُ يَحْلِبُهَا أَهْلِي ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : أَعْزَرْتُمْ أَنْ تَكُونُوا مِثْلَ عَجُوزِ بَنِي إِسْرَائِيلَ ؟ قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، وَمَا عَجُوزُ بَنِي إِسْرَائِيلَ ، قَالَ : إِنَّ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمَّا سَارَ بَيْنَ إِسْرَائِيلَ مِنْ مِصْرَ ، ضَلُّوا الطَّرِيقَ ، فَقَالَ : مَا هَذَا ؟ فَقَالَ عُلَمَاؤُهُمْ : إِنَّ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، لَمَّا حَضَرَهُ الْمَوْتُ أَخَذَ عَلَيْنَا مَوْتِقًا مِنَ اللَّهِ أَنْ لَا نَخْرُجَ مِنْ مِصْرَ حَتَّى نَنْقُلَ عِظَامَهُ مَعَنَا ، قَالَ : فَمَنْ يَعْلَمُ مَوْضِعَ قَبْرِهِ ؟ قَالَ : عَجُوزٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ ، فَبَعَثَ إِلَيْهَا فَأَتَتْهُ ، فَقَالَ : ذَلِّبْنِي عَلَى قَبْرِ يُوسُفَ ، قَالَتْ : حَتَّى تُعْطِيَنِي حُكْمِي ، قَالَ : وَمَا حُكْمُكَ ؟ قَالَتْ : أَكُونُ مَعَكَ فِي الْجَنَّةِ ، فَكَرِهَ أَنْ يُعْطِيَهَا ذَلِكَ ، فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ : أَنْ أَعْطَاهَا حُكْمَهَا ، فَانْطَلَقَتْ بِهِمْ إِلَى بُحَيْرَةِ

٨٥٥ - صحيح البخارى - المكثر - (٢٠٣٥)

تنقلب : ترجع إلى بيتها - يقبل : يرددها إلى منزلها

٨٥٦ - صحيح ابن حبان - (١٤ / ٨٣) (٦٢٠٣) صحيح

مَوْضِعِ مُسْتَنْقَعِ مَاءٍ ، فَقَالَتْ : أَنْضِبُوا هَذَا الْمَاءَ ، فَأَنْضَبُوهُ ، فَقَالَتْ : احْتَفِرُوا ، فَاحْتَفَرُوا ، فَاسْتَخْرَجُوا عِظَامَ يُوسُفَ ، فَلَمَّا أَقْلَوْهَا إِلَى الْأَرْضِ ، وَإِذَا الطَّرِيقُ مِثْلُ ضَوْءِ النَّهَارِ .^{٨٥٧}

وَعَنْ عَلِيِّ بْنِ حُسَيْنٍ ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ : أَنَّ أَعْرَابِيًّا كَانَ لَهُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ مَوْعِدٌ ، فَقَدِمَ عَلَيْهِ مَعَ أَنَاسٍ ، فَقَالُوا : إِنْ شِئْتَ أَنْ تَبْصُرَ رِجَالَنَا وَنَذْهَبُ فَتَكْفِيكَ ، وَإِنْ شِئْتَ أَنْ تَذْهَبَ ، فَذْهَبَ هُوَ فَجَاءَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ ، فَقَالَ : مَوْعِدِي ، فَقَالَ : نَعَمْ ، سَلْ مَا شِئْتَ ، فَسَأَلَهُ غَنَمًا وَإِبِلًا ، فَأَعْطَاهُ مَا سَأَلَهُ ، فَلَمَّا أَذْبَرَ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : مَا ضَرَّ هَذَا لَوْ قَالَ ، كَمَا قَالَتْ عَجُوزُ بَنِي إِسْرَائِيلَ ، قَوْلُ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ : مَنْ يَدُلُّنِي عَلَى قَبْرِ أَحِي يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ؟ قَالُوا : مَا يَعْلَمُ أَحَدٌ بِذَلِكَ إِلَّا قَلَابَةُ لِلْعَجُوزِ ، فَذْهَبَ إِلَيْهَا ، فَقَالَ : دُلِّينِي عَلَى قَبْرِ أَحِي يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَتْ : لَا أَذُوكُ إِلَّا أَنْ تُعْطِيَنِي مَا أَسْأَلُكَ ، فَقَالَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ : وَمَا تَسْأَلُنِي ؟ قَالَتْ : أَسْأَلُكَ أَنْ أَكُونَ رَفِيقَتَكَ فِي الْجَنَّةِ ، فَقَالَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ : وَمَا ضَرَّرَنِي أَنْ يَجْعَلَكَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مَعِي حَيْثُمَا كُنْتُ ، مَا ضَرَّ هَذَا لَوْ قَالَ مِثْلَمَا قَالَتْ عَجُوزُ بَنِي إِسْرَائِيلَ^{٨٥٨}

وَعَنْ الْفَضْلِ بْنِ عَبَّاسٍ قَالَ : دَخَلْتُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فِي مَرَضِهِ ، وَعِنْدَ رَأْسِهِ عَصَابَةٌ حَمْرَاءُ - أَوْ قَالَ : صَفْرَاءُ - فَقَالَ : " ابْنِ عَمِّي ، خُذْ هَذِهِ الْعَصَابَةَ فَاشْدُدْ بِهَا رَأْسِي " . فَشَدَّدْتُ بِهَا رَأْسَهُ . قَالَ : ثُمَّ تَوَكَّأَ عَلَيَّ حَتَّى دَخَلْنَا الْمَسْجِدَ فَقَالَ : " يَا أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلَكُمْ وَلَعَلَّهُ أَنْ يَكُونَ قَدْ قَرُبَ مِنِّي خَفُوفٌ مِنْ بَيْنِ أَظْهُرِكُمْ ، فَمَنْ كُنْتُ أَصَبْتُ مِنْ عَرَضِهِ ، أَوْ مِنْ شَعْرِهِ ، أَوْ مِنْ بَشَرِهِ ، أَوْ مِنْ مَالِهِ شَيْئًا ، هَذَا عَرَضُ مُحَمَّدٍ وَشَعْرُهُ ، وَبَشَرُهُ ، وَمَالُهُ فَلْيَقُمْ فَلْيَقْتَصَّ ، وَلَا يَقُولَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَتَخَوَّفُ مِنْ مُحَمَّدٍ الْعَدَاوَةَ وَالشَّحْنََاءَ ، أَلَا وَإِنَّهُمَا لَيْسَا مِنْ طَبِيعَتِي وَلَيْسَا مِنْ خُلُقِي " . قَالَ : ثُمَّ انْصَرَفَ ، فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْعَدِائِيَّةِ ، فَقَالَ : " ابْنِ عَمِّي ، لَا أَحْسِبُ مَقَامِي بِالْأَمْسِ أَحْزَى عَنِّي ، خُذْ هَذِهِ الْعَصَابَةَ فَاشْدُدْ بِهَا رَأْسِي " . قَالَ : فَشَدَّدْتُ بِهَا رَأْسَهُ قَالَ : ثُمَّ تَوَكَّأَ عَلَيَّ حَتَّى دَخَلَ الْمَسْجِدَ ، فَقَالَ مِثْلَ مَقَالَتِهِ بِالْأَمْسِ ، ثُمَّ قَالَ : " فَإِنَّ أَحْبَبَّكُمْ إِلَيْنَا مَنْ اقْتَصَّ " . قَالَ

^{٨٥٧} - صحيح ابن حبان - (٢ / ٥٠٠) (٧٢٣) صحيح

^{٨٥٨} - الأحاد والمثاني - (١ / ٣٤٥) (٤٣٣) صحيح

: فَقَامَ رَجُلٌ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَرَأَيْتَ يَوْمَ أَتَاكَ السَّائِلُ فَسَأَلَكَ ، فَقُلْتَ : " مَنْ مَعَهُ شَيْءٌ يُفْرِضُنَا ؟ " فَأَقْرَضْتِكَ ثَلَاثَةَ دَرَاهِمَ قَالَ : فَقَالَ : " يَا فَضْلُ ، أَعْطِهِ " قَالَ : فَأَعْطَيْتُهُ قَالَ : ثُمَّ قَالَ : " وَمَنْ غَلَبَ عَلَيْهِ شَيْءٌ فَلْيَسْأَلْنَا نَدْعُ لَهُ " . قَالَ : فَقَامَ رَجُلٌ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنِّي رَجُلٌ جَبَانٌ كَثِيرُ النَّوْمِ قَالَ : فَدَعَا لَهُ ، قَالَ الْفَضْلُ : فَلَقَدْ رَأَيْتُهُ أَشْجَعَنَا وَأَقْلَنَا نَوْمًا قَالَ : ثُمَّ أَتَى بَيْتَ عَائِشَةَ فَقَالَ لِلنِّسَاءِ مِثْلَ مَا قَالَ لِلرِّجَالِ ، ثُمَّ قَالَ : " وَمَنْ غَلَبَ عَلَيْهِ شَيْءٌ فَلْيَسْأَلْنَا نَدْعُ لَهُ " . قَالَ : فَأَوْمَأَتْ امْرَأَةٌ إِلَى لِسَانِهَا قَالَ : فَدَعَا لَهَا قَالَ : فَلَرَبِّمَا قَالَتْ لِي : يَا عَائِشَةُ ، أَحْسِنِي صَلَاتِكَ " ٨٥٩

وَعَنْ يَزِيدَ بْنِ بَانُوسَ ، قَالَ ذَهَبْتُ أَنَا وَصَاحِبٌ لِي إِلَى عَائِشَةَ فَاسْتَأْذَنَّا عَلَيْهَا ، فَأَلْقَتْ لَنَا وَسَادَةً ، وَجَدَّيْتُ إِلَيْهَا الْحِجَابَ ، فَقَالَ صَاحِبِي يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ مَا تَقُولِينَ فِي الْعِرَاكِ ؟ قَالَتْ : وَمَا الْعِرَاكِ ، وَضَرَبْتُ مَنْكَبَ صَاحِبِي ، فَقَالَتْ : مَهْ أَدَيْتِ أَخَاكَ ؟ ثُمَّ قَالَتْ : مَا الْعِرَاكِ : الْمَحِيضُ ، فُؤُلُوا : مَا قَالَ اللَّهُ : الْمَحِيضُ ، ثُمَّ قَالَتْ : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَتَوَشَّحُنِي ، وَيَنَالُ مِنْ رَأْسِي ، وَيَبِينِي وَبَيْنَهُ تَوْبٌ ، وَأَنَا حَائِضٌ ، ثُمَّ قَالَتْ : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا مَرَّ بِبَابِي مِمَّا يُلْقِي الْكَلِمَةَ يَنْفَعُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهَا ، فَمَرَّ ذَاتَ يَوْمٍ فَلَمْ يَقُلْ شَيْئًا ، ثُمَّ مَرَّ أَيْضًا فَلَمْ يَقُلْ شَيْئًا ، مَرَّتَيْنِ ، أَوْ ثَلَاثًا ، قُلْتُ : يَا جَارِيَةُ ضَعِي لِي وَسَادَةً عَلَى الْبَابِ ، وَعَصَبْتُ رَأْسِي فَمَرَّ بِي ، فَقَالَ : يَا عَائِشَةُ مَا شَأْنُكَ ؟ فَقُلْتُ : أَشْتَكِي رَأْسِي فَقَالَ : أَنَا وَارَأْسَاهُ ، فَذَهَبَ فَلَمْ يَلْبَثْ إِلَّا يَسِيرًا حَتَّى جِيءَ بِهِ مَحْمُولًا فِي كِسَاءٍ ، فَدَخَلَ عَلَيَّ ، وَبَعَثَ إِلَى النَّسَاءِ ، فَقَالَ : إِنِّي قَدْ اشْتَكَيْتُ ، وَإِنِّي لَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَدُورَ بَيْنَكُنَّ ، فَأَيْدُنِي لِي فَلَا أَكُنُ عِنْدَ عَائِشَةَ فَكُنْتُ أَوْضِعُهُ ، وَلَمْ أَكُنْ أَوْضِعُ أَحَدًا قَبْلَهُ ، فَبَيْنَمَا رَأْسُهُ ذَاتَ يَوْمٍ عَلَى مَنْكَبِي إِذْ مَالَ رَأْسُهُ نَحْوَ رَأْسِي ، فَظَنَنْتُ أَنَّهُ يُرِيدُ مِنْ رَأْسِي حَاجَةً ، فَخَرَجْتُ مِنْ فِيهِ نُطْفَةٌ بَارِدَةٌ ، فَوَقَعَتْ عَلَى نُعْرَةِ نَحْرِي ، فَاقْشَعَرَّ لَهَا جِلْدِي ، فَظَنَنْتُ أَنَّهُ غَشِيَ عَلَيْهِ فَسَجَّيْتُهُ تَوْبًا ، فَجَاءَ عُمَرُ وَالْمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ فَاسْتَأْذَنَا ، فَأَذْنَتْ لَهُمَا ، وَجَدَّيْتُ إِلَيَّ الْحِجَابَ ، فَنَظَرَ عُمَرُ إِلَيْهِ ، فَقَالَ : وَاعْشِيَاهُ مَا أَشَدُّ غَشِيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثُمَّ قَامَا ، فَلَمَّا دَنَوْا مِنَ الْبَابِ قَالَ الْمُغِيرَةُ : يَا عُمَرُ مَاتَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، قَالَ : كَذَبْتَ بَلْ أَنْتَ

٨٥٩ - مُسْنَدُ أَبِي يَعْلَى الْمُوصِلِيِّ (٦٦٧٥) صحيح

رَجُلٌ تَحُوسُكَ فِئْتَهُ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَا يَمُوتُ حَتَّى يُفْنِيَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الْمُنَافِقِينَ ، ثُمَّ جَاءَ أَبُو بَكْرٍ فَرَفَعَتْ الْحِجَابَ فَنَظَرَ إِلَيْهِ ، فَقَالَ : إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ، مَاتَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، ثُمَّ أَتَاهُ مِنْ قَبْلِ رَأْسِهِ فَحَدَرَ فَاهُ ، وَقَبَّلَ جَبْهَتَهُ ، ثُمَّ قَالَ : وَابْتِيَاهُ ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ ثُمَّ حَدَرَ فَاهُ وَقَبَّلَ جَبْهَتَهُ ، ثُمَّ قَالَ : وَاصْفِيَاهُ ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ وَحَدَرَ فَاهُ وَقَبَّلَ ، وَقَالَ : وَاحْلِيلَاهُ مَاتَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، فَخَرَجَ إِلَى الْمَسْجِدِ وَعُمَرُ يَخْطُبُ النَّاسَ وَيَتَكَلَّمُ ، وَيَقُولُ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَا يَمُوتُ حَتَّى يُفْنِيَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الْمُنَافِقِينَ ، فَتَكَلَّمَ أَبُو بَكْرٍ فَحَمِدَ اللَّهَ ، وَأَتَى عَلَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ : إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ : { إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ } حَتَّى فَرَعَ مِنَ الْآيَةِ { وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ ، أَفَإِنْ مَاتَ ، أَوْ قُتِلَ ، انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ } حَتَّى فَرَعَ مِنَ الْآيَةِ ، فَمَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ حَيٌّ ، وَمَنْ كَانَ يَعْبُدُ مُحَمَّدًا ، فَإِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ مَاتَ ، فَقَالَ عُمَرُ : أَوَّيْهَا لَفِي كِتَابِ اللَّهِ مَا شَعَرْتُ أَنَّهَا فِي كِتَابِ اللَّهِ ، ثُمَّ قَالَ عُمَرُ : يَا أَيُّهَا النَّاسُ هَذَا أَبُو بَكْرٍ وَهُوَ ذُو شَيْبَةٍ الْمُسْلِمِينَ فَبَايَعُوهُ فَبَايَعُوهُ . " ٨٦٠ "

وَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ، قَالَ : خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ زَائِرًا لِسَعْدِ بْنِ الرَّبِيعِ الْأَنْصَارِيِّ ، وَمَنْزِلُهُ بِالْأَسْوَاقِ فَبَسَطَتْ امْرَأَةٌ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ تَحْتَ صُورٍ مِنْ نَخْلِ ، فَجَلَسَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَجَلَسْنَا مَعَهُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " يَطْلُعُ عَلَيْكُمْ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَطَلَعَ أَبُو بَكْرٍ " ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " يَطْلُعُ عَلَيْكُمْ الْآنَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ " فَطَلَعَ عُمَرُ ثُمَّ قَالَ : " يَطْلُعُ عَلَيْكُمْ الْآنَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ اللَّهُمَّ إِنِّي شِئْتُ جَعَلْتَهُ عَلِيًّا " . ثُمَّ جَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُطَاطِئُ رَأْسَهُ مِنْ تَحْتِ الصُّورِ يَنْظُرُ طُلُوعَ عَلِيٍّ فَطَلَعَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ " قَالَ جَابِرٌ : فَهَنَأْنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بِذَلِكَ قَالَ : وَذَبِحَتْ لَنَا امْرَأَةٌ سَعْدِ بْنِ الرَّبِيعِ شَاةً فَصَنَعَتْ طَعَامًا ، ثُمَّ قَدَّمَتْهُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَكَلَ وَأَكَلْنَا مَعَهُ ، وَلَمْ يَتَوَضَّأْ ، وَلَمْ يَتَوَضَّأْ مِنَّا أَحَدٌ . قَالَ جَابِرٌ : فَرَدَّتْ امْرَأَةٌ سَعْدِ بْنِ الرَّبِيعِ الطَّعَامَ ؛ فَأَكَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَكَلْنَا مَعَهُ ثُمَّ حَضَرَتْ صَلَاةُ الْعَصْرِ فَصَلَّى وَصَلَّيْنَا مَعَهُ وَلَمْ يَتَوَضَّأْ مِنَّا أَحَدٌ " ٨٦١ "

٨٦٠ - مسند أحمد (عالم الكتب) - (٨ / ٤٢٧) (٢٥٨٤١) (٢٦٣٦٥) - حسن

٨٦١ - مُسْنَدُ الشَّامِيِّ لِلطَّبْرَانِيِّ (٦٣٥) - حسن

الخلاصة :

- (١) على المعلم أن ينتهز جميع المناسبات ليعلم طلابه .
- (٢) التعليم المناسب لظروفه أدعى للقبول والفهم والتطبيق.
- (٣) الرسول ﷺ كان ينتهز جميع الفرص والمناسبات لتعليم أصحابه .
- (٤) ليس من الحكمة الحديث عن موضوع يعارض المناسبة العامة، كمن يحث على الزواج في مناسبة الموت، و كمن يتحدث عن الموت ليلة الزفاف .

[٣٢] القراءة على العالم :

القراءة على العلم والشيخ تعتبر من أهم الطرق العلمية للحفظ والفهم، لأن الطالب لا يمكن أن يشرّد ذهنه في هذه الحال، فهو يقرأ والكل يسمع، وقد اعتبرها المحدثون أعلى درجات الضبط، وحقّ لهم ذلك

والمعنى أن الطالب يقرأ في الكتاب الذي ألفه العالم، والباقي يسمعون، والشيخ يصحح له أو زملاؤه إن قدروا على ذلك، والشيخ يعلق ويعقب ويشرح ويملي عليهم، وهم يكتبون ذلك، وربما كتب ذلك على السبورة وهو الأفضل .

فَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ؛ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ مِنْ أَحْوَدِ النَّاسِ، وَأَحْوَدُ مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ، حِينَ يَلْقَاهُ جِبْرِيلُ، يَلْقَاهُ كُلَّ لَيْلَةٍ يُدَارِسُهُ الْقُرْآنَ، فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَ يَلْقَاهُ جِبْرِيلُ، أَحْوَدَ مِنَ الرَّيْحِ الْمُرْسَلَةِ. ^{٨٦٢}

قال ابن عثيمين : " كان النبي ﷺ يتزل عليه جبريل في رمضان كل ليلة يدارسه القرآن من أجل أن يثبتته في قلبه وأن يحصل الثواب بالمدارسة بينه وبين جبريل وجبريل عليه السلام يتزل لكن على كيفية لا نعلمها لأنه ملك من الملائكة والملائكة لا يرون إلا إذا

^{٨٦٢} - مسند أحمد (عالم الكتب) - (١ / ٩٢٧) (٣٥٣٩) صحيح

شاء الله عز وجل كان رسول الله ﷺ حين يلقاه جبريل فيدارسه القرآن أجود بالخير من الريح المرسلة أي أنه يسارع إلى الخير ﷺ ويوجد به حتى إنه أسرع من الريح المرسلة يعني التي أرسلها الله عز وجل فهي سريعة عاصفة ومع ذلك فالرسول ﷺ أجود بالخير من هذه الريح في رمضان .^{٨٦٣}

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ قَالَ لِي النَّبِيُّ - ﷺ - « أَقْرَأُ عَلَىَّ » . قُلْتُ أَقْرَأُ عَلَيْكَ وَعَلَيْكَ أَنْزَلَ قَالَ « فَإِنِّي أَحِبُّ أَنْ أَسْمَعَهُ مِنْ غَيْرِي » . فَقَرَأْتُ عَلَيْهِ سُورَةَ النَّسَاءِ حَتَّى بَلَغْتُ { فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا } (٤١) سورة النساء قَالَ « أَمْسِكْ » . فَإِذَا عَيْنَاهُ تَذَرَفَانِ^{٨٦٤} .

وَعَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ يَزِيدَ التَّمِيمِيِّ قَالَ كُنْتُ أَقْرَأُ عَلَى أَبِي الْقُرْآنِ فِي السُّدَّةِ فَإِذَا قَرَأْتُ السَّجْدَةَ سَجَدَ فَقُلْتُ لَهُ يَا أَبَتِ أَتَسْجُدُ فِي الطَّرِيقِ قَالَ إِنِّي سَمِعْتُ أَبَا ذَرٍّ يَقُولُ سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - عَنْ أَوَّلِ مَسْجِدٍ وُضِعَ فِي الْأَرْضِ قَالَ « الْمَسْجِدُ الْحَرَامُ » . قُلْتُ ثُمَّ أَيُّ قَالَ « الْمَسْجِدُ الْأَقْصَى » . قُلْتُ كَمْ بَيْنَهُمَا قَالَ « أَرْبَعُونَ عَامًا ثُمَّ الْأَرْضُ لَكَ مَسْجِدٌ فَحَيْثُمَا أَدْرَكْتِكَ الصَّلَاةُ فَصَلِّ »^{٨٦٥} .

وقد يكون بالعكس فالعالم يقرأ على المتعلم، فعن أنس - رضى الله عنه - قَالَ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ - « لِأُبَيِّ » « إِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي أَنْ أَقْرَأَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ » . قَالَ أُبَيُّ اللَّهُ سَمَانِي لَكَ قَالَ « اللَّهُ سَمَّاكَ لِي » . فَجَعَلَ أُبَيُّ يَبْكِي . قَالَ قَتَادَةُ فَأُنْبِتُ أَنَّهُ قَرَأَ عَلَيْهِ { لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ } (١) سورة البينة..^{٨٦٦}

الخلاصة :

(١) القراءة على الشيخ من أقوى طرق الحفظ

^{٨٦٣} - شرح رياض الصالحين لابن عثيمين - (٤ / ٣٧٠)

^{٨٦٤} - صحيح البخارى - المكثر - (٤٥٨٢) وصحيح مسلم - المكثر - (١٩٠٣)

^{٨٦٥} - صحيح مسلم - المكثر - (١١٩٠)

السدة : الظلال المسقفة عند باب المسجد وحوله وأصله الباب والظلة تجعل فوقه

^{٨٦٦} - صحيح البخارى - المكثر - (٤٩٦٠)

- (٢) اعتنى الرسول ﷺ والسلف الصالح بهذه الطريقة اعتناءً فائقاً .
- (٣) قد يقرأ الشيخ على تلميذه من أجل شد انتباهه، ومراجعة معلوماته .

[٣٢] ترك الجدل والتنازع الذي يؤدي إلى نسيان المعلم بعض أفكاره:

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الصَّامِتِ، أَنَّهُ قَالَ : خَرَجَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ لِيُخْبِرَنَا بَلِيَّةَ الْقَدْرِ، فَتَلَا حَى رَجُلَانِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، فَقَالَ : خَرَجْتُ لَأُخْبِرَكُمْ بَلِيَّةَ الْقَدْرِ فَتَلَا حَى فُلَانٌ وَفُلَانٌ، فَرَفَعْتُ، وَعَسَى أَنْ يَكُونَ خَيْرًا لَكُمْ، فَالْتَمِسُوهَا فِي التَّاسِعَةِ وَالسَّابِعَةِ وَالْخَامِسَةِ. ^{٨٦٧}

تلاحي : تنازع وتخاصم .

فجدال الصحابة رضي الله عنهم حول ليلة القدر أنسى النبي ﷺ ما كان يريد إخبارهم به حولها .

وهكذا أي تنازع وخصام أثناء درس العلم يؤدي لضياعه، وعدم تركيز المعلم .

وَعَنْ أَنَسٍ، قَالَ : خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ بَابِ الْبَيْتِ وَهُوَ يُرِيدُ الْحُجْرَةَ، فَسَمِعَ قَوْمًا يَتَنَازَعُونَ فِي الْقَدْرِ، وَهُمْ يَقُولُونَ : أَلَمْ يَقُلِ اللَّهُ آيَةَ كَذَا وَكَذَا ؟ أَلَمْ يَقُلِ اللَّهُ آيَةَ كَذَا وَكَذَا ؟ قَالَ : فَفَتَحَ النَّبِيُّ ﷺ بَابَ الْحُجْرَةِ، فَكَأَنَّمَا فُقِيَ فِي وَجْهِهِ حَبُّ الرُّمَّانِ، فَقَالَ : أَبْهَذَا أَمَرْتُمْ أَوْ بِهَذَا عَنِيتُمْ ؟ إِنَّمَا هَلَكَ مَنْ قَبْلَكُمْ بِأَشْبَاهِ هَذَا، ضَرَبُوا كِتَابَ اللَّهِ بَعْضُهُ بِبَعْضٍ، أَمَرَكُمْ اللَّهُ بِأَمْرٍ فَاتَّبِعُوهُ، وَنَهَاكُمْ فَانْتَهُوا، قَالَ : فَلَمْ يَسْمَعْ النَّاسُ بَعْدَ ذَلِكَ أَحَدًا يَتَكَلَّمُ حَتَّى جَاءَ مَعْبُدُ الْجَهَنِّيُّ فَأَخَذَهُ الْحَجَّاجُ فَقَتَلَهُ ^{٨٦٨}

الخلاصة :

- (١) النهي عن الجدل والتنازع في درس العلم .

^{٨٦٧} - صحيح ابن حبان - (٨ / ٤٣٥) (٣٦٧٩) وصحيح البخارى - المكثر - (٢٠٢٣)

^{٨٦٨} - مسند أبي يعلى الموصلي مشكل - (٣ / ١٧٧) (٣١٢١) صحيح

(٢) الجدل والتزاع يؤدي إلى نسيان الكثير مما يريد أن يعطيه المعلم .

(٣) إذا أشكل شيء على المتعلمين فعليهم بسؤال معلمهم.

[٢٤] النهي عن كثرة الأسئلة على المعلم :

عَنْ مَالِكِ بْنِ مَرْثَدٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ : قُلْتُ لِأَبِي ذَرٍّ سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - عَنْ لَيْلَةِ الْقَدْرِ قَالَ : أَنَا كُنْتُ أَسْأَلُ عَنْهَا يَعْنِي أَشَدَّ النَّاسِ مَسْأَلَةً عَنْهَا فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَخْبِرْنِي عَنْ لَيْلَةِ الْقَدْرِ أَفِي رَمَضَانَ يَعْنِي أَوْ فِي غَيْرِهِ؟ قَالَ : « لَا بَلْ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ » . فَقُلْتُ : يَا نَبِيَّ اللَّهِ أَتَكُونُ مَعَ الْأَنْبِيَاءِ مَا كَانُوا فَإِذَا قُبِضَتِ الْأَنْبِيَاءُ وَرُفِعُوا رُفِعَتْ مَعَهُمْ أَوْ هِيَ إِلَيَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ : « لَا بَلْ هِيَ إِلَيَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » . قَالَ قُلْتُ : فَأَخْبِرْنِي فِي أَيِّ شَهْرِ رَمَضَانَ هِيَ؟ قَالَ : « التَّمَسُّوْهَا فِي الْعَشْرِ الْأَوَّخِرِ وَالْعَشْرِ الْأَوَّلِ » . ثُمَّ حَدَّثَ نَبِيُّ اللَّهِ - ﷺ - وَحَدَّثَ فَاهْتَبَلْتُ غَفْلَتُهُ فَقُلْتُ : يَا نَبِيَّ اللَّهِ أَخْبِرْنِي فِي أَيِّ عَشْرٍ هِيَ؟ قَالَ : « التَّمَسُّوْهَا فِي الْعَشْرِ الْأَوَّخِرِ، وَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ بَعْدَ هَذَا » . ثُمَّ حَدَّثَ وَحَدَّثَ فَاهْتَبَلْتُ غَفْلَتُهُ فَقُلْتُ : أَقَسَمْتُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ بِحَقِّي عَلَيْكَ لِتُحَدِّثَنِي فِي أَيِّ الْعَشْرِ هِيَ؟ فَغَضِبَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - غَضِبًا مَا غَضِبَ عَلَيَّ مِنْ قَبْلُ وَلَا بَعْدُ، ثُمَّ قَالَ : « التَّمَسُّوْهَا فِي السَّبْعِ الْأَوَّخِرِ وَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ بَعْدُ » ^{٨٦٩}.

وعن أبي مرثد: جَلَسْتُ عِنْدَ أَبِي ذَرٍّ عِنْدَ الْجَمْرَةِ الْوُسْطَى، فَدَنَوْتُ مِنْهُ حَتَّى كَادَتْ رُكْبَتِي تَمَسُّ رُكْبَتَيْهِ، فَقُلْتُ : أَخْبِرْنِي عَنْ لَيْلَةِ الْقَدْرِ، فَقَالَ : أَنَا كُنْتُ أَسْأَلُ النَّاسَ عَنْهَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَخْبِرْنِي عَنْ لَيْلَةِ الْقَدْرِ تَكُونُ فِي زَمَانِ الْأَنْبِيَاءِ يَنْزِلُ عَلَيْهِمُ الْوَحْيُ، فَإِذَا قُبِضُوا رُفِعَتْ؟ فَقَالَ : بَلْ هِيَ إِلَيَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَأَخْبِرْنِي فِي أَيِّ الشَّهْرِ هِيَ؟ فَقَالَ : إِنَّ اللَّهَ لَوْ أَدِنَ لَأَخْبِرْتُكُمْ بِهَا فَالْتَمَسُوْهَا فِي الْعَشْرِ الْأَوَّخِرِ فِي إِحْدَى السَّبْعِينَ، وَلَا تَسْأَلْنِي عَنْهَا بَعْدَ مَرَّتِكَ هَذِهِ، قَالَ : وَأَقْبَلَ عَلَيَّ

^{٨٦٩} - السنن الكبرى للبيهقي - حيدر آباد - (٤ / ٣٠٧) (٨٧٨٨) صحيح

أَصْحَابِهِ يُحَدِّثُهُمْ، فَلَمَّا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ اسْتَطْلَقَ بِهِ الْحَدِيثُ، فَقُلْتُ : أُقَسِّمْتُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ لَتُخْبِرَنِي فِي أَيِّ السَّبْعِينَ هِيَ ؟ قَالَ : فَغَضِبَ عَلَيَّ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ عَلَيَّ مِثْلَهُ، وَقَالَ : لَا أُمَّ لَكَ، هِيَ تَكُونُ فِي السَّبْعِ الْأَوَاخِرِ.^{٨٧٠}

الخلاصة :

- (١) كثرة الأسئلة على المعلم قد توقعه في الحرج والإرباك .
- (٢) لا يجوز الإكثار من الأسئلة على المعلم إذا كان غير مهياً لها .
- (٣) ينبغي على العالم تعويد طلابه على كيفية الأسئلة وعلى وقتها، إلا إذا طلب منهم أن يسألوه .

[٣٥] حَضُّهُ ﷺ عَلَى مَحْوِ الْعَامِيَّةِ وَتَحْذِيرُهُ مِنَ الْفُتُورِ فِي التَّعْلِيمِ وَالتَّعَلُّمِ :

ولا غرابة أن يتخرَّجَ على يديه ﷺ هذا العددُ الجُمُ الغفيرُ من الناس، في فترة وجيزةٍ من الزمن، فإنه قد سَلَكَ بهم ﷺ مسلكَ التعليمِ الجماعيِ المستنفرِ، ودَفَعَهُمْ إلى مَحْوِ الْعَامِيَّةِ دَفْعًا، وَحَضَّهُمْ على ذلك وَنَدَبَهُمْ إليه، وَحَذَّرَهُمْ مِنَ الْفُتُورِ فِيهِ تَحْذِيرًا شَدِيدًا ولذلك أَقْبَلَ أولئك الناسَ يَتَلَقَّوْنَ الْعِلْمَ، وَيَتَفَقَّهُونَ فِي الدِّينِ، وَيُعَلِّمُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، وَيَتَعَلَّمُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ، حَتَّى أَزَالُوا الْعَامِيَّةَ عَنْهُمْ فِي وَقْتٍ قَصِيرٍ عَاجِلٍ .

فَعَنْ عُلُقَمَةَ بْنِ سَعْدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي زَيْدٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ قَالَ : خَطَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - ذَاتَ يَوْمٍ فَأَنْتَى عَلَى طَوَائِفَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ خَيْرًا، ثُمَّ قَالَ : " مَا بَالُ أَقْوَامٍ لَأَ يَفْقَهُونَ جِوَارَهُمْ^٣ ، وَلَا يُعَلِّمُونَهُمْ، وَلَا يَعِظُونَهُمْ، وَلَا يَأْمُرُونَهُمْ، وَلَا يَنْهَوْنَهُمْ . وَمَا بَالُ أَقْوَامٍ

^{٨٧٠} - صحيح ابن حبان - (٨ / ٤٣٩) (٣٦٨٣) صحيح

^٣ أشار النبي ﷺ بقوله : (ما بال أقوام لا يفقهون جوارهم ...) ، إلى عِظَمِ حَقِّهِمْ عَلَى إِخْوَانِهِمِ الْعَالَمِينَ ، وَجِوَارِهِمِ الْعَارِفِينَ ، وَذَلِكَ لِحَقِّ أُخُوَّةِ الْإِسْلَامِ بَيْنَهُمْ ، وَلِحَقِّ الْجِوَارِ مَعَهَا أَيْضًا . وَحَقُّ الْجِوَارِ فِي الْإِسْلَامِ كَأَنَّ يَكُونُ بِمِثْلَةِ حَقِّ الرَّحْمِ الْمَوْجِبِ لِلْمِيرَاثِ : فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ - الْمَكْتَرِ - (٦٠١٥) عَنْ ابْنِ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ قَالَ

لَا يَتَعَلَّمُونَ مِنْ جِيرَانِهِمْ، وَلَا يَتَفَقَّهُونَ، وَلَا يَتَعَطُّونَ . وَاللَّهُ لَيُعَلِّمَنَّ قَوْمَ جِيرَانِهِمْ، وَيُفَقِّهُوهُمْ وَيَعَطُّوهُمْ، وَيَأْمُرُوهُمْ، وَيَنْهَوهُمْ، وَلَيَتَعَلَّمَنَّ قَوْمٌ مِنْ جِيرَانِهِمْ، وَيَتَفَقَّهُونَ، وَيَتَعَطُّونَ، أَوْ لَأَعَاجَلَنَّهُمُ الْعُقُوبَةُ "، ثُمَّ نَزَلَ فَقَالَ قَوْمٌ : مَنْ تَرَوْنَهُ عَنِّي بِهِؤُلَاءِ ؟ قَالَ : الْأَشْعَرِيِّينَ، هُمْ قَوْمٌ فَقَهَاءٌ، وَلَهُمْ جِيرَانٌ جُفَاءٌ مِنْ أَهْلِ الْمِيَاهِ وَالْأَعْرَابِ، فَبَلَغَ ذَلِكَ الْأَشْعَرِيِّينَ، فَأَتَوْا رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - فَقَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ، ذَكَرْتَ قَوْمًا بِخَيْرٍ، وَذَكَرْتَنَا بِشَرٍّ، فَمَا بَالُنَا ؟ فَقَالَ : " لَيُعَلِّمَنَّ قَوْمٌ جِيرَانَهُمْ، وَلَيَفَقِّهَنَّهُمْ، وَلَيَفْطَنَنَّهُمْ، وَلَيَأْمُرَنَّهُمْ، وَلَيَنْهَوَنَّهُمْ، وَلَيَتَعَلَّمَنَّ قَوْمٌ مِنْ جِيرَانِهِمْ، وَيَتَفَقَّهُونَ، وَيَتَعَطُّونَ، أَوْ لَأَعَاجَلَنَّهُمُ الْعُقُوبَةُ فِي الدُّنْيَا "، فَقَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنْفَطُنْ غَيْرَنَا ؟ فَأَعَادَ قَوْلَهُ عَلَيْهِمْ، وَأَعَادُوا قَوْلَهُمْ : أَنْفَطُنْ غَيْرَنَا ؟ فَقَالَ ذَلِكَ أَيْضًا، فَقَالُوا : أَمَهَلْنَا سَنَةً، فَأَمَهَلَهُمْ سَنَةً لِيَفَقَّهُوهُمْ، وَيَعْلَمُوهُمْ، وَيُفْطَنُوهُمْ، ثُمَّ قرأ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - هَذِهِ الْآيَةَ { لَعْنُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ (٧٨) } كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنِ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ (٧٩) } سورة المائدة. " رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي الْكَبِيرِ ٨٧١

رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - « مَا زَالَ جِبْرِيلُ يُوصِينِي بِالْجَارِ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُورُنِي » . فقد نبه عليه الصلاة والسلام بهذا على أن الجار قارب أن يكون وارثاً من مال جاره ، بسبب الجوار ، وهو قُربُ الدار . وللجار مراتب : منها الملاصقة ، ومنها المخالطة ، بأن يجمعهما مسجداً أو مدرسة أو محلة أو سوق أو نحو ذلك ، والميراث قسمان : حسي ومعنوي ، فالحسي هو المال ، والمعنوي هو العلم ، فإن حقَّ الجار على جاره تعليمه ما يجب وما ينفع ، وأنفع ما ينفع هو العلم ، فهو من أكد حقوق الجار على الجار ، صلواتُ الله وسلامه على معلِّم الناس الخير ، وهادي البشر جميعاً .

٨٧١ - معرفة الصحابة لأبي نعيم - (١١١٨) وجمع الزوائد - (بابٌ في تعلِّم من لا يعلم) (٧٤٨) حسن وهذا الذي جزم به الحافظ المنذري في ((الترغيب والترهيب)) فإنه أورده فيه بلفظ ((عن علقمة...)). واصطلاحه في هذا التعبير كما أفصح عنه في أول كتابه ص ٣ بقوله : ((فإذا كان إسناد الحديث صحيحاً أو حسناً أو ما قاربهما : صدرته بلفظة (عن) . وإذا كان في الإسناد من قيل فيه : كذاب ... أو ضعيف فقط ، أو لم أر فيه توثيقاً بحيث لا يتطرق إليه احتمال التحسين : صدرته بلفظة (رُوي) . ولا أذكر ما قيل في ذلك الراوي البتة . فيكون للإسناد الضعيف دالتان : تصديره بلفظة (رُوي) ، و: إهمال الكلام عليه في آخره)). . فالحديث حسنٌ أو يُقَارَبُهُ عند الحافظ المنذري . والحمد لله رب العالمين

وقال الشيخ العلامة الجليل مصطفى الزرقا رحمه الله تعالى في كتابه العظيم ((المدخل
 الفقهي العام))^{٨٧٢}، تعليقا على هذا الحديث الشريف ما يلي : ((إن هذا الموقف العظيم
 في اعتبار التقصير في التعليم والتعلم جريمة اجتماعية، يستحق مرتكبها العقوبة الدنيوية :
 موقف لم يرو التاريخ له مثيلاً في تقديس العلم، قبل النبي ﷺ ولا بعده
 ويدخل في ارتكاب المنكر و استحقات العقوبة التعزيرية عليه : إهمال الواجبات
 الدينية، ومن حملتها : التعليم والتعلم . فإذا قصر العالم في واجب التعليم، أو قصر الجاهل في
 تعلم القدر الواجب شرعاً من العلم : استحقاق عقوبة التعزير على التقصير، فعن ابن
 عمر، قال : قال رسول الله ﷺ : **طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ**.^{٨٧٣} ولفظ (اللمسلم)
 هنا : يشمل الرجل والمرأة، لأن الحكم منوط بصفة مشتركة هي الإسلام)). انتهى كلام
 العلامة مصطفى الزرقا رحمه الله .

وأضيف إليه فيما يتعلق بحديث ((**طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ**)) : أنه لما ناط النبي
 ﷺ فرض طلب العلم باتصاف المرء بالإسلام رجلاً كان أو امرأة ، كان في ذلك تنبيه منه
 ﷺ على أن كل من انتسب إلى الإسلام لزمه طلب العلم وتحصيله، إذ لا جهل في شرعة
 الإسلام الذي أول كلمة من كتابه نزلت تقول : (أقرأ باسم ربك الذي خلق (١) خلق
 الإنسان من علق (٢) اقرأ وربك الأكرم (٣) الذي علم بالقلم (٤) علم الإنسان ما لم
 يعلم (٥) [العلق : ١ - ٥] .

فأما آثار هذا الحادث الهائل في حياة البشرية كلها فقد بدأت منذ اللحظة الأولى. بدأت
 في تحويل خط التاريخ، منذ أن بدأت في تحويل خط الضمير الإنساني .. منذ أن تحددت
 الجهة التي يتطلع إليها الإنسان ويتلقى عنها تصوراته وقيمه وموازينه .. إنها ليست الأرض
 وليس الهوى .. إنما هي السماء والوحي الإلهي.

^{٨٧٢} - ٢ : ٦٤١ من الطبعة السابعة ، في الفقرة ٣٣٥ .

^{٨٧٣} - الفوائد لتمام (٥١-٥٦) من طرق متعددة وهو صحيح لغيره

ومنذ هذه اللحظة عاش أهل الأرض الذين استقرت في أرواحهم هذه الحقيقة .. في كنف الله ورعايته المباشرة الظاهرة. عاشوا يتطلعون إلى الله مباشرة في كل أمرهم. كبيره وصغيره. يحسون ويتحركون تحت عين الله.

ويتوقعون أن تمتد يده - سبحانه - فتنتقل خطاهم في الطريق خطوة خطوة. تردهم عن الخطأ وتقودهم إلى الصواب .. وفي كل ليلة كانوا يبيتون في ارتقاب أن يتزل عليهم من الله وحي يحدتهم بما في نفوسهم، ويفصل في مشكلاتهم، ويقول لهم : خذوا هذا ودعوا ذلك! ولقد كانت فترة عجيبة حقا. فترة الثلاثة والعشرين عاما التالية، التي استمرت فيها هذه الصلة الظاهرة المباشرة بين البشر والملائ الأعلى. فترة لا يتصور حقيقتها إلا الذين عاشوها. وأحسوها. وشهدوا بدأها ونهايتها. وذاقوا حلاوة هذا الاتصال. وأحسوا يد الله تنقل خطاهم في الطريق. ورأوا من أين بدأوا وإلى أين انتهوا ..

وهي مسافة هائلة لا تقاس بأي مقياس من مقاييس الأرض. مسافة في الضمير لا تعدلها مسافة في الكون الظاهر، ولا يماثلها بعد بين الأجرام والعوالم! المسافة بين التلقي من الأرض والتلقي من السماء. بين الاستمداد من الهوى والاستمداد من الوحي. بين الجاهلية والإسلام. بين البشرية والربانية، وهي أبعد مما بين الأرض والسماء في عالم الأجرام! وكانوا يعرفون مذاقها. ويدركون حلاوتها. ويشعرون بقيمتها، ويحسون وقع فقدانها حينما انتقل رسول الله - ﷺ - إلى الرفيق الأعلى، وانقطعت هذه الفترة العجيبة التي لا يكاد العقل يتصورها لولا أنها وقعت حقا.

فَعَنْ أَنَسٍ قَالَ قَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بَعْدَ وَفَاةِ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - لِعُمَرَ انْطَلِقْ بِنَا إِلَى أُمَّ أَيْمَنَ نَزُورُهَا كَمَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - يَزُورُهَا. فَلَمَّا انْتَهَيْنَا إِلَيْهَا بَكَتُ فَقَالَا لَهَا مَا يُبْكِيكِ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِرَسُولِهِ - ﷺ -. فَقَالَتْ مَا أَبْكِي أَنْ لَا أَكُونُ أَعْلَمُ أَنَّ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِرَسُولِهِ - ﷺ - وَلَكِنْ أَبْكِي أَنَّ الْوَحْيَ قَدْ انْقَطَعَ مِنَ السَّمَاءِ. فَهَيَّجَتْهُمَا عَلَى الْبُكَاءِ فَجَعَلَا يَبْكِيَانِ مَعَهَا... (أخرجه مسلم) ...^{٨٧٤}

^{٨٧٤} - صحيح مسلم - المكثر - (٦٤٧٢)

ولقد ظلت آثار هذه الفترة تعمل في حياة البشر منذ تلك اللحظة إلى هذه اللحظة، وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

لقد ولد الإنسان من جديد باستمداد قيمه من السماء لا من الأرض، واستمداد شريعته من الوحي لا من الهوى .

لقد تحول خط التاريخ كما لم يتحول من قبل قط، وكما لم يتحول من بعد أيضا. وكان هذا الحدث هو مفرق الطريق. وقامت المعالم في الأرض واضحة عالية لا يطمسها الزمان، ولا تطمسها الأحداث. وقام في الضمير الإنساني تصور للوجود وللحياة وللقيم لم يسبق أن اتضح. يمثل هذه الصورة، ولم يجيء بعده تصور في مثل شموله ونصاعته وطلاقاته من اعتبارات الأرض جميعا، مع واقعيته وملاءمته للحياة الإنسانية. ولقد استقرت قواعد هذا المنهج الإلهي في الأرض! وتبينت خطوطه ومعامله. «ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة» .. لا غموض ولا إبهام. إنما هو الضلال عن علم، والانحراف عن عمد، والالتواء عن قصد! إنه الحادث الفذ في تلك اللحظة الفريدة. الحادث الكوني الذي ابتدأ به عهد في هذه الأرض وانتهى عهد.

والذي كان فرقانا في تاريخ البشر لا في تاريخ أمة ولا جيل. والذي سجلته جنابات الوجود كله وهي تتجاوب به، وسجله الضمير الإنساني. وبقي أن يتلفت هذا الضمير اليوم على تلك الذكرى العظيمة ولا ينساها. وأن يذكر دائما أنه ميلاد جديد للإنسانية لم يشهده إلا مرة واحدة في الزمان ...^{٨٧٥}

قلت : ومما يدل على وجوب نشر العلم بين المسلمين، الأحاديث التالية، فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً، وَحَدَّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا حَرَجَ، وَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ.^{٨٧٦}

^{٨٧٥} - في ظلال القرآن موافقا للمطبوع - (٦ / ٣٩٣٧)

^{٨٧٦} - صحيح ابن حبان - (١٤ / ١٤٩) (٦٢٥٦) وصحيح البخارى - المكثر - (٣٤٦١)
قَالَ أَبُو حَاتِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَوْلُهُ : بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً أَمْرٌ قَصَدَ بِهِ الصَّحَابَةُ ، وَيَدْخُلُ فِي جُمْلَةِ هَذَا الْحَطَّابِ مَنْ كَانَ يُوَصِّفُهُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ فِي تَبْلِيغِ مَنْ بَعَدَهُمْ عَنْهُ ﷺ ، وَهُوَ فَرَضٌ عَلَى الْكِفَايَةِ إِذَا قَامَ الْبَعْضُ بِتَبْلِيغِهِ سَقَطَ عَنِ الْآخَرِينَ

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : نَضَرَ اللَّهُ أَمْرًا سَمِعَ مِنَّا حَدِيثًا فَبَلَّغَهُ كَمَا سَمِعَهُ، فَرُبَّ مُبَلِّغٍ أَوْعَى مِنْ سَامِعٍ.^{٨٧٧}

وَعَنْ أَبِي بَكْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ خَطَبَنَا النَّبِيُّ ﷺ - يَوْمَ النَّحْرِ، قَالَ « أَتَدْرُونَ أَيُّ يَوْمٍ هَذَا » . قُلْنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ . فَسَكَتَ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ . قَالَ « أَلَيْسَ يَوْمَ النَّحْرِ » . قُلْنَا بَلَى . قَالَ « أَيُّ شَهْرٍ هَذَا » . قُلْنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ . فَسَكَتَ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ . قُلْنَا بَلَى . قَالَ « أَيُّ بَلَدٍ هَذَا » . قُلْنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ . فَسَكَتَ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ . قَالَ « أَلَيْسَتْ بِالْبَلَدَةِ الْحَرَامِ » . قُلْنَا بَلَى . قَالَ « فَإِنْ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا، إِلَى يَوْمٍ تَلْقَوْنَ رَبَّكُمْ . أَلَا هَلْ بَلَّغْتُ » . قَالُوا نَعَمْ . قَالَ « اللَّهُمَّ اشْهَدْ، فَلْيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الْعَائِبِ، فَرُبَّ مُبَلِّغٍ أَوْعَى مِنْ سَامِعٍ، فَلَا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ » .^{٨٧٨}

الخلاصة :

- (١) الإسلام أول دين يدعو لطلب العلم
- (٢) طلب العلم فريضة على كل مسلم
- (٣) الجهل والامية ليست من صفات المسلمين
- (٤) واجب على من تعلم علماً أن يعلمه لمن يجهله ويستحقه .

[٣٦] تعليمه ﷺ بالسيرة الحسنة والخلق العظيم:

فَرَضُهُ، وَإِنَّمَا يَلْزَمُ فَرَضِيَّتَهُ مَنْ كَانَ عِنْدَهُ مِنْهُ مَا يَعْلَمُ أَنَّهُ لَيْسَ عِنْدَ غَيْرِهِ، وَأَنَّهُ مَتَى امْتَنَعَ عَنْ بَيْتِهِ، خَانَ الْمُسْلِمِينَ، فَحِينَئِذٍ يَلْزَمُهُ فَرَضُهُ.

^{٨٧٧} - صحيح ابن حبان - (١ / ٢٦٨) (٦٦) صحيح

^{٨٧٨} - صحيح البخاري - المكثر - (١٧٤١)

كان من أهم وأعظم وأبرز أساليبه ﷺ في التعليم العمل والتخلق بالسيرة الحسنة والخلق العظيم، فكان ﷺ إذا أمر بشيء عمل به أولاً ثم تأسى به الناس وعملوا كما رأوه، وكان خلقه القرآن، فكان على الخلق العظيم، وجعله الله تعالى أسوة حسنة لعباده، فقال عز من قائل: {لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا} (٢١) سورة الأحزاب.

فهو ﷺ أسوة لأمته في أخلاقه وأفعاله وأحواله .

ولا ريب أن التعليم بالفعل والعمل أقوى وأوقع في النفس، وأعون على الفهم والحفظ، وأدعى إلى الاقتداء والتأسي، من التعليم بالقول والبيان، وأن التعليم بالفعل والعمل هو الأسلوب الفطري للتعليم، فكان ذلك أبرز وأعظم أساليبه ﷺ في التعليم .

قال العلامة الحنوي: ((ومن شواهد أن البيان بالفعل أقوى من البيان بالقول : أن النبي ﷺ لما تمّ الصلحُ بينه وبين كفارِ قريش في الحُدَيْبِيَّةِ ، أمر أصحابه أن يتحلَّوا من إحرامهم ، وينحروا هديهم ، فقال لهم : ((قوموا فانحروا ، ثم احلقوا)) ، فتوانسوا في ذلك إذ لم يستحسنوا الصلحَ ورأوا القتالَ أفضل . فدخَلَ رسولُ اللهِ ﷺ على زوجته أمِّ سلمة رضي اللهُ عنها واخبرها بتخلفِ الناس عن أمرِهِ ، فأشارت على النبي ﷺ أن يحلق رأسه ، وينحَرَ هديهِ ، فإنهم لا محالة يقتدون به ، ففعلَ ، فلما رأوا ذلك قاموا فنحروا ، وجعلَ بعضهم يحلقُ بعضاً حتى كاد بعضهم يقتلُ بعضاً غمًّا .

وهذا من كمالِ عقلِ السيدةِ أم سلمة رضي اللهُ عنها ، إذ فهمتْ أنهم استصعبوا التحلُّلَ من النسكِ قبل استيفاء المناسكِ ، وأن البيان بالفعل أقوى من القول ، فكان الأمر كما فهمتْ رضي اللهُ عنها)) . انتهى بزيادة يسيرة^{٨٧٩} .

جاء في ((الإصابة في تمييز الصحابة)) للحافظ ابن حجر^{٨٨٠} في ترجمة الصحابي الجليل (الجلندي ملك عمان) : ((ذكرَ وثيمةُ في كتاب (الرِّدَّة) عن ابن إسحاق أن النبي ﷺ

^{٨٧٩} - ((الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي)) ١ : ١٥٤

^{٨٨٠} - الإصابة في معرفة الصحابة - (١ / ١٧٩)

بَعَثَ إِلَيْهِ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ يَدْعُوهُ إِلَى الْإِسْلَامِ، فَقَالَ : ((لَقَدْ دَلَّنِي عَلَى هَذَا النَّبِيِّ الْأَمِّيِّ : أَنَّهُ لَا يَأْمُرُ بِخَيْرٍ إِلَّا كَانَ أَوَّلَ آخِذٍ بِهِ، وَلَا يَنْهَى عَنِ شَرٍّ إِلَّا كَانَ أَوَّلَ تَارِكٍ لَهُ، وَأَنَّهُ يَغْلِبُ فَلََّا يَيْطَرُ، وَيُغْلَبُ فَلَا يُهْجَرُ أَيُّ لَا يَقُولُ الْقَبِيحَ مِنَ الْكَلَامِ^{٨٨١} ، وَأَنَّهُ يَفِي بِالْعَهْدِ، وَيُنَجِّزُ الْوَعْدَ، وَأَشْهَدُ أَنَّهُ نَبِيٌّ)). . انتهى .

وقال الإمام الشاطبي رحمه الله تعالى في كتابه (الاعتصام): "وَلَمَّا اسْتَنَارَ قَلْبُهُ وَجَوَارِحُهُ - ﷺ - وَبَاطِنُهُ وَظَاهِرُهُ بِنُورِ الْحَقِّ عِلْمًا وَعَمَلًا ، صَارَ هُوَ الْهَادِي الْأَوَّلَ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ وَالْمُرْشِدَ الْأَعْظَمَ ، حَيْثُ خَصَّهُ اللَّهُ دُونَ الْخَلْقِ بِإِنزَالِ ذَلِكَ التُّورِ عَلَيْهِ ، وَاصْطِفَاءِهِ مِنْ جُمْلَةِ مَنْ كَانَ مِثْلَهُ فِي الْخَلْقَةِ الْبَشَرِيَّةِ اصْطِفَاءً أَوْلَى ، لَأَنَّ مِنْ جِهَةٍ كَوْنِهِ بَشَرًا عَاقِلًا - مِثْلًا - لاشْتِرَاكِهِ مَعَ غَيْرِهِ فِي هَذِهِ الْأَوْصَافِ ، وَلَا لِكَوْنِهِ مِنْ قُرَيْشٍ - مِثْلًا - دُونَ غَيْرِهِمْ ، وَإِلَّا لَزِمَ ذَلِكَ فِي كُلِّ قُرَيْشِيٍّ ، وَلَا لِكَوْنِهِ مِنْ بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ، وَلَا لِكَوْنِهِ عَرَبِيًّا ، وَلَا لِغَيْرِ ذَلِكَ ، بَلْ مِنْ جِهَةِ اخْتِصَاصِهِ بِالْوَحْيِ الَّذِي اسْتَنَارَ بِهِ قَلْبُهُ وَجَوَارِحُهُ فَصَارَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ ، حَتَّى نَزَلَ فِيهِ : {وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ} (٤) سورة القلم، وَإِنَّمَا كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ لِأَنَّهُ حَكَمَ الْوَحْيِ عَلَى نَفْسِهِ . حَتَّى صَارَ فِي عِلْمِهِ وَعَمَلِهِ عَلَى وَفْقِهِ . فَكَانَ الْوَحْيُ حَاكِمًا وَاقِفًا قَائِلًا، وَكَانَ هُوَ ﷺ مُدْعَى مُلَبِّيًا نِدَاءَهُ وَاقِفًا عِنْدَ حُكْمِهِ، وَهَذِهِ الْخَاصِيَّةُ كَانَتْ مِنْ أَعْظَمِ الْأَدَلَّةِ عَلَى صِدْقِهِ فِيمَا جَاءَ بِهِ . إِذْ قَدْ جَاءَ بِالْأَمْرِ وَهُوَ مُؤْتَمِّرٌ . وَبِالنَّهْيِ وَهُوَ مُنْتَهٍ . وَبِالْوَعْدِ وَهُوَ مُتَّعِظٌ وَبِالتَّخْوِيفِ وَهُوَ أَوَّلُ الْخَائِفِينَ . وَبِالتَّرْجِيَةِ وَهُوَ سَائِقُ دَابَّةِ الرَّاجِحِينَ .

وَحَقِيقَةُ ذَلِكَ كُلِّهِ جَعَلَهُ الشَّرِيعَةَ الْمُنَزَّلَةَ عَلَيْهِ حُجَّةً حَاكِمَةً عَلَيْهِ وَدَلَالَةً لَهُ عَلَى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ الَّذِي سَارَ عَلَيْهِ السَّلَامُ . وَلِذَلِكَ صَارَ عَبْدَ اللَّهِ حَقًّا . وَهُوَ أَشْرَفُ اسْمٍ تَسَمَّى بِهِ الْعِبَادُ . فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى : {سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} (١) سورة الإسراء، {تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا} (١) سورة

^{٨٨١} - ويمكن أن تقرأ : (ويُغْلَبُ فَلَا يُهْجَرُ) ، لتأخي السجعتين وزناً أي لا يُهْجَرُ من أصحابه ليقينهم بصدق نبوته وأنه بَشَرٌ سَوِيٌّ .

الفرقان، { وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ } (٢٣) سورة البقرة، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ مِنَ آيَاتِ اللَّهِ الَّتِي وَقَعَ مَدْحُهُ فِيهَا بِصِحَّةِ عِبَادَتِهِ .

وَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ فَسَائِرُ الْخَلْقِ حَرِيُونَ بَأَنْ تَكُونَ الشَّرِيعَةُ حُجَّةً حَاكِمَةً عَلَيْهِمْ وَمَنَارًا يَهْتَدُونَ بِهَا إِلَى الْحَقِّ ، وَشَرَفُهُمْ إِنَّمَا يَثْبُتُ بِحَسَبِ مَا اتَّصَفُوا بِهِ مِنَ الدُّخُولِ تَحْتَ أَحْكَامِهَا وَالْعَمَلِ بِهَا قَوْلًا وَاعْتِقَادًا وَعَمَلًا ، لَا بِحَسَبِ عُقُولِهِمْ فَقَطْ ، وَلَا بِحَسَبِ شَرَفِهِمْ فِي قَوْمِهِمْ فَقَطْ ، لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى إِنَّمَا أَثَبَتَ الشَّرْفَ لِمَنْ غَيْرُهُ لِقَوْلِهِ تَعَالَى : { يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ } (١٣) سورة الحجرات، فَمَنْ كَانَ أَشَدَّ مُحَافِظَةً عَلَى اتِّبَاعِ الشَّرِيعَةِ فَهُوَ أَوْلَىٰ بِالشَّرْفِ وَالْكَرَمِ ، وَمَنْ كَانَ دُونَ ذَلِكَ لَمْ يُمْكِنْ أَنْ يَبْلُغَ فِي الشَّرْفِ مَبْلَغَ الْأَعْلَىٰ فِي اتِّبَاعِهَا ، فَالشَّرْفُ إِذَا إِنَّمَا هُوَ بِحَسَبِ الْمُبَالِغَةِ فِي تَحْكِيمِ الشَّرِيعَةِ . تَفْضِيلُ عُلُومِ الشَّرِيعَةِ عَلَى سَائِرِ الْعُلُومِ^{٨٨٢}

وَإِذْ كَانَ هَذَا الْأَسْلُوبُ أْبْرَزَ أَسَالِيْبِهِ ﷺ وَأَكْثَرَهَا اسْتِعْمَالًا فِي تَعْلِيمَاتِهِ، فَأَكْتَفَىٰ هُنَا بِذِكْرِ نَمَازِجَ مِنْ تَعْلِيمَاتِهِ ﷺ الَّتِي تَدْخُلُ فِي هَذَا الْأَسْلُوبِ، إِذْ لَا سَبِيلَ إِلَى اسْتِقْصَائِهَا^{٨٨٣} :

عَنْ عِبَادَةَ بْنِ الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ ، قَالَ : أَتَيْتَنَا جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ فِي مَسْجِدِهِ ، وَهُوَ يُصَلِّي فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ مُشْتَمَلًا بِهِ ، فَتَخَطَّيْتُ الْقَوْمَ حَتَّى جَلَسْتُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْقِبْلَةِ ، فَقُلْتُ : يَرْحَمُكَ اللَّهُ ، تُصَلِّي فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ ، وَهَذَا رِدَاؤُكَ إِلَىٰ جَنْبِكَ ؟ فَقَالَ بِيَدِهِ فِي صَدْرِي : أَرَدْتُ أَنْ يَدْخُلَ عَلَيَّ أَحْمَقٌ مِثْلَكَ فَيُرَانِي كَيْفَ أَصْنَعُ ، فَيَصْنَعُ بِمِثْلِهِ ، أَتَانَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي مَسْجِدِنَا هَذَا ، وَفِي يَدِهِ عُرْجُونٌ ابْنُ طَابٍ^{٨٨٤} ، فَرَأَىٰ نُخَامَةً^{٨٨٥} فِي

^{٨٨٢} - الاعتصام للشاطبي - (٢ / ٨٥٤) ط دار ابن عفا

^{٨٨٣} - قد ذكرنا بعضها من قبل

^{٨٨٤} ابن طاب : رجل من أهل المدينة ، ينسب إليه نوعٌ من تمرها . ومن عادتهم أنهم ينسبون ألوان التمر كل لون إلى نسبة . والعرجون هو العود الأصفر العريض الخالي من الرطْب إذا يبَسَ واعوج . وسُمِّي (عُرْجُونًا) لانعراجه وانعطافه . أي كان بيده ﷺ عود من شجر ذلك التمر .

^{٨٨٥} - النخامة هي : البيزقة تخرج من أقصى الحلق ، وهي البلغم .

قِبْلَةَ الْمَسْجِدِ ، فَأَقْبَلَ عَلَيْهَا فَحَكَّهَا بِالْعُرْجُونِ ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا ، فَقَالَ : أَيُّكُمْ يُحِبُّ أَنْ يُعْرِضَ اللَّهُ عَنْهُ ؟ قَالَ : فَحَشَعْنَا^{٨٨٦} ، ثُمَّ قَالَ : أَيُّكُمْ يُحِبُّ أَنْ يُعْرِضَ اللَّهُ عَنْهُ ؟ فَقُلْنَا : لَا أَيُّنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ^{٨٨٧} ، قَالَ : إِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا قَامَ يُصَلِّي فَإِنَّ اللَّهَ قَبْلَ وَجْهِهِ^{٨٨٨} ، فَلَا يَبْصُقُ قَبْلَ وَجْهِهِ ، وَلَا عَنْ يَمِينِهِ ، وَلْيَبْصُقْ عَنْ يَسَارِهِ تَحْتَ رِجْلِهِ الْيُسْرَى^{٨٨٩} ، فَإِنْ عَجَلَتْ بِهِ بَادِرَةٌ فَلْيَقُلْ بِتَوْبِهِ هَكَذَا^{٨٩٠} - وَرَدَّ بَعْضُهُ عَلَى بَعْضٍ - أَرُونِي عَيْرًا^{٨٩١} ، فَقَامَ فَتَنَى مِنَ الْحَيِّ يَسْتَنْدُ إِلَى أَهْلِهِ^{٨٩٢} ، فَجَاءَ بِخَلْقٍ فِي رَاحَتَيْهِ ، فَأَخَذَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَجَعَلَهُ عَلَى رَأْسِ الْعُرْجُونِ ، وَلَطَخَ بِهِ عَلَى أَثَرِ النُّخَامَةِ^{٨٩٣} قَالَ جَابِرٌ : فَمِنْ هُنَاكَ جَعَلْتُمْ الْخَلْقَ فِي مَسَاجِدِكُمْ^{٨٩٤} .

في هذا الحديث الشريف من الأمور التعليمية :

^{٨٨٦} - يعني : أطرقنا برؤوسنا وأبصارنا إلى الأرض .

^{٨٨٧} - يعني : لا أحدٌ منا يجب ذلك يا رسول الله .

^{٨٨٨} - هذا من التعبير المجازي ، كما يقال : (بيت الله) و(كعبة الله) . والمراد : أن القبلة التي أمر الله المصلي بالتوجه إليها للصلاة : قِبْلَ وَجْهِهِ ، فَلْيَبْصُقْ عَنْ يَمِينِهِ . وإنما أضيفت تلك الجهة إلى الله تعالى ، على سبيل التكريم والتعظيم ، مثل قوله : (ناقة الله وسقياها) .

^{٨٨٩} - إنما يسوغ هذا الفعل في أثناء الصلاة ، وفي داخل المسجد ، إذا اضطرَّ إليه المصلي ، وكانت أرض المسجد تراباً أو رمالاً أو حصى أو نحو ذلك ، كما كانت المساجد في العهد النبوي . أما إذا كان المسجد مبلطاً أو مجصصاً أو مفروشاً بشيء ، كما هي حال المساجد اليوم ، فيتعين على المصلي البصاق في ثوبه إذا احتاج إليه ، إذ تحب صيانة المسجد عن كل مستقذرٍ أو مكروهٍ أو مُذْهِبٍ للنظافة . ورحم الله الإمام البخاري ورضي عنه ، ما أجلَّ ورعُه وأشدَّ رعايته للمسجد ، حكى الحافظ ابن حجر في ((هذلي الساري مقدمة فتح الباري)) ٢ : ١٩٦ ، في خلال ترجمة الإمام البخاري ، قال رحمه الله تعالى : ((قال محمد بن منصور : كنا في مجلس أبي عبد الله البخاري ، فرفع إنساناً قذاةً من لحيته وطرَّحها إلى الأرض . فرأيتُ البخاري ينظر إليها وإلى الناس ، فلما غفل الناس ، رأيتُه مدَّ يده فرفع القذاة من الأرض فأدخلها كُمَّهُ ، فلما خرج من المسجد رأيتُه أخرجها وطرَّحها على الأرض)) . انتهى .

فقد صان الإمام البخاري أرضَ المسجد عما تُصانُ عنه لحيثه ، إنها بصيرةُ العلم والعمل ، (فبهداهم اقتده) .

^{٨٩٠} أي فليفعل بتوبه هكذا ، كما فعل النبي ﷺ .

^{٨٩١} أي هاتوا لي عيراً . والعير مثل الخلق الآتي ذكره بعد قليل أنواعٌ من الطيب تُجمع وتُخلط بالزعفران .

^{٨٩٢} أي يسعى ويعدو عدواً شديداً .

^{٨٩٣} أي على رأس العود الذي كان بيده ﷺ .

^{٨٩٤} - صحيح ابن حبان - (٦ / ٤٢) (٢٢٦٥) وصحيح مسلم - المكثر - (٧٧٠٥)

إعادة الكلمة ثلاثاً ، لتُبْلَغَ من نفوس المخاطبين كلَّ مبلغ .
وفيه : البيان بالفعل ، ليكون أوقع في نفس السامع ، وليكون أوضح دلالةً على ما يُرادُ تعليمُه .
وفيه : عَظُمَ تواضع الرسول ﷺ ، إذ باشَرَ حَكَّ النخامة بنفسه .
وفيه : تَقْيِيحُ المنكر باللسان .
وفيه إزالة المنكر باليد لمن قَدَرَ عليه .
وفيه من الفقه والأحكام الشرعية الاجتماعية :
طلبُ إزالة ما يُستَقْدَرُ أو يُتْرَهُ عنه ، من المسجد .
وفيه : تعظيمُ المساجد وصيانتُها من كل ما يكدرُها من الأوساخ ونحوها .
وفيه : أن البزاق والمخاط والنخامة على تقزُّر النفوس منها طاهرة ، بدليل أن الرسول ﷺ نَفَلَ في ثوبه وأراهم كيف يفعل من بادرَه وغَلَبَه البصاق .
وفيه : أن البصاق في الصلاة لا يبطل الصلاة ، وكذا التنخُّم ، إن لم يتبين منه حَرْفانٍ أو كان مغلوباً عليه .
وفيه : احترامُ جهة القبلة وتعظيمها .
وفيه : أنه إذا بزَقَ يبزق عن يساره ، ولا يبزق أمامه للقبلة تشريفاً للقبلة ، ولا عن يمينه تشريفاً لليمين ولو كان خارج الصلاة، وإنما يبزق عن يساره ما لم يكن مانع ، فعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال : ما بصقتُ عن يميني منذ أسلمت .
وفيه : أن التحسين أو التقييح إنما هو بالشرع ، فإن جهة اليمين مفضلة على اليسار ، وإن اليد مفضلة على القدم ، وإن يوم الجمعة مفضل على سواه . وأخطأ أبو الطيب المتنبّي إذ جعلَ ذلك التفضيلَ من باب الجَدِّ والحِظِّ ، لا من باب الشرع والنقل فقال :
هو الجَدُّ حتى تَفْضُلُ العينُ أختَها وحتى يكونَ اليومُ لليومِ سيِّداً

وفيه : الحثُّ على الاستكثار من الحسنات وإن كان صاحبها مَلِيًّا ، لكون النبي صلى الله عليه وسلم هو سيد الأنبياء والملتقين باشر الحثُّ بنفسه صلوات الله وسلامه عليه .
وفيه : مشروعية تطيب المساجد .

وفيه : تفقُّد الإمام الأعظم حالَ المساجد وتعهدها . وهي حَرِيَّةٌ بالتعهد والعناية كلِّ العناية من إمام المسلمين ، لأنها مجامع المسلمين ، ومواطن عبادتهم ، ومدارس تعليمهم وثقافتهم ، ومنتداهم ومجلس شورايم ، ومركز قيادتهم ، ومنطلق جيوشهم ، وموئل لقائهم ، ومتعلِّق قلوبهم وأفتدتهم ، وملتقى الوفود لديهم ... فما أحرأها بالتفقد والاهتمام وعن سُلَيْمَانَ بْنِ بُرَيْدَةَ ، عَنْ أَبِيهِ ، قَالَ : أَتَى النَّبِيَّ ﷺ رَجُلٌ ، فَسَأَلَهُ عَنْ وَقْتِ الصَّلَاةِ ، فَقَالَ : صَلِّ مَعَنَا هَذَيْنِ الْوَقْتَيْنِ^{٨٩٥} ، فَلَمَّا زَالَتِ الشَّمْسُ ، صَلَّى الظُّهْرَ ، ثُمَّ صَلَّى الْعَصْرَ وَالشَّمْسُ مُرْتَفَعَةٌ بِيَضَاءِ حَيَّةٍ ، وَصَلَّى الْمَغْرِبَ حِينَ غَابَتِ الشَّمْسُ ، وَصَلَّى الْعِشَاءَ حِينَ غَابَ الشَّقِيقُ ، وَصَلَّى الْفَجْرَ بَعْلَسٍ ، فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْعَدِ أَمْرٌ بِلَالًا فَأَبْرَدَ بِالظُّهْرِ ، فَأَنْعَمَ أَنْ يُبْرَدَ بِهَا^{٨٩٦} ، وَأَمْرُهُ فَأَقَامَ الْعَصْرَ وَالشَّمْسُ حَيَّةٌ آخَرَهَا فَوْقَ الَّذِي كَانَ أَوَّلَ مَرَّةٍ ، وَأَمْرُهُ فَأَقَامَ الْمَغْرِبَ قَبْلَ مَغِيبِ الشَّقِيقِ ، وَأَمْرُهُ فَأَقَامَ الْعِشَاءَ بَعْدَمَا ذَهَبَ ثُلُثُ اللَّيْلِ ، وَأَمْرُهُ فَأَقَامَ الْفَجْرَ ، فَأَسْفَرَ بِهَا ، ثُمَّ قَالَ : أَيُّنَ السَّائِلُ عَنْ وَقْتِ الصَّلَاةِ ؟ قَالَ : أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قَالَ : وَقْتُ صَلَاتِكُمْ بَيْنَ مَا رَأَيْتُمْ.^{٨٩٧}

قال الإمام النووي في: ((في هذا الحديث البيان بالفعل ، فإنه أبلغ في الإيضاح ، والفعلُ تُعْمُ فائدته السائل وغيره ، وفيه تأخرُ البيان إلى وقت الحاجة ، وهو مذهبُ جمهورِ الأصوليين))^{٨٩٨} .

وعَنْ عَمْرٍو بْنِ شُعَيْبٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ : أَنَّ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ - فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ كَيْفَ الطُّهُورُ؟^{٨٩٩} فَدَعَا بِمَاءٍ فِي إِثْنَاءِ فَعَسَلَ كَفَيْهِ ثَلَاثًا ، ثُمَّ غَسَلَ وَجْهَهُ ثَلَاثًا ، ثُمَّ

^{٨٩٥} أي لتعرف الوقت عملياً ، ويحصل لك البيان بالفعل .

^{٨٩٦} أي فأطال الإبراد وأخر الصلاة .

^{٨٩٧} - صحيح ابن حبان - (٤ / ٣٥٩) (١٤٩٢) وصحيح مسلم - المكثر - (١٤٢٢)

^{٨٩٨} - شرح صحيح مسلم ٥ : ١١٤ -

غَسَلَ ذِرَاعَيْهِ ثَلَاثًا ثُمَّ مَسَحَ بِرَأْسِهِ ، فَأَدْخَلَ إِصْبَعَيْهِ السَّبَّاحَتَيْنِ فِي أُذُنَيْهِ ، وَمَسَحَ بِإِبْهَامَيْهِ عَلَى ظَاهِرِ أُذُنَيْهِ ، وَبِالسَّبَّاحَتَيْنِ بَاطِنِ أُذُنَيْهِ ، ثُمَّ غَسَلَ رِجْلَيْهِ ثَلَاثًا ثَلَاثًا ثُمَّ قَالَ : « هَكَذَا الْوُضُوءُ ، فَمَنْ زَادَ عَلَى هَذَا أَوْ نَقَصَ فَقَدْ أَسَاءَ وَظَلَمَ أَوْ ظَلَمَ وَأَسَاءَ » ٩٠٠ .

(فَقَدْ أَسَاءَ وَظَلَمَ) : أَيُّ عَلَى نَفْسِهِ بِتَرْكِ مُتَابَعَةِ النَّبِيِّ ﷺ أَوْ بِمُخَالَفَتِهِ ، أَوْ لِأَنَّهُ أُنْعِبَ نَفْسَهُ فِيمَا زَادَ عَلَى الثَّلَاثَةِ مِنْ غَيْرِ حُصُولِ ثَوَابٍ لَهُ أَوْ لِأَنَّهُ أَتْلَفَ الْمَاءَ بِلَا فَايِدَةٍ .
وَأَمَّا فِي النَّقْصِ فَأَسَاءَ الْأَدَبَ بِتَرْكِ السُّنَّةِ وَظَلَمَ نَفْسَهُ بِنَقْصِ ثَوَابِهَا بِتَزْدَادِ الْمَرَّاتِ فِي الْوُضُوءِ .

وَاسْتَشْكَلَ بِالْإِسَاءَةِ وَالظُّلْمِ عَلَى مَنْ نَقَصَ عَنْ هَذَا الْعَدَدِ ، فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ تَوَضَّأَ مَرَّتَيْنِ مَرَّتَيْنِ وَمَرَّةً مَرَّةً .

وَأَجْمَعَ أئِمَّةُ الْحَدِيثِ وَالْفِقْهِ عَلَى جَوَازِ الْاِقْتِصَارِ عَلَى وَاحِدَةٍ .

وَأُجِيبَ بِأَنَّهُ أَمْرٌ نَسَبِيٌّ وَالْإِسَاءَةُ تَتَعَلَّقُ بِالنَّقْصِ أَيُّ أَسَاءَ مَنْ نَقَصَ عَنِ الثَّلَاثِ بِالنِّسْبَةِ لِمَنْ فَعَلَهَا لَا حَقِيقَةَ الْإِسَاءَةِ وَالظُّلْمِ بِالزِّيَادَةِ عَنِ الثَّلَاثِ لِفِعْلِهِ مَكْرُوهًا أَوْ حَرَامًا .

قَالَ السُّيُوطِيُّ قَالَ ابْنُ الْمَوَاقِ : إِنْ لَمْ يَكُنْ اللَّفْظُ شَكًّا مِنَ الرَّاويِ فَهُوَ مِنَ الْأَوْهَامِ الْبَيِّنَةِ الَّتِي لَا خَفَاءَ لَهَا ، إِذِ الْوُضُوءُ مَرَّةً وَمَرَّتَيْنِ لَا خِلَافَ فِي جَوَازِهِ ، وَالْأَثَارُ بِذَلِكَ صَحِيحَةٌ ، وَالْوَهْمُ فِيهِ مِنْ أَبِي عَوَانَةَ ، وَهُوَ وَإِنْ كَانَ مِنَ الثَّقَاتِ ، فَإِنَّ الْوَهْمَ لَا يَسْلَمُ مِنْهُ بَشَرٌ إِلَّا مَنْ عَصِمَ ، وَيُؤَيِّدُهُ رِوَايَةُ أَحْمَدَ وَالنَّسَائِيَّ وَابْنَ مَاجَةَ وَكَذَا ابْنُ خُزَيْمَةَ فِي صَحِيحِهِ ، وَمَنْ زَادَ عَلَى هَذَا فَقَدْ أَسَاءَ وَتَعَدَّى وَظَلَمَ ، وَلَمْ يَذْكُرُوا أَوْ نَقَصَ فَقَوِيَ بِذَلِكَ أَنَّهَا شَكٌّ مِنَ الرَّاويِ أَوْ وَهْمٌ .

قَالَ السُّيُوطِيُّ : وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ مَعْنَاهُ نَقْصَ بَعْضِ الْأَعْضَاءِ فَلَمْ يَغْسِلْهَا بِالْكُلِّيَّةِ ، وَزَادَ أَعْضَاءَ أُخْرَى لَمْ يُشْرَعْ غَسْلُهَا ، وَهَذَا عِنْدِي أَرْجَحُ بِدَلِيلِ أَنَّهُ لَمْ يَذْكُرْ فِي مَسْحِ رَأْسِهِ وَأُذُنَيْهِ تَثْلِيثًا .انتهى . ٩٠١ .

٨٩٩ - أي كيف الوضوء؟ .

٩٠٠ - السنن الكبرى للبيهقي - حيدر آباد - (١ / ٧٩) (٣٧٨) وسنن أبي داود - المكثر - (١٣٥) صحيح

وَعَنْ حُمْرَانَ بْنِ أَبَانَ ، قَالَ : أَتَيْتُ عُثْمَانَ بِطَهْوَرٍ ، وَهُوَ جَالِسٌ عَلَى الْمَقَاعِدِ ، فَتَوَضَّأَ ، فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ ، ثُمَّ قَالَ : رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ تَوَضَّأَ ، وَهُوَ فِي هَذَا الْمَجْلِسِ ، فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ ، ثُمَّ قَالَ : مَنْ تَوَضَّأَ مِثْلَ هَذَا الْوُضُوءِ ، ثُمَّ أَتَى الْمَسْجِدَ ، فَرَكَعَ رَكَعَتَيْنِ ، ثُمَّ جَلَسَ ، غَفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ . قَالَ : وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : لَا تَغْتَرُّوا .^{٩٠٢}

قال الحافظ ابن حجر : ((في الحديث التعليمُ بالفعل لكونه أبلغ وأضبط للمتعلم ، وقوله ﷺ (ولا تغتروا) معناه : لا تحمِلوا الغفرانَ على عمومِهِ في الذنوب ، فتسترسِلوا في الذنوب اتكالاً على غفرانِها بالصلاة ، فإن الصلاةَ التي تُكفِّرُ الذنوبَ هي المقبولة ، ولا اطلَّعَ لأحدٍ عليه . ثم المكفِّرُ بالصلاة هي الصغائرُ فقط ، دون الكبائرِ وحقوقِ العباد))^{٩٠٣} . انتهى ملخصاً بزيادة يسيرة .

وقد صَلَّى مرَّةً بالناسِ إماماً، وهو على المنبر، ليرَوْا صَلَاتَهُ لَهُمْ، وَلِيَتَعَلَّمُوا مِنْ أفعالِهِ ومُشاهدَتِهِ ﷺ ، فعَنْ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ أَبِي حَازِمٍ عَنْ أَبِيهِ أَنَّ نَفَرًا جَاءُوا إِلَى سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ قَدْ تَمَارَوْا فِي الْمَنْبَرِ مِنْ أَيِّ عُودٍ هُوَ فَقَالَ أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لِأَعْرِفُ مِنْ أَيِّ عُودٍ هُوَ وَمَنْ عَمَلَهُ وَرَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - أَوَّلَ يَوْمٍ جَلَسَ عَلَيْهِ - قَالَ - فَقُلْتُ لَهُ يَا أَبَا عَبَّاسٍ فَحَدِّثْنَا . قَالَ أَرْسَلَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - إِلَى امْرَأَةٍ قَالَتْ أَبُو حَازِمٍ إِنَّهُ لَيْسَ مِيهَا يَوْمَئِذٍ « انظُرِي غُلَامَكَ النَّجَّارَ يَعْمَلُ لِي أَعْوَادًا أَكَلِمَ النَّاسِ عَلَيْهَا » . فَعَمِلَ هَذِهِ الثَّلَاثَ دَرَجَاتٍ ثُمَّ أَمَرَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - فَوُضِعَتْ هَذَا الْمَوْضِعَ فَهِيَ مِنْ طَرْفَاءِ الْعَابَةِ . وَلَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - قَامَ عَلَيْهِ فَكَبَّرَ وَكَبَّرَ النَّاسُ وَرَأَاهُ وَهُوَ عَلَى الْمَنْبَرِ ثُمَّ رَفَعَ فَنَزَلَ الْقَهْقَرَى^{٩٠٤} حَتَّى سَجَدَ فِي أَصْلِ الْمَنْبَرِ ثُمَّ عَادَ حَتَّى فَرَّغَ مِنْ آخِرِ صَلَاتِهِ ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ فَقَالَ « يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي صَنَعْتُ هَذَا لِتَأْتُمُّوا بِي^{٩٠٥} وَلِتَعَلَّمُوا صَلَاتِي^{٩٠٦} .

^{٩٠١} - عون المعبود - (١ / ١٥٠)

^{٩٠٢} - صحيح البخارى - المكثر - (٦٤٣٣)

^{٩٠٣} - ((فتح الباري)) ١ : ٢٢٨ و ١١ : ٢١٤

^{٩٠٤} القهقرى : المشي إلى خلف ، والحامل على رجوعه القهقرى هو المحافظة على استقبال القبلة .

^{٩٠٥} - أي لتعلموا صلاتي

^{٩٠٦} - صحيح البخارى - المكثر - (٣٧٧) وصحيح مسلم - المكثر - (١٢٤٤) واللفظ له

قال الإمام النووي^{٩٠٧} : ((بَيِّنْ لَهُمْ ﷺ أَنَّ صُعودَهُ المنبر ، وصلاته عليه ، إنما كان للتعليم ، ليرى جميعهم أفعاله ﷺ ، بخلاف ما إذا كان على الأرض ، فإنه لا يراه إلا بعضهم ممن قَرُبَ منه)). .

وقال الحافظ ابن حجر^{٩٠٨} : ((وَعُرِفَ من قوله ﷺ : (أيها الناس إنما صَنَعْتُ هذا ، لتَأْتَمُّوا بي ، ولتَعَلَّمُوا صلاتي) ، أَنَّ الحكمة في صلاته في أعلى المنبر ليراه من قد يَخْفَى عليه رُؤْيُته إذا صلى على الأرض . ويُستفادُ منه أن من فعلَ شيئاً يُخالفُ العادة : ينبغي أن يُبيِّنَ حِكْمَتَهُ لأصحابه . وفيه جوازُ تعليمِ المأمومين أفعال الصلاة بالفعل ، وجوازُ العملِ اليسير في الصلاة ، وكذا الكثير إن تفرَّق . وفيه استحبابُ اتخاذِ المنبر لكونه أبلَغ في مشاهدة الخطيب والسماع منه)). . انتهى .

وعن أبي سعيد الخُدْرِيِّ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مرَّ بِغُلامٍ يَسْلُخُ شاةً ، فَقَالَ لَهُ : تَنَحَّ حَتَّى أُرِيكَ ، فَإِنِّي لَا أَرَاكَ تُحَسِّنُ تَسْلُخُ ، قَالَ : فَأَدْخَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدَهُ بَيْنَ الْجِلْدِ وَاللَّحْمِ ، فَدَحَسَ بِهَا حَتَّى تَوَارَتْ إِلَى الْإِبْطِ^{٩٠٩} ، ثُمَّ قَالَ ﷺ : هَكَذَا يَا غُلامُ فَاسْلُخْ ، ثُمَّ انْطَلَقَ فَصَلَّى ، وَلَمْ يَتَوَضَّأْ ، وَلَمْ يَمَسَّ ماءً^{٩١٠} .

قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ قَالَ عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ سَأَلَنِي أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ - رَحِمَهُ اللَّهُ - عَنْ هَذَا الْحَدِيثِ ، قَالَ فَإِنَّمَا أَرَدْتُ أَنْ التَّبِيَّ - ﷺ - كَانَ أَعْلَى مِنَ النَّاسِ ، فَلَا بَأْسَ أَنْ يَكُونَ الْإِمَامُ أَعْلَى مِنَ النَّاسِ بِهَذَا الْحَدِيثِ . قَالَ فَقُلْتُ إِنَّ سُفْيَانَ بْنَ عُيَيْنَةَ كَانَ يُسْأَلُ عَنْ هَذَا كَثِيرًا فَلَمْ تَسْمَعْهُ مِنْهُ قَالَ لَا . "

٩٠٧ - في ((شرح صحيح مسلم)) ٥ : ٧٥

٩٠٨ - في ((فتح الباري)) ٢ : ٣٣١

٩٠٩ - قوله : (فَدَحَسَ بِهَا أي بيده حتى توارت إلى الإبط) . الدَّحَسُ أَنْ يُدْخَلَ الرَّجُلُ يَدَهُ بَيْنَ جِلْدِ الشاةِ وَصِفاقِها لِيَسْلُخَها . وجاء لفظُ (دَحَسَ) في شعرِ عالٍ رفيع ، ومعنى نَبِيلٌ بديع ، أُحِببتُ ذَكَرَهُ هنا استطراداً لِبِداعته وَحِصافَتِهِ ، وَصَدَقَهُ وَبلاغتَهُ قاله الصحابيُّ الجليلُ العلاءُ بنُ الحَضْرَمِيِّ من حضرموت فاتحُ البحرين وأميرُها ولأه عليها رسولُ اللَّهِ ﷺ ، وبقي عليها حتى توفي في خلافة عمر سنة ١٤ أو ٢١ رضي الله عنهما قال :

وَحَيَّ ذَوِي الْأَضْغانِ تَسبُّ قُلُوبِهِمْ تَحِيَّةَ ذِي الْحُسْنَى فَقَدْ يُرْفَعُ التَّقَلُّ
فَإِنْ دَحَسُوا بِالشَّرِّ فَاعْفُ تَكْرُماً وَإِنْ كَتَمُوا عَنْكَ الْحَدِيثَ فَلَا تَسَلُّ
فَإِنَّ الَّذِي يُؤْذِيكَ مِنْهُ سَماعُهُ وَإِنَّ الَّذِي قالُوا وِراءَكَ لَمْ يُقَلُّ

[٣٧] تعليمه ﷺ الشرائع بالتدرّج:

وكان ﷺ يُراعي التدرّج في التعليم، فكان يقدم الأهمّ فالأهمّ، ويُعلّم شيئاً فشيئاً نجماً نجماً، ليكون أقرب تناولاً، وأثبت على الفؤاد حفظاً وفهماً .

عَنْ جُنْدُبِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ، قَالَ : كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ وَنَحْنُ فِتْيَانٌ حَزَاوِرَةٌ^{٩١١} ، فَتَعَلَّمْنَا الْإِيمَانَ قَبْلَ أَنْ نَتَعَلَّمَ الْقُرْآنَ ، ثُمَّ تَعَلَّمْنَا الْقُرْآنَ ، فَازْدَدْنَا بِهِ إِيمَانًا.^{٩١٢}

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - لِمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ حِينَ بَعَثَهُ إِلَى الْيَمَنِ « إِنَّكَ سَتَأْتِي قَوْمًا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ، فَإِذَا جِئْتَهُمْ فَادْعُهُمْ إِلَى أَنْ يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ ، فَإِنْ هُمْ طَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ حَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ ، فَإِنْ هُمْ طَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ ، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْكُمْ صَدَقَةً ، تُؤْخَذُ مِنْ أَعْيَانِهِمْ ، فَتَرُدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ ، فَإِنْ هُمْ طَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ ، فَإِيَّاكَ وَكَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ^{٩١٣} ، وَآتَقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ .^{٩١٤}»

قوله : (فقد يُرْفَعُ الثَّقَلُ) ، الثَّقَلُ بفتح النون والقاف جميعاً : الحُفُّ الحَلْقُ ، والثَّعْلُ الحَلْقُ ، قال في ((القاموس)) في (نقل) : ((الْمُنْقَلُ كَمَقْعَدٍ : الحُفُّ الحَلْقُ ، وكذا الثَّعْلُ كالثَّقَلُ ، ويكسرُ فيهما ، ويُحرَّكُ ، جمعهُ أُنْقَالٌ ونِقَالٌ ، والثَّقِيلَةُ رُفْعَةُ الثَّعْلِ والحُفِّ)) . انتهى .

فانظر إلى هذا الشعر البليغ والتوجيه الرفيع والمعنى البديع ، فهو يوصي مخاطبه بان لا يُجافي ولا يقطع الضاغنين عليه ، بل يُسلّم عليهم ويُحييهم إذا لقيهم ، فإن العداوة والجفوة قد تزول ، وتعود المواصلّة والمداخلة ، وضرب لذلك مثلاً بالحُفِّ والثَّعْلِ الحَلْقُ ، فإنه يُترك لتمزُّقه ، ولكنه قد يُرْفَعُ فيعودُ نافعاً جيداً كما كان قبل تمزُّقه ، ثم استرسل في النصيح المتمم للتعامل مع ذوي الأضغان ، فأحسن وأجاد . الرسول المعلم ﷺ وأساليبه في التعليم لأبي غدة - (١ / ٦١)

^{٩١٠} - صحيح ابن حبان - (٣ / ٤٣٨) (١١٦٣) صحيح

^{٩١١} - حزاورة جمع حَزَوْرٍ وحَزَوْرٍ ، وهو الذي قارب البلوغ .

^{٩١٢} - سنن ابن ماجه - طبع مؤسسة الرسالة - (١ / ٤٢) (٦١) صحيح - قوله (فازدَدْنَا بِهِ) أي سبَّبِ الْقُرْآنَ

^{٩١٣} - الكرائم : جمع كريمة وهي خيار المال وأفضله

^{٩١٤} - صحيح البخارى - المكثر - (٤٣٤٧)

ومن فوائد هذا الحديث الكثيرة : البدء بالاهم فالاهم في الدعوة والتعليم ، إذ المطالبة بجميع الشرائع مرة واحدة توجب التنفير ، وكذا إلقاء جميع العلوم على المتعلم دفعة واحدة يؤدي إلى تضييع الكل .

قال الإمام البخاري^{٩١٥} (باب العلم قبل القول والعمل) : ((يقال : الرباني : الذي يرّبي الناس بصغار العلم قبل كباره)) .

قال الحافظ ابن حجر^{٩١٦} : ((المراد بصغار العلم ما وضح من مسائله ، وبكباره ما دق منها ، وقيل : يُعلمهم جزئياته ، قبل كليّاته ، أو فروعهُ قبل أصوله ، أو مقدّماته قبل مقاصده)) .

وعن يونس بن يزيد قال : قال لي ابن شهاب ، يا يونس ، " لا تُكابر العلم ؛ فإن العلم أودية ، فأيتها أخذت فيه قطع بك قبل أن تبلغه ولكن خذهُ مع الأيام والليالي ، ولا تأخذ العلم جملة ؛ فإن من رام أخذه جملة ذهب عنه جملة ولكن الشيء بعد الشيء مع الليالي والأيام"^{٩١٧}

وقال يونس بن يزيد : قال لي ابن شهاب ، يا يونس " لا تُكابر هذا العلم ؛ فإنّما هو أودية فأيتها أخذت فيه قبل أن تبلغه قطع بك ولكن خذهُ مع الليالي والأيام"^{٩١٨}

وفي الحديث أيضاً الدعاء إلى التوحيد قبل القتال ، وتوصية الإمام عامله فيما يحتاج إليه من الأحكام وغيرها ، وفيه بعث السعاة لأخذ الزكاة ، وقبول خبر الواحد ووجوب العمل به ، وإيجاب الزكاة في مال الصبي والمجنون لعموم قوله " من أغنيائهم " قاله عياض وفيه بحث ، وأن الزكاة لا تدفع إلى الكافر لعود الضمير في فقرائهم إلى المسلمين سواء قلنا بخصوص البلد أو العموم ، وأن الفقير لا زكاة عليه ، وأن من ملك

^{٩١٥} - في ((صحيحه)) ١ : ١٦٠ في كتاب العلم

^{٩١٦} - في ((فتح الباري)) ١ : ١٦٢

^{٩١٧} - جامع بيان العلم << باب كيفية الرتبة في أخذ العلم >> (٤٧٦) صحيح

^{٩١٨} - نفسه (٤٧٧) صحيح

نَصَابًا لَّا يُعْطَى مِنَ الزَّكَاةِ مِنْ حَيْثُ إِنَّهُ جَعَلَ الْمَأْخُودَ مِنْهُ غَنِيًّا وَقَابَلَهُ بِالْفَقِيرِ ، وَمَنْ مَلَكَ النَّصَابَ فَالزَّكَاةُ مَأْخُودَةٌ مِنْهُ فَهُوَ غَنِيٌّ ، وَالغَنَى مَانِعٌ مِنْ إِعْطَاءِ الزَّكَاةِ إِلَّا مَنْ أَسْتَشْنَى وَعَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ قَالَ : حَدَّثَنَا مَنْ كَانَ يُقْرَأُ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ ، أَنَّهُمْ كَانُوا يَفْتَرُونَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَشْرَ آيَاتٍ ، فَلَا يَأْخُذُونَ فِي الْعَشْرِ الْأُخْرَى حَتَّى يَعْلَمُوا مَا فِي هَذِهِ مِنَ الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ ، قَالُوا : فَعَلِمْنَا الْعِلْمَ وَالْعَمَلَ .^{٩٢٠}

وَعَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، قَالَ : " حَدَّثَنَا الَّذِينَ ، كَانُوا يُقْرَأُونَ أَنَّهُمْ كَانُوا يُسْتَفْرُونَ مِنْ النَّبِيِّ ﷺ ، فَكَانُوا إِذَا تَعَلَّمُوا عَشْرَ آيَاتٍ ، لَمْ يُخْلِفُوهَا حَتَّى يَعْمَلُوا بِمَا فِيهَا مِنَ الْعَمَلِ ، فَتَعَلَّمْنَا الْقُرْآنَ وَالْعَمَلَ جَمِيعًا " ^{٩٢١}

وَعَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ ، قَالَ : " كَانَ الرَّجُلُ مِمَّا إِذَا تَعَلَّمَ عَشْرَ آيَاتٍ ، لَمْ يُجَاوِزْهُنَّ حَتَّى يُعْرِفَ مَعَانِيَهُنَّ وَالْعَمَلَ بِهِنَّ " ^{٩٢٢}

الخلاصة :

- (١) التدرج في التعليم سنة ربانية ، كما في تحريم الخمر والحجاب ، وغيرهما
- (٢) التدرج في التعليم أمر منطقي لا يمكن الحيدة عنه
- (٣) كان رسول الله ﷺ يستخدم هذا الأسلوب بكثرة ويأمر أصحابه به .
- (٤) ترك التدرج في التعليم ، يعني عدم فهم المتعلمين للمعلم ، والملل والسامة .

[٣٨] رعايته ﷺ في التعليم الاعتدال والبعد عن الإملال :

^{٩١٩} - فتح الباري لابن حجر - (٥ / ١٢٣)

^{٩٢٠} - مسند أحمد (عالم الكتب) - (٧ / ٧٥٨) (٢٣٤٨٢) (٢٣٨٧٨) - صحيح

^{٩٢١} - تفسير الطبري (٧٤) صحيح

^{٩٢٢} - جامع البيان في تفسير القرآن للطبري (٧٣) صحيح

كان ﷺ يتعهد أوقات أصحابه وأحوالهم في تذكيرهم وتعليمهم، لئلا يملوا، وكان يُراعي في ذلك القصد والاعتدال .

قال الأعمش: سمعتُ أبا وائلٍ : شقيق بن سلمة يقول : كُنَّا جُلُوسًا نَنْتَظِرُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مَسْعُودٍ فَأَتَانَا يَزِيدُ بْنُ مُعَاوِيَةَ النَّخَعِيُّ فَقَالَ : مَا لَكُمْ؟ قُلْنَا : نَنْتَظِرُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مَسْعُودٍ . فَقَالَ : أَيْنَ تَرَوْنَهُ؟ قُلْنَا : فِي الدَّارِ . قَالَ : أَفَلَا أَذْهَبُ فَأُخْرِجُهُ إِلَيْكُمْ؟ قَالَ فَذَهَبَ فَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ خَرَجَ عَبْدُ اللَّهِ حَتَّى قَامَ عَلَيْنَا وَمَعَهُ يَزِيدُ بْنُ مُعَاوِيَةَ ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ : إِنِّي لِأُخْبِرُ بِمَجْلِسِكُمْ ، فَمَا يَمْنَعُنِي أَنْ أَخْرُجَ إِلَيْكُمْ إِلَّا كَرَاهِيَةٌ أَنْ أُمْلِكُمْ ، وَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - كَانَ يَتَخَوَّلُنَا^{٩٢٣} بِالْمَوْعِظَةِ فِي الْأَيَّامِ كَرَاهِيَةَ السَّامَةِ عَلَيْنَا .^{٩٢٤}

وعن شقيق ، قال : كَانَ عَبْدُ اللَّهِ يَخْرُجُ إِلَيْنَا ، فَيَقُولُ : إِنِّي لِأُخْبِرُ بِمَكَانِكُمْ ، وَمَا يَمْنَعُنِي أَنْ أَخْرُجَ إِلَيْكُمْ إِلَّا كَرَاهِيَةٌ أَنْ أُمْلِكُمْ ، إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَتَخَوَّلُنَا بِالْمَوْعِظَةِ فِي الْأَيَّامِ كَرَاهِيَةَ السَّامَةِ عَلَيْنَا .^{٩٢٥}

وعن أبي وائلٍ ، قال : كَانَ عَبْدُ اللَّهِ يُذَكِّرُ النَّاسَ فِي كُلِّ حَمِيْسٍ فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ : يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ لَوِ دِدْتُ أَنَّكَ ذَكَرْتَنَا كُلَّ يَوْمٍ؟ قَالَ : أَمَا إِنَّهُ يَمْنَعُنِي مِنْ ذَلِكَ أَنِّي أَكْرَهُ أَنْ أُمْلِكُمْ ، وَإِنِّي أَنْخَوْلُكُمْ بِالْمَوْعِظَةِ ، كَمَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَتَخَوَّلُنَا بِهَا ، مَخَافَةَ السَّامَةِ عَلَيْنَا^{٩٢٦}

قال الحافظ ابن حجر^{٩٢٧} : ((يُستفاد من هذا الحديث استحبابُ تركِ المُداوِمةِ في الجِدِّ في العملِ الصالحِ خشيةَ المَلالِ ، وإن كانت المُواظبةَ مَطْلُوبَةً ، لكنها على قسَمين : إمَّا كَلَّ

^{٩٢٣} أي كان يتعهدنا ، فُراعي أوقَاتنا وَيَتَطَلَّبُ أحوالنا التي نُنشِطُ فيها للموعظة ، ولا يفعل ذلك كل يومٍ لئلا نمل . السَّامَةُ : المَلالةُ ، والمعنى : كان يتعهدنا أي يُعلمنا أياماً ويدعنا بعضَ الأيامِ كراهية أن نملَّ شفقةً علينا ، ليكون أخذنا عنه بنشاطٍ وحرصٍ وشوقٍ ، لا عن ضَجَرٍ ومَلالٍ فيفوت مقصوده .

^{٩٢٤} - مسند الحميدي - المكثر - (١١٤) وصحيح مسلم - المكثر - (٧٣٠٥)

^{٩٢٥} - مسند أحمد (عالم الكتب) - (٢ / ١٤) (٣٥٨٧) صحيح

^{٩٢٦} - صحيح البخاري - المكثر - (٧٠)

^{٩٢٧} - في (فتح الباري) ١ : ١٦٣

يومٍ مع عدم التكلفِ ، وإما يوماً بعد يومٍ فيكون يومُ التركِ لأجل الراحة ، ويختلف باختلاف الأحوال والأشخاص ، والضابط الحاجةُ مع مُراعاة وجودِ النشاطِ)) .

وعن أبي هريرةَ ، قال : قُلْنَا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنَّا إِذَا كُنَّا عِنْدَكَ رَقَّتْ قُلُوبُنَا ، وَكُنَّا مِنْ أَهْلِ الْآخِرَةِ ، وَإِذَا فَارَقْنَاكَ أَعْجَبْنَا الدُّنْيَا ، وَشَمَمْنَا النِّسَاءَ وَالْأَوْلَادَ ، فَقَالَ : لَوْ تَكُونُونَ عَلَى كُلِّ حَالٍ عَلَى الْحَالِ الَّذِي أَنْتُمْ عَلَيْهِ عِنْدِي لَصَافَحْتَكُمْ الْمَلَائِكَةُ بِأَكْفُكُمْ ، وَلَوْ أَنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ ، وَلَوْ لَمْ تُذْنِبُوا لَجَاءَ اللَّهُ بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ كَمَا يَغْفِرُ لَهُمْ ، قَالَ : قُلْنَا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، حَدَّثْنَا عَنِ الْجَنَّةِ مَا بَنَّاؤُهَا ؟ قَالَ : لَبِنَةٌ مِنْ ذَهَبٍ ، وَلَبِنَةٌ مِنْ فِضَّةٍ وَمِلَاطُهَا الْمَسْكُ الْأَذْفَرُ ، وَحَصْبَاؤُهَا اللَّوْلُؤُ أَوْ الْيَاقُوتُ ، وَثُرَابُهَا الزَّرْعَفَرَانُ ، مَنْ يَدْخُلُهَا يَنْعَمُ ، فَلَا يَبْئُوسُ ، وَيَخْلُدُ لَا يَمُوتُ لَا تَبْلَى ثِيَابُهُ ، وَلَا يَفْنَى شَبَابُهُ ، ثَلَاثَةٌ لَا تُرَدُّ دَعْوَتُهُمْ : الْإِمَامُ الْعَادِلُ ، وَالصَّائِمُ حِينَ يُفْطِرُ ، وَدَعْوَةُ الْمَظْلُومِ تُحْمَلُ عَلَى الْعَمَامِ وَتُفْتَحُ لَهَا أَبْوَابُ السَّمَاوَاتِ ، وَيَقُولُ الرَّبُّ : وَعِزَّتِي لَأَنْصُرَنَّكَ وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ. ٩٢٨

وَعَنْ حَنْظَلَةَ التَّمِيمِيِّ الْأَسِيدِيِّ الْكَاتِبِ ، قَالَ : كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَذَكَرْنَا الْجَنَّةَ وَالنَّارَ حَتَّى كَانَا رَأْيَ عَيْنٍ ، فَأَتَيْتُ أَهْلِي وَوَلَدِي فَضَحِكْتُ وَلَعَبْتُ ، وَذَكَرْتُ الَّذِي كُنَّا فِيهِ ، فَخَرَجْتُ فَلَقَيْتُ أَبَا بَكْرٍ ، فَقُلْتُ : نَافَقْتُ نَافَقْتُ . فَقَالَ : إِنَّا لَنَفَعَلُهُ ، فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لَهُ ، فَقَالَ : يَا حَنْظَلَةَ ، لَوْ كُنْتُمْ تَكُونُونَ كَمَا تَكُونُونَ عِنْدِي ، لَصَافَحْتَكُمْ الْمَلَائِكَةُ عَلَى فُرُشِكُمْ ، أَوْ فِي طُرُقِكُمْ ، أَوْ كَلِمَةً نَحْوَ هَذَا ، هَكَذَا قَالَ هُوَ ، يَعْنِي سُفْيَانَ ، يَا حَنْظَلَةَ سَاعَةً وَسَاعَةً. ٩٢٩

قَوْلُهُ (نَافَقْتُ) أَي تَغَيَّرَ حَالِي بِحَيْثُ لَا يَنْبَغِي الْعَفْلَةَ عَنْهُمَا لِمَنْ آمَنَ بِهِمَا فَالْعَفْلَةَ عَنْهُمَا تُشْبِهُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْإِنكَارِ الْبَاطِنِيِّ لَوْجُودِهَا وَبِالْجُمْلَةِ فَقَدْ اشْتَبَهَ عَلَيْهِ وَجُودُ الْإِيمَانِ بِهِمَا فِي قَلْبِهِ بِلَا شَكٍّ وَعَدَّهُ نِفَاقًا وَبِهَذَا ظَهَرَ أَنَّ الشَّكَّ فِي الْإِيمَانِ لَيْسَ بِمُكْفَرٍ وَإِنَّمَا الشَّكُّ فِي الْمُؤْمِنِ بِهِ هُوَ الْمُكْفَرُ

٩٢٨ - صحيح ابن حبان - (١٦ / ٣٩٦) (٧٣٨٧) صحيح

٩٢٩ - مسند أحمد (عالم الكتب) - (٦ / ٤٩) (١٧٦٠٩) ١٧٧٥٣ - وصحيح مسلم - المكثر - (٧١٤٢)

قوله (لَوْ كُنْتُمْ كَمَا تَكُونُونَ) نَبَّهَهُمْ عَلَى أَنَّ الْحُضُورَ لَا يَدُومُ عَادَةً وَعَدَمَهُ لَا يَضُرُّ فِيهِ
وُجُودَ الْإِيمَانِ فِي الْقَلْبِ وَالْعَقْلَةَ إِنَّمَا تُنْفِي الْحُضُورَ فَلَا يَلْزَمُ مِنْهَا عَدَمُ الْإِيمَانِ
(سَاعَةٌ) يَكُونُ الْحُضُورُ لِيَنْتَظِمَ بِهِ أَمْرُ الدِّينِ وَسَاعَةٌ تَكُونُ الْعَقْلَةَ لِيَنْتَظِمَ بِهَا أَمْرُ الدِّينِ
وَالْمَعَاشِ وَفِي كُلِّ مِنْهُمَا رَحْمَةٌ عَلَى الْعِبَادِ .^{٩٣٠}

عن حنظلة الكاتب أحد كتاب الوحي لرسول الله ﷺ أنه قال : لقيني أبو بكر رضي الله
عنه فقلت نافق حنظلة يعني نفسه ومعنى نافق يعني صار من المنافقين ، قال ذلك ظنا منه
رضي الله عنه أن ما فعله نفاق ، فقال أبو بكر وكذلك كنا إذا كنا عند النبي ﷺ يذكرنا
بالجنة والنار حتى كأننا رأى عين ، يعني كأننا نرى الجنة والنار رأى عين من قوة اليقين
حيث يخبرهم بذلك ﷺ ، وما أخبر به النبي ﷺ كالمشاهد ، بل قد يكون أعظم لأنه خير
من أصدق الخلق صلوات الله وسلامه عليه وأعلم الخلق بالله ، فإذا خرجنا من عندك
عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات ، يعني هونا معهم ونسينا ما كنا عليه عند النبي ﷺ
فقال أبو بكر عن نفسه إنه يصيبه كذلك ، ثم ذهب إلى النبي ﷺ فلما وصلا إليه قال
حنظلة : نافق حنظلة يا رسول الله ، قال وما ذاك ؟ فأخبره بأنهم إذا كانوا عند النبي ﷺ
فحدثهم عن الجنة والنار أخذهم من اليقين كأنهم يرونها رأى العين ولكن إذا خرجوا
عافسوا الأهل والأولاد والضيعات وتلهوا بهم نسوا كثيرا فقال النبي ﷺ والذي نفسي بيده
لو تكونون على ما تكونون عليه عندي لصافحتكم الملائكة على فرشكم وفي طرقكم
، أي من شدة اليقين تصافحكم إكراما لكم وتثبيتا لكم ، لأنه كلما زاد يقين العبد فإن الله
سبحانه وتعالى يثبته ويقويه كما قال تعالى { وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ }
(١٧) سورة محمد ، ولكن يا حنظلة ساعة وساعة ، ساعة وساعة ، ساعة وساعة ، يعني
ساعة للرب عز وجل وساعة مع الأهل والأولاد ، وساعة للنفس حتى يعطي الإنسان
لنفسه راحتها ، ويعطي ذوي الحقوق حقوقهم ، وهذا من عدل الشريعة الإسلامية وكمالها
أن الله عز وجل له حق فيعطى حقه عز وجل ، وكذلك للنفس حق فتعطى حقها ، وللأهل
حق فيعطون حقوقهم ، وللزوار والضيوف حق فيعطون حقوقهم ، حتى يقوم الإنسان

^{٩٣٠} - حاشية السندي على ابن ماجه - (٨ / ٩١)

بجميع الحقوق التي عليه على وجه الراحة، ويتعبد لله عز وجل براحة؛ لأن الإنسان إذا أثقل على نفسه وشدد عليها ملّ وتعب وأضاع حقوقاً كثيرة، وهذا كما يكون في العبادة وفي حقوق النفس والأهل والضيف يكون كذلك أيضاً في العلوم، فإذا طلب الإنسان العلم ورأى في نفسه مللاً في مراجعة كتاب ما فلينتقل إلى كتاب آخر، وإذا رأى من نفسه مللاً من دراسة فنّ معين فإنه ينتقل إلى دراسة فن آخر، وهكذا يريح نفسه ويحصلُ علماً كثيراً، أما إذا أكره نفسه على الشيء حصل له من الملل والتعب ما يجعله يسأم وينصرف إلا ما شاء الله، فإن بعض الناس يُكره نفسه على المراجعة والمطالعة والبحث مع التعب، ثم يأخذ على ذلك ويكون هذا أمراً دائماً له، ويكون ديدنا له حتى إنه إذا فقد هذا الشيء ضاق صدره والله يُؤتي فضله من يشاء والله ذو الفضل العظيم^{٩٣١}

وَعَنْ أَنَسٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ - قَالَ « يَسْرُوا وَلَا تُعَسِّرُوا ، وَبَشِّرُوا وَلَا تُنْفِرُوا » .^{٩٣٢}

وَعَنْ أَبِي مُوسَى قَالَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - إِذَا بَعَثَ أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِهِ فِي بَعْضِ أَمْرِهِ قَالَ « بَشِّرُوا وَلَا تُنْفِرُوا وَيَسِّرُوا وَلَا تُعَسِّرُوا » .^{٩٣٣}

قال الإمام النووي^{٩٣٤} : ((في هذا الحديث الأمرُ بالتبشيرِ بفضلِ الله وعظيمِ ثوابه ، وجزئيلِ عَطائِهِ وسعةِ رحمته ، والنهي عن التنفيرِ بذكرِ التخويفِ وأنواعِ الوعيدِ مَحْضَةً من غيرِ ضَمِّهَا إلى التبشيرِ .

وفي هذا الحديث أيضاً بيانُ تأليفِ من قَرُبَ إسلامُهُ وتركِ التشديدِ عليهم ، وكذلك من قاربَ البلوغَ من الصبيانِ ومن بَلَغَ ومن تابَ عن المعاصي ، كُلُّهُمْ يُتَلَطَّفُ بِهِمْ ، وَيُدْرَجُونَ فِي أَنْوَاعِ الطَّاعَةِ قَلِيلاً قَلِيلاً .

^{٩٣١} - شرح رياض الصالحين لابن عثيمين - (٢ / ٤٥)

^{٩٣٢} - صحيح البخاري - المكثر - (٦٩)

^{٩٣٣} - صحيح مسلم - المكثر - (٤٦٢٢)

^{٩٣٤} - في ((شرح صحيح مسلم)) ١٢ : ٤١

وقد كانت أمور الإسلام في التكليف على التدريج ، فمتى يُسَّرَ على الداخل في الطاعة أو المرید للدخول فيها سهَّلت عليه ، وكانت عاقبته غالباً التزايد ، ومتى عُسَّرت عليه أو شُكَّ أن لا يدخل فيها ، وإن دخل أو شكَّ أن لا يدوم أو لا يستحليها) .

وقال الحافظ ابن حجر: " وكذلك الزجر عن المعاصي ينبغي أن يكون بتلطف ليقبل ، وكذا تعلم العلم ينبغي أن يكون بالتدريج ، لأن الشيء إذا كان في ابتدائه سهلاً حب إلى من يدخل فيه وتلقاه بانسباط ، وكانت عاقبته غالباً الازدياد ، بخلاف ضده . والله تعالى أعلم .^{٩٣٥}

وعن ابن عباس ، قال : حَدَّثَ النَّاسَ كُلَّ جُمُعَةٍ مَرَّةً ، فَإِنْ أُبَيَّتَ فَمَرَّتَيْنِ ، فَإِنْ أَكْثَرَتْ فَثَلَاثَ مَرَّاتٍ ، وَلَا تَمَلَّ النَّاسَ هَذَا الْقُرْآنَ ، وَلَا تَأْتِ الْقَوْمَ وَهُمْ فِي حَدِيثٍ فَتَقَطَّعَ عَلَيْهِمْ حَدِيثَهُمْ ، وَلَكِنْ أَنْصِتْ فَإِذَا أَمْرُوكَ فَحَدِّثْهُمْ وَهُمْ يَشْتَهُونَهُ ، إِيَّاكَ وَالسَّجْعَ فِي الدُّعَاءِ فَإِنِّي عَهَدْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَأَصْحَابَهُ لَا يَفْعَلُونَ ذَلِكَ ، رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ^{٩٣٦}

وعن عبيد الله بن عدي بن الخيار ، قال : سَمِعْتُ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَلَى الْمَنْبَرِ يَقُولُ : إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا تَوَاضَعَ لِلَّهِ رَفَعَ اللَّهُ حِكْمَتَهُ ، وَقَالَ : انْتَعَشْ نَعَشَكَ اللَّهُ فَهُوَ فِي عَيْنِهِ حَقِيرٌ وَفِي أَعْيُنِ النَّاسِ كَبِيرٌ ، وَإِذَا تَكَبَّرَ وَعَدَا طَوْرَهُ وَهَوَّصَهُ اللَّهُ إِلَى الْأَرْضِ ، فَقَالَ : اخْسَأْ أَخْسَأَكَ اللَّهُ فَهُوَ فِي نَفْسِهِ كَبِيرٌ وَفِي أَعْيُنِ النَّاسِ حَقِيرٌ حَتَّى لَّهُوَ أَحْقَرُ فِي النَّاسِ مِنَ الْخَنْزِيرِ ، ثُمَّ قَالَ : أَيُّهَا النَّاسُ لَا تُبَعْضُوا اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ إِلَى عِبَادِهِ ، قَالَ : فَقَالَ قَائِلٌ : وَكَيْفَ ذَلِكَ أَصْلَحَكَ اللَّهُ ؟ ، قَالَ : يَجْلِسُ أَحَدُكُمْ قَاصًّا فَيُطَوَّلُ عَلَى النَّاسِ حَتَّى يُبْعَضَ إِلَيْهِمْ مَا هُمْ فِيهِ ، وَيَقُومُ أَحَدُكُمْ إِمَامًا فَيُطَوَّلُ عَلَى النَّاسِ حَتَّى يُبْعَضَ إِلَيْهِمْ مَا هُمْ فِيهِ^{٩٣٧}

^{٩٣٥} - فتح الباري لابن حجر - (١ / ١٦٣)

^{٩٣٦} - المَدْخَلُ إِلَى السُّنَنِ الْكُبْرَى لِلْبَيْهَقِيِّ >> بَابُ التَّخَوُّلِ بِالْمَوْعِظَةِ وَالْعِلْمِ مَخَافَةَ الْمَلَالِ << (٤٨٨) وصحيح

البخارى - المكثر - (٦٣٣٧)

^{٩٣٧} - المَدْخَلُ إِلَى السُّنَنِ الْكُبْرَى لِلْبَيْهَقِيِّ (٤٨٩) حسن

وَقَالَتْ عَائِشَةُ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : خُذُوا مِنَ الْعَمَلِ مَا تُطِيقُونَ ، فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَمَلُّ حَتَّى تَمَلُّوا ، قَالَتْ : وَكَانَ أَحَبُّ الْأَعْمَالِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَا دَامَ عَلَيْهِ ، وَإِنْ قَلَّ ، وَكَانَ إِذَا صَلَّى صَلَاةً دَامَ عَلَيْهَا قَالَ : يَقُولُ أَبُو سَلَمَةَ : قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : { الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ } [المعارج : ٩٤٤].

وَعَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَحْتَجِرُ حَصِيرًا بِاللَّيْلِ فَيُصَلِّي إِلَيْهِ ، وَيَسُطُّهُ بِالنَّهَارِ فَيَجْلِسُ عَلَيْهِ ، قَالَ : فَجَعَلَ النَّاسُ يَثُوبُونَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَيُصَلُّونَ بِصَلَاتِهِ حَتَّى كَثُرُوا ، قَالَ : فَأَقْبَلَ عَلَيْهِمْ فَقَالَ : أَيُّهَا النَّاسُ ، خُذُوا مِنَ الْأَعْمَالِ مَا تُطِيقُونَ ، فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَمَلُّ حَتَّى تَمَلُّوا ، وَإِنْ أَحَبَّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ مَا دَامَ وَإِنْ قَلَّ. ٩٤٥.

وَعَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - قَالَتْ كَانَتْ عِنْدِي امْرَأَةٌ مِنْ بَنِي أَسَدٍ فَدَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - فَقَالَ « مَنْ هَذِهِ » . قُلْتُ فَلَانَةٌ لَا تَنَامُ بِاللَّيْلِ . فَذَكَرَ مِنْ صَلَاتِهَا فَقَالَ « مَهْ عَلَيْكُمْ مَا تُطِيقُونَ مِنَ الْأَعْمَالِ ، فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَمَلُّ حَتَّى تَمَلُّوا » . ٩٤٦.

وَعَنْ أَبِي سَلَمَةَ أَنَّ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - حَدَّثَتْهُ قَالَتْ لَمْ يَكُنِ النَّبِيُّ ﷺ - يَصُومُ شَهْرًا أَكْثَرَ مِنْ شَعْبَانَ ، فَإِنَّهُ كَانَ يَصُومُ شَعْبَانَ كُلَّهُ ، وَكَانَ يَقُولُ « خُذُوا مِنَ الْعَمَلِ مَا تُطِيقُونَ ، فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَمَلُّ حَتَّى تَمَلُّوا ، وَأَحَبُّ الصَّلَاةِ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ - مَا دُوِمَ عَلَيْهِ ، وَإِنْ قَلَّتْ » وَكَانَ إِذَا صَلَّى صَلَاةً دَائِمَةً عَلَيْهَا . ٩٤٧.

قال الطحاوي : " فَقَالَ قَائِلٌ : وَكَيْفَ يَجُوزُ لَكُمْ أَنْ تَقْبَلُوا هَذَا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَفِيهِ إِضَافَةٌ الْمَلَلِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى فِي حَالٍ مَا وَذَلِكَ مُنْتَفٍ عَنِ اللَّهِ وَلَيْسَ مِنْ صِفَاتِهِ ؟ ، فَكَانَ جَوَابَنَا لَهُ فِي ذَلِكَ أَنَّ الْمَلَلَ مُنْتَفٍ عَنِ اللَّهِ كَمَا ذَكَرَ وَلَيْسَ مَا تَوَهَّمَهُ ، مِمَّا حُمِلَ عَلَيْهِ تَأْوِيلُ هَذَا الْحَدِيثِ كَمَا تَوَهَّمَهُ ، وَإِنَّمَا هُوَ عِنْدَ أَهْلِ الْعِلْمِ فِي اللَّغَةِ عَلَى قَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ

٩٤٤ - صحيح ابن حبان - (٢ / ٦٧) (٣٥٣) صحيح

٩٤٥ - صحيح ابن حبان - (٦ / ٣١٠) (٢٥٧١) وصحيح البخارى - المكثر - (٥٨٦١) وصحيح مسلم - المكثر -

(١٨٦٣)

٩٤٦ - صحيح البخارى - المكثر - (١١٥١)

٩٤٧ - صحيح البخارى - المكثر - (١٩٧٠)

ﷺ: " لَا يَمَلُّ اللَّهُ إِذَا مَلَلْتُمْ " إِذْ كَانَ الْمَلَلُ مَوْهُومًا مِنْكُمْ وَغَيْرَ مَوْهُومٍ مِنْهُ عَزَّ وَجَلَّ، وَكَانَ مِثْلَ ذَلِكَ الْكَلَامِ الْجَارِي عَلَى أَلْسِنِ النَّاسِ عِنْدَ وَصْفِهِمْ مَنْ يَصِفُونَهُ بِالْقُوَّةِ عَلَى الْكَلَامِ وَالْبَلَاغَةِ مِنْهُ وَالْبَرَاعَةِ بِهِ لَا يَنْقَطِعُ فُلَانٌ عَنْ خُصُومَةٍ خَصَمَهُ حَتَّى يَنْقَطِعَ خَصْمُهُ لَيْسَ يُرِيدُونَ بِذَلِكَ أَنَّهُ يَنْقَطِعُ بَعْدَ انْقِطَاعِ خَصْمِهِ ؛ لِأَنَّهُمْ لَوْ كَانُوا يُرِيدُونَ ذَلِكَ لَمْ يُثْبِتُوا لِلَّذِي وَصَفُوهُ فَضِيلَةً إِذْ كَانَ يَنْقَطِعُ بَعْقِبِ انْقِطَاعِ خَصْمِهِ كَمَا انْقَطَعَ خَصْمُهُ وَلَكِنَّهُمْ يُرِيدُونَ أَنَّهُ لَا يَنْقَطِعُ بَعْدَ انْقِطَاعِ خَصْمِهِ كَمَا انْقَطَعَ خَصْمُهُ عَنْهُ، وَأَنَّهُ يَكُونُ مِنَ الْقُوَّةِ وَالِاضْطِلَاعِ بِخُصُومَتِهِ بَعْدَ انْقِطَاعِ خَصْمِهِ عَنْهَا كَمِثْلِ مَا كَانَ عَلَيْهِ مِنْهَا قَبْلَ انْقِطَاعِ خَصْمِهِ عَنْهَا فَمِثْلُ ذَلِكَ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ قَوْلَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: " لَا يَمَلُّ اللَّهُ حَتَّى تَمَلُّوا " وَإِنَّ اللَّهَ لَا يَمَلُّ حَتَّى تَمَلُّوا " أَيِ إِنْكُمْ قَدْ تَمَلُّونَ فَتَنْقَطِعُونَ، وَاللَّهُ بَعْدَ مَلَلِكُمْ وَانْقِطَاعِكُمْ عَلَى الْحَالِ الَّتِي كَانَ عَلَيْهَا قَبْلَ ذَلِكَ مِنْ انْتِفَاءِ الْمَلَلِ وَالِانْقِطَاعِ عَنْهُ، وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ^{٩٤٨}

وَقَالَ الْكَلَابَاذِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: " الْمَلَالُ تَكَرُّرُهُ يَعْزُضُ لِلْإِنْسَانِ مِنْ عَمَلٍ يَعْمَلُهُ ، وَأَذَى يَلْحَقُهُ مِنْهُ ، وَتَعَبٌ يُصِيبُهُ ، فَيَصْبِرُ عَلَيْهِ ، وَيَتَحَمَّلُ التَّعَبَ فِيهِ ، حَتَّى يَضْجَرَ وَيَسْأَمَ ، فَيَتْرَكَ ذَلِكَ الْعَمَلَ اسْتِثْقَالًا لَهُ ، وَيَرْفُضُهُ تَضْجُرًا مِنْهُ وَسَأَمَةً ، وَهُوَ شَيْءٌ يَعْزُضُ لِلطَّبْعِ بَعْدَ إِثَارِهِ لِلشَّيْءِ وَرَغْبَتِهِ فِيهِ ، وَهَذِهِ صِفَةُ الْإِنْسَانِ الْمَطْبُوعِ عَلَى طِبَائِعِ مُخْتَلِفَةٍ وَأَوْصَافٍ ، وَيَتَعَالَى عَنْهَا عُلُوقًا كَبِيرًا ، فَالْمَلَالُ لَيْسَ بِصِفَةِ لَهُ ، وَلَا يَجُوزُ مَعْنَاهُ الْمَفْهُومُ عِنْدَنَا مِنْ أَوْصَافٍ يَلْحَقُهُ الْمَلَالُ مِنَ الْمُحَدِّثِينَ عَلَيْهِ ، وَهُوَ صِفَةُ الْإِنْسَانِ الْمَطْبُوعِ الَّذِي يَضْعُفُ مِنْ تَحَمُّلِ مَا يَعْزُضُ لَهُ ، وَيَثْقُلُ عَلَيْهِ ، وَيُؤْوِدُهُ شَيْءٌ ، وَيُؤْذِيهِ . فَمَعْنَى قَوْلِهِ ﷺ: " إِنْ اللَّهَ لَا يَمَلُّ حَتَّى تَمَلُّوا " ، لَيْسَ عَلَى الْعَايَةِ ، وَالتَّوْقِيتِ ، وَيُوصَفُ هُوَ تَعَالَى بِهَذِهِ الصِّفَةِ فِي وَقْتٍ ، أَوْ عِنْدَ تَغْيِيرٍ ، بَلْ هُوَ عَلَى النَّفْيِ عَنْهُ ، وَالتَّبَرُّتِ لَهُ مِنْهُ ، فَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مَعْنَى قَوْلِهِ: " حَتَّى تَمَلُّوا " ، وَتَمَلُّوا بَلْ تَمَلُّوا ، أَيِ: لَا يَمَلُّونَ ، وَلَا يَمَلُّ ، بَلْ تَمَلُّونَ ، كَأَنَّهُ يَقُولُ: الْمَلَالُ لَكُمْ صِفَةٌ ، وَهَذِهِ الصِّفَةُ لِحَقِّقَةِ بِكُمْ إِذَا تَكَلَّفْتُمُ الْأَعْمَالَ ، وَأَكْرَهْتُمْ عَلَيْهَا نُفُوسَكُمْ ، وَتَحَمَلْتُمْ مَا يَلْحَقُكُمْ مِنَ التَّعَبِ فِيهِ ، وَصَبَرْتُمْ عَلَيْهِ ، فَيُوشِكُ أَنْ يَضْعُفَ عَنْهَا قَوَاكُمْ تَسْتَثْقِلُوهَا ، وَتَضْجُرُوا مِنْهَا ، فَتَرْفُضُوا اسْتِثْقَالًا لَهَا ، وَاسْتِعْرَاضًا مِنْهَا ، وَزُهْدًا فِيهَا

^{٩٤٨} - شرح مشكل الآثار - (٢ / ١١٨)

، وَرَغْبَةً عَنْهَا ، وَبُغْضًا لَهَا ، فَلَا تَعُودُوا إِلَيْهِ ، وَاللَّهُ تَعَالَى جَدُّهُ لَا يُصِيبُهُ هَذِهِ الْآفَاتُ ، وَلَا يَعْتَرِضُ لَهُ هَذِهِ الْعَوَارِضُ ، فَلَا يَصْرِفُكُمْ عَمَّا تُكَلِّفُونَ ، وَلَا يَنْهَاكُمْ عَمَّا تَعْمَلُونَ ، وَلَا يَحُولُ بَيْنَكُمْ ، وَبَيْنَهَا كِرَاهَةً لَهَا ، وَاسْتِثْقَالَ مِنْهُ إِيَّاهَا ، وَبُغْضًا لَهَا ، بَلْ يُصِيبُكُمْ ذَلِكَ ، فَتَتْرَكُونَ ، فَتَتْرَكُونَ عِبَادَةَ رَبِّكُمْ ، وَتَسْتَقْبِلُونَ خِدْمَةَ مَوْلَاكُمْ ، وَتُبْغِضُونَ طَاعَةَ رَبِّكُمْ

٩٤٩

وقال القرطبي : " قوله ﷺ : ((عليكم من الأعمال ما تطيقون)) : هذا حضٌ على التخفيف في [أعمال] النوافل ، ويتضمن الزجر عن التشديد ، والغلو فيها . وسبب ذلك : أن التخفيف يكون معه الدوام والنشاط ، فيكثر الثواب لتكرار العمل ، وفراغ القلب ، بخلاف الشاق منها ، فإنه يكون معه التشويش والانقطاع غالباً .

وقوله : ((فإن الله لا يملّ حتى تملوا)) : ظاهره محالٌ على الله تعالى . فإن الملل فتورٌ عن تعب ، وألمٌ عن مشقة ، وكل ذلك محال على الله تعالى ، وإنما أطلق هنا على الله تعالى على جهة المقابلة اللفظية مجازاً ؛ كما قال الله تعالى : { ومكروا ومكر الله } ، و : { فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه } ، وجهة [مجازه] : أنه تعالى لما كان يقطع ثوابه [عَمَّنْ مَلَّ من العمل] وَقَطَعَهُ ؛ عبّر عن ذلك بالملل ؛ من باب تسمية الشيء باسم سببه. "٩٥٠

وقال الحافظ ابن حجر : " وفيه الحث على الاقتصاد في العبادة ، والنهي عن التعمق فيها ، والأمر بالإقبال عليها بنشاط . وفيه إزالة المنكر باليد واللسان . وجواز تنفّل النساء في المسجد .

وفي قوله ﷺ في جواب ذلك "مه" إشارة إلى كراهة ذلك خشية الفتور والملل على فاعله لئلا ينقطع عن عبادة التزمها فيكون رجوعاً عما بذل لربه من نفسه. "٩٥١

وقال الحافظ ابن حجر : " وفيه أن من أجهد نفسه في شيء من العبادة خشية عليه أن يمل فيفضي إلى تركه ، والمداومة على العبادة وإن قلت أولى من جهد النفس في كثرتها إذا

٩٤٩ - بحرُ الفوائدِ المُسمَّى بِمَعَانِي الْأَخْيَارِ لِلْكَاتِبِ (١٦٧)

٩٥٠ - المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم - (٧ / ٤٧)

٩٥١ - فتح الباري لابن حجر - (٣ / ٣٧)

انقطعت، فالقليل الدائم أفضل من الكثير المنقطع غالباً، وقد تقدم الكلام على مداومته ﷺ على صلاة التطوع في بابها. ٩٥٢

الخلاصة :

- (١) ينبغي على المعلم أن لا يكثر من الدروس على طلابه خشية مللهم .
- (٢) إذا ملَّ طالب العلم من الدرس والتحصيل ضعف استيعابه وفهمه
- (٣) ينبغي تخول المتعلمين بالموعظة ، ولا بد من مراعاة ظروفهم وحاجاتهم ، واستعداداتهم .

[٣٩] رعايته ﷺ الفروق الفردية في المتعلمين:

كان ﷺ شديد المراعاة للفروق الفردية بين المتعلمين من المخاطبين والسائلين، فكان يُخاطب كل واحد بقدر فهمه وبما يُلائم منزلته، وكان يُحافظ على قلوب المبتدئين، فكان لا يُعلمهم ما يُعلم المنتهين . وكان يجيب كل سائل عن سؤاله بما يهّمه ويُناسب حاله .

عَنْ قَتَادَةَ قَالَ حَدَّثَنَا أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ - وَمُعَاذُ رَدِيفُهُ عَلَى الرَّحْلِ قَالَ « يَا مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ » . قَالَ لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ . قَالَ « يَا مُعَاذُ » . قَالَ لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ . ثَلَاثًا .

قَالَ « مَا مِنْ أَحَدٍ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ صِدْقًا مِنْ قَلْبِهِ إِلَّا حَرَّمَهُ اللَّهُ عَلَى النَّارِ » . قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَفَلَا أُخْبِرُ بِهِ النَّاسَ فَيَسْتَبْشِرُوا قَالَ « إِذَا يَتَّكَلَمُوا » . وَأَخْبَرَ بِهَا مُعَاذٌ عِنْدَ مَوْتِهِ تَأْتِمًا ٩٥٣ .

٩٥٢ - فتح الباري لابن حجر - (٤ / ٢١٥)

٩٥٣ - صحيح البخارى - المكثر - (١٢٨)

أي لا تُبشِّرهم بذلك فإنهم يَمْتَنِعون من العمل اعتماداً على ما يَتَبَادَرُ من ظاهره من أن مجرد الشهادة بالوحدانية والرسالة تكفي للنجاة من النار ، ولا يَتَّبِعُونَ إلى ان المراد الإتيان بالشهادتين مع أداء حقوقهما من إطاعة الله وإطاعة رسوله في الشرائع والأحكام وفي الحديث بيان وجوب أن يُخَصَّ بالعلم الدقيق قومٌ فيهم الضبطُ وصحة الفهم ، وأن لا يُبذَل لمن لا يَسْتَأْهُله من الطلبة ومن يُخافُ عليه الترخُّصُ والاتكال لتقصير فهمه ، قاله البدرُ العيني في ((عمدة القاري شرح صحيح البخاري))^{٩٥٤}

وقال الحافظ ابن رجب في ((شرح البخاري)) : ((قال العلماء : يُؤخذ من منَع معاذ من تبشير الناس لئلا يَتَكَلَّموا ، أن أحاديثَ الرُّخَص لا تُشاعُ في عُمومِ الناس ، لئلا يَقْصُر فهمهم عن المرادِ بها، وقد سَمِعَها معاذ فلم يَزِدْ إلا اجتهاداً في العمل وخشيةً لله عزَّ وجلَّ ، فأما من لم يَبْلُغْ منزلته فلا يُؤمَّن أن يُقَصِّر اتكالاً على ظاهر هذا الخبر))^{٩٥٥} .

وعلى هذا المنوال من ترك التحديث لكل واحد بكل شيء ، جرى عمل الصحابة ، فمن بعدهم من أهل العلم ، وَقَالَ عَلِيٌّ : حَدَّثُوا النَّاسَ بِمَا يَعْرِفُونَ ، أَتَحِبُّونَ أَنْ يُكَذِّبَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ^{٩٥٦}

وَعَنْ أَبِي الطُّفَيْلِ ، قَالَ : سَمِعْتُ عَلِيًّا ، عَلَيْهِ السَّلَامُ يَقُولُ : أَيُّهَا النَّاسُ أَتُرِيدُونَ أَنْ يُكَذِّبَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ حَدَّثُوا النَّاسَ بِمَا يَعْرِفُونَ ، وَدَعُوا مَا يُنْكِرُونَ^{٩٥٧}

والمراد بقوله (بما يعرفون) أي يفهمون ، وقوله (ما ينكرون) أي يشتمه عليهم فهمه ، وأما قوله (... أن يكذب الله ورسوله) ، فذلك لأن الشخص إذا سَمِعَ ما لا يفهمه وما لا يَتَصَوَّرُ إمكانه يَعتَقِدُ استحالته جهلاً ، فلا يُصدِّقُ وجوده ، فإذا ذُكِرَ له مثلُ هذا عن النبي ﷺ ، يلزم منه تكذيبه ، وفي تكذيب النبي ﷺ تكذيبُ الله عز وجل .

٢٠٨: ٢ - ٩٥٤

٩٥٥ - كذا في ((فتح الملهم شرح صحيح مسلم)) للعلامة شيبير أحمد العثماني ١ : ٥٨٨ .

٩٥٦ - صحيح البخاري - المكثر - (١٢٧)

٩٥٧ - المَدْخَلُ إِلَى السُّنَنِ الْكُبْرَى لِلْبَيْهَقِيِّ (٤٩٧) صحيح

قال الحافظ ابن حجر^{٩٥٨}: ((فيه دليل على أن المتشابه لا ينبغي أن يُذكر عند العامة . ومثله قول ابن مسعود رضي الله تعالى عنه : ما أنت بمُحدِّثٍ قوماً حديثاً لا تَبْلُغُهُ عقولُهم إلاَّ كان لبعضِهِم فتنةً^{٩٥٩} ، ومن كره التحديث ببعض دون بعضٍ أحمد في الأحاديث التي ظاهرها الخروجُ على السلطان ، ومالك في أحاديث الصفات ، أي التي يوهم ظاهرها التشبيه ، وأبو يوسف في الغرائب ، ومن قبلهم أبو هريرة ، وحذيفة... وضابط ذلك أن يكون ظاهر الحديث يُقوي البدعة ، وظاهره في الأصل غيرُ مرادٍ ، فالإمساكُ عنه عند من يُخشى عليه الأخذُ بظاهره مطلوبٌ ، والله أعلم)).

وهذا أصلٌ عظيم في باب التعليم ، أن يُراعي المُعلِّم مقدارَ عقلِ الطالب وفهمه ، فيُعطيهِ ما يتحمَّله عقله ، ويُمسكُ عنه ما وراء ذلك .

قال الإمام الغزالي رحمه الله تعالى^{٩٦٠}: ((من وظائف المُعلِّم أن يقتصرَ بالمتعلِّم على قدر فهمه ، فلا يُلقِي إليه ما لا يبلغه عقله فيُنفره أو يُخبِّطُ عليه عقله ، اقتداءً في ذلك بسيد البشر ﷺ فقد كان يُراعي ذلك في تعليمه وتحديثه ووعظه ، فليُثبت إليه الحقيقة إذا علم أنه يستقلُّ بفهمها .

ولا ينبغي أن يُفشيَ العالمُ كلَّ ما يعلم إلى كلِّ أحد ، هذا إذا كان يفهمه المتعلِّم ولم يكن أهلاً للانتفاع به ، فكيف فيما لا يفهمه؟ ولذلك قيل قائله أبو طالب المكي في ((قوت القلوب)) : ((كلُّ لكل عبدٍ بمِيارِ عقله ، وزنُّ له بمِيزانِ فهمه ، حتى تَسَلِّمَ منه وَيَنْتَفِعَ بك ، وإلاَّ وَقَعَ الإنكارُ لتفاوتِ المِيارِ .

وقد قال الله تعالى : (ولا توتوا السُّفهاءَ أموالكم) ، تنبيهاً على أن حفظَ العلم ممن يُفسدُه ويضُرُّه أولى ، وليس الظلمُ في إعطاء غيرِ المُستحقِّ بأقلِّ من الظلم في منع المُستحقِّ .

^{٩٥٨} - في ((فتح الباري)) ١ : ٢٢٥

^{٩٥٩} - صحيح مسلم - المكثر - (١٤)

^{٩٦٠} - في ((إحياء علوم الدين)) ١ : ٥٧ ٥٨

قال : والمتعلم القاصر ينبغي أن يُلقى إليه الجليّ اللائق به ، ولا يذكر له أن وراء هذا تدقيقاً وهو يدخره عنه ، فإن ذلك يُفتر رغبتة في الجليّ ، ويشوش عليه قلبه ، ويوهم إليه البخل به عنه ، إذ يظن كلُّ أحد أنه أهلٌ لكلِّ علمٍ دقيقٍ .

بل لا ينبغي ان يُخاضَ مع العوام في حقائق العلوم الدقيقة ، بل يُقتصر معهم على تعليم العبادات وتعليم الأمانة في الصناعات التي هم بصددِها ، ويملاً قلوبهم من الرغبة والرغبة في الجنة والنار ، كما نطق به القرآن ، ولا يُحرّك عليهم شبهةً فإنه ربما تعلقت الشبهة بقلبه ويعسر عليه حلُّها فيشقى ويهلك)) . انتهى مختصراً .

قوله (تأثماً) أي تجنباً للإثم ، والمراد الإثم الحاصل من كتمان العلم .

قال الإمام أبو عمرو بنُ الصلاح في : ((وإخبارُ مُعَاذٍ بذلك عند موته مع أن النبي ﷺ منعه من أن يُخبر به الناس ، وجهه عندي : أنه منعه من التبشير العام خوفاً من أن يسمع ذلك من لا خيرة له ولا علم فيغتر ويتكل .

ومع ذلك أخبر ﷺ به على الخصوص من أمن عليه الاغترار والاتكال من أهل المعرفة بالحقائق ، فإنه أخبر به مُعَاذاً ، فسلك مُعَاذٌ هذا المسلك ، وأخبر به من الخاصة من رآه أهلاً لذلك تأثماً من أن يكتّم علماً أهله ، والله أعلم))^{٩٦١} .

وعن عبد الله بن عمرو بن العاصي ، قال : كُنَّا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ ، فَجَاءَ شَابٌّ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَقْبَلُ وَأَنَا صَائِمٌ ؟ قَالَ : لَا ، فَجَاءَ شَيْخٌ فَقَالَ : أَقْبَلُ وَأَنَا صَائِمٌ ؟ قَالَ : نَعَمْ قَالَ : فَنَظَرَ بَعْضُنَا إِلَى بَعْضٍ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : قَدْ عَلِمْتُ لِمَ نَظَرَ بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ ، إِنَّ الشَّيْخَ يَمْلِكُ نَفْسَهُ.^{٩٦٢}

(إن الشيخ يملك نفسه)) أي فلا يُخشى عليه إفساد الصوم بالوقوع في الجماع ، بخلاف الشاب فقد يجره التقبيل إلى الجماع أو الإنزال فيفسد عليه صومه . فاختلَفَ الجوابُ لاختلاف حالِ السائلين .

^{٩٦١} - ((شرح صحيح مسلم)) ص ١٨٥

^{٩٦٢} - مسند أحمد (عالم الكتب) - (٢ / ٦٤٥) (٦٧٣٩) والصحيحة (١٦٠٦) وصحيح الجامع (١٦٤٦) حسن

وعن عبد الله بن عمرو ، قال : جاء رجلٌ إلى النبي ﷺ ، يستأذنه في الجهاد ، فقال :
أحيي والدك ؟ قال : نعم ، قال : ففيهما فجاهد. ^{٩٦٣}

وعن عبد الله بن عمرو ، قال : جاء رجلٌ إلى رسول الله ﷺ ، فقال : يا رسول الله
أجاهد ؟ فقال : لك أبوان ؟ قال : نعم ، قال : ففيهما فجاهد. ^{٩٦٤}

أي إن كان لك أبوان فأبلغ جهدك في برهما والإحسان إليهما ، فإن ذلك يقوم لك مقام
قتال العدو والجهاد .

وعن يزيد بن أبي حبيب أن ناعماً مولى أم سلمة حدثه أن عبد الله بن عمرو بن العاص
قال أقبل رجلٌ إلى نبي الله - ﷺ - فقال أبايعك على الهجرة والجهاد أبتغي الأجر من
الله . قال « فهل من والدك أحدٌ حيٌّ » . قال نعم بل كلاهما . قال « فتبتغي الأجر من
الله » . قال نعم . قال « فارجع إلى والدك فأحسن صحبتَهُما » . ^{٩٦٥}

هذا مع ما عُرف عن النبي ﷺ من الحُضِّ على الجهاد والهجرة والترغيب فيهما، ولكنه ﷺ
لاحظ حال هذا السائل بخصوصه، فرأى برَّ الوالدين أهمَّ وأفضلَ في حقه من الجهاد
واختلاف أجوبة النبي ﷺ لاختلاف أحوال السائلين وظروفهم وقدراتهم : بابٌ واسعٌ له
أمثلة كثيرة في كتب السنة المطهرة .

ومن ذلك وصايا النبي ﷺ المختلفة لأناسٍ طلبوا منه الوصية، فأوصى كلَّ واحدٍ بغير ما
أوصى به الآخر، ووجه ذلك يرجع إلى اختلاف أحوال الذين سألوه الوصية .

عن أبي ذرٍّ ، أن النبي ﷺ قال له : : أتق الله حيثما كنتَ ، وأتبع السيئةَ الحسنةَ تمحُّها
، وخالق الناسَ بخُلُقٍ حسنٍ. ^{٩٦٦}

^{٩٦٣} - صحيح ابن حبان - (٢ / ٢١) (٣١٨) وصحيح البخارى - المكثر - (٣٠٠٤) وصحيح مسلم - المكثر -
(٦٦٦٨)

^{٩٦٤} - صحيح ابن حبان - (٢ / ١٦٤) (٤٢٠) وصحيح البخارى - المكثر - (٥٩٧٢)

^{٩٦٥} - صحيح مسلم - المكثر - (٦٦٧١)

^{٩٦٦} - مسند أحمد (عالم الكتب) - (٧ / ١٦٥) (٢١٣٥٤) (٢١٦٨١) - صحيح لغيره

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ - ﷺ - قَالَ عَلَّمَنِي شَيْئًا وَلَا تُكْثِرْ عَلَيَّ لَعَلِّي أَعْيِهِ^{٩٦٧}. قَالَ « لَا تَغْضَبْ ». فَرَدَّدَ ذَلِكَ مَرَارًا كُلَّ ذَلِكَ يَقُولُ « لَا تَغْضَبْ »^{٩٦٨}.

قوله (لا تغضب) قال الخطابي : ((معناه : لا تعرّض لأسباب الغضب ، وللأمور التي تجلب الغضب ، إذ نفس الغضب مطبوع في الإنسان لا يمكن إخراجها من جبلته ، أو معناه : لا تفعل ما يأمرك الغضب ويحملك عليه من الأقوال والأفعال))^{٩٦٩}.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ أَعْرَابِيًّا أَتَى النَّبِيَّ - ﷺ - فَقَالَ ذُلَّنِي عَلَى عَمَلٍ إِذَا عَمَلْتُهُ دَخَلْتُ الْجَنَّةَ . قَالَ « تَعْبُدُ اللَّهَ لَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا ، وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ الْمَكْتُوبَةَ ، وَتُؤَدِّي الزَّكَاةَ الْمَفْرُوضَةَ ، وَتَصُومُ رَمَضَانَ » . قَالَ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا أَزِيدُ عَلَى هَذَا . فَلَمَّا وُلِّيَ قَالَ النَّبِيُّ - ﷺ - « مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَلْيَنْظُرْ إِلَيَّ هَذَا »^{٩٧٠}.

ومراد الأعرابي أنه لا يزيد على الصلاة المكتوبة ، والزكاة المفروضة ، وصيام رمضان ، وحج البيت شيئاً من التطوع ، ليس مراده أنه لا يعمل بشيء من شرائع الإسلام وواجباته غير ذلك ، وهذه الأحاديث لم يذكر فيها اجتناب المحرمات ؛ لأن السائل إنما سأله عن الأعمال التي يدخل بها عاملها الجنة^{٩٧١}.

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُسْرِ ، قَالَ : أَتَى النَّبِيَّ ﷺ أَعْرَابِيَّانِ ، فَقَالَ أَحَدُهُمَا : مَنْ خَيْرُ الرَّجَالِ يَا مُحَمَّدُ ؟ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : مَنْ طَالَ عُمُرُهُ ، وَحَسُنَ عَمَلُهُ ، وَقَالَ الْآخَرُ : إِنَّ شَرَّ رِجَالٍ

^{٩٦٧} - أي أحفظه وأعقله .

^{٩٦٨} - سنن الترمذي - المكثر - (٢١٥٢) هذا حديث حسن صحيح

^{٩٦٩} - كذا في ((عمدة القاري)) للبدر العيني ٢٢ : ١٦٤ .

^{٩٧٠} - صحيح البخاري - المكثر - (١٣٩٧) وصحيح مسلم - المكثر - (١١٦)

هذه الجملة المبشرة : (من سره أن ينظر .. فلينظر إلى هذا) يقولها بعض الناس في بعض الصالحين ، ولكن ينبغي التحفظ من قولها ، لأن فيها الجزم والقطع لمن قيلت فيه بانه من أهل الجنة ، وهذا لا يعلمه إلا الله ورسوله بوحى الله له ، فاقتضى التنبيه . الرسول المعلم ﷺ وأساليبه في التعليم لأي غدة - (١ / ٦٩)

^{٩٧١} - جامع العلوم والحكم محقق - (٦ / ٢٤)

الإسلامَ قَدْ كَثُرَتْ عَلَيْنَا ، فَبَابُ تَتَمَسَّكَ بِهِ جَامِعٌ ؟ قَالَ : لَا يَزَالُ لِسَانُكَ رَطْبًا مِنْ ذِكْرِ
اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ .^{٩٧٢}

وَعَنْ عَمْرِو بْنِ قَيْسٍ ، قَالَ : سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ بُسَيْرٍ يَقُولُ : جَاءَ أَعْرَابِيَّانِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ
ﷺ ، فَقَالَ أَحَدُهُمَا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَيُّ النَّاسِ خَيْرٌ ؟ قَالَ : مَنْ طَالَ عُمُرُهُ ، وَحَسَنَ
عَمَلُهُ وَقَالَ الْآخَرُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنَّ شَرَائِعَ الْإِسْلَامِ قَدْ كَثُرَتْ عَلَيَّ ، فَمَرَّنِي بِأَمْرٍ أَتَثَبْتُ
بِهِ ، فَقَالَ : لَا يَزَالُ لِسَانُكَ رَطْبًا مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ .^{٩٧٣}

" فالمعنى أن هذا الرجل كثرت عليه النوافل ، أما الفرائض فلا يغني عنها قول لا إله إلا الله
ولا غيره، الفرائض لا بد منها أما النوافل إذا شق على الإنسان بعضها فالذكر قد يسد ما
يحصل به الخلل " ..

فذكر الله عز وجل من أفضل الأعمال وأوفاهها وأحبها إلى الله عز وجل بل هو من أسباب
الثبات عند اللقاء كما قال الله تعالى { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ
كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ } (٤٥) سورة الأنفال. مثل هذه الأحاديث كلها تدل على فضيلة
الذكر وأنه ينبغي للإنسان أن يكثر من ذكر الله^{٩٧٤}

وَعَنْ سُفْيَانَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الثَّقَفِيِّ قَالَ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ قُلْ لِي فِي الْإِسْلَامِ قَوْلًا لَا أَسْأَلُ
عَنْهُ أَحَدًا بَعْدَكَ - وَفِي رِوَايَةٍ: غَيْرَكَ - قَالَ « قُلْ آمَنْتُ بِاللَّهِ فَاسْتَقِمَّ » .^{٩٧٥}

وَعَنْ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي سُؤَيْدٍ ، أَنَّ جَدَّهُ سُفْيَانَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ الثَّقَفِيِّ قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ حَدِّثْنِي
بِأَمْرٍ أَعْتَصِمُ بِهِ ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : قُلْ : رَبِّيَ اللَّهُ ، ثُمَّ اسْتَقِمَّ ، قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ،
مَا أَكْثَرُ مَا تَخَافُ عَلَيَّ ؟ قَالَ : هَذَا ، وَأَشَارَ إِلَى لِسَانِهِ .^{٩٧٦}

^{٩٧٢} - مسند أحمد (عالم الكتب) - (٦ / ٧٣) (١٧٦٨٠) ١٧٨٣٢ - صحيح

^{٩٧٣} - مسند أحمد (عالم الكتب) - (٦ / ٧٧) (١٧٦٩٨) ١٧٨٥٠ - صحيح

^{٩٧٤} - شرح رياض الصالحين لابن عثيمين - (٥ / ٤١)

^{٩٧٥} - صحيح مسلم - المكثر - (١٦٨)

^{٩٧٦} - صحيح ابن حبان - (١٣ / ٥) (٥٦٩٨) صحيح

وَعَنْ أَبِي أُمَامَةَ ، قَالَ : قَالَ عُقْبَةُ بْنُ عَامِرٍ قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، مَا النَّجَاةُ ؟ قَالَ : أَمْلِكُ عَلَيْكَ لِسَانَكَ ، وَلَيْسَعَكَ بَيْتَكَ ، وَأَبِكَ عَلَى خَطِيئَتِكَ. ^{٩٧٩}

من فوائد (الصمت وحفظ اللسان) : دليل كمال الإيمان، وحسن الإسلام. والسلامة من العطب في المال، والتفلس، والعرض. ودليل حسن الخلق، وطهارة النفس. ويثمر محبة الله، ثم محبة الناس. ويهيئ الاجتماع الصالح، والنشء الصالح. والفوز بالجنة، والتجاة من النار. ^{٩٨٠}

وأحاديث أخر في هذا الباب، جاءت فيها وصايا النبي ﷺ الجامعة المختلفة مراعاة لاختلاف أحوال السائلين وحاجاتهم .

ومن هذا القبيل أيضاً أجوبة النبي ﷺ المختلفة حول أفضل الأعمال أو أحب الأعمال إلى الله تعالى، فقد أجاب كل سائل بما رآه في حقه أو في حين سؤاله أفضل وأهم نظراً إلى حاجاته وظروفه .

فَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ - ﷺ - أَيُّ الْإِسْلَامِ خَيْرٌ قَالَ « تُطْعِمُ الطَّعَامَ ، وَتَقْرَأُ السَّلَامَ عَلَى مَنْ عَرَفْتَ وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ » ^{٩٨١}

" قوله : أَيُّ الْمُسْلِمِينَ خَيْرٌ ، أَي : أَيُّ خِصَالِهِمْ أَفْضَلُ ؛ بِدَلِيلِ جَوَابِهِ بِقَوْلِهِ ﷺ : تُطْعِمُ الطَّعَامَ ، وَتَقْرَأُ السَّلَامَ عَلَى مَنْ عَرَفْتَ وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ ، وَكَأَنَّهُ ﷺ فَهِمَ عَنْ هَذَا السَّائِلِ أَنَّهُ يَسْأَلُ عَنْ أَفْضَلِ خِصَالِ الْمُسْلِمِينَ الْمُتَعَدِّيَةِ النَّفْعِ إِلَى الْغَيْرِ ، فَأَجَابَهُ بِأَعْمٍ ذَلِكَ وَأَنْفَعِهِ فِي حَقِّهِ ؛ فَإِنَّهُ ﷺ كَانَ يُجِيبُ كُلَّ سَائِلٍ عَلَى حَسَبِ مَا يُفْهَمُ عَنْهُ ، وَمَا هُوَ الْأَهْمُ فِي حَقِّهِ وَالْأَنْفَعُ لَهُ .

وقوله ﷺ : وَتَقْرَأُ السَّلَامَ عَلَى مَنْ عَرَفْتَ وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ ، قَالَ أَبُو حَاتِمٍ : تَقُولُ : قَرَأْ عَلَيْهِ السَّلَامَ وَأَقْرَأْهُ الْكِتَابَ ، وَلَا تَقُولُ : أَقْرَأْهُ السَّلَامَ إِلَّا فِي لُغَةٍ سُوءٍ ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَكْتُوبًا فَتَقُولُ : أَقْرَأْهُ السَّلَامَ ، أَي : اجْعَلْهُ يَقْرؤُهُ .

^{٩٧٩} - مسند أحمد (عالم الكتب) - (٧ / ٤١٤) (٢٢٢٣٥) ٢٢٥٩٠ - وفتح الباري لابن حجر - (١١ / ٣٠٩)

وسنن الترمذى - المكثر - (٢٥٨٦) حسن لغيره

^{٩٨٠} - نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم - (٧ / ٢٦٤٤)

^{٩٨١} - صحيح البخارى - المكثر - (١٢) وصحيح مسلم - المكثر - (١٦٩)

وجمع له بين الإطعام والإفشاء ؛ لاجتماعهما في استلزام المحبة الدينية ، والألفة الإسلامية ؛
كما قال ﷺ : أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ ؟ أَفَشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ .

وفيه : دليلٌ على أن السلام لا يُقصرُ على من يُعرفُ ، بل على المسلمين كافةً ؛ لأنه كما
قال ﷺ : السَّلَامُ شِعَارٌ لِمِلَّتِنَا ، وَأَمَانٌ لِدِمَّتِنَا .^{٩٨٢}

وعن جابرٍ ، أن رجلاً قال : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَيُّ الْإِسْلَامِ خَيْرٌ ؟ قَالَ : أَنْ يَسْلَمَ الْمُسْلِمُونَ
مِنْ لِسَانِكَ وَيَدِكَ ، أَوْ قَالَ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، فَأَيُّ
الشُّهَدَاءِ أَفْضَلُ ؟ قَالَ : أَنْ يُعْقَرَ جَوَادُكَ وَيُبْهَرَاقَ دَمُكَ قَالَ : فَأَيُّ الصَّلَاةِ أَفْضَلُ ؟ قَالَ :
طُولُ الْقُنُوتِ .^{٩٨٣}

قال القرطبي : " قوله : أَيُّ الْمُسْلِمِينَ خَيْرٌ ؟ فَقَالَ : مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ ،
هذا السؤال غير السؤال الأول وإن اتحد لفظهما ؛ بدليل افتراق الجواب ، وكأنه ﷺ
فهم عن هذا السؤال أنه سأل عن أحق المسلمين باسم الخيرية وبالأفضلية ، وفهم عن
الأول أنه سأل عن أحق خصال الإسلام بالأفضلية ، فأجاب كلاً منهما بما يليق بسؤاله ،
والله تعالى أعلم ، وهذا أولى من أن نقول : الخبران واحد ، وإنما بعض الرواة تسامح ؛
لأن هذا التقدير يرفع الثقة بأخبار الأئمة الحفاظ العدول ، مع وجود مندوحة عن ذلك .

وقوله : الْمُسْلِمُ : مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ ، أي : مَنْ كَانَتْ هَذِهِ حَالَهُ ، كَانَ
أَحَقَّ بِهَذَا الْاسْمِ ، وَأَمَكْنَهُمْ فِيهِ .

ويبين ذلك : أنه لا ينتهي الإنسان إلى هذا ، حتى يتمكن خوف عقاب الله سبحانه
وتعالى من قلبه ، ورجاء ثوابه ، فيكسبه ذلك ورعاً يحمله على ضبط لسانه ويده ، فلا
يتكلم إلا بما يعنيه ، ولا يفعل إلا ما يسلم فيه ؛ ومن كان كذلك ، فهو المسلم الكامل ،
والمتقي الفاضل .

^{٩٨٢} - المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم - (١ / ١٣٨)

^{٩٨٣} - مسند الطيالسي - (١٨٨٦) وصحيح مسلم - المكثر - (١٧١) مختصراً

ويقربُ من هذا المعنى بل يزيدُ عليه : قوله ﷺ : لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ ؛ إذ معناه : أَنَّهُ لَا يَتِمُّ إِيمَانُ أَحَدٍ إِلَّا بِإِيمَانِ التَّامِّ الْكَامِلِ ، حَتَّى يَضُمَّ إِلَى إِسْلَامِهِ سَلَامَةَ النَّاسِ مِنْهُ ، وَإِرَادَةَ الْخَيْرِ لَهُمْ ، وَالتُّصَحُّحَ لِجَمِيعِهِمْ فِيمَا يَجَاوِلُهُ مَعَهُمْ .

ويستفادُ من الحديثِ الأوَّلِ : أَنَّ الْأَصْلَ فِي الْحَقُوقِ النَّفْسِيَّةِ وَالْمَالِيَّةِ الْمَنْعُ ؛ فَلَا يَحِلُّ شَيْءٌ مِنْهَا إِلَّا بِوَجْهِ شَرْعِيٍّ ، وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ بِغَيْبِهِ وَأَحْكَمُ .^{٩٨٤}

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، أَنَّهُ سُئِلَ : أَيُّ الْأَعْمَالِ أَفْضَلُ ؟ قَالَ : إِيمَانٌ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ، قَالَ : ثُمَّ أَيُّ ؟ قَالَ : الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ سَنَامَ الْعَمَلِ ، قَالَ : ثُمَّ أَيُّ ؟ قَالَ : حَجٌّ مَبْرُورٌ .^{٩٨٥}

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ : أَنَّ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَيُّ الْأَعْمَالِ أَفْضَلُ ؟ فَقَالَ : رَجُلٌ جَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِمَالِهِ وَنَفْسِهِ ، قَالَ : ثُمَّ مَنْ ؟ قَالَ : مُؤْمِنٌ فِي شِعْبٍ مِنَ الشَّعَابِ يَعْبُدُ اللَّهَ ، وَيَدْعُ النَّاسَ مِنْ شَرِّهِ .^{٩٨٦}

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ ، قَالَ : سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، أَيُّ الْأَعْمَالِ أَفْضَلُ ؟ قَالَ : الصَّلَاةُ فِي أَوَّلِ وَقْتِهَا .^{٩٨٧}

وَعَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ - أَيُّ الْأَعْمَالِ أَفْضَلُ ؟ قَالَ : « الصَّلَاةُ لَوْ قَتَلَتْهَا ، وَبَرُّ الْوَالِدَيْنِ ، ثُمَّ الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ » .^{٩٨٨}

وَعَنْ يُونُسَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، قَالَ : بَيْنَمَا نَحْنُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِذْ سَمِعَ الْقَوْمَ وَهُمْ يَقُولُونَ : أَيُّ الْأَعْمَالِ أَفْضَلُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : إِيمَانٌ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ، وَجِهَادٌ فِي سَبِيلِهِ ، وَحَجٌّ مَبْرُورٌ ، ثُمَّ سَمِعَ نِدَاءً فِي الْوَادِي يَقُولُ : أَشْهَدُ

^{٩٨٤} - المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم - (١ / ١٣٩)

^{٩٨٥} - صحيح ابن حبان - (١٠ / ٤٥٨) (٤٥٩٨) وصحيح البخارى - المكثر - (١٥١٩) وصحيح مسلم - المكثر -

(٢٥٨)

^{٩٨٦} - صحيح ابن حبان - (٢ / ٣٦٩) (٦٠٦) صحيح

^{٩٨٧} - صحيح ابن حبان - (٤ / ٣٣٩) (١٤٧٥) صحيح

^{٩٨٨} - صحيح البخارى - المكثر - (٧٥٣٤)

أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : وَأَنَا أَشْهَدُ ،
وَأَشْهَدُ لَا يَشْهَدُ بِهَا أَحَدٌ إِلَّا بَرِيٌّ مِنْ الشَّرِكِ. ٩٨٩

وَعَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيُّ الْأَعْمَالِ أَفْضَلُ قَالَ « الْإِيمَانُ بِاللَّهِ وَالْجِهَادُ فِي
سَبِيلِهِ ». قَالَ قُلْتُ أَيُّ الرَّقَابِ أَفْضَلُ قَالَ « أَنْفُسُهَا عِنْدَ أَهْلِهَا وَأَكْثَرُهَا ثَمَنًا ». قَالَ قُلْتُ
فَإِنْ لَمْ أَفْعَلْ قَالَ « تُعِينُ صَانِعًا أَوْ تَصْنَعُ لِأَخْرَقَ ». قَالَ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَرَأَيْتَ إِنْ
ضَعُفْتُ عَنْ بَعْضِ الْعَمَلِ قَالَ « تَكْفُ شَرِّكَ عَنِ النَّاسِ فَإِنَّهَا صَدَقَةٌ مِنْكَ عَلَى نَفْسِكَ ». ٩٩٠

قلت : كان السؤال واحدا والجواب مختلف .

وهذه أمثلة أخرى ، قَالَ أَبُو عَمْرٍو الشَّيْبَانِيُّ : حَدَّثَنَا صَاحِبُ هَذِهِ الدَّارِ ، وَأَوْمَأَ بِيَدِهِ إِلَى
دَارِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ ، أَنَّهُ سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ : أَيُّ الْأَعْمَالِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ ؟ قَالَ : الصَّلَاةُ
لِوَقْتِهَا ، قَالَ : ثُمَّ أَيُّ ؟ قَالَ : بَرُّ الْوَالِدَيْنِ ، قَالَ : ثُمَّ أَيُّ ؟ قَالَ : الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ
قَالَ : حَصَنِي بِهِنَّ ، وَلَوْ اسْتَرَدَّتْهُ لَزَادَنِي ٩٩١

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ ، قَالَ : قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَيُّ الْأَعْمَالِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ ؟ قَالَ : الصَّلَوَاتُ
لِمَوَاقِيتِهَا ، قُلْتُ : ثُمَّ أَيُّ ؟ قَالَ : ثُمَّ بَرُّ الْوَالِدَيْنِ ، قُلْتُ : ثُمَّ أَيُّ ؟ قَالَ : ثُمَّ الْجِهَادُ ،
وَلَوْ اسْتَرَدَّتْهُ لَزَادَنِي. ٩٩٢

أي لم أزد في السؤال عن بقية الأعمال وترتيبها في الفضل رفقا بالني ﷺ ، وفيه بيان رفق
المتعلم بالمعلم ، ومراعاة مصالحه ، والشفقة عليه ٩٩٣ .

وَعَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ ، قَالَ : سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ : أَيُّ الْأَعْمَالِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ ؟ قَالَ :
أَنْ تَمُوتَ وَلِسَانُكَ رَطْبٌ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ. ٩٩٤

٩٨٩ - صحيح ابن حبان - (١٠ / ٤٥٥) (٤٥٩٥) صحيح

٩٩٠ - صحيح مسلم - المكثر - (٢٦٠)

الأخرق : الجاهل بما يجب أن يعمل ولم يكن في يديه صنعة يكتسب بها

٩٩١ - صحيح ابن حبان - (٤ / ٣٤١) (١٤٧٧) وصحيح مسلم - المكثر - (٢٦٤)

٩٩٢ - صحيح ابن حبان - (٤ / ٣٤٠) (١٤٧٦) صحيح

٩٩٣ - قاله الإمام النووي في ((شرح صحيح مسلم)) ٢ : ٧٩ .

وقال عبد الله بن سلام: جلست في نفر من أصحاب رسول الله ﷺ، فقلت: أيكم يأتي رسول الله ﷺ فيسأله: أي الأعمال أحب إلى الله؟ قال: فهبنا أن يسأله منا أحد، قال: فأرسل إلينا رسول الله ﷺ يفردنا رجلاً رجلاً، يتخطى غيرنا، فلما اجتمعنا عنده أو ما بعضنا إلى بعض لأي شيء أرسل إلينا؟ ففرعنا أن يكون نزل فينا، قال: فقرأ علينا رسول الله ﷺ: {سبح لله ما في السموات وما في الأرض وهو العزيز الحكيم يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون}، قال: فقرأ من فاتحتها إلى خاتمتها، ثم قرأ يحيى من فاتحتها إلى خاتمتها، ثم قرأ الأوزاعي من فاتحتها إلى خاتمتها، وقرأها الوليد من فاتحتها إلى خاتمتها. ٩٩٥

وعن عائشة - رضى الله عنها - أنها قالت سئل النبي ﷺ - أي الأعمال أحب إلى الله قال «أدومها وإن قل». وقال «اكلفوا من الأعمال ما تطيقون» ٩٩٦.

وعن رجل من ختم، قال: أتيت النبي ﷺ وهو في نفر من أصحابه، قال: قلت: أنت الذي تزعم أنك رسول الله؟ قال: نعم، قال: قلت: يا رسول الله، أي الأعمال أحب إلى الله؟ قال: إيمان بالله، قال: قلت: يا رسول الله، ثم مه؟ ٩٩٧ قال: ثم صلة الرحم، قال: قلت: يا رسول الله، أي الأعمال أبعض إلى الله؟ قال: الإشرak بالله، قال: قلت: يا رسول الله، ثم مه؟ قال: ثم قطيعة الرحم، قال: قلت: يا رسول الله، ثم مه؟ قال: ثم الأمر بالمنكر والنهي عن المعروف ٩٩٨

وفي هذا الحديث والذي قبله بيان صبر المفتي والمعلم على من يفتيه أو يعلمه، واحتمال كثرة مسائله وتقريراته.

٩٩٤ - صحيح ابن حبان - (٣ / ١٠٠) (٨١٨) صحيح

٩٩٥ - صحيح ابن حبان - (١٠ / ٤٥٤) (٤٥٩٤) صحيح

٩٩٦ - صحيح البخاري - المكثر - (٦٤٦٥)

٩٩٧ - أي ثم ماذا؟

٩٩٨ - مسند أبي يعلى الموصلي (٦٨٣٩) صحيح

وهناك أحاديثٌ أُخر من هذا القبيل مما اختلفت فيه الأجوبة في بيان أفضل الأعمال أو أحبها، وإنما يرجع الاختلاف فيها إلى رعاية الفروق الفردية بين أفراد السائلين وجماعاتهم أو أوقات سؤالهم، فأعلم النبي ﷺ كلاً بما يحتاج إليه، أو بما لم يكمله بعد من دعائم الإسلام ولا بلغته علمه، أو بما له فيه رغبة، أو بما هو لائق به .

أو أعلم السائل بما كان الأفضل من غيره في وقت سؤاله، فقد كان الجهاد في ابتداء الإسلام أفضل الأعمال لأنه الوسيلة إلى القيام بها والتمكّن من أدائها، وقد تضافرت الأدلة على أن الصلاة أفضل من الصدقة، ومع ذلك ففي وقت مؤاساة المضطرّ تكون الصدقة أفضل.

وبعض هذا الاختلاف في الجواب قد يكون مرده إلى اختلاف ألفاظ السائلين ، وإلى رعاية النبي ﷺ لوجوه الأفضلية وشؤون المزية ، فإنها لا تنحصر في وصف واحد وحيثية واحدة ، بل إن أصناف الفضل متنوعة ، ومراتب الفضل ومدارج الخير مختلفة ، فيكون اختلاف الجواب في بعض الروايات متفرعاً على رعاية النبي ﷺ الفروق الفردية بين وجوه الأفضلية وأسباب الخير ، ولشرح كل ذلك موضع غير هذا .^{٩٩}

والنبي ﷺ هو المعلم المرشد والهادي البصير، يُبصر كلاً بما يحتاج إليه وبما يليق به، صلى الله تعالى عليه وعلى آله وبارك وسلّم .

الخلاصة :

(١) وجوب مراعاة الفروق الفردية بين المتعلمين حتى يستطيعوا الحفظ والفهم

والتطبيق .

(٢) النبي ﷺ كان يراعي الفروق الفردية بشكل منقطع النظير .

^{٩٩} - الرسول المعلم ﷺ وأساليبه في التعليم لأبي غدة - (١ / ٧٣)

وانظر كلام أهل العلم على هذه الأحاديث الشريفة في ((شرح صحيح مسلم)) للإمام النووي ٢: ٧٧، ٧٨ ، و((فتح الباري)) للحافظ ابن حجر ٢: ٩ ، و((فتح الملهم بشرح صحيح مسلم)) للعلامة شبير أحمد العثماني ١: ٦٢٣، ٦٢٧ من الطبعة المحققة ، و((فيض الباري شرح صحيح البخاري)) للعلامة الكشميري ١: ٨٠، ٨١ .

(٣) على المعلم الناحح الاقتداء بالنبي ﷺ ومراعاة أحوال السائلين وظروفهم.

(٤) الفراسة جزء من حياة الإنسان ، فينبغي على المعلم مراعاة ذلك في طلابه.

[٤٠] ابتدأوه ﷺ أصحابه بالإفادة دون سؤال منهم:

كان ﷺ في كثير من الأحيان يبتدئ أصحابه بالإفادة من غير سؤال منهم، لاسيما في الأمور المهمة التي لا ينتبه لها كل واحد حتى يسأل عنها، فكان ﷺ يعلم أصحابه جواب الشبهة قبل حدوثها، خشية أن تقع في النفوس فتستقر بها، وتفعل فعلها السيئ :
عن أبي هريرة قال قال رسول الله - ﷺ - « يَأْتِي الشَّيْطَانُ أَحَدَكُمْ فَيَقُولُ مَنْ خَلَقَ كَذَا وَكَذَا حَتَّى يَقُولَ لَهُ مَنْ خَلَقَ رَبَّكَ فَإِذَا بَلَغَ ذَلِكَ فَلَيْسْتَ عَدُ بِاللَّهِ وَلَيْسَتْهُ »^{١٠٠٠}.

أي وليقطع ذهنه عن الاسترسال معه في ذلك ، بل يلجأ إلى الله تعالى في دفعه ، ويعلم أن الشيطان يريد إفساد دينه وعقله بهذه الوسوسة ، فينبغي أن يجتهد في دفعها وقطعها بالاشتغال بغيرها .

قال الخطابي : وجه هذا الحديث أن الشيطان إذا وسوس بذلك ، فاستعاذ الشخص بالله منه ، وكف عن مطاولته في ذلك اندفع . والشيطان ليس لوسوسته انتهاء ، كلما ألزم حجة زاغ إلى غيرها ، إلى أن يفضي بالمرء إلى الحيرة نعوذ بالله من ذلك .

على أن قوله : (مَنْ خَلَقَ رَبَّكَ) كلامٌ مُتَهافت ، يَنْقُضُ آخِرَهُ أَوَّلَهُ ، لأن الخالق يستحيل أن يكون مخلوقاً ، ثم لو كان السؤال متجهاً لاستلزم التسلسل ، وهو مُحال . وقد أثبت العقل أن المُحدثات مفتقرة إلى مُحدث ، فلو كان هو مفتقراً إلى مُحدث ، لكان من المُحدثات .

^{١٠٠٠} - صحيح مسلم - المكثر - (٣٦٢)

قال ابن بطال : فإن قال المُوسوسُ : فما المانعُ أن يخلق الخالقُ نفسه؟ قيل له : هذا يَنْقُضُ بعضُه بعضاً ، لأنك أثبتَّ خالقاً ، وأوجبتَ وجوده ، ثم قلتَ : يخلقُ نفسه ، فأوجبتَ عدمه ، والجمعُ بين كونه موجوداً معدوماً فاسداً لتناقضه ، لأن الفاعل يتقدم وجوده على وجودِ فعله ، فيستحيلُ كونُ نفسهِ فعلاً له . انتهى .

قال ابن الين : لو جاز لمُخترِع الشيء أن يكون له مُخترِعٌ لَتَسَلَّسَلَ ، فلا بد من الانتهاء إلى موجدٍ قديم ، والقديم من لا يَتَقَدَّمُه شيء ، ولا يصح عدمه ، وهو فاعل لا مفعول ، وهو الله تبارك وتعالى . انتهى^{١٠٠١}

قال الشيخ محمد عبده في كتابه ((رسالة التوحيد)) ، مبيناً عجزَ العقل البشري عن إدراك كُنْهِ الحقائق الكونية ، فضلاً عن إدراك كُنْهِ ذاتِ الله تعالى : ((إذا قَدَرْنَا عَقْلَ الْبَشَرِ قَدْرَهُ ، وجدنا غايةَ ما ينتهي إلى كماله ، إنما هو الوصولُ إلى معرفةِ عوارضِ بعضِ الكائنات ، التي تقع تحت الإدراك الإنساني ، حساً كان أو وجداناً أو تعقلاً ، ثم التوصلُ بذلك إلى معرفةِ مناشئها ، وتحصيلِ كلياتٍ لأنواعها ، والإحاطة ببعضِ القواعدِ لعروضِ ما يعرضُ لها .

وأما الوصولُ إلى كُنْهِ حقيقةٍ ما ، فمما لا تَبْلُغُهُ قُوَّةُ الْعَقْلِ ، لأن اكتناه المركبات إنما هو باكتناه ما تركبت منه ، وذلك ينتهي إلى البسيط الصَّرف ، وهو لا سبيل إلى اكتناهِه بالضرورة ، وغايةُ مل يُمكنُ عرفائهُ منه : عوارضُهُ وآثارُهُ .

هذا أظهرُ الأشياءِ واجلاها (الضوءُ) ، قرَّرَ الناظرون فيه : له أحكاماً كثيرة ، فصَّلوها في علمٍ خاصٍّ به ، ولكن لم يستطع ناظرٌ أن يفهم ما هو؟ ولا أن يكتنهُ معنى (الإضاءة) نفسه ، وإنما ما يعرفه كلُّ بصيرٍ له عينان ، وعلى هذا القياس غيرُ (الضوء) من الكائنات .

ثم إنَّ الله تعالى لم يجعل للإنسان حاجةً يدعو إلى اكتناه شيء من الكائنات ، وإنما حاجتُه إلى معرفةِ العوارضِ والخواصِّ .

^{١٠٠١} - من ((فتح الباري)) ١٣ : ٢٧٣ - ٢٧٤ .

وَلَذَّةُ عَقْلِهِ إِنْ كَانَ سَلِيمًا ، إِنَّمَا هِيَ تَحْقِيقُ نَسْبَةِ تِلْكَ الْخَوَاصِ إِلَى مَا اخْتَصَّتْ بِهِ ، وَإِدْرَاكُ الْقَوَاعِدِ الَّتِي قَامَتْ عَلَيْهَا تِلْكَ النَّسَبُ ، فَالاشْتِغَالُ بِالْاِكْتِنَاهِ إِضَاعَةٌ لِلْوَقْتِ ، وَصَرْفٌ لِلْقُوَّةِ إِلَى غَيْرِ مَا سَيَقْتُ لَهُ .

وَأَمَّا الْفِكْرُ فِي ذَاتِ الْخَالِقِ سُبْحَانَهُ ، فَهُوَ طَلَبٌ لِاِكْتِنَاهِ مِنْ جِهَةٍ ، وَهُوَ مُمْتَنِعٌ عَلَى الْعَقْلِ الْبَشَرِيِّ ، لَمَّا عَلِمْتَ مِنْ انْقِطَاعِ النِّسْبَةِ بَيْنَ الْوُجُودَيْنِ ، وَلاِسْتِحَالَةِ التَّرَكُّبِ فِي ذَاتِهِ . وَتَطَاوُلُ إِلَى مَا لَا تَبْلُغُهُ الْقُوَّةُ الْبَشَرِيَّةُ مِنْ جِهَةٍ أُخْرَى ، فَهُوَ عَبَثٌ وَمَهْلَكَةٌ ، عَبَثٌ لِأَنَّهُ سَعَى إِلَى مَا لَا يُدْرِكُ ، وَمَهْلَكَةٌ لِأَنَّهُ يُوَدِّي إِلَى الْخَبْطِ فِي الْاِعْتِقَادِ ، لِأَنَّهُ تَحْدِيدٌ لَمَّا لَا يَجُوزُ تَحْدِيدُهُ ، وَحَصْرٌ لَمَّا لَا يَصِحُّ حَصْرُهُ (...)) انْتَهَى . وَقَدْ قَالَ تَعَالَى : (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ) .

وَإِذَا كَانَ الْعَقْلُ الْبَشَرِيُّ عَاجِزًا عَنْ إِدْرَاكِ كُنْهِ الْمَخْلُوقِ ، فَهُوَ مِنْ بَابِ أُولَى : يَكُونُ عَاجِزًا عَنْ إِدْرَاكِ كُنْهِ الْخَالِقِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى .^{١٠٠٢}

وَقَالَ الْعَلَامَةُ عَبْدُ اللَّهِ النَّرَاوِيُّ فِي شَرْحِهِ عَلَى ((الْأَرْبَعِينَ النَّوَوِيَّةِ)) عِنْدَ شَرْحِ الْحَدِيثِ الثَّلَاثِينَ الَّذِي رَوَاهُ الدَّارِقُطْنِيُّ وَغَيْرُهُ بِإِسْنَادِ حَسَنِ عَنْ أَبِي ثَعْلَبَةَ الْخَشْنِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : إِنْ اللَّهُ تَعَالَى فَرَضَ فَرَاثِضَ فَلَا تُضِيعُوهَا ، وَحَدَّ حَدُودًا فَلَا تَعْتَدُوهَا ، وَحَرَّمَ أَشْيَاءَ فَلَا تَنْتَهِكُوهَا ، وَسَكَتَ عَنْ أَشْيَاءَ رَحِمَةً لَكُمْ غَيْرَ نَسْيَانٍ فَلَا تَبْحَثُوا عَنْهَا)) .

قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى : ((وَمَنْ الْبَحَثَ عَمَّا لَا يَعْنِي : الْبَحَثُ عَنْ أُمُورِ الْغَيْبِ الَّتِي أُمِرْنَا بِالْإِيمَانِ بِهَا ، وَلَمْ تُبَيَّنْ كَيْفِيَّتُهَا ، لِأَنَّهُ قَدْ يَوْجِبُ الْبَحَثُ عَنْهَا الْحَيْرَةَ وَالشُّكَّ ، وَيُرْتَقِي الْأَمْرَ إِلَى التَّكْذِيبِ وَالْإِنْكَارِ ، وَمَنْ ثَمَّ قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : لَا يَجُوزُ التَّفَكُّرُ فِي الْخَالِقِ وَلَا فِي الْمَخْلُوقِ بِمَا لَمْ يُسْمَعْ فِيهِ مِنَ الشَّرْعِ ، كَأَنْ يُقَالَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : (وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ

^{١٠٠٢} - ((رسالة التوحيد)) ص ٥٨ و ٥٩ و ٦٠ و ٦١

بجمده) : كيف يسبح الجماد؟ لأنه سبحانه وتعالى أخبر به ، فيجعله كيف شاء كما شاء . اه ١٠٠٣ .

وفي ((الصحيحين)) ما يؤيد حرمة التفكير في الخالق ، كخبر البخاري عن ابن شهاب قال أخبرني عروة قال أبو هريرة - رضى الله عنه - قال رسول الله - ﷺ - « يَا أَيُّهَا الشَّيْطَانُ أَحَدَكُمْ يَقُولُ مَنْ خَلَقَ كَذَا مِنْ خَلْقِ كَذَا حَتَّى يَقُولَ مَنْ خَلَقَ رَبِّكَ فَإِذَا بَلَغَهُ فَلَيْسَتْ عِدَّةٌ بِاللَّهِ ، وَلَيْتَنَّهُ » ١٠٠٤ .

وأخرج مسلم عن أبي هريرة قال قال رسول الله - ﷺ - « لَا يَزَالُ النَّاسُ يَتَسَاءَلُونَ ١٠٠٥ حَتَّى يُقَالَ هَذَا خَلَقَ اللَّهُ الْخَلْقَ فَمَنْ خَلَقَ اللَّهُ فَمَنْ وَجَدَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا فَلْيَقُلْ آمَنْتُ بِاللَّهِ » ١٠٠٦ .

أي فليعرض عن هذا الخاطر الباطل ، ليؤيد ويؤكد الإيمان المستقر في قلبه بالقول بلسانه : آمنت بالله . وفي ذلك ردٌ لوسوسة الشيطان ، ودحرٌ لكيده الخبيث .

وعن أبي هريرة قال سمعت رسول الله - ﷺ - يقول فذكر نحوه قال « فَإِذَا قَالُوا ذَلِكَ فَقُولُوا (اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ) ثُمَّ لِيَتَقُلْ عَنْ يَسَارِهِ ثَلَاثًا وَلَيْسَتْ عِدَّةٌ مِنَ الشَّيْطَانِ » ١٠٠٧ .

قل يا محمد لمن سألك مستهزئاً : صف لنا ربك : إن ربِّي هو الواحد الأحد ، المنزّه عن التعدد ، وعن الزوجة والصاحبة والوالد والولد .

وهو الذي يقصده العباد في الحاجات ، ويتوجهون إليه بالدعاء والرجاء فيما أهمهم وأعمهم .

١٠٠٣ - (الأربعين النووية) ص ١٣٦

١٠٠٤ - صحيح البخارى - المكثر - (٣٢٧٦)

١٠٠٥ أي يسأل بعضهم بعضاً .

١٠٠٦ - صحيح مسلم - المكثر - (٣٦٠)

١٠٠٧ - سنن أبي داود - المكثر - (٤٧٢٤) حسن

تَنَزَّهَ رَبُّنَا عَنْ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ . وَهَذَا رَدٌّ عَلَى مُشْرِكِي الْعَرَبِ الَّذِينَ كَانُوا يَقُولُونَ إِنَّ الْمَلَائِكَةَ بَنَاتُ اللَّهِ . وَرَدَّ عَلَى مَزَاعِمِ النَّصَارَى الَّذِينَ جَعَلُوا الْمَسِيحَ ابْنَ اللَّهِ ، وَعَلَى الْيَهُودِ الَّذِينَ قَالُوا : إِنَّ عَزِيرًا هُوَ ابْنُ اللَّهِ .

وَاللَّهُ تَعَالَى لَمْ يُوَلِّدْ لِأَنَّ ذَلِكَ يَقْتَضِي مَجَانِسَتَهُ لِسِوَاهُ ، كَمَا يَقْتَضِي سَبْقَ الْعَدَمِ قَبْلَ الْوُجُودِ ، تَنَزَّهَ اللَّهُ عَنْ ذَلِكَ . وَلَيْسَ لَهُ نَدٌّ وَلَا مَثِيلٌ . وَفِي هَذَا نَفْيٌ لِمَا يَعْتَقِدُهُ بَعْضُ الْمُبْطَلِينَ مِنْ أَنَّ لِلَّهِ نَدًّا فِي أَفْعَالِهِ كَمَا ذَهَبَ إِلَى ذَلِكَ بَعْضُ مُشْرِكِي الْعَرَبِ الَّذِينَ جَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ شُرَكَاءَ لِلَّهِ .^{١٠٠٨}

(لِيَتَفَلَّحَ عَنْ يَسَارِهِ ثَلَاثًا) أَي لِيَبْصُقَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِنْ جِهَةِ يَسَارِهِ . وَالتَّفَلُّحُ وَالْبَصُقُ فِي هَذَا عِبَارَةٌ عَنْ كِرَاهَةِ الشَّيْءِ وَالنَّفُورِ عَنْهُ ، كَمَا يَجِدُ حَيْفَةً ! وَتَكَرَّرَ ذَلِكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ : مُرَاعِمَةٌ لِلشَّيْطَانِ وَتَبَعِيدٌ لَهُ ، لِيَنْفِرَ مِنَ الْمُؤْمِنِ ، وَيَعْلَمُ أَنَّهُ لَا يُطِيعُهُ ، وَأَنَّهُ يَكْرَهُ الْكَلَامَ الْمَذْكُورَ . (وَلِيَسْتَعِذَّ مِنَ الشَّيْطَانِ) وَالِاسْتِعَاذَةُ هِيَ طَلْبُ الْمَعُونَةِ مِنَ اللَّهِ عَلَى دَفْعِ الشَّيْطَانِ . قَالَ الْعَلَامَةُ الطَّيْبِيُّ : وَإِنَّمَا أَمْرُهُ بِالِاسْتِعَاذَةِ وَالِاسْتِعْغَالِ بِأَمْرٍ آخَرَ ، وَلَمْ يَأْمُرْهُ بِالتَّأْمُلِ وَالِاحْتِجَاجِ ، لِأَنَّ الْعِلْمَ بِاسْتِعْنَاءِ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا عَنِ الْمَوْجِدِ أَمْرٌ ضَرُورِي لَا يَقْبَلُ الْمُنَاطَرَةَ ، وَلِأَنَّ الْاسْتِرْسَالَ فِي الْفِكْرِ فِي ذَلِكَ لَا يَزِيدُ الْمَرْءَ إِلَّا حَيْرَةً ، وَمَنْ هَذَا حَالُهُ فَلَا عِلَاجَ لَهُ إِلَّا الْمُلْجَأُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى وَالِاعْتِصَامُ بِهِ .

الخلاصة :

- (١) يجوز للمعلم أن يجيب عن استفسارات طلابه .
- (٢) يمكن أن يجيبهم عما يحيك في نفوسهم من أسئلة تتكرر كثيرا للرد على الشبهات ونحوها .
- (٣) ليس من الضروري أن يسأل الطلاب ليجيبهم المعلم ، بل عليه بالمبادرة في ، فرما كانوا يستحون من السؤال أو يتورعون .

^{١٠٠٨} - أيسر التفاسير لأسعد حومد - (١ / ٦٠٩٩)

كان ﷺ يجيب السائل عن سؤاله، وقد علم كثيراً من الشرائع والأحكام ومعاليم الدين بالإجابة على أسئلة أصحابه، وقد حَضَّ أصحابه على السؤال عما يهتمهم من الحوادث والنواب أو مما يحتاجون إلى معرفته من الفرائض والشرائع، فعَنْ جَابِرٍ قَالَ : خَرَجْنَا فِي سَفَرٍ فَأَصَابَ رَجُلًا مَنَا حَجْرٌ فَشَجَّهَ فِي رَأْسِهِ ، ثُمَّ احْتَلَمَ فَسَأَلَ أَصْحَابَهُ : هَلْ تَجِدُونَ لِي رُخْصَةً فِي التَّيْمَمِ؟ فَقَالُوا : مَا نَجِدُ لَكَ رُخْصَةً وَأَنْتَ تَقْدِرُ عَلَى الْمَاءِ . فَاعْتَسَلَ فَمَاتَ ، فَلَمَّا قَدِمْنَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - أُخْبِرَ بِذَلِكَ فَقَالَ : « قَتَلُوهُ قَتَلَهُمُ اللَّهُ ، أَلَا سَأَلُوا إِذْ لَمْ يَعْلَمُوا ، إِنَّمَا شَفَاءُ الْعِيِّ السُّؤَالُ ، إِنَّمَا كَانَ يَكْفِيهِ أَنْ يَتَيَّمَّمَ وَيَعْصَبَ عَلَى جُرْحِهِ خَرْقَةً ، ثُمَّ يَمْسَحَ عَلَيْهَا وَيَغْسِلَ سَائِرَ جَسَدِهِ » .^{١٠٠٩}

العِيُّ بكسر العين ، وهو هنا : الجهل . يعني لا شفاء لداء الجهل إلا السؤال والتعلم ، قال تعالى : (فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون) . وأما ما ورد في الكتاب والسنة من ذم السؤال فإنما هو محمول على السؤال عما لا حاجة إليه ، وعلى السؤال عن أمورٍ مُعَيَّبةٍ وردَّ الشرع بالإيمان بها مع تركِ كَيْفِيَّتِهَا ، وعلى الإكثار من الأسئلة غير المهمة مع الإعراض عن تعلم ما يحتاج إليه من الشرائع والعمل بمقتضاه ، وعلى السؤال للمراء والجدال والعناد دون التعلم والتفقه^{١٠١٠}

هذا ، وقد استحسنتُ هنا أن أوردَ كلامَ الإمام الشاطبي رحمه الله تعالى في ذكر أنواع السؤال وأحكامه ، فإنه قد أجاد البحث فيه كعادته .

قال رحمه الله تعالى في ((كتاب الموافقات)) ما نصُّه : إن السؤال إما أن يقع من عالمٍ أو غير عالم . وأعني بالعالم المجتهد ، وغير العالم المقلد ، وعلى كلا التقديرين إما أن يكون المسؤل عالماً أو غير عالمٍ ، فهذه أربعة أقسام :

^{١٠٠٩} - السنن الكبرى للبيهقي - حيدر آباد - (١ / ٢٢٨) (١١١٧) صحيح
^{١٠١٠} - انظر رسالة ((منهج السلف في السؤال عن العلم وفي تعلم ما يقع وما لم يقع)) لأبي غدة

الأول : سؤال العالم ، وذلك في المشروع ، يقع على وجوه سنة ؛ كتحقيق ما حصل ، أو رفع إشكال عن له ، وتذكر ما خشي عليه النسيان ، أو تنبيه المسؤول على خطأ يورده مورد الاستفادة ، أو نيابة منه عن الحاضرين من المتعلمين ، أو تحصيل ما عسى أن يكون فاته من العلم .

الثاني : سؤال المتعلم لمثله ، وذلك أيضاً يكون على وجوه أربعة ؛ كمذاكرته له بما سمع ، أو طلبه منه ما لم يسمع مما سمعه المسؤول ، أو تمرّنه معه في المسائل قبل لقاء العالم ، أو التهدي بعقله إلى فهم ما ألقاه العالم .

الثالث : سؤال العالم للمتعمّم ، وهو على وجوه أربعة كذلك ، كتنبهه على موضع إشكال يطلّب رفعه ، أو اختبار عقله أين بلغ؟ والاستعانة بفهمه إن كان لفهمه فضل ، أو تنبيهه على ما علم ليستدل به على ما لم يعلم .

وهذه الكلمة القصيرة وهي قوله : أو تنبيهه ... تضمّنت أهمّ أركان فنّ التربية العملية المسمى بالبيداجوجيا . وهو بناء المعلم تعليم تلميذه شيئاً جديداً على ما تعلمه قبل ، فقد كان نتيجة لمقدمات ، ثم يصير بعد علمه به مقدمة لمسألة جديدة ، وهكذا

الرابع : وهو الأصل الأول ، سؤال المتعمّم للعالم . وهو يرجع إلى طلب علم ما لم يعلم فأما الأول والثاني والثالث فالجواب عنه مُستحقّ إن علم ، ما لم يمنع من ذلك عارضٌ مُعتبرٌ شرعاً ، وإلا فالاعتراف بالعجز .

وأما الرابع فليس الجواب مُستحقّ بإطلاق ، بل فيه تفضيل ، فيلزم الجواب إذا كان عالماً بما سُئل عنه مُتعيّناً عليه في نازلة واقعة ، أو في أمر فيه نصّ شرعي بالنسبة إلى المتعلم ، لا مطلقاً ، ويكون السائل ممن يحتمل عقله الجواب ، ولا يؤدي السؤال إلى تعمق ولا تكلف ، وهو مما يُبنى عليه عمل شرعي ، وأشباه ذلك .

وقد لا يلزم الجواب في مواضع ، كما إذا لم يتعيّن عليه .

وقد لا يجوز ، كما إذا لم يَحْتَمِلْ عقله الجواب ، أو كان فيه تَعَمُّقٌ ، أو أَكْثَرَ من
السُّؤالاتِ التي هي من جنس الأغاليط (...))^{١٠١١}

وكان أصحابُ النبي ﷺ يوردون عليه ما يُشكِلُ عليهم من الأسئلة والشُّبهات للفهم
والبيان وزيادة الإيمان، فكان يُجيبُ كُلاً عن سؤاله بما يُثَلِّجُ صُدورهم
وكتُبُ الحديث مشحونةٌ بأجوبة النبي ﷺ على أسئلة أصحابه في أمور الدين، وتجدُ طائفةً
منها في هذا الكتاب من مواضع مُتفرقة، وإليك أحاديث آخر في هذا الباب :

عَنْ نُوَاسِ بْنِ سَمْعَانَ الْأَنْصَارِيِّ، قَالَ: أَقَمْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِالْمَدِينَةِ سَنَةً مَا يَمْنَعُنِي
مِنَ الْهَجْرَةِ إِلَّا الْمَسْأَلَةَ، فَإِنِ أَحَدُنَا إِذَا هَاجَرَ لَمْ يَسَلْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنْ شَيْءٍ، قَالَ:
فَسَأَلْتُهُ عَنِ الْبِرِّ وَالْإِثْمِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " الْبِرُّ حُسْنُ الْخُلُقِ، وَالْإِثْمُ مَا جَالَ فِي
نَفْسِكَ وَخَشِيْتِ أَنْ يَطَّلَعَ عَلَيْهِ النَّاسُ " . أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ^{١٠١٢}

معناه كما قال النووي^{١٠١٣} : ((أنه أقام بالمدينة كالزائر من غير نُقْلَةٍ إليها من وطنه ،
لاستيطائها ، وما منعه من الهجرة وهي الانتقال من الوطن واستيطان المدينة إلا الرغبة في
سؤال رسول الله ﷺ عن أمور الدين ، فإنه كان سُمِحَ بذلك للطَّارئين دون المهاجرين ،
وكان المهاجرون يفرحون بسؤال العُرباء الطارئين من الأعراب وغيرهم ، لأنهم يُحتملون
في السؤال ويُعذرون ، ويستفيدُ المهاجرون الجواب ، كما قال أنس في الحديث الذي رواه
مسلم أيضاً ((وكان يُعجبنا أن يجيء الرجل العاقل من أهل البادية فيسأله)). انتهى .

والمهاجرون لم يُمنعوا من السؤال عما يُحتاج إليه من أمور الدين ، وإنما كانوا يهابون ان
يسألوا النبي ﷺ إلا إذا اشتدَّت الحاجة ، وفي حديث جبريل من طريق أبي هريرة رضي
الله عنه : ((قال رسول الله ﷺ : سلوني ، فهابوه أن يسألوه ، فجاء رجلٌ فجلس عند
رُكبتيه فقال : يا رسول الله ، ما الإسلام (...)) الحديث ، رواه مسلم^{١٠١٤}

^{١٠١١} - ((كتاب الموافقات)) ٤ : ٣١١ - ٣١٣ - انتهى كلامُ الشاطبي رحمه الله تعالى بزيادة ما بين العارضتين .

^{١٠١٢} - شعب الإيمان - (٩ / ٤٠٨) (٦٨٨٧) وصحيح مسلم - المكثر - (٦٦٨١)

^{١٠١٣} - في ((شرح صحيح مسلم)) ١٦٥ : ١١

^{١٠١٤} - صحيح مسلم - المكثر - (١٠٨)

وفي كُتُب الحديث من أسئلة المهاجرين والأنصار المستوطنين بالمدينة ، وجواب النبي ﷺ عنها : نظائر كثيرة ، وقد سَبَق بعضها .

وقال الحافظُ ابنُ حجر^{١١٥} في شرح هذا الحديث : ((في هذا الحديث بيان أن السؤالَ عن مثل هذا لم يدخل فيما نُهي الصحابةُ عنه ، في قوله تعالى : (لا تسألوا عن أشياء) ، وفي حديث أنس : ((كنا نُهينا أن نَسألَ رسولَ الله ﷺ عن شيء)) . وقد وقع نحو ذلك لغير عائشة ، ففي حديث حفصة أنها لما سمعت : ((لا يدخل النارَ أحدٌ ممن شهدَ بدرًا والحديبية)) قالت : أليس الله يقول : (وإن منكم إلا وارِدُها) فأجبت بقوله (ثم نُنجي الذين اتقوا) الآية .

وسأل الصحابة لما نزلت (الذين آمنوا ولم يلبَسوا إيمانهم بظلم) : أئنا لم يظلمَ نفسه؟ فأجيبوا بأن المراد بالظلم الشرك ...

فِيحْمَلُ ما وَرَدَ من ذمٍّ من سأل عن المُشكلات على من سألَ تَعْتُناً ، كما قال تعالى (فأما الذين في قلوبهم زيغٌ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاءَ الفتنَةِ) ، وفي حديث عائشة : ((فإذا رأيتم الذين يسألون عن ذلك فهم الذين سمى الله فاحذروهم)) ، ومن ثم أنكَرَ عمر رضي الله تعالى عنه على صبيغ بن عسل التميمي لما رآه أكثرَ من السؤال عن مثل ذلك ، وعاقبَه)) اه .

قوله : (البرُّ حسنُ الخُلُق) قال العلماء : البر يكون بمعنى الصلَّة وبمعنى اللطْفِ والمَبَرَّةِ وحُسنِ الصحبةِ والعِشرةِ ، وبمعنى الطاعة ، وهذه الأمور هي مَجامِعُ حُسنِ الخلق .

وقوله : (حاك في صدرك) أي تحرك فيه وتردَّد ، ولم ينشِرح له الصدرُ ، وحَصَلَ في القلب منه الشكُّ وخوفٌ كونه ذنباً ،^{١١٦} قوله : (كرهت أن يطَّلَعَ عليه الناسُ) أي وجوهُ الناس وأماثلهم الذين يُستَحيا منهم ، والمرادُ بالكراهة هنا الكراهةُ الدينيةُ الحارِمةُ للمُرُوءةِ والدين ، فخرج العاديةُ ، كمن يكره أن يرى آكلًا لنحو حياءٍ ، وخرج أيضاً

^{١١٥} - في ((فتح الباري)) ١ : ١٩٧

^{١١٦} - كما في ((شرح صحيح مسلم)) للنووي ١٦ : ١١١

غيرُ الخارمةِ كمن يكرهُ أن يركبَ بين مُشاةٍ لنحوِ تواضعٍ . وإنما كان التأثيرُ في النفس علامةً للإثمِ لأنه لا يصدرُ إلا لشعورها بسوءِ عاقبته ، والحديثُ من جوامعِ الكلمِ ، لأن البرَّ كلمةٌ جامعةٌ لكلِّ خيرٍ ، والإثمُ جامعٌ للشرِّ . ١٠١٧

وعن ابنِ عَبَّاسٍ قَالَ بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - فُلَانًا الْأَسْلَمِيَّ وَبَعَثَ مَعَهُ بِثَمَانَ عَشْرَةَ بَدَنَةً فَقَالَ أَرَأَيْتَ إِنْ أُزْحِفَ عَلَيَّ مِنْهَا شَيْءٌ ١٠١٨ قَالَ « تَنْحَرُهَا ثُمَّ تَصْبِغُ نَعْلَهَا فِي دَمِهَا ثُمَّ اضْرِبُهَا عَلَيَّ صَفْحَتِهَا وَلَا تَأْكُلُ مِنْهَا أَنْتَ وَلَا أَحَدٌ مِنْ أَصْحَابِكَ » . أَوْ قَالَ « مِنْ أَهْلِ رُفْقَتِكَ » . ١٠١٩

وعن أَبِي التَّيَّاحِ الضُّبَعِيِّ حَدَّثَنِي مُوسَى بْنُ سَلَمَةَ الْهُذَلِيُّ قَالَ : انْطَلَقْتُ أَنَا وَسِنَانُ بْنُ سَلَمَةَ مُعْتَمِرِينَ قَالَ فَانْطَلَقَ سِنَانٌ مَعَهُ بَدَنَةً يَسُوقُهَا فَأَزْحَفْتُ عَلَيْهِ بِالطَّرِيقِ فَعَنَى بِشَأْنِهَا إِنْ هِيَ أُبْدِعَتْ كَيْفَ يَأْتِي لَهَا فَقَالَ : لَعْنُ قَدِمْتُ الْبَلَدَ لِأَسْتَحْفِينَ عَنْ ذَلِكَ قَالَ فَأَصْبَحْتُ فَلَمَّا نَزَلْنَا الْبَطْحَاءَ قَالَ : انْطَلِقْ إِلَى ابْنِ عَبَّاسٍ نَتَحَدَّثُ إِلَيْهِ قَالَ فَذَكَرَ لَهُ شَأْنَ بَدَنَتِهِ فَقَالَ : عَلَى الْخَبِيرِ سَقَطَتْ بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - سِتَّ عَشْرَةَ بَدَنَةً مَعَ رَجُلٍ وَأَمْرُهُ فِيهَا قَالَ مَضَى ثُمَّ رَجَعَ قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ كَيْفَ أَصْنَعُ بِمَا أُبْدِعَ عَلَيَّ مِنْهَا قَالَ : « انْحَرُهَا ثُمَّ اصْبِغْ نَعْلَيْهَا فِي دَمِهَا ثُمَّ اجْعَلْهَا عَلَيَّ صَفْحَتِهَا فَلَا تَأْكُلُ مِنْهَا أَنْتَ وَلَا أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ رُفْقَتِكَ » . رَوَاهُ مُسْلِمٌ ١٠٢٠

قال النووي : " فيه دليلٌ لجوازِ ذِكْرِ الْإِنْسَانِ بَعْضَ مُمَادِحَتِهِ لِلْحَاجَةِ ، وَإِنَّمَا ذَكَرَ ابْنُ عَبَّاسٍ ذَلِكَ تَرْغِيْبًا لِلسَّمْعِ فِي الْعِتْنَاءِ بِخَبْرِهِ ، وَحَثًّا لَهُ عَلَى الْإِسْتِمَاعِ لَهُ ، وَأَنَّهُ عِلْمٌ مُحَقَّقٌ .

١٠١٧ - أفاد كل ذلك المناوي في (فيض القدير) ٣ : ٢١٨

١٠١٨ أي أعبأ وعجز عن المشي .

١٠١٩ - سنن أبي داود - المكتر - (١٧٦٥) صحيح

١٠٢٠ - السنن الكبرى للبيهقي - حيدر آباد - (٥ / ٢٤٢) (١٠٥٤٧) وصحيح مسلم - المكتر - (٣٢٨٠)

أبدع : كل وتع - أستحفين : أسألن عن ذلك سؤالاً بليغاً - أزحف : أعبأ البعير ووقف من التعب

قوله : (يَا رَسُولَ اللَّهِ كَيْفَ أَصْنَعُ بِمَا أُبَدِعَ عَلَيَّ مِنْهَا ؟ قَالَ : انْحَرَهَا ثُمَّ اصْبِغْ نَعْلَيْهَا فِي دَمِهَا ثُمَّ اجْعَلْهُ عَلَى صَفْحَتِهَا وَلَا تَأْكُلْ مِنْهَا أَنْتَ وَلَا أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ رُفْقَتِكَ)

فيه فوائد منها : أنه إذا عَطِبَ الْهَدْيُ وَحَبَّ ذَبْحَهُ وَتَخَلَّيْتَهُ لِلْمَسَاكِينِ ، وَيَحْرُمُ الْأَكْلُ مِنْهَا عَلَيْهِ وَعَلَى رُفْقَتِهِ الَّذِينَ مَعَهُ فِي الرَّكْبِ ، سِوَاءَ كَانَ الرَّفِيقَ مُخَالَطًا لَهُ أَوْ فِي جُمْلَةِ النَّاسِ مِنْ غَيْرِ مُخَالَطَةٍ وَالسَّبَبُ فِي نَهْيِهِمْ قَطْعَ الذَّرِيعَةِ لئَلَّا يَتَوَصَّلَ بَعْضُ النَّاسِ إِلَى نَحْرِهِ أَوْ تَعْيِيهِ قَبْلَ أَوَانِهِ .

وَاحْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ فِي الْأَكْلِ مِنَ الْهَدْيِ إِذَا عَطِبَ فَنَحَرَهُ ، فَقَالَ الشَّافِعِيُّ : إِنْ كَانَ هَدْيِي تَطْوُوعَ كَانَ لَهُ أَنْ يَفْعَلَ فِيهِ مَا شَاءَ مِنْ بَيْعٍ وَذَبْحٍ وَأَكْلِ وَإِطْعَامٍ وَغَيْرِ ذَلِكَ ، وَلَهُ تَرْكُهُ ، وَلَا شَيْءَ عَلَيْهِ فِي كُلِّ ذَلِكَ ؛ لِأَنَّهُ مُلْكُهُ ، وَإِنْ كَانَ هَدْيًا مُنْذُورًا لِرِمِّهِ ذَبْحَهُ ، فَإِنْ تَرَكَهُ حَتَّى هَلَكَ لِرِمِّهِ ضَمَانُهُ كَمَا لَوْ فَرَطَ فِي حِفْظِ الْوَدِيعَةِ حَتَّى تَلَفَتْ ، فَإِذَا ذَبَحَهُ غَمَسَ نَعْلَهُ الَّتِي قَلَدَهُ بِأَيِّهَا فِي دَمِهِ ، وَضَرَبَ بِهَا صَفْحَةَ سَنَامِهِ وَتَرَكَهُ مَوْضِعَهُ ؛ لِيَعْلَمَ مَنْ مَرَّ بِهِ أَنَّهُ هَدْيِي فَيَأْكُلُهُ ، وَلَا يَجُوزُ لِلْمُهْدِيِّ وَلَا لِسَائِقِ هَذَا الْهَدْيِ وَقَاتِدِهِ الْأَكْلَ مِنْهُ ، وَلَا يَجُوزُ لِلْأَغْنِيَاءِ الْأَكْلَ مِنْهُ مُطْلَقًا ؛ لِأَنَّ الْهَدْيَ مُسْتَحَقٌّ لِلْمَسَاكِينِ ، فَلَا يَجُوزُ لغيرِهِمْ ، وَيَجُوزُ لِلْفُقَرَاءِ مِنْ غَيْرِ أَهْلِ هَذِهِ الرَّفْقَةِ ، وَلَا يَجُوزُ لِلْفُقَرَاءِ الرَّفْقَةَ ، وَفِي الْمُرَادِ بِالرَّفْقَةِ وَجْهَانِ لِأَصْحَابِنَا أَحَدُهُمَا : أَنَّهُمُ الَّذِينَ يُخَالِطُونَ الْمُهْدِيَّ فِي الْأَكْلِ وَغَيْرِهِ دُونَ بَاقِي الْقَافِلَةِ ، وَالثَّانِي : وَهُوَ الْأَصْحَحُّ ، وَهُوَ الَّذِي يَقْتَضِيهِ ظَاهِرُ الْحَدِيثِ ، وَظَاهِرُ نَصِّ الشَّافِعِيِّ وَكَلَامِ جُمْهُورِ أَصْحَابِنَا ، أَنَّ الْمُرَادَ بِالرَّفْقَةِ جَمِيعَ الْقَافِلَةِ ؛ لِأَنَّ السَّبَبَ الَّذِي مُنِعَتْ بِهِ الرَّفْقَةُ هُوَ خَوْفُ تَعْطِيبِهِمْ إِيَّاهُ ، وَهَذَا مَوْجُودٌ فِي جَمِيعِ الْقَافِلَةِ ، فَإِنْ قِيلَ : إِذَا لَمْ تُجُوزُوا لِأَهْلِ الْقَافِلَةِ أَكْلَهُ وَتُرِكَ فِي الْبَرِّيَّةِ كَانَ طُعْمَةً لِلسَّبَاعِ وَهَذَا إِضَاعَةٌ مَالٍ ، قُلْنَا : لَيْسَ فِيهِ إِضَاعَةٌ بَلْ الْعَادَةُ الْعَالِيَةُ أَنَّ سَكَانَ الْبُؤَادِي وَغَيْرِهِمْ يَتَّبِعُونَ مَنَازِلَ الْحَجِّ لِالتَّقَاتِ سَاقِطَةً وَنَحْوَهُ ، وَقَدْ تَأْتِي قَافِلَةٌ فِي إِثْرِ قَافِلَةٍ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ . " ١٠٢١

١٠٢١ - شرح النووي على مسلم - (٤ / ٤٧٤) و المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم - (١٠ / ١٣٩)

وَعَنْ عَبَّادَةَ بْنِ رِفَاعَةَ بْنِ رَافِعِ بْنِ خَدِيجٍ عَنْ جَدِّهِ قَالَ كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ - بِبَدْيِ الْحُلَيْفَةِ فَأَصَابَ النَّاسَ جُوعٌ فَأَصَابُوا إِبِلًا وَغَنَمًا . قَالَ وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ - فِي أُخْرِيَاتِ الْقَوْمِ فَعَجَلُوا وَذَبَحُوا وَنَصَبُوا الْقُدُورَ ، فَأَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ - بِالْقُدُورِ فَأُكْفِتَتْ ، ثُمَّ قَسَمَ فَعَدَلَ عَشْرَةَ مِنَ الْغَنَمِ بَبَعِيرٍ فَنَدَّ مِنْهَا بَعِيرٌ ، فَطَلَبُوهُ فَأَعْيَاهُمْ ، وَكَانَ فِي الْقَوْمِ خَيْلٌ يَسِيرَةٌ فَأَهْوَى رَجُلٌ مِنْهُمْ بِسَهْمٍ فَحَبَسَهُ اللَّهُ ثُمَّ قَالَ « إِنَّ لِهَذِهِ الْبَهَائِمِ أَوَابِدَ كَأَوَابِدِ الْوَحْشِ فَمَا غَلَبَكُمْ مِنْهَا فَاصْنَعُوا بِهِ هَكَذَا » . فَقَالَ جَدِّي إِنَّا نَرْجُو - أَوْ نَخَافُ - الْعَدُوَّ غَدًا ، وَلَيْسَتْ مَعَنَا مَدَى أَفَنْذِيحُ بِالْقَصَبِ . قَالَ « مَا أَنَهَرَ الدَّمَ وَذَكَرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ ، فَكُلُوهُ ، لَيْسَ السِّنُّ وَالظُّفْرُ ١٠٢٢ ، وَسَأُحَدِّثُكُمْ عَنْ ذَلِكَ ١٠٢٣ ، أَمَّا السِّنُّ فَعَظْمٌ وَأَمَّا الظُّفْرُ فَمُدَى الْحَبَشَةِ » ١٠٢٤ .

هذا الذبيح كان يفعله أهل الجاهلية ، فكانوا أحياناً يذبحون الطيور ، كالعصفور ، والحيوانات الصغيرة ، كالأرنب ونحوه ، بالسِّنِّ والظُّفْرِ ، فلما جاء الإسلام حَظَرَ هذا الذبيح وحرَّمه ، كما تراه في هذا الحديث .

وَعَنْ أَبِي ثَعْلَبَةَ الْحُسَيْنِيِّ ، قَالَ : قُلْتُ : يَا نَبِيَّ اللَّهِ ، إِنَّا بِأَرْضِ قَوْمٍ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ١٠٢٥ ، أَفَنَأْكُلُ فِي آتِنَتِهِمْ ١٠٢٦؟ وَبِأَرْضِ صَيْدٍ ، أَصِيدُ بِقَوْسِي ، وَبِكَلْبِي الَّذِي لَيْسَ بِمُعَلِّمٍ وَبِكَلْبِي الْمُعَلِّمِ ، فَمَا يَصْلُحُ لِي ؟ قَالَ : " أَمَّا مَا ذَكَرْتَ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ، فَإِنْ وَجَدْتُمْ غَيْرَهَا فَلَا تَأْكُلُوا فِيهَا ١٠٢٧ ، وَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَاغْسِلُوهَا وَكُلُوا فِيهَا ١٠٢٨ ، وَمَا صِدَّتْ

١٠٢٢ - أي إلا السِّنِّ والظُّفْرِ .

١٠٢٣ - أي عن سبب نهي الذبيح بهما .

١٠٢٤ - صحيح البخارى - المكثر - (٢٤٨٨)

الأوابد : جمع أبدة وهى الدابة التى توحشت -القصَب : كل عظم أحوف ذى مخ -المدى : جمع مدية وهى السكين -أهر : أجرى

١٠٢٥ - كان أبو ثعلبة هو وقومه بنو حُشَيْن من العرب الذين يسكنون الشام .

١٠٢٦ - سبب سؤاله عن الأكل فى آتية أهل الكتاب : أنهم يطبخون فيها الخنزير ، ويشربون فيها الخمر

١٠٢٧ - لنجاستها يطبخهم فيها الخنزير ، وشربهم فيها الخمر . وكل من الخنزير والخمر نجس ، فتنجس الأواني بحلوله فيها .

١٠٢٨ - أي لا تجدوا سواها ، فاغسلوها ثم كلوا أو اشربوا فيها .

بِقَوْلِكَ فَذَكَرْتَ اسْمَ اللَّهِ فَكُلْ^{١٠٢٩} ، وَمَا صَدَّتْ بِكَالْبِكِ الْمَعْلَمِ ، فَذَكَرْتَ اسْمَ اللَّهِ فَكُلْ^{١٠٣٠} ، وَمَا صَدَّتْ بِكَالْبِكِ غَيْرِ مُعْلَمٍ فَأَدْرَكَتْ ذَكَاتَهُ^{١٠٣١} فَكُلْ^{١٠٣٢} .

وَعَنْ أَبِي ثَعْلَبَةَ الْخُسَنِيِّ أَنَّهُ سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - قَالَ إِنَّا نَجَاوِرُ أَهْلَ الْكِتَابِ وَهُمْ يَطْبُخُونَ فِي قُدُورِهِمُ الْخَنْزِيرَ وَيَشْرَبُونَ فِي آنِيَتِهِمُ الْخَمْرَ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - « إِنْ وَجَدْتُمْ غَيْرَهَا فَكُلُوا فِيهَا وَاشْرَبُوا وَإِنْ لَمْ تَجِدُوا غَيْرَهَا فَارْحَضُوا بِالْمَاءِ^{١٠٣٣} وَكُلُوا وَاشْرَبُوا^{١٠٣٤} . » .

قال الشيخ : والأصل في هذا أنه إذا كان معلوماً من حال المشركين أنهم يطبخون في قدورهم لحم الخنزير ويشربون في آنيتهم الخمر فإنه لا يجوز استعمالها إلا بعد الغسل والتنظيف ، فأما مياههم وثيابهم فإنها على الطهارة كمياء المسلمين وثيابهم إلا أن يكونوا من قوم لا يتحاشون النجاسات أو كان من عادتهم استعمال الأبوال في طهورهم فإن استعمال ثيابهم غير جائز إلا أن لا يعلم أنه لم يصبها شيء من النجاسات والله أعلم^{١٠٣٥} .
قال الحافظ ابن حجر : ((وفي هذا الحديث من الفوائد : جَمْعُ المسائل وإيرادها دفعةً واحدة ، وتفصيلُ الجواب عنها واحدةً واحدةً بلفظٍ إمَّا وإمَّا))^{١٠٣٦} .

الخلاصة :

(١) على المعلم أن يكون يجهز نفسه للإجابة على أسئلة طلابه .

^{١٠٢٩} - أي إذا ذكرت اسم الله عند رميك القوس ، فكل الصيد لعله بالتسمية عند رميك له .
^{١٠٣٠} - أي إذا سميت الله على الصيد عند إشلائك الكلب المعلم وإرسالك إياه على الصيد ، فكله ، لعله بالتسمية عليه عند إرسال الكلب المعلم .

^{١٠٣١} - أي صيد الكلب الذي ليس بمعلم ، لا يجل أكله إلا إذا أدركته قبل أن يموت ، فذكيت أي ذبحته ، فحينئذ يجل لك أكله .

^{١٠٣٢} - صحيح البخارى - المكثر - (٥٤٧٨) وصحيح مسلم - المكثر - (٥٠٩٢) .

^{١٠٣٣} أي اغسلوها غسلًا جيدًا .

^{١٠٣٤} - سنن أبي داود - المكثر - (٣٨٤١) صحيح

^{١٠٣٥} - معالم السنن للخطابي ٢٨٨ - (٤ / ٢٥٧)

^{١٠٣٦} - ((فتح الباري)) ٩ : ٥٢٣ .

- (٢) عليه أن يجيبهم عن أسئلتهم دون حرج .
 (٣) لا يجوز له أن يفتي بغير علم .
 (٤) أن يكون مطلعاً على أحوال طلابه ليسهل عليه إجاباتهم عما سألوا .

[٤٢] جوابه ﷺ السائل بأكثر مما سأل عنه :

تارةً كان ﷺ يُجيب السائلَ بأكثر مما سأل، إذا رأى أن به حاجةٌ إلى معرفة الزائد عن سؤاله، وهذا من كمال رأفته ﷺ، ومن عظيم رعايته بالمتعلمين والمتفقيين :
 عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ رَفَعَتْ امْرَأَةٌ صَبِيًّا لَهَا فَقَالَتْ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلِهَذَا حَجٌّ قَالَ « نَعَمْ وَلَكَ أَجْرٌ » ١٠٣٧ .

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ رَفَعَتْ امْرَأَةٌ صَبِيًّا لَهَا مِنْ هُودَجٍ فَقَالَتْ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلِهَذَا حَجٌّ قَالَ « نَعَمْ وَلَكَ أَجْرٌ » ١٠٣٨ .

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ - لَقِيَ رَكْبًا بِالرَّوْحَاءِ فَقَالَ « مَنْ الْقَوْمُ » . قَالُوا الْمُسْلِمُونَ . فَقَالُوا مَنْ أَنْتَ قَالَ « رَسُولُ اللَّهِ » . فَرَفَعَتْ إِلَيْهِ امْرَأَةٌ صَبِيًّا فَقَالَتْ أَلِهَذَا حَجٌّ قَالَ « نَعَمْ وَلَكَ أَجْرٌ » ١٠٣٩ .

وعن إبراهيم بن عتبة، قال : سمعتُ كريباً يُخبرُ ، عن ابنِ عباسٍ ، أن النَّبِيَّ ﷺ صَدَرَ مِنْ مَكَّةَ ، فَلَمَّا كَانَ بِالرَّوْحَاءِ اسْتَقْبَلَهُ رَكْبٌ ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ ، فَقَالَ : مَنْ الْقَوْمُ ؟ قَالُوا : الْمُسْلِمُونَ ، فَمَنْ أَنْتُمْ ؟ قَالَ : رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، فَفَزَعَتْ امْرَأَةٌ مِنْهُمْ ، فَرَفَعَتْ صَبِيًّا لَهَا مِنْ مِحْفَةٍ وَأَخَذَتْ بَعْضَلَتِهِ ، فَقَالَتْ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، هَلْ لِهَذَا حَجٌّ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، وَلَكَ أَجْرٌ .

١٠٣٧ - صحيح مسلم - المكثر - (٣٣١٨)

١٠٣٨ - سنن النسائي - المكثر - (٢٦٥٨) صحيح

١٠٣٩ - صحيح مسلم - المكثر - (٣٣١٧)

قَالَ إِبْرَاهِيمُ : فَحَدَّثْتُ بِهَذَا الْحَدِيثِ ابْنَ الْمُنْكَدِرِ فَحَجَّ بِأَهْلِهِ أَجْمَعِينَ. ١٠٤٠

فأجابها النبي ﷺ بأكثر مما سألت عنه، فقد سألت عن حج الصبي، فقال : له حجٌّ، وزادها : ولك أجر . إذ هي المتولية لأمره، فأفادها بثبوت الأجر لها، وذلك باعث قوي على حسن فعلها والافتداء بها ممن يأتي بعدها من الأمهات والآباء، في تحمّل المشقات الشديدة باصحاب الاولاد الصغار للحج إلى بيت الله المعظم، ليغرس في قلوبهم ومشاهد أنظارهم هذا المشهد العظيم، وينطبع في نفوسهم هذا الركن الخامس الجسيم، ولما في مشهد الصغار حول البيت من تحريك للقلوب والأرواح والدُّموع .

وقد اتَّفَقَ الْعُلَمَاءُ عَلَى صِحَّةِ حَجِّ الصَّبِيِّ ، وَعُمَرَتِهِ ، وَأَنَّ مَا يُؤَدِّيهِ مِنْ عِبَادَةٍ أَوْ مِنْ حَجٍّ أَوْ مِنْ عُمْرَةٍ يَكُونُ تَطَوُّعًا ، فَإِذَا بَلَغَ وَجَبَ عَلَيْهِ حَجَّةُ فَرَضِ الْإِسْلَامِ . وَإِذَا كَانَ أَدَاءُ الصَّبِيِّ لِلنُّسْكِ صَحِيحًا كَانَ إِحْرَامُهُ صَحِيحًا قَطْعًا ١٠٤١

فَعَنْ أَبِي السَّقَرِ قَالَ سَمِعْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ يَقُولُ : يَا أَيُّهَا النَّاسُ اسْمَعُوا مِنِّي مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأَسْمَعُونِي مَا تَقُولُونَ وَلَا تَذْهَبُوا فَتَقُولُوا قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : مَنْ طَافَ بِالْبَيْتِ فَلَيْطُفَ مِنْ وَرَاءِ الْحِجْرِ وَلَا تَقُولُوا الْحَطِيمُ فَإِنَّ الرَّجُلَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ كَانَ يَخْلِفُ فَيَلْقَى سَوْطَهُ أَوْ نَعْلَهُ أَوْ قَوْسَهُ ، وَإِيْمًا صَبِيٍّ حَجَّ بِهِ أَهْلُهُ فَقَدْ قَضَتْ حَجَّتَهُ عَنْهُ مَا دَامَ صَغِيرًا فَإِذَا بَلَغَ فَعَلَيْهِ حَجَّةُ أُخْرَى ، وَإِيْمًا عَبْدٍ حَجَّ بِهِ أَهْلُهُ فَقَدْ قَضَتْ عَنْهُ حَجَّتَهُ مَا دَامَ عَبْدًا فَإِذَا عَتِقَ فَعَلَيْهِ حَجَّةُ أُخْرَى . رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ فِي الصَّحِيحِ ١٠٤٢

وَعَنْ أَبِي سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : " مَنْ رَضِيَ بِاللَّهِ رَبًّا، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولًا، وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ " . قَالَ أَبُو سَعِيدٍ : فَحَمِدْتُ اللَّهَ تَعَالَى، وَكَبَّرْتُ، وَسُرَّرْتُ بِهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " وَأُخْرَى يَرْفَعُ اللَّهُ بِهَا أَهْلَهَا فِي الْجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ مَا

١٠٤٠ - صحيح ابن حبان - (١ / ٣٥٧) (١٤٤) وأخبار مكة للفاكهي - (١ / ٣٨٥) (٨١٤) صحيح

١٠٤١ - الموسوعة الفقهية الكويتية - (٢ / ١٧٨) وفتاوى الشبكة الإسلامية معدلة - (٣ / ٨٩٩) رقم الفتوى

١١٧٢٤ يؤجر الصبي على الحج والعمرة وكذلك وليه وفتاوى الشبكة الإسلامية معدلة - (٥ / ٦٠٠٥) رقم الفتوى

٣٦٢٩٩ تصح العمرة والحج من الصبي بالإجماع

١٠٤٢ - السنن الكبرى للبيهقي - حيدر آباد - (٥ / ١٥٦) (٩٩٩٨) وصحيح البخاري - المكثر - (٣٨٤٨)

بَيْنَ كُلِّ دَرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، أَوْ أَبْعَدُ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ " قَالَ: قُلْتُ:
وَمَا ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: " الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ " ١٠٤٣ .

فبعدما فعل أبو سعيد الخدري رضي الله عنه ما فعل زاده رسول الله ﷺ تفصيل أخرى لم
يسأل عنها أصلاً .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - « مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ
وَبِرَسُولِهِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَصَامَ رَمَضَانَ ، كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ جَاهِدًا فِي
سَبِيلِ اللَّهِ ، أَوْ جَلَسَ فِي أَرْضِهِ الَّتِي وُلِدَ فِيهَا » . فَقَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفَلَا نُبَشِّرُ النَّاسَ .
قَالَ « إِنَّ فِي الْجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ أَعَدَّهَا اللَّهُ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، مَا بَيْنَ الدَّرَجَتَيْنِ
كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ، فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ فَاسْأَلُوهُ الْفَرْدَوْسَ ، فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الْجَنَّةِ وَأَعْلَى
الْجَنَّةِ ، أَرَاهُ فَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ ، وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ » ١٠٤٤ .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ، وَأَقَامَ الصَّلَاةَ ، وَصَامَ
رَمَضَانَ ، فَإِنَّ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ ، هَاجَرَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، أَوْ جَلَسَ فِي أَرْضِهِ
الَّتِي وُلِدَ فِيهَا قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَفَلَا نُخَبِّرُ النَّاسَ ؟ قَالَ : إِنَّ فِي الْجَنَّةِ مِئَةَ دَرَجَةٍ
أَعَدَّهَا اللَّهُ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِهِ ، بَيْنَ كُلِّ دَرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ، فَإِذَا
سَأَلْتُمُ اللَّهَ فَاسْأَلُوهُ الْفَرْدَوْسَ ، فَإِنَّهُ وَسَطُ الْجَنَّةِ ، وَأَعْلَى الْجَنَّةِ ، وَفَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ وَمِنْهُ
يُفَجَّرُ ، أَوْ تُفَجَّرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ . ١٠٤٥ .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ، وَأَقَامَ الصَّلَاةَ ،
وَصَامَ رَمَضَانَ ، فَإِنَّ حَقًّا عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ ، هَاجَرَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، أَوْ
جَلَسَ فِي أَرْضِهِ الَّتِي وُلِدَ فِيهَا ، قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَفَلَا نُنَبِّئُ النَّاسَ بِذَلِكَ ؟ قَالَ : إِنَّ
فِي الْجَنَّةِ مِئَةَ دَرَجَةٍ أَعْلَاهَا لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِهِ ، مَا بَيْنَ كُلِّ دَرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ

١٠٤٣ - شعب الإيمان - (٦ / ١١٩) (٣٩٥٣) صحيح

١٠٤٤ - صحيح البخارى - المكثر - (٢٧٩٠)

١٠٤٥ - مسند أحمد (عالم الكتب) - (٣ / ٢٨١) (٨٤١٩) - ٨٤٠٠ - صحيح

وَالْأَرْضِ ، فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ ، فَاسْأَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ ، فَإِنَّهَا أَوْسَطُ الْجَنَّةِ ، وَأَعْلَى الْجَنَّةِ ، وَفَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ. ١٠٤٦

وَعَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : مَنْ صَلَّى الصَّلَوَاتِ الْخَمْسَ وَحَجَّ الْبَيْتَ ، وَصَامَ رَمَضَانَ ، وَلَا أَدْرِي أَذَكَرَ الزَّكَاةَ أَمْ لَا ؟ كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يَغْفِرَ لَهُ إِنْ هَاجَرَ فِي سَبِيلِهِ ، أَوْ مَكَثَ بِأَرْضِهِ الَّتِي وُلِدَ بِهَا ، فَقَالَ مُعَاذُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَفَأُخْبِرُ النَّاسَ ؟ قَالَ : ذَرِ النَّاسَ يَا مُعَاذُ ، فِي الْجَنَّةِ مِئَةٌ دَرَجَةٍ مَا بَيْنَ كُلِّ دَرَجَتَيْنِ مِئَةٌ سَنَةٍ ، وَالْفِرْدَوْسُ أَعْلَى الْجَنَّةِ ، وَأَوْسَطُهَا وَمِنْهَا تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ ، فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ فَاسْأَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ. ١٠٤٧

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ، أَنَّ حَارِثَةَ خَرَجَ نَظَّارًا ، فَاتَاهُ سَهْمٌ فَقَتَلَهُ ، فَقَالَتْ أُمُّهُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قَدْ عَرَفْتَ مَوْقِعَ حَارِثَةَ مِنِّي ، فَإِنْ كَانَ فِي الْجَنَّةِ صَبْرْتُ ، وَإِلَّا رَأَيْتَ مَا أَصْنَعُ . قَالَ : يَا أُمَّ حَارِثَةَ إِنَّهَا لَيْسَتْ بِجَنَّةٍ وَاحِدَةٍ ، وَلَكِنَّهَا جَنَّاتٌ كَثِيرَةٌ ، وَإِنَّ حَارِثَةَ لَفِي أَفْضَلِهَا ، أَوْ قَالَ : فِي أَعْلَى الْفِرْدَوْسِ ١٠٤٨

وَعَنْ أَنَسٍ ، أَنَّ حَارِثَةَ ابْنَ الرَّبِيعِ جَاءَ يَوْمَ بَدْرٍ نَظَّارًا ، وَكَانَ غُلَامًا ، فَجَاءَ سَهْمٌ غَرَبٌ ، فَوَقَعَ فِي ثُعْرَةٍ نَحْرِهِ ، فَقَتَلَهُ ، فَجَاءَتْ أُمُّهُ الرَّبِيعُ ، فَقَالَتْ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قَدْ عَلِمْتَ مَكَانَ حَارِثَةَ مِنِّي ، فَإِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَسَاصِرٌ ، وَإِلَّا فَسِيرَى اللَّهِ مَا أَصْنَعُ ، قَالَ : فَقَالَ : يَا أُمَّ حَارِثَةَ ، إِنَّهَا لَيْسَتْ بِجَنَّةٍ وَاحِدَةٍ وَلَكِنَّهَا جَنَّاتٌ كَثِيرَةٌ ، وَإِنَّهُ فِي الْفِرْدَوْسِ الْأَعْلَى. ١٠٤٩

وَعَنِ الْحَكَمِ بْنِ مِينَاءَ ، أَنَّ يَزِيدَ بْنَ جَارِيَةَ الْأَنْصَارِيَّ ، أَخْبَرَهُ أَنَّهُ كَانَ جَالِسًا فِي نَفَرٍ مِنَ الْأَنْصَارِ ، فَخَرَجَ عَلَيْهِمْ مُعَاوِيَةُ ، فَسَأَلَهُمْ عَنْ حَدِيثِهِمْ ، فَقَالُوا : كُنَّا فِي حَدِيثٍ مِنْ حَدِيثِ الْأَنْصَارِ ، فَقَالَ مُعَاوِيَةُ : أَلَا أَرِيدُكُمْ حَدِيثًا سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ؟ قَالُوا :

١٠٤٦ - مسند أحمد (عالم الكتب) - (٣ / ٢٩٤) (٨٤٧٤) - ٨٤٥٥ - صحيح
١٠٤٧ - مسند أحمد (عالم الكتب) - (٧ / ٣٧٠) (٢٢٠٨٧) - ٢٢٤٣٨ - صحيح لغيره
١٠٤٨ - مسند أحمد (عالم الكتب) - (٤ / ٣٢١) (١٢٢٥٢) - ١٢٢٧٧ - صحيح
١٠٤٩ - مسند أحمد (عالم الكتب) - (٤ / ٦٩٣) (١٣٨٧١) - ١٣٩٠٧ - صحيح

بَلَى يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : مَنْ أَحَبَّ الْأَنْصَارَ ، أَحَبَّهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ، وَمَنْ أَبْغَضَ الْأَنْصَارَ ، أَبْغَضَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ . ١٠٥٠

وَعَنْ صُهَيْبٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ - قَالَ « إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ - قَالَ - يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى تُرِيدُونَ شَيْئًا أَزِيدُكُمْ فَيَقُولُونَ أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا أَلَمْ تُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ وَتُنَجِّنَا مِنَ النَّارِ - قَالَ - فَيَكْشِفُ الْحِجَابَ فَمَا أُعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَى رَبِّهِمْ عَزَّ وَجَلَّ . » ١٠٥١ .

وعن الحارث الأشعري حدثه أن رسول الله ﷺ ، قال : إن الله جلَّ وعلا أمر يحيى بن زكريا بخمس كلمات يعمل بهنَّ ، ويأمر بني إسرائيل أن يعملوا بهنَّ ، وإن عيسى قال له : إن الله قد أمرك بخمس كلمات تعمل بهنَّ وتأمر بني إسرائيل أن يعملوا بهنَّ ، فإما أن تأمرهم ، وإما أن أمرهم . قال : فجمع الناس في بيت المقدس حتى امتلأت وجلسوا على الشرفات فوعظهم ، وقال : إن الله جلَّ وعلا أمرني بخمس كلمات أعمل بهنَّ وأمركم أن تعملوا بهنَّ : أولهنَّ أن تعبدوا الله ولا تُشركوا به شيئاً ، ومثله ذلك مثل رجل اشترى عبداً بخالص ماله بذهب أو ورق ، وقال له : هذه داري ، وهذا عملي فجعل العبد يعمل ويؤدِّي إلى غير سيده ، فأيكُم يسره أن يكون عبده هكذا ، وإن الله خلقكم ورزقكم ، فاعبدوه ولا تُشركوا به شيئاً ، وأمركم بالصلاة فإذا صليتم فلا تلتفتوا فإن العبد إذا لم يلتفت استقبله جلَّ وعلا بوجهه ، وأمركم بالصيام وإنما مثل ذلك كمثل رجل معه صرة فيها مسك ، وعنده عصاة يسره أن يجدوا ریحها ، فإن الصيام عند الله أطيب من ريح المسك ، وأمركم بالصدقة ، وإن مثل ذلك كمثل رجل أسره العدو فأوثقوا يده إلى عنقه ، وأرادوا أن يضربوا عنقه ، فقال : هل لكم أن أفدي نفسي فجعل يعطيهم القليل والكثير ليفك نفسه منهم . وأمركم بذكر الله فإن مثل ذلك كمثل رجل طلبه العدو سراعاً في أثره ، فأتى على حصين ، فأحرز نفسه فيه ، فكذلك العبد لا يحرز نفسه من الشيطان إلا بذكر الله . قال رسول الله ﷺ : وأنا أمركم بخمس أمرني

١٠٥٠ - مسند أحمد (عالم الكتب) - (٥ / ٧٦٥) (١٦٨٧١) ١٦٩٩٦ - صحيح

١٠٥١ - صحيح مسلم - المكثر - (٤٦٧)

اللَّهُ بِهَا : بِالْجَمَاعَةِ ، وَالسَّمْعِ ، وَالطَّاعَةِ ، وَالهِجْرَةِ ، وَالْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، فَمَنْ فَارَقَ
الْجَمَاعَةَ قِيدَ شِبْرٍ فَقَدْ خَلَعَ رَبْقَ الْإِسْلَامِ مِنْ عُنُقِهِ إِلَّا أَنْ يُرَاجِعَ ، وَمَنْ دَعَا بِدَعْوَى
الْجَاهِلِيَّةِ فَهُوَ مِنْ حُنَا حَهَمِّمْ . قَالَ رَجُلٌ : وَإِنْ صَامَ وَصَلَّى ؟ قَالَ : وَإِنْ صَامَ وَصَلَّى ،
فَادْعُوا بِدَعْوَى اللَّهِ الَّذِي سَمَّاكُمْ الْمُسْلِمِينَ الْمُؤْمِنِينَ عِبَادَ اللَّهِ . ١٠٥٢

وَعَنْ زَيْدِ بْنِ سَلَامٍ ، أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا سَلَامٍ ، يَقُولُ : حَدَّثَنِي الْحَارِثُ الْأَشْعَرِيُّ ، أَنَّ رَسُولَ
اللَّهِ ﷺ قَالَ : إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَمَرَ لِيَحْيَى بْنَ زَكَرِيَّا فِي خَمْسِ كَلِمَاتٍ يَعْمَلُ بِهِنَّ ،
وَيَأْمُرُ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يَعْمَلُوا بِهِنَّ ، فَكَانَ يُطِئُ بِهِنَّ ، فَقَالَ عَيْسَى ابْنُ مَرْيَمَ : إِنَّكَ
أَمَرْتَ بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ تَعْمَلُ بِهِنَّ وَتَأْمُرُ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يَعْمَلُوا بِهِنَّ ، فَإِنَّمَا أَنْ تَأْمُرَهُمْ بِهِنَّ
وَإِنَّمَا أَنْ أَقُومَ أَنَا فَآمُرُهُمْ بِهِنَّ ، قَالَ يَحْيَى : إِنَّكَ إِنْ تَسْبِقُنِي بِهِنَّ أَخَافُ أَنْ أُعَذَّبَ أَوْ
يُخَسَفَ بِي ، فَجَمَعَ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي بَيْتِ الْمَقْدِسِ حَتَّى امْتَلَأَ الْمَسْجِدَ ، حَتَّى جَلَسَ
النَّاسُ عَلَى الشُّرُفَاتِ ، فَوَعِظَ النَّاسَ ، ثُمَّ قَالَ : إِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ أَعْمَلُ بِهِنَّ
وَأْمُرُكُمْ أَنْ تَعْمَلُوا بِهِنَّ ، أَوْلَهُنَّ أَنْ لَا تُشْرِكُوا بِاللَّهِ شَيْئًا ، فَإِنَّ مَثَلَ الشَّرِكِ بِاللَّهِ كَمَثَلِ
رَجُلٍ اشْتَرَى عَبْدًا مِنْ خَالِصِ مَالِهِ بِذَهَبٍ أَوْ وَرَقٍ ، ثُمَّ قَالَ : هَذَا دَارِي وَعَمَلِي فَأَعْمَلْ
وَأَدِّ إِلَيَّ عَمَلَكَ ، فَجَعَلَ يَعْمَلُ وَيُؤَدِّي إِلَى غَيْرِ سَيِّدِهِ ، فَأَيُّكُمْ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ لَهُ عَبْدٌ
كَذَلِكَ ؟ يُؤَدِّي عَمَلَهُ لغيرِ سَيِّدِهِ ، وَاللَّهُ هُوَ خَلَقَكُمْ وَرَزَقَكُمْ فَلَا تُشْرِكُوا بِاللَّهِ شَيْئًا ، وَإِنَّ
اللَّهَ أَمَرَكُمْ بِالصَّلَاةِ فَإِذَا نَصَبْتُمْ وَجُوهَكُمْ فَلَا تَلْتَفِتُوا ، فَإِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَنْصُبُ
وَجْهَهُ لوجهِ عَبْدِهِ حِينَ يُصَلِّي ، فَلَا يَصْرِفُ وَجْهَهُ عَنْهُ حَتَّى يَكُونَ هُوَ الَّذِي يَنْصَرِفُ ،
وَأَمَرَكُمْ بِالصِّيَامِ ، فَإِنَّ مَثَلَ الصَّائِمِ مَثَلُ رَجُلٍ مَعَهُ صُرَّةٌ مِسْكَ ، فَهُوَ فِي عِصَابَةٍ لَيْسَ مَعَ
أَحَدٍ مِنْهُمْ مِسْكَ غَيْرِهِ ، كُلُّهُمْ يَشْتَهِي أَنْ يَجِدَ رِيحَهَا ، وَإِنَّ رِيحَ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ
اللَّهِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكَ ، وَأَمَرَكُمْ بِالصَّدَقَةِ ، فَإِنَّ مَثَلَهَا كَمَثَلِ رَجُلٍ أَسْرَهُ الْعَدُوَّ ، فَشَدُّوا

١٠٥٢ - صحيح ابن حبان - (١٤ / ١٢٥) (٦٢٣٣) صحيح

قَالَ أَبُو حَاتِمٍ : الْأَمْرُ بِالْجَمَاعَةِ بِلَفْظِ الْعُمُومِ ، وَالْمُرَادُ مِنْهُ الْخَاصُّ ، لِأَنَّ الْجَمَاعَةَ هِيَ إِجْمَاعُ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ،
فَمَنْ لَزِمَ مَا كَانُوا عَلَيْهِ وَشَدَّ عَنْ مَنْ بَعْدَهُمْ لَمْ يَكُنْ بِشَاقٍ لِلْجَمَاعَةِ ، وَلَا مُفَارِقٍ لَهَا ، وَمَنْ شَدَّ عَنْهُمْ وَتَبِعَ مَنْ بَعْدَهُمْ
كَانَ شَاقًا لِلْجَمَاعَةِ ، وَالْجَمَاعَةُ بَعْدَ الصَّحَابَةِ هُمْ أَقْوَامٌ اجْتَمَعَ فِيهِمُ الدِّينُ وَالْعَقْلُ وَالْعِلْمُ ، وَلَزِمُوا تَرْكَ الْهَوَى فِيمَا هُمْ
فِيهِ . وَإِنْ قَلَّتْ أَعْدَادُهُمْ ، لَا أَوْبَاشُ النَّاسِ وَرِعَاعُهُمْ ، وَإِنْ كَثُرُوا .

يَدُهُ إِلَى عُنُقِهِ ، فَقَدَّمُوهُ لِيَضْرِبُوا عُنُقَهُ ، فَقَالَ : لَا تَقْتُلُونِي ، فَإِنِّي أَفْدِي نَفْسِي مِنْكُمْ بِكَذَا
وَكَذَا مِنَ الْمَالِ ، فَأَرْسَلُوهُ فَجَعَلَ يَجْمَعُ حَتَّى فَدَى نَفْسَهُ مِنْهُ ، فَكَذَلِكَ الصَّدَقَةُ يَفْتَدِي
بِهَا الْعَبْدُ نَفْسَهُ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ ، وَأَمْرُكُمْ بِكثْرَةِ ذِكْرِ اللَّهِ ، فَإِنَّ مَثَلَ ذِكْرِ اللَّهِ كَمَثَلِ رَجُلٍ
غَلَبَهُ الْعَدُوُّ فَأَنْطَلَقُوا فِي طَلَبِهِ سَرَاعًا وَأَنْطَلَقَ حَتَّى أَتَى حِصْنًا حَصِينًا ، فَأَحْرَزَ نَفْسَهُ فِيهِ ،
فَكَذَلِكَ مِثْلُ الشَّيْطَانِ لَا يُحْرَزُ الْعِبَادُ مِنْهُ أَنْفُسَهُمْ إِلَّا بِذِكْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ
ﷺ : وَأَنَا أَمْرُكُمْ بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ أَمَرَنِي اللَّهُ بِهِنَّ : الْجَمَاعَةُ وَالسَّمْعُ وَالطَّاعَةُ وَالْهَجْرَةُ
وَالْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، فَمَنْ خَرَجَ مِنَ الْجَمَاعَةِ قِيدَ شِبْرٍ فَقَدْ خَلَعَ رِبْقَةَ الْإِسْلَامِ مِنْ رَأْسِهِ
عُنُقَهُ ، وَقَالَ رَجُلٌ : يَا رَسُولَ اللَّهِ وَإِنْ صَامَ وَصَلَّى ؟ قَالَ : وَإِنْ صَامَ وَصَلَّى ، فَادْعُوا
بِدَعْوَةِ اللَّهِ الَّذِي سَمَّاكُمْ بِهَا الْمُسْلِمِينَ وَالْمُؤْمِنِينَ جَمِيعًا. ١٠٥٣

وفي هذه الأحاديث جميعاً نلاحظ أن النبي ﷺ قد زاد أصحابه أشياء عديدة على أسئلتهم

الخلاصة :

- (١) يجوز للمعلم أن يزيد على سؤال المتعلم بحسب الحاجة .
- (٢) الزيادة على سؤال المتعلم ولاسيما إن كانت ذات صلة به أدعى للقبول والحفظ .
- (٣) كان رسول الله ﷺ يحاول إفادة أصحابه بكافة الوسائل والطرق .

[٤٣] لَفْتُهُ ﷺ السائل إلى غير ما سأل عنه :

كان ﷺ يلفتُ السائلَ عن سؤاله لحكمةٍ بالغةٍ ومن ذلك :

١٠٥٣ - مسند الشاميين ٣٦٠ - (٤ / ١١٢) (٢٨٧٠) صحيح

فَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ - مَتَى السَّاعَةُ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ « مَا أَعَدَدْتُ لَهَا ». قَالَ مَا أَعَدَدْتُ لَهَا مِنْ كَثِيرِ صَلَاةٍ وَلَا صَوْمٍ وَلَا صَدَقَةٍ ، وَلَكِنِّي أُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ . قَالَ « أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ » ١٠٥٤ .

فَلَفْتَهُ ﷺ عَنْ سَوَالِهِ عَنْ وَقْتِ قِيَامِ السَّاعَةِ، الَّذِي اخْتَصَّ اللَّهُ تَعَالَى بِعَلْمِهِ، إِلَى شَيْءٍ آخَرَ هُوَ أَحْوَجُ إِلَيْهِ، وَأَفْضَلُ نَفْعًا عَلَيْهِ، وَهُوَ إِعْدَادُ الْعَمَلِ الصَّالِحِ لِلْسَّاعَةِ، فَقَالَ : مَا أَعَدَدْتُ لَهَا؟ فَقَالَ : حُبَّ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، فَقَالَ : أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ .

فَرَادَهُ ﷺ أَيًّا أَنْ الْإِنْسَانَ يُحْشَرُ مَعَ مَنْ يُصَاحِبُ وَيُحِبُّ . وَفِي هَذَا تَبْصِيرٌ لِلْإِنْسَانِ وَتَحذِيرٌ مِنْ أَنْ يَتَّخِذَ فِي الدُّنْيَا قَرِينًا لَهُ غَيْرَ صَالِحٍ، فَيَكُونُ مَعَهُ فِي الْآخِرَةِ حَيْثُ يَكُونُ! وَهَذَا الْأَسْلُوبُ فِي لَفْتِ السَّائِلِ يُسَمَّى : أَسْلُوبَ الْحَكِيمِ ١٠٥٥ ، وَهُوَ تَلَقِّي السَّائِلِ بِغَيْرِ مَا يَطْلُبُ، مِمَّا يَهْمُهُ أَوْ مِمَّا هُوَ أَهْمٌ مِمَّا سَأَلَ عَنْهُ أَوْ أَنْفَعُ لَهُ .

وَعَنْ ابْنِ عُمَرَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ - . وَعَنِ الزُّهْرِيِّ عَنِ سَالِمِ بْنِ عَبْدِ عُمَرَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ - أَنَّ رَجُلًا سَأَلَهُ مَا يَلْبَسُ الْمُحْرِمُ فَقَالَ « لَا يَلْبَسُ الْقَمِيصَ وَلَا الْعِمَامَةَ وَلَا السَّرَاوِيلَ وَلَا الْبُرْنَسَ وَلَا ثَوْبًا مَسَّهُ الْوَرْسُ أَوْ الزَّرْعَفَرَانُ ، فَإِنْ لَمْ يَجِدِ التَّعْلِينَ فَلْيَلْبَسِ الْخُفَيْنِ وَلْيَقْطَعْهُمَا حَتَّى يَكُونَا تَحْتَ الْكَعْبَيْنِ » ١٠٥٦

وَعَنْ ابْنِ عُمَرَ ، أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ : مَا يَلْبَسُ الْمُحْرِمُ مِنَ الثِّيَابِ ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : لَا يَلْبَسُ الْقَمِيصَ ، وَلَا الْعِمَامَةَ ، وَلَا السَّرَاوِيلَ ، وَلَا الْبُرْنَسَ ، وَلَا الْخِصْفَ ، إِلَّا أَحَدًا لَا يَجِدُ التَّعْلِينَ ، فَلْيَلْبَسِ الْخُفَيْنِ ، وَلْيَقْطَعْهُمَا أَسْفَلَ مِنَ الْكَعْبَيْنِ ، وَلَا تَلْبَسُوا مِنَ الثِّيَابِ شَيْئًا مَسَّهُ الْوَرْسُ وَالزَّرْعَفَرَانُ . ١٠٥٧

فَأَنْتَ تَرَى أَنَّ الرَّسُولَ ﷺ سَأَلَ عَمَّا يَلْبَسُ الْمُحْرِمُ، فَأَجَابَ بَيِّنًا مَا لَا يَلْبَسُهُ الْمُحْرِمُ، وَتَضَمَّنَ ذَلِكَ الْجَوَابَ عَمَّا يَلْبَسُهُ، فَإِنَّ مَا لَا يَلْبَسُهُ الْمُحْرِمُ مَحْضُورٌ، وَمَا يَلْبَسُهُ غَيْرُ

١٠٥٤ - صحيح البخارى - المكثر - (٦١٧١)

١٠٥٥ - انظر كتابي ((الخلاصة في علوم البلاغة))

١٠٥٦ - صحيح البخارى - المكثر - (١٣٤)

١٠٥٧ - صحيح ابن حبان - (٩ / ٩٤) (٣٧٨٤) صحيح

محصور، فعدّل عما لا ينحصرُ تعدّاهُ إلى ما ينحصر، طلباً للإيجاز، ولو عدّد له ما يلبسُ لطلال به البيان، وربما يصعبُ على السائل ضبطه واستيعابه .

ثم بين له ﷺ زيادةً عما سأل : حُكْمُ لَيْسِ الحُفِّ عندَ عَدَمِ وجودِ التَّعْلِ، فزاده بيانَ حالةِ الاضطرارِ هذه، وهي مما يتصل بالسؤال، فقال : ((فإن لم يجد التَّعْلِينَ، فليلبسُ الحُفِّينَ، وليقطعهُما حتى يكونا تحت الكعبين)).

ومن هذا القبيل أيضاً : ما ورد عن عمرو قال سمعتُ أبا وائلٍ قال حَدَّثَنَا أَبُو مُوسَى الأَشْعَرِيُّ - رضى الله عنه - قال قالَ أعرابيٌّ للنبيِّ - ﷺ - الرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِلْمَعْنَمِ ، وَالرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِيُذَكَّرَ^{١٠٥٨} ، وَيُقَاتِلُ لِيُرَى مَكَانَهُ ، مَنْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَقَالَ « مَنْ قَاتَلَ لَتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ العُلْيَا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ »^{١٠٥٩} .

وعن أبي موسى، أتى رجلٌ النبيَّ ﷺ ، فقال: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا الْقِتَالُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَإِنْ أَحَدُنَا يُقَاتِلُ حَمِيَّةً، وَيُقَاتِلُ غَضَبًا فَهَلْ لَهُ مِنْ أَجْرٍ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : مَنْ قَاتَلَ لَتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ العُلْيَا^{١٠٦٠}، فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ^{١٠٦١}.

(والرجلُ يُقاتِلُ لِيُرَى مَكَانَهُ) أي لِيُرِيَ النَّاسَ أَنَّهُ شَجَاعٌ قَوِي . فمرجع هذا الفعل إلى الرياء ، ومرجع الفعل الذي قبله إلى السُّمعة والشهرة ، وكلاهما مذموم . وفي رواية ((ويُقَاتِلُ غَضَبًا)) أي لأجل حَظِّ نَفْسِهِ . ((ويُقَاتِلُ حَمِيَّةً)) أي لمن يُقاتِلُ لأجله ، من أهلِ أو عشيرةٍ أو صاحبٍ أو جارٍ .

ولما كان كل من هذه المقاصد في القتال تناوله المدح والذم بحسب الباعث الأول ، لم يجبه رسول الله ﷺ بنعم أو لا . قال الحافظ ابن حجر^{١٠٦٢} : ((فإذا كان أصلُ الباعثِ

^{١٠٥٨} - أي يُذَكَّرُ بين الناس بالشجاعة والبطولة .

^{١٠٥٩} - صحيح البخارى - المكثر - (٣١٢٦)

^{١٠٦٠} - و(كلمةُ الله) هي دعوةُ الله إلى الإسلام ، ودينه وشرعته .

^{١٠٦١} - مسند أبي عوانة (٥٩٨٦) صحيح

^{١٠٦٢} - ((فتح الباري)) ٦ : ٢٢

الصِّرفِ على القتال هو إعلاء كلمة الله ، فلا يضرُّه ما عرضَ له بعد ذلك ، والمحذور أن يقصدَ غير الإعلاء قصداً أولياً .

ويدل على أن دخول غير الإعلاء ضمناً ، لا يقدح في الإعلاء إذا كان الإعلاء هو الباعث الأصلي : ما رواه أبو داود^{١٠٦٣} عن ابن زُعب الأَنْصَارِيِّ الْيَإِدِيِّ ، قَالَ : نَزَلَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ حَوَالَةَ الْأَزْدِيُّ صَاحِبُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَأَنْشَأَ يُحَدِّثُنَا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، قَالَ : إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بَعَثَنَا عَلَى أَقْدَامِنَا حَوْلَ الْمَدِينَةِ لِنَعْنَمَ ، فَقَدِمْنَا وَلَمْ نَعْنَمْ شَيْئاً ، فَلَمَّا رَأَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الَّذِي بِنَا مِنَ الْجَهْدِ ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : اللَّهُمَّ لَا تَكْلُهُمْ إِلَيَّ فَأَضْعَفَ عَنْهُمْ ، وَلَا تَكْلُهُمْ إِلَيَّ النَّاسِ فَيَهُوُّنَا عَلَيْهِمْ ، وَلَا تَكْلُهُمْ إِلَيَّ أَنْفُسِهِمْ فَيَعْجِزُوا عَلَيْهَا ، وَلَكِنْ تَوَكَّلْ بِأَرْزَاقِهِمْ - ثُمَّ قَالَ - لِنُفْتَحَنَّ لَكُمْ الشَّامُ ثُمَّ لِيَقَسَمَنَّ كُنُوزُ فَارِسَ وَالرُّومِ وَلِيَكُونَنَّ لِأَحَدِكُمْ مِنَ الْمَالِ كَذَا وَكَذَا ، حَتَّى إِنْ أَحَدِكُمْ لِيُعْطَى مِائَةَ دِينَارٍ فَيَسْخَطَهَا ثُمَّ وَضَعَ يَدَهُ عَلَى رَأْسِي فَقَالَ : يَا ابْنَ حَوَالَةَ إِذَا رَأَيْتَ الْخِلَافَةَ نَزَلَتْ بِأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ فَقَدْ أَتَتِ الزَّلَازِلُ وَالْبَلَايَا وَالْأُمُورُ الْعِظَامُ ، وَالسَّاعَةُ أَقْرَبُ إِلَيَّ النَّاسِ مِنْ يَدِي هَذِهِ إِلَيَّ رَأْسِكَ)) انتهى .

وفي هذا الحديث من الامور التعليمية : جواز سؤال المتعلم عن علة الحكم ، لقوله : (فمن في سبيل الله؟) وتقديمُ تحصيل العلم على الدخول في العمل ، إذ المطلوب من المسلم أن يعلم ثم يعمل ، ليكون عمله على بصيرة وهدى من الشرع الحنيف .

ففي هذا الحديث عدول الرسول ﷺ عن الجواب عن عين ما سأل السائل عنه إلى غيره، إذ كان لا يصلح أن يُجاب عما سأل عنه بنعم أو لا، فقد عدلَ عن جوابه عن ماهية القتال التي يسأل عنها، إلى بيان حال المقاتل، وأفاده أن العبرة بخلوص النية والقصد وفي إجابة الرسول ﷺ بما ذَكَرَ ((من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله)) غايةُ البلاغة والإيجاز .

^{١٠٦٣} - مسند الشاميين ٣٦٠ - (٣ / ١٧٤) (٢٠١٩) وسنن أبي داود - المكثر - (٢٥٣٧) صحيح

وقد عُدَّ هذا الحديثُ من جوامعِ كَلِمَةِ ﷺ، لأنه لو أحاب بأن جميع ما ذكره ليس في سبيل الله، احتمل أن ما عدا ذلك كله في سبيل الله، وليس كذلك، وقد يكون الغضبُ والحمية لله تعالى فيكون ذلك في سبيل الله، فعَدَلَ ﷺ إلى لفظ جامع لمعنى السؤال والزيادة عليه، فأفاد دَفَعَ الالتباسَ وزيادة الإفهام^{١٠٦٤}.

الخلاصة :

- (١) لفت السائل إلى غير ما سأل عنه هو من أسلوب الحكيم في البلاغة .
- (٢) لقد استخدم الرسول ﷺ هذا الأسلوب كثيراً
- (٣) على المعلم أن يعتني بهذا الجانب ، فهو مهم جدا في التعليم .

[٤٤] استعادته ﷺ السؤال من السائل لإيفاء بيان الحكم:

وتارةً كان ﷺ يستعيدُ السائلَ سؤاله وقد أحاط بسؤاله علماً ليزده علماً أو ليستدرك على ما أجابه به، أو ليوضحه له، ومن ذلك :

فَعَنْ أَبِي قَتَادَةَ أَنَّهُ سَمِعَهُ يُحَدِّثُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - أَنَّهُ قَامَ فِيهِمْ فَذَكَرَ لَهُمْ « أَنْ الْجِهَادَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْإِيمَانَ بِاللَّهِ أَفْضَلُ الْأَعْمَالِ ». فَقَامَ رَجُلٌ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَرَأَيْتَ إِنْ قُتِلْتُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ تُكْفَرُ عَنِّي خَطَايَايَ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - « نَعَمْ إِنْ قُتِلْتَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَنْتَ صَابِرٌ مُحْتَسِبٌ مُقْبِلٌ غَيْرٌ مُدْبِرٌ »^{١٠٦٥}. ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - « كَيْفَ قُلْتَ ». قَالَ أَرَأَيْتَ إِنْ قُتِلْتُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَتُكْفَرُ عَنِّي خَطَايَايَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - « نَعَمْ وَأَنْتَ صَابِرٌ مُحْتَسِبٌ مُقْبِلٌ غَيْرٌ مُدْبِرٌ إِلَّا الدَّيْنَ فَإِنَّ جَبْرِيْلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ لِي ذَلِكَ »^{١٠٦٦}.

^{١٠٦٤} - الرسول المعلم ﷺ وأساليبه في التعليم - (١ / ١١٤)

^{١٠٦٥} - المُحْتَسِبُ : هو المخلصُ لله تعالى الذي يُقاتلُ ابتغاءَ وجهه ، لا لعصية ، ولا لغنيمَةٍ ، ولا لصيتٍ أو سُمعةٍ .

^{١٠٦٦} - صحيح مسلم - المكثر - (٤٩٨٨)

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ - وَهُوَ يَخْطُبُ عَلَى الْمِنْبَرِ فَقَالَ أَرَأَيْتَ إِنْ قَاتَلْتُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ صَابِرًا مُحْتَسِبًا مُقْبِلًا غَيْرَ مُدْبِرٍ أَيْكَفَرُ اللَّهُ عَنِّي سَيِّئَاتِي قَالَ « نَعَمْ » . ثُمَّ سَكَتَ سَاعَةً قَالَ « أَيْنَ السَّائِلُ أَنْفًا » . فَقَالَ الرَّجُلُ هَا أَنَا ذَا . قَالَ « مَا قُلْتَ » . قَالَ أَرَأَيْتَ إِنْ قُتِلْتُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ صَابِرًا مُحْتَسِبًا مُقْبِلًا غَيْرَ مُدْبِرٍ أَيْكَفَرُ اللَّهُ عَنِّي سَيِّئَاتِي قَالَ « نَعَمْ إِلَّا الدِّينَ سَأَرَنِي بِهِ جِبْرِيلُ أَنْفًا » ١٠٦٧ .

أي الدِّينُ الذي لا ينوي أداءه ووفاءه . وذكرُ الدِّينِ هنا نموذجٌ لباقي حقوقِ الآدميين ، إذ ليس المدينُ أحقَّ بالوعيدِ والمطالبةِ من الجاني ، أو الغاصب ، أو الخائن ، أو السارق ، ... ، فنبهَ ﷺ بذكرِ الدِّينِ على جميعِ حقوقِ العباد ، وأنها لا يُكفِّرُها الجهادُ والشهادةُ في سبيلِ الله وما دونهما من أعمالِ البرِّ ، وإنما يُكفِّرُ الجهادُ والشهادةُ حقوقَ الله تعالى .

((سأرتي به جبريلُ أنفًا)) . أي الآن ، يعني أن جبريلَ أوصى له بذلك بعد إخباره السائلِ بجوابه الأول ، فلذا استعاد السائلُ وأخبره بالجوابِ ثانياً .

وَعَنْ ابْنِ شِمَاسَةَ الْمَهْرِيِّ قَالَ حَضَرْنَا عَمْرَو بْنَ الْعَاصِ وَهُوَ فِي سِيَاقَةِ الْمَوْتِ . فَبَكَى طَوِيلًا وَحَوَّلَ وَجْهَهُ إِلَى الْجِدَارِ فَجَعَلَ ابْنُهُ يَقُولُ يَا أَبَتَاهُ أَمَا بَشَّرَكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - بِكَذَا أَمَا بَشَّرَكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - بِكَذَا قَالَ فَأَقْبَلَ بِوَجْهِهِ . فَقَالَ إِنَّ أَفْضَلَ مَا نُعِدُّ شَهَادَةً أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِيَّيْ قَدْ كُنْتُ عَلَى أَطْبَاقِ ثَلَاثَ لَقَدَّ رَأَيْتَنِي وَمَا أَحَدٌ أَشَدَّ بُغْضًا لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ - مِنِّي وَلَا أَحَبَّ إِلَيَّ أَنْ أَكُونَ قَدْ اسْتَمَكَنْتُ مِنْهُ فَقَتَلْتُهُ فَلَوْ مِتُّ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ لَكُنْتُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَلَمَّا جَعَلَ اللَّهُ الْإِسْلَامَ فِي قَلْبِي أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ - فَقُلْتُ ابْسُطْ يَمِينَكَ فَلَأُبَايِعَكَ . فَبَسَطَ يَمِينَهُ - قَالَ - فَقَبَضْتُ يَدِي . قَالَ « مَا لَكَ يَا عَمْرُو » . قَالَ قُلْتُ أَرَدْتُ أَنْ أَشْتَرِطَ .

قَالَ « تَشْتَرِطُ بِمَاذَا » . قُلْتُ أَنْ يُعْفَرَ لِي . قَالَ « أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ الْإِسْلَامَ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ وَأَنَّ الْهَجْرَةَ تَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهَا وَأَنَّ الْحَجَّ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ » . وَمَا كَانَ أَحَدٌ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - وَلَا أَجَلَ فِي عَيْنِي مِنْهُ وَمَا كُنْتُ أُطِيقُ أَنْ أَمْلَأَ عَيْنِي مِنْهُ إِجْلَالًا

١٠٦٧ - سنن النسائي - المكثر - (٣١٦٨) صحيح

لَهُ وَلَوْ سُئِلْتُ أَنْ أَصِفَهُ مَا أَطَقْتُ لِأَنِّي لَمْ أَكُنْ أَمْلَأُ عَيْنِي مِنْهُ وَلَوْ مُتُّ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ لَرَجَوْتُ أَنْ أَكُونَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ ثُمَّ وَلِينَا أَشْيَاءَ مَا أَدْرِي مَا حَالِي فِيهَا فَإِذَا أَنَا مُتُّ فَلَا تُصَحِّبُنِي نَائِحَةٌ وَلَا نَارٌ فَإِذَا دَفَنْتُمُونِي فَشَنُّوا عَلَيَّ التُّرَابَ شَنًّا ثُمَّ أَقِيمُوا حَوْلَ قَبْرِي قَدْرَ مَا تُنْحَرُ جَزُورٌ وَيُقَسَّمُ لَحْمُهَا حَتَّى اسْتَأْنَسَ بِكُمْ وَأَنْظُرَ مَاذَا أُرَاجِعُ بِهِ رُسُلَ رَبِّي. "١٠٦٨"

" فِيهِ عِظْمٌ مَوْعِ الْإِسْلَامِ وَالْهَجْرَةِ وَالْحَجِّ ، وَأَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهَا يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ مِنْ الْمَعَاصِي ، وَفِيهِ اسْتِحْبَابُ تَنْبِيهِ الْمُحْتَضِرِ عَلَى إِحْسَانِ ظَنِّهِ بِاللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ، وَذِكْرُ آيَاتِ الرَّجَاءِ وَأَحَادِيثِ الْعَفْوِ عِنْدَهُ ، وَتَبَشِيرِهِ بِمَا أَعَدَّهُ اللَّهُ تَعَالَى لِلْمُسْلِمِينَ وَذِكْرُ حُسْنِ أَعْمَالِهِ عِنْدَهُ لِيَحْسُنَ ظَنُّهُ بِاللَّهِ تَعَالَى وَيَمُوتَ عَلَيْهِ . وَهَذَا الْأَدَبُ مُسْتَحَبٌّ بِالتَّفَاقِ . وَمَوْضِعُ الدَّلَالَةِ لَهُ مِنْ هَذَا الْحَدِيثِ قَوْلُ ابْنِ عَمْرٍو لِأَبِيهِ : أَمَا بَشَّرَكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِكَذَا ؟ وَفِيهِ مَا كَانَتْ الصَّحَابَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ عَلَيْهِ مِنْ تَوْقِيرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَإِجْلَالِهِ .

وَقَوْلُهُ : (ثُمَّ أَقِيمُوا حَوْلَ قَبْرِي قَدْرَ مَا يُنْحَرُ جَزُورٌ وَيُقَسَّمُ لَحْمُهَا حَتَّى اسْتَأْنَسَ بِكُمْ وَأَنْظُرَ مَاذَا أُرَاجِعُ بِهِ رُسُلَ رَبِّي) فِيهِ فَوَائِدٌ مِنْهَا إِبْتِثَاتٌ فَتَنَةُ الْقَبْرِ وَسُؤَالُ الْمَلَائِكَةِ وَهُوَ مَذْهَبُ أَهْلِ الْحَقِّ ، وَمِنْهَا اسْتِحْبَابُ الْمُكْتَبِ عِنْدَ الْقَبْرِ بَعْدَ الدَّفْنِ لِحُظَّةِ نَحْوِ مَا ذَكَرَ لِمَا ذَكَرَ . وَفِيهِ أَنَّ الْمَيِّتَ يَسْمَعُ حِينَئِذٍ مِنْ حَوْلِ الْقَبْرِ ، وَقَدْ يُسْتَدَلُّ بِهِ لِعَجَازِ قِسْمَةِ اللَّحْمِ الْمُشْتَرَكِ وَنَحْوِهِ مِنَ الْأَشْيَاءِ الرُّطْبَةِ كَالْعِنَبِ . وَفِي هَذَا خِلَافٌ لِأَصْحَابِنَا مَعْرُوفٍ . قَالُوا : إِنْ قُلْنَا بِأَحَدِ الْقَوْلَيْنِ أَنَّ الْقِسْمَةَ تَمَيِّزٌ حَقٌّ لَيْسَتْ بِبَيْعٍ حَازٍ ، وَإِنْ قُلْنَا : يَبْعُ فَوْجَهُمَا أَصْحَهُمَا لَا يَجُوزُ لِلْجَهْلِ بِتَمَائُلِهِ فِي حَالِ الْكَمَالِ فَيُؤَدِّي إِلَى الرَّبَا ، وَالثَّانِي يَجُوزُ لِتَسَاوِيهِمَا فِي الْحَالِ ، فَإِذَا قُلْنَا لَا يَجُوزُ فَطَرِيقُهَا أَنْ يُجْعَلَ اللَّحْمُ وَشِبْهَهُ قِسْمَيْنِ ثُمَّ يَبْعُ أَحَدُهُمَا صَاحِبَهُ نَصِيْبَهُ مِنْ أَحَدِ الْقِسْمَيْنِ بِدَرَاهِمٍ مِثْلًا ، ثُمَّ يَبْعُ الْآخَرَ نَصِيْبَهُ مِنَ الْقِسْمِ الْآخَرَ لِصَاحِبِهِ بِذَلِكَ الدَّرَاهِمِ الَّذِي لَهُ عَلَيْهِ فَيَحْصُلُ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا قِسْمٌ بِكَمَالِهِ . وَلَهَا طُرُقٌ غَيْرُ هَذَا لَا حَاجَةَ إِلَى الْإِطَالَةِ بِهَا هُنَا . وَاللَّهُ أَعْلَمُ . "١٠٦٩"

١٠٦٨ - صحيح مسلم - المكثر - (٣٣٦)

السياقة : حال حضور الموت - الأطباق : أحوال واحد

١٠٦٩ - شرح النووي على مسلم - (١ / ٢٣٧)

وَعَنْ أُمِّ حَبِيبَةَ قَالَتْ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلْ لَكَ فِي بِنْتِ أَبِي سُفْيَانَ قَالَ « فَأَفْعَلُ مَاذَا » .
 قُلْتُ تَنْكِحُ . قَالَ « أَتُحِبِّينَ » . قُلْتُ لَسْتُ لَكَ بِمُخْلِيةٍ ، وَأَحَبُّ مَنْ شَرِكَنِي فِيكَ أُخْتِي
 . قَالَ « إِنَّهَا لَا تَحِلُّ لِي » . قُلْتُ بَلَعَنِي أَنَّكَ تَخْطُبُ . قَالَ « ابْنَةُ أُمِّ سَلَمَةَ » . قُلْتُ نَعَمْ
 . قَالَ « لَوْ لَمْ تَكُنْ رَيْبَتِي مَا حَلَّتْ لِي ، أَرْضَعْتَنِي وَأَبَاهَا تُوَيِّئُهُ ، فَلَا تَعْرِضَنَّ عَلَيَّ بِنَاتِكُنَّ
 وَلَا أَخَوَاتِكُنَّ » ١٠٧٠

وَعَنْ أُمِّ حَبِيبَةَ، قَالَتْ: دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَقُلْتُ: هَلْ لَكَ فِي أُخْتِي بِنْتِ أَبِي
 سُفْيَانَ؟، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: فَأَفْعَلُ مَاذَا؟، قُلْتُ: فَتَنْكِحُهَا، قَالَ: أُخْتِكَ؟، قُلْتُ: نَعَمْ،
 قَالَ: أَوْ تُحِبِّينَ ذَلِكَ؟، قُلْتُ: نَعَمْ، لَسْتُ بِمُخْلِيةٍ، وَأَحَبُّ مَنْ شَرِكَنِي فِي خَيْرِ أُخْتِي،
 قَالَ: إِنَّهَا لَا تَحِلُّ لِي، قُلْتُ: وَاللَّهِ لَقَدْ أُبَيِّتُ أَنَّكَ تَخْطُبُ بِنْتَ أَبِي سَلَمَةَ، قَالَ: بِنْتَ أَبِي
 سَلَمَةَ؟، قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: وَاللَّهِ لَوْ لَمْ تَكُنْ رَيْبَتِي فِي حِجْرِي مَا حَلَّتْ لِي، إِنَّهَا بِنْتُ أُخِي
 مِنَ الرِّضَاعَةِ، أَرْضَعْتَنِي وَإِيَّاهَا تُوَيِّئُهُ فَلَا تَعْرِضَنَّ عَلَيَّ بِنَاتِكُنَّ وَأَخَوَاتِكُنَّ.

وفي رواية عن أم حبيبة، قالت: دخل عليَّ رسولُ الله ﷺ، فقُلْتُ: هلْ لَكَ فِي أُخْتِي
 بنتِ أَبِي سُفْيَانَ؟، قَالَ: أفْعَلُ مَاذَا؟، قُلْتُ: تَنْكِحُهَا، قَالَ: أُخْتِكَ؟، قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: أَوْ
 تُحِبِّينَ ذَلِكَ؟، قُلْتُ: نَعَمْ، لَسْتُ لَكَ بِمُخْلِيةٍ وَأَحَبُّ، أَوْ قَالَتْ: وَأَحَقُّ مَنْ شَرِكَنِي فِي
 خَيْرِ أُخْتِي، قَالَ: فَإِنَّهَا لَا تَحِلُّ لِي، قَالَتْ: فَوَاللَّهِ لَقَدْ أُخْبِرْتُ أَنَّكَ تَخْطُبُ دُرَّةَ بِنْتَ أَبِي
 سَلَمَةَ، قَالَ: بِنْتَ أَبِي سَلَمَةَ؟، قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: فَوَاللَّهِ لَوْ لَمْ تَكُنْ رَيْبَتِي فِي حِجْرِي مَا
 حَلَّتْ لِي إِنَّهَا ابْنَةُ أُخِي مِنَ الرِّضَاعَةِ، أَرْضَعْتَنِي وَإِيَّاهَا تُوَيِّئُهُ، فَلَا تَعْرِضَنَّ عَلَيَّ بِنَاتِكُنَّ وَلَا
 أَخَوَاتِكُنَّ. ١٠٧١

اختلف العلماء في معنى الدخول بالأمهات الذي يقع به تحريم نكاح الرئائس، فروى عن
 ابن عباس أنه قال: الدخول الجماع، وهو قول طاوس، ولم يقل بهذا أحد من الفقهاء،
 واتفق الفقهاء أنه إذا لمسها بشهوة حرمت عليه أمها وابنتها، ثم اختلفوا في النظر، فقال

١٠٧٠ - صحيح البخارى - المكثر - (٥١٠٦) وصحيح مسلم - المكثر - (٣٦٥٩)

المخلية: لست بمتفرغة ولا خالية من ضرة

١٠٧١ - المعجم الكبير للطبراني - (١٧ / ٥٩) (١٨٩٣٣ و ١٨٩٣٤) صحيح

مالك: إذا نظر إلى شعرها أو صدرها أو شيء من محاسنها بلذة، حرمت عليه أمها وابتنتها.

وقال الكوفيون: إذا نظر إلى فرجها بشهوة كان بمنزلة اللمس بشهوة. وقال ابن أبي ليلى: لا تحرم بالنظر حتى يلمس، وهو قول الشافعي، وقد روى التحريم بالنظر عن مسروق، والتحريم باللمس عن النخعي، والقاسم، ومجاهد، وأجمع الفقهاء على أن الربيبة تحرم على زوج أمها إذا دخل بالأم، وإن لم تكن الربيبة في حجره.

وشد أهل الظاهر عن جماعة الفقهاء، وقالوا: لا تحرم عليه الربيبة إلا أن تكون في حجره، واحتجوا بقوله تعالى: {وربائبكم اللاتي في حجوركم} [النساء: ٢٣] الآية، قالوا: تحريم الربيبة بشرطين: أحدهما: أن تكون في حجره، والآخر: أن تكون أمها قد دخل بها، فإذا عدم أحد الشرطين، لم يوجد التحريم، قالوا: لأن الزوج إنما جعل محرماً لها من أجل ما يلحق من المشقة في استئثارها عنه، وهذا المعنى لا يوجد إلا إذا كانت في حجره.

واحتجوا بقوله عليه السلام: «لو لم تكن ربيبتى في حجرى»، فشرط الحجر، ورووا عن علي بن أبي طالب إجازة ذلك. وقال ابن المنذر والطحاوي: فأما الحديث عن علي، فلا يثبت؛ لأن راويه إبراهيم، عن عبيد، عن مالك بن أوس، عن علي، وإبراهيم هذا لا يعرف.

وأكثر أهل العلم قد تلقوه بالدفع والخلاف، واحتجوا في دفعه بقوله عليه السلام: «فلا تعرضن على بناتكن ولا أخواتكن»، فدل ذلك على انتفائه. قال أبو عبيد: ويدفعه قوله: «لا تعرضن على بناتكن» فعمهن، ولم يقل: اللاتي في حجرى، ولكنه سوى بينهن في التحريم.

قال المهلب: وإضافته عليه السلام إياهن إلى الحجور، إنما هو على الأغلب مما تكون عليه الربائب لا أنهن لا يجرمن إذا لم يكن كذلك، وقوله تعالى لنبية: {يا أيها النبي إنا أحللنا لك أزواجك اللاتي آتيت أجورهن} [الأحزاب: ٥٠]، وإنما أحلهن له بعقد نكاحهن عليه لا بإتيانه إياهن أجورهن؛ لأنه معقول فيهن أنه لو طلقهن بعد عقدة نكاحهن ولم يؤتهن أجورهن أن الطلاق واقع عليهن، كما قال: {لا جناح عليكم إن طلقتم النساء ما

لم تمسوهن أو تفرضوا لهن فريضة} [البقرة: ٢٣٦]، فأثبت الله نكاحهن، وإن كن لم يؤتحن أجورهن، فعلمنا بذلك أن أزواج النبي - ﷺ - إنما حللن له بعقد النكاح وإتيان الأجر وعقلنا بذلك أن قوله تعالى: {اللاتى آتيت أجورهن} [الأحزاب: ٥٠]، إنما هو على وصف الأغلب مما تكون عليه الزوجات.

وكذلك قوله تعالى: {وربائبكم اللاتى فى حجوركم} [النساء: ٢٣]، إنما هو على التحريم بالسبب الذى كن به ربائب، ووصفهن بالإضافة إلى الحجور؛ لأنه الأغلب مما تكون عليه الربائب مع أزواج أمهاتهن. قال: والقياس يوجب هذا؛ لأنه لا يكون التحريم بشيئين إلا ولكل واحد منهما إذا انفرد حكم، فلذلك جعلنا التحريم فى الربائب بالسبب الذى صرن به ربائب لا بما سواه.

قال ابن القصار: وحجة الجماعة أنه لا تأثير للحجر فى التحريم ولا فى الإباحة، بدليل أن الأخت والعمة والخالة لما حرمن عليه لم يفترق الحكم بين أن يكونوا فى حجره أم لا، ولو كان الحجر شرطاً فى التحريم لوجب إذا ارتفع أن يرتفع التحريم، فلما رأينا التحريم قائماً، وقد زال الحجر بموت أمها أو طلاقها، علمنا أن لا اعتبار بالحجر، ألا ترى أن بنت أم سلمة لم تكن فى حجره، عليه السلام، ولا ربيت فيه قبل نكاحه بأم سلمة.

ويشهد لهذا أنه لو وطئ الأم بملك اليمين لحرمت عليه البنت، سواء كانت فى حجره أم لا، وكل امرأة حرمت عليك فابنتها حرام عليك إلا أربعا بنت العمة، وبنت الخالة، وبنت حليمة الابن، وبنت حليمة الأب. ١٠٧٢

وعن ابن عباس قال: كان عمر بن الخطاب إذا صلى صلاة جلس للناس، فمن كانت له حاجة كلمه، وإن لم يكن لأحد حاجة قام فدخل، قال: فصلى صلوات لا يجلس للناس فيهن. قال ابن عباس: فحضرْتُ البابَ فقلتُ: يا يرفأُ أبا مِيرِ الْمُؤْمِنِينَ شَكَاةٌ؟ فقال: ما بأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ شَكْوَى. فَجَلَسْتُ، فَجَاءَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ فَجَلَسَ، فَخَرَجَ يَرْفَأُ فَقَالَ: قُمْ يَا ابْنَ عَفَّانَ، قُمْ يَا ابْنَ عَبَّاسٍ. فَدَخَلَ عَلَى عُمَرَ فَإِذَا بَيْنَ يَدَيْهِ صَبْرٌ مِنْ مَالِ عَلَى

١٠٧٢ - شرح ابن بطلال - (١٣ / ٢٠٧)

كُلُّ صَبْرَةٍ مِنْهَا كَنْفٌ ، فَقَالَ عُمَرُ : إِنِّي نَظَرْتُ فِي أَهْلِ الْمَدِينَةِ فَوَجَدْتُكُمْ مِّنْ أَكْثَرِ أَهْلِهَا عَشِيرَةً ، فَخُذَا هَذَا الْمَالَ فَاقْسِمَاهُ ، فَمَا كَانَ مِنْ فَضْلٍ فَرُدَّا . فَأَمَّا عُثْمَانُ فَحَثَا ، وَأَمَّا أَنَا فَحَثَوْتُ لِرُكْبَتِي وَقُلْتُ : وَإِنْ كَانَ نُقْصَانًا رَدَدْتِ عَلَيْنَا . فَقَالَ عُمَرُ : شَنْشَنَةٌ مِنْ أَحْسَنَ - يَعْنِي حَجْرًا مِنْ جَبَلٍ - أَمَا كَانَ هَذَا عِنْدَ اللَّهِ إِذْ مُحَمَّدٌ وَأَصْحَابُهُ يَأْكُلُونَ الْقَدَّ . فَقُلْتُ : بَلَى وَاللَّهِ ، لَقَدْ كَانَ هَذَا عِنْدَ اللَّهِ وَمُحَمَّدٌ - ﷺ - حَيٌّ ، وَلَوْ عَلَيْهِ فَتَحَ لَصَنَعَ فِيهِ غَيْرَ الَّذِي تَصْنَعُ قَالَ فَعَضِبَ عُمَرُ وَقَالَ إِذَا صَنَعَ مَاذَا ؟ قُلْتُ : إِذَا لَأَكَلَ وَأَطْعَمَنَا . قَالَ : فَنَشَجَ عُمَرُ حَتَّى اخْتَلَفَتْ أَضْلَاعُهُ ثُمَّ قَالَ وَدِدْتُ أَنَّي خَرَجْتُ مِنْهَا كَفَافًا فَلَا لِي وَلَا عَلَيَّ . ١٠٧٣

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، عَنْ أُمِّ كَلْثُومِ بِنْتِ النَّبِيِّ ﷺ ، أَنَّهَا قَالَتْ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، زَوْجِي خَيْرٌ أَوْ زَوْجُ فَاطِمَةَ ؟ قَالَتْ : فَسَكَتَ النَّبِيُّ ﷺ ، ثُمَّ قَالَ : زَوْجُكَ مِمَّنْ يُحِبُّ اللَّهُ وَرَسُولَهُ ، وَيُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ، فَوَلَّتْ ، فَقَالَ لَهَا : هَلْمِي مَاذَا قُلْتُ ؟ قَالَتْ : قُلْتُ : زَوْجِي مِمَّنْ يُحِبُّ اللَّهُ وَرَسُولَهُ ، وَيُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ، قَالَ : نَعَمْ ، وَأَزِيدُكَ دَخَلْتُ الْجَنَّةَ ، فَرَأَيْتُ مَنْزِلَهُ وَلَمْ أَرِ أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِي يَعْلُوهُ فِي مَنْزِلِهِ ١٠٧٤

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ أَبَا ذَرٍّ الْغِفَارِيَّ ، بَالَ قَائِمًا فَانْتَضَحَ مِنْ بَوْلِهِ عَلَى سَاقِيهِ وَقَدَمَيْهِ فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ : إِنَّهُ أَصَابَ مِنْ بَوْلِكَ قَدَمَيْكَ وَسَاقِيكَ فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيْهِ شَيْئًا حَتَّى انْتَهَى إِلَى دَارِ قَوْمٍ فَاسْتَوْهَبَهُمْ طَهُورًا فَأَخْرَجُوا إِلَيْهِ فَتَوَضَّأَ وَغَسَلَ سَاقِيهِ وَقَدَمَيْهِ ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى الرَّجُلِ فَقَالَ : مَاذَا قُلْتَ ؟ فَقَالَ : أَمَا الْآنَ فَقَدْ فَعَلْتَ ، فَقَالَ أَبُو ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : " هَذَا دَوَاءُ هَذَا ، وَدَوَاءُ الذُّنُوبِ أَنْ تَسْتَغْفِرَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ " ١٠٧٥

١٠٧٣ - مسند الحميدي - المكثر - (٣٣) صحيح

الصيرة : الكومة المجموعة بلا كيل ولا وزن - القد : جلد ولد الشاة ساعة يولد - كنف : وعاء - نشج : النشج صوت معه توجع وبكاء - الشنشة : معناه أنه شبيهه بأبيه العباس في شهامته ورأيه وجرأته على القول

١٠٧٤ - المستدرک للحاکم (٦٨٦٢) ومسند الشاميين (١٤٨) حسن

١٠٧٥ - المُستَدْرَكُ عَلَى الصَّحِيحَيْنِ لِلْحَاكِمِ (٧٧١٥) صحيح

وَعَنْ عُثْمَانَ بْنِ أَبِي الْعَاصِ، قَالَ: قَدِمْتُ فِي وَفْدٍ ثَقِيفٍ حِينَ وَفَدُوا عَلَيَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، فَلَبِسْنَا حُلَّانَا بِيَابِ النَّبِيِّ ﷺ ، فَقَالُوا: مَنْ يُمَسِّكُ لَنَا رِوَاحِنَا، وَكُلُّ الْقَوْمِ أَحَبُّ الدُّخُولِ عَلَيَّ النَّبِيِّ ﷺ وَكَرَهُ التَّخَلُّفَ عَنْهُ، قَالَ عُثْمَانُ: وَكُنْتُ أَصْغَرَ الْقَوْمِ، فَقُلْتُ: إِنْ شِئْتُمْ أَمْسَكْتُ لَكُمْ عَلَيَّ أَنْ عَلَيْكُمْ عَهْدُ اللَّهِ لَتُمْسِكُنَّ لِي إِذَا خَرَجْتُمْ، قَالُوا: فَذَلِكَ لَكَ، فَدَخَلُوا عَلَيْهِ ثُمَّ خَرَجُوا فَقَالُوا: انْطَلِقْ بِنَا، قُلْتُ: أَيْنَ؟ فَقَالُوا: إِلَى أَهْلِكَ، فَقُلْتُ: ضَرَبْتُ مِنْ أَهْلِي حَتَّى إِذَا حَلَلْتُ بِيَابِ النَّبِيِّ ﷺ أَرْجِعُ وَلَا أَدْخُلُ عَلَيْهِ، وَقَدْ أُعْطَيْتُمُونِي مِنَ الْعَهْدِ مَا قَدْ عَلِمْتُمْ؟ قَالُوا: فَأَعْجَلْ فَإِنَّا قَدْ كَفَيْنَاكَ الْمَسْأَلَةَ، لَمْ نَدَعْ شَيْئًا إِلَّا سَأَلْنَاهُ عَنْهُ، فَدَخَلْتُ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ادْعُ اللَّهَ أَنْ يُفَقِّهَنِي فِي الدِّينِ وَيُعَلِّمَنِي، قَالَ: "مَاذَا قُلْتَ؟" فَأَعَدْتُ عَلَيْهِ الْقَوْلَ، فَقَالَ: "لَقَدْ سَأَلْتَنِي شَيْئًا مَا سَأَلَنِي عَنْهُ أَحَدٌ مِنْ أَصْحَابِكَ، أَذْهَبُ فَأَنْتَ أَمِيرٌ عَلَيْهِمْ وَعَلَيَّ مَنْ تَقْدُمُ عَلَيْهِ مِنْ قَوْمِكَ، وَأُمَّ النَّاسِ بِأَضْعَفِهِمْ"، فَخَرَجْتُ حَتَّى قَدِمْتُ عَلَيْهِ مَرَّةً أُخْرَى، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، اشْتَكَيْتُ بَعْدَكَ، فَقَالَ: "ضَعَّ يَدَكَ الْيَمْنَى عَلَيَّ الْمَكَانَ الَّذِي تَشْتَكِي، وَقُلْ: أَعُوذُ بِعِزَّةِ اللَّهِ وَقُدْرَتِهِ مِنْ شَرِّ مَا أَجِدُ سَبْعَ مَرَّاتٍ"، فَفَعَلْتُ، فَشَفَّانِي اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ. "١٠٧٦"

وَعَنْ عَلْقَمَةَ، أَوْ الْأَسْوَدِ، أَنَّ ابْنَ مَسْعُودٍ جَاءَ إِلَيْهِ رَجُلٌ، فَقَالَ: كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَ امْرَأَتِي مَا يَكُونُ بَيْنَ النَّاسِ، فَقَالَتْ: لَوْ أَنَّ الَّذِي بِيَدِكَ مِنْ أَمْرِي بِيَدِي لَعَلِمْتَ كَيْفَ أَصْنَعُ، فَقَالَ: فَإِنَّ الَّذِي بِيَدِي مِنْ أَمْرِكَ بِيَدِكَ، قَالَتْ: فَأَنْتَ طَالِقٌ ثَلَاثًا، قَالَ: "أَرَاهَا وَاحِدَةً وَأَنْتَ أَحَقُّ بِالرَّجْعَةِ"، وَسَأَلَنِي أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرَ، فَلَقِيَهُ فَقَصَّ عَلَيْهِ الْقِصَّةَ، فَقَالَ: "فَعَلَ اللَّهُ بِالرِّجَالِ وَفَعَلَ اللَّهُ بِالرِّجَالِ يَعْمِدُونَ إِلَى مَا جَعَلَهُ اللَّهُ بِأَيْدِيهِمْ فَيَجْعَلُونَهُ بِأَيْدِي النِّسَاءِ، بِفِيهَا الشَّرَابُ، مَاذَا قُلْتَ؟" قَالَ: "قُلْتُ: أَرَاهَا وَاحِدَةً وَهُوَ أَحَقُّ بِهَا"، قَالَ: "وَأَنَا أَرَى ذَلِكَ وَلَوْ رَأَيْتَ غَيْرَ ذَلِكَ رَأَيْتُ أَنَّكَ لَمْ تُصِبْ". "١٠٧٧"

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّ رَجُلًا خَرَجَ وَالْخَمْرُ حَالًا فَأَهْدَى لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ رَاوِيَةَ خَمْرٍ فَأَقْبَلَ بِهَا عَلَيَّ بَعِيرٍ، حَتَّى وَجَدَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ جَالِسًا، فَقَالَ: مَا هَذَا مَعَكَ؟ قَالَ: رَاوِيَةٌ

١٠٧٦ - المعجم الكبير للطبراني - (٧ / ٤٣٣) (٨٢٧٥) حسن

١٠٧٧ - المعجم الكبير للطبراني - (٨ / ٢٧٨) (٩٥٣٣) صحيح

مَنْ حَمَرَ أَهْدَيْتَهَا لَكَ ، قَالَ : هَلْ عَلِمْتَ أَنَّ اللَّهَ حَلٌّ وَعَلَا حَرَّمَهَا ، قَالَ : لَا ، قَالَ : فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ حَرَّمَهَا ، فَالْتَفَتَ الرَّجُلُ إِلَى قَائِدِ الْبَعِيرِ ، فَكَلَّمَهُ بِشَيْءٍ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ فَقَامَ ، فَقَالَ ﷺ : مَاذَا قُلْتَ لَهُ ، قَالَ : أَمَرْتُهُ بِبَيْعِهَا ، قَالَ : إِنَّ الَّذِي حَرَّمَ شُرْبَهَا حَرَّمَ بَيْعَهَا ، قَالَ : فَأَمَرَ بَعْزَالِي الْمَزَادَةَ فَفَتَحَتْ ، فَخَرَجَتْ فِي التُّرَابِ ، فَنَظَرْتُ إِلَيْهَا فِي الْبَطْحَاءِ ، مَا فِيهَا شَيْءٌ .^{١٠٧٨}

فهذه الأحاديث كلها فيها استفسار من النبي ﷺ ومراجعة للسائل لزيادة الإيضاح وبيان الحكم الشرعي الصحيح .

الخلاصة :

- (١) مراجعة السائل حول سؤاله سنة متبعة وقاعدة من قواعد العلم والتربية
- (٢) السنة النبوية حافلة بمثل هذا الأسلوب ، وكذلك عند الصحابة
- (٣) في هذا الأسلوب إزالة للبس أو الغموض أو لزيادة الاستيضاح .
- (٤) وفيها تعويد المسؤول على أن يسمع سؤال طالب العلم ويستوضح منه قبل أن يجيبه على سؤاله .

[٤٥] تفويضه ﷺ للصحابي بالجواب عما سئل عنه ليُدريه :

كان ﷺ يُفَوِّضُ أَحَدَ أَصْحَابِهِ الْجَوَابَ عَنِ السُّؤَالِ الَّذِي رُفِعَ إِلَيْهِ لِيُدْرِيَهُ عَلَى الْإِجَابَةِ فِي أُمُورِ الْعِلْمِ، وَمِنْ ذَلِكَ : مَوْضُوعُ تَعْبِيرِ الرَّؤْيَا لِأَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَمَا مَرَّ سَابِقًا .
ومِنْ بَابِ التَّدْرِيْبِ وَالتَّمْرِيْنِ أَيْضًا أَمْرُهُ ﷺ لِبَعْضِ أَصْحَابِهِ بِأَنْ يَقْضِي بَيْنَ يَدَيْهِ، فِيمَا رُفِعَ إِلَيْهِ مِنَ الْخُصُومَاتِ .

فَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ جَاءَ رَجُلَانِ يَخْتَصِمَانِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - فَقَالَ رَسُولُ

^{١٠٧٨} - صحيح ابن حبان - (١١ / ٣١٩) (٤٩٤٤) صحيح

اللَّهِ - ﷺ - لِعَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ « أَقْضِ بَيْنَهُمَا ». قَالَ وَأَنْتَ هَا هُنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ « نَعَمْ ». قَالَ عَلَيَّ مَا أَقْضَى قَالَ « إِنْ اجْتَهَدْتَ فَأَصَبْتَ فَلَكَ عَشْرَةٌ أُجُورٍ وَإِنْ اجْتَهَدْتَ فَأَخْطَأْتَ فَلَكَ أَجْرٌ وَاحِدٌ ». ١٠٧٩

وَعَنْ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ ، قَالَ : جَاءَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ خَصْمَانِ يَخْتَصِمَانِ ، فَقَالَ لِعَمْرٍو : أَقْضِ بَيْنَهُمَا يَا عَمْرُو ، فَقَالَ : أَنْتَ أَوْلَى بِذَلِكَ مِنِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قَالَ : وَإِنْ كَانَ قَالَ : فَإِذَا قَضَيْتُ بَيْنَهُمَا فَمَا لِي ؟ قَالَ : إِنْ أَنْتَ قَضَيْتَ بَيْنَهُمَا فَأَصَبْتَ الْقَضَاءَ ، فَلَكَ عَشْرُ حَسَنَاتٍ ، وَإِنْ أَنْتَ اجْتَهَدْتَ وَأَخْطَأْتَ ، فَلَكَ حَسَنَةٌ. ١٠٨٠

وَعَنِ الْقَاسِمِ بْنِ الْبُرْحِيِّ ، قَالَ : سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ يُحَدِّثُ أَنَّ خَصْمَيْنِ اجْتَصَمَا إِلَى عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ فَقَضَى بَيْنَهُمَا ، فَسَخَطَ الْمَقْضِي عَلَيْهِ فَأَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " إِذَا قَضَى الْقَاضِي فَاجْتَهَدَ فَأَصَابَ فَإِنَّ لَهُ عَشْرَةَ أُجُورٍ ، وَإِذَا اجْتَهَدَ فَأَخْطَأَ كَانَ لَهُ أَجْرَانِ " ١٠٨١

وَعَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ ، قَالَ : جَاءَ خَصْمَانِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَخْتَصِمَانِ فَقَالَ لِي : " قُمْ يَا عُقْبَةُ أَقْضِ بَيْنَهُمَا " ، قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنْتَ أَوْلَى بِذَلِكَ مِنِّي ، قَالَ : " وَإِنْ كَانَ أَقْضَى بَيْنَهُمَا فَإِنْ اجْتَهَدْتَ فَأَصَبْتَ فَلَكَ عَشْرَةُ أُجُورٍ وَإِنْ اجْتَهَدْتَ فَأَخْطَأْتَ فَلَكَ أَجْرٌ وَاحِدٌ " . ١٠٨٢

وَعَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ الْجُهَنِيِّ قَالَ : جِئْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَعِنْدَهُ خَصْمَانِ يَخْتَصِمَانِ ، فَقَالَ : " أَقْضِ بَيْنَهُمَا " ، فَقُلْتُ : بِأَبِي وَأُمِّي أَنْتَ أَوْلَى بِذَلِكَ . فَقَالَ : " أَقْضِ بَيْنَهُمَا "

١٠٧٩ - سنن الدارقطني - المكثر - (٤٥١٠) حسن

١٠٨٠ - مسند أحمد (عالم الكتب) - (٦ / ١١٥) (١٧٨٢٤) ١٧٩٧٨ - وَالْمُسْتَدْرَكُ عَلَى الصَّحِيحَيْنِ لِلْحَاكِمِ

(٧١٠٤) حسن

وفي متن هذا الحديث غرابة في ذكر (عشرة أجور) ، فإن الحديث هو حديث عمرو بن العاص ، والحديث الصحيح عنه : (إذا اجتهد فأصاب فله أجران ، وإذا اجتهد فأخطأ فله أجر) فهذا هو المحفوظ . ولكن كرم واسع ، فلا يمنع من

حسنها

١٠٨١ - الْمُعْجَمُ الْأَوْسَطُ لِلطَّبْرَانِيِّ (١١٠٤٢) حسن

١٠٨٢ - سنن الدارقطني - المكثر - (٤٥١٢) (٢٧٠) حسن

، فَقُلْتُ : عَلَى مَاذَا ؟ فَقَالَ : " اجْتَهِدْ ، فَإِنْ أَصَبْتَ ، فَلَكَ عَشْرُ حَسَنَاتٍ ، وَإِذَا أَخْطَأْتَ ، فَلَكَ حَسَنَةٌ " ١٠٨٣

وَعَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَتَاهُ خَصْمَانِ ، فَقَالَ : " اقْضِ بَيْنَهُمَا يَا عُقْبَةُ " . قُلْتُ : أَقْضِي وَأَنْتَ شَاهِدٌ فَقَالَ : " اقْضِي بَيْنَهُمَا " . قُلْتُ : عَلَى مَاذَا ؟ قَالَ : " إِنْ اجْتَهِدْتَ فَأَصَبْتَ فَلَكَ حَسَنَتَانِ ، وَإِنْ أَخْطَأْتَ فَلَكَ حَسَنَةٌ وَاحِدَةٌ " ١٠٨٤

وَعَنْ جَارِيَةَ بْنِ ظَفَرٍ : أَنَّ دَارًا كَانَتْ بَيْنَ أُخْوَيْنِ فَحَظَرَا فِي وَسْطِهَا حِظَارًا ثُمَّ هَلَكَا وَتَرَكَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا عَقْبًا فَادَّعَى عَقْبُ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا أَنَّ الْحِظَارَ لَهُ مِنْ دُونِ صَاحِبِهِ فَاخْتَصَمَ عَقْبَاهُمَا إِلَى النَّبِيِّ ﷺ - فَأَرْسَلَ حُدَيْفَةَ بْنَ الْيَمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَقَضَى بَيْنَهُمَا فَقَضَى بِالْحِظَارِ لِمَنْ وَجَدَ مَعَاقِدَ الْقُمُطِ تَلِيهِ ثُمَّ رَجَعَ فَأَخْبَرَ النَّبِيَّ ﷺ - فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ - : « أَصَبْتَ » ١٠٨٥ .

الحِظَارُ : مَا يُحْظَرُ بِهِ مِنَ السَّعْفِ وَالْقَصَبِ ، وَهُوَ حَائِطُ الْحِظِيرَةِ .

وَالْقُمُطُ جَمْعُ قِمَاطٍ ، وَهُوَ فِي الْأَصْلِ : حِرْقَةٌ عَرِيضَةٌ يُشَدُّ بِهَا الصَّغِيرُ ، ثُمَّ أُطْلِقَ عَلَى الْحَبْلِ قَالَ الْقِيَوْمِيُّ فِي ((المصباح المنير)) وَهُوَ يَشْرَحُ هَذِهِ الْجُمْلَةَ : ((القُمُطُ : الشُّرْطُ جَمْعُ شَرِيْطٍ ، وَهُوَ مَا يُعْمَلُ مِنْ لَيْفٍ وَخَوْصٍ . وَقِيلَ : الْقُمُطُ : الخُشْبُ الَّذِي تَكُونُ عَلَى ظَاهِرِ الخُصِّ أَوْ بَاطِنِهِ ، يُشَدُّ إِلَيْهَا حِرَادِي أَيْ الخُرْمُ الَّذِي يَجُزِمُ بِهَا الْقَصَبَ أَوْ رُؤُوسَهُ)) .

وَعَنْ الشَّعْبِيِّ قَالَ : أَتَتْ امْرَأَةٌ عُمَرَ فَقَالَتْ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، زَوْجِي خَيْرُ النَّاسِ يَصُومُ النَّهَارَ ، وَيَقُومُ اللَّيْلَ ، وَاللَّهِ إِنِّي لَأَكْرَهُ أَنْ أَشْكُوهُ ، وَهُوَ يَعْمَلُ بِطَاعَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَالسَّلَامَ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةَ اللَّهِ . فَقَالَ كَعْبُ بْنُ سُوْرٍ مَا رَأَيْتُ كَالْيَوْمِ شَكْوَى أَشَدَّ وَلَا عَدْوَى أَجْمَلَ . فَقَالَ عُمَرُ : " مَا تَقُولُ ؟ " قَالَ : تَزْعُمُ أَنَّهُ لَيْسَ لَهَا مِنْ زَوْجِهَا نَصِيبٌ . قَالَ : " فَإِذَا فَهِمْتَ ذَلِكَ فَاقْضِ بَيْنَهُمَا " قَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَحَلَّ اللَّهُ مِنَ النِّسَاءِ مِثْنِي

١٠٨٣ - الْمُعْجَمُ الْأَوْسَطُ لِلطَّبْرَانِيِّ (١٦٤٣) حَسَن

١٠٨٤ - الْمُعْجَمُ الْأَوْسَطُ لِلطَّبْرَانِيِّ (٨١١٤) حَسَن

١٠٨٥ - السَّنَنِ الْكَبِيرَى لِلْبَيْهَقِيِّ - حَيْدَرِآبَاد - (٦ / ٦٧) (١١٧٠٣) وَسَنَنِ الدَّارِقُطْنِيِّ - الْمَكْتَبُ - (٤٦٠٠ و ٤٦٠١)

ضَعِيفٌ

وثلثَ ورباعَ فلها من كل أربعة أيامٍ يومٌ يفطرُ ، ويُقيمُ عندها ، ومن كل أربع ليالٍ ليلةٌ يبيتُ عندها^{١٠٨٦}

وعن قتادة قال : جاءت امرأة إلى عمر ، فقالت : زوجي يقوم الليل ، ويصوم النهار . قال : " أفتأمريني أن أمتعه قيام الليل وصيام النهار ؟ " فأنطقت ، ثم عاودته بعد ذلك ، فقالت له : مثل ذلك ورد عليهما مثل قوله الأول ، فقال له كعب بن سور يا أمير المؤمنين : إن لها حقًا . قال : " وما حقها ؟ " قال : أحل الله له أربعًا فاجعل لها واحدة من الأربع لها في كل أربع ليالٍ ليلةٌ ، وفي أربعة أيامٍ يومًا قال : فدعا عمر زوجته ، وأمره أن يبيت معها من كل أربع ليالٍ ليلةً ، ويفطر من كل أربعة أيامٍ يومًا^{١٠٨٧}

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : أتى النبي ﷺ - كتاب رجلٍ فقال لعبد الله بن الأرقم أحب عني فكتب جوابه ثم قرأه عليه فقال : « أصبت وأحسن اللهم وفقه » . فلما ولي عمر رضي الله عنه كان يشاوره^{١٠٨٨}.

وعن عامر قال : جاءت امرأة إلى عليٍّ تُخاصمُ زوجها طلقها فقالت : قد حضت في شهر ثلاث حيض . فقال عليٌّ لشريح : افض بينهما . قال : يا أمير المؤمنين وأنت ها هنا؟ قال : افض بينهما . قال : يا أمير المؤمنين وأنت ها هنا؟ قال : افض بينهما . قال : إن جاءت من بطانة أهلها ممن يرضى دينه وأمانته تزعم أنها حاضت ثلاث حيض تطهر عند كل قرء وتصلي جاز لها ، وإلا فلا . فقال عليٌّ : قالون . وقالون بلسان الروم أحسن^{١٠٨٩}.

وعن زاذان ، قال : استودع رجلان امرأةً ودیعةً وقالوا لها : لا تدفعيها إلى واحد منا حتى نجتَمع عندك ، ثم انطلقا فعابا ، فجاء أحدهما إليها فقال : أعطيني ودیعتي فإن صاحبني قد مات ، فأبت حتى كثر اختلافُهُ إليها ، ثم أعطته ، ثم جاء الآخر بعد فقال :

١٠٨٦ - مُصَنَّفُ عَبْدِ الرَّزَّاقِ الصَّنْعَانِيِّ (١٢١٨٠ و ١٢١٨١) صحيح لغيره

١٠٨٧ - مُصَنَّفُ عَبْدِ الرَّزَّاقِ الصَّنْعَانِيِّ (١٢١٨٢) صحيح لغيره

١٠٨٨ - السنن الكبرى للبيهقي - حيدر آباد - (١٠ / ١٢٦) (٢٠٩٠٤) حسن

١٠٨٩ - سنن الدارمي - المكثر - (٨٨٧) صحيح - القرء : الحيض

هَاتِي وَدِيعَتِي ، فَقَالَتْ : قَدْ جَاءَ صَاحِبُكَ فَذَكَرَ أَنَّكَ قَدْ مِتَّ ، فَأَخَذَ وَدِيعَتَكَ مِنِّي ، فَارْتَفَعَا إِلَى عُمَرَ ، فَلَمَّا قَصَا عَلَيْهِ الْقِصَّةَ ، قَالَ لَهَا عُمَرُ : مَا أَرَاكَ إِلَّا قَدْ ضَمِنْتَ ، قَالَتِ الْمَرْأَةُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، اجْعَلْ عَلِيًّا بَيْنِي وَبَيْنَهُ ، قَالَ لِعَلِيٍّ : اقْضِ بَيْنَهُمَا يَا عَلِيُّ ، قَالَ عَلِيُّ : هَذِهِ الْوَدِيعَةُ عِنْدِي ، وَقَدْ أَمَرْتُمَاهَا أَلَّا تَدْفَعِ إِلَى وَاحِدٍ مِنْكُمَا حَتَّى تَجْتَمِعَا عِنْدَهَا ، فَأْتِنِي بِصَاحِبِكَ ، فَلَمْ يُضْمِنَهَا ، قَالَ : فَرَأَوْا أَنَّهُمَا إِنَّمَا أَرَادَا أَنْ يَذْهَبَا بِمَالِ الْمَرْأَةِ. " ١٠٩٠

عَنْ أَنَسٍ مِنْ أَهْلِ حِمَصَ مِنْ أَصْحَابِ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَمَّا أَرَادَ أَنْ يَبْعَثَ مُعَاذًا إِلَى الْيَمَنِ قَالَ كَيْفَ تَقْضِي إِذَا عَرَضَ لَكَ قَضَاءٌ قَالَ أَقْضِي بِكِتَابِ اللَّهِ قَالَ فَإِنْ لَمْ تَجِدْ فِي كِتَابِ اللَّهِ قَالَ فَيَسْتَنْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ فَإِنْ لَمْ تَجِدْ فِي سُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَلَا فِي كِتَابِ اللَّهِ قَالَ أَجْتَهُدُ رَأْيِي وَلَا أَلُو فَضْرَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ صَدْرَهُ وَقَالَ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَفَّقَ رَسُولَ رَسُولِ اللَّهِ لِمَا يُرْضِي رَسُولَ اللَّهِ "

وفي رواية عَنْ نَاسٍ مِنْ أَصْحَابِ مُعَاذٍ مِنْ أَهْلِ حِمَصَ عَنْ مُعَاذِ بْنِ النَّبِيِّ - ﷺ - قَالَ لِمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ حِينَ بَعَثَهُ إِلَى الْيَمَنِ فَذَكَرَ « كَيْفَ تَقْضِي إِذَا عَرَضَ لَكَ قَضَاءٌ ». قَالَ أَقْضِي بِكِتَابِ اللَّهِ. قَالَ « فَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِي كِتَابِ اللَّهِ ». قَالَ فَسُنَّةُ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - . قَالَ « فَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِي سُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ». قَالَ أَجْتَهُدُ رَأْيِي وَلَا أَلُو . قَالَ فَضْرَبَ صَدْرِي. فَقَالَ « الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَفَّقَ رَسُولَ رَسُولِ اللَّهِ لِمَا يُرْضِي رَسُولَهُ. " ١٠٩١

وحسنه العلامة ابن باز رحمه الله ١٠٩٢

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله عقب روايته له واحتجاجه به : "وَهَذَا الْحَدِيثُ فِي الْمَسَانِدِ وَالسُّنَنِ بِإِسْنَادٍ جَيِّدٍ " ١٠٩٣

١٠٩٠ - مصنف ابن أبي شيبة - (١١ / ٦٨٨) (٢٣٧٣٤) حسن

١٠٩١ - أخرجه أبو داود (٣٥٩٢) والترمذي (١٣٢٧) وأحمد في المسند ٢٣٠/٥ و٢٣٦ و٢٤٢ (١٢٥٠٢) والدارمي (١٦٨) والبيهقي (٢٠٨٣٦) وابن كثير في تفسيره ٤/١ وجود إسناده و ابن أبي شيبة في المصنف (٢٢٩٨٨ و ٢٩١٠٠) والطبائسي (٥٥٩) والطبراني في الكبير ١٧٠/٢٠ (٣٦٢) والعلل المتناهية (١٢٦٤) والفقهاء والمتنفة (٤٠٧ و ٥٠٦ و ٥٠٧ و ٥٠٨ و ٥٠٩) فالحديث حسن

١٠٩٢ - مجموع فتاوى و مقالات ابن باز - (ج ٦ / ص ٢١٧) ومجموع فتاوى ابن باز - (ج ٦ / ص ٣٧٣) ومجموع فتاوى ابن باز - (ج ٦ / ص ١٩٥)

١٠٩٣ - مجموع الفتاوى - (ج ١٣ / ص ٣٦٤)

ففي هذه الأمثلة العديدة نلاحظ أن النبي ﷺ كان يدرّب أصحابه على القضاء والفتيا وغير ذلك ، والتزم أصحابه بهذا أيضاً .

الخلاصة :

- (١) على المعلم أن يدرّب طلابه على الإجابة عن أسئلة المستفتين .
- (٢) وعليه أن يصبّ أخطاءهم ، وأن يثني عليهم إن أصابوا .
- (٣) لا بد من مراعاة الفروق الفردية في هذا الجانب ، فمن كان أهلاً للفتيا والقضاء درّب على هذا الأمر .

[٤٦] تعليمه ﷺ بالسكوت والإقرار على ما حدّث أمامه :

هذا أحد أقسام السنّة، ويُعبّر عنه الأصوليون والمحدّثون بالتقرير، فما حدّث أمام النبي ﷺ من مُسلمٍ قولاً أو فعلاً، وأقرّه عليه النبي ﷺ بالسكوت عليه أو إظهار الرضا به فهو بيان منه ﷺ لإباحة ذلك القول أو الفعل، وكثير من الأمور العلمية أُخذ من النبي ﷺ بهذا الطريق.

فَعَنْ عَوْنِ بْنِ أَبِي جُحَيْفَةَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ أَخَى النَّبِيِّ - ﷺ - بَيْنَ سَلْمَانَ، وَأَبِي الدَّرْدَاءِ^{١٠٩٤}، فَزَارَ سَلْمَانَ أَبَا الدَّرْدَاءِ، فَرَأَى أُمَّ الدَّرْدَاءِ مُتَبَدِّلَةً^{١٠٩٥}. فَقَالَ لَهَا مَا شَأْنُكَ قَالَتْ أَخُوكَ أَبُو الدَّرْدَاءِ لَيْسَ لَهُ حَاجَةٌ فِي الدُّنْيَا^{١٠٩٦}. فَجَاءَ أَبُو الدَّرْدَاءِ، فَصَنَعَ لَهُ طَعَامًا .

^{١٠٩٤} قال الحافظ ابن حجر في ((فتح الباري)) ٤ : ١٨٢ (ذكر أصحاب المغازي أن المواخاة بين الصحابة وقعت مرتين ، الأولى قبل الهجرة بين المهاجرين خاصة ، على المؤاساة والمناصرة ، فكان من ذلك أخوة زيد بن حارثة وحمة بن عبد المطلب .

ثم أخى النبي ﷺ بين المهاجرين والأنصار ، بعد أن هاجر ، وذلك بعد قدومه المدينة ، وفي حديث عبد الرحمن بن عوف : لما قدمنا المدينة أخى النبي ﷺ بيني وبين سعد بن الربيع)) .

^{١٠٩٥} أي لابسة الثياب الخلق البالية ، وتاركة لئس الثياب المعتادة المستحسنة .

^{١٠٩٦} تعني أنه عزوف عن النساء ، منصرف إلى العبادة كل الانصراف .

فَقَالَ كُلُّ . قَالَ فَإِنِّي صَائِمٌ . قَالَ مَا أَنَا بِأَكِلٍ حَتَّى تَأْكُلَ . قَالَ فَأَكُلُ . فَلَمَّا كَانَ اللَّيْلُ
 ذَهَبَ أَبُو الدَّرْدَاءِ يَتَقَوْمٌ . قَالَ نَمْ . فَنَامَ، ثُمَّ ذَهَبَ يَتَقَوْمٌ . فَقَالَ نَمْ . فَلَمَّا كَانَ مِنْ آخِرِ
 اللَّيْلِ قَالَ سَلْمَانُ قُمْ الْآنَ . فَصَلَّيَا، فَقَالَ لَهُ سَلْمَانُ إِنَّ لِرَبِّكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلِنَفْسِكَ عَلَيْكَ
 حَقًّا، وَلَا أَهْلِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، فَأَعْطِ كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ . فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ - فَذَكَرَ ذَلِكَ
 لَهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ - « صَدَقَ سَلْمَانُ » ١٠٩٧ .

وَعَنْ عَوْنِ بْنِ أَبِي جُحَيْفَةَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ قَالَ أَخِي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ - بَيْنَ سَلْمَانَ وَبَيْنَ أَبِي
 الدَّرْدَاءِ فَزَارَ سَلْمَانُ أَبَا الدَّرْدَاءِ فَرَأَى أُمَّ الدَّرْدَاءِ مُتَبَدِّلَةً فَقَالَ مَا شَأْنُكَ مُتَبَدِّلَةً قَالَتْ إِنَّ
 أَخَاكَ أَبَا الدَّرْدَاءِ لَيْسَ لَهُ حَاجَةٌ فِي الدُّنْيَا . قَالَ فَلَمَّا جَاءَ أَبُو الدَّرْدَاءِ قَرَّبَ إِلَيْهِ طَعَامًا فَقَالَ
 كُلْ فَإِنِّي صَائِمٌ . قَالَ مَا أَنَا بِأَكِلٍ حَتَّى تَأْكُلَ . قَالَ فَأَكُلُ فَلَمَّا كَانَ اللَّيْلُ ذَهَبَ أَبُو الدَّرْدَاءِ
 لِيَتَقَوْمَ فَقَالَ لَهُ سَلْمَانُ نَمْ . فَنَامَ، ثُمَّ ذَهَبَ يَتَقَوْمَ فَقَالَ لَهُ نَمْ . فَنَامَ فَلَمَّا كَانَ عِنْدَ الصُّبْحِ قَالَ
 لَهُ سَلْمَانُ قُمْ الْآنَ فَقَامَا فَصَلَّيَا فَقَالَ إِنَّ لِنَفْسِكَ عَلَيْكَ حَقًّا وَلِرَبِّكَ عَلَيْكَ حَقًّا وَلِضَيْفِكَ
 عَلَيْكَ حَقًّا وَإِنَّ لِأَهْلِكَ عَلَيْكَ حَقًّا فَأَعْطِ كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ . فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ - فَذَكَرَ
 ذَلِكَ فَقَالَ لَهُ « صَدَقَ سَلْمَانُ » ١٠٩٨ .

وَعَنْ عَوْنِ بْنِ أَبِي جُحَيْفَةَ ، عَنْ أَبِيهِ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَخَى بَيْنَ سَلْمَانَ وَبَيْنَ أَبِي
 الدَّرْدَاءِ ، قَالَ : فَجَاءَ سَلْمَانُ يَزُورُ أَبَا الدَّرْدَاءِ فَإِذَا أُمُّ الدَّرْدَاءِ مُتَبَدِّلَةً ، قَالَ : مَا شَأْنُكَ ؟ ،
 قَالَتْ : إِنَّ أَخَاكَ يَتَقَوْمُ اللَّيْلَ وَيَصُومُ النَّهَارَ وَلَيْسَ لَهُ حَاجَةٌ فِي نِسَاءِ الدُّنْيَا ، فَجَاءَ أَبُو
 الدَّرْدَاءِ فَرَحَّبَ بِهِ سَلْمَانُ وَقَرَّبَ إِلَيْهِ طَعَامًا ، فَقَالَ لَهُ سَلْمَانُ : أَطْعَمَ ، فَقَالَ : إِنِّي صَائِمٌ
 ، فَقَالَ : أَقْسَمْتُ عَلَيْكَ لَتُفْطِرْتَهُ ، قَالَ : مَا أَنَا بِأَكِلٍ حَتَّى تَأْكُلَ فَأَكُلَ مَعَهُ ثُمَّ بَاتَ عِنْدَهُ
 حَتَّى إِذَا كَانَ اللَّيْلُ أَرَادَ أَبُو الدَّرْدَاءِ أَنْ يَتَقَوْمَ فَمَنَعَهُ سَلْمَانُ وَقَالَ لَهُ : إِنَّ لِعَسَدِكَ عَلَيْكَ
 حَقًّا ، وَلِرَبِّكَ عَلَيْكَ حَقًّا ، وَلِأَهْلِكَ عَلَيْكَ حَقًّا ، صُمْ وَأَفْطِرْ ، وَصَلِّ وَنَمْ ، وَأَنْتَ أَهْلِكَ
 وَأَعْطِ كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ ، فَلَمَّا كَانَ فِي وَجْهِ الصُّبْحِ ، قَالَ : قُمْ الْآنَ إِنَّ شِئْتَ فَقَامَا
 فَتَوَضَّيَا ثُمَّ رَكَعَا ثُمَّ خَرَجَا إِلَى الصَّلَاةِ ، فَذَنَا أَبُو الدَّرْدَاءِ لِيُخْبِرَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بِالَّذِي أَمَرَهُ

١٠٩٧ - صحيح البخارى - المكثر - (١٩٦٨) - المتبذلة : التاركة للزينة والهيئة الحسنة

١٠٩٨ - سنن الترمذى - المكثر - (٢٥٩٦) قال أبو عيسى هذا حديث صحيح .

سَلْمَانُ ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " يَا أَبَا الدَّرْدَاءِ إِنَّ لِحَسَدِكَ عَلَيْكَ حَقًّا " مِثْلَ مَا قَالَ سَلْمَانُ ١٠٩٩

وَعَنْ أَبِي صَالِحٍ ، قَالَ : نَزَلَ سَلْمَانُ عَلَى أَبِي الدَّرْدَاءِ ، وَكَانَ أَبُو الدَّرْدَاءِ إِذَا أَرَادَ أَنْ يُصَلِّيَ مَنَعَهُ سَلْمَانُ ، وَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَصُومَ مَنَعَهُ ، فَقَالَ : أَتَمْنَعُنِي أَنْ أَصُومَ لِرَبِّي وَأُصَلِّيَ لِرَبِّي ؟ فَقَالَ : إِنَّ لِعَيْنِكَ عَلَيْكَ حَقًّا ، وَإِنَّ لَأَهْلِكَ عَلَيْكَ حَقًّا ، فَصُمْ ، وَأَفْطِرْ ، وَصَلِّ ، وَتَمِّمْ ، فَبَلَغَ ذَلِكَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، فَقَالَ : " لَقَدْ أَشْبِعَ سَلْمَانُ عِلْمًا " ١١٠٠

(صدق سلمان) أي في جميع ما ذكره . وفي إقرار النبي ﷺ لسلمان منقبة عظيمة ظاهرة له رضي الله عنه .

" وفي هذا الحديث من الفوائد مشروعية المؤاخاة في الله، وزيارة الإخوان والمبيت عندهم، وجواز مخاطبة الأجنبية، والسؤال عما يترتب عليه المصلحة وإن كان في الظاهر لا يتعلق بالسائل، وفيه النصح للمسلم وتنبيهه من أغفل، وفيه فضل قيام آخر الليل، وفيه مشروعية تزين المرأة لزوجها، وثبوت حق المرأة على الزوج في حسن العشرة، وقد يؤخذ منه ثبوت حقها في الوطء لقوله: "ولأهلك عليك حقًا" ثم قال: "وأت أهلك" وقرره النبي ﷺ على ذلك. وفيه جواز النهي عن المستحبات إذا خشي أن ذلك يفضي إلى السامة والملل وتفويت الحقوق المطلوبة الواجبة أو المندوبة الراجح فعلها على فعل المستحب المذكور، وإنما الوعيد الوارد على من نهي مصليا عن الصلاة مخصوص بمن ناه ظلما وعدوانا. وفيه كراهية الحمل على النفس في العبادة، وسيأتي مزيد بيان لذلك في الكلام على حديث عبد الله بن عمرو ابن العاص. وفيه جواز الفطر من صوم التطوع كما ترجم له المصنف، وهو قول الجمهور ولم يجعلوا عليه قضاء إلا أنه يستحب له ذلك " ١١٠١

١٠٩٩ - سنن الدارقطني - المكثر - (٢٢٥٨) صحيح

١١٠٠ - الطَّبَقَاتُ الْكُبْرَى لِأَبْنِ سَعْدٍ (٤٥٥٥) حسن لغيره

١١٠١ - فتح الباري لابن حجر - (٤ / ٢١١)

وَعَنْ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ أَنَّهُ قَالَ : لَمَّا بَعَثَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَامَ ذَاتِ السَّلَاسِلِ ١١٢ ، قَالَ : فَاحْتَلَمْتُ فِي لَيْلَةٍ بَارِدَةٍ شَدِيدَةِ الْبَرْدِ ، فَأَشْفَقْتُ إِنْ اغْتَسَلْتُ أَنْ أَهْلِكَ ، فَتَيَمَّمْتُ ثُمَّ صَلَّيْتُ بِأَصْحَابِي صَلَاةَ الصُّبْحِ ، قَالَ : فَلَمَّا قَدِمْنَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ذَكَرْتُ ذَلِكَ لَهُ ، فَقَالَ : يَا عَمْرُو ، صَلَّيْتَ بِأَصْحَابِكَ وَأَنْتَ جُنُبٌ ؟ قَالَ : قُلْتُ : نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنِّي احْتَلَمْتُ فِي لَيْلَةٍ بَارِدَةٍ شَدِيدَةِ الْبَرْدِ ، فَأَشْفَقْتُ إِنْ اغْتَسَلْتُ أَنْ أَهْلِكَ ، وَذَكَرْتُ قَوْلَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ { وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا } فَتَيَمَّمْتُ ، ثُمَّ صَلَّيْتُ . فَضَحِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَلَمْ يَقُلْ شَيْئًا . ١١٣

في تبسّمه ﷺ دليل على جواز التيمم عند شدة البرد ، لأن تبسّمه يُعدُّ إقراراً منه ﷺ ، وهو لا يُقرُّ على باطلٍ ، والتبسّم والاستبشارُ منه ﷺ أقوى دلالةً على الجواز من السكوت .

وَعَنْ أَبِي سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ ، قَالَ : بَعَثَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي سَرِيَّةٍ ، فَمَرَرْنَا عَلَى أَهْلِ أُبَيَاتٍ ، فَاسْتَضَفْنَاهُمْ ، فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُونَا ، فَزَلُّوا بِالْعَرَاءِ ، فَلَدَغَ سَيِّدُهُمْ ، فَأَتُونَا فَقَالُوا : هَلْ فِيكُمْ أَحَدٌ يَرْقِي ؟ قَالَ : قُلْتُ : نَعَمْ ، أَنَا أَرْقِي ، قَالُوا : ارْقِ صَاحِبَنَا ، قُلْتُ : لَا ، قَدْ اسْتَضَفْنَاكُمْ فَأَبَيْتُمْ أَنْ تُضَيِّفُونَا ، قَالُوا : فَإِنَّا نَجْعَلُ لَكُمْ جُعْلًا ، قَالَ : فَجَعَلُوا لِي ثَلَاثِينَ شَاةً ، قَالَ : فَأَتَيْتُهُ ، فَجَعَلْتُ أَمْسَحُهُ ، وَأَقْرَأُ بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ حَتَّى بَرَأَ ، فَأَخَذْنَا الشَّاءَ ، فَقُلْنَا : نَأْخُذُهَا وَنَحْنُ لَا نُحْسِنُ نَرْقِي ؟ فَمَا نَحْنُ بِالَّذِي نَأْكُلُهَا حَتَّى نَسْأَلَ عَنْهَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، فَأَتَيْنَاهُ ، فَذَكَرْنَا ذَلِكَ لَهُ ، قَالَ : فَجَعَلَ يَقُولُ : وَمَا يُدْرِيكَ أَنَّهَا رُقِيَّةٌ ؟ قَالَ : قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، مَا دَرَيْتُ أَنَّهَا رُقِيَّةٌ ، شَيْءٌ أَلْقَاهُ اللَّهُ فِي نَفْسِي ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : كُلُوا ، وَاضْرِبُوا لِي مَعَكُمْ بِسَهُمْ . ١١٤

وقال القرطبي : " وقوله ﷺ : ((خذوا منهم ، واضربوا لي معكم بسهم)) ؛ بيان

١١٢ - اسم ماء بأرض جُدَام ، وهي وراء وادي القرى ، بينها وبين المدينة عشرة أيام ، وكانت تلك الغزوة في جمادى الأولى سنة ثمان من الهجرة .

١١٣ - مسند أحمد (عالم الكتب) - (٦ / ١١١) (١٧٨١٢) - ١٧٩٦٥ - صحيح

١١٤ - صحيح ابن حبان - (١٣ / ٤٧٧) (٦١١٢) وصحيح البخارى - المكتز - (٢٢٧٦)

للكم بالقول ، وتمكين له بالعمل ؛ إذ لم تكن له حاجة لذلك السهم إلا ليبلغ في بيان أن ذلك من الحلال المحض ؛ الذي لا شبهة فيه ، فكان ذلك أعظم دليل لمن يقول بجواز الأجرة على الرقي والطب . وهو قول مالك ، والشافعي ، وأبي حنيفة وأصحابه ، وأحمد ، وإسحاق ، وأبي ثور ، وجماعة من السلف والخلف .

وأما الأجرة على تعليم القرآن : فأجازها الجمهور من السلف والخلف متمسكين بهذا الحديث ، وما زاد فيه البخاري من حديث ابن عباس : أن النبي ﷺ قال : ((إن أحق ما أخذتم عليه أجرًا كتاب الله)) . وهذا يلحق بالتخصص . وقد جزم أبو حنيفة أخذ الأجرة على تعليم القرآن ، وكذلك أصحابه ، تمسكًا بأمرين :

أحدهما : أن تعلم القرآن وتعليمه واجبٌ من الواجبات ؛ التي تحتاج إلى نية التقرب والإخلاص ، فلا يؤخذ عليها أجرة كالصلاة ، والصيام .

وثانيهما : ما رواه أبو داود من حديث عبادة بن الصامت قال : علمت ناسًا من أهل الصفة الكتاب والقرآن ، وأهدى إلي رجل منهم قوسًا ، فقلت : ليست بمال ، وأرمني عليها في سبيل الله ، فلا تين رسول الله ﷺ فلا سألته ، فأتيته فسألته ، فقال : ((إن كنت تحب أن تطوق قوسًا من نار فاقبلها)) .

وللجمهور أن يقولوا : لا نسلم صحة ذلك القياس ؛ لأنه فاسد الوضع ؛ لأنه في مقابلة قوله ﷺ : ((إن أحق ما أخذتم عليه أجرًا كتاب الله)) ، وهو عمومٌ قوي ، وظاهرٌ جلي .

والجواب عن القياس : إنه لا يصح للفرق الذي بين الفرع والأصل ، سلمنا لكن بينهما فرق وهو : أن الصوم والصلاة عبادات خاصة بالفاعل ، وتعليم القرآن عبادة متعدية لغير المعلم ، فتجوز الأجرة على محاولة النقل ، كتعليم كتابة القرآن .

وأما الجواب عن الحديث بعد تسليم صحته : فالقول بموجبه ؛ لأن تعليم عبادة لم تكن بإجارة ، ولا جعل ، وإنما علم الله تعالى تطوعًا ، لا لغيره . ومن كان كذلك حرم عليه

أخذ العوض على ما فعله لله تعالى ؛ لأنه ربما يفسد عمله ، ويأكل مالا بالباطل .^{١١٠٥}
 وقال الحافظ ابن حجر : " قَوْلُهُ : (ثُمَّ قَالَ قَدْ أَصَبْتُمْ) يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ صَوَّبَ فَعَلَهُمْ
 فِي الرُّقِيَّةِ، وَيَحْتَمِلُ أَنْ ذَلِكَ فِي تَوْقُفِهِمْ عَنِ التَّصَرُّفِ فِي الْجُعْلِ حَتَّى اسْتَأْذَنُوهُ، وَيَحْتَمِلُ
 أَعَمَّ مِنْ ذَلِكَ . قَوْلُهُ : (وَاضْرِبُوا لِي مَعَكُمْ سَهْمًا) أَيِ اجْعَلُوا لِي مِنْهُ نَصِيبًا، وَكَأَنَّهُ أَرَادَ
 الْمُبَالَغَةَ فِي تَأْنِيْسِهِمْ كَمَا وَقَعَ لَهُ فِي قِصَّةِ الْحِمَارِ الْوَحْشِيِّ وَغَيْرِ ذَلِكَ .^{١١٠٦}

الخلاصة :

- (١) السنَّة النبوية عدة أقسام ومنها السنَّة الإقرارية .
- (٢) كان النبي ﷺ ينظر في تصرفات أصحابه فيثني على من أصاب في اجتهاده سواء بالقول أو بالفعل ، أو بالإشارة .
- (٣) على المعلم أيضاً يقتدي بالرسول ﷺ فيقر ما أصاب به الطلاب ويثني عليهم خيرا ، ويصحح لهم الخطأ .

[٤٧] تعليمه ﷺ بالمأزحة والمداعبة :

الدُّعَابَةُ اللطيفة تُرَوِّحُ عَنِ الْإِنْسَانِ ، وَتُلَطِّفُ مِنْ ثِقَلِ الْمَتَاعِبِ الَّتِي تَنْتَابُهُ أَوْ تُصَاحِبُهُ ، فَإِنَّ الْحَيَاةَ لَا تَحْلُو مِنَ الْمَرَارَةِ وَالْمَكَارِهِ ، فَالِدُّعَابَةُ تُخَفِّفُ مِنْ وَطْأَةِ ذَلِكَ عَلَى النَّفْسِ . وَالْمَرْءُ يَتَعَلَّمُ بِالابْتِسَامِ وَالْبِشْرِ أَكْثَرَ مِمَّا يَتَعَلَّمُ بِالْعُبُوسِ وَالْقَطُوبِ .
 وَمَا أَعَذَبَ الدُّعَابَةَ الْمُعَلِّمَةَ ، وَالْإِحْمَاضَةَ الْهَادِيَةَ الْمُبْصِرَةَ ، فَإِنَّ الْجِدَّ الدَّائِمَ يَوْرِثُ رَهَقَ الذَّهْنِ ، وَكَلَلَ الْفِكْرِ ، فَالْمَزَاحُ اللَّطِيفُ الْهَادِي بَيْنَ الْحَيْنِ وَالْحَيْنِ ، يُعِيدُ إِلَى الْإِنْسَانِ نَشَاطَهُ وَانْتِبَاهَهُ ، فَمَا أَعْلَمَ هَذَا الْمُعَلِّمَ الْحَكِيمَ ، الْوَقُورَ الرَّؤُوفَ الرَّحِيمَ ﷺ .

^{١١٠٥} - المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم - (١٨ / ٦٩)

^{١١٠٦} - فتح الباري لابن حجر - (٧ / ١١٩)

قال العلامة ابن قتيبة رحمه الله تعالى : إنما كان رسولُ الله ﷺ يَمزحُ ، لأنَّ الناسَ مأمورون بالتأسي به والافتداء بهديه ، فلو ترك الطَّلَاقَ والبَشاشَةَ ، ولزم العُبوسَ والقُطوبَ ، لأخذَ الناسُ أنفُسَهُم بلك على ما في مخالفةِ العَرِيْزَةِ مِنَ المَشقَّةِ والعَناءِ ، فَمَزَحَ لِيَمزحُوا . وكان لا يقولُ إلاَّ حقاً)) . ١١٠٧

وقال الإمام النووي^{١١٠٨} : ((المزاحُ المنهِيُّ عنه هو الذي فيه إفراطٌ ، ويُداوَمُ عليه ، فإنه يورث الضحكَ ، وقسوةَ القلبِ ، ويشغَلُ عن ذكرِ الله تعالى ، والفكرِ في في مُهمَّاتِ الدين ، ويؤوَلُ في كثيرٍ من الأوقاتِ إلى الإيذاءِ ويورثُ الأحقادَ ، ويُسقطُ المَهَابَةَ والوقارَ . فأما ما سَلِمَ من هذه الأمور فهو المباحُ الذي كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يَفْعَلُهُ في نادرٍ من الأحوالِ ، لمصلحةٍ وتطبيبِ نفسِ المُخاطَبِ ومُؤانستِهِ ، وهذا لا مَنَعَ منه قطعاً ، بل هو سنةٌ مستحَبَّةٌ إذا كان بهذه الصفةِ ، فاعتمدَ هذا ، فإنه مما يَعظُمُ الاحتياجُ إليه وبالله التوفيق)) .

وكان ﷺ يُداعِبُ أصحابه في بعضِ الأحيانِ ويُمازِحُهُم، ولكنه ما كان يقولُ إلاَّ حقاً ، فعَنَ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ : قِيلَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنَّكَ تُدَاعِبُنَا ، قَالَ : إِنْني لَا أَقُولُ إِلَّا حَقًّا . ١١٠٩

وكان يُعَلِّمُ كثيراً من أمورِ العلمِ خلالِ المُداعِبَةِ والمَمازِحَةِ .

عَنْ أَنَسٍ ، قَالَ : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدْخُلُ عَلَيْنَا ، وَكَانَ لِي أَخٌ صَغِيرٌ ، وَكَانَ لَهُ نَعْرٌ يَلْعَبُ بِهِ ، فَمَاتَ ، فَدَخَلَ النَّبِيُّ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ فَرَأَهُ حَزِينًا ، فَقَالَ : مَا شَأْنُ أَبِي عُمَيْرٍ حَزِينًا ؟ فَقَالُوا : مَاتَ نَعْرُهُ الَّذِي كَانَ يَلْعَبُ بِهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، فَقَالَ : يَا أَبَا عُمَيْرٍ ، مَا فَعَلَ النَّعِيرُ^{١١١٠} ؟ أبا عُمَيْرٍ ، مَا فَعَلَ النَّعِيرُ ؟^{١١١١} .

^{١١٠٧} - انتهى من ((الفتوحات الربانية على الأذكار النووية)) للشيخ ابن علان ٦ : ٢٩٧ .

^{١١٠٨} - في كتاب ((الأذكار)) ص ٢٩

^{١١٠٩} - مسند أحمد (عالم الكتب) - (٣ / ٣٤٨) (٨٧٢٣) (٨٧٠٨) - صحيح

^{١١١٠} (النَّعِيرُ) تصغير النَّعْر ، وهو طائرٌ يُشبهُ العُصفورَ أحمرَ المنقار .

وَعَنْ أَنَسٍ ، أَنَّ أَبَا طَلْحَةَ ، كَانَ لَهُ ابْنٌ يُكْنَى أَبُو عُمَيْرٍ ، قَالَ : فَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ : أَبَا عُمَيْرٍ مَا فَعَلَ التُّعَيْرُ ؟ قَالَ : فَمَرَضَ وَأَبُو طَلْحَةَ غَائِبٌ فِي بَعْضِ حَيْطَانِهِ ، فَهَلَكَ الصَّبِيُّ ، فَقَامَتْ أُمُّ سُلَيْمٍ ، فَعَسَلَتْهُ ، وَكَفَّنَتْهُ وَحَنَطَتْهُ وَسَجَّتْ عَلَيْهِ ثَوْبًا ، وَقَالَتْ : لَا يَكُونُ أَحَدٌ يُخْبِرُ أَبَا طَلْحَةَ حَتَّى أَكُونَ أَنَا الَّذِي أُخْبِرُهُ ، فَجَاءَ أَبُو طَلْحَةَ كَالًّا ، وَهُوَ صَائِمٌ ، فَطَيَّبَتْ لَهُ وَتَصَنَعَتْ لَهُ وَجَاءَتْ بِعَشَائِهِ ، فَقَالَ : مَا فَعَلَ أَبُو عُمَيْرٍ ، فَقَالَتْ : تَعَشَى وَقَدْ فَرَّغَ ، قَالَ : فَتَعَشَى وَأَصَابَ مِنْهَا مَا يُصِيبُ الرَّجُلَ مِنْ أَهْلِهِ ، ثُمَّ قَالَتْ : يَا أَبَا طَلْحَةَ أَرَأَيْتَ أَهْلَ بَيْتِ أَعَارُوا أَهْلَ بَيْتِ عَارِيَّةَ ، فَطَلَبَهَا أَصْحَابُهَا أَيْرُدُونَهَا أَوْ يَحْبِسُونَهَا ، فَقَالَ : بَلْ يَرُدُّونَهَا عَلَيْهِمْ ، قَالَتْ : احْتَسِبُ أَبَا عُمَيْرٍ ، قَالَ : فَغَضِبَ وَأَنْطَلَقَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ ، فَأَخْبَرَهُ بِقَوْلِ أُمِّ سُلَيْمٍ ، فَقَالَ ﷺ : بَارَكَ اللَّهُ لَكُمْ فِي غَابِرِ لَيْلَتِكُمْ ، قَالَ : فَحَمَلْتُ بَعْدَ اللَّهِ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ حَتَّى إِذَا وَضَعَتْ وَكَانَ يَوْمَ السَّابِعِ ، قَالَتْ لِي أُمُّ سُلَيْمٍ : يَا أَنَسُ اذْهَبْ بِهَذَا الصَّبِيِّ وَهَذَا الْمِكْتَلِ وَفِيهِ شَيْءٌ مِنْ عَجْوَةٍ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ حَتَّى يَكُونَ هُوَ الَّذِي يُحْنِكُهُ وَيُسَمِّيهِ ، قَالَ : فَأَتَيْتُ بِهِ النَّبِيَّ ﷺ ، فَمَدَّ النَّبِيُّ ﷺ رِجْلَيْهِ وَأَضْجَعَهُ فِي حِجْرِهِ ، وَأَخَذَ تَمْرَةً فَلَاكَهَا ، ثُمَّ مَجَّهَا فِي فِي الصَّبِيِّ ، فَجَعَلَ يَتَلَمَّظُهَا ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : أَبَتْ الْأَنْصَارُ إِلَّا حُبَّ التَّمْرِ. ١١١٢

وفي حديث أنس هذا من الفوائد والأمور التعليمية :

تخصيص الإمام بعض الرعية بالزيارة .

مخالطة بعض الرعية دون بعض .

جواز حمل العالم علمه إلى من يستفيده .

جواز الممازحة وأن ممازحة الصبي الذي لم يُميِّز جائزة .

جواز تسمية من لم يولد له ولد .

١١١١ - مسند أحمد (عالم الكتب) - (٤ / ٧٣٤) (١٤٠٧١) ١٤١١٧ - صحيح ، وأخرجه البخاري وغيره انظر

ألفاظه في المسند الجامع - (٢ / ٣٦٠) ٩٨٣

١١١٢ - صحيح ابن حبان - (١٦ / ١٥٨) (٧١٨٨) صحيح

جوازُ لعبِ الصغِيرِ بالطَّيْرِ دونِ تعذيبِ له ، وجوازِ تمكينِ الوليِّ إياه من ذلك .

جوازُ إنفاقِ المالِ فيما يَتَلَهَّى به الصغِيرُ من المباحاتِ .

جوازُ إمساكِ الطيرِ في القفصِ ونحوه .

معاشرةُ الناسِ على قَدْرِ عقولِهِم ومدارِكِهِم .

جوازُ نداءِ الشخصِ بِاسْمِهِ المصغَّرِ عندِ عدمِ الإيذاءِ به لقوله (يا أبا عُمَيْرٍ) .

جوازُ السُّؤالِ عما السائلُ به عالمٌ من غيرِ أن يكون استهزاءً ، لقوله (ما فعل التَّغْيِيرُ؟) بعد علمه بأنه مات .

وبعضُ العلماءِ شرحَ هذا الحديثِ في جزءٍ مستقلٍ ، استخراجِ منه أكثرَ من ستينِ فائدةً كما في ((فتح الباري))^{١١١٣} ، وبعضُهُم أوصلها إلى أكثرَ من ثلاثِ مئةِ فائدةٍ ، كما أشار إلى ذلك الشيخُ عبد الحَيِّ الكتاني رحمه الله^{١١١٤} .

وقال العلامةُ المؤرِّخُ الأديبُ المَقْرِي في ((نفع الطيب)) في (الباب الخامس)^{١١١٥} عند ذكرِ كلامِ لسانِ الدينِ ابنِ الخطيبِ في وصفِ مدينةِ (مكناسة) : ((أملَى ابنُ الصَّبَّاحِ بمجلسِ درسه بمكناسة في حديثِ (يا أبا عمير ، ما فعل النغير) أربعَ مئةِ فائدة))^{١١١٦} .

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ رَجُلًا اسْتَحْمَلَ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - فَقَالَ « إِنِّي حَامِلُكَ عَلَى وَكَلِدِ النَّاقَةِ »^{١١١٧} . فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا أَصْنَعُ بِوَكَلِدِ النَّاقَةِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - « وَهَلْ تَلِدُ الْإِبِلَ إِلَّا التُّوقُ »^{١١١٨} .

وفيه من الأمورِ التعليميةِ : تنبيهِ النبي ﷺ المتعلِّمِ وغيره على أنه إذا سمع قولاً ينبغي له أن يتأمَّله ، وأن لا يُبادِرَ برده . وهذا خلقٌ هامٌّ جداً يتعيَّن سلوكُه على المتعلِّمِ ليُفلح . وفيه

^{١١١٣} - ١٠ : ٤٨١

^{١١١٤} - في ((الترايب الإدارية)) ٢ : ١٥٠

^{١١١٥} - في ((نفع الطيب)) ٦ : ٢١٥

^{١١١٦} - وانظر شرح النووي على مسلم - (٧ / ٢٧٥) ومعالم السنن للخطابي ٢٨٨ - (٤ / ١٢٩)

^{١١١٧} - أي سأله أن يُعطيه بغيراً من إبل الصدقة ، ليحمِلَ عليه متاعه .

^{١١١٨} - سنن الترمذى - المكتر - (٢١٢٢) قَالَ أَبُو عِيسَى هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ .

أيضاً : أن الرسول المعلم ﷺ يمزح ولا يقول إلا حقاً ، إذ الإبل كلها وكُد التوق . وفيه لفتُ الذهن إلى إدراك المعاني الدقيقة .

وعن الحسن قال : أتت عَجُوزٌ إلى النبي ﷺ ، فقالت : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، ادْعُ اللَّهَ أَنْ يُدْخِلَنِي الْجَنَّةَ ، فَقَالَ : " يَا أُمَّ فُلَانٍ ، إِنَّ الْجَنَّةَ لَا تَدْخُلُهَا عَجُوزٌ " قَالَ : فَوَلَّتْ تَبْكِي فَقَالَ : " أَخْبِرُوهَا أَنَّهَا لَا تَدْخُلُهَا وَهِيَ عَجُوزٌ " إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ : إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا عُرْبًا أَثْرَابًا " ١١١٩

وعن عائشة ، قالت : دَخَلَ عَلَيَّ النَّبِيُّ ﷺ وَعِنْدِي عَجُوزٌ مِنْ بَنِي عَامِرٍ ، فَقَالَ : " مَنْ هَذِهِ الْعَجُوزُ ؟ " قَالَتْ : مِنْ أَخْوَالِي ، أَوْ قَالَتْ : خَالَاتِي ، فَقَالَ : " إِنَّ الْجَنَّةَ لَا تَدْخُلُهَا عَجُوزٌ " ، قَالَ فَكَبَّرَ ذَلِكَ مِنَ الْعَجُوزِ ، قَالَ : فَذَكَرْتُ عَائِشَةَ لِلنَّبِيِّ ﷺ الَّتِي لَقِيتِ الْمَرْأَةَ ، فَقَالَ : " إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُنْبِتُ بِهِنَّ خَلْقًا غَيْرَ خَلْقِهِنَّ " ١١٢٠

وعن عائشة ، أن نبي الله ﷺ أتته عَجُوزٌ مِنَ الْأَنْصَارِ ، فَقَالَتْ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، ادْعُ اللَّهَ أَنْ يُدْخِلَنِي الْجَنَّةَ ، فَقَالَ نَبِيُّ اللَّهِ : " إِنَّ الْجَنَّةَ لَا يَدْخُلُهَا عَجُوزٌ " ، فَذَهَبَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ فَصَلَّى ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى عَائِشَةَ ، فَقَالَتْ عَائِشَةُ : لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ كَلِمَتِكَ مَشَقَّةً وَشَدَّةً ، فَقَالَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ : " إِنَّ ذَلِكَ كَذَلِكَ ، إِنَّ اللَّهَ إِذَا أَدْخَلَهُنَّ الْجَنَّةَ حَوَّلَهُنَّ أَبْكَارًا " ١١٢١

إنا أنشأناهن إنشاءً فجعلناهن أبكاراً عرباً أتراباً : الإنشاء : إبداء الخلق ، والأبكار جمع بكر ، وهي التي لم تفتض «العُرب» جمع عروب وهي المرأة الحسنة المتحبة إلى زوجها ، والأتراب : الأقران .

وعن أنس بن مالك ، أن رجلاً من أهل البادية كان اسمه زاهراً وكان يُهدي إلى النبي ﷺ هدية من البادية ، فيجهزه النبي ﷺ إذا أراد أن يخرج ، فقال النبي ﷺ : " إِنَّ زَاهِرًا بَادِيَتْنَا وَنَحْنُ حَاضِرُوهُ " وَكَانَ ﷺ يُحِبُّهُ وَكَانَ رَجُلًا دَمِيمًا فَأَتَاهُ النَّبِيُّ ﷺ يَوْمًا وَهُوَ يَبِيعُ مَتَاعَهُ فَاحْتَضَنَهُ مِنْ خَلْفِهِ وَهُوَ لَا يُبْصِرُهُ ، فَقَالَ : مَنْ هَذَا ؟ أَرْسَلَنِي . فَالْتَفَتَ فَعَرَفَ

١١١٩ - السَّمَائِلُ الْمُحَمَّدِيَّةُ لِلتِّرْمِذِيِّ (٢٣٨) حسن لغيره

١١٢٠ - أَخْبَارُ أَصْبَهَانَ لِأَبِي نُعَيْمٍ الْأَصْبَهَانِيِّ (٤٠٦٠٥) حسن لغيره

١١٢١ - الْمُعْجَمُ الْأَوْسَطُ لِلطَّبْرَانِيِّ (٥٧٠٣) حسن لغيره

النَّبِيُّ ﷺ فَجَعَلَ لَا يَأْلُو مَا أَلْصَقَ ظَهْرَهُ بِصَدْرِ النَّبِيِّ ﷺ حِينَ عَرَفَهُ ، فَجَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ : " مَنْ يَشْتَرِي هَذَا الْعَبْدَ " فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِذَا وَاللَّهِ تَجِدُنِي كَاسِدًا ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : " لَكِنْ عِنْدَ اللَّهِ لَسْتُ بِكَاسِدٍ " أَوْ قَالَ : " أَنْتَ عِنْدَ اللَّهِ غَالٍ " ١١٢٣

الخلاصة :

- (١) الرسول ﷺ كان يمزح مع أصحابه لكنه ما كان يقول إلا حقاً .
- (٢) قد يكون التعليم عن طريق المزاح .
- (٣) على طالب العلم عدم المسارعة بالإنكار قبل أن يسأل معلمه عن ذلك.

[٤٨] تَأْكِيدُهُ ﷺ التَّعْلِيمَ بِالْقَسَمِ :

كان ﷺ في كثير من الأحيان، يبدأ حديثه بالقسم بالله تعالى، تنبيهاً منه إلى أهمية ما يقوله وتقوية للحكم وتأكيدها له، قال الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى في ((إعلام الموقعين)) و((زاد المعاد)): ((أقسم النبي ﷺ على ما أخبر به من الحق ، في أكثر من ثمانين موضعاً ، وهي موجودة في الصحاح والمسانيد ، وأمره الله تعالى بالحلف على تصديق ما أخبر به في ثلاثة مواضع من القرآن ، في سورة يونس : ٥٣ (قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ) ، وفي سورة سبأ : ٣ (قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ) ، وفي سورة التغابن : ٧ (قُلْ وَرَبِّي لَتُبْعُنَّ) ١١٢٣ .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا ، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا ، أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى أَمْرٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ ؟ أَفَشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ. ١١٢٤

وَعَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، قَالَ : لَنْ تُؤْمِنُوا حَتَّى

١١٢٢ - الشَّامِلُ الْمُحَمَّدِيُّ لِلتِّرْمِذِيِّ (٢٣٧) صحيح

١١٢٣ - زاد المعاد في هدي خير العباد - (٣ / ٣٠٢) وإعلام الموقعين عن رب العالمين - (٤ / ١٧٨)

١١٢٤ - صحيح ابن حبان - (١ / ٤٧٢) (٢٣٦) وصحيح مسلم - المكثر - (٢٠٣)

تَحَابُّوا ١١٢٥ ، أَفَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَا تَحَابُّوْا عَلَيْهِ ؟ قَالُوا : بَلَىٰ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قَالَ : أَفْتَشُّوْا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ ، تَحَابُّوْا ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ، لَا تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ حَتَّىٰ تَرَاحِمُوا ، قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، كُلَّنَا رَحِيمٌ ، قَالَ : إِنَّهُ لَيْسَ بِرَحْمَةٍ أَحَدِكُمْ ، وَلَكِنْ رَحْمَةُ الْعَامَّةِ رَحْمَةُ الْعَامَّةِ ١١٢٦

وَعَنْ الزُّبَيْرِ بْنِ الْعَوَّامِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : " دَبَّ إِلَيْكُمْ دَاءُ الْأَمَمِ مِنْ قِبَلِكُمْ : الْحَسَدُ ، وَالْبَغْضَاءُ هِيَ الْحَالِقَةُ ، لَا أَقُولُ : تَحْلِقُ الشَّعْرَ ، وَلَكِنَّهُ يَحْلِقُ الدِّينَ ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا ، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّىٰ تَحَابُّوْا ، أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِمَا يُثَبِّتُ ذَاكَ لَكُمْ ؟ أَفْتَشُّوْا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ ١١٢٧ "

قال الإمام النووي ١١٢٨ : ((في هذا الحديث : الحث العظيم على إفشاء السلام وبذله للمسلمين كلهم ، من عرفتَ ومن لم تعرف . والسلام أول أسباب التألف ، ومفتاح استحلاب المودة . وفي إفشائه تمكّن ألفة المسلمين بعضهم لبعض ، وإظهار شعارهم المميز لهم من غيرهم من أهل الملل ، مع ما فيه من رياضة النفس أي ترويضها على التواضع ، ولزوم التواضع ، وإعظام حُرّمات المسلمين .

قال القاضي عياض رحمه الله تعالى : والألفة إحدى فرائض الدين وأركان الشريعة ، ونظام شمل الإسلام . وفي الحديث : إفشاء شعار هذه الأمة ، وهو السلام)) . انتهى وفي هذا الحديث الشريف وما يليه مما جاء فيه قسمه ﷺ : جواز الحلف من المعلم وغيره

١١٢٥ - قوله : (ولا تؤمنوا حتى تحابوا...) ، قال العلماء : وإنما حذفت النون هنا من هذا الفعل : (ولا تؤمنوا) ، مُشَاكَلَةً لحذفها من الفعل السابق : (حتى تؤمنوا) ، فكأنه أورد بحذف النون في الثاني على الحكاية ، لحذفها في الأول = .

= وانظر إذا شئت كلام العلماء مطوّلاً على حذف النون في هذا الحديث في ((شرح صحيح مسلم)) للنووي ٢ : ٢٦ ، و((المرقاة شرح المشكاة)) لعلي القاري ٤ : ٥٥٥ . ويُروى بحذف النون في قوله : (لا تدخلوا الجنة ...) كما أشار إليه في ((المرقاة شرح المشكاة)) .

١١٢٦ - المستدرک للحاكم (٧٣١٠) حسن

١١٢٧ - شعب الإيمان - (١١ / ١٨٢) (٨٣٧٣) حسن لغيره

١١٢٨ - في ((شرح صحيح مسلم)) ٢ : ١٠ و ٣٦

من غير استحلاف ، لتفخيم ما يخبر به ، وتعظيمه ، والمبالغة في صحته وصفته وأثره .
وقد كثرت الأحاديث التي جاء فيها القَسَمُ من الصادق المصدوق ﷺ ، حتى زادت على
ثمانين حديثاً كما تقدم نقله عن الإمام ابن القيم .

وَعَنْ أَنَسٍ عَنِ النَّبِيِّ - ﷺ - قَالَ « وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يُؤْمِنُ عَبْدٌ حَتَّى يُحِبَّ لِجَارِهِ -
أَوْ قَالَ لِأَخِيهِ - مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ » . ١١٢٩

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ، أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ قَالَ : وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يُؤْمِنُ عَبْدٌ حَتَّى يُحِبَّ
لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ مِنَ الْخَيْرِ . ١١٣٠

قَالَ الْعُلَمَاءُ رَحِمَهُمُ اللَّهُ : مَعْنَاهُ لَا يُؤْمِنُ الْإِيمَانُ التَّامُّ ، وَإِلَّا فَاصْلُ الْإِيمَانِ يَحْصُلُ لِمَنْ لَمْ
يَكُنْ بِهَذِهِ الصِّفَةِ . وَالْمُرَادُ يُحِبُّ لِأَخِيهِ مِنَ الطَّاعَاتِ وَالْأَشْيَاءِ الْمُبَاحَاتِ وَيُدُلُّ عَلَيْهِ مَا
جَاءَ فِي رِوَايَةِ النَّسَائِيِّ فِي هَذَا الْحَدِيثِ " حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مِنَ الْخَيْرِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ " .
قَالَ الشَّيْخُ أَبُو عَمْرٍو بْنُ الصَّلَاحِ : وَهَذَا قَدْ يُعَدُّ مِنَ الصَّعْبِ الْمُمْتَنِعِ ، وَلَيْسَ كَذَلِكَ ، إِذْ
مَعْنَاهُ لَا يَكْمُلُ إِيْمَانُ أَحَدِكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ فِي الْإِسْلَامِ مِثْلَ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ ، وَالْقِيَامُ
بِذَلِكَ يَحْصُلُ بِأَنْ يُحِبَّ لَهُ حُصُولَ مِثْلِ ذَلِكَ مِنْ جِهَةٍ لَا يُزَاحِمُهُ فِيهَا ، بِحَيْثُ لَا تَنْقُصُ
النِّعْمَةُ عَلَى أَخِيهِ شَيْئًا مِنَ النِّعْمَةِ عَلَيْهِ ، وَذَلِكَ سَهْلٌ عَلَى الْقَلْبِ السَّلِيمِ ، إِنَّمَا يَعْسُرُ عَلَى
الْقَلْبِ الدَّغِلِ . عَافَانَا اللَّهُ وَإِخْوَانَنَا أَجْمَعِينَ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ . ١١٣١

قال العلماء : المراد بالأخ في قوله : ((حتى يحب لأخيه)) عموم الإخوة حتى يشمل الكافر
والمسلم ، فيحبُّ للكافر ما يحب لنفسه من دخوله في الإسلام ، كما يحب لأخيه المسلم
دوامه على الإسلام . ولهذا كان الدعاء بالهداية للكافر مُسْتَحَبًّا . ونفي الإيمان في هذا
الحديث مَحْمُولٌ عَلَى نَفْيِ الْإِيمَانِ الْكَامِلِ عَمَّنْ لَمْ يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ . ١١٣٢

وَعَنْ أَبِي شَرِيْحِ الْكَعْبِيِّ ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ ، قَالَ : " وَاللَّهِ لَا يُؤْمِنُ ، وَاللَّهُ لَا يُؤْمِنُ ، وَاللَّهُ لَا

١١٢٩ - صحيح مسلم - المكثر - (١٨٠)

١١٣٠ - مسند أبي عوانة (٧٥) صحيح

١١٣١ - شرح النووي على مسلم - (١ / ١٢٦)

١١٣٢ - الرسول المعلم ﷺ وأساليبه في التعليم لأبي غدة - (١ / ١٣٤)

يُؤْمِنُ ثَلَاثًا " ، قَالُوا: وَمَنْ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: " الْجَارُ لِمَنْ جَارُهُ بَوَائِقُهُ " ، قَالُوا:
وَمَا بَوَائِقُهُ، قَالَ: " شَرُّهُ " ١١٣٣

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : وَاللَّهِ لَا يُؤْمِنُ ، وَاللَّهِ لَا يُؤْمِنُ ، وَاللَّهِ لَا يُؤْمِنُ
قَالُوا : وَمَا ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : الْجَارُ ، جَارٌ لَا يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَائِقَهُ قَالُوا : يَا رَسُولَ
اللَّهِ ، وَمَا بَوَائِقُهُ ؟ قَالَ : شَرُّهُ . ١١٣٤

قال ابن بطال : في هذا الحديث تأكيد حق الجار لقسمه ﷺ على ذلك ، وتكريره اليمين
ثلاث مرّات ، وفيه نفي الإيمان عمّن يؤذي جاره بالقول أو الفعل ومُراده الإيمان الكامل ،
ولا شك أنّ العاصي غير كامل الإيمان .

وقال النووي عن نفي الإيمان في مثل هذا جوابان : أحدهما : أنّه في حقّ المستحلّ ،
والثاني : أنّ معناه ليس مؤمناً كاملاً . انتهى .

ويحتمل أن يكون المراد أنّه لا يُجازى مُجازاة المؤمن بدخول الجنة من أوّل وهلة مثلاً ،
أو أنّ هذا خرج مخرج الرّجر والتّعليظ ، وظاهره غير مُراد ، والله أعلم .

وقال ابن أبي حمزة : إذا أكّد حقّ الجار مع الحائل بين الشّخص وبينه وأمر بحفظه
وإيصال الخير إليه وكفّ أسباب الضّرر عنه فينبغي له أن يُراعي حقّ الحافظين اللّذين ليس
بينه وبينهما جدار ولا حائل فلا يؤذيهما بإيقاع المخالفات في مُرور السّاعات ، فقد جاء
أنّهما يُسرّان بوقوع الحسنات ويحزنان بوقوع السيّئات ، فينبغي مُراعاة جانبهما وحفظ
خواتمهما بالتّكثير من عمّل الطّاعات والمواظبة على اجتناب المعصية ، فهما أولى برعاية
الحقّ من كثير من الجيران اه مُلخّصاً . ١١٣٥

وقال ابن عثيمين : " فالذي لا يأمن جاره من ذلك ليس بمؤمن ، وإذا كان يفعل ذلك
ويوقعه فعلاً فهو أشد ، وفي هذا دليل على تحريم العدوان على الجار سواء كان ذلك

١١٣٣ - شعب الإيمان - (١٢ / ٨٦) (٩٠٨٧) وصحيح البخاري - المكثر - (٦٠١٦) - (بوائقه) شروحه وأذياه .

١١٣٤ - مسند أحمد (عالم الكتب) - (٣ / ١٥٩) (٧٨٧٨) - ٧٨٦٥ - صحيح

١١٣٥ - فتح الباري شرح صحيح البخاري - ط دار المعرفة - (١٠ / ٤٤٤)

بالقول أو بالفعل، أما بالقول فأن يسمع منه ما يزعجه ويقلقه كالذين يفتحون الراديو أو التلفزيون أو غيرهما مما يسمع فيزعج الجيران، فإن هذا لا يحلُّ له حتى لو فتحه على كتاب الله وهو مما يزعج الجيران بصوته، فإنه معتد عليهم ولا يحلُّ له أن يفعل ذلك، وأما بالفعل فيكون بإلقاء الكناسة حول بابه والتضييق عليه عند مداخل بابه أو بالدق أو ما أشبه ذلك مما يضره، ومن هذا أيضا إذا كان له نخلة أو شجرة حول جدار جاره فكان يسقيها حتى يؤدي جاره بهذا السقي، فإن ذلك من بوائق الجار فلا يحلُّ له، فإن فعل فإنه ليس بمؤمن، والمعنى أنه ليس متصفا بصفات المؤمنين^{١١٣٦} في هذه المسألة التي خالف بها الحق. وبناء على هذا فتجب مراعاة حقوق الجيران فيجب الإحسان إليهم بقدر الإمكان ويحرم الاعتداء عليهم بأي عدوان^{١١٣٧}

وما كان القَسَمُ منه ﷺ في هذه الأحاديث، وهو الصَّادِقُ المَصْدُوقُ إلاَّ للتنبيه على أهمية أثرِ السَّلَامِ الذي هو شعارُ الإسلام في توثيق الصَّلَة والتَّحَابِّ بين الناس، والتنبيه على لزوم محبة الخير للجار والأخ، والتنبيه على شناعة أذى الجار وتغيصه، حتى نفى الإيمان عمَّن خالفَ هَدْيَهُ ﷺ في هذه الأحاديث .

وهذه طائفة من الأحاديث دون تعليق :

عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حَصِينٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، أَنَّ امْرَأَةً أَتَتْ النَّبِيَّ ﷺ ، فَقَالَتْ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَصَبْتُ حَدًّا فَأَقَمْتُهُ عَلَيَّ وَهِيَ حَامِلٌ قَالَ : فَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَلِيَهَا أَنْ يُحْسِنَ إِلَيْهَا حَتَّى تَضَعَ ، فَلَمَّا وَضَعَتْ أَمَرَ بِثِيَابِهَا ، فَشَكَتْ عَلَيْهَا ، ثُمَّ رَجَمَهَا ، وَصَلَّى عَلَيْهَا ، فَقَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : يَا نَبِيَّ اللَّهِ ، أَتُصَلِّي عَلَيْهَا وَقَدْ زَنَتْ ؟ فَقَالَ : وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَقَدْ تَابَتْ تَوْبَةً لَوْ قُسِمَتْ عَلَى سَبْعِينَ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ لَوَسِعَتْهُمْ وَهَلْ وَجَدْتَ أَفْضَلَ مِنْ أَنْ جَادَتْ بِنَفْسِهَا لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ^{١١٣٨}

وَعَنْ رِفَاعَةَ الْجُهَنِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : مَرَرْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَجَعَلَ النَّاسُ يَسْتَأْذِنُونَهُ

^{١١٣٦} - يعني الكاملى الإيمان

^{١١٣٧} - شرح رياض الصالحين لابن عثيمين - (٢ / ٤٥٧)

^{١١٣٨} - الآحاد والثاني - (٤ / ١٤٢) (٢٢٩٩) صحيح

فَيَأْذَنُ لَهُمْ ، رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : مَا بَالُ شِقِّ الشَّجَرَةِ الَّتِي تَلِي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَبْعَضُ إِلَيْكُمْ مِنْ الْآخِرِ ؟ قَالَ : فَلَمْ يُرَ فِي الْقَوْمِ إِلَّا بَاكِيًا قَالَ : فَقُلْتُ : إِنَّ الَّذِي يَسْتَأْذِنُكَ بَعْدَ هَذَا لَسَفِيهٌ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : أَشْهَدُ عِنْدَ اللَّهِ ، كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا حَلَفَ قَالَ : وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ ، مَا مِنْ عَبْدٍ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ يُسَدِّدُ إِلَّا سَلَكَ بِهِ فِي الْجَنَّةِ ، أَرْجُو أَنْ لَا يَدْخُلُوهَا حَتَّى تَتَّبِعُوا أَنْتُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ ذُرِّيَّتِكُمْ مَسَاكِينَ فِي الْجَنَّةِ ، لَقَدْ وَعَدَنِي رَبِّي أَنْ يَدْخُلَ مِنْ أُمَّتِي الْجَنَّةَ سَبْعِينَ أَلْفًا بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلَا عَذَابٍ ١١٣٩

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ أَخْبَرَنِي قَتَادَةُ بْنُ التُّعْمَانَ : أَنَّ رَجُلًا قَامَ فِي زَمَنِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - فَقَرَأَ (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ) السُّورَةَ كُلَّهَا يُرَدِّدُهَا لَا يَزِيدُ عَلَيْهَا قَالَ فَلَمَّا أَصْبَحْنَا قَالَ رَجُلٌ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ - : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ رَجُلًا قَامَ لَيْلَةً يَقْرَأُ مِنَ السَّحَرِ (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ) اللَّهُ الصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ) يُرَدِّدُهَا لَا يَزِيدُ عَلَيْهَا . قَالَ : كَانَ الرَّجُلُ يَتَقَالَّهَا. قَالَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - : « وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ إِنَّهَا لَتَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ ». ١١٤٠

وَعَنْ أَبِي حُمَيْدٍ السَّاعِدِيِّ : أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ - اسْتَعْمَلَ رَجُلًا مِنَ الْأَزْدِ عَلَى الصَّدَقَةِ يُقَالُ لَهُ ابْنُ اللَّثْبِيَّةِ فَلَمَّا جَاءَهُ قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ - : هَذَا لَكُمْ وَهَذَا أُهْدِيَ لِي فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - عَلَى الْمُنْبَرِ فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَقَالَ « مَا بَالُ الْعَامِلِ نَسْتَعْمِلُهُ عَلَى بَعْضِ الْعَمَلِ مِنْ أَعْمَالِنَا فَيَجِيءُ فَيَقُولُ : هَذَا لَكُمْ وَهَذَا أُهْدِيَ لِي . أَفَلَا جَلَسَ فِي بَيْتِ أَبِيهِ أَوْ بَيْتِ أُمِّهِ فَيَنْظُرُ هَلْ يَهْدِي لَهُ شَيْءٌ أَمْ لَا ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَا يَأْتِي أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنْهَا بِشَيْءٍ إِلَّا جَاءَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَحْمِلُهُ عَلَى رَقَبَتِهِ إِنْ كَانَ بَعِيرًا لَهُ رُغَاءٌ أَوْ بَقْرَةٌ لَهَا خُورٌ أَوْ شَاةٌ تَبْعُرُ ». ثُمَّ رَفَعَ يَدَيْهِ حَتَّى رَأَيْتُ عُفْرَةَ إِبْطِيهِ فَقَالَ : « اللَّهُمَّ هَلْ بَلَغَتْ اللَّهُمَّ هَلْ بَلَغَتْ اللَّهُمَّ هَلْ بَلَغَتْ ». ١١٤١

وَعَنْ أَنَسٍ قَالَ : دُعِيَ النَّبِيُّ ﷺ - إِلَى خُبْزِ الشَّعِيرِ وَإِهَالَةِ سِنَخَةٍ وَلَقَدْ سَمِعْتُهُ ذَاتَ

١١٣٩ - الآحاد والمثاني - (٤ / ٣٨٧) (٢٥٦١) صحيح

١١٤٠ - السنن الكبرى للبيهقي - حيدر آباد - (٣ / ٢١) (٤٩٥٤) صحيح

١١٤١ - السنن الكبرى للبيهقي - حيدر آباد - (٤ / ١٥٨) (٧٩١٤) وصحيح مسلم - المكثر - (٢٧٦٢)

غَدَاةً يَقُولُ: « وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ مَا أَصْبَحَ عِنْدَ آلِ مُحَمَّدٍ صَاعَ حَبٍّ وَلَا صَاعَ تَمْرٍ ». وَإِنَّ لَهُ يَوْمَئِذٍ تِسْعَ نِسْوَةٍ وَلَقَدْ رَهَنَ يَوْمَئِذٍ دِرْعًا لَهُ عِنْدَ يَهُودِيٍّ بِالْمَدِينَةِ أَخَذَ مِنْهُ صَاعًا مَا وَجَدَ مَا يَكْفِيهِ أَوْ قَالَ مَا يَفْتَكُهُ. ١١٤٢

وَعَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ حَدَّثَنِي يَزِيدُ بْنُ رُوْمَانَ قَالَ: لَمَّا دَخَلَ أَبُو الْعَاصِ بْنِ الرَّبِيعِ عَلَى زَيْنَبَ بِنْتِ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - وَاسْتَجَارَ بِهَا خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - إِلَى الصُّبْحِ فَلَمَّا كَبُرَ فِي الصَّلَاةِ صَرَخَتْ زَيْنَبُ أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي قَدْ أَجْرْتُ أَبَا الْعَاصِ بْنِ الرَّبِيعِ فَلَمَّا سَلَّمَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - مِنْ صَلَاتِهِ قَالَ: « أَيُّهَا النَّاسُ هَلْ سَمِعْتُمْ مَا سَمِعْتُ؟ ». قَالُوا: نَعَمْ. قَالَ: « أَمَا وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ مَا عَلِمْتُ بِشَيْءٍ مِمَّا كَانَ حَتَّى سَمِعْتُ مِنْهُ مَا سَمِعْتُمْ إِنَّهُ يُجِيرُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ أَدْنَاهُمْ ». ثُمَّ دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - عَلَى زَيْنَبَ فَقَالَ: « أَيُّ بِنْتِ أَكْرَمِي مَثْوَاهُ وَلَا يَقْرَبُكَ فَإِنَّكَ لَا تَحْلِينَ لَهُ وَلَا يَحِلُّ لَكَ » ١١٤٣.

وَعَنْ الْأَسْوَدِ بْنِ سَرِيحٍ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - بَعَثَ سَرِيحَةَ يَوْمَ حُنَيْنٍ فَقَاتَلُوا الْمُشْرِكِينَ فَأَفْضَى بِهِمُ الْقَتْلُ إِلَى الذَّرِيَّةِ فَلَمَّا جَاءُوا قَالَ النَّبِيُّ - ﷺ -: « مَا حَمَلَكُمْ عَلَى قَتْلِ الذَّرِيَّةِ ». قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّمَا كَانُوا أَوْلَادَ الْمُشْرِكِينَ قَالَ: « وَهَلْ حَيَارُكُمْ إِلَّا أَوْلَادَ الْمُشْرِكِينَ وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ مَا مِنْ نَسَمَةٍ تُوَلَدُ إِلَّا عَلَى الْفِطْرَةِ حَتَّى يُعْرَبَ عَنْهَا لِسَانُهَا ». ١١٤٤.

وَعَنْ أَبِي سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ، أَنَّ أَهْلَهُ شَكَوْا إِلَيْهِ الْحَاجَةَ، فَخَرَجَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لِيَسْأَلَهُ لَهُمْ شَيْئًا، فَوَافَقَهُ عَلَى الْمَنْبَرِ، وَهُوَ يَقُولُ: أَيُّهَا النَّاسُ، قَدْ أَنْ لَكُمْ أَنْ تَسْتَعْنُوا عَنِ الْمَسْأَلَةِ، فَإِنَّهُ مَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعْفُهُ اللَّهُ، وَمَنْ يَسْتَعْنِ يُعْنِهِ اللَّهُ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ مَا رُزِقَ عَبْدٌ شَيْئًا أَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ، وَلَكِنْ أَيْبِتُمْ إِلَّا أَنْ تَسْأَلُونِي لِأَعْطَيْتُكُمْ مَا وَجَدْتُ. ١١٤٥.

وَعَنْ أَبِي صَالِحِ الزِّيَّاتِ، أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَةَ، يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: قَالَ اللَّهُ

١١٤٢ - السنن الكبرى للبيهقي - حيدر آباد - (٦ / ٣٦) (١١٥٢٦) صحيح

١١٤٣ - السنن الكبرى للبيهقي - حيدر آباد - (٩ / ٩٥) (١١٦٤٢) صحيح مرسل

١١٤٤ - السنن الكبرى للبيهقي - حيدر آباد - (٩ / ١٣٠) (١١٧٩٦) صحيح

١١٤٥ - صحيح ابن حبان - (٨ / ١٩٢) (٣٣٩٩) صحيح

تَعَالَى : كُلُّ عَمَلٍ ابْنِ آدَمَ لَهُ إِلَّا الصَّيَامَ فَهُوَ لِي وَأَنَا أُجْزِي بِهِ ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَخُلُوفٌ فِيمَ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ ، لِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ : إِذَا أَفْطَرَ فَرِحَ بِفِطْرِهِ ، وَإِذَا لَقِيَ اللَّهَ فَرِحَ بِصَوْمِهِ. ١١٤٦

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، قَالَ : وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ، لَوْ أَنَّ أَشَقَّ عَلَى الْمُسْلِمِينَ ، مَا قَعَدْتُ خَلْفَ سَرِيَّةٍ تَغْزُو فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَبَدًا ، وَلَكِنْ لَا أَجِدُ سَعَةً فَأَحْمِلُهُمْ ، وَلَا يَجِدُونَ سَعَةً فَيَخْرُجُونَ ، وَيَشْقُقُ عَلَيْهِمْ ، أَنْ يَتَخَلَّفُوا بَعْدِي ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ ، لَوَدِدْتُ أَنِّي أَغْزُو فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَأُقْتَلُ ، ثُمَّ أَحْيَا فَأُقْتَلُ ، قَالَ : ذَلِكَ ثَلَاثًا. ١١٤٧

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، أَنَّهُ سَمِعَهُ يَقُولُ : سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ مَاذَا رَدَّ إِلَيْكَ رَبُّكَ فِي الشَّفَاعَةِ ؟ قَالَ : وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَقَدْ ظَنَنْتُ أَنَّكَ أَوَّلُ مَنْ يَسْأَلُنِي عَنْ ذَلِكَ مِنْ أُمَّتِي ، لِمَا رَأَيْتُ مِنْ حِرْصِكَ عَلَى الْعِلْمِ ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَمَّا يُهْمُنِي مِنْ انْقِصَافِهِمْ عَلَى أَبْوَابِ الْجَنَّةِ أَهَمُّ عِنْدِي مِنْ تَمَامِ شَفَاعَتِي لَهُمْ ، وَشَفَاعَتِي لِمَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُخْلِصًا ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ يُصَدِّقُ لِسَانُهُ قَلْبَهُ وَقَلْبُهُ لِسَانَهُ. ١١٤٨

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ : وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ ، لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَظْهَرَ الْفُحْشُ ، وَالْبُخْلُ ، وَيُخَوَّنَ الْأَمِينُ ، وَيُؤْتَمَنَ الْخَائِنُ ، وَيَهْلِكَ الْوُعُولُ ، وَتَظْهَرَ التَّحَوُّتُ. قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، وَمَا الْوُعُولُ وَالتَّحَوُّتُ ؟ قَالَ : الْوُعُولُ : وَجُوهُ النَّاسِ وَأَشْرَافُهُمْ ، وَالتَّحَوُّتُ : الَّذِينَ كَانُوا تَحْتَ أَقْدَامِ النَّاسِ لَا يُعْلَمُ بِهِمْ. ١١٤٩

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ، قَالَ : خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ وَقَدْ عَصَبَ رَأْسَهُ ، فَتَلَقَّتهُ الْأَنْصَارُ بِوُجُوهِهِمْ وَفَتِيَانِهِمْ ، فَقَالَ : وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ ، إِنِّي لَأُحِبُّكُمْ ، إِنَّ الْأَنْصَارَ قَدْ قَضَوْا الَّذِي عَلَيَّكُمْ ، وَبَقِيَ الَّذِي عَلَيَّكُمْ ، فَأَحْسِنُوا إِلَيَّ مُحْسِنِينَ ، وَتَجَاوَزُوا عَنِّي

١١٤٦ - صحيح ابن حبان - (٢١٠ / ٨) (٣٤٢٣) صحيح

١١٤٧ - صحيح ابن حبان - (٣٩ / ١١) (٤٧٣٧) صحيح

١١٤٨ - صحيح ابن حبان - (٣٨٥ / ١٤) (٦٤٦٦) صحيح

١١٤٩ - صحيح ابن حبان - (٢٥٨ / ١٥) (٦٨٤٤) صحيح

وَعَنْ أَبِي طَلْحَةَ أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ - ﷺ - أَمَرَ يَوْمَ بَدْرٍ بِأَرْبَعَةٍ وَعِشْرِينَ رَجُلًا مِنْ صَنَادِيدِ قُرَيْشٍ فَقُدُّوا فِي طَوِيٍّ مِنْ أَطْوَاءِ بَدْرٍ حَيْثُ مُخَبِّثٌ ، وَكَانَ إِذَا ظَهَرَ عَلَى قَوْمٍ أَقَامَ بِالْعَرَصَةِ ثَلَاثَ لَيَالٍ ، فَلَمَّا كَانَ بَدْرُ الْيَوْمِ الثَّلَاثِ ، أَمَرَ بِرَاحِلَتِهِ فَشَدَّ عَلَيْهَا رَحْلَهَا ، ثُمَّ مَشَى وَاتَّبَعَهُ أَصْحَابُهُ وَقَالُوا مَا نَرَى يَنْطَلِقُ إِلَّا لِبَعْضِ حَاجَتِهِ ، حَتَّى قَامَ عَلَى شَفَةِ الرِّكِيِّ ، فَجَعَلَ يَنَادِيهِمْ بِأَسْمَائِهِمْ وَأَسْمَاءِ آبَائِهِمْ « يَا فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ ، وَيَا فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ ، أَيَسْرُكُمْ أَنْتُمْ أَطَعْتُمْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّا قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدْنَا رَبُّنَا حَقًّا ، فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا » . قَالَ فَقَالَ عُمَرُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، مَا تُكَلِّمُ مِنْ أَجْسَادٍ لَا أَرْوَاحَ لَهَا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - « وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ ، مَا أَنْتُمْ بِأَسْمَعٍ لِمَا أَقُولُ مِنْهُمْ » . قَالَ فَتَادَةُ أَحْيَاهُمْ اللَّهُ حَتَّى أَسْمَعَهُمْ قَوْلَهُ تَوْبِيخًا وَتَنْصِيحًا وَنَقِيمَةً وَحَسْرَةً وَنَدْمًا ١١٥١

وَعَنْ أَبِي صَالِحِ الزِّيَّاتِ أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - يَقُولُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - : « قَالَ اللَّهُ كُلُّ عَمَلٍ ابْنِ آدَمَ لَهُ إِلَّا الصِّيَامَ ، فَإِنَّهُ لِي ، وَأَنَا أَجْزَى بِهِ . وَالصِّيَامُ جُنَّةٌ ، وَإِذَا كَانَ يَوْمُ صَوْمٍ أَحَدِكُمْ ، فَلَا يَرِفْ وَلَا يَصْحَبْ ، فَإِنْ سَابَهُ أَحَدٌ ، أَوْ قَاتَلَهُ فَلْيَقُلْ إِنِّي امْرُؤٌ صَائِمٌ . وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ رِيحِ الْمَسْكِ ، لِلصَّائِمِ فَرِحَتَانِ يَفْرَحُهُمَا إِذَا أَفْطَرَ فَرِحَ ، وَإِذَا لَقِيَ رَبَّهُ فَرِحَ بِصَوْمِهِ » . ١١٥٢

وَعَنْ الزُّهْرِيِّ قَالَ أَخْبَرَنِي عُرْوَةُ بِنُ الزُّبَيْرِ أَنَّ امْرَأَةً سَرَقَتْ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - فِي غَزْوَةِ الْفَتْحِ ، فَفَزِعَ قَوْمُهَا إِلَى أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ يَسْتَشْفَعُونَ ، قَالَ عُرْوَةُ فَلَمَّا كَلَّمَهُ أُسَامَةُ فِيهَا تَلَوْنَ وَجْهَ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - فَقَالَ « أَتَكَلَّمُنِي فِي حَدِّ مَنْ حُدِّدَ اللَّهُ » .

١١٥٠ - صحيح ابن حبان - (١٦ / ٢٦٠) (٧٢٧١) صحيح

١١٥١ - صحيح البخارى - المكثر - (٣٩٧٦)

العرصة: عرصة الدار : ساحتها. - طوي : الطوي : البئر ، وجمعه أطواء. - الركي : الركية : البئر ، وجمعها ركي. الصناديد : جمع صنديد وهو كل عظيم شريف رئيس متغلب

١١٥٢ - صحيح البخارى - المكثر - (١٩٠٤)

الجنة : الوقاية - الخلوف : تغير ريح الفم - يرفث : يفحش أو يجامع

قَالَ أَسَامَةُ اسْتَعْفَرَ لِي يَا رَسُولَ اللَّهِ . فَلَمَّا كَانَ الْعَشِيُّ قَامَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - حَطِييًّا ، فَأَتَنِي عَلَى اللَّهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ ثُمَّ قَالَ : « أَمَا بَعْدُ ، فَإِنَّمَا أَهْلَكَ النَّاسَ قَبْلَكُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ تَرَكَوهُ ، وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الْحَدَّ ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ ، لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا » . ثُمَّ أَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - بِتِلْكَ الْمَرْأَةِ ، فَقَطَعَتْ يَدَهَا ، فَحَسُنْتَ تَوْبَتَهَا بَعْدَ ذَلِكَ وَتَزَوَّجْتَ . قَالَتْ عَائِشَةُ فَكَانَتْ تَأْتِي بَعْدَ ذَلِكَ فَأَرْفَعُ حَاجَتَهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - ١١٥٣

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - أَنَّهُ قَالَ « وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَهُودِيٌّ وَلَا نَصْرَانِيٌّ ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ » . ١١٥٤

" فِيهِ نَسْخُ الْمَلَلِ كُلِّهَا بِرِسَالَةِ نَبِيِّنَا ﷺ وَفِي مَفْهُومِهِ دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّ مَنْ لَمْ تَبْلُغْهُ دَعْوَةُ الْإِسْلَامِ فَهُوَ مَعْدُورٌ وَهَذَا جَارٍ عَلَى مَا تَقَدَّمَ فِي الْأُصُولِ أَنَّهُ لَا حُكْمَ قَبْلَ وُرُودِ الشَّرْعِ عَلَى الصَّحِيحِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

وَقَوْلُهُ ﷺ : (لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ) أَي مِمَّنْ هُوَ مَوْجُودٌ فِي زَمَنِي وَبَعْدِي إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ فَكُلُّهُمْ يَجِبُ عَلَيْهِ الدُّخُولُ فِي طَاعَتِهِ . وَإِنَّمَا ذَكَرَ الْيَهُودِيَّ وَالنَّصْرَانِيَّ تَنْبِيْهُا عَلَى مَنْ سِوَاهُمَا وَذَلِكَ لِأَنَّ الْيَهُودَ وَالنَّصْرَانِيَّ لَهُمْ كِتَابٌ فَإِذَا كَانَ هَذَا شَأْنُهُمْ مَعَ أَنَّ لَهُمْ كِتَابًا فَغَيْرُهُمْ مِمَّنْ لَا كِتَابَ لَهُ أَوْلَى . وَاللَّهُ أَعْلَمُ . ١١٥٥

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - « تَضَمَّنَ اللَّهُ لِمَنْ خَرَجَ فِي سَبِيلِهِ لَا يُخْرِجُهُ إِلَّا جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَإِيمَانًا بِي وَتَصَدِيقًا بِرُسُلِي فَهُوَ عَلَى ضَامِنٍ أَنْ أُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ أَوْ أَرْجِعَهُ إِلَى مَسْكَنِهِ الَّذِي خَرَجَ مِنْهُ نَاتِلًا مَا نَالَ مِنْ أَجْرٍ أَوْ غَنِيمَةٍ . وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ مَا مِنْ كَلِمٍ يُكَلِّمُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ إِلَّا جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَهَيْئَتِهِ حِينَ كَلِمَ لَوْثُهُ لَوْ نُ دِمَ وَرِيحُهُ مِسْكٌ وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَوْ لَأَنَّ يَشُقُّ عَلَى الْمُسْلِمِينَ مَا قَعَدْتُ خِلَافَ

١١٥٣ - صحيح البخارى - المكثر - (٤٣٠٤)

١١٥٤ - صحيح مسلم - المكثر - (٤٠٣)

١١٥٥ - شرح النووي على مسلم - (١ / ٢٧٩)

سَرِيَّةٍ تَعَزُّو فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَبَدًا وَلَكِنْ لَا أَجْدُ سَعَةً فَأَحْمِلُهُمْ وَلَا يَجِدُونَ سَعَةً وَيَشْتَقُّ عَلَيْهِمْ
أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنِّي وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَوَدِدْتُ أَنِّي أَغْزُو فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَأُقْتَلُ ثُمَّ أَغْزُو
فَأُقْتَلُ ثُمَّ أَغْزُو فَأُقْتَلُ». ١١٥٦

ضمن الله تعالى والتزم - كرمًا منه وفضلا- أن من خرج يقاتل في سبيله مخلصًا نيته عن
الأغراض الدنيوية، من غنيمة، أو عصبية، أو شجاعة، أو حُب للشهرة، أو الذكر. بل
لمجرد الإيمان بالله تعالى الذي وعد المجاهدين بالثبوت، وتصديقا برسله الذين بلغوا عنه وعده
الكريم، فالله ضامن له دخول الجنة، إن قتل أو مات في سبيله. أو يرجعه إلى مسكنه وأهله
نائلًا الأجر العظيم، أو حاصلًا له الحسنيين، الأجر والغنيمة. والله لا يخلف الميعاد.

وفي هذا الحديث جود الله تعالى وكرب، إذ ألزم نفسه بهذا الجزاء الكبير
للمجاهدين. وفضل الجهاد في سبيل الله، إذ تحقق ربه العظيم. فإما الشهادة العظمى التي
تتيل صاحبها المقامات العالية مع النبيين والصدقيين. وإما الرجوع إلى مسكنه بجزييل
الحسنات، وتكفير السيئات.

وإن كان معه غنيمة، فذلك فضل الله، يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم.

وقال ابن دقيق العيد: فيه دليل على أنه لا يحصل هذا الثواب إلا لمن صحت نيته وخلصت
من شوائب إرادة الأغراض الدنيوية. وقال الطبري: - إذا كان أصل الباعث هو إعلاء
كلمة الله فلا يفره ما عرض له بعد ذلك. ١١٥٧

" وَفِيهِ : مَا كَانَ عَلَيْهِ ﷺ مِنَ الشَّفَقَةِ عَلَى الْمُسْلِمِينَ وَالرَّأْفَةِ بِهِمْ ، وَأَنَّهُ كَانَ يَتْرُكُ بَعْضَ
مَا يَخْتَارُهُ لِلرَّفْقِ بِالْمُسْلِمِينَ ، وَأَنَّهُ إِذَا تَعَارَضَتِ الْمَصَالِحُ بَدَأَ بِأَهْمَهَا . وَفِيهِ : مُرَاعَاةُ
الرَّفْقِ بِالْمُسْلِمِينَ ، وَالسَّعْيِ فِي زَوَالِ الْمَكْرُوهِ وَالْمَشَقَّةِ عَنْهُمْ .

وَفِيهِ : فَضِيلَةُ الْعَزْوِ وَالشَّهَادَةِ ، وَفِيهِ : تَمَنِّيُ الشَّهَادَةِ وَالْخَيْرِ ، وَتَمَنِّيُ مَا لَا يُمَكِّنُ فِي

١١٥٦ - صحيح مسلم - المكثر - (٤٩٦٧) - الكلم : الجرح

١١٥٧ - تيسير العلام شرح عمدة الحكام - للبسام - (٢ / ٢٣١)

العَادَةُ مِنَ الْخَيْرَاتِ ، وَفِيهِ : أَنَّ الْجِهَادَ فَرَضَ كِفَايَةً^{١١٥٨} لَأَنَّ فَرَضَ عَيْنٍ .^{١١٥٩}

الخلاصة :

- (١) يجوز الحلف بأسماء الله تعالى وصفاته ، أو ما دلَّ على ذاته .
- (٢) يستخدم الحلف للتأكيد على وجود الشيء أو نفيه أو على حله أو تحريمه ونحو ذلك .
- (٣) كان النبي ﷺ يكثر من الحلف أثناء التعليم للتأكيد ما يريد تعليمه لأصحابه .
- (٤) ينبغي الاقتداء بالرسول ﷺ في جميع مجالات التعليم .

[٤٩] إمساكه ﷺ بيد المخاطب أو منكبه لإشارة انتباهه :

وتارةً كان ﷺ يُثيرُ انتباهَ المخاطبِ بأخذِ يدهِ أو منكبه، ليزدادَ اهتمامُهُ بما يُعلِّمه، ويلقِي إليه سمعه وبصره وقلبه، ليكون أوعى له وأذكُر .

عن عبد الله بن مسعودٍ قال : عَلَّمَنِي رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - التَّشَهُدَ كَفَى بَيْنَ كَفَيْهِ كَمَا يُعَلِّمُنِي السُّورَةَ مِنَ الْقُرْآنِ : « التَّحِيَّاتُ لِلَّهِ وَالصَّلَوَاتُ وَالطَّيِّبَاتُ ، السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ ، السَّلَامُ عَلَيْنَا وَعَلَى عِبَادِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ . » وَهُوَ بَيْنَ ظَهْرَانَيْهِمْ ، فَلَمَّا قُبِضَ قُلْنَا : السَّلَامُ عَلَى النَّبِيِّ .^{١١٦٠}

(كما يُعلِّمُنِي السُّورَةَ مِنَ الْقُرْآنِ) هذه العبارة تُصوِّرُ شِدَّةَ اهْتِمَامِ النَّبِيِّ ﷺ بتعليم هذا التشهُد . وفي الحديث من أمور التعليم : أَنَّ المَعْلَمَ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يُيَدِيَ الْاهْتِمَامَ بِالْأَمْرِ

^{١١٥٨} - يقصد جهاد الطلب ، وليس جهاد الدفع ، لأنه جهاد الدفع الجهاد فيه فرض عين بالإجماع .

^{١١٥٩} - شرح النووي على مسلم - (٦ / ٣٥٣)

^{١١٦٠} - السنن الكبرى للبيهقي - حيدر آباد - (٢ / ١٣٨)(٢٩٣٤) وصحيح البخارى - المكثر - (٦٢٦٥) وصحيح

مسلم - المكثر - (٩٢٨)

الهام يُعلِّمه للمستفيدين ، وأن يُشعرهم بذلك ، لِيُلْقُوا إِلَيْهِ بِسَمْعِهِمْ وَبَصَرِهِمْ وَقُلُوبِهِمْ ، وليكونوا على كمالِ التيقُّظِ فيما يَتَحَمَّلُونَهُ عَنْهُ ، فَيَضْبِطُوا لَفْظَهُ وَفَعْلَهُ وَإِشَارَتَهُ وَعِبَارَتَهُ ، دون زيادةٍ أو نقصٍ أو تغييرٍ أو تبديلٍ أو تماؤُنٍ وفيه أيضاً : التعليمُ والتلقينُ في حالةٍ مذكَّرةٍ ، من شدة القرب ، والأخذ بيد المتعلِّم ، لِيَزِدَادَ انتباهه بما يُعلِّمه ، وليكون أذكُرَ لما يُلقى إليه ، من تعليمه بخطابٍ عامٍّ وحالٍ عاديةٍ وفيه زيادةٌ عناية المتعلِّم ببعض المتعلِّمين لفرط ذكائهم ، أو توسُّم الخير فيهم ، أو لَمَحِّ مَخَايِلِ الرَّجَاحَةِ وَالْأَصَالَةِ فِيهِمْ ١١٦١ .

وَعَنْ سُلَيْمَانَ الْأَعْمَشِ قَالَ: حَدَّثَنِي مُجَاهِدٌ، عَنْ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِيَدِي ، فَقَالَ: " كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ " قَالَ: وَقَالَ ابْنُ عُمَرَ: " إِذَا أَصْبَحْتَ فَلَا تَنْتَظِرُ الْمَسَاءَ ، وَإِذَا أَمْسَيْتَ فَلَا تَنْتَظِرُ الصُّبْحَ ، وَخُذْ مِنْ حَسَنَاتِكَ لِمَسَاوِيكَ " ١١٦٢

وَعَنْ ابْنِ عُمَرَ ، قَالَ : أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِيَدِي أَوْ قَالَ بِيَدِي ، فَقَالَ : كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ ، أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ ، قَالَ : فَكَانَ ابْنُ عُمَرَ ، يَقُولُ : إِذَا أَصْبَحْتَ ، فَلَا تَنْتَظِرُ الْمَسَاءَ ، وَإِذَا أَمْسَيْتَ فَلَا تَنْتَظِرُ الصُّبْحَ ، وَخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ لِمَرَضِكَ ، وَمَنْ حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ " ١١٦٣

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ ، قَالَ : أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِيَدِي فَقَالَ : اعْبُدِ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ ، وَكُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ ، أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ . " ١١٦٤

وَعَنْ ابْنِ عُمَرَ ، قَالَ : أَخَذَ النَّبِيُّ ﷺ بِيَدِي فَقَالَ : يَا عَبْدَ اللَّهِ ، كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ ، وَاعْدُدْ نَفْسَكَ مِنْ أَهْلِ الْقُبُورِ " ١١٦٥

١١٦١ - الرسول المعلم ﷺ وأساليبه في التعليم لأي غدة - (١ / ١٤٣)

١١٦٢ - السنن الكبرى للبيهقي - حيدر آباد - (٣ / ٣٦٩) (٦٧٤٧) وصحيح البخاري - المكتز - (٦٤١٦)

١١٦٣ - صحيح ابن حبان - (٢ / ٤٧٢) (٦٩٨) صحيح

١١٦٤ - مسند أحمد (عالم الكتب) - (٢ / ٥٢٧) (٦١٥٦) صحيح

١١٦٥ - المعجم الكبير للطبراني - (١١ / ١١٩) (٨٨) صحيح لغيره

(وَعَدَّ نَفْسَكَ مِنْ أَهْلِ الْقُبُورِ) لَأَنَّكَ مَيِّتٌ يَقِينًا ، وَالْمَوْتُ كَامِنٌ فِي بُنْيَتِكَ وَكِيَانِكَ ،
ولأنك تشهد بعينيك الناس من أقارب وأبعد يموتون يوماً بعد يوم ، فلا بُدَّ أن يكون لك
يوم . وقد كان سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول : كلَّ يوم يقال : مات فلان
وفلان ، ولا بُدَّ من يومٍ يقال فيه : مات عمر . فنحن كما قال القائل :

نموتُ ونحيا كلَّ يومٍ وليلةٍ ولا بد من يومٍ نموتُ ولا نحيا

وقد تدرج النبي ﷺ في تذكير عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ، فذكر له الغريب ، ثم
عابر السبيل ، ثم ساكن القبور . فالغريب المنتقل من بلد إلى بلد ، قلبه معلقٌ بوطنه ، لا
يُثقل على نفسه بالتوسع في أمتعته لعزمه العودة إلى بلده ، فلا يستقر بدار غربته إلا بقدر
الضرورة أو الحاجة .

وعابر السبيل أي المارُّ على الطريق من جانب إلى جانب ، لا أرب له إلا فيما يُبلِّغُه إلى
مقصده فلا يلتفتُ إلى شيء يُحوِّله عنه ، ولا يُغريه بالتوقف بستانٍ جميل ، ولا هواءٍ ليليل ،
ولا ظلٍ ظليل .

وساكن القبور هم الموتى الذين سبقوا إلى لقاء الله تعالى ، ومصيرُ الأحياء إلى ما صاروا
إليه ، فلذا كان عبد الله بن عمر يقول : إذا أمسيتَ فلا تنتظر الصباح ...

قال الحافظ ابن حجر : ((وفي الحديث مَسَّ الْمُعَلِّمِ أَعْضَاءَ الْمُتَعَلِّمِ عِنْدَ التَّعْلِيمِ وَالْمَوْعُوظِ
عِنْدَ الْمَوْعِظَةِ وَذَلِكَ لِلتَّائِسِ وَالتَّنْبِيهِ ، وَلَا يُفَعَّلُ ذَلِكَ غَالِبًا إِلَّا بِمَنْ يَمِيلُ إِلَيْهِ ، وَفِيهِ
مُخَاطَبَةُ الْوَاحِدِ وَإِرَادَةُ الْجَمْعِ ، وَحِرْصَ النَّبِيِّ ﷺ عَلَى إِيْصَالِ الْخَيْرِ لِأُمَّتِهِ ، وَالْحِصْنَ عَلَى
تَرْكِ الدُّنْيَا وَالِاقْتِصَارِ عَلَى مَا لَا بُدَّ مِنْهُ))^{١١٦٦} .

وعن ابن عباسٍ ، أَنَّهُ كَانَ فِي بَيْتِ مَيْمُونَةَ ، فَوَضَعَ لِلنَّبِيِّ ﷺ طَهُورًا ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : مَنْ
وَضَعَهُ؟ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : أَنَا ، فَضَرَبَ عَلَى مَنْكِبِي ، وَقَالَ : اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّينِ ، وَعَلِّمَهُ
التَّأْوِيلَ .^{١١٦٧}

^{١١٦٦} - فتح الباري شرح صحيح البخاري - ط دار المعرفة - (١١ / ٢٣٥)

^{١١٦٧} - المعجم الكبير للطبراني - (٩ / ١٢٨) (١٠٤٦٧) صحيح لغيره

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ؛ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، وَضَعَ يَدَهُ عَلَى كَتِفِي ، أَوْ عَلَى مَنْكِبِي ، شَكَتُ سَعِيدٌ ، ثُمَّ قَالَ : اللَّهُمَّ فَتَقِّهْهُ فِي الدِّينِ ، وَعَلِّمَهُ التَّوْبِيلَ . ١١٦٨

وَعَنْ أَبِي ذَرٍّ ، قَالَ : كُنْتُ أَخْدُمُ النَّبِيَّ ﷺ ، ثُمَّ آتَى الْمَسْجِدَ إِذَا أَنَا فَرَعْتُ مِنْ عَمَلِي ، فَأَضْطَجِعُ فِيهِ ، فَأَتَانِي النَّبِيُّ ﷺ يَوْمًا وَأَنَا مُضْطَجِعٌ ، فَعَمَّرَنِي بِرِجْلِهِ ، فَاسْتَوَيْتُ جَالِسًا فَقَالَ لِي : يَا أَبَا ذَرٍّ ، كَيْفَ تَصْنَعُ إِذَا أُخْرِجْتَ مِنْهَا ؟ فَقُلْتُ : أَرْجِعُ إِلَى مَسْجِدِ النَّبِيِّ ﷺ وَإِلَى بَيْتِي . قَالَ : فَكَيْفَ تَصْنَعُ إِذَا أُخْرِجْتَ مِنْهَا ؟ فَقُلْتُ : إِذْنًا أَخَذَ بِسَيْفِي ، فَأَضْرِبَ بِهِ مَنْ يُخْرِجُنِي . فَجَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ يَدَهُ عَلَى مَنْكِبِي ، فَقَالَ : غَفْرًا يَا أَبَا ذَرٍّ ، ثَلَاثًا ، بَلْ تَنْقَادُ مَعَهُمْ حَيْثُ قَادُوكَ ، وَتَنْسَاقُ مَعَهُمْ حَيْثُ سَاقُوكَ ، وَلَوْ عَبْدًا أَسْوَدَ ، قَالَ أَبُو ذَرٍّ : فَلَمَّا نُفِيتُ إِلَى الرَّبِذَةِ أُقِيمَتِ الصَّلَاةُ ، فَتَقَدَّمَ رَجُلٌ أَسْوَدٌ كَانَ فِيهَا عَلَى نَعَمِ الصَّدَقَةِ ، فَلَمَّا رَأَى أَنِّي أَخَذْتُ لِيَرْجِعَ وَلِيُقَدِّمَنِي ، فَقُلْتُ : كَمَا أَنْتَ ، بَلْ أَنْقَادُ لِأَمْرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ . ١١٦٩

وَعَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْأَدْرِعِ السُّلَمِيِّ ، قَالَ : بَعَثَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى حَاجِزِ يَمِينِ الْمَدِينَةِ فِي حَاجَةٍ ، فَلَمَّا رَجَعْتُ ذَهَبْتُ مَعَهُ حَتَّى صَعِدَ أَحَدًا فَأَشْرَفَ عَلَى الْمَدِينَةِ ، فَقَالَ : وَيْلٌ أُمَّكَ قَرِيئَةً ، يَدْعُكَ أَهْلُكَ وَأَنْتِ خَيْرٌ مَا يَكُونُ ، ثُمَّ نَزَلَ وَنَزَلْتُ مَعَهُ حَتَّى أَتَيْنَا بَابَ الْمَسْجِدِ ، فَرَأَى رَجُلًا يُصَلِّي فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَى مَنْكِبِي فَأَنَارَهُ بِضَوْئِهِ ، فَقَالَ : أَيَقُولُهُ صَادِقًا؟ ، قَالَهَا ثَلَاثًا ، قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، هَذَا وَهَذَا أَعْبُدُ أَهْلَ الْمَدِينَةِ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : اتَّقِ ، لَا تُسْمِعْهُ فَتُهْلِكَ قَالَهَا ثَلَاثًا . ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى رَضِيَ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ الْيُسْرَ ، وَكَرِهَ لَهَا الْعُسْرَ قَالَهَا ثَلَاثًا . ١١٧٠

وَعَنْ رَجَاءِ بْنِ أَبِي رَجَاءٍ قَالَ : دَخَلَ بُرَيْدَةُ الْأَسْلَمِيُّ الْمَسْجِدَ وَمُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ بَابِ الْمَسْجِدِ قَالَ بُرَيْدَةُ : وَكَانَ فِيهِ مَزَاحًا أَلَا تُصَلِّي كَمَا يُصَلِّي سُكْبَةُ ، فَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ رَضِي اللَّهِ عَنْهُ : إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَخَذَ بِيَدِي ، فَصَعِدَ عَلَيَّ أَحَدًا ، فَأَشْرَفَ عَلَى الْمَدِينَةِ ، فَقَالَ

١١٦٨ - مسند أحمد (عالم الكتب) - (١ / ٦٩٥) (٢٣٩٧) صحيح

١١٦٩ - مسند أحمد (عالم الكتب) - (٧ / ١٤٥) (٢١٢٩١) (٢١٦١٦) - حسن

١١٧٠ - المعجم الكبير للطبراني - (١٥ / ٢٣٢) (١٧٠٩١) - حسن

: وَيَلُ أُمَّهَا مَدِينَةً يَدْعُهَا أَهْلُهَا وَهِيَ خَيْرٌ مَا كَانَتْ وَأَعْمَرُهَا يَأْتِيهَا الدَّجَالُ فَيَجِدُ عَلَى كُلِّ بَابٍ مِنْ أَبْوَابِهَا مَلَكًا مُصَلِّيًا بِجَنَاحَيْهِ فَلَا يَدْخُلُهَا ، ثُمَّ نَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ آخِذٌ بِيَدِي ، فَدَخَلَ الْمَسْجِدَ ، فَإِذَا رَجُلٌ يُصَلِّي ، فَقَالَ : مَنْ هَذَا ؟ فَأَنْتَيْتُ عَلَيْهِ خَيْرًا ، فَقَالَ : اسْكُتْ لَا تُسْمِعْهُ فَتَهْلِكَهُ ، ثُمَّ أَتَى بَابَ حُجْرَةِ امْرَأَةٍ مِنْ نِسَائِهِ فَفَضَّ يَدَهُ مِنْ يَدِي ، ثُمَّ قَالَ : إِنْ خَيْرَ دِينِكُمْ أَيْسَرُهُ إِنْ خَيْرَ دِينِكُمْ أَيْسَرُهُ ١١٧١

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ إِنِّي لَوَاقِفٌ فِي قَوْمٍ ، فَدَعَا اللَّهُ لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ وَقَدْ وُضِعَ عَلَى سَرِيرِهِ ، إِذَا رَجُلٌ مِنْ خَلْفِي قَدْ وَضَعَ مِرْفَقَهُ عَلَى مَنْكِبِي ، يَقُولُ رَحِمَكَ اللَّهُ ، إِنْ كُنْتُ لَأَرْجُو أَنْ يَجْعَلَكَ اللَّهُ مَعَ صَاحِبَيْكَ ، لِأَنِّي كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُ أَسْمَعُ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - يَقُولُ كُنْتُ وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ ، وَفَعَلْتُ وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ ، وَأَنْطَلَقْتُ وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ . فَإِنْ كُنْتُ لَأَرْجُو أَنْ يَجْعَلَكَ اللَّهُ مَعَهُمَا . فَالْتَفْتُ فَإِذَا هُوَ عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ . ١١٧٢

ومن هذا الباب أيضاً ضربُ النبي ﷺ على فخذٍ بعضِ أصحابه في بعضِ الأحيان .

عَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ الْبَرَاءِ ، قَالَ : أَخْرَأَ ابْنُ زِيَادٍ الصَّلَاةَ ، فَأَتَانِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الصَّامِتِ ، فَالْقَيْتُ لَهُ كُرْسِيًّا ، فَجَلَسَ عَلَيْهِ ، فَذَكَرْتُ لَهُ صَبِيحَ ابْنِ زِيَادٍ ، فَعَضَّ عَلَى شَفْتِهِ ، ثُمَّ ضَرَبَ بِيَدِهِ عَلَى فِخْذِي ، وَقَالَ : إِنِّي سَأَلْتُ أَبَا ذَرٍّ ، فَضَرَبَ فِخْذِي كَمَا ضَرَبْتُ فِخْذَكَ ، فَقَالَ : إِنِّي سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَمَا سَأَلْتَنِي ، وَضَرَبَ فِخْذِي ١١٧٣ كَمَا ضَرَبْتُ فِخْذَكَ ، فَقَالَ : صَلِّ الصَّلَاةَ لَوْ قَتَيْتَهَا ، فَإِنْ أَدْرَكَتَ مَعَهُمْ فَصَلِّ ، وَلَا تَقُلْ : إِنِّي قَدْ صَلَّيْتُ فَلَا أُصَلِّي . ١١٧٤

" قوله : ((صل الصلاة لوقتها)) ؛ يعني : الأفضل ، بدليل قوله : ((فإن أدركتها معهم

١١٧١ - الآحاد والثاني - (٤ / ٢٢٥) (٢٣٨٣) صحيح

١١٧٢ - صحيح البخاري - المكثر - (٣٦٧٧)

١١٧٣ - قال الإمام النووي في ((شرح صحيح مسلم)) : قوله : فضرب على فخذِي ، أي للتبنيه وجمعُ الدهن على ما

يقوله)) .

١١٧٤ - صحيح ابن حبان - (٦ / ١٦٦) (٢٤٠٦) وصحيح مسلم - المكثر - (١٥٠١)

((أي : في الوقت . وبدليل قوله : " فَإِنْ صَلَّيْتَ لَوْ قَتَلْتَهَا كَانَتْ لَكَ نَافِلَةٌ)) ؛ أي :
زيادة في العمل والثواب .

وقوله : ((وإلا كنت قد أحرزت صلاتك)) ؛ أي : فعلتها في وقتها ، وعلى ما يجب
أداؤها . وفيه : جواز فعل الصلاة مرتين . ومحمل النهي عن إعادة الصلاة : على إعادة
من غير سبب . وتأخير ابن زياد الصلاة على رأي بني أمية في تأخيرهم الصلوات .
وضرب النبي ﷺ على فخذ أبي ذر تنبيه له على الاستعداد لقبول ما يلقي إليه .

وقوله : ((ولا تقل إني قد صليت فلا أصلي)) ؛ فهاه عن إظهار خلاف على الأئمة ،
ولذلك قال : " إن خليلي أوصاني أن أسمع وأطيع ، وإن كان عبداً مُجَدَّعَ
الأطراف " .^{١١٧٥}

وَعَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ اسْتَعْمَلَنِي قَالَ فَضَرَبَ بِيَدِهِ عَلَيَّ
مَنْكِبِي ثُمَّ قَالَ : « يَا أَبَا ذَرٍّ إِنَّكَ ضَعِيفٌ وَإِنَّهَا أَمَانَةٌ وَإِنَّهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِزْبِي وَنَدَامَةٌ إِلَّا مَنْ
أَخَذَهَا بِحَقِّهَا وَأَدَّى الَّذِي عَلَيْهِ فِيهَا » .^{١١٧٦}

" هَذَا الْحَدِيثُ أَصْلُ عَظِيمٍ فِي اجْتِنَابِ الْوَلَايَاتِ ، لَا سِيَّمَا لِمَنْ كَانَ فِيهِ ضَعْفٌ عَنِ الْقِيَامِ
بِوَطَائِفِ تِلْكَ الْوَلَايَةِ ، وَأَمَّا الْخِزْيُ وَالنَّدَامَةُ فَهُوَ حَقٌّ مَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلًا لَهَا ، أَوْ كَانَ أَهْلًا
وَلَمْ يَعْدِلْ فِيهَا فَيُخْزِيهِ اللَّهُ تَعَالَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَفْضَحُهُ ، وَيَنْدَمُ عَلَى مَا فَرَّطَ ، وَأَمَّا مَنْ
كَانَ أَهْلًا لِلْوَلَايَةِ ، وَعَدَلَ فِيهَا ، فَلَهُ فَضْلٌ عَظِيمٌ ، تَظَاهَرَتْ بِهِ الْأَحَادِيثُ الصَّحِيحَةُ
كَحَدِيثِ : " سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمْ اللَّهُ " وَالْحَدِيثُ الْمَذْكُورُ هُنَا عَقِبَ هَذَا (أَنَّ الْمُقْسِطِينَ عَلَى
مَنَابِرٍ مِنْ نُورٍ) وَغَيْرِ ذَلِكَ ، وَإِجْمَاعُ الْمُسْلِمِينَ مُنْعَقِدٍ عَلَيْهِ ، وَمَعَ هَذَا فَلِكثْرَةِ الْخَطَرِ
فِيهَا حَدْرَهُ ﷺ مِنْهَا ، وَكَذَا حَدْرُ الْعُلَمَاءِ ، وَامْتَنَعَ مِنْهَا خَلَائِقُ مِنَ السَّلَفِ ، وَصَبَرُوا
عَلَى الْأَذَى حِينَ امْتَنَعُوا " .^{١١٧٧}

وقال الطحاوي : : " إِلَّا مَنْ أَخَذَهَا بِحَقِّهَا ، وَأَدَّى الَّذِي عَلَيْهِ فِيهَا " أَنْ مَنْ كَانَ كَذَلِكَ

^{١١٧٥} - المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم - (٥٩ / ٦)

^{١١٧٦} - السنن الكبرى للبيهقي - حيدر آباد - (٩٥ / ١٠) (٢٠٧٠٧) وصحيح مسلم - المكثر - (٤٨٢٣)

^{١١٧٧} - شرح النووي على مسلم - (٢٩٦ / ٦)

، فَلَيْسَ مِمَّنْ لَحِقَهُ فِي ذَلِكَ نَهْيٌ ، وَلَا لَحِقَتْهُ فِيهِ كَرَاهَةٌ ، وَأَنَّ الْكَرَاهَةَ لِذَلِكَ إِنَّمَا تَلْحَقُ الْمُتَعَرِّضِينَ لَهُ ، الطَّالِبِينَ لَوْلَايَتِهِ .^{١١٧٨}

الخلاصة :

- (١) وضع اليد على منكب المتعلم أو ضربه ضرباً خفيفاً لتنبيهه سنة من سنن المصطفى ﷺ التعليمية .
- (٢) لا بأس باستخدام مثل هذا الأسلوب في التعليم ، فهو يعد الملل ، وينبه طالب العلم إلى ما يلقي عليه ، ويجعله أكثر حفظاً له .
- (٣) الضرب هنا ليس مقصوداً لذاته ، فهو ليس من باب العقوبة ، بل من باب المحبة .

[٥٠] إبهامه ﷺ الشيء لحمل السامع على الاستكشاف عنه للترغيب فيه أو الزجر عنه :

وتارةً كان ﷺ يُبهم الشيء ترغيباً فيه لحمل السامع على الاستكشاف عنه فيكون أوقع في نفسه وأحض له على إتيانه .

وتقدمت بعض الأمثلة سابقاً مثل حديث والله لا يؤمن ... وحديث السؤال عن النخلة، وغير ذلك، ومنها ما جاء عن الزهري، قال: أخبرني أنس بن مالك، قال: كنا جلوساً عند النبي ﷺ، فقال: " يَطْلُعُ عَلَيْكُمُ الْآنَ مِنْ هَذَا الْفَجِّ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ "، قَالَ: فَطَلَعَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ تَنْطَفُ لِحَيْتُهُ مِنْ وَضُوئِهِ وَقَدْ عَلَّقَ نَعْلَيْهِ فِي يَدِهِ الشِّمَالِ فَسَلَّمَ، فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْعَدِ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ مِثْلَ ذَلِكَ، فَطَلَعَ الرَّجُلُ عَلَيَّ مِثْلَ صَرَّتِهِ الْأُولَى، فَلَمَّا كَانَ الْيَوْمَ الثَّلَاثُ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ مِثْلَ مَقَالَتِهِ أَيْضًا، فَطَلَعَ الرَّجُلُ عَلَيَّ مِثْلَ حَالَتِهِ الْأُولَى، فَلَمَّا قَامَ النَّبِيُّ ﷺ تَبِعَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ، فَقَالَ: إِنِّي لَأَحِبُّ أَبِي فَأَقْسَمْتُ أَنْ

^{١١٧٨} - شرح مشكل الآثار - (١ / ٤٦) (٥٧)

لَا أَدْخُلُ عَلَيْهِ ثَلَاثًا، فَإِنْ رَأَيْتَ أَنْ تُؤْوِيَنِي إِلَيْكَ حَتَّى تَمْضِيَ الثَّلَاثَ فَعَلْتَ؟ قَالَ: "نَعَمْ"، قَالَ أَنَسٌ: وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ يَعْنِي ابْنَ عَمْرٍو يُحَدِّثُ أَنَّهُ: بَاتَ مَعَهُ ثَلَاثَ لَيَالٍ، قَالَ: فَلَمْ يَرَهُ يَوْمًا مِنَ اللَّيْلِ شَيْئًا غَيْرَ أَنَّهُ إِذَا تَعَارَضَ مِنَ اللَّيْلِ، وَتَقَلَّبَ عَلَى فِرَاشِهِ ذَكَرَ اللَّهُ^{١٧٩}، وَكَبَّرَهُ حَتَّى يَقُومَ لِصَلَاةِ الْفَجْرِ غَيْرَ أَنَّهُ إِذَا تَعَارَى مِنَ اللَّيْلِ لَا يَقُولُ إِلَّا خَيْرًا. قَالَ: فَلَمَّا مَضَتْ الثَّلَاثُ لَيَالٍ وَكَدْتُ أَحْتَقِرُ عَمَلَهُ، قُلْتُ: يَا عَبْدَ اللَّهِ^{١٨٠}، لَمْ يَكُنْ بَيْنِي وَبَيْنَ وَالِدِي غَضَبٌ وَلَا هَجْرَةٌ، وَلَكِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: "يَطْلُعُ الْآنَ عَلَيْكُمْ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ"، فَطَلَعْتُ أَنْتَ الثَّلَاثَ مَرَّاتٍ فَأَرَدْتُ أَنْ آوِيَ إِلَيْكَ، فَأَنْظِرْ مَا عَمَلِكَ فَلَمْ أَرَكَ تَعْمَلُ كَثِيرَ عَمَلٍ، فَلَمَّا وُلِّيتُ دَعَانِي، فَقَالَ: مَا هُوَ إِلَّا مَا رَأَيْتَ غَيْرَ أَنِّي لَا أَجِدُ فِي نَفْسِي عَلَى أَحَدٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ غَشًّا، وَلَا أَحْسُدُهُ عَلَى خَيْرٍ أَعْطَاهُ اللَّهُ إِيَّاهُ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ: فَهَذِهِ النَّبِيُّ بَلَغَتْ بِكَ وَهِيَ النَّبِيُّ لَا تُطَاقُ"^{١٨١}.

وَعَنِ الزُّهْرِيِّ، قَالَ: أَخْبَرَنِي أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ قَالَ: كُنَّا جُلُوسًا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: يَطْلُعُ عَلَيْكُمْ الْآنَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَطَلَعَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ^{١٨٢}، تَنْطِفُ لِحْيَتُهُ مِنْ

^{١٧٩} يقال: تعار فلان: أرقى وتقلب في فراشه ليلاً مع كلام وصوت.

^{١٨٠} ناداه بأعم أسمائه، فإن الخلق كلهم عبد الله، قلت: لو كان هو الصحابي الجليل سعد بن أبي وقاص، ما ناداه باسم مجهول.

^{١٨١} - شعب الإيمان - (٩ / ٨) (٦١٨١) صحيح

^{١٨٢} - وفي بعض الروايات ذكر أنه سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه كما في البداية والنهاية لابن كثير - موافقة للمطبوع - (٨ / ٨٠) وسير أعلام النبلاء - (١ / ١٠٩) وفيه مبهم

وفي مسأوي الأَخْلَاقِ لِلْخَرَائِطِيِّ (٧٢٤) حَدَّثَنَا الْعَبَّاسُ بْنُ مُحَمَّدٍ الدُّورِيُّ، ثنا يُونُسُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْمُؤَدِّبُ، ثنا صَالِحُ الْمُرِّي، ثنا عَمْرُو بْنُ دِينَارٍ، عَنْ سَالِمِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ أَبِيهِ، وَصَالِحِ الْمُرِيِّ ضَعِيفٌ

وفي كشف الأستار - (٢ / ٤٠٩) (١٩٨١) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ الْأَهْوَازِيُّ، حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ خَالِدٍ، حَدَّثَنَا ابْنُ لَهَيْعَةَ، عَنْ عَقْبِلِ، أَنَّهُ سَمِعَ ابْنَ شِهَابٍ، يُخْبِرُ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ح وَحَدَّثَنَا زُهَيْرُ بْنُ مُحَمَّدٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ، عَنْ الزُّهْرِيِّ، عَنْ أَنَسِ، وَاللَّفْظُ لَفْظُ عَقْبِلِ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ أَنَسِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ يَوْمَ مَا لِأَصْحَابِهِ: يَدْخُلُ مِنْ هَهُنَا رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، قَالَ مَعْمَرٌ فِي حَدِيثِهِ: تَنْطِفُ لِحْيَتُهُ مِنْ وَضُوءِ تَوَضَّأَهُ، مُعْلَقٌ نَعْلَيْهِ، فَدَخَلَ سَعْدٌ..... قلت: وسعد غير معروف من هو على الصحيح، والخلط من ابن لهيعة، والصواب رجل من الأنصار غير معروف الاسم، وهو المشهور وأنسب للقصة.

وُضُوئِهِ ١١٨٣ ، قَدْ تَعَلَّقَ نَعْلَيْهِ فِي يَدِهِ الشَّمَالِ ١١٨٤ ، فَلَمَّا كَانَ الْعَدُّ ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ ، مِثْلَ ذَلِكَ ، فَطَلَعَ ذَلِكَ الرَّجُلُ مِثْلَ الْمَرَّةِ الْأُولَى . فَلَمَّا كَانَ الْيَوْمَ الثَّلَاثُ ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ ، مِثْلَ مَقَالَتِهِ أَيْضًا ، فَطَلَعَ ذَلِكَ الرَّجُلُ عَلَى مِثْلِ حَالِهِ الْأُولَى ، فَلَمَّا قَامَ النَّبِيُّ ﷺ تَبِعَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ فَقَالَ : إِنِّي لَأَحْيَيْتُ أَبِي فَأَقْسَمْتُ أَنْ لَا أُدْخَلَ عَلَيْهِ ثَلَاثًا ، فَإِنْ رَأَيْتُ أَنْ تُؤْوِيَنِي إِلَيْكَ حَتَّى تَمْضِيَ فَعَلْتَ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، قَالَ أَنَسٌ : وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ يُحَدِّثُ أَنَّهُ بَاتَ مَعَهُ تِلْكَ اللَّيَالِي الثَّلَاثَ ، فَلَمْ يَرَهُ يَقُومُ مِنَ اللَّيْلِ شَيْئًا ، غَيْرَ أَنَّهُ إِذَا تَعَارَّ وَتَقَلَّبَ عَلَى فِرَاشِهِ ذَكَرَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ وَكَبَّرَ ، حَتَّى يَقُومَ لِصَلَاةِ الْفَجْرِ . قَالَ عَبْدُ اللَّهِ : غَيْرَ أَنِّي لَمْ أَسْمَعُهُ يَقُولُ إِلَّا خَيْرًا ، فَلَمَّا مَضَتْ الثَّلَاثُ لَيَالٍ وَكَدْتُ أَنْ أَحْقِرَ عَمَلَهُ ، قُلْتُ : يَا عَبْدَ اللَّهِ إِنِّي لَمْ يَكُنْ بَيْنِي وَبَيْنَ أَبِي غَضَبٌ وَلَا هَجْرٌ ثُمَّ ، وَلَكِنْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ لَكَ ثَلَاثَ مَرَارٍ : يَطْلُعُ عَلَيْكُمْ الْآنَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَطَلَعْتَ أَنْتَ الثَّلَاثَ مَرَارٍ ، فَأَرَدْتُ أَنْ آوِيَ إِلَيْكَ لِأَنْظُرَ مَا عَمَلُكَ ، فَأَقْتَدِي بِهِ ، فَلَمْ أَرَكَ تَعْمَلُ كَثِيرَ عَمَلٍ ، فَمَا الَّذِي بَلَغَ بِكَ مَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، فَقَالَ : مَا هُوَ إِلَّا مَا رَأَيْتَ . قَالَ : فَلَمَّا وَلَّيْتُ دَعَانِي ، فَقَالَ : مَا هُوَ إِلَّا مَا رَأَيْتَ ، غَيْرَ أَنِّي لَا أَجِدُ فِي نَفْسِي لِأَحَدٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ غِشًّا ، وَلَا أَحْسُدُ أَحَدًا عَلَى خَيْرٍ أَعْطَاهُ اللَّهُ إِيَّاهُ . فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ هَذِهِ الَّتِي بَلَغْتَ بِكَ ، وَهِيَ الَّتِي لَا تُطِيقُ. ١١٨٥

قوله : (لاحيت أبي) أي خاصمته وجادلته في أمرٍ . وإنما احتال عبد الله بن عمرو رضي الله تعالى عنه بهذه الطريقة ليتوصل بها إلى الوقوف على عمل ذلك الرجل الصالح فيقتدي به ، وهذا من الحيل المشروعة التي لا تُناقضُ مقاصدَ الشرع .

والضابطُ العام في الحيل المشروعة أنها ما كان المقصودُ بها إحياءَ حقٍّ ، أو دفعَ ظلمٍ ، أو

وأخطأ الشيخ عبد الفتاح أبو غدة عندما جزم بأنه سعد بن أبي وقاص دون أن يمحص الروايات في ذلك ، انظر كتاب

الرسول المعلم ﷺ وأساليبه في التعليم لأبي غدة - (١ / ١٤٦)

١١٨٣ - أي يَقَطُرُ مِنْهَا قَطْرَاتٌ مِنْ مَاءِ الْوُضُوءِ . وَالْوُضُوءُ يَفْتَحُ الْوَاوُ : الْمَاءُ الَّذِي يَتَوَضَّأُ بِهِ .

١١٨٤ - أشار بقوله (علق نعليه بيدشه الشمال) إلى أن الرجل متمثلٌ بالسنة في حملِ الحذاء ، فهو يحملُه باليد اليسرى

كما هي السنة .

١١٨٥ - مسند أحمد (عالم الكتب) - (٤ / ٤٢٩) (١٢٦٩٧) ١٢٧٢٧ - صحيح

فعل واجب ، أو ترك محرم ، أو إحقاق حق ، أو إبطال باطل ، أو جلب محبوب مشروع ، أو دفع مكروه ، أو نحو ذلك مما يُحقق مصلحة مشروعة ولا يُناقض مقصود الشارع الحكيم ، ولا يكون فيه تفويت حق للخالق أو المخلوق^{١١٨٦} .

في هذا الحديث : فضل سعد بن أبي وقاص رضي الله تعالى عنه وشهادة النبي ﷺ له بأنه من أهل الجنة ، وهو أحد العشرة المشهود لهم بالجنة ، وفيه حرص عبد الله بن عمرو رضي الله تعالى عنه على الاقتداء بالصالحين في أعمالهم .

وفيه تعليم النبي ﷺ وترغيبه في الخير والبرِّ بالثناء على أهلها بإمام الأمر على المخاطب ، ليقوم هو بالكشف عنه فيكون أوقع في نفسه ، وفيه فضل تزكية القلب وطهارته من الغلِّ والحسد وأن ذلك من الأعمال التي يستحق المرء بها الجنة^{١١٨٧} .

الخلاصة :

- (١) يجوز للعالم أن ييهم بعض المسائل ليكتشف حال طلابه .
- (٢) في طريقة الإهام تنبيه للسامع ، وتشغيل لعقله لكي يعرف الجواب بنفسه .
- (٣) في إهام اسم الرجل مقصد شرعي ، وهو النظر إلى عمله ، وليس إلى اسمه .
- (٤) وفيه اهتمام الصحابي الجليل عبد الله بن عمرو رضي الله عنها - وكان من أعبد الصحابة - بمعرفة سرِّ شهادة النبي ﷺ له بالجنة ليقتدي به ، وهكذا فليكن طالب العلم
- (٥) وفيه أن من شهد له الرسول ﷺ بالجنة فهو من أهل الجنة بلا ريب .
- (٦) وفيه أن سلامة الصدر من غش المسلمين أو خيانتهم أو حسدهم تكون سبباً للنجاة يوم القيامة قال تعالى : { يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ (٨٨) إِلَّا مَنْ } سبباً للنجاة يوم القيامة قال تعالى : { يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ (٨٨) إِلَّا مَنْ }

^{١١٨٦} - وقد أوسع بيان ذلك بحثاً وتمحيصاً واستدلالاً من الكتاب والسنة وآثار السلف الصالح ، الشيخ العلامة الأستاذ محمد عبد الوهاب البُحيري رحمه الله تعالى في كتابه ((الحيل في الشريعة الإسلامية)) ص ٣٠٣ - ٤٣٢ ، فقِفْ عليه إذا شئت .

^{١١٨٧} - الرسول المعلم ﷺ وأساليبه في التعليم لأي غدة - (١ / ٤٨)

[٥١] إجماله ﷺ الأمر، ثم تفصيله ليكون أوضح وأمكن في الحفظ والفهم:

هذا الأسلوب قد ورد في القرآن الكريم أولاً كما في قوله تعالى : { وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ (١٣٢) أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَيْنَ (١٣٣) وَجَنَاتٍ وَعُيُونٍ (١٣٤) } [الشعراء : ١٣٢ - ١٣٤]

خافوا الله، وامتثلوا ما أدعوكم إليه فإنه أنفع لكم، واحشوا الله الذي أعطاكم من أنواع النعم ما لا خفاء فيه عليكم، أعطاكم الأنعام: من الإبل والبقر والغنم، وأعطاكم الأولاد، وأعطاكم البساتين المثمرة، وفجر لكم الماء من العيون الجارية.^{١١٨٨}

وكما في قصة الأنفال، قال تعالى : { يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ } (١) سورة الأنفال

ثم جاء الجواب بعد آيات كثيرة، وهو قوله تعالى : { وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَأَيْنِ السَّبِيلِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ التَّقِيهِ الْجَمْعَانِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ } (٤١) سورة الأنفال

" ولقد يدهش الإنسان حين يرى أهل بدر يتكلمون في الغنائم وهم إما من المهاجرين السابقين الذين تركوا وراءهم كل شيء، وهاجروا إلى الله بعهديهم، لا يلوون على شيء من أعراض هذه الحياة الدنيا وإما من الأنصار الذين آووا المهاجرين، وشاركوهم ديارهم وأموالهم، لا ييخلون بشيء من أعراض هذه الحياة الدنيا أو كما قال فيهم ربهم :

^{١١٨٨} - التفسير الميسر - (٦ / ٤١١)

«يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا ، وَيُؤْتِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ» .. ولكننا نجد بعض التفسير لهذه الظاهرة في الروايات نفسها. لقد كانت الأنفال مرتبطة في الوقت ذاته بحسن البلاء في المعركة وكانت بذلك شهادة على حسن البلاء وكان الناس - يومئذ - حريصين على هذه الشهادة من رسول الله - ﷺ - ومن الله سبحانه وتعالى ، في أول وقعة يشفي فيها صدورهم من المشركين!

..

ولقد غطى هذا الحرص وغلب على أمر آخر نسيه من تكلموا في الأنفال حتى ذكّرهم الله سبحانه به ، وردهم إليه .. ذلك هو ضرورة السماحة فيما بينهم في التعامل ، والصالح بين قلوبهم في المشاعر حتى أحسوا ذلك في مثل ما قاله عبادة بن الصامت - رضي الله عنه - : «فينا - أصحاب بدر - نزلت حين اختلفنا في النفل ، وساءت فيه أخلاقنا ، فترعه الله من أيدينا ، فجعله إلى رسول الله ﷺ ..».

ولقد أخذهم الله سبحانه بالتربية الربانية قولاً وعملاً. نزع أمر الأنفال كله منهم وردّه إلى رسول الله - ﷺ - حتى أنزل حكمه في قسمة الغنائم بجمليتها ، فلم يعد الأمر حقاً لهم يتنازعون عليه إنما أصبح فضلاً من الله عليهم يقسمه رسول الله بينهم كما علمه ربه ... وإلى جانب الإجراء العملي التربوي كان التوجيه المستطرد الطويل ، الذي بدأ بهذه الآيات ، واستطرد فيما تلاها كذلك.

« يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ . قُلْ : الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ . فَأَتَقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ ، وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ، إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ » ..

لقد كان الهتاف لهذه القلوب التي تنازعت على الأنفال ، هو الهتاف بتقوى الله .. وسبحان خالق القلوب العليم بأسرار القلوب .. إنه لا يرد القلب البشري عن الشعور بأعراض الحياة الدنيا ، والتزاع عليها - وإن كان هذا التزاع متلبساً هنا بمعنى الشهادة بحسن البلاء - إلا استجاشة الشعور بتقوى الله وخوفه وتلمس رضاه في الدنيا والأخرى .. إن قلباً لا يتعلق بالله ، يخشى غضبه ويتلمس رضاه ، لا يملك أن يتخلص من ثقله الأعراض ، ولا يملك أن يرف شاعراً بالانطلاق! إن التقوى زمام هذه القلوب الذي يمكن

عَلَيْهَا شَرًّا^{١١٩١} فَقُلْتُ: " وَجَبَتْ، وَجَبَتْ، وَجَبَتْ " ، فَقَالَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ: " مَنْ أَنْتُمْ عَلَيْهِ خَيْرًا وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ ، وَمَنْ أَنْتُمْ عَلَيْهِ شَرًّا وَجَبَتْ لَهُ النَّارُ، وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي الْأَرْضِ^{١١٩٢}

وَعَنْ أَنَسٍ ، قَالَ : كُنْتُ قَاعِدًا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فَمَرَّ بِجِنَازَةٍ ، فَقَالَ : مَا هَذِهِ ؟ قَالُوا : جِنَازَةُ فُلَانِي الْفُلَانِ كَانَ يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ، وَيَعْمَلُ بِطَاعَةِ اللَّهِ ، وَيَسْعَى فِيهَا ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : وَجَبَتْ ، وَجَبَتْ ، وَجَبَتْ ، وَمَرَّ بِجِنَازَةِ أُخْرَى ، قَالُوا : جِنَازَةُ فُلَانِ الْفُلَانِي كَانَ يُبْغِضُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ، وَيَعْمَلُ بِمَعْصِيَةِ اللَّهِ وَيَسْعَى فِيهَا ، فَقَالَ : وَجَبَتْ ، وَجَبَتْ ، وَجَبَتْ ، فَقَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ قَوْلُكَ فِي الْجِنَازَةِ ، وَالثَّنَاءِ عَلَيْهَا أُثْنِي عَلَى الْأَوَّلِ خَيْرٌ ، وَعَلَى الْآخِرِ شَرٌّ فَقُلْتُ فِيهَا وَجَبَتْ ، وَجَبَتْ ، وَجَبَتْ ، فَقَالَ : نَعَمْ يَا أَبَا بَكْرٍ ، إِنَّ لِلَّهِ مَلَائِكَةً تَنْطِقُ عَلَى أَلْسِنَةِ بَنِي آدَمَ بِمَا فِي الْمَرْءِ مِنَ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ^{١١٩٣}

قوله ﷺ: (أنتم شهداء الله في الأرض) ، خطابٌ منه ﷺ للصحابة رضي الله عنهم ، ولكن قال العلماء : ليس هذا القول الكريم مخصوصاً بهم فحسب ، بل يدخل فيه الصحابة ومن كان صفتهم من المتقين والمتقيات والمؤمنين والمؤمنات .

واختلف العلماء في فهم معنى هذا الحديث الشريف ، قال الإمام النووي^{١١٩٤} ، ونقله عنه الحافظ ابن حجر في ((فتح الباري))^{١١٩٥} : ((قال بعضهم : معنى الحديث أن الثناء بالخير لمن أثنى عليه أهل الفضل والدين ، وكان مطابقاً للواقع ، فهو من أهل الجنة ، فغن كان غير مطابق فلا ، وكذا عكسه .

^{١١٩١} قوله هنا : فأثنيَ عليها خيراً ، ثم قوله بعد قليل : وأثنيَ عليها شراً ، هو بالبناء للمجهول فيهما . والثناء يُستعمل في الخير وفي الشر ، فيقال : أثنتُ عليه خيراً ، وأثنت عليه شراً ، لأنه بمعنى وصفته ، نصَّ عليه جماعة من أئمة اللغة المحققين ، كما بسطه الفيومي في ((المصباح المنير)) في (ثني) ، وغلَطَ من قال : لا يُستعمل الثناء إلا في الخير ، وزعم أنه جاء في الحديث مستعملاً في الشر للازدواج والمشاكلة . وأسهب في تغيظه وأجاد .

^{١١٩٢} - صحيح مسلم - المكتز - (٢٢٤٣) وشرح مشكل الآثار - (٨ / ٣٥٤) (٣٣٠٤)

^{١١٩٣} - المستدرک للحاکم (١٣٩٧) صحيح

^{١١٩٤} - في ((شرح صحيح مسلم)) ٧ : ١٩

^{١١٩٥} - ((فتح الباري)) ٣ : ٢٣١

تعالى الناس الثناء عليه بخير ، كان دليلاً على أنه من أهل الجنة ، سواء كانت أفعاله تقتضي ذلك أم لا ، فإن الأعمال داخلة تحت المشيئة ، فإذا ألهم الله عز وجل الناس الثناء عليه بالخير ، استدللنا بذلك على أنه سبحانه قد شاء المغفرة له .

وبهذا تظفر فائدة الثناء وقوله ﷺ : ((وجبت ، وأنتم شهداء الله في الأرض...)). ولو كان لا ينفعه ذلك إلا أن تكون أعماله تقتضيه لم يكن للثناء عليه فائدة ، وقد أثبت النبي ﷺ له فائدة)). انتهى .

وفي الحديث من الأمور التعليمية : استحبابُ توكيد الكلام المُهم بتكراره ، ليُحفظ ، وليكون أبلغ في نفس سامعه . وفيه من أساليب التعليم : الإجمال ثم البيان ليكون أشوق وأوقع في السمع ، فقد أجمل ﷺ في قوله (وجبت) لكل من الجنازتين ، ثم بين أن = = قوله لذي الخير : (وجبت) أي وجبت له الجنة ، وأن قوله لذي الشر : (وجبت) أي وجبت له النار . والمراد بالوجوب هنا : الثبوت ، لتحقق وقوعه . والأصل أنه لا يجب على الله شيء ، بل الثوابُ فضله ، والعقابُ عدله^{١١٩٦} .

وعن أبي قتادة ، قال : كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ ، إِذْ طَلَعَتْ جَنَازَةٌ ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : مُسْتَرِيحٌ وَمُسْتَرَاخٌ مِنْهُ قُلْنَا : مَا يَسْتَرِيحُ وَيُسْتَرَاخُ مِنْهُ ؟ فَقَالَ ﷺ : الْمُؤْمِنُ يَمُوتُ وَيَسْتَرِيحُ مِنْ أَوْصَابِ الدُّنْيَا^{١١٩٧} وَبِلَائِهَا وَمُصِيبَاتِهَا ، وَالْكَافِرُ يَمُوتُ فَيَسْتَرِيحُ مِنْهُ الْعِبَادُ وَالْبِلَادُ وَالشَّجَرُ وَالذَّوَابُ^{١١٩٨} .

قال الإمام النووي :^{١١٩٩} ((معنى الحديث أن الموتى قسمان : مستريح ، ومستراح منه .

وأما استراحة العباد من الفاجر ، فمعناه اندفاعُ أذاه عنهم ، وأذاه يكون من وجوه ، منها ظلمُهُ لهم ، ومنها ارتكابه للمنكرات ، فإن أنكروها قاسوا مشقةً من ذلك ، وربما نالهم

^{١١٩٦} - الرسول المعلم ﷺ وأساليبه في التعليم لأبي غدة - (١ / ١٥٠)

^{١١٩٧} نَصَبُ الدُّنْيَا : نَعْبُهَا .

^{١١٩٨} - صحيح ابن حبان - (٧ / ٢٧٧) (٣٠٠٧) وصحيح البخارى - المكثر - (٦٥١٢) وصحيح مسلم - المكثر -

(٢٢٤٥)

^{١١٩٩} - ((شرح صحيح مسلم)) ٧ : ٢٠

ضَرَرُهُ ، وإن سكتوا عنه أثموا . واستراحةُ الدوابِّ منه كذلك ، ، لأنه كان يؤذيها ويضربُها ويحملُها ما لا تُطيقه ، ويُجيعها في بعض الأوقات ، وغير ذلك . واستراحةُ البلاد والشجر ، فقيل : لأنها تُمنع القطرَ بمُعصيته ، قاله الداودي وقال الباجي : لأنه يَعْصِبُها وَيَمْنَعُها حَقَّها من الشُّرب وغيره))

ومن الإجمال ثم التفصيل قوله ﷺ في التحذير من أذى الجار ، فعن أبي شريح أن النَّبِيَّ - ﷺ - قَالَ « وَاللَّهِ لَا يُؤْمِنُ ، وَاللَّهِ لَا يُؤْمِنُ ، وَاللَّهِ لَا يُؤْمِنُ » . قِيلَ وَمَنْ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ « الَّذِي لَا يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَائِقِهِ » ١٢٠٠ .

ومن هذا الباب أيضاً قوله ﷺ في التحذير من التقصير في برِّ الوالدين ، فعن أبي هريرة قال قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - : « رَغِمَ أَنْفُهُ ثُمَّ رَغِمَ أَنْفُهُ ثُمَّ رَغِمَ أَنْفُهُ » . قِيلَ مَنْ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : « مَنْ أَدْرَكَ وَالِدَيْهِ عِنْدَ الْكِبَرِ أَحَدَهُمَا أَوْ كِلَيْهِمَا ثُمَّ لَمْ يَدْخُلِ الْجَنَّةَ » . ١٢٠١

وعن جابر بن عبد الله ، قَالَ : لَمَّا بَنَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمِنْبَرَ جَعَلَ لَهُ ثَلَاثَ عَتَبَاتٍ ، فَلَمَّا صَعَدَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْعَتَبَةَ الْأُولَى ، قَالَ : " آمِينَ " ، ثُمَّ صَعَدَ الْعَتَبَةَ الثَّانِيَةَ ، فَقَالَ : " آمِينَ " ، حَتَّى إِذَا صَعَدَ الْعَتَبَةَ الثَّلَاثَةَ ، قَالَ : " آمِينَ " فَقَالَ الْمُسْلِمُونَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ رَأَيْتَكَ تَقُولُ آمِينَ آمِينَ آمِينَ وَلَا تَرَى أَحَدًا ، فَقَالَ ﷺ : " إِنَّ جَبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ صَعَدَ قِبَلِي الْعَتَبَةَ الْأُولَى ، فَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ ، فَقُلْتُ : لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ ، فَقَالَ : مَنْ أَدْرَكَ أَبُوَيْهِ أَوْ أَحَدَهُمَا فَلَمْ يُغْفَرْ لَهُ فَأَبَعَدَهُ اللَّهُ ، قُلْتُ : آمِينَ ، فَقُلْتُ : آمِينَ ، فَلَمَّا صَعَدَ الْعَتَبَةَ الثَّانِيَةَ ، قَالَ : يَا مُحَمَّدُ ، قُلْتُ : لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ ، قَالَ : مَنْ أَدْرَكَ شَهْرَ رَمَضَانَ فَصَامَ نَهَارَهُ ، وَقَامَ لَيْلَهُ ثُمَّ مَاتَ فَلَمْ يُغْفَرْ لَهُ فَدَخَلَ النَّارَ ، فَأَبَعَدَهُ اللَّهُ ، قُلْتُ : آمِينَ ، قُلْتُ : آمِينَ ، فَلَمَّا صَعَدَ الْعَتَبَةَ الثَّلَاثَةَ ، قَالَ : يَا مُحَمَّدُ ، قُلْتُ : لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ ، قَالَ : مَنْ ذُكِرَتْ عِنْدَهُ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيْكَ فَمَاتَ وَلَمْ يُغْفَرْ لَهُ فَدَخَلَ النَّارَ ، فَأَبَعَدَهُ اللَّهُ ، قُلْتُ : آمِينَ ، قُلْتُ : آمِينَ " ١٢٠٢

وعن كعب بن عجرة ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، خَرَجَ يَوْمًا إِلَى الْمِنْبَرِ ، فَقَالَ حِينَ ارْتَقَى

١٢٠٠ - صحيح البخارى - المكثر - (٦٠١٦) - بوائقه : أي شؤره وأذاياه .

١٢٠١ - صحيح مسلم - المكثر - (٦٦٧٥)

١٢٠٢ - شعب الإيمان - (٥ / ٢٣٣) (٣٣٥٠) صحيح لغيره

دَرَجَةً: "آمِينَ، ثُمَّ ارْتَقَى الْأُخْرَى، فَقَالَ: آمِينَ، ثُمَّ ارْتَقَى الثَّالِثَةَ فَقَالَ: آمِينَ"، فَلَمَّا نَزَلَ عَنِ الْمُنْبَرِ وَفَرَّغَ، قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَقَدْ سَمِعْنَا مِنْكَ كَلَامًا الْيَوْمَ مَا كُنَّا نَسْمَعُهُ قَبْلَ الْيَوْمِ؟، قَالَ: "وَسَمِعْتُمُوهُ؟"، قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: "إِنَّ جَبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، عَرَضَ لِي حِينَ ارْتَقَيْتُ دَرَجَةً، فَقَالَ: بَعْدَ، مَنْ أَدْرَكَ أَبُوِيهِ عِنْدَ الْكَبِيرِ أَوْ أَحَدَهُمَا لَمْ يُدْخِلْهُ الْجَنَّةَ، قَالَ: قُلْتُ: آمِينَ، وَقَالَ: بَعْدَ مَنْ ذُكِرَتْ عِنْدَهُ وَلَمْ يُصَلِّ عَلَيْكَ، فَقُلْتُ: آمِينَ، ثُمَّ قَالَ: بَعْدَ مَنْ أَدْرَكَ رَمَضَانَ، فَلَمْ يُعْفَرْ لَهُ، فَقُلْتُ: آمِينَ". ١٢٠٣

قال الإمام القرطبي رحمه الله: "وهذا دعاء مؤكد على من قصر في بر أبيه، ويحتمل وجهين: أحدهما أن يكون معناه: صرعه الله لأنفه فأهلكه، وهذا إنما يكون في حق من لم يتم بما يجب عليه من برهما. وثانيهما أن يكون معناه: أذله الله؛ لأن من أَلصق أنفه - الذي هو أشرف أعضاء الوجه - بالتراب - الذي هو موطئ الأقدام وأخس الأشياء - فقد انتهى من الذل إلى الغاية القصوى، وهذا يصلح أن يدعى به على من فرط في متأكدات المندوبات، ويصلح لمن فرط في الواجبات، وهو الظاهر، وتخصيصه عند الكبير بالذكر - وإن كان برهما واجباً على كل حال - إنما كان ذلك لشدة حاجتهما إليه؛ ولضعفهما عن القيام بكثير من مصالحهما، فيبادر الولد اغتنام فرصة برهما؛ لئلا تفوته بموتهما فيندم على ذلك" ١٢٠٤

وقد خص الله حالة الكبير للوالدين بمزيد من الأمر بالإحسان، والبر، والعطف، والشفقة والرحمة؛ لأنها الحالة التي يحتاجان فيها إلى بره؛ لتغير الحال عليهما بالضعف، والكبر، فألزم سبحانه وتعالى في هذه الحالة من مراعاة أحوالهما أكثر مما ألزمه من قبل؛ لأنهما في هذه الحالة قد صاروا كلا عليه، فيحتاجان أن يلي منهما في الكبر ما كان يحتاج في صغره أن يلياً منه؛ ولهذا خص هذه الحالة بالذكر، وأيضاً فطول المكث للمرء يوجب الاستئصال للمرء عادة، ويحصل الملل، ويكثر الضجر، فيظهر غضبه على أبيه، وتنتفخ لهما أوداجه، ويستطيل عليهما لقلة دينه وضعف بصيرته، وأقل المكروه ما يظهر بتنفسه المتردد من

١٢٠٣ - المعجم الكبير للطبراني - (١٤ / ١٤) (١٥٦٤٧) صحيح لغيره

١٢٠٤ - المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، ٦ / ٥١٨.

الضجر، وقد أمر الله أن يقابلهما بالقول الموصوف بالكرامة وهو السالم عن كل عيب (٢) فقال عَزَّ وَجَلَّ: { وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا } (سورة الإسراء، الآية : ٢٣) وأمره الله عَزَّ وَجَلَّ أن يتواضع لهما ويخفف لهما جناح الذل من الرحمة احتساباً للأجر لا للخوف منهما، وأمره عَزَّ وَجَلَّ أن يدعو لهما بالرحمة أحياناً وأمواتاً، جزاءً على تربيتهم وإحسانهم، فقال عَزَّ وَجَلَّ: { وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّي أَرْحَمُهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا } ١٢٠٥

ومما يقربُ من الأسلوب المتقدم ما كان النبي ﷺ يختاره في التعليم، من الإجمال للمعدودات ثم بيانها واحداً بعد واحد، لتكون أضبط لدى السامع وأعون له على الحفظ والفهم .

فَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِرَجُلٍ وَهُوَ يَعِظُهُ: " اغْتَنِمْ خَمْسًا قَبْلَ خَمْسٍ ، شَبَابِكَ قَبْلَ هَرَمِكَ ، وَصِحَّتِكَ قَبْلَ سَقَمِكَ ، وَغِنَاكَ قَبْلَ فَقْرِكَ ، وَفَرَاغِكَ قَبْلَ شُغْلِكَ ، وَحَيَاتِكَ قَبْلَ مَوْتِكَ " ١٢٠٦

في الحديث التنبيه على أهمية الأمور الخمسة المذكورة وعظم نفعها ، وكل من هذه الأمور الخمسة لا يعرف قدره إلا بعد زواله واحتلال مُقابله مقامه ، وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ - « نِعْمَتَانِ مَعْبُودٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ ، الصِّحَّةُ وَالْفَرَاغُ » ١٢٠٧ .

فينبغي للعالم والمتعلم أن يغتنم الفرص، والفراغ، والصحة، والشباب، والغنى قبل حصول ما يضاد هذه النعم؛ فإنه إذا اغتنمها كتب الله له أعماله عند مفارقة هذه النعم ١٢٠٨

١٢٠٥ - فقه الدعوة في صحيح الإمام البخاري - (٢ / ٤٩٦)

١٢٠٦ - شعب الإيمان - (١٢ / ٤٧٦) (٩٧٦٧) موصولاً مصنف ابن أبي شيبة - (١٩ / ٥٨) (٣٥٤٦٠) مرسلاً

وصحيح الجامع (١٠٧٧) صحيح لغيره

١٢٠٧ - صحيح البخاري - المكثر - (٦٤١٢)

١٢٠٨ - فقه الدعوة في صحيح الإمام البخاري - (٢ / ٤٧٨)

قال حجة الإسلام : الدنيا منزل من منازل السائرين إلى الله تعالى والبدن مركب ومن
ذهل عن تدبير المنزل والمركب لم يتم سفره وما لم ينتظم أمر المعاش في الدنيا لا يتم أمر
التبذل والانقطاع إلى الله الذي هو السلوك.^{١٢٠٩}

وعن أبي هريرة، عن النبي ﷺ ، قال: تُنكح المرأة لأربع: لِمَالِهَا، وَلِحَسَبِهَا، وَلِحَمَالِهَا،
وَدِينِهَا، فَظَفِرُ بَدَاتِ الدِّينِ تَرَبَّتْ يَدَاكَ^{١٢١١} .

قوله : (تربت يدك) أي لصقتنا بالتراب ، وهي كناية عن الفقر ، وهو خبرٌ بمعنى الدعاء ،
لكن لا يُراد به حقيقته ، كما في قولهم (وَيَحَكْ) و(وَيَلِكْ) .

قال النووي^{١٢١١} : ((في هذا الحديث الحثُّ على مُصَابِحَةِ أهل الدين في كل شيءٍ ، لأنَّ
صاحبهم يستفيد من أخلاقهم وبركتهم وحسن طرائقهم ، ويأمنُ المفسدة من جهتهم)) .

وعن عبد الله بن عمرو ، قال : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُتَأَفِّفًا خَالِصًا
، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خِصْلَةٌ مِنْهَا كَانَتْ فِيهِ خِصْلَةٌ مِنَ النَّفَاقِ حَتَّى يَدْعَهَا : إِذَا حَدَّثَ كَذَبًا
، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ.^{١٢١٢}

وقال النووي : هَذَا الْحَدِيثُ عَدَّهُ جَمَاعَةٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ مُشْكَلًا مِنْ حَيْثُ إِنَّ هَذِهِ الْخِصَالَ قَدْ
تُوجَدُ فِي الْمُسْلِمِ الْمُجْمَعِ عَلَى عَدَمِ الْحُكْمِ بِكُفْرِهِ . قَالَ : وَلَيْسَ فِيهِ إِشْكَالٌ ، بَلْ مَعْنَاهُ
صَحِيحٌ وَالَّذِي قَالَهُ الْمُحَقِّقُونَ : إِنَّ مَعْنَاهُ أَنَّ هَذِهِ خِصَالَ نِفَاقٍ ، وَصَاحِبِهَا شَبِيهُ بِالْمُنَافِقِينَ
فِي هَذِهِ الْخِصَالَ وَمُتَخَلِّقٌ بِأَخْلَاقِهِمْ.

قلت : وَمُحَصَّلُ هَذَا الْجَوَابِ الْحَمْلُ فِي التَّسْمِيَةِ عَلَى الْمَجَازِ ، أَي : صَاحِبِ هَذِهِ الْخِصَالَ
كَالْمُنَافِقِ ، وَهُوَ بِنَاءٌ عَلَى أَنَّ الْمُرَادَ بِالنَّفَاقِ نِفَاقَ الْكُفْرِ .

وقد قيل في الجواب عنه : إِنَّ الْمُرَادَ بِالنَّفَاقِ نِفَاقَ الْعَمَلِ كَمَا قَدَّمْنَاهُ . وَهَذَا ارْتِضَاؤُهُ

^{١٢٠٩} - فيض القدير، شرح الجامع الصغير، الإصدار ٢ - (٣ / ٣٤١)

^{١٢١٠} - صحيح البخارى- المكثر - (٥٠٩٠) وصحيح مسلم- المكثر- (٣٧٠٨)

^{١٢١١} - ((شرح صحيح مسلم)) ١٠ : ٥٢

^{١٢١٢} - صحيح ابن حبان - (١ / ٤٨٨) (٢٥٤) وصحيح البخارى- المكثر- (٣٤) وصحيح مسلم- المكثر -

الْقُرْطُبِيُّ وَاسْتَدَلَّ لَهُ بِقَوْلِ عُمَرَ لِحُدَيْفَةَ : هَلْ تَعْلَمُ فِيَّ شَيْئًا مِنَ النَّفَاقِ ؟ فَإِنَّهُ لَمْ يُرِدْ بِذَلِكَ نِفَاقَ الْكُفْرِ ، وَإِنَّمَا أَرَادَ نِفَاقَ الْعَمَلِ .

وَيُؤَيِّدُهُ وَصْفُهُ بِالْخَالِصِ فِي الْحَدِيثِ الثَّانِي بِقَوْلِهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا . وَقِيلَ : الْمُرَادُ بِإِطْلَاقِ النَّفَاقِ الْإِنذَارَ وَالتَّحذِيرَ عَنِ ارْتِكَابِ هَذِهِ الْخِصَالِ وَأَنَّ الظَّاهِرَ غَيْرُ مُرَادٍ ، وَهَذَا ارْتِضَاءُ الْخَطَّابِيِّ . وَذَكَرَ أَيْضًا أَنَّهُ يَحْتَمِلُ أَنَّ الْمُتَّصِفَ بِذَلِكَ هُوَ مَنْ اعْتَادَ ذَلِكَ وَصَارَ لَهُ دَيْدَنًا . قَالَ : وَيَدُلُّ عَلَيْهِ التَّعْبِيرُ بِإِذَا ، فَإِنَّهَا تَدُلُّ عَلَى تَكَرُّرِ الْفِعْلِ . كَذَا قَالَ . وَالْأَوْلَى مَا قَالَ الْكِرْمَانِيُّ : إِنَّ حَذْفَ الْمَفْعُولِ مِنَ " حَدَّثَ " يَدُلُّ عَلَى الْعُمُومِ ، أَي : إِذَا حَدَّثَ فِي كُلِّ شَيْءٍ كَذَبَ فِيهِ . أَوْ يَصِيرُ قَاصِرًا ، أَي : إِذَا وَجَدَ مَا هِيَ التَّحْدِيثُ كَذَبَ . وَقِيلَ هُوَ مَحْمُولٌ عَلَى مَنْ غَلَبَتْ عَلَيْهِ هَذِهِ الْخِصَالُ وَتَهَاوَنَ بِهَا وَاسْتَخَفَّ بِأَمْرِهَا ، فَإِنَّ مَنْ كَانَ كَذَلِكَ كَانَ فَاسِدَ الْإِعْتِقَادِ غَالِبًا .

وَهَذِهِ الْأَجْوِبَةُ كُلُّهَا مَبْنِيَّةٌ عَلَى أَنَّ اللَّامَ فِي الْمُنَافِقِ لِلْجِنْسِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ ادَّعَى أَنَّهَا لِلْعَهْدِ فَقَالَ : إِنَّهُ وَرَدَ فِي حَقِّ شَخْصٍ مُعَيَّنٍ أَوْ فِي حَقِّ الْمُنَافِقِينَ فِي عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ ، وَتَمَسَّكَ هَؤُلَاءُ بِأَحَادِيثٍ ضَعِيفَةٍ جَاءَتْ فِي ذَلِكَ لَوْ ثَبَتَ شَيْءٌ مِنْهَا لَتَعَيَّنَ الْمَصِيرُ إِلَيْهِ . وَأَحْسَنُ الْأَجْوِبَةِ مَا ارْتَضَاهُ الْقُرْطُبِيُّ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ . " ١٢١٣ "

وَعَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ جَدِّهِ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : أَرْبَعٌ مِنَ السَّعَادَةِ : الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ ، وَالْمَسْكَنُ الْوَاسِعُ ، وَالْجَارُ الصَّالِحُ ، وَالْمَرْكَبُ الْهَنِيءُ ، وَأَرْبَعٌ مِنَ الشَّقَاوَةِ : الْجَارُ السُّوءُ ، وَالْمَرْأَةُ السُّوءُ ، وَالْمَسْكَنُ الضَّيِّقُ ، وَالْمَرْكَبُ السُّوءُ . " ١٢١٤ "

وهذا يبيِّن للعالم أهمية اختيار الوسائل المناسبة التي تعينه على القيام بالدعوة إلى الله عز وجل والتعليم؛ لأن لهذه الأشياء أهمية عظيمة في حياة الإنسان ، فإن كانت الزوجة سالحة ، والدار صحيحة واسعة ، والفرس أو السيارة قوية مريحة ، والجار صالحا ارتاح

١٢١٣ - فتح الباري شرح صحيح البخاري - ط دار المعرفة - (١ / ٩٠)

١٢١٤ - صحيح ابن حبان - (٩ / ٣٤١) (٤٠٣٢) حسن

الإنسان وشعر بالسعادة والاستقرار النفسي وتفرغ للدعوة إلى الله تعالى وتعليم الناس^{١٢١٥}
وعَنْ سَمُرَةَ بْنِ جُنْدُبٍ ، قَالَ : سَمِعْتُ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ يَقُولُ : النَّسَاءُ ثَلَاثَةٌ : امْرَأَةٌ هَيِّنَةٌ
لَيِّنَةٌ عَفِيفَةٌ مُسْلِمَةٌ وَدُودٌ وَوُلُودٌ تُعِينُ أَهْلَهَا عَلَى الدَّهْرِ ، وَلَا تُعِينُ الدَّهْرَ عَلَى أَهْلِهَا ، وَقَلَّ
مَا تَجِدُهَا ، ثَانِيَةٌ : امْرَأَةٌ عَفِيفَةٌ مُسْلِمَةٌ إِنَّمَا هِيَ وَعَاءٌ لِلْوَلَدِ لَيْسَ عِنْدَهَا غَيْرُ ذَلِكَ ، ثَالِثَةٌ :
غُلٌّ قَمَلٌ يَجْعَلُهَا اللَّهُ فِي عُنُقِ مَنْ يَشَاءُ وَلَا يَنْزِعُهَا غَيْرُهُ ، الرَّجَالُ ثَلَاثَةٌ : رَجُلٌ عَفِيفٌ
مُسْلِمٌ عَاقِلٌ يَأْتِمُرُ فِي الْأُمُورِ إِذَا أَقْبَلَتْ وَتَشَبَّهَتْ ، فَإِذَا وَقَعَتْ خَرَجَ مِنْهَا بَرَّايِهِ وَرَجُلٌ
عَفِيفٌ مُسْلِمٌ لَيْسَ لَهُ رَأْيٌ فَإِذَا وَقَعَ الْأَمْرُ أَتَى ذَا الرَّأْيِ وَالْمَشُورَةَ فَشَاوَرَهُ وَاسْتَأْمَرَهُ ثُمَّ
نَزَلَ عِنْدَ أَمْرِهِ ، وَرَجُلٌ حَائِرٌ بَائِرٌ لَا يَأْتِمُرُ رُشْدًا وَلَا يُطِيعُ مُرْشِدًا. ١٢١٦

وعَنْ سَمُرَةَ بْنِ جُنْدُبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : " النَّسَاءُ ثَلَاثٌ ،
وَالرَّجَالُ ثَلَاثَةٌ : فَاِمْرَأَةٌ عَاقِلَةٌ عَفِيفَةٌ مُسْلِمَةٌ هَيِّنَةٌ لَيِّنَةٌ ، وَدُودٌ وَوُلُودٌ ، تُعِينُ أَهْلَهَا عَلَى الدَّهْرِ
، وَلَا تُعِينُ الدَّهْرَ عَلَى أَهْلِهَا ، وَقَلِيلٌ مَا تَجِدُهَا ، وَأُخْرَى وَعَاءٌ لِلْوَلَدِ لَا تَزِيدُ عَلَى ذَلِكَ ،
وَالْأُخْرَى غُلٌّ قَمَلٌ يَجْعَلُهَا اللَّهُ فِي عُنُقِ مَنْ يَشَاءُ ، ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْ يَنْزِعَهُ نَزَعَهُ . وَالرَّجَالُ
ثَلَاثَةٌ : رَجُلٌ عَاقِلٌ عَفِيفٌ بَرٌّ مُسْلِمٌ ، يَنْتَظِرُ الْأُمُورَ وَيَأْتِمُرُ فِيهَا أَمْرَهُ إِذَا أَشْكَلَتْ عَلَى
عَجْزَةِ الرَّجَالِ وَضَعْفَتِهِمْ ، وَرَجُلٌ لَيْسَ عِنْدَهُ رَأْيٌ فَإِذَا نَزَلَ بِهِ أَمْرٌ أَتَى ذَوِي الرَّأْيِ
وَالْقُدْرَةَ فَاسْتَشَارَهُمْ ، فَإِذَا أَمْرُهُ بِشَيْءٍ نَزَلَ عِنْدَ رَأْيِهِمْ ، وَرَجُلٌ حَائِرٌ بَائِرٌ لَا يَأْتِمُرُ الرُّشْدَ
وَلَا يُطِيعُ المُرْشِدَ ١٢١٧ "

الخلاصة :

- (١) الإجمال ثم التفصيل بعده سنة ربانية ونبوية محكمة .
- (٢) قد يستخدم المعلم أسلوب الإجمال ليشد انتباه طلابه إليه ، أو كي يسألوه،
فيكون أدعى للحفظ والفهم .

^{١٢١٥} - فقه الدعوة في صحيح الإمام البخاري - (٢ / ٣٠) بتصرف

^{١٢١٦} - مصنف ابن أبي شيبة - (٩ / ٣٣١) (١٧٤٣٢) صحيح

^{١٢١٧} - تاريخ المدينة لابن شبة (١٢٢٢) صحيح

(٣) هذا الأسلوب قد يستخدم أيضاً للتشويق، فعن أبي ذرٍّ، قال: رأى رسولُ الله ﷺ شاتين ينتطحان فقال لي: يا أبا ذرٍّ أتدري فيما ينتطحان؟ قلتُ: لا، قال: ولكن ربك يدري وسيقضي بينهما يوم القيامة. ١٢١٨

[٥٢] تعليمه ﷺ بالترغيب والترهيب:

ومن أجلى أساليبه ﷺ في التعليم الترغيب في الخير الذي يدعو إليه، والترهيب عن الشر الذي يُحذر منه، فكان ﷺ يُرغب في الخير بذكر ثوابه والتنبيه على منافعِهِ، ويُرهّب عن الشرِّ بذكر عقابه والتنبيه على مساويه .

وكان يجمع في أحاديثه بين الترغيب حيناً والترهيب حيناً آخر، وما كان يقتصر على الترغيب فيؤدّي إلى التنفير، ولا على الترغيب فيؤدّي إلى الكسل وترك العمل .

وقد جمع أئمة الحديث رضوان الله تعالى عليهم (أحاديث الترغيب والترهيب) من السنة النبوية الشريفة، في كتبٍ مستقلة، وأوفى تلك الكتب جمعاً لأحاديث هذا الصنف، وأكثرها فائدةً، وأقربها منالاً: كتاب ((الترغيب والترهيب من الحديث الشريف)) للإمام الحافظ أبي محمد زكي الدين عبد العظيم المنذري رحمه الله تعالى، وهو مطبوع متداول. ١٢١٩

وقد سبقَتْ في الأساليب السابقة أحاديثٌ كثيرة من باب الترغيب والترهيب، وسأذكر القليل من الأحاديث المتعلقة بالترغيب والترهيب .

فمن باب الترغيب :

وعن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ - « مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ » ١٢٢٠ .

١٢١٨ - مسند الطيالسي (٤٨٢) ومسند أحمد (عالم الكتب) - (٧ / ١٨٧) (٢١٧٦٩) حسن لغيره

١٢١٩ - الرسول المعلم ﷺ وأساليبه في التعليم لأبي غدة - (١ / ١٥٥)

١٢٢٠ - صحيح البخارى - المكثر - (٣٨)

وَعَنْ يَحْيَى بْنِ أَبِي كَثِيرٍ قَالَ حَدَّثَنَا أَبُو سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ حَدَّثَهُمْ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - قَالَ « مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ » ١٢٢١ .

وَعَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : مَنْ صَامَ رَمَضَانَ وَصَلَّى الصَّلَوَاتِ الْخَمْسَ ، وَحَجَّ الْبَيْتَ لَا أُدْرِي ذَكَرَ الزَّكَاةَ أَمْ لَا كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يَغْفِرَ لَهُ ، قُلْتُ : أَلَا أُخْبِرُ بِهِ النَّاسَ ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : ذَرِ النَّاسَ يَعْمَلُونَ فَإِنَّ الْجَنَّةَ مِائَةٌ دَرَجَةٌ ، مَا بَيْنَ كُلِّ دَرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ، وَالْفِرْدَوْسُ الْأَعْلَى أَعْلَاهَا دَرَجَةٌ وَأَوْسَطُهَا ، وَفَوْقَهَا الْعَرْشُ ، وَفِيهَا تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ ، فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ فَاسْأَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ . ١٢٢٢

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ : لَمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ : { لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ إِلَى قَوْلِهِ : عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ } [سورة التغابن آية ١] ، قَالَ : فَاشْتَدَّ ذَلِكَ عَلَى أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَأَتَوْا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، ثُمَّ بَرَكُوا عَلَى الرُّكْبِ ، فَقَالُوا : أَيُّ رَسُولَ اللَّهِ ، كَلَّفْنَا مِنَ الْأَعْمَالِ مَا نُطِيقُ : الصَّلَاةَ ، وَالصِّيَامَ ، وَالْجِهَادَ ، وَالصَّدَقَةَ ، وَقَدْ أَنْزَلْتَ عَلَيْكَ هَذِهِ الْآيَةَ ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : أَتُرِيدُونَ أَنْ تَقُولُوا كَمَا قَالَ أَهْلُ الْكِتَابِ قَبْلَكُمْ : سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا ، بَلْ قُولُوا : سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ، فَلَمَّا أَقْرَبَ بِهَا الْقَوْمُ وَذَلَّتْ بِهَا أَلْسِنَتُهُمْ ، أَنْزَلَ اللَّهُ فِي إِثْرِهَا : { آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ إِلَى قَوْلِهِ : وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ } [سورة البقرة آية ٢٨٥] ، فَلَمَّا فَعَلُوا ذَلِكَ نَسَخَهَا اللَّهُ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ : { لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا إِلَى قَوْلِهِ : أَوْ أخطأنا } [سورة البقرة آية ٢٨٦] ، قَالَ : نَعَمْ ، { رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا } [سورة البقرة آية ٢٨٦] ، قَالَ : نَعَمْ ، { رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ } [سورة البقرة آية ٢٨٦] ، قَالَ : نَعَمْ ، { وَإِعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ

١٢٢١ - صحيح مسلم - المكثر - (١٨١٧)

١٢٢٢ - كشف الأستار - (١ / ٢٣) (٢٦) صحيح لغيره

{ [سورة البقرة آية ٢٨٦] ، قَالَ : نَعَمْ ، وَفِي رِوَايَةٍ ، قَالَ : قَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ وَرَحِمْتُكُمْ " ١٢٢٣

وَعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي عَمْرَةَ الْأَنْصَارِيِّ ، عَنْ أَبِيهِ ، قَالَ : كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي غَزْوَةِ ، فَأَصَابَ النَّاسَ مَخْمَصَةٌ شَدِيدَةٌ ، فَاسْتَأْذَنُوا رَسُولَ اللَّهِ فِي نَحْرِ بَعْضِ ظَهْرِهِمْ ، فَقَالَ عُمَرُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، فَكَيْفَ بَنَّا إِذَا لَقِينَا عَدُوَّنَا جِيَاعًا رَجَالَةً ؟ وَلَكِنْ إِنْ رَأَيْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنْ تَدْعُو النَّاسَ بِبَقِيَّةِ أَرْوَدَتِهِمْ . فَجَاؤُوا بِهِ ، يَجِيءُ الرَّجُلُ بِالْحِفْنَةِ مِنَ الطَّعَامِ وَفَوْقَ ذَلِكَ ، وَكَانَ أَعْلَاهُمْ الَّذِي جَاءَ بِالصَّاعِ مِنَ التَّمْرِ ، فَجَمَعَهُ عَلَى نِطْعٍ ، ثُمَّ دَعَا اللَّهَ بِمَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَدْعُو ، ثُمَّ دَعَا النَّاسَ بِأَوْعِيَّتِهِمْ ، فَمَا بَقِيَ فِي الْجَيْشِ وَعَاءٌ إِلَّا مَمْلُوءٌ وَبَقِيَ مِثْلُهُ ، فَضَحِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ ، ثُمَّ قَالَ : أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَأَشْهَدُ أَنَّي رَسُولُ اللَّهِ ، وَأَشْهَدُ عِنْدَ اللَّهِ لَا يَلْقَاهُ عَبْدٌ مُؤْمِنٌ بِهِمَا إِلَّا حَجَبَتْهُ عَنِ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ " ١٢٢٤

وَعَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ - : « إِنَّهُ خُلِقَ كُلُّ إِنْسَانٍ مِنْ بَنِي آدَمَ عَلَى سِتِّينَ وَثَلَاثِ مِائَةِ مَفْصِلٍ ، فَمَنْ كَبَّرَ اللَّهَ وَحَمِدَ اللَّهَ وَهَلَّلَ اللَّهَ وَسَبَّحَ اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ اللَّهَ وَعَزَلَ حَجْرًا عَنْ طَرِيقِ النَّاسِ أَوْ عَزَلَ شَوْكَةً عَنْ طَرِيقِ النَّاسِ أَوْ أَمَرَ بِمَعْرُوفٍ أَوْ نَهَى عَنْ مُنْكَرٍ عَدَدَ تِلْكَ السِّتِّينَ وَالثَّلَاثِ مِائَةِ السَّلَامَى فَإِنَّهُ يُمَسِّي يَوْمَئِذٍ وَقَدْ زَحَرَ نَفْسُهُ عَنِ النَّارِ » . رَوَاهُ مُسْلِمٌ ١٢٢٥

وَعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ يَرْفَعُ الْحَدِيثَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ - قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - : " لَأَ يَجْمَعُ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - فِي جَوْفِ رَجُلٍ غُبَارًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَدُخَانَ جَهَنَّمَ ، وَمَنْ اغْبَرَّتْ قَدَمَاهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ حَرَّمَ اللَّهُ سَائِرَ حَسَنِهِ عَلَى النَّارِ ، وَمَنْ صَامَ يَوْمًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بَاعَدَ اللَّهُ مِنْهُ النَّارَ مَسِيرَةَ أَلْفِ عَامٍ لِلرَّاكِبِ الْمُسْتَعْجِلِ ، وَمَنْ جُرِحَ جِرَاحَةً فِي سَبِيلِ اللَّهِ خُتِمَ لَهُ بِخَاتَمِ الشُّهَدَاءِ ، لَهُ نُورٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَوْثُهَا مِثْلُ لَوْنِ الزَّعْفَرَانِ وَرِيحُهَا مِثْلُ رِيحِ

١٢٢٣ - مسند أبي عوانة (١٦٩) صحيح

١٢٢٤ - صحيح ابن حبان - (ج ١ / ص ٤٥٤) (٢٢١) حسن

١٢٢٥ - صحيح مسلم (٢٣٧٧) والسنن الكبرى للبيهقي (ج ٤ / ص ١٨٨) (٨٠٧٤)

المسك ، يُعرفه بها الأوثون والآخرون يقولون : فلان عليه طابع الشهداء ، ومن قاتل في سبيل الله - عز وجل - فواق ناقة وجبت له الجنة " ١٢٢٦ .

وعن عبد الرحمن بن سمره قال : خرج رسول الله ﷺ - فقال : " إني رأيت البارحة عجباً ، رأيت رجلاً من أممي قد احتوشته ملائكة ، فجاءه وضوءه فاستنقذه من ذلك . ورأيت رجلاً من أممي قد سُلط عليه عذاب القبر ، فجاءته صلواته فاستنقذه من ذلك . ورأيت رجلاً من أممي قد احتوشته الشياطين ، فجاءه ذكر الله فخلصه منهم . ورأيت رجلاً من أممي يلهث من العطش ، فجاءه صيام رمضان فسقاه . ورأيت رجلاً من أممي من بين يديه ظلمة ومن خلفه ظلمة ، وعن يمينه ظلمة ، وعن شماله ظلمة ، ومن فوقه ظلمة ، ومن تحته ظلمة ، فجاءه حججه ، وعمرته ، فاستخرجاه من الظلمة . ورأيت رجلاً من أممي جاءه ملك الموت ليقبض روحه ، فجاءته صلة الرحم ، فقالت : إن هذا كان واصلاً لرحمه فكلمهم ، وكلموه وصار معهم . ورأيت رجلاً من أممي يتقي وهج النار عن وجهه ، فجاءته صدقته ، فصارت ظلًا على رأسه وستراً عن وجهه . ورأيت رجلاً من أممي جاءته زبانية العذاب ، فجاءه أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر ، فاستنقذه من ذلك . ورأيت رجلاً من أممي هوى في النار ، فجاءته دموعه التي بكى من خشية الله فأخرجته من النار . ورأيت رجلاً من أممي قد هوت صحيفته إلى شماله ، فجاءه خوفه من الله فأخذ صحيفته في يمينه . ورأيت رجلاً من أممي قد خف ميزانه ، فجاءه إقراضه فنقل ميزانه . ورأيت رجلاً من أممي يُرعد كما تُرعد الزعفة ، فجاءه حسن ظنه بالله فسكن رعدته . ورأيت رجلاً من أممي يزحف على الصراط مرة ويحتمو مرة ويتعلق مرة ، فجاءته صلواته علي فأخذت بيده فأقامته على الصراط حتى جاوز . ورأيت رجلاً من أممي انتهى إلى أبواب الجنة فغلقت الأبواب دونه ، فجاءته شهادة أن لا إله إلا الله فأخذت بيده فأدخلته الجنة " ١٢٢٧

١٢٢٦ - مسند أحمد (٢٨٢٦٧) فيه انقطاع

١٢٢٧ - مجمع الزوائد (١١٧٤٦) والأحاديث الطوال (٤١) وأمالي ابن بشران (٢٤٩) والترغيب في فضائل الأعمال ونواب ذلك لابن شاهين (٥٢٦) حسن لغيره.

وأما الترهيب فكثير جدا :

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ - قَالَ « كُلُّ مُخَمَّرٍ خَمْرٌ وَكُلُّ مُسْكِرٍ حَرَامٌ وَمَنْ شَرِبَ مُسْكِرًا بُخِسَتْ صَلَاتُهُ أَرْبَعِينَ صَبَاحًا فَإِنْ تَابَ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ فَإِنْ عَادَ الرَّابِعَةَ كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يَسْقِيَهُ مِنْ طِينَةِ الْحَبَالِ ». قِيلَ وَمَا طِينَةُ الْحَبَالِ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ « صَدِيدُ أَهْلِ النَّارِ وَمَنْ سَقَاهُ صَغِيرًا لَا يَعْرِفُ حَلَالَهُ مِنْ حَرَامِهِ كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يَسْقِيَهُ مِنْ طِينَةِ الْحَبَالِ » ١٢٢٨

وَعَنْ مَعْقِلِ بْنِ يَسَارٍ: أَنَّ عُبَيْدَ اللَّهِ بْنَ زِيَادٍ، عَادَ مَعْقِلَ بْنَ يَسَارٍ فِي مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ، فَقَالَ مَعْقِلٌ لِعُبَيْدِ اللَّهِ: إِنَّكَ كُنْتَ لَتَكْرِمَنِي فِي الصَّحَّةِ، وَتَعُوذُنِي فِي الْمَرَضِ، وَلَوْلَا مَا أَتَى بِهِ يَعْنِي الْمَوْتَ مَا حَدَّثْتُكَ بِهِ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: مَا مِنْ رَاعٍ غَشَّ رَعِيَّتَهُ، إِلَّا وَهُوَ فِي النَّارِ.

وَعَنْ عَائِدِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَكَانَ مِنْ صَالِحِي أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ، أَنَّهُ دَخَلَ عَلَى عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ، فَقَالَ لَهُ: أَيُّ بُنَيَّ، إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: إِنَّ شَرَّ الرَّعَاءِ الْحُطْمَةُ، فَإِيَّاكَ أَنْ تَكُونَ مِنْهُمْ، فَقَالَ لَهُ عُبَيْدُ اللَّهِ: اجْلِسْ فَإِنَّمَا أَنْتَ مِنْ نُخَالَةِ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ ﷺ، قَالَ: فَهَلْ كَانَتْ لَهُ نُخَالَةٌ؟ إِنَّمَا النُّخَالَةُ فِي غَيْرِهِمْ، وَمَنْ بَعْدَهُمْ. ١٢٢٩

وَعَنْ سَمُرَةَ بْنِ جُنْدُبٍ الْفَزَارِيِّ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِيمَا يَقُولُ: هَلْ رَأَى أَحَدٌ مِنْ رُؤْيَا؟ فَيَقْصُ عَلَيْهِ مِنْ شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَقْصَ، وَإِنَّهُ قَالَ لَنَا ذَاتَ غَدَاةٍ: إِنَّهُ أَتَانِي اللَّيْلَةَ آتِيَانِ، وَإِنَّهُمَا ابْتَعَنَانِي، وَإِنَّهُمَا، قَالَا لِي: انْطَلِقْ، وَإِنِّي انْطَلَقْتُ مَعَهُمَا حَتَّى أَتَيْنَا عَلَى رَجُلٍ مُضْطَجِعٍ، وَإِذَا آخِرُ قَائِمٍ عَلَيْهِ بِصَخْرَةٍ وَإِذَا هُوَ يَهْوِي بِالصَّخْرَةِ لِرَأْسِهِ، فَيَثْلَعُ بِهَا رَأْسَهُ، فَتُدْهِدُهُ الصَّخْرَةُ هَا هُنَا، فَيَقُومُ إِلَى الْحَجَرِ فَيَأْخُذُهُ فَمَا يَرْجِعُ إِلَيْهِ أَحْسِبُهُ، قَالَ: حَتَّى يَصْحَ رَأْسُهُ كَمَا كَانَ، ثُمَّ يَعُودُ عَلَيْهِ فَيَفْعَلُ بِهِ مِثْلَ مَا فَعَلَ الْمَرَّةَ الْأُولَى، قَالَ: قُلْتُ: سُبْحَانَ اللَّهِ مَا هَذَا؟ قَالَا لِي: انْطَلِقْ انْطَلِقْ، قَالَ: فَانْطَلَقْتُ مَعَهُمَا فَاتَيْنَا عَلَى رَجُلٍ مُسْتَلْقٍ لِقَفَاهُ وَإِذَا آخِرُ عَلَيْهِ بِكَلُوبٍ مِنْ حَدِيدٍ، فَإِذَا هُوَ يَأْتِي أَحَدَ شِقِّي وَجْهِهِ

١٢٢٨ - سنن أبي داود (٣٦٨٢) صحيح

١٢٢٩ - مسند أبي عوانة (٥٦٦٩ - ٥٦٧١) صحيح

فِيَشْرِشِرُ شِدْقَهُ إِلَى قَفَاهُ ، وَمِنْخَرَهُ إِلَى قَفَاهُ ، وَعَيْنُهُ إِلَى قَفَاهُ ، ثُمَّ يَتَحَوَّلُ إِلَى الْجَانِبِ
الْآخِرِ فَيَفْعَلُ بِهِ مِثْلَ مَا فَعَلَ بِالْجَانِبِ الْأَوَّلِ ، فَمَا يَفْرُغُ مِنْ ذَلِكَ الْجَانِبِ حَتَّى يَصِحَّ
الْجَانِبُ الْأَوَّلُ كَمَا كَانَ ، ثُمَّ يَعُودُ فَيَفْعَلُ بِهِ مِثْلَ مَا فَعَلَ الْمَرَّةَ الْأُولَى ، قَالَ : قُلْتُ :
سُبْحَانَ اللَّهِ ، مَا هَذَا ؟ قَالَ : انْطَلِقْ انْطَلِقْ ، فَاَنْطَلَقْتُ مَعَهُمَا فَأَتَيْتَا عَلَى مِثْلِ بِنَاءِ التَّنُورِ
، قَالَ عَوْفٌ : أَحْسِبُ أَنَّهُ ، قَالَ : فَإِذَا فِيهِ لَعَطٌ وَأَصْوَاتٌ ، فَاَطَّلَعْنَا فَإِذَا فِيهِ رِجَالٌ وَنِسَاءٌ
عُرَاةٌ وَإِذَا بَنَهْرٍ لَهَيْبٍ مِنْ أَسْفَلٍ مِنْهُمْ ، فَإِذَا أَنَاهُمْ ذَلِكَ اللَّهَبُ تَضَوُّوْنَا ، قَالَ : قُلْتُ : مَا
هَؤُلَاءِ ؟ قَالَ لِي : انْطَلِقْ انْطَلِقْ ، قَالَ : فَاَنْطَلَقْنَا عَلَى نَهْرٍ حَسِبْتُ أَنَّهُ ، قَالَ : أَحْمَرٌ مِثْلُ
الدَّمِّ وَإِذَا فِي النَّهْرِ رَجُلٌ يَسْبَحُ ، وَإِذَا عِنْدَ شَطِّ النَّهْرِ رَجُلٌ قَدْ جَمَعَ عِنْدَهُ حِجَارَةً كَثِيرَةً ،
وَإِذَا ذَلِكَ السَّابِحُ يَسْبَحُ مَا يَسْبَحُ ، ثُمَّ يَأْتِي ذَلِكَ الرَّجُلَ الَّذِي جَمَعَ الْحِجَارَةَ ، فَيَفْعَرُّ لَهُ
فَاهُ فَيُلْقِمُهُ حَجْرًا ، قَالَ : قُلْتُ : مَا هَؤُلَاءِ ؟ قَالَ لِي : انْطَلِقْ انْطَلِقْ ، قَالَ : فَاَنْطَلَقْنَا ،
فَأَتَيْتَا عَلَى رَجُلٍ كَرِيهِهِ الْمَرَاةَ كَأَكْرَهٍ مَا أَنتَ رَأَى رَجُلًا مَرَاةً ، فَإِذَا هُوَ عِنْدَ نَارٍ يَحْتَشُّهَا
وَيَسْعَى حَوْلَهَا ، قَالَ : قُلْتُ لَهُمَا : مَا هَذَا ؟ قَالَ لِي : انْطَلِقْ انْطَلِقْ ، فَاَنْطَلَقْنَا فَأَتَيْتَا عَلَى
رَوْضَةٍ فِيهَا مِنْ كُلِّ نَوْرِ الرَّبِيعِ ، وَإِذَا بَيْنَ ظَهْرِي الرَّوْضَةَ رَجُلٌ قَائِمٌ طَوِيلٌ لَا أَكَادُ أَرَى
رَأْسَهُ طَوِيلًا فِي السَّمَاءِ ، وَأَرَى حَوْلَ الرَّجُلِ مِنْ أَكْثَرِ وَلَدَانٍ رَأَيْتُهُمْ قَطُّ وَأَحْسَنُهُ ، قَالَ :
قُلْتُ لَهُمَا : مَا هَؤُلَاءِ ؟ قَالَ لِي : انْطَلِقْ انْطَلِقْ ، فَاَنْطَلَقْنَا وَأَتَيْتَا دَوْحَةً عَظِيمَةً لَمْ أَرِ دَوْحَةً
قَطُّ أَعْظَمَ مِنْهَا وَلَا أَحْسَنَ ، قَالَ لِي : ارْقُ فِيهَا ، قَالَ : فَارْتَقَيْتَا فِيهَا ، فَاَنْتَهَيْتَا إِلَى مَدِينَةٍ
مَبْنِيَّةٍ بِلَبِنٍ ذَهَبٍ وَلَبِنِ فِضَّةٍ ، فَأَتَيْتَا بَابَ الْمَدِينَةِ ، فَاسْتَفْتَحْنَا ، فَفَتَحَ لَنَا ، فَقُلْنَا : مَا مِنْهَا
رِجَالٌ ، شَطْرٌ مِنْ خَلْقِهِمْ كَأَحْسَنِ مَا أَنتَ رَأَى ، وَشَطْرٌ كَأَفْجَحِ مَا أَنتَ رَأَى ، قَالَ : قَالَ
لَهُمْ : اذْهَبُوا فَفَعُّوا فِي ذَلِكَ النَّهْرِ ، فَإِذَا نَهْرٌ مُعْتَرِضٌ يَجْرِي كَأَنَّ مَاءَهُ الْمَحْضُ فِي
الْبَيَاضِ ، فَذَهَبُوا فَوَقَعُوا فِيهِ ، ثُمَّ رَجَعُوا وَقَدْ ذَهَبَ ذَلِكَ السُّوءُ عَنْهُمْ ، وَصَارُوا فِي
أَحْسَنِ صُورَةٍ ، قَالَ : قَالَ لِي هَذِهِ جَنَّةٌ عَدْنٌ ، وَهَذَاكَ مَنْزِلُكَ ، قَالَ : فَسَمَا بَصْرِي
صُعْدًا ، فَإِذَا قَصْرٌ مِثْلُ الرَّبَابَةِ الْبَيْضَاءِ ، قَالَ : قَالَ لِي : هَذَاكَ مَنْزِلُكَ ، قَالَ : قُلْتُ لَهُمَا :
بَارَكَ اللَّهُ فِيكُمْ ، ذَرَانِي أَدْخُلُهُ ، قَالَ : قَالَ لِي : أَمَا الْآنَ فَلَا ، وَأَنْتَ دَاخِلُهُ ، قَالَ :
فَأِنِّي رَأَيْتُ مِنْذُ اللَّيْلَةِ عَجَبًا ، فَمَا هَذَا الَّذِي رَأَيْتُ ؟ قَالَ : قَالَ لِي : أَمَا إِنَّا سَنُخْبِرُكَ .

أَمَّا الرَّجُلُ الْأَوَّلُ الَّذِي أُتِيَتْ عَلَيْهِ يُتْلَعُ رَأْسُهُ بِالْحَجَرِ ، فَإِنَّهُ الرَّجُلُ يَأْخُذُ الْقُرْآنَ فَيَرْفُضُهُ ، وَيَنَامُ عَنِ الصَّلَاةِ الْمَكْتُوبَةِ .

وَأَمَّا الرَّجُلُ الَّذِي أُتِيَتْ عَلَيْهِ يُشْرِشِرُ شِدْقُهُ إِلَى قَفَاهُ ، وَعَيْنُهُ إِلَى قَفَاهُ ، وَمِنْخَرُهُ إِلَى قَفَاهُ ، فَإِنَّهُ الرَّجُلُ يَعْدُو مِنْ بَيْتِهِ فَيَكْذِبُ الْكَذْبَةَ فَتَبْلُغُ الْآفَاقَ .

وَأَمَّا الرَّجُلُ وَالنِّسَاءُ الْعُرَاةُ الَّذِينَ فِي مِثْلِ بِنَاءِ التَّنُورِ ، فَإِنَّهُمْ الزُّنَاةُ وَالزَّوَانِي .

وَأَمَّا الرَّجُلُ الَّذِي فِي النَّهْرِ ، فَيَلْتَقِمُ الْحِجَارَةَ ، فَإِنَّهُ آكِلُ الرَّبَا .

وَأَمَّا الرَّجُلُ الْكَرِيهُ الْمَرْأَةِ الَّذِي عِنْدَ النَّارِ يَحْسُتُهَا فَإِنَّهُ مَالِكُ خَازِنِ جَهَنَّمَ .

وَأَمَّا الرَّجُلُ الطَّوِيلُ الَّذِي فِي الرُّوْضَةِ ، فَإِنَّهُ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ .

وَأَمَّا الْوَالِدَانُ الَّذِينَ حَوْلَهُ ، فَكُلُّ مَوْلُودٍ وُلِدَ عَلَى الْفِطْرَةِ .

قَالَ : فَقَالَ بَعْضُ الْمُسْلِمِينَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ وَأَوْلَادُ الْمُشْرِكِينَ ؟ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : وَأَوْلَادُ الْمُشْرِكِينَ .

وَأَمَّا الْقَوْمُ الَّذِينَ شَطَرٌ مِنْهُمْ حَسَنٌ ، وَشَطَرٌ مِنْهُمْ قَبِيحٌ ، فَهُمْ قَوْمٌ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا ، فَتَحَاوَزَ اللَّهُ عَنْهُمْ .^{١٢٣٠}

الخلاصة :

(١) أسلوب الترغيب والترهيب منهج رباني ونبوي ثابت لا يتغير ولا يتبدل .

(٢) من لا ينفعه الترغيب نفعه الترهيب ، فالإنسان بين هذه وتلك .

(٣) على المعلم استخدام هذا الأسلوب ، لأن النفس يجب وتكره .

(٤) يجب الابتعاد عن الأحاديث المنكرة والموضوعة .

[٥٣] اِكْتِفَاؤُهُ ﷺ بِالْتَعْرِيفِ وَالْإِشَارَةِ فِي تَعْلِيمِ مَا يُسْتَحْيَا مِنْهُ :

^{١٢٣٠} - صحيح ابن حبان - (ج ٢ / ص ٤٢٧) (٦٥٥) صحيح

وتارةً كان ﷺ يكتفي بالتعريض والإشارة في تعليم ما يُستحيا منه .

عَنْ عَائِشَةَ أَنَّ أَسْمَاءَ سَأَلَتِ النَّبِيَّ - ﷺ - عَنْ غُسْلِ الْمَحِيضِ ١٢٣١ فَقَالَ « تَأْخُذُ إِحْدَاكُنَّ مَاءَهَا وَسَدْرَتَهَا ١٢٣٢ فَتَطَهَّرُ فَتُحَسِّنُ الطُّهُورَ ثُمَّ تَصُبُّ عَلَى رَأْسِهَا فَتَدْلُكُهُ ذَلِكَ شَدِيدًا حَتَّى تَبْلُغَ شُئُونَ رَأْسِهَا ١٢٣٣ ثُمَّ تَصُبُّ عَلَيْهَا الْمَاءَ . ثُمَّ تَأْخُذُ فَرِصَةً مُمَسَّكَةً فَتَطَهَّرُ بِهَا ١٢٣٤ » . فَقَالَتْ أَسْمَاءُ وَكَيْفَ تَطَهَّرُ بِهَا فَقَالَ « سُبْحَانَ اللَّهِ تَطَهَّرِينَ بِهَا » ١٢٣٥ . فَقَالَتْ عَائِشَةُ كَأَنَّهَا تُخْفِي ذَلِكَ ١٢٣٦ تَتَّبِعِينَ أَثَرَ الدَّمِ ١٢٣٧ . وَسَأَلَتْهُ عَنْ غُسْلِ الْجَنَابَةِ فَقَالَ « تَأْخُذُ مَاءً فَتَطَهَّرُ فَتُحَسِّنُ الطُّهُورَ - أَوْ تَبْلُغُ الطُّهُورَ - ثُمَّ تَصُبُّ عَلَى رَأْسِهَا فَتَدْلُكُهُ حَتَّى تَبْلُغَ شُئُونَ رَأْسِهَا ثُمَّ تُفِيضُ عَلَيْهَا الْمَاءَ » ١٢٣٨ . فَقَالَتْ عَائِشَةُ نَعَمَ النِّسَاءُ نِسَاءُ الْأَنْصَارِ لَمْ يَكُنْ يَمْنَعُهُنَّ الْحَيَاءُ أَنْ يَتَفَقَّهْنَ فِي الدِّينِ . ١٢٣٩

في هذا الحديث الشريف من الأمور التعليمية الشيء الكثير :

١٢٣١ أي عن الغسل بعد انتهاء الحيض .

١٢٣٢ السُّدْرَةُ : واحدةُ ورقِ السُّدْرِ ، وهو شجرٌ معروفٌ بنبت في الأرياف والجبال والرَّمْلِ ، ويُسْتَنْبَتُ فيكون أعظم ورقاً وثمرًا . وثمره الرِّيفِيُّ منه طيبةُ الرائحة ، وورقه يَقْلَعُ الأوساخَ ويُنْقِي البشرةَ ويُنْعِمُها ، ويشدُّ الشعرَ . وإذا أُطْلِقَ (السُّدْرُ) في (باب الغسل) فالمراد به الورق المطحون منه . أفاده الفيومي في ((المصباح المنير)) والحكيم داود الأنطاكي في ((تذكرته)) .

١٢٣٣ شؤون الرأس : مواصل قبائل قرون الشعر ومُلتَقاه . والمراد : طلبُ إيصال الماء إلى منابت الشعر ، مُبالغة في الغسل والنظافة .

١٢٣٤ الفَرِصَةُ بكسر الفاء : قطعة من القطن أو نحوه . و(مُمسَّكَةً) أي مُطَيِّبَةً بالمسك وهو من أفضل أنواع الطيب : أي تأخذُ قطعة قطنٍ أو نحوه مطيِّبَةً تتطَيَّبُ بها في موضع خروج الدم ، لدفع الرائحة الكريهة . وهذا الفعل من المرأة أمرٌ مستحبٌ شرعاً ، أخذاً من هذا الحديث الشريف .

١٢٣٥ لم يُفصِح لها رسول الله ﷺ كيف تتطهَّرُ بتلك القطعة المسكَّة ، إذ كان موضع ذلك مما يُستحيا من ذكره ، واكتفى بالتسبيح إيداناً أن ذلك ينبغي أن يكون معلوماً لديها من أمثالها من النساء .

١٢٣٦ معناه : قالت لها عائشة كلاماً خفياً تسمعُهُ المخاطبة وحدها ، ولا يسمعه الحاضرون في المجلس . وجملة (كأَنَّهَا تُخْفِي ذَلِكَ) مُدرجةٌ من كلام الراوي في الحديث ، وليست من كلام عائشة رضي الله عنها .

١٢٣٧ أي موضعه الذي يخرج منه ، فادلكيه بتلك القطنة المطيِّبَةِ المسكَّة ، لتزول الرائحة المنفرة من بقايا الحيض .

١٢٣٨ أرشدها ﷺ في هذا الحديث الشريف إلى أن الغسل من الحيض ، يزيد على غسل الجنابة ، باستحباب وضع السُّدْرِ في مائه ، ثم بتطبيب موضع الدم بعد الفراغ من الاغتسال منه .

١٢٣٩ - صحيح مسلم - المكثر - (٧٧٦)

التسبيحُ من المعلم عند التعجب . ومعناه هنا : كيف يخفى عليك هذا الظاهر الذي لا يحتاجُ في فهمه إلى فكر .

واستحبابُ الكنايات عند تعليم ما يتعلّق بالعوّرات .

وسؤالُ المرأةِ العالم عن أحوالها التي يُحتشمُ منها .

والاكتفاءُ بالتعريض والإشارة في الأمور المستهجنة .

وتكريرُ الجواب لإفهام السائل . وإنما كرّره ﷺ ، مع كونها لم تفهمه أولاً ، لأن الجواب به يؤخذُ من إعراضه ﷺ بوجهه عند قوله للسائلة : (تطهّري) ، أي في المحلّ الذي يُستحيا التصريحُ به في مواجهة المرأة . فاكتمى بلسانِ الحال عن لسانِ المقال . وفهمتهُ عائشة رضي الله عنها ، فتولّت تعليمَ السائلة .

وفيه أيضاً من الأمور التعليمية : سواغيةُ تفسير كلام العالم بحضرته ووجوده لمن خفي عليه ، إذا عرّف أن ذلك يُعجبه .

وجوازُ الأخذِ عن المفضول وهو عائشة بحضرة الفاضل وهو سيدنا رسول الله ﷺ .

وصحّةُ العرّضِ أي القراءة من الطالب على (المحدّث) إذا أقرّه، ولو لم يقل عقيب ما عرّضه عليه : (نعم) .

وأنه لا يُشترطُ في صحّة تحمّل العلم فهم السامع لجميع ما يسمعه .

والرفقُ بالمُتعلّم ، وإقامةُ العذر لمن لا يفهم . وأن المرءَ مطلوبٌ منه ستر عيوبه ، وإن كانت مما جُبِلَ عليها ، وذلك من جهة أمره ﷺ للمرأة بالتطيب ، لإزالة الرائحة المكروهة .

وعدم مواجهة السائل بجوابه في مثل ... هذه الأمور المُستحيا منها ، فإنه قال لها : (تأخذُ إحداكن) ولم يقل لها : (تأخذين) رعايةً لزيادة الأدب في هذا المقام .

وحسنُ خُلُق المعلم الأعظم ﷺ ، وعظيم حاله وحيائه ، زاده الله تشريفاً وتكريماً وتعظيماً بأبي هو وأمّي . ١٢٤٠

١٢٤٠ - الرسول المعلم ﷺ وأساليبه في التعليم لأبي غدة - (١ / ١٦٤)

وَعَنْ أُمِّ سَلَمَةَ قَالَتْ جَاءَتْ أُمُّ سَلِيمٍ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - فَقَالَتْ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ ، فَهَلْ عَلَى الْمَرْأَةِ مِنْ غُسْلِ إِذَا احْتَلَمَتْ قَالَ النَّبِيُّ - ﷺ - « إِذَا رَأَتْ الْمَاءَ » . فَغَطَّتْ أُمُّ سَلَمَةَ - تَعْنِي وَجْهَهَا - وَقَالَتْ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَتَحْتَلِمُ الْمَرْأَةُ قَالَ « نَعَمْ تَرَبَّتْ يَمِينُكَ فِيمَ يُشْبِهُهَا وَلَدَهَا » . ١٢٤١

قال النووي : " قَوْلُهَا : (إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ) قَالَ الْعُلَمَاءُ : مَعْنَاهُ لَا يَمْتَنِعُ مِنْ بَيَانِ الْحَقِّ ، وَضَرْبَ الْمَثَلِ بِالْبُعُوضَةِ وَشَبَّهَهَا كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى : { إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةٌ فَمَا فَوْقَهَا } فَكَذَا أَنَا لَا أَمْتَنِعُ مِنْ سُؤَالِي عَمَّا أَنَا مُحْتَاجَةٌ إِلَيْهِ . وَقِيلَ : مَعْنَاهُ : إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْحَيَاءِ فِي الْحَقِّ وَلَا يُبِيحُهُ ، وَإِنَّمَا قَالَتْ هَذَا اعْتِدَارًا بَيْنَ يَدَيْ سُؤَالِهَا عَمَّا دَعَتْ الْحَاجَةَ إِلَيْهِ : مِمَّا تَسْتَحْيِي النِّسَاءَ - فِي الْعَادَةِ - مِنَ السُّؤَالِ عَنْهُ ، وَذَكَرَهُ بِحَضْرَةِ الرَّجَالِ ، فَفِيهِ : أَنَّهُ يَنْبَغِي لِمَنْ عَرَضَتْ لَهُ مَسْأَلَةٌ أَنْ يَسْأَلَ عَنْهَا ، وَلَا يَمْتَنِعُ مِنَ السُّؤَالِ حَيَاءً مِنْ ذِكْرِهَا ، فَإِنَّ ذَلِكَ لَيْسَ بِحَيَاءٍ حَقِيقِيٍّ لِأَنَّ الْحَيَاءَ خَيْرٌ كُلَّهُ ، وَالْحَيَاءُ لَا يَأْتِي إِلَّا بِخَيْرٍ ، وَالْإِمْسَاكُ عَنِ السُّؤَالِ فِي هَذِهِ الْحَالِ لَيْسَ بِخَيْرٍ ، بَلْ هُوَ شَرٌّ . فَكَيْفَ يَكُونُ حَيَاءً ، وَقَدْ تَقَدَّمَ إِضْرَاحُ هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ فِي أَوَائِلِ كِتَابِ الْإِيمَانِ وَقَدْ قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا : نِعَمَ النِّسَاءِ نِسَاءَ الْأَنْصَارِ ، لَمْ يَمْنَعُنَّ الْحَيَاءُ أَنْ يَتَفَقَّهْنَ فِي الدِّينِ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ . ١٢٤٢

وقال ابن بطال : " إنما أراد البخارى بهذا الباب ليبين أن الحياء المانع من طلب العلم مذموم، ولذلك بدأ بقول مجاهد وعائشة، وأما إذا كان الحياء على جهة التوقير والإجلال فهو حسن كما فعلت أم سلمة حين غطت وجهها، وقولها: إن الله لا يستحي من الحق، فإن الاستحياء من الله غير الاستحياء من المخلوقين، وهو من الله تعالى الترك، وكذا قال أهل التفسير في قوله تعالى: { إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةٌ } [البقرة: ٢٦]، بمعنى لا يترك أن يضرب مثلا، وإنما قالوا ذلك، لأن الحياء هو الانقباض بتغيير الأحوال، وحدوث الحوادث فيمن يتغير به، لا يجوز على الله.

١٢٤١ - صحيح البخارى - المكثر - (١٣٠) - وصحيح مسلم - المكثر - (٧٣٨)

١٢٤٢ - شرح النووي على مسلم - (٢ / ١٢)

وقولها: لا يستحيى من الحق - يقتضى أن الحياء لا يمنع من طلب الحقائق.
وفيه: أن المرأة تحتلم، غير أن ذلك نادر فى النساء، ولذلك أنكرته أم سلمة.

وقوله: تربت يمينك - هى كلمة تقولها العرب ولا تريد وقوع الفقر فيمن تخاطبه بها إذا لم يكن أهلاً لذلك، كما يقول: قاتله الله ما أسعده، وهو لا يريد قتله الله، وسيأتى تفسيرها لأهل اللغة فى كتاب الأدب إن شاء الله.

وقوله: فبم يشبهها ولدها - يعنى إذا غلب ماء المرأة ماء الرجل أشبهها الولد، وكذلك إذا غلب ماء الرجل أشبهه الولد، ومن كان منه إنزال الماء عند الجماع أمكن منه إنزال الماء عند الاحتلام. ١٢٤٣

إن الحياء لا يجوز أن يمنع الإنسان من السؤال عن دينه فيما يجب عليه لأن ترك السؤال عن الدين فيما يجب ليس حياء ولكنه خور فالله سبحانه وتعالى لا يستحي من الحق.. وعلى هذا فالحياء الذى يمنع من السؤال عما يجب السؤال عنه حياء مذموم ولا ينبغي أن نسميه حياء بل نقول إن هذا خور وجبن وهو من الشيطان فاسأل عن دينك ولا تستح ١٢٤٤

وعن عائشة، قالت: قال رسول الله ﷺ: إذا جاوز الختان الختان فقد وجب الغسل. ١٢٤٥

وعن أبي موسى، قال: كنا جلوساً فذكروا ما يوجب الغسل، فقال من حضر من المهاجرين: إذا مس الختان الختان أو خالط الختان الختان فقد وجب الغسل، وقال من حضر من الأنصار: لا، حتى يدفق، فقال أبو موسى: أنا أتاكم بالخبر، فقام إلى عائشة فسلم، ثم قال: إني أريد أن أسألك عن شيء وأنا أستحيي؟ فقالت: لا تستحي أن عن شيء كنت سألت عنه أمك التي ولدتك، فإتما أنا أمك، قال: قلت: ما يوجب الغسل؟

١٢٤٣ - شرح ابن بطلال - (١ / ٢٢٣)

١٢٤٤ - شرح رياض الصالحين لابن عثيمين - (٣ / ٣١٣)

١٢٤٥ - صحيح ابن حبان - (٣ / ٤٥٣)(١١٧٧)

فَقَالَتْ عَائِشَةُ: عَلَى الْخَبِيرِ سَقَطَتْ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: إِذَا جَلَسَ بَيْنَ شُعْبَيْهَا الْأَرْبَعِ
وَمَسَّ الْخِتَانَ الْخِتَانَ فَقَدْ وَجَبَ الْغُسْلُ. ١٢٤٦

قَالَ الْعُلَمَاءُ: مَعْنَاهُ غَيَّبَتْ ذَكَرَكَ فِي فَرْجِهَا وَلَيْسَ الْمُرَادُ حَقِيقَةَ الْمَسِّ وَذَلِكَ أَنَّ خِتَانَ
الْمَرْأَةِ فِي أَعْلَى الْفَرْجِ وَلَا يَمَسُّهُ الذَّكَرُ فِي الْجِمَاعِ، وَقَدْ أَجْمَعَ الْعُلَمَاءُ عَلَى أَنَّهُ لَوْ وَضَعَ
ذَكَرَهُ عَلَى خِتَانِهَا وَلَمْ يُوَلِّجْهُ لَمْ يَجِبِ الْغُسْلُ، لَا عَلَيْهِ وَلَا عَلَيْهَا، فَذَلَّ عَلَى أَنَّ الْمُرَادَ مَا
ذَكَرْنَاهُ. وَالْمُرَادُ بِالْمُمَاسَّةِ الْمُحَاذَاةَ، وَكَذَلِكَ الرَّوَايَةُ الْأُخْرَى إِذَا التَّقَى الْخِتَانَانِ أَيُّ
تَحَاذَيَا. ١٢٤٧.

الخلاصة:

- (١) على طالب العلم ذكراً كان أو أنثى أن يسأل عن أمور دينه كلها .
- (٢) الحياء لا يمنع التفقه بالدين والسؤال عما يجمله المرء .
- (٣) على العالم تقبل أي سؤال برحابة صدر ١٢٤٨

[٥٤] اهتنامه ﷺ بتعليم النساء ووعظهن:

وكان ﷺ يهتم بتعليم النساء ما يحتجن إليه، فكان يخصهن ببعض مجالسه ومواعظه .
عن عطاء قال سمعتُ ابنَ عباسٍ يقولُ أشهدُ على رسولِ الله - ﷺ - لصلَّى قبلَ الخُطبةِ
- قال - ثمَّ خطبَ فرأى أَنَّهُ لَمْ يُسْمِعِ النِّسَاءَ فَأَتَاهُنَّ فَذَكَرَهُنَّ وَوَعَّظَهُنَّ وَأَمَرَهُنَّ بِالصَّدَقَةِ
وَبِلَالٌ قَائِلٌ بِتُوبِهِ فَجَعَلَتِ الْمَرْأَةُ تُلْقِي الْخَاتِمَ وَالْخُرْصَ وَالشَّيْءَ. ١٢٤٩

(الخُرْصُ) الحلقة الصغيرة من حلِّي الأذن . وقوله (بالل بالسط توبه) معناه أنه بسطه

١٢٤٦ - مسند أبي عوانة (٦٤٦) صحيح مسلم - المكثر - (٨١٢)

١٢٤٧ - شرح النووي على مسلم - (٢ / ٦٤)

١٢٤٨ - انظر كتابي ((الفتاوى المعاصرة في الحياة الزوجية))

١٢٤٩ - صحيح مسلم - المكثر - (٢٠٨٢)

ليجمع الصدقة فيه ، ثم يُفرقها النبي ﷺ على المحتاجين ، كما كانت عادته ﷺ في الصدقات المتطوع بها والزكوات .

وفي هذا الحديث استحباب وعظ النساء وتذكيرهن الآخرة وأحكام الإسلام ، وحثهن على الصدقة ، وهذا إذا لم تترتب على ذلك مفسدة وخوف على الواعظ أو الموعوظ أو غيرهما .

وفيه أيضاً أن النساء إذا حضرن صلاة الرجال ومجامعهم يكنّ بمعزل عنهم خوفاً من فتنة أو نظرة أو فكرٍ ونحوه .^{١٢٥٠}

جاء في رواية أخرى لهذا الحديث عند مسلم ٦ : ١٧٤ قول ابن جريج راويها لشيخه عطاء بن أبي رباح : أحقاً على الإمام الآن أن يأتي النساء حين يفرغ من خطبة الرجال فيذكرهن؟ قال عطاء : ((أي لعمري إن ذلك لحقّ عليهم ، وما لهم لا يفعلون ذلك؟)) .

وعن ابن جريج ، أخبرني عطاء ، عن جابر بن عبد الله ، قال : سمعته يقول : " إن النبي ﷺ قام يوم الفطر ، فصلى ، فبدأ بالصلاة قبل الخطبة ، ثم خطب الناس ، فلما فرغ نبي الله ﷺ نزل ، وأتى النساء ، فذكرهن ، وهو يتوكأ على يد بلال ، وبلال باسط ثوبه ، يلقي النساء صدقة " قلت لعطاء : زكاة يوم الفطر؟ قال : " لا ، ولكن صدقة يتصدقن بها حينئذ ، تلقي المرأة فتحها ، ويلقين ويلقين " ، قلت لعطاء : أحقاً على الإمام الآن أن يأتي النساء حين يفرغ فيذكرهن؟ قال : " إي ، لعمري إن ذلك لحقّ عليهم ، وما لهم لا يفعلون ذلك؟ " ^{١٢٥١}

قال القرطبي : " وقوله : " يجلس الرجال بيده " ، يعني : يشير عليهم بالجلوس ، وكأنهم ظنوا أنه قد كمل الخطبة .

وأما نزوله ﷺ إلى النساء ؛ فذلك ليسمعهن ، وقيل : هذا خاصاً بالنبي ﷺ ، ولا يجوز للإمام اليوم قطع الخطبة ووعظ من بعد عنه . ويظهر أن دعوى خصوصية النبي ﷺ

^{١٢٥٠} - قاله النووي في ((شرح صحيح مسلم)) ٦ : ١٧٢ .

^{١٢٥١} - صحيح مسلم - المكثر - (٢٠٨٤)

بذلك فيه بعد ؛ لعدم البيان ، وإنما يحمل هذا - والله أعلم- على أنه لم يقطع الخطبة ، ولم يتركها تركًا فاحشًا ، وإنما كان ذلك كله قريبًا ؛ [إذ] لم يكن المسجد كبيرًا ، ولا صفوف النساء بعيدة ، ولا محجوبة ، والله أعلم .

وفيه من الفقه : هبة المرأة اليسير من مالها بغير إذن زوجها ، ولا يقال في هبة المرأة هذا : إن أزواجهن كانوا حُضُورًا ؛ لأن ذلك لم ينقل ، ولو نُقل ذلك فلم ينقل تسليم أزواجهن في ذلك ، ومن ثبت له حق فالأصل بقاؤه حتى يُصرَّح بإسقاطه ، ولم يصرَّح القوم ولا نُقل ذلك ، فصَحَّ ما قلناه .^{١٢٥٢}

وعن أبي سعيد الخدري قال: جاءت امرأة إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله ، ذهب الرجال بحديثك فأجعل لنا من نفسك يومًا نأتيك فيه نُعلِّمنا ممَّا علَّمَك الله . فقال: " اجتمعن يوم كذا كذا في مكان كذا وكذا " فاجتمعن ، فاتاهن رسول الله ﷺ فعلمهن ممَّا علَّمه الله ، ثم قال: " ما منكن امرأة تُقدِّم بين يديها من ولدها ثلاثة إلا كانوا لها حجابًا " . فقالت امرأة منهن: يا رسول الله ، وأثنین ؟ قال: فأعادها مرتين ، فقال رسول الله ﷺ : " وأثنین وأثنین وأثنین " ^{١٢٥٣}

قال المهلب: فيه من الفقه أن العالم إذا أمكنه أن يحدث بالنصوص عن الله ورسوله فلا يحدث بنظره ولا قياسه، هذا معنى الترجمة؛ لأن النبي - ﷺ - حدثهم حديثًا عن الله لا يبلغه قياس ولا نظر، وإنما هو توقيف ووحى، وكذلك ما حدثهم به من سنته فهو عن الله أيضًا؛ لقوله تعالى: { وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ } [النجم: ٣]، وقال - ﷺ - : « أوتيت الكتاب ومثله معه » قال أهل العلم: أراد بذلك السنة التي أوتى. وفيه سؤال الطلاب العالم أن يجعل لهم يومًا يسمعون فيه عليه العلم، وإجابة العالم إلى ذلك، وجواز الإعلام بذلك المجلس للاجتماع فيه، وترجم له في كتاب العلم هل يجعل للنساء يومًا على حده في

^{١٢٥٢} - المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم - (٧ / ٨)

^{١٢٥٣} - شعب الإيمان - (١٢ / ٢٠٨) (٩٢٨٧) وصحيح البخارى - المكتز - (٧٣١٠) وصحيح مسلم - المكتز -

(٦٨٦٨)

الخلاصة :

- (١) النساء كالرجال من حيث التكليف والتفقه في الدين .
- (٢) الإسلام اهتم بتعليم الرجال والنساء جميعاً أمور دينهم .
- (٣) ينبغي التركيز في الدروس الخاصة بالنساء على ما يهم النساء .

[٥٥] اتخاذه ﷺ الكتابة وسيلة في التعليم والتبليغ ونحوهما :

ومن أساليبه ﷺ أيضاً التعليم عن طريق الكتابة، وقد كان لرسول الله ﷺ كتابٌ أكثر من خمسة عشر كاتباً، يكتبون عنه القرآن، وكتابٌ آخرون خصَّهم بكتابة رسائله إلى الآفاق والملوك لتبليغهم الإسلام ودعوتهم إليه، وكتابٌ آخرون خصَّهم بكتابة أمور أخرى، كما ترى تفصيل كل ذلك مُستوعباً في كتاب حافظ المغرب في عصره العلامة عبد الحي الكتاني : ((التراتب الإدارية))^{١٢٥٥}

ومن الذين كانوا يكتبون القرآن عن رسول الله ﷺ بين يديه : الخلفاء الأربعة : أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، ومنهم زيد بن ثابت وأبي بن كعب، والزبير بنث العوام، وخالد بن سعيد، وأخوه أبان بن سعيد بن العاص، وحنظلة بن الربيع، ومعاوية بن أبي سفيان، وغيرهم رضي الله عنهم، كانوا إذا نزل الوحي بالقرآن على رسول الله ﷺ، دعاهم فكتبوه تلقياً من فم النبي ﷺ. وصحَّ عنه ﷺ أنه أذن لبعض أصحابه بكتابة حديثه بل أمر بعض أصحابه بكتابه أيضاً ، فعن عبد الله بن عمرو ، قال : كُنْتُ أَكْتُبُ كُلَّ شَيْءٍ أَسْمَعُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أُرِيدُ حِفْظَهُ ، فَهَنْتَنِي قُرَيْشٌ ، فَقَالُوا : إِنَّكَ تَكْتُبُ كُلَّ شَيْءٍ تَسْمَعُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَشَرٌ يَتَكَلَّمُ فِي الْعَصَبِ وَالرِّضَا ، فَأَمْسَكَتُ

^{١٢٥٤} - شرح ابن بطال - (١٩ / ٤٧٢)

^{١٢٥٥} ١ : ١١٤ ١٧٢ .

عَنِ الْكِتَابِ ، فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ ؟ فَقَالَ : اَكْتُبْ فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا خَرَجَ مِنِّي إِلَّا حَقٌّ. ١٢٥٦

قال الخطابي : " يشبه أن يكون النهي متقدماً وآخر الأمرين الإباحة ، وقد قيل أنه إنما نهي أن يكتب الحديث مع القرآن في صحيفة واحدة لئلا يختلط به ويشتبه على القارىء فأما أن يكون نفس الكتاب محظوراً وتقييد العلم بالخط منهياً عنه فلا . وقد أمر رسول الله ﷺ أمته بالتبليغ وقال ليبلغ الشاهد الغائب فإذا لم يقيدوا ما يسمعون منه تعذر التبليغ ولم يؤمن ذهاب العلم وأن يسقط أكثر الحديث فلا يبلغ آخر القرون من الأمة ، والنسيان من طبع أكثر البشر والحفظ غير مأمون عليه الغلط ، وقد قال ﷺ لرجل شكى إليه سوء الحفظ استعن يمينك ، وقال اكتبوها لأبي شاه خطبة خطبها فاستكتبها وقد كتب رسول الله ﷺ كتباً في الصدقات والمعامل والديات أو كتبت عنه فعمل بها الأمة وتناقلتها الرواة ولم ينكرها أحد من علماء السلف والخلف فدل ذلك على جواز كتابة الحديث والعلم والله أعلم. ١٢٥٧

وعن أبي هريرة ، قال : لَمَّا فَتَحَ اللَّهُ حِلَّ وَعَلَا عَلَى رَسُولِهِ ﷺ مَكَّةَ ، قَتَلْتُ هُنْدَيْلَ رَجُلًا مِنْ بَنِي لَيْثٍ بِقَتِيلٍ كَانَ لَهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ ، فَبَلَغَ ذَلِكَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، فَقَامَ ، فَقَالَ : إِنَّ اللَّهَ حَلَّ وَعَلَا حَبَسَ الْفِيلَ عَنْ مَكَّةَ ، وَسَلَطَ عَلَيْهَا رَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنِينَ ، وَإِنَّهَا لَا تَحِلُّ لِأَحَدٍ كَانَ قَبْلِي ، وَلَا تَحِلُّ لِأَحَدٍ بَعْدِي ، وَإِنَّمَا أُحِلَّتْ لِي سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ ، وَإِنَّهَا سَاعَتِي هَذِهِ ، ثُمَّ هِيَ حَرَامٌ ، لَا يُعْضَدُ شَجْرُهَا ، وَلَا يُخْتَلَى شَوْكُهَا ، وَلَا يُلْتَقَطُ سَاقُهَا إِلَّا لِمُنْشِدٍ ، وَمَنْ قَتَلَ لَهُ قَتِيلٌ ، فَهُوَ بِخَيْرِ النَّظَرَيْنِ ، إِمَّا أَنْ يُقْتَلَ ، وَإِمَّا أَنْ يُفْدَى ، فَقَامَ رَجُلٌ مِنَ الْيَمَنِ يُقَالُ لَهُ : أَبُو شَاهٍ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ اكْتُبُوا لِي ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : اكْتُبُوا لِأَبِي شَاهٍ ، ثُمَّ قَامَ الْعَبَّاسُ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِلَّا الْإِذْحَرَ ، فَإِنَّا نَجْعَلُهُ فِي قُبُورِنَا

١٢٥٦ - مسند أحمد (عالم الكتب) - (٢ / ٥٩٦) (٦٥١٠) وسنن أبي داود - المكثر - (٣٦٤٨) صحيح

١٢٥٧ - معالم السنن للخطابي ٢٨٨ - (٤ / ١٨٤)

، وَفِي بُيُوتِنَا ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : إِلَّا الْإِذْحَرَ. ١٢٥٨

وَعَنْ أَبِي جُحَيْفَةَ قَالَ قُلْتُ لَعَلِّي هَلْ عِنْدَكُمْ كِتَابٌ ١٢٥٩ قَالَ لَا ، إِلَّا كِتَابُ اللَّهِ ، أَوْ فَهْمٌ أُعْطِيَهُ رَجُلٌ مُسْلِمٌ ، أَوْ مَا فِي هَذِهِ الصَّحِيفَةِ ١٢٦٠ . قَالَ قُلْتُ فَمَا فِي هَذِهِ الصَّحِيفَةِ قَالَ الْعَقْلُ ، وَفَكَأَنَّ الْأَسِيرَ ، وَلَا يُقْتَلُ مُسْلِمٌ بِكَافِرٍ . ١٢٦١

في آثار هذا الباب إباحة كتابة العلم وتقييده، ألا ترى أن الرسول أمر بكتابه؟ فقال: تمت اكتبوا لأبي فلان - ، وقد كتب على الصحيفة التي قرنها بسيفه، وكتب عبد الله بن عمرو. وقد كره قوم كتابة العلم، واعتلوا بأن كتابة العلم سبب لضياح الحفظ. والقول الأول أولى للآثار الثابتة بكتابة العلم.

ومن الحجة لذلك أيضاً ما اتفقوا عليه من كتاب المصحف الذي هو أصل العلم، فكتبته الصحابة في الصحف التي جمع منها المصحف، وكان للنبي، - ﷺ - ، كُتَابٌ يَكْتُبُونَ الوحي.

وإنما كره كتابه من كرهه، لأنهم كانوا حفاظاً، وليس كذلك من بعدهم، فلو لم يكتبوه ما بقى منه شيء لنبوّ طباعهم عن الحفظ، ولذلك قال الشعبي: إذا سمعت شيئاً فاكتبه ولو في الحائط.

وقال المهلب: في حديث عليّ من الفقه ما يقطع بدعة المتشعبة المدعين على عليّ أنه الوصي، وأنه المخصوص بعلم من عند رسول الله - ﷺ - لم يخص به غيره، لقوله وبمينه:

١٢٥٨ - صحيح البخارى- المكثر - (٢٤٣٤) وصحيح مسلم- المكثر - (٣٣٧١) وصحيح ابن حبان - (٩) / (٢٨)(٣٧١٥)

١٢٥٩ - أي مكتوب أخذتموه عن رسول الله ﷺ بما أوحى إليه ، وإنما سأله أبو جُحَيْفَةَ عن ذلك لأن جماعة من الشيعة كانوا يزعمون أن عند أهل البيت لاسيما علياً أشياء من الوحي خصّهم النبي صلى الله عليه وسلم بها لم يطلع غيرهم عليها .

١٢٦٠ - أي الورقة المكتوبة ، وقد كتب فيها أحاديث عن رسول الله ﷺ .

١٢٦١ - صحيح البخارى- المكثر - (١١١)

وكانت في هذه الصحيفة أحاديثُ أخرى في غير هذه الموضوعات الثلاثة ، كما ترى تفصيلاً ذلك في ((فتح الباري)) ١ و٢٠٥ ، و((فيض الباري)) للشيخ أنور الكشميري ١ : ٢١٣ .

أن ما عنده إلا ما عند الناس من كتاب الله تعالى، ثم أحل على الفهم الذى الناس فيه على درجاتهم، ولم يخص نفسه بشيء غير ما هو ممكن فى غيره فصح بهذا وثبت من إقراره على نفسه أنه ليس بوصى للنبي - ﷺ -، وقد جاء حديث أبى جحفة عند على لفظ العهد، فقال له: هل عهد إليك رسول الله بشيء لم يعهده إلى الناس؟ فأجابه بالحديث. "١٢٦٢"

وقد أرسل صلى الله عليه وسلم كُتُباً باسمه الشريف إلى الآفاق والملوك، منها ما فيه الدعوة إلى الإسلام والإيمان بالله تعالى، ومنها ما فيه بيان الأحكام وشرائع الإسلام للدخوليين فيه، وقد حَفِظَتْ كُتُبُ السيرة والحديث والتاريخ نصوص تلك الكتب الكريمة وألفاظها .

وقد جُمِعَتْ تلك الكُتُبُ والرسائل فى مجاميع مستقلة بعضها مطبوع ومتداول، ومن أجمعها كتاب ((إعلام السائلين عن كُتُب سيد المرسلين)) ﷺ، لابن طولون المشقي، المتوفى سنة ٩٥٣ رحمه الله تعالى ١٢٦٣

وعن ابن شهاب ، أَنَّهُ قَالَ : بَلَغَنِي أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَتَبَ بِهَذَا الْكِتَابِ : هَذَا الْكِتَابُ مِنْ مُحَمَّدِ النَّبِيِّ رَسُولِ اللَّهِ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُسْلِمِينَ مِنْ قُرَيْشٍ وَأَهْلِ يَثْرِبَ وَمَنْ تَبِعَهُمْ ، فَحَلَّ مَعَهُمْ وَجَاهَدَ مَعَهُمْ : أَنَّهُمْ أُمَّةٌ وَاحِدَةٌ دُونَ النَّاسِ وَالْمُهَاجِرُونَ مِنْ قُرَيْشٍ - قَالَ ابْنُ بَكَّيْرٍ : عَلَى رِبْعَاتِهِمْ ، قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ : وَالْمَحْفُوظُ عِنْدَنَا رِبَاعَتِهِمْ - يَتَعَاقَلُونَ بَيْنَهُمْ مَعَاقِلَهُمُ الْأُولَى - وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ صَالِحٍ : رِبْعَاتِهِمْ - وَهُمْ يَفْدُونَ عَانِيَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَالْقِسْطِ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُسْلِمِينَ وَبَنُو عَوْفٍ عَلَى رِبَاعَتِهِمْ يَتَعَاقَلُونَ مَعَاقِلَهُمُ الْأُولَى ، وَكُلُّ طَائِفَةٍ مِنْهُمْ تَفْدِي عَانِيَهَا بِالْمَعْرُوفِ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ . وَبَنُو الْحَارِثِ بْنِ الْخَزْرَجِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ رِبَاعَتُهُمْ يَتَعَاقَلُونَ مَعَاقِلَهُمُ الْأُولَى ، وَكُلُّ طَائِفَةٍ مِنْهُمْ تَفْدِي عَانِيَهَا بِالْمَعْرُوفِ وَالْقِسْطِ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ . وَبَنُو سَاعِدَةَ عَلَى رِبَاعَتِهِمْ يَتَعَاقَلُونَ مَعَاقِلَهُمُ الْأُولَى ، وَكُلُّ طَائِفَةٍ مِنْهُمْ تَفْدِي عَانِيَهَا بِالْمَعْرُوفِ جُشْمٍ عَلَى رِبَاعَتِهِمْ يَتَعَاقَلُونَ مَعَاقِلَهُمُ الْأُولَى ، وَكُلُّ طَائِفَةٍ مِنْهُمْ تَفْدِي عَانِيَهَا بِالْمَعْرُوفِ

١٢٦٢ - شرح ابن بطلال - (١ / ١٩٨)

١٢٦٣ - طبعه الأستاذ حسام الدين القدسي رحمه الله تعالى بدمشق قبل سنة ١٣٤٨ . ومن الكتب الجامعة فى هذا الموضوع كتاب ((مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة)) للأستاذ محمد حميد الله ..

وَالْقِسْطِ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَبَيْنَ النَّجَارِ عَلَى رَبَاعَتِهِمْ يَتَعَاقَلُونَ مَعَاقِلَهُمُ الْأُولَى ، وَكُلُّ طَائِفَةٍ مِنْهُمْ تَفْدِي عَانِيَهَا بِالْقِسْطِ وَالْمَعْرُوفِ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَبَيْنَ عَمْرٍو بْنِ عَوْفٍ عَلَى رَبَاعَتِهِمْ يَتَعَاقَلُونَ مَعَاقِلَهُمُ الْأُولَى وَكُلُّ طَائِفَةٍ مِنْهُمْ تَفْدِي عَانِيَهَا بِالْمَعْرُوفِ وَالْقِسْطِ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَبَيْنَ النَّبِيتِ عَلَى رَبَاعَتِهِمْ يَتَعَاقَلُونَ مَعَاقِلَهُمُ الْأُولَى ، وَكُلُّ طَائِفَةٍ مِنْهُمْ تَفْدِي عَانِيَهَا بِالْمَعْرُوفِ وَالْقِسْطِ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ . وَبَيْنَ الْأَوْسِ عَلَى رَبَاعَتِهِمْ يَتَعَاقَلُونَ مَعَاقِلَهُمُ الْأُولَى وَكُلُّ طَائِفَةٍ مِنْهُمْ تَفْدِي عَانِيَهَا بِالْمَعْرُوفِ وَالْقِسْطِ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَأَنَّ الْمُؤْمِنِينَ لَا يَتْرُكُونَ مُفْرَحًا مِنْهُمْ أَنْ يُعِينُوهُ بِالْمَعْرُوفِ فِي فِدَاءٍ أَوْ عَقْلِ ، وَأَنَّ الْمُؤْمِنِينَ الْمُتَّقِينَ أَيْدِيَهُمْ عَلَى كُلِّ مَنْ بَغَى وَابْتَغَى مِنْهُمْ دَسِيعَةً ظَلَمٍ أَوْ إِثْمٍ ، أَوْ عُذْوَانٍ أَوْ فَسَادٍ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَأَنَّ أَيْدِيَهُمْ عَلَيْهِ جَمِيعِهِ ، وَلَوْ كَانَ وَوَلَدَ أَحَدِهِمْ . لَا يَقْتُلُ مُؤْمِنٌ مُؤْمِنًا فِي كَافِرٍ ، وَلَا يَنْصُرُ كَافِرًا عَلَى مُؤْمِنٍ ، وَالْمُؤْمِنُونَ بَعْضُهُمْ مَوَالِي بَعْضٍ دُونَ النَّاسِ ، وَأَنَّهُ مَنْ تَبَعْنَا مِنَ الْيَهُودِ فَإِنَّ لَهُ الْمَعْرُوفَ وَالْأَسْوَةَ غَيْرَ مَظْلُومِينَ ، وَلَا مُتَنَاصِرٍ عَلَيْهِمْ ، وَأَنَّ سَلْمَ الْمُؤْمِنِينَ وَاحِدٌ ، وَلَا يُسَالِمُ مُؤْمِنٌ دُونَ مُؤْمِنٍ فِي قِتَالٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، إِلَّا عَلَى سَوَاءٍ وَعَدْلٍ بَيْنَهُمْ ، وَأَنَّ كُلَّ غَازِيَةٍ غَزَتْ يُعَقَّبُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا ، وَأَنَّ الْمُؤْمِنِينَ الْمُتَّقِينَ عَلَى أَحْسَنِ هَذَا وَأَقْوَمِهِ وَأَنَّهُ لَا يُجِيرُ مُشْرِكٌ مَالًا لِقُرَيْشٍ وَلَا يُعِيثُهَا عَلَى مُؤْمِنٍ وَأَنَّهُ مَنْ اعْتَبَطَ مُؤْمِنًا قَتَلًا فَإِنَّهُ قَوْدٌ ، إِلَّا أَنْ يَرْضَى وَلِيُّ الْمَقْتُولِ بِالْعَقْلِ ، وَأَنَّ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهَا كَافَةٌ وَأَنَّهُ لَا يَحِلُّ لِمُؤْمِنٍ أَقْرَبُ بِمَا فِي هَذِهِ الصَّحِيفَةِ أَوْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يَنْصُرَ مُحَدِّثًا أَوْ يُؤْوِيَهُ فَمَنْ نَصَرَهُ أَوْ آوَاهُ فَإِنَّ عَلَيْهِ لَعْنَةَ اللَّهِ وَغَضَبَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، لَا يَقْبَلُ مِنْهُ صَرْفٌ وَلَا عَدْلٌ وَأَنْكُمْ مَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ حُكْمَهُ إِلَى اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَإِلَى الرَّسُولِ ﷺ وَأَنَّ الْيَهُودَ يُنْفِقُونَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ مَا دَامُوا مُحَارِبِينَ ، وَأَنَّ يَهُودَ بَنِي عَوْفٍ وَمَوَالِيَهُمْ وَأَنْفُسَهُمْ أُمَّةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ، لِلْيَهُودِ دِينُهُمْ ، وَلِلْمُؤْمِنِينَ دِينُهُمْ ، إِلَّا مَنْ ظَلَمَ وَأَثَمَ ، فَإِنَّهُ لَا يُوتَغُ إِلَّا نَفْسَهُ وَأَهْلَ بَيْتِهِ ، وَأَنَّ لِيَهُودِ بَنِي النَّجَارِ مِثْلَ مَا لِيَهُودِ بَنِي عَوْفٍ ، وَأَنَّ لِيَهُودِ بَنِي الْحَارِثِ مِثْلَ مَا لِيَهُودِ بَنِي عَوْفٍ ، وَأَنَّ لِيَهُودِ بَنِي جُشَمٍ مِثْلَ مَا لِيَهُودِ بَنِي عَوْفٍ ، وَأَنَّ لِيَهُودِ بَنِي سَاعِدَةَ مِثْلَ مَا لِيَهُودِ بَنِي عَوْفٍ ، وَأَنَّ لِيَهُودِ الْأَوْسِ مِثْلَ مَا لِيَهُودِ بَنِي عَوْفٍ ، إِلَّا مَنْ ظَلَمَ فَإِنَّهُ لَا يُوتَغُ إِلَّا نَفْسَهُ وَأَهْلَ بَيْتِهِ ، وَأَنَّهُ لَا يَخْرُجُ أَحَدٌ مِنْهُمْ إِلَّا بِإِذْنِ مُحَمَّدٍ ﷺ

، وَأَنَّ بَيْنَهُمُ النَّصْرَ عَلَى مَنْ حَارَبَ أَهْلَ هَذِهِ الصَّحِيفَةِ وَأَنَّ بَيْنَهُمُ النَّصِيحَةَ وَالنَّصْرَ
لِلْمَظْلُومِ ، وَأَنَّ الْمَدِينَةَ جَوْفُهَا حَرَمٌ لِأَهْلِ هَذِهِ الصَّحِيفَةِ ، وَأَنَّهُ مَا كَانَ بَيْنَ أَهْلِ هَذِهِ
الصَّحِيفَةِ مِنْ حَدَثٍ يُخِيفُ فَسَادُهُ فَإِنَّ أَمْرَهُ إِلَى اللَّهِ وَإِلَى مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ ، وَأَنَّ بَيْنَهُمُ النَّصْرَ
عَلَى مَنْ دَهَمَ يَثْرَبَ ، وَأَنَّهُمْ إِذَا دَعُوا الْيَهُودَ إِلَى صَلَاحِ حَلِيفٍ لَهُمْ فَإِنَّهُمْ يُصَالِحُونَهُ ، وَإِنْ
دَعَوْنَا إِلَى مِثْلِ ذَلِكَ فَإِنَّهُ لَهُمْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ، إِلَّا مَنْ حَارَبَ الدِّينَ ، وَعَلَى كُلِّ أُنَاسٍ
حَصَّتْهُمْ مِنَ التَّفَقَّةِ ، وَأَنَّ يَهُودَ الْأَوْسِ وَمَوَالِيَهُمْ وَأَنْفُسَهُمْ مَعَ الْبِرِّ الْمُحْسِنِ مِنْ أَهْلِ هَذِهِ
الصَّحِيفَةِ وَأَنَّ بَنِي الشَّطْبَةِ بَطْنٌ مِنْ حَفَنَةَ ، وَأَنَّ الْبِرَّ دُونَ الْإِثْمِ فَلَا يَكْسِبُ كَاسِبٌ إِلَّا عَلَى
نَفْسِهِ ، وَأَنَّ اللَّهَ عَلَى أَصْدَقِ مَا فِي هَذِهِ الصَّحِيفَةِ وَأَبْرَهُ ، لَا يَحُولُ الْكِتَابُ دُونَ ظَالِمٍ وَلَا
آثِمٍ ، وَأَنَّهُ مَنْ خَرَجَ آمِنٌ وَمَنْ قَعَدَ آمِنٌ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ وَأَثِمَ ، وَإِنْ أَوْلَاهُمْ بِهِذِهِ الصَّحِيفَةِ الْبِرُّ
الْمُحْسِنُ قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ : قَوْلُهُ : بَنُو فُلَانٍ عَلَى رَبَاعَتِهِمُ الرَّبَاعَةُ هِيَ الْمَعَاوِلُ وَقَدْ يُقَالُ :
فُلَانٌ رَبَاعَةٌ قَوْمِهِ ، إِذَا كَانَ الْمُتَقَلِّدُ لِمُورِهِمْ ، وَالْوَافِدُ عَلَى الْأَمْرَاءِ فِي مَا يُنُوبُهُمْ ، وَقَوْلُهُ
: إِنْ الْمُؤْمِنِينَ لَا يَتْرُكُونَ مُفْرَحًا فِي فِدَاءِ الْمُفْرَحِ : الْمُثْقَلُ بِالذِّينِ ، يَقُولُ : فَعَلَيْهِمْ أَنْ
يُعِينُوهُ ، إِنْ كَانَ أَسِيرًا فَكٌ مِنْ إِسَارِهِ ، وَإِنْ كَانَ حَتَّى جَنَابَةٍ خَطَأَ عَقْلُوا عَنْهُ ، وَقَوْلُهُ :
وَلَا يُجِيرُ مُشْرِكٌ مَالًا لِقُرَيْشٍ يَعْنِي الْيَهُودَ الَّذِينَ كَانَ وَادَعَهُمْ . يَقُولُ : فَلَيْسَ مِنْ
مُوَادَعَتِهِمْ أَنْ يُجِيرُوا أَمْوَالَ أَعْدَائِهِ ، وَلَا يُعِينُوهُمْ عَلَيْهِ ، وَقَوْلُهُ : وَمَنْ اعْتَبَطَ مُؤْمِنًا فَتَلَّا
فَهُوَ قَوْدٌ لِعَنْبَاطٍ : أَنْ يَقْتُلَهُ بَرِيًّا مُحَرَّمِ الدَّمِ ، وَأَصْلُ الْعَنْبَاطِ فِي الْإِبِلِ : أَنْ تُنَحَرَ بِلَا دَاءٍ
يَكُونُ بِهَا ، وَقَوْلُهُ : إِلَّا أَنْ يَرْضَى أَوْلِيَاءُ الْمَقْتُولِ بِالْعَقْلِ ، فَقَدْ جَعَلَ ﷺ الْخِيَارَ فِي الْقَوْدِ
أَوْ الدِّيَةِ أَوْ أَوْلِيَاءِ الْقَتِيلِ وَهَذَا مِثْلُ حَدِيثِهِ الْآخِرِ : وَمَنْ قَتَلَ لَهُ قَتِيلًا فَهُوَ بِأَحَدِ النَّظَرَيْنِ إِنْ
شَاءَ قَتَلَ وَإِنْ شَاءَ أَخَذَ الدِّيَةَ وَهَذَا يُرَدُّ قَوْلَ مَنْ يَقُولُ : لَيْسَ لِلْوَلِيِّ فِي الْعَمْدِ أَنْ يَأْخُذَ
الدِّيَةَ إِلَّا بِطَيْبِ نَفْسٍ مِنَ الْقَاتِلِ وَمُصَالِحَةٍ مِنْهُ لَهُ عَلَيْهَا وَقَوْلُهُ : وَلَا يَحِلُّ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَنْصُرَ
مُحَدَّثًا أَوْ يُؤْوِيَهُ الْمُحَدَّثُ : كُلُّ مَنْ أَتَى حَدًّا مِنْ حُدُودِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، فَلَيْسَ لِأَحَدٍ مَنَعُهُ
مِنْ إِقَامَةِ الْحَدِّ عَلَيْهِ ، وَهَذَا شَبِيهُهُ بِقَوْلِهِ الْآخِرِ : مَنْ حَالَتْ شَفَاعَتُهُ دُونَ حَدٍّ مِنْ حُدُودِ
اللَّهِ فَقَدْ ضَادَّ اللَّهَ فِي أَمْرِهِ وَقَوْلُهُ : لَا يَقْبَلُ مِنْهُ صَرْفٌ وَلَا عَدْلٌ ، حَدَّثَنَا هُشَيْمٌ ، عَنْ رَجُلٍ
قَدْ سَمَاهُ عَنْ مَكْحُولٍ ، قَالَ : الصَّرْفُ التَّوْبَةُ ، وَالْعَدْلُ : الْفِدْيَةُ . وَهَذَا أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ

قَوْلٍ مَنْ يَقُولُ : الْفَرِيضَةُ وَالْتَّطَوُّعُ ، لِقَوْلِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ فَكُلُّ شَيْءٍ فِدْيٌ بِهِ شَيْءٌ فَهُوَ عَدْلُهُ . وَقَوْلُهُ : وَإِنَّ الْيَهُودَ يُنْفِقُونَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ مَا دَامُوا مُحَارِبِينَ ، فَهَذِهِ النَّفَقَةُ فِي الْحَرْبِ خَاصَّةً ، شَرَطُ عَلَيْهِمُ الْمَعَاوَنَةَ لَهُ عَلَى عَدُوِّهِ وَتَرَى أَنَّهُ إِنَّمَا كَانَ يُسْهِمُ لِلْيَهُودِ إِذَا غَزَوْا مَعَ الْمُسْلِمِينَ بِهَذَا الشَّرْطِ الَّذِي شَرَطَهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّفَقَةِ ، وَلَوْلَا هَذَا لَمْ يَكُنْ لَهُمْ فِي غَنَائِمِ الْمُسْلِمِينَ سَهْمٌ ^{١٢٦٤}

تضمنت الصحيفة مبادئ عامة، درجت دساتير الدول الحديثة على وضعها فيها، وفي طليعة هذه المبادئ تحديد مفهوم الأمة، فالأمة في الصحيفة تضم المسلمين جميعا مهاجرينهم وأنصارهم ومن تبعهم، ممن لحق بهم وجاهد معهم أمة واحدة، من دون الناس وهذا شيء جديد كل الجدة في تاريخ الحياة السياسية في جزيرة العرب، إذ نقل الرسول ﷺ قومه من شعار القبلية، والتبعية لها إلى شعار الأمة، التي تضم كل من اعتنق الدين الجديد، فلقد قالت الصحيفة عنهم «أمة واحدة» (المادة ٢١) وقد جاء به القرآن الكريم قال تعالى (إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ) [الأنبياء: ٩٢].

وبين سبحانه وتعالى وسطية هذه الأمة في قوله تعالى: (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعِ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَوْؤُفٌ رَحِيمٌ) [البقرة: ١٤٣]. ووضح سبحانه وتعالى أنها بكونها أمة إيجابية فهي لا تقف موقف المتفرج من قضايا عصرها، بل تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، وتدعوا إلى الفضائل، وتحذر من الرذائل، قال تعالى: (كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ) [آل عمران: ١١٠].

وبهذا الاسم الذي أطلق على جماعة من المسلمين والمؤمنين ومن تبعهم من أهل يثرب،

^{١٢٦٤} - الْأُمُورُ لِلْقَاسِمِ بْنِ سَلَامٍ (٤٤٣) صحيح لغيره

اندمج المسلمون على اختلاف قبائلهم في هذه الجماعة التي ترتبط بينها برابطة الإسلام، فهم يتكافلون فيما بينهم، وهم ينصرون المظلوم على الظالم، وهم يرعون حقوق القرابة، والمحبة، والجوار لقد انصهرت طائفتا الأوس والخزرج في جماعة الأنصار، ثم انصهر الأنصار والمهاجرون في جماعة المسلمين، وأصبحوا أمة واحدة تربط أفرادها رابطة العقيدة وليس الدم، فيتحد شعورهم وتتحد أفكارهم وتتحد قبلتهم ووجهتهم، وولأؤهم لله وليس للقبيلة، واحتكامهم للشرع وليس للعرف، وهم يتميزون بذلك كله على بقية الناس «من دون الناس» فهذه الروابط تقتصر على المسلمين ولا تشمل غيرهم من اليهود والحلفاء.

ولا شك أن تمييز الجماعة الدينية كان أمراً مقصوداً يستهدف زيادة تماسكها، واعتزازها بذاتها يتضح ذلك في تمييزها بالقبلة واتجاهها إلى الكعبة بعد أن اتجهت ستة عشر أو سبعة عشر شهراً إلى بيت المقدس

وجعلت الصحيفة الفصل في كل الأمور بالمدينة يعود إلى الله ورسوله ﷺ، فقد نصت على مرجع فض الخلاف في المادة (٢٣)، وقد جاء فيها: «وأنكم مهما اختلفتم فيه من شيء، فإن مرده إلى الله وإلى محمد ﷺ» والمعزى من ذلك واضح وهو تأكيد سلطة عليا دينية تهيمن على المدينة وتفصل في الخلافات منعاً لقيام اضطرابات في الداخل من جراء تعدد السلطات، وفي نفس الوقت تأكيد ضمني برئاسة الرسول ﷺ على الدولة فقد حددت الصحيفة مصدر السلطات الثلاث؛ التشريعية، والقضائية، والتنفيذية، فكان رسول الله ﷺ حريصاً على تنفيذ أوامر الله من خلال دولته الجديدة، لأن تحقيق الحاكمية لله على الأمة هو محض العبودية لله تعالى؛ لأنه بذلك يتحقق التوحيد ويقوم الدين قال تعالى: (مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءَ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ) [يوسف: ٤٠].

يعني: «ما الحكم الحق في الربوبية والعقائد والعبادات، والمعاملات إلا لله وحده، يوحيه لمن اصطفاه من رسله، لا يمكن لبشر أن يحكم فيه برأيه وهواه، ولا بعقله واستدلاله، ولا

باجتهاده واستحسانه، فهذه القاعدة هي أساس دين الله تعالى على السنة جميع رسله لا تختلف باختلاف الأزمة والأمكنة»

لقد نزل القرآن الكريم من أجل تحقيق العبودية والحاكمية لله تعالى، قال تعالى: (إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ - أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ) [الزمر: ٢،٣]. وقال تعالى: (إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا) [النساء: ١٠٥] فكما أن تحقيق العبودية غاية من إنزال الكتاب، فكذلك تطبيق الحاكمية غاية من إنزاله، وكما أن العبادة لا تكون إلا عن وحي منزل، فكذلك لا ينبغي أن يحكم إلا بشرع منزل، أو بماله أصل في شرع منزل.

إن تحقيق الحاكمية تمكين للعبودية، وقيام بالغاية التي من أجلها خلق الإنسان والجان، قال تعالى: (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ) [الذاريات: ٥٦].^{١٢٦٥}

الخلاصة :

- (١) الكتابة أحدى وأهم الوسائل التعليمية
- (٢) اهتم الإسلام بالكتابة منذ البداية ، وأمر الرسول ﷺ بكتابة القرآن الكريم ، وكتبت المعاهدات والديات والرسائل وغيرها في عهد النبي ﷺ
- (٣) على طالب العلم الاهتمام بالكتابة وتلخيص ما يسمعه أو يقرؤه ليحفظه.

[٥٦] أمره ﷺ بعض أصحابه بتعلم اللغة السريانية :

عَنْ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ ، قَالَ: أَمَرَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، أَنْ أَتَعَلَّمَ لَهُ كِتَابَ يَهُودَ ، قَالَ : إِنْ سِئِلْتُ وَاللَّهِ ، مَا آمَنَ يَهُودٌ عَلَى كِتَابٍ ، قَالَ : فَمَا مَرَّ بِي نِصْفُ شَهْرٍ حَتَّى تَعَلَّمْتُهُ لَهُ ، قَالَ :

^{١٢٦٥} - السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث - (١ / ٤٩٥)

فَلَمَّا تَعَلَّمْتُهُ ، كَانَ إِذَا كَتَبَ إِلَى يَهُودَ ، كَتَبْتُ إِلَيْهِمْ ، وَإِذَا كَتَبُوا إِلَيْهِ ، قَرَأْتُ لَهُ
كِتَابَهُمْ. ١٢٦٦

قال الطحاوي : " بَابُ بَيَانِ مُشْكِلِ مَا رُوِيَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ أَمْرِ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ
أَنْ يَتَعَلَّمَ السُّرْيَانِيَّةَ ، وَقَوْلِهِ مَعَ ذَلِكَ : " إِيَّيْ لَأَمْنُ يَهُودًا عَلَى كُتُبِي "
عَنْ ثَابِتِ بْنِ عَبِيدٍ قَالَ : قَالَ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ : قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " أَتُحْسِنُ السُّرْيَانِيَّةَ ؟
إِنَّهُ لِيَأْتِيَنِي كُتُبٌ " قَالَ : قُلْتُ : لَأ . قَالَ : " فَتَعَلَّمَهَا " قَالَ : فَتَعَلَّمْتُهَا فِي سَبْعَةِ عَشَرَ يَوْمًا
وَعَنْ خَارِجَةَ بْنِ زَيْدٍ ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ : " " أَمَرَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ أَتَعَلَّمَ لَهُ كِتَابَ يَهُودَ "
" فَمَا مَرَّ بِي نِصْفُ شَهْرٍ حَتَّى تَعَلَّمْتُ ، وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " " إِيَّيْ مَا آمَنُ يَهُودَ عَلَى
كِتَابِي " " فَلَمَّا تَعَلَّمْتُ لَهُ كُنْتُ أَكْتُبُ إِلَى يَهُودَ إِذَا كَتَبَ إِلَيْهِمْ ، وَإِذَا كَتَبُوا إِلَيْهِ قَرَأْتُ
لَهُ كِتَابَهُمْ .

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ : فَتَأَمَّلْنَا هَذَا الْحَدِيثَ فَوَجَدْنَا مَا كَانَ يَرِدُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ كُتُبِ
يَهُودَ بِالسُّرْيَانِيَّةِ إِنَّمَا كَانَ يَقْرُؤُهُ لَهُ الْيَهُودُ الَّذِينَ كَانُوا يَحْضُرُونَهُ ، وَهُمْ غَيْرُ مَأْمُونِينَ عَلَى
كِتْمَانِهِ بَعْضُ مَا فِيهِ ، وَغَيْرُ مَأْمُونِينَ عَلَى تَحْرِيفِ مَا فِيهِ إِلَى مَا يُرِيدُونَ ، وَكَانَ مَا يَنْفُذُ
مِنْ كُتُبِهِ إِلَى الْيَهُودِ جَوَابًا لِكُتُبِهِمْ لَهُ بِالْعَرَبِيَّةِ فَتَحْتَاجُ الْيَهُودُ الْوَارِدَةَ عَلَيْهِمْ إِلَى مَنْ يُحْسِنُ
الْعَرَبِيَّةَ لِيَقْرَأَهُ عَلَيْهِمْ ؛ إِذْ كَانُوا لَا يُحْسِنُونَ الْعَرَبِيَّةَ ، فَلَعَلَّهُ أَنْ يُحَرِّفَ مَا فِي كُتُبِهِ إِلَيْهِمْ
إِلَى مَا يُرِيدُ ، لَا سِيَّمَا إِنْ كَانَ مِنْ عِبْدَةِ الْأَوْثَانِ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَا
لَا خَفَاءَ بِهِ ، وَفِي قُلُوبِهِمْ عَلَى أَهْلِ الْكِتَابِ مَا فِيهَا ، فَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ زَيْدًا أَنْ يَتَعَلَّمَ
لَهُ السُّرْيَانِيَّةَ لِيَقْرَأَ كُتُبَهُمْ إِذَا وَرَدَتْ عَلَيْهِ قِرَاءَةً ، فَيَأْمَنَ بِهَا كِتْمَانَ مَا فِيهَا ، وَيَأْمَنَ بِهَا
تَحْرِيفَ مَا فِيهَا ، وَيَكُونُ كِتَابُهُ ﷺ إِذَا وَرَدَ عَلَى الْيَهُودِ وَرَدَ عَلَيْهِمْ كِتَابٌ يَقْرُؤُهُ عَامَتَهُمْ
، يَأْمَنُ فِيهِ مِنْ كِتْمَانِ بَعْضِ مَا فِيهِ ، وَمِنْ تَحْرِيفِ مَا فِيهِ إِلَى غَيْرِ مَا كَتَبَ بِهِ ، فَهَذَا وَجْهُ
هَذَا الْحَدِيثِ عِنْدَنَا ، وَاللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ نَسَأَلُهُ التَّوْفِيقَ " ١٢٦٧

١٢٦٦ - سنن الترمذى - المكثر - (٢٩٣٣) صحيح

١٢٦٧ - شرح مشكل الآثار - (٥ / ٢٨٠) (٢٠٣٨ و ٢٠٣٩)

فاستخدام اللغات الأجنبية في مجال التعليم والدعوة والتبليغ، عند الحاجة إليها مما ثبت من هدي النبي ﷺ، وهو أحد أساليب النبي ﷺ في التعليم .

ثم اللغات اليوم مفتاح العلوم الكونية التي أصبحت ضرورية، لمجاراة العجم والفرنجية، والترقي بين الأمم، وصارت مفتاحاً للتعرف الذي أصبح ضرورياً للعيش وأمن الإنسان على حقوقه حين الاختلاط، وللشيخ صفي الدين الحلي وهو ممن كان يحفظ عدة لغات :

بَقَدَرِ لُغَاتِ الْمَرْءِ يَكْتُرُ نَفْعُهُ وَتَلْكَ لَهُ عِنْدَ الْمَلِمَاتِ أَعْوَانُ

فبادر إلى حفظ اللغات مسارعاً فكل لسان في الحقيقة إنسان^{١٢٦٨}

قلت : تعلم اللغات الأخرى لتبليغهم الدعوة أو تعليم المسلمين فرض كفاية إذا قام به البعض سقط الحرج عن الباقين ، أما أن تفرض اللغات الأجنبية على المسلم مقابل اللغة العربية وعلى حسابها ، فهذه مؤامرة ذنينة على الإسلام ، واللغة العربية هي أقدر اللغات على استيعاب كل العلوم ، ولكن اللغات الأجنبية - ولاسيما اللغة الإنكليزية قد فرضت بالقوة على المسلمين .

فاليهود كانوا يتكلمون العربية والسريانية ، وهم يعيشون في المدينة ، فلم يأمر النبي ﷺ أصحابه ليعلموا اللغة السريانية، بل أمر واحداً من أصحابه، فتعلمها خلال وقت قصير ، ولم يأمر بالباقيين .

فالانبهار بهذه اللغات ما هو إلا نوع من الهزيمة النفسية التي يعاني منها المسلمون بعد سقوط الخلافة ، وعزوهم فكرياً وثقافياً وعسكرياً وسياسياً...

ولم تعد القضية نعلم اللغة الأجنبية فقط ، بل ثقافتهم وفكرهم وقيمهم الساقطة الهابطة ، والتغني بما لظن المغلوب أنه إذا قلد الغالب في كل شيء استرد فوته وعافيته ، فهذا غير صحيح بتاتا .

ولكن سيبقى المسلمون عالة على الأمم ولو تعلموا كل لغاتهم ، فنحن بغير الإسلام لا

^{١٢٦٨} - الرسول المعلم ﷺ وأساليبه في التعليم لأي غدة - (١ / ١٧١)

قيمة لنا ولا وزن ولا اعتبار ، فإذا عاد الإسلام إلى الحياة عقيدة وعبادة وشريعة منهج حياة عندئذ تأتي خيرا العالم كله صاغرة لنا ، لأننا عندئذ نمثل الروح بالنسبة للجسد.^{١٢٦٩}

الخلاصة :

- (١) يجوز تعلم اللغات الأجنبية إذا اقتضت الحاجة ذلك .
- (٢) التوسع في تعلم اللغات الأجنبية يضر بالإسلام والمسلمين .
- (٣) الذين يروجون لتعلم اللغات الأجنبية ما هم إلا حفنة من المأجورين الذين باعوا دينهم بثمن بخس .
- (٤) لا يجوز أن تراحم اللغات الأخرى اللغة العربية لغة الدين ، والذي لا يمكن فهمه بغيرها بشكل صحيح .

[٥٧] قول المعلم لا أدري لما لا يدري جزء من العلم:

لقد عاب الله على الذين يتكلمون بغير علم، وذمهم في كتابه، وعلى لسان رسوله ﷺ. وذلك لأن القائل بلا علم، يضل ولا يهدي، ويفسد ولا يصلح. وقول المرء لا أعلم أو لا أدري لما لا يعلم ولا يدري، ليس عيباً، ولا نقصاً في علمه وقدره، بل هو من تمام العلم .
ولما سأل الله رسوله يوم القيامة بقوله : {يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا إِنَّا كُنَّا نَعْلَمُ مَا نُرَى} (١٠٩) سورة المائدة

^{١٢٦٩} - انظر كتبنا ((موسوعة الغزو الفكري والثقافي))
وكتاب ((هل البقاء للأقوى أم للأصلح))
وكتابنا ((المسلم بين الهوية الإسلامية والهوية الجاهلية))
وكتاب هويتنا أو الهاوية للمقدم

يُخْبِرُ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّهُ سَيَسْأَلُ الْمُرْسَلِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا أَجَابَتْهُمْ بِهِ الْأُمَّمُ الَّتِي أَرْسَلَهُمُ اللَّهُ إِلَيْهَا فَيَقُولُونَ : لَا عِلْمَ لَنَا يَا رَبَّنَا بِالنَّسْبَةِ إِلَى عِلْمِكَ الْمُحِيطِ بِكُلِّ شَيْءٍ، وَأَنْتَ تَعْلَمُ ظَاهِرَ النَّاسِ وَبَاطِنَهُمْ، وَأَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ١٢٧٠

ولما سأل الله ملائكته بقوله { وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٣١) } قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ { (٣٢) سورة البقرة

وَبَعْدَ أَنْ خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ عَلَّمَهُ أَسْمَاءَ الْأَشْيَاءِ كُلِّهَا : الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ وَأَصْنَافِ الْحَيَوَانَاتِ وَالسَّهْلِ وَالْجَبَلِ وَالْبَحْرِ . . وَذَوَاتِهَا وَخَصَائِصِهَا وَأَفْعَالِهَا . . ثُمَّ عَرَضَ هَذِهِ الْمَسْمِيَّاتِ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ لَهُمْ : أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فِيمَا تَعْتَقِدُونَ مِنْ أَنِّي لَمْ أَخْلُقْ أَعْلَمَ مِنْكُمْ؟

قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ : تَزْرَعُ اسْمُكَ يَا رَبُّ (سُبْحَانَكَ) إِنَّا لَا نَعْلَمُ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا، وَهَذِهِ الْأَشْيَاءُ لَا نَعْرِفُهَا، وَأَنْتَ الْعَلِيمُ بِكُلِّ شَيْءٍ، الْحَكِيمُ فِي خَلْقِكَ وَأَمْرِكَ، وَفِي تَعْلِيمِكَ مَا تَشَاءُ، وَمَنْعِكَ مَا تَشَاءُ ١٢٧١ .

والعلم ساحل لا بحر له، ولا يحيط به إلا من وسع كل شيء علماً جل جلاله. والبشر، كل البشر بضاعتهم في العلم قليلة، قال تعالى : { وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا } (٨٥) سورة الإسراء ،

فإذا كان الأمر كذلك فلا حياء ولا عيب أن يقول المعلم أو غيره لا أدري .

يقول الماوردي في أدبه ١٢٧٢ : فإذا لم يكن إلى الإحاطة بالعلم سبيل، فلا عار أن يجهل بعضه، وإذا لم يكن في جهل بعضه عار، لم يقيح به أن يقول لا أعلم فيما ليس يعلم . اه

١٢٧٠ - أيسر التفاسير لأسعد حومد - (١ / ٧٧٩)

١٢٧١ - أيسر التفاسير لأسعد حومد - (١ / ٣٨)

١٢٧٢ - أدب الدين والدنيا ص ١٢٣ .

وإنما القبح كل القبح، أن يوهم ويدلس على الناس بكلام خاطئ مغلوط . والطلاب - وإن دلس عليهم معلمهم بإعطائهم معلومات خاطئة لينجو من موقف معين - إلا أنهم سوف يكتشفون ذلك إن عاجلاً أو آجلاً، ومن ثم تهتز صورته لديهم، ولا يثقون بعدها بالمعلومات والمواد التي يطرحها عليهم .

والمعلم الأول ﷺ، كان يقول لما لا يدري، لا أدري حتى يأتيه الوحي بذلك، ولم يمنعه أن يقول تلك المقالة قول حاسد أو منافق!، فتأمل ذلك وتدبره، يهون عليك الكثير .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ اسْتَبَّ رَجُلَانِ رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَرَجُلٌ مِنَ الْيَهُودِ، قَالَ الْمُسْلِمُ وَالَّذِي اصْطَفَى مُحَمَّدًا عَلَى الْعَالَمِينَ، فَقَالَ الْيَهُودِيُّ وَالَّذِي اصْطَفَى مُوسَى عَلَى الْعَالَمِينَ . فَرَفَعَ الْمُسْلِمُ يَدَهُ عِنْدَ ذَلِكَ فَلَطَمَ وَجْهَ الْيَهُودِيِّ، فَذَهَبَ الْيَهُودِيُّ إِلَى النَّبِيِّ - ﷺ - فَأَخْبَرَهُ بِمَا كَانَ مِنْ أَمْرِهِ وَأَمْرِ الْمُسْلِمِ، فَدَعَا النَّبِيُّ - ﷺ - الْمُسْلِمَ فَسَأَلَهُ عَنْ ذَلِكَ، فَأَخْبَرَهُ فَقَالَ النَّبِيُّ - ﷺ - « لَا تُخَيِّرُونِي عَلَى مُوسَى، فَإِنَّ النَّاسَ يَصْعَقُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَاصْعَقْ مَعَهُمْ، فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يُفِيقُ، فَإِذَا مُوسَى بَاطِشٌ جَانِبَ الْعَرْشِ، فَلَا أَدْرِي أَكَانَ فِيمَنْ صَعِقَ فَأَفَاقَ قَبْلِي، أَوْ كَانَ مِمَّنِ اسْتَشْنَى اللَّهُ » ١٢٧٣ .

وَعَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ - ﷺ - فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيُّ الْبِقَاعِ خَيْرٌ؟ قَالَ : « لَا أَدْرِي » . فَقَالَ : أَيُّ الْبِقَاعِ شَرٌّ؟ قَالَ : « لَا أَدْرِي » . قَالَ : فَأَتَاهُ جَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ لَهُ : « يَا جَبْرِيلُ أَيُّ الْبِقَاعِ خَيْرٌ؟ » . قَالَ : لَا أَدْرِي . قَالَ : أَيُّ الْبِقَاعِ شَرٌّ؟ . قَالَ : لَا أَدْرِي قَالَ : « سَلْ رَبِّكَ » . قَالَ : فَانْتَفَضَ جَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ انْتِفَاضَةً كَادَ يُصْعَقُ مِنْهَا مُحَمَّدٌ - ﷺ - فَقَالَ : مَا أَسْأَلُهُ عَنْ شَيْءٍ فَقَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا لَجَبْرِيلَ : سَأَلْتُ مُحَمَّدٌ أَيُّ الْبِقَاعِ خَيْرٌ فَقُلْتَ لَا أَدْرِي وَسَأَلْتُكَ أَيُّ الْبِقَاعِ شَرٌّ فَقُلْتَ لَا أَدْرِي فَأَخْبَرَهُ أَنَّ خَيْرَ الْبِقَاعِ الْمَسَاجِدُ وَأَنَّ شَرَّ الْبِقَاعِ الْأَسْوَاقُ. ١٢٧٤

١٢٧٣ - صحيح البخارى - المكثر - (٢٤١١) وصحيح مسلم - المكثر - (٦٣٠٢)

١٢٧٤ - السنن الكبرى للبيهقي - حيدرآباد - (٧ / ٥٠) (١٣٧١٣) صحيح

أما تلامذة محمد ﷺ فقد ضربوا أروع الأمثلة في التأسي بمعلمهم ﷺ، فعن إبراهيم التيمي، أن أبا بكر سئل عن {وفاكهة وأبا}، فقال: أي سماء تُظلني وأي أرض تُقلني إذا قلت في كتاب الله ما لا أعلم^{١٢٧٥}.

وعن الشعبي، قال: أدرت أصحاب عبد الله وأصحاب علي وليس لهم لشيء من العلم أكره منهم لتفسير القرآن، قال: وكان أبو بكر يقول: أي سماء تُظلني وأي أرض تُقلني إذا قلت في كتاب الله ما لا أعلم^{١٢٧٦}.

وعن مسروق، قال: دخلت على عبد الله، فقال: إن من العلم أن تقول لما لا تعلم الله أعلم، إن الله قال لنبيه ﷺ: قل ما أسألكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين إن قرئتم لَمَّا غلبوا النبي ﷺ واستعصوا عليه، قال: "اللهم أعني عليهم سبع كسب يوسف فأخذتهم سنة أكلوا فيها العظام والميتة من الجهد، حتى جعل أحدهم يرى ما بينه وبين السماء كهيئة الدخان من الجوع، قالوا: ربنا اكشف عنا العذاب إنا مؤمنون فقيل له: إن كشفنا عنهم عادوا، فدعا ربه فكشف عنهم فعادوا، فانتقم الله منهم يوم بدر، فذلك قوله تعالى: فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين إلى قوله جل ذكره إنا منتقمون"^{١٢٧٧}

وعن عبد الملك بن أبي سليمان قال: سئل سعيد بن جبير، عن شيء فقال "لا أعلم"، ثم قال: "ويل للذي يقول لما لا يعلم: إنني أعلم" وذكر الشعبي، عن علي رضي الله عنه أنه خرج عليهم وهو يقول: "ما أبردها على الكبد، ما أبردها على الكبد" فقيل له: وما ذاك؟ قال: "أن تقول للشيء لا تعلمه: الله أعلم"

وعن القاسم قال: "يا أهل العراق إنا والله لا نعلم كثيراً مما تسألونا عنه، ولأن يعيش المرء جاهلاً إلا أنه يعلم ما افترض الله عليه خير له من أن يقول على الله ورَسُولِهِ ما لا يعلم"^{١٢٧٨}

^{١٢٧٥} - مصنف ابن أبي شيبة - (١٥ / ٥٠٠) (٣٠٧٣١) صحيح لغيره

^{١٢٧٦} - مصنف ابن أبي شيبة - (١٥ / ٤٩٩) (٣٠٧٢٧) صحيح لغيره

^{١٢٧٧} - صحيح البخاري - المكثر - (٤٨٢٢)

^{١٢٧٨} - جامع بيان العلم (٩٩٨)

وَعَنْ مُجَاهِدٍ قَالَ : " سُئِلَ ابْنُ عُمَرَ، عَنْ فَرِيضَةِ مَنْ الصُّلْبِ فَقَالَ : " لَا أَدْرِي " فَقِيلَ لَهُ : فَمَا مَنَعَكَ أَنْ تُجِيبَهُ ؟ فَقَالَ : " سُئِلَ ابْنُ عُمَرَ عَمَّا لَا يَدْرِي فَقَالَ : لَا أَدْرِي "

١٢٧٩١١

وَعَنْ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ قَالَ : قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ، " إِذَا تَرَكَ الْعَالِمُ لَا أَعْلَمُ فَقَدْ أُصِيبَتْ مَقَاتِلُهُ " ١٢٨٠

وَعَنْ عُقَبَةَ بْنِ مُسْلِمٍ قَالَ : صَحِبْتُ ابْنَ عُمَرَ أَرْبَعَةَ وَثَلَاثِينَ شَهْرًا فَكَثِيرًا مَا كَانَ يُسْأَلُ فَيَقُولُ : " لَا أَدْرِي " ثُمَّ يَلْتَفِتُ إِلَيَّ فَيَقُولُ : " تَدْرِي مَا يُرِيدُ هَؤُلَاءِ ؟ يُرِيدُونَ أَنْ يَجْعَلُوا ظُهُورَنَا جِسْرًا لَهُمْ إِلَى جَهَنَّمَ " قَالَ أَبُو دَاوُدَ : " قَوْلُ الرَّجُلِ فِيمَا لَا يَعْلَمُ : لَا أَعْلَمُ نِصْفُ الْعِلْمِ " وَقَالَ الرَّاجِزُ :

فَإِنْ جَهَلْتَ مَا سُئِلْتَ عَنْهُ وَلَمْ يَكُنْ عِنْدَكَ عِلْمٌ مِنْهُ
فَلَا تَقُلْ فِيهِ بَعِيرٌ فَهَمَّ إِنَّ الْخَطَأَ مُزْرٍ بِأَهْلِ الْعِلْمِ
وَقُلْ إِذَا أَعْيَاكَ ذَلِكَ الْأَمْرُ مَا لِي بِمَا تَسْأَلُ عَنْهُ خَبِيرٌ

فَذَاكَ شَطْرُ الْعِلْمِ عَنِ الْعُلَمَاءِ كَذَاكَ مَا زَالَتْ تَقُولُ الْحُكَمَا ١٢٨١

والكلام في ذكر أقاويل الصحابة والسلف يطول، وفيما ذكر يكفي ويشفي .

الخلاصة:

- (١) القائل بلا علم مذموم أبداً في كتاب الله، وعلى لسان رسوله ﷺ .
- (٢) القائل بلا علم، يفسد ولا يصلح .
- (٣) عدم المعرفة ليس عيباً ولا نقصاً في حق المعلم .

١٢٧٩ - جَامِعُ بَيَانِ الْعِلْمِ (٩٩٦) صحيح

١٢٨٠ - جَامِعُ بَيَانِ الْعِلْمِ (١٠٠٢)

١٢٨١ - جَامِعُ بَيَانِ الْعِلْمِ (١٠٠٥) صحيح

(٤) الحياء والخجل من قول (لا أدري) ليس سبباً مقنعاً في تمرير المعلومات
الخاطئة على الطلاب

(٥) يجب على المعلم أن يغرس هذا المبدأ في نفوس طلابه، ويؤكد عليه .

(٦) قول لا أعلم . جزء من العلم .



الخاتمة

لقد كان رسول الله ﷺ معلماً اختاره الله تعالى لتعليم البشرية دين الله وشريعته الخاتمة والخالدة، وليس في الدنيا أعلى على الله من (دين الله تعالى)، فاختار الله سبحانه لنشره وتعليمه أفضل الأنبياء والرسل محمداً عليه وعليهم أفضل الصلاة والسلام.

وكان هذا المعلم المصطفى من الله تعالى لتبليغ شريعته للناس، معلماً بمظهره ومخبره، وحاله ومقاله، وجميع أحواله، فتكامل شخصيته الشريفة أسلوباً معلماً للمتعلمين أن يكونوا كمثاله الشريف وهدية المنيف .

ومن أهم صفات المعلم أن يكون في ذاته متكامل المحاسن عقلاً وفضلاً، وعلماً وحكمة، ومنظراً ورؤياً، ولباقةً ولياقةً، وحركةً وسكوناً، وطيبَ حديثٍ، وذكاءً رائحةً، ونظافةً ثيابٍ، وجمالاً طلعةً، وحُسنَ منطقٍ وتصرفٍ وإدارةٍ ...

وقد كان كلُّ هذا في ذاتِ الرسولِ المُعلِّمِ ﷺ على أتمِّ وجهٍ وأعلى حُسنٍ واكتمالٍ، فهو معلِّمٌ بذاته الشريفة التَّمُوذِجِيَّة لكلِّ متعلِّمٍ ومُسترشِدٍ، فهو ﷺ تَمَثَّلَ فيه غايَةُ التعلِيمِ بأساليبه المختلفة، لأنَّ كلَّ تلك الوسائل والأساليب تتوجَّه لأن يكون المسلمُ مُحَقِّقاً لقوله تعالى : (كنتم خير أمة أُخْرِجَتْ للناس)، فهذا الكمالُ الجامعُ فيه ﷺ غاية الغايات من جميع الأساليب، وزيدةُ التعلِيمِ والتهديبِ، ولقد حَظِيَتْ ذاته الشريفة بأعلى الثناء العزيز الفريد، المؤكِّد من الله تعالى كلَّ التأكيد، بقوله تعالى : (وإنك لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ).

فلا غرابة أن تُعدَّ محاسنُه الشريفة من أساليب التعلِيمِ، وأيُّ معلِّمٍ أثر في البشرية تأثيره، وتقبَّل الناسُ على اختلاف ألوانهم وألسنتهم دينه وشريعته؟ واتخذوه القدوة والأسوة الحسنة في سائر شؤون الحياة سوى هذا الرسول الكريم والنبى العظيم، عليه من الله أفضل الصلاة والتسليم . ١٢٨٢

١٢٨٢ - الرسول المعلم ﷺ وأساليبه في التعلِيم لأبي غدة - (١ / ١٧١)

إن ما طالعه آنفاً، جزء يسير من سيرته ﷺ في التربية والتعليم، وما تركت أكثر مما ذكرت، وحسبي أني مهدت السبيل لك، ودلتك على ينبوع لا ينضب، ونهر لا يدرى أوله من آخره، فشمّر عن ساعد الجد واستن بمن أمرنا بالاستئنان به، فهو لعمر الله الأسوة الحسنة والسراج المنير . وإنه لمن المؤسف أن يعدل معلمونا عن سنّة نبيهم ﷺ ويطلبوا غيرها وهي دونها بمراحل. ولو تقصينا كثيراً من الآثار النبوية لخرجنا بكم هائل من الفوائد التربوية والتعليمية، ولكن نشكو إلى الله ضعف همتنا وقلة علمنا .

أخي المعلم .. إن الأمة تعلق عليك آمالاً كبيرة ، لأنها قدمت لك أعلى ما تملك، قدمت لك ثمرة فؤادها، وفلذة كبدها، فماذا ستفعل فيها، هل سترعاها وتؤدي ما أوثمت عليه، أم ماذا ؟

ولعل الحديث التالي يغني عن كثير من الكلام، فعن عبد الله بن عمر، قال: قال رسول الله ﷺ: " أَلَا إِنَّ كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، فَالْأَمِيرُ رَاعٍ عَلَى النَّاسِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ عَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَأَمْرَأَةُ الرَّجُلِ رَاعِيَةٌ عَلَى بَيْتِ بَعْلِهَا وَوَلَدِهِ وَهِيَ مَسْئُولَةٌ عَنْهُمْ، وَعَبْدُ الرَّجُلِ رَاعٍ عَلَى مَالِ سَيِّدِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْهُ، أَلَا كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ " ١٢٨٣ ..

ألا فاتقوا الله في أولاد المسلمين ولا تعشوهم، وعلموهم العلم والأدب، وقدموا لهم النصيحة ولا تبخلوا عنهم بشيء فهم عماد المستقبل وعليهم تقوم الأمة .
والله أعلم .. وصلى الله وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين، والحمد لله رب العالمين في الأولى والآخرة .



أهم المصادر

١. أيسر التفاسير لأسعد حومد
٢. التفسير الميسر
٣. تفسير ابن أبي حاتم
٤. تفسير ابن كثير - دار طيبة
٥. تفسير السعدي
٦. تفسير الشعراوي
٧. تفسير الطبري - مؤسسة الرسالة
٨. تفسير القرطبي موافق للمطبوع
٩. فى ظلال القرآن موافقا للمطبوع
١٠. أخبار مكة للفاكهي
١١. اتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة
١٢. الأحاد والمثاني لابن أبي عاصم
١٣. الأدب المفرد
١٤. الترغيب والترهيب للمنري
١٥. السنن الكبرى للإمام النسائي الرسالة
١٦. السنن الكبرى للبيهقي - حيدر آباد
١٧. السنن الكبرى للبيهقي- المكنز
١٨. الشمائل المحمدية للترمذي
١٩. الفوائد لتمام ٤١٤
٢٠. المجالسة وجواهر العلم (٣٣٣)
٢١. المدخل إلى السنن الكبرى
٢٢. المستدرک للحاکم مشکلا
٢٣. المسند الجامع
٢٤. المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية (٨٥٢)
٢٥. المعجم الأوسط للطبراني
٢٦. المعجم الصغير للطبراني
٢٧. المعجم الكبير للطبراني
٢٨. جامع الأصول في أحاديث الرسول
٢٩. دلائل النبوة للبيهقي
٣٠. سنن أبي داود - المكنز
٣١. سنن ابن ماجه- طبع مؤسسة الرسالة
٣٢. سنن ابن ماجه- المكنز
٣٣. سنن الترمذی- المكنز
٣٤. سنن الدارقطنی- المكنز
٣٥. سنن الدارمی- المكنز
٣٦. سنن النسائي- المكنز

٣٧. شرح مشكل الآثار (٣٢١)
٣٨. شرح معاني الآثار (٣٢١)
٣٩. شعب الإيمان (٤٥٨)
٤٠. صحيح ابن حبان
٤١. صحيح ابن خزيمة مشكل
٤٢. صحيح البخارى- المكنز
٤٣. صحيح مسلم- المكنز
٤٤. عشرة النساء للإمام للنسائي - الطبعة الثالثة
٤٥. كشف الأستار
٤٦. مجمع الزوائد
٤٧. مسند أبي عوانة مشكلا
٤٨. مسند أبي يعلى الموصلي مشكل
٤٩. مسند أحمد (عالم الكتب)
٥٠. مسند أحمد - المكنز
٥١. مسند البزار (المطبوع باسم البحر الزخار
٥٢. مسند الحميدي - المكنز
٥٣. مسند الشاشي ٣٣٥
٥٤. مسند الشاميين ٣٦٠
٥٥. مسند الطيالسي
٥٦. مصنف ابن أبي شيبة
٥٧. مصنف عبد الرزاق مشكل
٥٨. معرفة السنن والآثار للبيهقي
٥٩. معرفة الصحابة لأبي نعيم (٤٣٠)
٦٠. موسوعة السنة النبوية
٦١. موطأ مالك- المكنز
٦٢. الإصابة في معرفة الصحابة
٦٣. فتح الباري شرح صحيح البخاري- ط دار الفكر
٦٤. إبراز الحكم من حديث رفع القلم
٦٥. التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد
٦٦. المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم
٦٧. بحر الفوائد المسمى بمعاني الأخيار للكلاباذي
٦٨. تحفة الأحوذى
٦٩. تيسير العلام شرح عمدة الحكام- للبسام
٧٠. جامع العلوم والحكم محقق
٧١. دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين
٧٢. شرح ابن بطلال
٧٣. شرح النووي على مسلم
٧٤. شرح رياض الصالحين لابن عثيمين
٧٥. عمدة القاري شرح صحيح البخاري

٧٦. عون المعبود
٧٧. فتح القوي المتين في شرح الأربعين وتتمة الخمسين
٧٨. فقه الدعوة في صحيح الإمام البخاري
٧٩. فيض الباري شرح صحيح البخاري
٨٠. فيض التقدير، شرح الجامع الصغير، الإصدار ٢
٨١. معالم السنن للخطابي
٨٢. الرسول المعلم ﷺ وأساليبه في التعليم - للشيخ: عبد الفتاح أبو غدة
٨٣. نداء إلى المريين
٨٤. زاد المعاد في هدي خير العباد - (٣ / ٣٠٧)
٨٥. السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث
٨٦. تأملات في السيرة النبوية لمحمد السيد الوكيل
٨٧. إحياء علوم الدين ط . دار الحديث .
٨٨. النَّفَقَةُ عَلَى الْعِيَالِ لِأَبِي أَبِي الدُّنْيَا
٨٩. تَفْسِيرُ سُنَنِ سَعِيدِ بْنِ مَنْصُورٍ
٩٠. إعداد المعلم . د / عبد الله عبد الحميد محمود
٩١. سيرة ابن هشام
٩٢. http://www.rasoulallah.net/subject.asp?lang=ar&parent_id=١٠٨&sub_id=١١٦٤
٩٣. قطوف من الشمائل المحمدية
٩٤. فتاوى الشبكة الإسلامية معدلة
٩٥. صِفَةُ الْجَنَّةِ لِأَبِي نُعَيْمٍ الْأَصْبَهَانِيِّ
٩٦. الْبَعَثُ وَالنُّشُورُ لِلْبَيْهَقِيِّ
٩٧. عدة الصابرين لابن القيم الجوزية
٩٨. فتح التقدير . محمد بن علي الشوكاني
٩٩. حِلْيَةُ الْأَوْلِيَاءِ جَامِعُ الْحَدِيثِ
١٠٠. مقدمة ابن خلدون
١٠١. أَخْلَاقُ النَّبِيِّ لِأَبِي الشَّيْخِ الْأَصْبَهَانِيِّ
١٠٢. الموسوعة الفقهية الكويتية
١٠٣. حاشية ابن عابدين
١٠٤. مغني المحتاج
١٠٥. مواهب الجليل
١٠٦. المغني لابن قدامة
١٠٧. من أدب الإسلام أبو غدة
١٠٨. زاد المعاد لابن القيم
١٠٩. دلائل التوحيد للقاسمي طبعة دمشق
١١٠. الفصل في الملل والأهواء والنحل
١١١. المواهب اللدنية بشرح الزرقاني .
١١٢. عمدة القاري شرح صحيح البخاري
١١٣. مختار الصحاح

المجموع للنووي	١١٤
إعلام الموقعين	١١٥
شرح المنتهى	١١٦
الموافقات للشاطبي	١١٧
الأداب الشرعية	١١٨
النهاية في الحديث والأثر لابن الأثير	١١٩
قصة قارون دروس وعبر للمؤلف	١٢٠
قصة أصحاب القرية دروس وعبر للمؤلف	١٢١
الأمثال في القرآن الكريم . لابن القيم الجوزية تحقيق سعيد محمد نمر	١٢٢
الخطيب (ط. دار المعرفة)	
الأسماء والصفات للبيهقي	١٢٣
مفتاح دار السعادة لابن القيم	١٢٤
الفتاوى الكبرى لابن تيمية	١٢٥
فقه الدعوة في صحيح الإمام البخاري	١٢٦
شرح السنة للبخاري	١٢٧
التراتب الإداري عبد الحي الكتاني رحمه الله تعالى	١٢٨
أخبار أصبهان لأبي نُعيم الأصبهاني	١٢٩
السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث للصلابي	١٣٠
المستفاد من قصص القرآن، عبد الكريم زيدان	١٣١
السنة لأبي بكر بن الخَلَّال	١٣٢
الطبقات الكبرى لابن سعد	١٣٣
الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي	١٣٤
الاعتصام للشاطبي - ط دار ابن عفان	١٣٥
حاشية السندي على ابن ماجه	١٣٦
نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم	١٣٧
فتح الملهم بشرح صحيح مسلم للعلامة شبيب أحمد العثماني	١٣٨
منهج السلف في السؤال عن العلم وفي تعلم ما يقع وما لم يقع لأبي غدة	١٣٩
مجموع فتاوى ومقالات ابن باز	١٤٠
الفتوحات الربانية على الأذكار النووية للشيخ ابن عَلان	١٤١
التراتب الإداري الكتاني	١٤٢
نفح الطيب للتلمساني	١٤٣
المِرْقاة شرح المشكاة لعلي القاري ٤	١٤٤
البداية والنهاية لابن كثير - موافقة للمطبوع	١٤٥
سير أعلام النبلاء	١٤٦
مَسَائِرُ الْأَخْلَاقِ لِلْخَرَائِطِيِّ	١٤٧
تَارِيخُ الْمَدِينَةِ لِابْنِ شَبَّةَ	١٤٨
الْحَادِيثُ الطَّوَالُ	١٤٩
أَمَالِي ابْنِ بَشْرَانَ	١٥٠
التَّرْغِيبُ فِي فَضَائِلِ الْأَعْمَالِ وَتَوَابِ ذَلِكَ لِابْنِ شَاهِينَ	١٥١

الفتاوى المعاصرة في الحياة الزوجية للمؤلف	١٥٢
مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة للأستاذ محمد حميد الله	١٥٣
الأموال لِقَاسِمِ بْنِ سَلَامٍ	١٥٤
موسوعة الغزو الفكري والثقافي للمؤلف	١٥٥
هل البقاء للأقوى أم للأصلح للمؤلف	١٥٦
المسلم بين الهوية الإسلامية والهوية الجاهلية للمؤلف	١٥٧
هويتنا أو الهاوية للمقدم	١٥٨
أدب الدين والدينا الماوردي	١٥٩
جامع بيان العلم	١٦٠
معالم في الطريق بتحقيقي	١٦١
الشاملة ٣	١٦٢
برنامج قالون	١٦٣
المعلم الأول ﷺ فؤاد شلهوب	١٦٤
دراسات في الحديث النبوي . د/ محمد لقمان الأعظمي الندوي .	١٦٥
http://www.rasoulallah.net/subject	١٦٦
http://www.rasoulallah.net/subject &sub_id=١٠٨&parent_id=١١٤٥	١٦٦
http://islampost.com/d/ amm/١/١٢١/١/٢٢٦١.html	١٦٧

الفهرس العام

مدخل عام	٩
الباب الأول	١٧
صفات ينبغي توفرها في المعلم	١٧
وفيه المباحث التالية :	١٧
[١] إخلاصُ العلمُ لله :	١٨
[٢] صدق المعلم :	٢١
[٣] مطابقة القول العمل :	٢٤
[٤] العدل والمساواة :	٣٢
[٥] التحلي بالأخلاق الفاضلة والحميدة :	٣٩
[٦] تواضع المعلم :	٤٢
[٧] شجاعة المعلم :	٤٧
[٨] مزاح المعلم مع تلاميذه :	٥١
[٩] الصبر واحتمال الغضب :	٥٤
[١٠] تجنب الكلام الفاحش البذيء :	٥٨
[١١] استشارة المعلم لغيره :	٦١
الباب الثاني	٦٥
مهمات وواجبات المعلم	٦٥
[٢] إساءة النصيحة للمتعلم :	٧٠
[٣] الرفق بالمتعلم وتعليمه بالأسلوب الحسن :	٧٤
[٤] عدم التصريح بالأسماء أثناء التوبيخ :	٨٢
[٥] إلقاء السلام على المتعلم قبل الدرس وبعده :	٨٦

٩١	[٦] استخدام العقوبات أثناء التعليم :
٩٩	[٧] تقديم المكافآت للمتعلم :
١٠٣	الباب الثالث
١٠٣	صفات الرسول المعلم
١٠٤	المبحث الأول
١٠٤	كلمة موجزة عن شخصية الرسول المعلم
١١٩	المبحث الثاني
١١٩	بيان خصائص الرسول المعلم وفضائله
١	١ فأما الوجه الأول في كمال خلقه بعد اعتدال صورته، فيكون بأربعة أوصاف
١٢٠	:
١٢١	٢ وأما الوجه الثاني في كمال خلقه، فيكون بست خصال :
٣	٣ وأما الوجه الثالث في فضائل أقواله، فمعتبر بثمان خصال :
١٢٥	:
٤	٤ وأما الوجه الرابع في فضائل أفعاله، فمختبر بثمان خصال :
١٢٨	:
١٣٦	الباب الرابع
١٣٦	أساليب الرسول ﷺ التعليمية
١٤٠	[١] تهيئة المتعلم لاستقبال العلم :
١٤٧	[٢] الاتصال السمعي والبصري بين المعلم والمتعلم :
١٤٨	أولاً : الاتصال السمعي : منها :
١٤٨	أ- طريقة الكلام (السرد - الشرح)
١٤٩	ب- عدم التشدق في الكلام وتكلف السجع :

- ت - رفع الصوت (أو تغيير نبرات الصوت) بالتعليم .. ١٥١
- ث - استمرار المعلم في الإلقاء وعدم قطعه : ١٥٢
- ج- السكوت أثناء الإلقاء (الشرح) ١٥٣
- ثانياً : الاتصال البصري : منه : ١٥٤
- أ - إدامة الاتصال النظري بين المعلم والمتعلم : ١٥٤
- ب - استخدام تعابير الوجه : ١٥٦
- [٣] الأسلوب العملي في التعليم : ١٥٩
- أ - الأسلوب العملي من قبل المعلم : ١٥٩
- ب - الأسلوب العملي من قبل المتعلم : ١٦٤
- (ج) عن طريق المعلم والمتعلم ١٦٦
- [٤] عرض المادة العلمية بأسلوب يناسب عقل الطالب وفهمه : ١٦٧
- [٥] أسلوب المحاوراة والإقناع العقلي : ١٧٢
- [٦] التعليم عن طريق القصص : ١٨١
- [٧] ضرب الأمثال أثناء التعليم : ١٩٢
- [٨] أسلوب التشويق في التعليم : ٢١٠
- [٨] استخدام الإيماءات (حركات اليدين والرأس) في التعليم ٢١٥
- أحدها : زيادة بيان وإيضاح وتأکید على الكلام : ٢١٥
- ثانيها : جذب الانتباه وترسيخ بعض المعاني في الذهن : ... ٢٢٠
- ثالثها طلب الاختصار : ٢٢٨
- [١٠] استخدام الرسومات للتوضيح والبيان : ٢٣٠
- [١١] توضيح المسائل المهمة عن طريق التعليل: ٢٣٧
- [١٢] ترك استخراج الجواب للمتعلم : ٢٤٣

- ٢٤٦ [١٣] استخدام التكرار في التعليم :
- ٢٤٦ فأولاً : تكرار الكلمات :
- ٢٥٣ ثانياً : تكرار الاسم :
- ٢٥٥ [١٤] استخدام أسلوب التقسيم في التعليم :
- ٢٥٧ [١٥] استخدام أسلوب الاستفهام أثناء التعليم :
- ٢٦١ [١٦] طرح بعض المسائل العلمية المهمة لاختبار مقدرة الطالب العقلية :
- ٢٧١ [١٧] حثُّ المعلم طلابه على طرح الأسئلة :
- ٢٧٩ [١٨] تقديم السائل من خلال سؤاله، وإجابته بما يناسب حاله :
- ٢٧٩ أ - معاملة السائل من جهة جهله :
- ٢٨١ ب - معاملة السائل من جهة ما هو أنفع له :
- ٢٨٣ [١٩] التعليق على إجابة المتعلم :
- ٢٩٠ [٢٠] تأخير جواب السائل لمصلحة معينة :
- ٢٩٨ [٢١] عدم السخرية من سؤال الجاهل :
- ٣٠١ [٢٢] إعادة السؤال على السائل لتنبهه إلى السؤال الأهم :
- ٣٠٤ [٢٣] تأخير جواب السائل إذا كان مرتبطاً بشيء عملي :
- ٣٠٥ [٢٤] السكوت عن جواب السائل ساعة أو نحوها حسب مقتضى الحال :
- ٣٠٦ [٢٥] السؤال واحد والجواب مختلف حسب طبيعة السائل :
- ٣١٦ [٢٦] استخدام القياس أثناء التعليم أو الإجابة على الأسئلة :
- ٣٢٢ [٢٧] الحوار المشوق مع المتعلم :
- ٣٣٠ [٢٨] هل يخص بعض طلابه ببعض العلم دون غيرهم ؟ :
- ٣٤٤ [٢٩] الإيجاز في الموعظة :
- ٣٥١ [٣١] انتهازه ﷺ المناسبات العارضة في التعليم :

- ٣٧٠ [٣٢] القراءة على العالم :
- ٣٧٢ [٣٣] ترك الجدال والتنازع الذي يؤدي إلى نسيان العلم بعض أفكاره :
- ٣٧٣ [٣٤] النهي عن كثرة الأسئلة على المعلم :
- ٣٧٤ [٣٥] حَضُّهُ ﷺ على محو العامية وتحذيره من الفتور في التعليم والتعلم :
- ٣٧٩ [٣٦] تعليمه ﷺ بالسيرة الحسنة والخلق العظيم :
- ٣٩١ [٣٨] رعايته ﷺ في التعليم الاعتدال والبعد عن الإملال :
- ٤٠١ [٣٩] رعايته ﷺ الفروق الفردية في المتعلمين :
- ٤١٥ [٤٠] ابتداؤه ﷺ أصحابه بالإفادة دون سؤال منهم :
- ٤٢٠ [٤١] إجابته ﷺ السائل عما سأل عنه :
- ٤٢٨ [٤٢] جوابه ﷺ السائل بأكثر مما سأل عنه :
- ٤٣٤ [٤٣] لفتته ﷺ السائل إلى غير ما سأل عنه :
- ٤٣٨ [٤٤] استعادته ﷺ السؤال من السائل لإيفاء بيان الحكم :
- ٤٥١ [٤٦] تعليمه ﷺ بالسكوت والإقرار على ما حدث أمامه :
- ٤٥٦ [٤٧] تعليمه ﷺ بالمأزحة والمداعبة :
- ٤٦١ [٤٨] تأكيدته ﷺ التعليم بالنقسه :
- ٤٧٢ [٤٩] إمساكه ﷺ بيد المخاطب أو منكبته لإثارة انتباهه :
- ٥٠ [٥٠] إبهامه ﷺ الشيء لحمل السامع على الاستكشاف عنه للترغيب فيه أو الزجر عنه :
- ٤٧٨ [٥١] إجماله ﷺ الأمر، ثم تفصيله ليكون أوضح وأمكن في الحفظ والفهم :
- ٤٩٣ [٥٢] تعليمه ﷺ بالترغيب والترهيب :
- ٤٩٩ [٥٣] اكتفاؤه ﷺ بالتعريض والإشارة في تعليم ما يستحيا منه :
- ٥٠٤ [٥٤] اهتمامه ﷺ بتعليم النساء ووعظهن :

- [٥٥] اتخاذه ﷺ الكتابة وسيلة في التعليم والتبليغ ونحوهما: ٥٠٧
- [٥٦] أمره ﷺ بعض أصحابه بتعلم اللغة السريانية: ٥١٥
- [٥٧] قول المعلم لا أدري لما لا يدري جزء من العلم: ٥١٨
- الخاتمة ٥٢٤